# ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة

## في ظل إمامة المهدي المنتظر (ع)


تأليف

الميرزا محسن آل عصفور



مكتبة الريف الثقافية

جميع الكتب والأدوات المدرسية والقرطاسية


ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة

# ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة

## في ظل إمامة المهدي المنتظر (عج)

تأليف

الميرزا محسن آل عصفور

الناشر

مكتبة الريف الثقافية
البحرين ـ جد حفص
رقم الهاتف : ٢٥٠٧٣٤
ص ب: ٣٠٠٤٥

مؤسسة اسماعيليان
ايران ـ قم
رقم الهاتف : ٢٥٢١٢

الكتاب: ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة

المؤلف: الميرزا محسن آل عصفور

الناشر: المؤلف

تنضيد الحروف: كمبيوتر الإخلاص ـ قم

المطبعة: المطبعة العلمية

الطبعة: الأولى

التاريخ: شوال سنة ١٤١٣ هـ

الكمية: ١٥٠٠ نسخة



اصدار

مجمع البحوث العلمية

الشاخورة ـ البحرين

# الإهداء

إلى بارقة الحلم المنشود التي ستبدد ظلمات ليل حياتنا البهيم.

إلى وميض النور الذي سيقشع عن بصائرنا غمائم العمى والضلال.

إلى بصيص الأمل الذي يشع من الأفق ملوحا بغد زاهر وحياة المدنية الفاضلة.

إلى رمز الظلامة وشعار الأحرار وانشودة الأبرار وحثار الأخيار.

إلى البركان العارم على طواغيت البشرية والكيان الثائر على الحياة الوضيعة.

إلى منهل العلوم والسر المكتوم والرحيق المختوم.

إلى صاحب الظفر والفتح وناشر راية الهدى وباسط لواء التوحيد والعدل والقسط في العالم أجمع.

إلى الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة إمام العصر والزمان الحجة المهدي عليه السلام أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

أهدي هذا المجهود المتواضع راجيا من ساحة قدسه القبول والرضى.

***المؤلف***

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على أشرف الأولين والآخرين محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد: لقد مرّ التاريخ العقائدي للبشرية بمراحل حافلة بالتطوّرات، ومليئة بالأحداث والوقائع، الموبوءة بالإرهاصات الفكريّة اللأواء، والإعصارات العقلية الهوجاء.

ونظراً لأهمية المرتكزات العقائدية في تسيير دفة الحياة بكافة ميادينها، وتأطير الحياة السلوكية والخلقية والإجتماعية، فقد تمخض عن مجمل الصراع الفكري داخل بوتقة تاريخ الفكر العقائدي مذاهب ومشارب ومسالك متعدّدة، أودت بمعتنقي مبادئها إلى الإنحطاط، والسقوط في هاوية الضياع والتيه، والبعد عن المدنيّة الفاضلة، بكافة أبعادها ومقاييسها.

ولم تقتصر حالة الشذوذ الفكري والعقلي والعقائدي تلك على برهة زمنيّة معيّنة من تاريخ الإنسان في هذه الحياة الدنيويّة، بل عايشت وجوده وكيانه منذ أول وهلة لنشأته الأولى على الأرض، واستمرّت معه إلى عصرنا هذا، وستستمرّ معه إلى انقضاء الحياة، كما شهد لنا الواقع وطالعنا به، وكذا التاريخ من خلال سجلاته الحافلة بالأحداث، والمليئة بالتطوّرات المختلفة الميادين.

ومن هنا تكتسب حركة الأنبياء والرسل والأوصياء المختصّين بتبليغ البعثات السماوية أهميتها الخاصة، ودورها الرائد، وحيويّتها الفريدة، خصوصاً في مجال تسديد خطى الإنسان العقلية، وتقويم المعوجّ من أدلتها وبراهينها، وصقل مرآة العقل لتؤدّي دورها اللائق بها، من خلال تحقيق حالة الإرتباط الوطيد والصلة الوثيقة بالواقع، ومطابقة تصوّراتها واستنتاجاتها مع الحياة والوجود والمبادئ السفلية والعلوية، وقد كانت أكبر المنعطفات المشهودة في تاريخ الصراع العقائدي هي تلك التي واكبت العصر الإسلامي، وعصفت به، وما تمخض عنها من أحداث وصراعات جمّة ابتدأت بالوهلة الأولى للبعثة النبوية، بسبب ما كانت تتّصف به من إلهية المبدأ والتشريع، وعالمية

الدعوة ونطاق العمل، وإنسانية الأسس والأصول والمناهج.

وتأجّجت بقضية الخلافة بعد عصر النبوّة، بعد انحراف دفّة الخلافة عن مجراها الرسالي وخطاها الإلهية، وقد أثر ذلك الإنحراف على الإنسان لا في معتقده فحسب؛ بل في كل ألوان وأنماط سلوكه الفكري والثقافي والعبادي إلى الحدّ الذي وصل إلينا اليوم.

وانطلاقاً من هذا المنعطف فقد تصدّى الأئمة من أهل بيت النبوّة بدءاً من عصر الإمام الصادق عليه السلام وانبروا لصدّ هجمات العقائد الضالّة تلك، بأنفسهم تارة، وأُخرى بإعداد كوادر خاصّة كأمثال هشام بن الحكم وأضرابه.

واستمرّت هذه المجابهة حتى عصر الغيبة الكبرى، حيث نهض بأعبائها أساطين مذهب الإمامية، انطلاقاً من خصّيصة الأصالة التي كان مذهبهم متّصفاً بها.

وقد نبغ فيمن نبغ، منهم: الشيخ المفيد وشيخ الطائفة الطوسي وعلم الهدى السيّد المرتضى والعلاّمة الحلّي وكثير آخرون(١) من أُولئك الذين كانوا مشاعل هدى ومراكز إشعاع المعارف الحقّة ومناهل للعلوم الربّانية القويمة طيلة أحقاب متمادية وعصور متوالية.

وها هي آثارهم تشهد بعراقة أذهانهم الوقادة وسموّ تضلّعهم في الميادين التي دوّنوا فيها وقد أضحت كنوز الثقافة والفكر الشيعي على مرّ الأجيال والعصور، وستبقى كذلك ما قُدِّرَ للبشرية من بقاء.

وعلى الرغم من تمادي الشقّة الزمنية بيننا وبين أُولئك الأفذاذ وحالة التفكّك التي تعصف بنا بين الفينة والأخرى في حياتنا المعاصرة وشدّة الفتن والمؤامرات التي تحاك ضدّنا في الخفاء والعلن لا زلنا بحمد الله تعالى كالطوْد الأشم والجبل الراسخ لا تهزّه العواصف ولا تخلخل أركانه القواصف.

ولا زلنا نمتلك السلاح العقائدي الذي له القدرة على مجابهة كل شبهة وخط انحرافي طارئ ينشأ في ربوع عالمنا الإسلامي بالبرهان القاطع والبيان الساطع والحجّة الدامغة، وهذا ما سنحاول البرهنة عليه من خلال دراستنا لمشكلة «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى» تلك المحنة الجديدة التي أخذت تتعالى صيحاتها بين الحين والآخر منذرة بطغيان حالة من التيه والضياع وشيوع ظاهرة المروق والعصيان وانبثاق بعض الخطوط التي تدّعي في ظاهرها التفاني في الدعْوة للحق وإقامة أحكامه بينما تضمر في الباطن

دعوة الإلحاد والزندقة والحط من قيم الشريعة المحمدية السمحاء الخاتمة، وتكن التآمر المستبطن وتحاول من خلال مخططاتها التآمريّة إثارة الشكوك حول قداسة الغيبة وشخص الإمام المهدي عليه السلام وإشاعة روح المهانة بأهداف حركته الكبرى وأطروحته العالمية الإصلاحية المترقّبة والتي سيملأ على أثرها العالَم بأسره عدلاً وقسطاً بعد ما يمتلئ ظلماً وجوراً.

## سبب تأليف هذا الكتاب:

في أوائل سنة ١٤١١ هـ قمت بكتابة كتيّب يقع في (٤٨) صفحة تحت إسم «ريب المنون لمفتري البدع والزندقة والمجون» ضد حركة هدامة ومؤامرة مفضوحة قام بها أحد الزنادقة في البحرين، وذلك تلبية لرغبة وإلحاح من بعض الطلاّب البحرانيين المقيمين في مدينة قم واقتراح من العم فضيلة الشيخ أحمد آل عصفور أدام الله تعالى إعزازه.

وقد كان ذلك الكتيّب محاولة سريعة للردّ على تلك المؤامرة وإثارة الرأي العام ضدها ولو لفترة مؤقتة ريثما تسنح الفرص لتقديم أُطروحات أكبر وضربات قاصمة لا لتلك الحركة الضالّة وحدها؛ بل لكل نشاط مشبوه ليس في حدود مجتمع البحرين فقط، بل في سائر بقاع العالم الإسلامي على امتداد رقعته الجغرافية.

وعلى الرغم من صدور كتاب (دعوى السفارة في الغيبة الكبرى) للزميل الشيخ محمد سند بتحفيز وتشجيع منّي له على ذلك فإنني لم أجد فيه الضالّة المنشودة التي كنتُ أتطلّع إليها في المحاولة الثانية بعد صدور الكتيّب الآنف الذكر، وقد أخذت عليه عدّة ملاحظات أهمّها:

١ـ افتقاده للمنهجة العلمية الرصينة التي تتناسب وأصل المسألة المبحوث عنها.

٢ـ التداخل العجيب في سرد المطالب وذلك بحشر موضوعات أجنبيّة لا علاقة لها بأصل الغرض المشار إليه في العنوان.

٣ـ عدم الإستقصاء التام لما يرتبط بالبحوث المتناولة.

٤ـ الإضطراب الملحوظ في تنظيم التسلسل الموضوعي للمطالب.

إلى غير ذلك ممّا لا حاجة بنا إلى سرده ولعلّ عذره الوحيد في ذلك انه التجربة الأولى له في التأليف، فلا غرو أن يصدر عنه ما صدر.

وبما انه لم تصدر دراسة اخرى بهذا الصدد وجدت لزاماً على نفسي أن أستطرق هذا الموضوع مرّة أخرى وبمحاولة جديدة ربما تأتي بثمارها المطلوبة وبالحجم المطلوب الذي يتناسب مع القضية المأساوية المعاشة.

وسيجد قرّاء الكتابين الفرق جلياً خصوصاً بعد سبرهما والتوغّل فيما تضمناه من مباحث ومطالب.

ولا أدعي الكمال فيما أقدمه لك بين أسطر صفحات كتابي هذا، ولا أزعم اني بلغت الغاية في ذلك فهذا أمر موكول إلى مدى قدرة الكتاب على الإجابة عن كل ملابسات القضية الآنفة الذكر، وإغناء عقلية القارئ بكل ما يتلهّف للإطلاع عليه والإستفهام عنه والإحاطة به.

يضاف إلى ذلك كله اني قمت بإعداد هذا الجهد في فترة عصيبة ومشاغل كثيرة ومشاكل جمّة اعترضتني لا حاجة لي بالتصريح عنها والإفصاح بها وعلى عجلة من الأمر وفي فترة زمنيّة قصيرة، لذا فالمرجوّ من القرّاء الإغضاء عن ما ربما يلاقوه من بعض الهفوات وأن يقابلوه بحسن ظنّهم وسعة أريحيّتهم وجميل خلقهم وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

## منهجيّتنا في هذا الكتاب:

الموضوع الذي نهدف إلى التركيز عليه من خلال استعراض مباحث هذا الكتاب هو مسألة (دعوى السِّفارة في الغيبة الكبرى) وتكمن هذه المشكلة أساساً في أحد أمرين:

(الأول) ظاهرة الغيبة التي طرأت على حركة الإمامة في نهجها الرسالي وأوجدت منعطفاً في تاريخ حياة الأمّة.

(الثاني) ظاهرة التمثيل النيابي بتوسّط سفراء مخصوصين لإيجاد حلقة الوصل بين الإمام وقواعده الشعبية في عصر الغيبة الصغرى.

(فالأمر الأوّل) إستفاد منه جمع من أصحاب الأغراض الدنيئة حيث وجدوا متسعاً كافياً لتنفيذ مخطّطاتهم الهدّامة حيث الإمام غائب ولا يمكن لكل أفراد الأمّة من الرجوع إليه لاستكشاف حقيقة أمرهم وتشخيص زيفهم.

(والأمر الثاني) أوجد الأرضية الخصبة لتقبّل بعض الدعوات التمويهيّة المغرضة

ذات الميول المنحرفة الغير المعلنة في بدئها.

فمن خلال هذين الأمرين انبثقت عوامل الإنحراف وتجت ملامح الإضلال والتضليل وبوادر المروق من قبل من كان يتحيّن الفرص لتنفيذ مآربه الخبيثة ونواياه الدنيئة.

وهذا ما حدى بنا إلى تصنيف مواضيع الكتاب الماثل بين يديك إلى قسمين يتحدث أولهما عن الغيبة وكل ما يحيط بها من ملابسات لرفع ما قد يتوهّم حولها ويتناول الثاني السّفارة بكل الشقوق المتصوّرة فيها لسدّ الباب على كل عابث متهتك.

وقبل البدء في تناول مطالبهما نصدر الكلام بمقدمة تمهيديّة كتبصرة في الشروع.

## تمهيد:

قبل البت في صلب القسمين المومأ إليهما لابدّ من الحديث أولاً عن الخلفية التي تأخمت لفترة بزوغ نجم الإمام المهدي عليه السلام، وشغلت الفكر البشري بقضية مجيئه والتبشير بمولده وبدء عهد إمامته خصوصاً تلك الحقبة التي عايشها والده الإمام العسكري الإمام الحادي عشر من أئمة أهل البيت النبوي وما طرأ فيها من قضايا جمّة انتهت باستشهاده على أيدي العمالة يومذاك.

وممّا لا ريب فيه أن سبر تلك الأجواء سيعطي المزيد من القدرة على تفهم واستيعاب القضيّة التي سنتناولها فيما بعد.

يضاف إلى ذلك أن الإسهاب في استعراض أمثال تلك الأمور يزيد من تسليط الأضواء على أبعاد ملابسات هذه القضية التي نحن بصدد استعراض كافة خطوطها في حدود النظرة التحليليّة في تجربتنا هذه كما يسهم في بلورة الحل المنهجي لداء تلك المشكلة في صورته المهولة والمخيفة، ويفك جميع الرموز المستعصية في جوهر كنهه، ويزيح الغموض المخيم على أمثال هذه الظواهر وحالة الرعب المكتنفة لها.

ومن أجل الوصول لهذه النتيجة فلن نألُ جهداً بلغته طاقتنا واحتملته قدرتنا ووسعته ذهنيّتنا وإن بدر منا قصور في ذلك فنيّتنا منه أمضى وعزمنا فيه أبلغ، ولكن القصور طبعنا والهفوة عادتنا وما ملتمسنا إلاّ من الله عزّوجل نستلهمه السداد ونستهديه وعليه نتوكّل فهو حسبنا ونعم الوكيل.

# الظروف القاسية
# في فترة الإمام العسكري الزمنيّة

عانى الإمام الحسن العسكري مع أبيه الإمام الهادي عليهما السلام من جلاوزة السلطة العباسية أشد المعاناة وقضى الشطر الأكبر من حياته في حدود العاصمة العباسية وعايش كافة الأحداث والظروف التي واجهت أبيه في فترة إمامته وبعد انتقالها إليه بعد أبيه حيث كان له من العمر اثنين وعشرين سنة.

فجاءت مواقفه امتداداً للخطى التي انتهجها والده عليه السلام بوصفه المرجع الفكري والروحي لقواعده الشعبية التي كانت تدين له بالولاء والإنقياد.

وعلى الرغم من الظروف والملابسات التي طرأت على السلطة العباسية في تلك الفترة الزمنيّة وسيطرة الموالي والأتراك على مقاليد الحكم فإنه لم تخف الضغوط وممارسة السياسة الإرهابية ضد شخص الإمام وشيعته بل ازدادت خصوصاً بعد تسلم المعتمد العباسي لمقاليد الحكم وتربعه على دفة السلطة حيث بث العيون وأرسل الجواسيس يسترقون أخباره ويراقبون كل تحركاته ونشاطاته، والتربّص لما كان ينتابهم من شخصه بين الحين والآخر من خوف وهلع وهواجس تقض مضاجعهم وتحول بينهم وبين هجوعهم لسبات الإستجمام والراحة ونشوة القصور والقيان فقرّ قرارهم على انهائه وتصفيته على ما ألمحنا إليه سابقاً فقضى سلام الله تعالى عليه نحبه نتيجة ذلك عن طريق دسّ السمّ إليه غيلة.

# ولادة الإمام المهدي عليه السلام

روى شيخ الطائفة الطوسي نوّر الله تعالى تربته بسنده عن حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام قالت: بعث إليّ أبو محمّد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين في النصف من شعبان وقال: يا عمّة اجعلي الليلة إفطارك عندي فإن الله عزّوجل سيسرك بوليّه وحجّته على خلقه خليفتي من بعدي.

قالت حكمية: فتداخلني لذلك سرور شديد وأخذتُ ثيابي علي وخرجتُ من ساعتي حتى انتهيتُ إلى أبي محمد عليه السلام وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله فقلتُ: جعلتُ فداك يا سيّدي الخلف ممّن هو؟ قال: من سوسن فأدرت طرفي فيهنّ فلم أر جارية عليها أثر غير سوسن.

قالت حكيمة: فلما أن صليت المغرب والعشاء الآخرة أتيت بالمائدة فأفطرتُ أنا وسوسن وبايتها في بيت واحد، فغفوت غفوة ثم استيقظتُ، فلم أزل مفكّرةً فيما وعدني أبو محمّد عليه السلام من أمر وليّ الله عليه السلام فقمت قبل الوقت الذي كنتُ أقوم في كل ليلة للصلاة، فصلّيتُ صلاة الليل حتى بلغت إلى الوتر، فوثبت سوسن فزعة وخرجت فزعة، وأسبغت الوضوء ثم عادت فصلّت صلاة الليل وبلغت إلى الوتر، فوقع في قلبي ان الفجر قد قرب فقمتُ لأنظر فإذا بالفجر الأول قد طلع، فتداخل قلبي الشك من وعد أبي محمّد عليه السلام فناداني من حجرته لا تشكي وكأنك بالأمر الساعة قد رأيته إن شاء الله تعالى.

قالت حكيمة: فاستحييتُ من أبي محمد عليه السلام ومما وقع في قلبي، ورجعتُ إلى البيت وأنا خجلة فإذا هي قد قطعت الصلاة وخرجت فزعة فلقيتها على باب البيت فقلت: بأبي أنت وأمّي هل تحسّين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمة إني لأجد أمراً شديداً قلت: لا خوف عليك إن شاء الله تعالى، وأخذت وسادة فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة، فقبضت على كفّي وغمزت غمزة شديدة ثم أنّتْ أنّة وتشهدت ونظرت تحتها فإذا أنا بولي الله صلوات الله عليه متلقياً الأرض بمساجده فأخذت بكتفيه فأجلسته في حجري فإذا هو نظيف مفروغ منه، فناداني أبو محمّد عليه السلام: يا عمّة هلمّي فأتيني بابني فأتيته به فتناوله وأخرج لسانه فمسح به عينيه ففتحها ثم أدخله في فيه فحنكه ثم أذن في أذنيه وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى وليّ الله جالساً فمسح يده على رأسه وقال له: يا بني أنطق بقدرة الله فاستعاذ وليّ الله عليه السلام من الشيطان الرجيم واستفتح (بسم الله الرحمن الرحيم ونريدُ أن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وصلّى على رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه فناولنيه أبو محمد عليه السلام وقال: يا عمّة ردّيه إلى أمّه حتى تقرّ

عينها ولا تحزن ولتعلم انّ وعد الله حقّ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون فرددته إلى أمّه وقد انفجر الفجر الثاني فصلّيت الفريضة وعقبت إلى أن طلعت الشمس، ثم ودعتُ أبا محمد عليه السلام وانصرفتُ إلى منزلي فلما كان بعد ثلاث اشتقت إلى وليّ الله فصرت إليهم فبدأت بالحجرة التي كانت سوسن فيها فلم أر أثراً ولا سمعت ذكراً فكرهت أن أسأل فدخلت على أبي محمد عليه السلام فاستحييت أن أبدأ بالسؤال فبدأني فقال: هو يا عمّة في كنف الله وحرزه وستره وغيبه حتى يأذن الله له فإذا غيب الله شخصي وتوفّاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم وليكن عندك وعندهم مكتوماً فإنّ وليّ الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقدم له جبرئيل عليه السلام فرسه (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) (٢).

## من اعترف بولادة الإمام المهدي عليه السلام وغيبته من علماء أهل السنّة

قال المحدث الفاضل المتبحّر النوري (قده) في كتاب كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار في الفصل الأول منه:

إعلم هداك الله سبيل الرشاد: انه قد تواتر عن النبي صلّى الله عليه وآله من طرق أهل السنّة والإمامية أنه قال ما معناه:

«انه يخرج من ولده في آخر الزمان رجل يقال له المهدي عليه السلام، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وهذا المقدار قد استقرّت عليه المذاهب الخمسة، والقول بأنه من ولد العبّاس، وأنه علوي غير فاطمي شاذ نادر قد تبيّن فسادهما في محله والظاهر انقراض من قال بأحدهما.

نعم، بين أهل السنّة والإمامية خلاف معروف في موضعين:

(الأول): انه حسني أو حسيني؟

ذهب إلى الأول جمع من أهل السنّة وجماعة أخرى منهم، وكافة الإمامية ذهبوا إلى الثاني وأوضحوا فساد القول الأول بما لا مزيد عليه، وبسط القول فيه الحافظ

الكنجي الشافعي في كتاب «البيان» من أراده راجعه.

(والثاني): انه ولد وغاب ثم يظهر في وقت أراد الله تعالى إنفاذ أمره أو انه ما ولد وسيولد من بعد ويظهر ويملأ؟

ذهب إلى الأول كافة الإمامية وعيّنوا شخصه وأنه الحجّة بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأنه هو المهدي الموعود ولد ثم غاب بأمر الله تعالى مدة كان يصل إليه نوّابه وبعض خواصّه، ثم غاب غيبته الكبرى فلا يظهر إلاّ في وقت يؤمر بالخروج وتطهير تمام الأرض عن أرجاس الكافرين والملحدين حيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها، وأثبتوا ذلك بالنصوص عن جدّه النبي صلّى الله عليه وآله وعن كل واحد من آبائه الذين أقوالهم عندهم حجّة، خصوصاً في مثل هذا المقام المقترنة أقوالهم فيه بالأخبار عمّا يأتي، فكان الأمر كما قالوا وبالمعجزات.

وقد وافقهم على هذا القول جماعة من أعيان علماء المذاهب الأربعة، بل رووا نصوصاً ومعاجز وتصدّوا لدفع شبهات ربما تورد في المقام.(٣).

ثم استعرض أسماءهم واحداً تلو الآخر وعقبه بما يشهد بجلالة قدرهم عند القوم واتّصافهم بالشهرة والمنزلة العظيمة لديهم مضافاً إلى ذكر النصوص التي صرحوا بها في خصوص قضية تلك الولادة بأبلغ بيان وأوضح برهان.

ونحن بدورنا نكتفي هنا بسرد خصوص تلك الأسماء دون ما أضافه بعدها محيلين من أراد التوسّع في هذا الموضوع إلى الكتاب المومأ إليه ثمّة، وعلى كل حال فأسماء أولئك كالآتي:

١ـ أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النصيبي.

٢ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي.

٣ـ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي.

٤ـ الفقيه الواعظ شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قزاعلي بن عبد الله البغدادي الحنفي سبط العالم الواعظ أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي.

٥ـ محي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتم الطائي الأندلسي.

٦ـ أبو المواهب عبدالوهّاب بن أحمد بن علي الشعراني.

٧ــ الشيخ حسن العراقي.

٨ــ الشيخ على الخوّاص البرامسي.

٩ــ نور الدين عبدالرحمن بن أحمد بن قوام الدين الدشتي الجامي الحنفي.

١٠ــ الحافظ محمد بن محمد بن محمود البخاري المعروف بخواجه پارسا.

١١ــ الحافظ أبو الفتوح محمد بن أبي الفوارس.

١٢ــ أبو المجد عبدالحق الدهلوي البخاري.

١٣ــ السيّد جمال الدين عطاء اللّه بن السيّد غياث الدين فضل اللّه بن السيد عبد الرحمن.

١٤ــ الحافظ أبو محمد أحمد بن إبراهيم بن هاشم الطوسي البلاذري.

١٥ــ الشيخ أبو محمد عبداللّه بن أحمد بن محمد بن الخشاب.

١٦ــ شهاب الدين بن شمس الدين بن عمر الهندي المعروف بملك العلماء.

١٧ــ المحدث علي المتقي بن حسام الدين ابن القاضي عبدالملک ابن قاضي خان القرشي.

١٨ــ الشيخ فضل بن روزبهان شارح الشمائل للترمذي.

١٩ــ الناصر لدين اللّه أحمد ابن المستضيء بنور اللّه من خلفاء العباسية.

٢٠ــ الشيخ سليمان بن خواجة كلان الحسين القندوزي البلخلي صاحب كتاب ينابيع المودّة.

٢١ــ الشيخ أحمد الجامي.

٢٢ــ صلاح الدين الصفدي.

٢٣ــ الشيخ إبراهيم القادري الحلبي.

٢٤ــ الشيخ عبدالرحمن البسطامي.

٢٥ــ المولوي علي أكبر بن أسد اللّه المؤودي من متأخري علماء الهند.

٢٦ــ العارف عبدالرحمن من مشائخ الصوفية صاحب كتاب مرآة الأسرار.

٢٧ــ القاضي جواد الساباطي.

٢٨ــ الشيخ سعد الدين محمد بن المؤيّد بن أبي الحسين بن محمد بن حمويه المعروف بالشيخ سعد الدين الحموي.

٢٩ــ الشيخ عامر بن عامر البصري.

٣٠ــ الشيخ صدر الدين القونوي.
٣١ــ شيخ مشايخ الصوفية جلال الدين الرومي صاحب المثنوي المعروف.
٣٢ــ الشيخ عطار صاحب الدواوين المعروفة.
٣٣ــ شمس الدين التبريزي شيخ مولوي جلال الدين الرومي.
٣٤ــ السيد نعمة الله الولي.
٣٥ــ السيد النسيمي.
٣٦ــ السيد علي بن شهاب الدين الهمداني.
٣٧ــ الشيخ عبدالله بن محمد المطيري.
٣٨ــ أبو المعالي سراج الدين الرفاعي المخزومي.
٣٩ــ الشيخ محمد الصبان المصري.

## مسؤولية الإمام العسكري عليه السلام تجاه ولده

بعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام واجه الإمام الأب وظيفتين مزدوجتين تجاه ولده عليه السلام:

١ــ إثبات وجود المهدي عليه السلام تجاه التاريخ وتجاه الأمّة الإسلاميّة وتجاه قواعده ومواليه، مع الحذر من السلطة، دون أن يبلغ به الحذر والكتمان إلى إخفائه الكامل، بحيث يؤدّي إلى انطماس إسمه وإنكار وجوده، وإقامة الحجة في وجوده على الموالين خاصة، والمسلمين عامة، داحضاً بها المزاعم التي تزعم بعدم وجوده أو أنه ليس للإمام العسكري من ولد.

٢ــ التخطيط لحماية المهدي عليه السلام من محاولات قتله ومطاردته من قبل السلطات، التي أبدت اهتمامها الشديد والمركز، ومحاولاتها المستميتة للقضاء عليه وتجنيد كل قواها وعيونها من أجله لأن ولادته عليه السلام وظهوره بالنحو الذي بشّرت به النصوص السابقة لعهده تعني الحكم على نظامهم بالموت المحتم وفضح مخططاتهم وانحرافهم عن أوامر الإسلام.

ومما زاد في دقة وحرج موقف الإمام العسكري في تحقيقه لهذين الهدفين أو

الوظيفتين المزدوجتين تجاه ولده عليه السلام تعرضه لأضواء السلطة ومراقبتهم الدائمة له، وباعتباره القائد الإسلامي لقواعد شعبية واسعة من المسلمين، وتمثيله لجبهة الرفض المعارضة والمناوئة للسلطة الحاكمة آنذاك.

ومن هنا كان تخطيط الإمام عليه السلام في اجتياز هذا المأزق بسلام هو ترك الإعلان أو الكشف عن ولادة إبنه عليه السلام وكأن شيئاً لم يحدث على الإطلاق «حتى أن الخادم في بيت الإمام العسكري لم ينتبه إلى شيء ولم يفهم شيئاً» (٤).

ومما ساعد الإمام العسكري وأعانه على نجاح خطة إخفاء الولادة احتجابه عن أصحابه ومواليه إلا بواسطة المراسلات، وتعود قواعده ومواليه على فكرة الإحتجاب والإتصال بقيادة الإمام عن طريق نظام الوكلاء وتسلسله الهرمي، وانشغال الدولة وأجهزتها بحركة صاحب الزنج عام ٢٥٥هـ.

وإلى هنا استطاع العسكري عليه السلام أن يضمن حماية ولده عليه السلام من بطش السلطة وكل من يدور في فلكهم.

وكان الإمام عليه السلام يلزم كل من يطلع على أمر ولادة ولده المهدي عليه السلام بوجوب الكتمان، وقد كتب الإمام العسكري عليه السلام لأحمد بن إسحاق: «وُلِدَ لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً»(٥).

والتأكيد على حرمة إطلاع أحد على إسمه عليه السلام وكان عثمان بن سعيد العمري يقول لمن يسأل عن إسم الإمام عليه السلام «إيّاك أن تبحث عن هذا»(٦).

وكان الإمام عليه السلام يحتاط كثيراً من التصريح باسمه لأحد ويكتفي بالقول لهم: «هذا صاحبكم» ويقتصر في التصريح باسمه على أقل القليل من أصحابه.

وكان يكفي ـ في علم الإمام ـ هذا القدر من الإطلاع وإن كان الإسم مجهولاً، بل يكفيهم الإيمان بوجود إمامٍ يرجعون إليه في الأحكام والمشاكل، ولا يتوقف ذلك على معرفة اسمه بعد معرفة شخصه وإمكان الإتصال به عن طريق سفرائه.

ولعلّ أوسع إعلان قام به الإمام العسكري عليه السلام بين أصحابه عن ولادة إبنه ما كان منه قُبَيْل وفاته بأيام، حيث كان مجلسه غاصاً بأربعين من أصحابه ومخلصيه منهم محمد بن عثمان ومعاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب. . . فعرض عليهم ابنه عليه السلام وهويقول لهم: «هذا صاحبكم بعدي وخليفتي عليكم. . . وهو القائم الذي تُمدّ إليه الأعناق بالإنتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»(٧)(٨).

# موقفه عليه السلام من التمهيد للغيبة

إن الإمام العسكري عليه السلام حين يعلم بكل وضوح تعلق الإرادة الإلهية بغيبة ولده من أجل إقامة دولة الله على الأرض وتطبيقها على الإنسانية أجمع، والأخذ بيد المستضعفين في الأرض ليبدل خوفهم أمناً . يعبدون الله لا يشركون به شيئاً . .

يعرف أن عليه مسؤولية التمهيد لغيبة ولده، وذلك لأن البشر اعتادوا الإدراك والمعرفة الحسيّة، ومن الصعب على هذا الإنسان المعتاد على المعرفة الحسية فقط أن يتجاوز إلى تفكير أوسع .

ولم يكن مجتمع الإمام عليه السلام الذي عاصر بواقعه المنحرف وهبوط مستواه الفكري والروحي يسمو إلى عمق هذا الإيمان وسموّ فكرته، خاصة وأن غيبة الإمام حادث لا مثيل له في تاريخ الأمّة الإسلاميّة .

والإرهاصات المسبقة والنصوص الكثيرة المتوالية التي جاءت تبشر بالمهدي عليه السلام وإن كانت متواترة وصحيحة عن النبي صلّى الله عليه وآله وإن رواها مؤلّفوا الصحاح وهم معاصرون أو متقدّمون على هذه الفترة بمن فيهم البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل . . نقول وإن كان لكل هذه النصوص والتبليغات، أثرها الكبير والفاعل في ترسيخ فكرة انتظار المهدي عليه السلام في نفوس المسلمين بشكل عام، وكان إيمانهم بها يتناسب تناسباً طردياً مع عمق إيمان الفرد وسعة تفكيره واتجاه مذهبه في الإسلام، فإن هذه النصوص ليست أكثر من عون للإمام لكي يقنع الناس بالإيمان بالغيبة من ناحية ويبرهن للناس تجسيد الغيبة في ولده المهدي من ناحية أخرى .

والأمر الأصعب الذي تحمل مسؤوليته الإمام العسكري عليه السلام بصفته والداً للمهدي عليه السلام هو إقناع الناس بفكرة حلول زمان الغيبة وتنفيذها في شخص ولده وهو أمر صعب بالنسبة للفرد العادي إذ أنه سوف يفاجأ ويصدم بإيمانه بفكرة الغيبة، فإنّ هناك فرقاً كبيراً في منطق إيمان الفرد العادي بشكل مؤجل لا يكاد يحس الفرد بأثره في الحياة وبين الإيمان بالغيب مع الإعتقاد بتنفيذه في زمان معاصر، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الإفتراض التوضيحي التالي :ـ

إذا أخبرنا شخص ـ لا نشك بصدقه ـ بقرب حدوث قيام الساعة أو قرب حدوث

أجلنا، فإن مثل هذا الخبر سوف يولد لنا صدمة للإيمان بها، لأن الإيمان بحدوثها يحتاج إلى قوّة مضاعفة من الإيمان والإرادة، وأن نحشد كل قوانا الإيمانية والروحية كي نتوصّل معها للإيمان بهذا الأمر الغيبي.

هذه الحقيقة النفسية وملابساتها، كانت تلح على الإمام أن يبذل كل الجهد لتخفيف وقع الصدمة وتذليلها وتهيئة أذهان الناس لإستقبالها دون رفض أو إنكار، وتعويد أصحابه وقواعده على الإلتزام بها وخاصة وهو يريد تربية جيلٍ واعٍ يكون النواة الأساسية لتربية الأجيال الآتية والتي ستبني بجهدها تاريخ الغيبتين الصغرى والكبرى.

وإذا عطفنا على ذلك تلك الظروف والمعاناة الصعبة التي عاشها الإمام وأصحابه من قبل الدولة، وضرورة العمل والتبشير بفكرة المهدي الثورية، والتي كانت تعتبر في منطق الحكام أمراً مهدداً لكيانهم وخروجاً على سلطانهم وتمرّداً على دولتهم.

ومن هنا نحس بكل وضوح دقة التخطيط الملقاة على كاهل الإمام العسكري عليه السلام وحرج موقفه وهو يدعو لفكرة ولده المهدي عليه السلام (٩).

## الإمام عليه السلام يمهد لغيبة ولده المهدي عليه السلام

وقد اتجه نشاط الإمام العسكري وتخطيطه في تحقيق هذا الهدف إلى عملين ممهّدين :ـ

١ـ حجب المهدي عليه السلام عن أعين الناس مع إظهاره لبعض خاصته فقط.

٢ـ شن حملة توعية لفكرة الغيبة، وإفهام الناس بضرورة تحملهم لمسؤولياتهم الإسلامية تجاهها وتعويدهم على متطلباتها.

فعلى المستوى الثاني رأينا الإمام العسكري يصدر بياناته وتعليماته عن المهدي عليه السلام كحلقة متسلسلة من تلك النصوص والتعليمات التي بشر بها النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة من بعده مع التأكيد والتخصيص على ولده المهدي عليه السلام.

واتخذت بيانات العسكري عليه السلام أشكالاً ثلاثة:

أـ بيان عام، كالتعرض إلى صفات المهدي عليه السلام بعد ظهوره وقيامه في دولته العالمية، كجوابه عليه السلام عن سؤال بعض أصحابه عن قيام المهدي قائلاً:

«فإذا قام قضى بين الناس بعلمه كقضاء داوود لا يسأل البيّنة»(١٠).

ب ـ توجيه نقد سياسي للأوضاع القائمة، يقرنها بفكرة المهدي وضرورة تغييرها لها، فمن ذلك قوله: «إذا خرج القائم أمر بهدم المنابر والمقاصر في المساجد» وكانت تبني هذه المقاصر لغرض الأمن من الإعتداء على الخليفة وزيادة الهيبة في نفوس الآخرين»(١١).

ج ـ توجيه عام لقواعده وأصحابه، يوضح لهم أبعاد فكرة الغيبة، وضرورة التكيف لها من الناحية النفسية والإجتماعية تمهيداً لما يعانونه من غيبة الإمام وانقطاعه عنهم.

فمن ذلك كتب الإمام عليه السلام لإبن بابويه رسالة يقول فيها:

«عليك بالصبر وانتظار الفرج، قال النبي صلّى الله عليه وآله: أفضل أعمال امّتي إنتظار الفرج، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلّى الله عليه وآله يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين»(١٢).

٣ـ وقد اتخذ الإمام العسكري عليه السلام موقفاً آخر يمهد فيه للغيبة عند ما احتجب بنفسه عن الناس، إلا عن خاصة أصحابه وأوكل مهمة تبليغ تعليماته وأحكامه بواسطة عدد من خاصته وذلك بأسلوب المكاتبات والتوقيعات، ممهداً بذلك إلى نفس الأسلوب الذي سوف يسير عليه إبنه المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى وهو في احتجابه وإيصاله للتعليمات.

وقد يبدو الأمر غريباً مفاجئاً للناس لو حدث هذا بدون مسبقات وممهدات كهذه، ومن هنا كان أسلوب الإمام العسكري، منهجاً خاصاً في تهيئة ذهنيات الأمة وتوعيتها لكي تتقبّل هذا الأسلوب وتستسيغه من دون استغراب ومضاعفات غير محمودة.

وكان قد بدأ التحضير والتخطيط لهذه الفكرة ـ بشكل بسيط ـ أيام الإمام الهادي عليه السلام عند ما احتجب عن كثير من مواليه وأخذ يراسلهم عن طريق الكتب والتوقيعات(١٣) ليعود شيعته على هذا المسلك بشكل متدرج بطيء موافقاً بذلك الفهم العام لدى الناس.

وفعلاً اعتاد أصحابه ومواليه الإتصال به والسؤال منه بطريق المراسلة

والكتابة»(١٤).

وكذلك نظام الوكلاء الذي أتبعه الإمام العسكري مع قواعده الشعبية كان أسلوباً آخر من أساليب التمهيد لفكرة الغيبة.

وكان الشيعة إذا حملوا الأموال من الحقوق الواجبة عليهم إلى الإمام عليه السلام نفذوا إلى ـ عثمان بن سعيد العمري ـ الذي كان يتجر بالسمن تغطية لنشاطه في مصلحة الإمام عليه السلام فكان يجعل الأموال التي يتسلمها في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى الإمام عليه السلام بعيداً عن أنظار الحاكمين، لأنهم إذا عرفوا أمره صادروه(١٥)(١٦).

## منابذة جعفر لابن أخيه الإمام المهدي عليه السلام

تروي المصادر التاريخية انه كان للإمام علي الهادي عليه السلام الإمام العاشر من أئمة أهل بيت النبوّة ولد يدعى جعفراً وقد نشأ على خلاف ما كان متوقعاً منه فقد ترعرع وشب على الإنحراف والمزوق والعصيان والتسكع في أندية المجون وشرب الخمور والقيان ولم يفلح فيه نصح والده عليه السلام فاضطر إلى نهي أصحابه ومواليه عن مجالسته ومصاحبته ومحادثته وكان يقول لهم فيما قال: تجنّبوا ولدي جعفر فإنه مني بمنزلة إبن نوح الذي قال الله تعالى فيه: «يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح».

وقد بلغ به الحال إلى تسميته بجعفر الكذّاب.

وبعد وفاة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام ادّعى الإمامة لنفسه وأنكر وجود أيّ وريث شرعي للإمام العسكري غيره، وزعم انحصار استحقاق التركة فيه فقصد من فوره إلى عبيد الله بن خاقان وزير المعتمد العباسي وقال له: اجعل لي مرتبة أبي وأخي وأوصل لك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره وأسمعه ما كره وقال له: يا أحمق ان السلطان أعزّه الله جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا انّ أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتبك مراتبهما ولا غير سلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها.

وتبدأ قصته مع إبن أخيه عند ما أراد التقدم للصلاة على جنازة الإمام العسكري قبل

مواراته إلى مثواه الأخير حيث فوجيء الناس بصبي لم يتجاوز السادسة من عمره يخرج من الدار ويأخذ برداء عمّه جعفر إلى الوراء وهو يقول: «تأخّر فأنا أحقّ منك بالصلاة على أبي» فيتأخّر وقد علته حالة من الدهشة والإستغراب ولشدة ما استولى عليه حينها فلم يشأ أن يعارض أو يخالف في ذلك ولما انتهت مراسم التشييع والدفن توجّه من فوره إلى المعتمد العباسي وأطلعه بالأمر وحثّه على تصفيته وإنهاء وجوده الذي بادر من فوره بتوجيه الأوامر وإعداد الخطط لتحقيق ذلك من أجل صيانة ملكه من وطأته وسطوته.

## مطاردة السلطات للإمام عليه السلام

كان القبض على الإمام عليه السلام أحد أهداف الدولة الكبرى، لأنها تعلم أن وجود الإمام عليه السلام معناه تهديد لسلامة حكمهم، ومن هنا جاءت محاولاتهم المستميتة لتحصين دولتهم ضد خطره، وتجريد الحملات للقبض عليه، وقد جردت السلطات ثلاث حملات إرهابية للقبض عليه والأمر بكبس داره وتفتيشها تفتيشاً دقيقاً.

وكان التجسّس المستمر والحذر البالغ من قبل السلطات سياسة متبعة من قبل كل الحكام للكشف عن مكان اختفاء الإمام عليه السلام والقبض عليه.

ولكن الأعوام التسعة عشر من نشاط السفراء، ومحاولات التجسّس الدائبة أسفرت عن شيء جديد وهو ثبوت فكرة السفارة لديها ونشاطاتها المريبة في قبض المال بالوكالة لصالح الإمام عليه السلام ليس هذا فقط، بل هناك قيادة ترعى وتشرف على القواعد الشعبية وتستلم الأموال منها.

وعلى ضوء هذا الإكتشاف الخطير رأى المعتضد عند تولّيه الخلافة أنّ أهم واجباته في الحكم، أن يبادر فوراً إلى تجديد الحملات لمحاولة القبض على الإمام عليه السلام.

وقد وضع عملاء الدولة وجواسيسها مخطّطاً كاملاً تعلم المتعضد بدار الإمام عليه السلام واحتمال اختفائه هناك، وقد بعث المعتضد على ثلاثة نفر، وأمرهم بالخروج إلى سامراء مخففين لا يكون معهم قليل ولا كثير، إلاّ أن يركب كل واحد فرساً ويجنب معه آخر، ووصف لهم محلة وداراً وقال: إذا أتيتموها تجدون على البابّ خادماً أسوداً فاكبسوا الدار، ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه(١٧).

ولم يكشف المعتضد لهؤلاء الثلاثة مهمّتهم الحقيقية ودون أن يعرفهم بأنهم

مكلّفون بإلقاء القبض على الإمام المهدي حفاظاً على سمعته وسمعة الدولة، وخوفاً من تسرب الخبر إلى الناس فيكون ما لا يحمد للمعتضد عقباه، فإن الأمر أدق وأهم من أن يعرفه الناس.

وبدأت الحملة كما أمر المعتضد، وتوجهوا إلى سامراء وبحثوا عن الدار فكبسوها وجاسوا خلالها، وكان الإمام عليه السلام فيها ولكنهم لم يلتفتوا إليه، ونجا منهم ـ بمعجزة ـ يرويها لنا التاريخ بشيء من التفصيل(١٨).

وظنّ المعتمد أنّ هذه الحملة فشلت لقلّة عددها وسرية تنفيذها ومن هنا نراه يجرد حملة أخرى أكبر.

يروي صاحب البحار نص الرواية «ثم بعثوا عسكراً أكثر، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج، وأميرهم قائم حتى يصل العسكر كله، فخرج من السكة التي على باب السرداب ومرّ عليهم، فلما غاب، قال الأمير انزلوا عليه، فقال: أليس هو مرّ عليك، فقال: ما رأيت، ولم تركتموه، قالوا: إنا حسبناك أنك تراه»(١٩).

# المذاهب المنحرفة التي انبثقت فيما بعد عهد الإمام العسكري عليه السلام

افترق الناس ـ بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ إلى عدة فرق:

فرقة أنكرت وفاته، ووقفت عليه، وادعت انه القائم المنتظر.

وفرقة اعترفت بموته، وزعمت انه عاش من جديد، فهو الإمام المنتظر.

وفرقة قالت بانقطاع الإمامة من آل محمد صلّى الله عليه وآله بعد الحسن العسكري عليه السلام والمرجع للأمّة: الأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

وفرقة ساقت الإمامة إلى أخيه (جعفر) بوصية من قبل أبيهما علي الهادي عليه السلام.

وفرقة قالت بإمامة جعفر أيضاً، ولكن بوصية أخيه الحسن العسكري عليه السلام.

وفرقة قالت بأمامة أخيه محمد بن علي ـ وقد مات في حياة أبيه سنة ٢٥٢هـ ـ.

وفرقة رأت إمامة ولده علي بن الحسن، وانه القائم المنتظر.

وفرقة تقول: ولد للحسن عليه السلام ولد ــ بعد وفاته بثمانية أشهر ــ سمّي محمداً بوصية من أبيه، وهو الإمام المنتظر.

وفرقة أنكرت إمامة الحسن عليه السلام، وادّعت انّ أخاه محمد بن علي أوصى إلى غلام لأبيه اسمه (نفيس) أن يدفع الكتب والسلاح إلى جعفر بن علي بعد موت أبيه علي عليه السلام وان هذا الأمر عن تفاهم مع أبيه علي عليه السلام، فجعفر هو الإمام بعد أبيه.

وفرقة ارتبك الأمر عليهم، فلم يدروا: ان الإمامة ــ بعد الحسن العسكري ــ في صلبه أم ترجع إلى أخيه جعفر وأولاده، فتوقّفت حتى ينجلي الموقف.

وفرقة ــ وهم الإمامية الإثناعشرية ــ قالوا بإمامة (محمد) بن الإمام الحسن العسكري وقد ولد في زمان أبيه، وغاب بعد أبيه غيبتين: صغرى ــ وجعل فيها نوّابه الأربعة ــ وكبرى ولا يزال أمدها إلى أن يؤذن الله تعالى له بالفرج، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

ولقد انقرضت هذه الفرق كلّها إلاّ الفرقة الأخيرة المحقّة(٢٠).

# القِسْمُ الأوَّل

## في ظاهرة الغيبة

# النصوص الروائية المنبئة بعهد الغيبة قبل حلول زمنها

من الأمور الجديرة بالإهتمام تلك الثروة الطائلة من النصوص الواردة في شأن غيبة الإمام المهدي عليه السلام والتي بدأت نصوصها تتظافر منذ قرنين ونصف القرن من الزمن قبل ظهور نجمه على ساحة معترك الصراع الرسالي تجاه قوى البغي والإنحراف.

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على مبلغ عظم هذا الدور الريادي الذي سيضطلع به شخص كالإمام المهدي عليه السلام وان مصير حركة البعثات السماوية كلها ستحدده النتائج المتمخضة من الأطروحة الإصلاحية العالمية التي ستنفّذ على يديه وستحقق الحكمة الربانية نجاحها المبرم في إقرار اسس المدنيّة الفاضلة في أسمى معانيها على أثر ظهوره وبسط نفوذه.

ونحن في مثل هذه العجالة وفي مثل كتابنا هذا لا نجد متسعاً لإستقصاء جميع تلك النصوص الواردة من جميع طرق المذاهب الإسلامية فهذا ما نحيله على الموسوعات المبسوطة خصوصاً الموسوعة الرائعة التي صدرت مؤخّراً والتي سمّيت بمعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام والتي صدرت بجهود مخلصة ومضنية من قبل مؤسسة المعارف الإسلامية في مدينة قم، فمن أحب التوسع في المطالعة فعليه بالرجوع إليها فإنها خير كتاب في هذا الموضوع.

وكذا كتاب الإمام المهدي عند أهل السنّة تأليف المحقّق الفاضل السيّد مهدي الفقيه إيماني المطبوع في مجلّدين ضمن منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة في مدينة إصفهان.

وأما نحن فنقتصر على ما أفاده العلاّمة السيد محسن الأمين طاب ثراه في موسوعته أعيان الشيعة الذي ذكر نتفاً جامعة بهذا الصدد من طرق الشيعة خاصة حيث قال ما لفظه:

### ـ بعض ما نزل فيه من القرآن:

(غيبة النعماني) بسنده عن الصادق عليه السلام في معنى قوله عزوجل: «وعد الله

ارتضى لهم وليبدلّنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً» قال: نزلت في القائم وأصحابه.

(وبسنده) عنه عليه السلام في قوله تعالى: «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى امّة معدودة» قال: العذاب خروج القائم والأمّة المعدودة أهل بدر وأصحابه.

(وبسنده) عنه عليه السلام في قوله: «واستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» قال: نزلت في القائم وأصحابه يجمعون على غير ميعاد.

(وبسنده) عنه عليه السلام في قول الله عزّوجل «أذن للّذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير»، قال: هي في القائم عليه السلام وأصحابه.

(وبسنده) عنه عليه السلام في قوله تعالى: «يُعْرف المجرمون بسيماهم» قال: الله يعرفهم ولكن نزلت في القائم يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسيف هو وأصحابه خبطاً.

## ٢ـ بعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله:

الصدوق في إكمال الدين بسنده عن جابر الأنصاري عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: المهدي من ولدي إسمه إسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلُقاً تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم يقبل كالشهاب الثاقب فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(وبسنده) عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: القائم من ولدي إسمه إسمي وكنيته كنيتي وشمائله شمائلي وسنته سنتي، يقيم الناس على ملتي وشريعتي ويدعوهم إلى كتاب الله عزّوجل من أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني ــ الحديث.

(وبسنده) عن الصادق عليه السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهليّة.

(وبسنده) عن إبن عبّاس عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: علي بن أبي طالب إمام امّتي وخليفتي عليهم بعدي ومن ولده القائم المنتظر يملأ الله عزّوجل به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحقّ بشيراً ان الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر.

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ فقال: إي وربّي وليمحصنّ الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين.

يا جابر إنّ هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله مطوي عن عباده، فإيّاك والشك في أمر الله فهو كفر.

«الشيخ الطوسي» في كتاب الغيبة بسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلّى الله عليه وآله انه قال لفاطمة: يا بنيّة إنّا اعطينا أهل البيت سبعاً لم يعطها أحد قبلنا: نبيّنا خير الأنبياء، وهو أبوك، ووصيّنا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك حمزة، ومنّا من له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة وهو ابن عمك جعفر، ومنّا سبطا هذه الأمّة وهما إبناك الحسن والحسين، ومنّا والله الّذي لا إله إلا هو مهدي هذه الإمّة الذي يصلّي خلفه عيسى بن مريم، ثم ضرب بيده على منكب الحسين عليه السلام فقال: من هذا ثلاثاً.

(الصدوق في العيون) بسنده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منا وذلك حين يأذن الله عزوجل له ومن تبعه نجا ومن تخلّف عنه هلك الله الله عباد الله فأتوه ولو على الثلج فإنه خليفة الله عزّوجل وخليفتي.

(وبسنده) عن الرضا عن آبائه عن علي عليهم السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر امّتي رجل من ولد الحسين عليه السلام يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

(الكليني) بسنده عن الباقر عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: آمنوا بليلة القدر فإنه ينزل فيها أمر السنة وان لذلك الأمر ولاة من بعدي علي بن أبي طالب وأحد عشر من ولده.

(النعماني في كتاب الغيبة) بسنده عن الصادق عليه السلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله انه قال لعلي عليه السلام: ألا ابشرك ألا اخبرك «احبوك خ ل» قال: بلى يا رسول الله فقال: كان عندي جبرائيل آنفا وأخبرني ان القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً من ذرّيتك من ولد الحسين.

«وقال» لجعفر بن أبي طالب ألا ابشرك ألا اخبرك (احبوك خ ل) قال: بلى يا رسول الله فقال: كان جبرئيل عندي آنفا فأخبرني ان الذي يدفعها إلى القائم هو من ذرّيتك أتدري من هو؟ قال: لا، قال: ذاك الذي وجهه كالدينار وأسنانه كالمنشار وسيفه كحريق النار يدخل الجبل ذليلاً ويخرج منه عزيزاً يكتنفه جبرئيل وميكائيل.

وقال للعبّاس: ألا اخبرك بما أخبرني به جبرئيل فقال: بلى يا رسول الله قال: قال لي: ويل لذرّيتک من ولد العبّاس، فقال: يا رسول الله أفلا أجتنب النساء؟ فقال له: قد فرغ الله مما هو كائن.

(وفي رواية) ويل لولدي من ولدك وويل لولدك من ولدي.

والأخبار في ذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله من طريق الشيعة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام كثيرة يضيق عنها نطاق البيان.

وفي مختصر ما أوردناه منها مقنع ومن أراد الإستقصاء فليطلبها من مظانها.

## ٣ـ بعض ما ورد عن الزهراء عليها السلام:

(الكليني) بسنده عن الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلتُ على فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء والأئمة من ولدها فعددت اثني عشر إسماً آخرهم القائم من ولد فاطمة ثلاثة منهم محمد وأربعة منهم علي.

## ٤ـ بعض ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

(الصدوق في إكمال الدين) بسنده عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: للقائم منا غيبة أمدها طويل كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه الا فمن ثبت منهم على دينه لم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة، ثم قال: ان القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلک تخفى ولادته ويغيب شخصه.

(وبسنده) عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام انه قال للحسين عليه السلام: التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق المظهر للدين الباسط للعدل، قال الحسين عليه السلام: فقلت: يا أمير المؤمنين وإن ذلک لكائن؟ فقال: اي والذي بعث محمداً بالنبوّة واصطفاه على جميع البريّة ولكن بعد غيبة وحيرة لا يثبت فيها على دينه إلاّ المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه.

(النعماني) في كتاب الغيبة بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: صاحب هذا الأمر من ولدي هو الذي يقال مات أو هلک لا بل في أيّ واد سلک.

وروى الكليني بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال لإبن عبّاس: ان ليلة

القدر في كل سنة وانه ينزل في تلك الليلة أمر السنة ولذلك الأمر ولاة من بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال له إبن عبّاس: من هم؟ قال: أنا واحد عشر من صلبي أئمة محدثون والأخبار عنه عليه السلام في ذلك كثيرة، وفيما أوردناه مقنع.

## ٥ـ بعض ما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام:

«الصدوق في إكمال الدين» بسنده انه لما صالح الحسن بن علي عليهما السلام معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته. فقال عليه السلام: ويحكم ما تدرون ما عملت والله الذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون انني إمامكم مفترض الطاعة عليكم وأحد سيّدي شباب أهل الجنّة بنص من رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ قالوا: بلى. قال: أما علمتم ان الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفي عليه وجه الحكمة فيه، وكان ذلك عند الله حكمة وصواباً؟

أما علمتم انا ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم خلفه، فإن الله عزّوجل يخفي ولادته ويغيب شخصه لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الإماء يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب ابن دون أربعين سنة، ذلك ليعلم إن الله على كل شيء قدير.

## ٦ـ بعض ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام:

(الصدوق) في إكمال الدين بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليهم السلام انه قال: في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنّة من موسى بن عمران وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة.

(وبسنده) عن الحسين عليه السلام: قائم هذه الأمّة هو التاسع من ولدي وهو صاحب الغيبة وهو الذي يقسم ميراثه وهو حي.

(وبسنده) عنه عليه السلام: منّا اثنا عشر مهدياً أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم التاسع من ولدي وهو الإمام القائم بالحق يحيي الله به الأرض بعد موتها ويظهر به دين الحق على الدين فيها آخرون فيؤذون ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، اما ان الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله.

(وبسنده) عنه عليه السلام: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً كذلك سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول.

(وبسنده) قيل للحسين عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ قال: لا، ولكن صاحب هذا الأمر الطريد الشريد الموتور بأبيه المكنّى بعمه، يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر.

## ٧ـ بعض ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«الصدوق» في إكمال الدين بسنده عن علي بن الحسين عليهما السلام: القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة.

«المفيد في المجالس» بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام: لتأتينّ فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجيهم الله من كل فتنة مظلمة كأني بصاحبكم قد علا فوق نجفكم بظهر كوفان ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله وإسرافيل أمامه، معه راية رسول الله صلّى الله عليه وآله قد نشرها لا يهوي بها إلى قوم إلاّ أهلكهم الله عزّوجل.

## ٨ـ بعض ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام:

(الكليني) بسنده عن الباقر عليه السلام قال: إن الله عزّ اسمه أرسل محمداً صلّى الله عليه وآله إلى الجن والإنس وجعل من بعده اثني عشر وصياً منهم من سبق ومنهم من بقي وكلّ وصيّ جرت به سنّة فالأوصياء الذين هم من بعد محمّد صلّى الله عليه وآله على سنّة أوصياء عيسى وكانوا إثني عشر وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنّة المسيح عليه السلام.

(وبسنده) عنه عليه السلام أنّه قال الإثنا عشر الأئمّة من آل محمّد كلّهم محدث علي بن أبي طالب واحد عشر من ولده ورسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ هما الوالدان.

(وبسنده) عنه عليه السلام يكون بعد الحسين عليه السلام تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم.

(وبسنده) عنه عليه السلام الأئمّة إثنا عشر اماماً منهم الحسن والحسين ثمّ الأئمّة

من ولد الحسين عليه السلام.

(الصدوق) في إكمال الدين بسنده عن أمّ هاني الثقفيّة عن الباقر عليه السلام في حديث قال: هذا مولود في آخر الزمان هو المهدي من هذه العترة تكون له حيرة وغيبة يضلّ فيها اقوام ويهتدي فيها أقوام فيا طوبى لك إن أدركته ويا طوبى لمن أدركه.

(وبسنده) عنه عليه السلام أنّه ذكر سير الخلفاء الراشدين فلمّا بلغ آخرهم قال الثاني عشر الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه عليك بسنته والقرآن الكريم.

(النعمان في كتاب الغيبة) بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: من المحتوم الذي حتمه الله قيام قائمنا فمن شكّ فيما أقول لقي الله وهو كافر به ثمّ قال: بأبي وأمّي المسمى بإسمي المكنّى بكنيتي فليسلم له ما سلم لمحمّد وعليّ فقد وجبت له الجنّة ومن لم يسلم فقد حرّم الله له الجنّة ومأواه النّار وبئس مثوى الظالمين (الحديث) إلى غير ذلك من الأخبار.

## ٩ـ بعض ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

(علل الشرائع) بسنده عن سدير عن الصادق عليه السلام أنّ في القائم عليه السلام سنة من يوسف قلت كأنّك تريد حيرة أو غيبة قال لي: وما تنكر من هذا ان إخوة يوسف كانوا اسباطا أولاد أنبياء تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم: أنا يوسف فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عزّوجل في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجّته لقد كان يوسف أليک ملک مصر وقد كان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد الله عزّوجلّ أن يعرف مكانه لقدر على ذلک والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر وما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف إن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتّى يأذن عزوجل أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا: أئنّک لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف هذا أخي.

(إكمال الدين) بسنده عن الصادق عليه السلام من أقرّ بجميع الأئمّة و جحد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء و جحد محمّداً صلّى الله عليه وآله نبوّته فقيل له: يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته.

(وبسنده) عن الصادق عليه السلام انّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل

خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا، فقيل له: يابن رسول الله ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمّد و عليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجّال ويطهّر الأرض من كلّ جور وظلم.

(وبسنده) عن الصادق عليه السلام وذكر المهدي وإنّه الثاني عشر من الأئمّة الهداة ثمّ قال: والله لو بقي في غيبته ما بقي نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتّى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.

(وبسنده) عنه عليه السلام: أنّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتقّ الله عبد وليتمسك بدينه.

(وبسنده) عنه عليه السلام في حديث القائم هو الخامس من ولد ابني موسى ذلك ابن سيّدة الإماء يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ثمّ يظهره الله عزّوجل فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها ولا يبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزوجل إلاّ عبد الله فيها و يكون الدّين كلّه لله ولو كره المشركون.

(الشيخ الطوسي) في كتاب الغيبة بسنده عن الصادق عليه السلام: ينتج الله في هذه الأمّة رجلاً منّي وأنا منه يسوق الله به بركات السماوات والأرض فتنزل السماء قطرها وتخرج الأرض بذرها وتأمن وحوشها سباعها ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويقتل حتى يقول الجاهل لو كان هذا من ذرية محمد لرحم.

والأخبار عن الصادق عليه السلام في ذلك كثيرة يطول باستقصائها الكلام.

## ـ بعض ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام:

(إكمال الدين) بسنده عن الكاظم عليه السلام في حديث قيل له: ويكون في الأئمة من يغيب؟ قال: نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره وهو الثاني عشر منا يسهل الله له كل عسير ويذلّل له كل صعب ويظهر له كنوز الأرض ويقرب له كل بعيد ويبير به كل جبار عنيد، ويهلك على يديه كل شيطان مريد، ذاك ابن سيدة الإماء الذي تخفى على الناس ولادته ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره عزّوجل فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

(وبسنده) عنه عليه السلام انه قيل له: يابن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال: أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذي يطهّر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت

جوراً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون، ثم قال: طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبّنا في غيبة قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا أولئك منّا ونحن منهم قد رضوا بنا أئمّة ورضينا بهم شيعة وطوبى لهم هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة.

## ٤ـ بعض ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام:

(إكمال الدين وعيون الأخبار) بسنده عن الهروي قال: سمعت دعبل ابن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي التي أوّلها:

مدارس آيات خلت من تلاوة و منزل وحي مقفر العرصات

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة قائم يقول على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حقّ و باطل ويجزي على النعماء والنقمات

فبكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ثم رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي إلاّ اني سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً، فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد إبني وبعد محمد إبنه علي، وبعد علي إبنه الحسن، وبعد الحسن إبنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وأما متى فإخبار عن الوقت، ولقد حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام ان النبي صلّى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذرّيتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلاّ هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة.

والأخبار عنه عليه السلام في ذلك كثيرة.

## ٣ـ بعض ما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام:

(إكمال الدين) بسنده عن الجواد عليه السلام قال: إن القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوّة وخصّنا بالإمامة انه لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وان الله تبارك وتعالى يصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى ذهب ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبي،

ثم قال عليه السلام: أفضل أعمال شيعتنا إنتظار الفرج.

(صاحب كفاية النصوص) بسنده عن عبدالعظيم الحسني: قلت لمحمد بن علي بن موسى: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. فقال: يا أبا القاسم ما منّا إلا قائم بأمر الله وهاد إلى دين الله ولست القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه ويحرم عليهم تسميته وهو سميّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وكنيّه وهو الذي تطوى له الأرض ويذلّ له كل صعب يجتمع إليه من أصحابه عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض وذلك قوله تعالى: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً، إن الله على كل شيء قدير، فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الأرض أظهر أمره فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله تبارك وتعالى، قلت: وكيف يعلم ان الله قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة.

(وبسنده) عنه عليه السلام: الإمام بعدي إبني علي أمره أمري وقوله قولي وطاعته طاعتي وذكر في إبنه الحسن مثل ذلك وسكت فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الإمام بعد الحسن فبكى بكاءاً شديداً ثمّ قال: إنّ من بعد الحسن إبنه القائم بالحقّ المنتظر فقيل ولم سمي القائم؟ قال: لأنّه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته قيل ولم سمّي المنتظر؟ قال: إنّ له غيبة تكثر أيّامها ويطول إمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزيء به الجاحدون ويكذب فيها الوقاتون ويهلك فيها المستعجلون وينجو فيها المسلمون.

### ٣ـ بعض ماورد عن الإمام الهادي عليه السلام:

(إكمال الدين) بسنده عن الهادي عليه السلام قال: الخلف من بعدي إبني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره بإسمه، قلت: فكيف نذكره؟ قال: قولوا الحجّة من آل محمّد.

(وبسنده) عنه عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر من يقول الناس لم يولد بعد.

### ٤ـ بعض ما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام:

(الكليني) بسنده عن علي بن بلال خرج اليّ من أبي محمّد الحسن بن عليّ

العسكري عليه السلام قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده ثمّ خرج إليّ من قبل مضيّه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده.

(وبسنده) عن أبي هاشم الجعفري قلت لأبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك أفتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل، فقلت: ياسيّدي هل لك ولد؟ قال: نعم، فقلت: فان حدث حادث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة.

(وبسنده) عن عمرو الأهوازي قال: أراني أبو محمّد عليه السلام إبنه قال: هذا صاحبكم بعدي.

(وبسنده) عن العمري قال: مضى أبو محمّد عليه السلام وخلف ولداً له.

(إكمال الدين) بسنده عن أبي محمّد الحسن بن عليّ كأنّي بكم وقد أختلفتم بعدي في الخلف منّي امّا ان المقرّ بالأئمة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثمّ أنكر نبوّة محمّد صلّى الله عليه وآله والمنكر لرسول الله صلّى الله عليه وآله كمن أنكر جميع الأنبياء لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أوّلنا والمنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا امّا ان لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلاّ من عصمه الله عزّوجلّ.

(وبسنده) عن محمّد بن عثمان العمري عن أبيه قال: سئل أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه الى يوم القيامة وانّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة، فقال عليه السلام: إنّ هذا حقّ كما انّ النهار حقّ، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك؟ قال: إبني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة اما له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقاتون ثمّ يخرج فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة.

# المذاهب المنحرفة
# التي إنبثقت من داخل إطار أخبار التمهيد لعصر غيبة الإمام المهدي عليه السلام قبل حلول زمنها

نظراً لتعدّد الرؤي حول مداليل تلك الروايات المتقدّمة واختلاف الإنطباعات التصويريّة عن حقيقة تلك الشخصيّة المتنبأ بها على مستوى الذهنيّة العامّة.

فقد تعدّدت المبادىء العقائديّة التي شابها الإنحراف وخيّم عليها المروق والضلال على أثر ذلك وهذا ما ألمح إليه أمين الإسلام الطبرسي(رض) في كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى حيث قال فيه ما صوّرته:

«وإذا كانت أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجّة بل زمان أبيه وجدّه حتّى تعلقت الكيسانيّة بها في إمامة ابن الحنفيّة والناووسيّة والممطورة في أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام وخلّدها المحدّثون من الشيعة في أصولهم المؤلّفة في أيّام السيّدين الباقر والصادق عليهما السلام وآثروها عن النبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة واحداً بعد واحد صحّ بذلك القول في إمامة صاحب الزمان لوجود هذه الصفة له»(٢١).

وللمزيد من التوضيح نحاول إلقاء بعض الضوء على جملة من تلك المذاهب المنحرفة وذلك من خلال ما نقوم بتسجيله بالنحو التالي:

١ــ السبائيّة: أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال للإمام علي عليه السلام: أنت أنت يعني الإله فنفاه إلى المدائن زعموا أنّه كان يهودياً فأسلم وكان في اليهوديّة يقول في يوشع بن نون وصيّ موسى عليهما السلام مثل ماقال في الإمام عليّ عليه السلام.

فهو أوّل من أظهر الغلوّ و منه إنشعبت أصناف الغلاة ومن مزاعمه أنّ الإمام عليّاً عليه السلام حيّ لم يمت ففيه الجزء الإلهي ولايجوز أن يستولي عليه، وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسّمه وانّه لم يقتل وإنّما ارتفع إلى السماء وإنّه سينزل إلى الأرض بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وإنّما أظهر ابن سبأ هذه المقالة والمبدأ الفاسد بعد إنتقال الإمام عليه السلام إلى الرفيق الأعلى واستشهاده فاجتمعت عليه جماعة وهم أول فرقة قالت بالتوقف وبنسبة

الغيبة إلى من لم يصحّ منه ذلك بحال من الأحوال.

وذهب جمعٌ من المعاصرين إلى انّ قضيّة عبد الله بن سبأ إنّما هي خرافة لشخص وهمي حاكه المغرضون من أجل نسبة التشيّع إليه لإتهامهم بما هم براء منه من الغلوّ والزندقة وما إلى ذلك وأهمّ كتاب صدر في ذلك كتاب عبد الله بن سبأ للسيّد مرتضى العسكريّ فراجع.

٢ــ المُفَوِّضَة: وهم طائفة أنكرت قتل الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده وزعمت أنّه حيّ غائب والوحيد الذي تناولهم بالذكر والإشارة المحقّق البياضي العاملي في كتابه الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم ولم يبسط القول فيهم لذا نقتصر على مجرّد الإشارة.

٣ــ الكيسانيّة: وهي أوّل فرقة شذّت من الإماميّة فقالت بإمامة محمّد بن الحنفيّة فذهب شذاذ منهم إلى أنّه الإمام بعد أبيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأكثر أنّه إمام بعد أخويه الحسن والحسين عليهما السلام وأنّه حيّ لم يمت وانّه المهدي وخالف بعضهم فقالوا بموته وسيعود وهو المهديّ واحتجّوا لمهديّته بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: لن تنقضي الأيّام حتّى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي اسمه إسمي واسم أبيه اسم أبي فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً ومن أسماء عليّ عبد الله لقوله: أنا عبد الله وأخو رسول الله.

أقول: وللشيخ عليّ الجبعي العاملي «ره» في كتاب الدرّ المنثور تذييل لهذا الحديث حيث قال:

وقد روى من طريق العامّة ولم يصححه الشيعة ورواية زائدة وكان يزيد في الأحاديث، وقوله «اسم أبيه اسم أبي» زيادة منه كما قيل، وقد ذكر له ابن طلحة وجهين:

أحدهما: انّ المراد بأبيهما عبد الله أبو النبيّ صلّى الله عليه وآله، فإن الأب الأعلى قد استعمل كثيراً مثل قوله تعالى «ملّة أبيكم إبراهيم» و«اتبعت ملّة آبائي إبراهيم» وهو كثير في القرآن وغيره.

والثاني: أن يكون المراد أبو عبد الله الحسين عليه السلام باعتبار إشتماله على عبد الله.

هذا حاصل كلامه، وهو كما ترى، وذكر غيره هذا الوجه وزاد فيه التنبيه على كونه من ولد الحسين عليه السلام وان في الحديث تحريفاً وانّه اسم أبيه اسم ابني، والمراد

الحسن عليه السلام نقل ذلك صاحب كشف الغمّة رحمه الله.

ثم أضاف قائلاً: أقول: خطر لي وجهان آخران لمعنى الحديث:

الأول: أنّه روي أيضاً من طرق العامّة ان كنية صاحب الأمر عليه السلام أبو عبد الله، فيكون اسم ابنه عبد الله بحسب الكنية، وهو اسم أبي النبيّ صلّى الله عليه وآله، وهذا بناءاً على التحريف في أبيه وأنّه بالنون كالتحريف الذي ذكر.

الثاني: انّ كنية الحسن العسكري عليه السلام أبو محمّد وعبد الله أبو النبيّ أبو محمّد فيتوافق الكنيتان، والكنية داخلة تحت الإسم، والله أعلم (٢٢).

٤ ــ الناووسيّة: أتباع رجل يقال له ناووس زعموا أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيّ بعد ولن يموت بل غائبٌ عن الأبصار وسيظهر فيظهر أمره وهو القائم المهديّ و رووا عنه أنّه قال: لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدّقوا فإنّي صاحبكم صاحب السيف ومن أخبركم أنّه غسلني وكفنني و دفنني فلا تصدّقوه فإنّي صاحبكم.

وقال آخرون منهم بعدم غيبته بل يراه أولياؤه وقال جمع ثالث منهم بموته إلاّ أنّه سيرجع وهو القائم والذي سيخرج بالسيف.

وحكى الشهرستاني عن أبي حامد الزوزني: انّ الناووسيّة زعمت أنّ علياً باقٍ و ستنشقّ الأرض عنه قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً.

٥ ــ الممطورة: وهم فرقة نشأت بعد وفاة الإمام موسى الكاظم عليه السلام فشككت في موته وزعمت أنّه حيّ لم يمت وأنّه غائب و سيعود وهو المهدي.

وزعم آخرون منهم اقرواً بموته: أنّه سيبعث في آخر الزمان وهو المهدي الموعود.

٦ ــ الإسماعيليّة: وهم الذين ساقوا الإمامة من بعد الإمام الصادق عليه السلام إلى إبنه إسماعيل الذي توفّي في حياة أبيه وقد زعم طائفة منهم أنّه لم يمت ولكنّه أظهر موته تقيّة عليه حتّى لا يقصد بالقتل وزعموا أنّه هو الإمام المنتظر الذي بشرت النصوص الروائيّة به.

وقال بعضهم مثل ذلك في إبنه محمّد بن إسماعيل.

٧ ــ الزيديّة: وهم الذين ساقوا الإماميّة بعد الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلى إبنه زيد وقد ذكر البياضي العاملي في كتاب الصراط المستقيم بأنّهم يزعمون فيما دانوا به أنّ زيداً لم يمت وهو حيّ غائب و كذا كلّ إمام قتل من أئمّتها حتّى

قالوه في يحيى بن عمر المقتول بشاهي.

أمّا الشهرستاني في كتاب الملل والنحل فقد حصر تلك العقيدة في الجاروديّة دون السليمانيّة والبتريّة من الفرق الزيديّة وذهب إلى أبعد من ذلك عندما ضيّق حدود تلك الفكرة في شخص الإمام الثاني من أئمّتها وهو محمّد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام المقتول بالمدينة على يد حاكمها عيسى بن ماهان حيث قال جمع من القائلين بإمامته أنّه لم يقتل وهو بعد حيّ وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً.

٨ ــ الواقفة: وهي طائفة شذّت في الشيعة الإماميّة في زمن الإمام الرضا عليه السلام ووقفوا على إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقالوا: انّه أوصى إلى إبنه محمّد وليس إلى الإمام الرضا عليه السلام وكان قد مات في حياة أبيه فأنكروا موته وقالوا: هو المهديّ.

٩ ــ المحمّديّة: وهم أيضاً فرقة أخرى شذّت عن الإماميّة وقالوا بإمامة الإمام محمّد الجواد عليه السلام و أنكروا موته و قالوا إنّه حيّ غائب.

١٠ ــ فرقة أخرى انحرفت عن الشيعة الإماميّة أيضاً في زمن الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام عند وفاته حيث أنكروا موته وزعموا أنّه حيّ غائب.

و قد انقرضت جميع هذه الفرق باستثناء الزيديّة والإسماعيليّة ولم يتجاوز أمدها العصور التي نشأت فيها وان دلّ ذلك على شيء فإنّه يدلّ على أنّها كانت وليدة حالة من الجهل والإنحراف الطارئ الذي لم يلبث أن زال بزوال أفراده المتّصفين به.

## إنقسام الغيبة إلى صغرى وكبرى

وهو ممّا أطبق على التصريح به كافة أعلام الإماميّة يضاف إلى ذلك ما رووه مستفيضاً في هذا المعنى ونحن في هذه العجالة نكتفي بالإشارة إلى بعض النصوص الواردة في ذلك عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ولنبدأ بما روي عن الإمام الباقر عليه السلام:

١ ــ (خبر غيبة النعماني) عن إبراهيم بن عمر الكناسي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ان لصاحب هذا الأمر غيبتين وسمعته يقول: لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة(٢٣).

٢ـ (وفيه أيضاً) عن محمد بن مسلم الثقفي عن الباقر أبي جعفرعليه السلام انه سمعه يقول: إنّ للقائم غيبتين يقال له في أحدهما هلك ولا يدري في أيّ وادٍ سلك(٢٤).

وأمّا ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام فبالنحو التالي:

١ـ (خبر غيبة النعماني) عن المفضّل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: أحدهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم يقول: قتل وبعضهم يقول: ذهب فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نفر يسير لا يطلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره إلاّ المولى الذي يلي أمره(٢٥).

٢ـ (وفيه) عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:
إن للقائم غيبتين يرجع في إحداهما والأخرى لا يدري أين هو يشهد المواسم يرى الناس ولا يرونه(٢٦)

٣ـ (وفيه أيضاً) عن عبد الله بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: للقائم غيبتان، يشهد في أحدهما المواسم يرى الناس ولا يرونه(٢٧).

إلى غير ذلك من الروايات الواردة في الباب.

## الفوارق الرئيسية بين الغيبتين

قال الشيخ محمد حسين المظفري في تاريخ الشيعة:

الفارق بين الغيبتين أن الصغرى توفق لمشاهدته والإجتماع به خواص مواليه، وفي هذه الكبرى التي نحن فيها لا يتوفق لذلك إلاّ الخواص، وفقنا الله تعالى لمشاهدة تلك الطلعة الرشيدة، والغرّة الحميدة، وجعلنا من أنصاره وأعوانه في غيبته وعند ظهوره انه سميع مجيب(٢٨).

أقول: وهذا الكلام هو مضمون ما رواه المحدث الفقيه النعماني في غيبته عن إسحاق بن عمّار الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: للقائم غيبتان: إحداهما طويلة والأخرى قصيرة فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه.

ويمكننا أن نوجز الفوارق بنحو أكثر سعة بالنقاط التالية:

**الأولى:**

أ ـ ان الغيبة الصغرى تمثّل الحقبة الزمنية الأولى لعهد إمامته في ممارسة مهام الإمامة الموكلة إليه في حدودها التقليدية وقد ختمت بتوطيد دعائم إمامته كنقطة انطلاق نحو أهدافها الإلهية السامية في حركتها الإصلاحية العالمية.

ب ـ بينما تمثل الغيبة الكبرى الحقبة الزمنية الثانية لعهد إمامته في حدودها الزمنية الطويلة حيث ستتوج باقتطاف ثمار إمامته بتأسيس دولته العالمية المترقّبة الموعودة.

**الثانية:**

أ ـ ان المدّة الزمنية للصغرى محدودة بما يقرب من خمس وسبعين سنة.

ب ـ بينما نجد أن المدّة الزمنيّة للغيبة الكبرى تمتدّ إلى ماشاء الله تعالى.

ولهذا نجد أن بعض الروايات تضمّنت القول بتكذيب الموقتين.

**الثالثة:**

أ ـ ان السفارة والوكالة في الغيبة الصغرى كانت موجودة.

ب ـ بينما تنعدم في الغيبة الكبرى كلياً كما ستوضحه لك فيما بعد إلا في حدود النيابة العامة عنه عليه السلام كما عليه حال فقهاء الإمامية في كافة الأزمنة.

**الرابعة:**

أ ـ إنحصار نشاط الإمام المهدي عليه السلام الفعلي بتوسط سفرائه في حدود مدينة بغداد.

ب ـ بينما نجد أن حدود نشاطه عليه السلام في الغيبة الكبرى غير منحصر في مكان معيّن خاص.

**الخامسة:**

أ ـ إنحصار عدد السفراء في أربعة في الغيبة الصغرى، وكذا الوكلاء فلم يزيدوا على ما ورد النص عليهم في العدد والإسم.

ب ـ بينما نجد في الغيبة الكبرى أن النوّاب بالنيابة العامة عنه عليه السلام لا يوجد لهم حصر معين إلا في جامعية الشرائط لا غير.

**السادسة:**

أ ـ إمكانية رؤيته والرجوع إليه ومشافهته عليه السلام لم تكن ممتنعة في الصغرى خصوصاً لسفرائه في كل مسألة استدعت الحاجة إلى اللجوء إليه.

ب ـ بينما يتعذّر ذلك في عصر الغيبة الكبرى فلا يمتلك ولو آحاد من الناس مهما بلغوا من المنزلة في العلم والإيمان القدرة على الوصول إليه متى شاؤوا وأرادوا.

**السابعة:**

أ ـ وجود مطاردة واقعيّة للكشف عنه والقبض عليه بهدف استئصاله عليه السلام في الغيبة الصغرى من قبل عمّه جعفر الكذّاب وسلطات المعتمد العبّاسي كما أشرنا إليه فيما سبق.

ب ـ بينما لا يوجد شيء من ذلك في الغيبة الكبرى.

**الثامنة:**

أ ـ في الغيبة الصغرى كانت تجبى إليه الحقوق الشرعية فيوجهها في جهاتها عبر سفرائه ووكلائه.

ب ـ بينما لا يصل إليه شيء منها في الكبرى.

**التاسعة:**

أ ـ بقاؤه عليه السلام حياً مدة الغيبة الصغرى لا يرتاب في تصوّره أدنى من له عقل وروية.

ب ـ بينما وقع الخلاف في امتداد حياته في الغيبة الكبرى إلى حد اللحظة التي نعيش فيها اليوم.

**العاشرة:**

أ ـ إنتشار ظاهرة دعوى السفارة المزورة عنه عليه السلام في الصغرى.

ب ـ بينما انعدمت في الغيبة الكبرى قروناً متطاولة كما سنوضحه لك في القسم الثاني من كتابنا هذا.

**الحادية عشر:**

أ ـ صدور تواقيع منه عليه السلام في الغيبة الصغرى بلعن مدعى السفارة ووجوب البراءة منهم وتكذيبهم والقدح في أشخاصهم لتوفر الوسائط المباشرة لتوصيلها إلى عموم أفراد الشيعة.

ب ـ بينما لا يوجد شيء من ذلك في مدعي السفارة في الغيبة الكبرى إلا بنحو النصوص الشاملة كما ورد في التوقيع الصادر إلى السمري وتضمنه النص على مثل ذلك يضاف إليه وجود الأحكام الشرعية الكفيلة بالحيلولة دون ذلك كما ستأتي الإشارة إليه إن

شاء الله تعالى.

**الثانية عشر:**

أ ـ في الغيبة الصغرى لم يفتقر في إثبات شخصيته وهويته لأول ظهور له في الملأ العام عند الصلاة على والده الإمام العسكري عليه السلام وكذا لأول سفرائه إلى إقامة دلائل وشواهد وبراهين على إمامته وذلك منذ أول يوم باشر معهم مهام الإمامة والإضطلاع بوظائفها اكتفاءاً بالوصيّة والنص عليه تعييناً من قبل والده عليه السلام.

ب ـ بينما نجد النصوص الحاكية لوقت انتهاء أمد الغيبة الكبرى ومبدأ ظهوره لأصحابه المكلفين بنصرة دعوته ومعاضدته في تنفيذ برامجها قد تضمنت مطالبته بإظهار المعجز والعلامات الخاصة به في حدود الإثبات.

## دوافع الغيبة الصغرى

ليس من الهيّن التكهّن بعفويّة مرحلة الغيبة الصغرى في حياة الإمام المهدي عليه السلام بل ليس من اللائق التصريح باعتباطيتها وتصغير حجمها إلى درجة الحط من قيمتها بالنحو الذي يقلل من شأنها في أنظار المتصفحين لملفّاتها التاريخيّة.

وذلك لأن هذه الغيبة قد حظيت أوّلاً بتمهيدات متصلة وأسناد مستمر لفكرتها قرابة القرنين والنصف من الزمن قبل مجيء وقتها وساعتها فقد بدأ دور التحضير لها من قبل القرآن نفسه كما نص على ذلك أرباب التفاسير بما لا يسعنا في كتابنا هذا استقصاؤه ثم بتمهيد النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله ثم ابنته الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام، ثمّ الأئمة واحداً تلو الآخر حتى انتهاء النوبة إلى والده الإمام العَسكَري على غرار ما تقدّم نقله من أخبار الغيبة، ثم البيان الآتي ذكره المصرح ببدئها من قبله شخصياً واختتام المقطع الأول منها الموسوم بالغيبة الصغرى.

والتأمّل بنظرة فاحصة في خصوص شواهد هذا المقطع التاريخي في تمهيده لهذه الغيبة يكشف لنا اموراً هامة ترتبط بالرسالة المحمّدية الخاتمة في الصميم،

وهذا ما يمكننا أن نلفت الأنظار إليه من خلال بعض الإستقراءات لنصوص تلك الظاهرة التي نشير إليها بالنحو التّالي من خلال استعراض الدوافع الحقيقيّة والظاهريّة لهذه الغيبة.

## الدوافع الحقيقية:

١ـ التقديرات الإلهية الخاصة به وبكافة شؤونه قبل مجيئه إلى الدنيا وتوارث ما يحيط بها عبر خط الإمامة إلى عصر ولادته كتكليف إلهي مقدّس يجب تطبيقه بحذافيره وبدقّة متناهية.

٢ـ إعتماد الرسالة المحمدية الخاتمة في برمجتها الرسالية على مثل ذلك الدور الذي سيضطلع به الإمام المهدي عليه السلام كعنصر إثارة وإضفاء الحيوية والبقاء على تلك الشريعة على امتداد العصور إلى انقضاء الحياة على هذه البسيطة، وهذا هو تعبير آخر لمعتقد الشيعة الإمامية المصرح بامتناع خلو الزمان من حجة معصوم.

٣ـ احتياج الرسالة الخاتمة إلى أمين يستودعها إلى حيث حلول الأجل المحتوم لاقتطاف ثمارها بتطبيقها في الحياة بكافة أبعادها وهذا ما يمكن الإستشهاد عليه بحديث الثقلين: القرآن والعترة المتجسّدة في شخص الإمام المهدي عليه السلام بعد تصدّيه لمقام الإمامة وانهما لن يفترقا حتّى يردا على النبي صلّى الله عليه وآله الحوض وهو يوم القيامة ونحوه من الروايات.

٤ـ بث روح الحياة في الأجيال وهدايتها بالطرق الغيبيّة وتوجيهها نحو اكتشاف ذاتها وإيقاظ ضمائرها من سبات الغفلة والتيه والضياع إذا اقتضت الضرورات واستدعت الحاجة.

٥ـ إيجاد حلقة وصل وربط بينه وبين قواعده الشعبيّة وخلاياه الشيعية للبرهنة على وجوده وحضوره الفعلي في الحياة لتفادي ما سيعقب هذه المرحلة من تمادي شديد في الشقة الزمنية حتى عصر الظهور.

## الدوافع الظاهرية:

١ـ التقديرات المتصوّرة عن معادلات القوى السياسية والإجتماعية والعسكرية في ذهنية الإمام عليه السلام المرتبطة بالوضع الفاسد القائم فعلاً ومدى خطورتها على نفسه لو مارس حياته الطبيعية معهم.

٢ــ مطاردة أجهزة الأمن العباسي له ورصد العيون وحشد الجند والعسكر للتفتيش عنه.

٣ــ ترصد عمّه جعفر الكذّاب له ومحاولاته الدؤوبة والمستميتة للخلاص منه وتصفيته جسدياً.

٤ــ عدم تمكين كافة الناس له لبسط نفوذه وتحصين دولته لتحقيق حلم البشرية المنشود وإقرار أسس العدالة الإلهية في إطار الدولة الموعودة في النصوص المنبئة به.

٥ــ عدم بلوغ العقلية البشرية في عهده إلى مستوى النضج الكافي والمطلوب لإقرار برامج الإصلاح العالمي وتحقيق مظاهر المدنيّة الفاضلة بأبعد معانيها وعلى وفق موازين الحكمة الربانية في تسيير شؤون الخلق وفق الأسس المثالية.

٦ــ ان الدور الموكل إليه لا يتأدّى في حدود الظرف الزمني الذي ولد فيه.

٧ــ توسيع نطاق عمله عليه السلام ودائرة إشرافه على خلاياه الشيعيّة بعيداً عن ملاحقة الجند ومطاردة السلطات وتحت ستار التحرّك السرّي وذلك عن طريق السفراء الأربعة والوكلاء المبثوثين في المدن والأصقاع النائية المختلفة.

## التصريح الأول
## بدء الغيبة الكبرى وخاتمة الصغرى
## وانتهاء ظاهرة السفارة عن الإمام عليه السلام

المصدر لهذا التصريح هو الإمام المهدي نفسه، وذلك لأنّه يعد أصل القضية التي تتمحور حولها هذه الظاهرة ويعايشها بصميم وجوده وحاق حركته الرسالية وذلك في عدة روايات رويت بطرق متعدّدة عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب حيث قال:

كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها علي بن محمد السمري فحضرته قبل وفاته بأيام فخرج وأخرج الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة

أيّام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن يدّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم».

قال: فاستنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيك؟ قال: لله هو أمر هو بالغه فقضى، فهذا آخر كلام سمع منه ثم حصلت الغيبة الطولى التي نحن في أزمانها، والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالى.

ولنا عودة مع هذه الرواية عند الحديث عن دعوى السفارة فلا نطيل الكلام هنا.

## دوافع الغيبة الكبرى

وهي في مجملها تعبّر عن العوامل والحوافز والعلل التي تصحح غيبة الإمام المهدي عليه السلام طيلة هذه العصور المتمادية وسنحاول إيجاز القول فيها وإلقاء الضوء عليها من خلال عرض خاطف لكلمات جملة من أعلام الإمامية وذلك من خلال حصرها في هذه العناوين الأربعة:

١ــ دافع إلهي.

٢ــ دافع وقائي.

٣ــ دافع تحفيزي.

٤ــ دافع اختباري تمحيصي.

وقد تقدم من الكلام ما يزيد في وضوح هذه العناوين، لذا نكتفي بالإشارة إليها هنا مع استعراض بعض تلك الكلمات فنقول:

## ب ـ الدافع الإلهي

وقد أشار إليه جمع من الأعلام منهم العلاّمة الحلّي (ره) في كتاب نهج المسترشدين، حيث صرح بما لفظه بعد الإشارة إلى الدافع الثاني: وأما لمصلحة خفيّة استأثر الله تعالى بعلمها(٢٩).

وأضاف الفاضل الشيخ مقداد السيوري الحلي في إرشاد الطالبين بقوله: أن يكون سبب الغيبة مصلحة خفية استأثر الله تعالى بعلمها ولا يجب أن تعلم تلك المصلحة بالتفصيل لأنا إذا أثبتنا الغيبة وعلمنا أن فعل الحكيم لابدّ له من علّة علمنا بذلك إجمالاً وإن لم نعلمه تفصيلاً(٣٠).

وقال أيضاً شيخ الطائفة الطوسي (قده) في تلخيص الشافي:

قد دللنا على وجوب الإمامة في كل حال بما تقدم من الأدلة، ودللنا أيضاً على وجوب كونه معصوماً لا يجوز عليه الغلط على وجه القطع والثبات، فإذا ثبت هذان الأصلان ثبتت إمامة صاحب الزمان الذي نذهب إلى إمامته لأن كل من قطع على وجوب اعتبار هذين الأصلين قطع على إمامته وليس يقول بهما ويخالف في إمامته إلا قوم دللنا على بطلان قولهم وانقراضهم: من الكيسانية والناووسية والفطحية والواقفة، فلا وجه لإعادة القول في ذلك وإذا بطل أقوال هؤلاء سلم لنا القول بإمامته عليه السلام.

فأمّا الكلام في علة الغيبة وسببها والوجه الذي يحسنها، فواضح بعد تقرر ما تقدّم من الأصول، لأنا إذا علمنا إمامته بالسياقة التي سقناها، ورأيناه غائباً عن الأبصار، علمنا أنه لم يغب ــ مع عصمته وتعيّن فرض الإمامة فيه وعليه ــ إلاّ لسبب اقتضى ذلك وضرورة قادت إليه، وإن لم يعلم الوجه على التفصيل.

وجرى الكلام في الغيبة ووجهها وسببها على التفصيل مجرى العلم بمراد الله تعالى من الآيات المتشابهة في القرآن التي ظاهرها بخلاف ما دلّت عليه العقول: من جبر أو تشبيه أو غير ذلك.

ونقول ــ كلنا ــ: إنا إذا علمنا حكمة الله تعالى وأنه لا يجوز أن يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات علمنا أن لهذه الآيات وجوهاً صحيحة تخالف ظاهرها وتطابق مدلول الأدلة العقلية، وإن لم يمكننا العلم بذلك مفصّلاً، ولا حاجة بنا إليه، ويكفينا علم الجملة: بأن المراد خلاف الظاهر، فكذلك لا يلزمنا أن نعلم سبب الغيبة على

جهة التعيين والوجه في فقد ظهوره على التفصيل، ويكفينا علم الجملة الذي تقدم، ومتى تكلفناه وتبرعنا بذكره فهو فضل. كما أن ذلك فضل من جماعتنا إذا ذكرنا وجوه الآيات المتشابهات والأغراض فيه على سبيل التعيين(٣١).

وأضاف الحجّة الثبت الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتاب جنّة المأوى بعد كلام له في البين عن أسباب وعلل غيبة الإمام المهدي عليه السلام بقوله:

وهناك أسرار وحكم اخرى لا يتّسع الوقت والمجال لبيانها، على أنّ كلّ ذلك تطفّل وفضول بعد ما عرفت من أنّ لله في عباده شؤوناً لا تدركه العقول، ونحن حتّى الآن لم تصل عقولنا إلى أسرار خلقتنا وكنه أرواحنا وحقيقة حياتنا، فكيف نحاول معرفة أسرار الملك والملكوت، والعزّة والجبروت؟ نحن لا نستطيع أن نعرف الحكمة في جعل المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً والصبح إثنين وأمثال ذلك من الأوامر التشريعيّة فضلاً عن الأمور التكوينية!!.

نعم وفي مثل هذه المقرّرات المجهولة الحكمة تكمل حقيقة الإيمان وتظهر فضيلة التسليم والإذعان وبهذا مدح الله سبحانه الراسخين في العلم حيث قال عزّ شأنه: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا﴾ مدحهم على الإيمان بما جاء من الله عزّ شأنه وإن لم يعرفوا تأويله وحكمته(٣٢).

وقال المحقق الشيخ علي اليزدي الحائري في كتاب إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب عليه السلام بعد حكاية ما رواه المحدّث البحراني والعلاّمة المجلسي في العوالم والبحار:

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الصادق عليه السلام: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها يرتاب فيه كل مبطل.

فقلت له: ولِمَ جعلتُ فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلاّ وقت افتراقهما.

يابن الفضل ان هذا الأمر أمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله وغيب من غيب

الله ومتى علمنا انه عزّوجل حكيم صدقنا بأنّ أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا.

وفيه عن الأعمش عن الصادق عليه السلام قال: لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ولو لا ذلك لم يعبد الله.

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع بالحجة الغائب المستور؟ قال عليه السلام: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب.

وفيه عن إسحاق بن يعقوب انه ورد عليه من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان، وأما علّة ما وقع من الغيبة فإن الله عزّوجل يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم انه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأما وجه الإنتفاع بي في غيبتي فكالإنتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما ان النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يغنيكم ولا تتكلّفوا عليّ ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى.

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام: أقرب ما يكون العبيد إلى الله عزّوجل وأرضى ما يكون عنه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر لهم وحجب عنهم فلم يعلموا بمكانه وهم في ذلك يعلمون انه لم تبطل حجج الله ولا بيّناته فعندها فليتوقعوا الفرج صباحاً ومساءاً وإنّ أشدّ ما يكون غضباً على أعدائه إذا فقدهم حجته فلم يظهر لهم وقد علم ان أولياءه لا يرتابون ولو علم انهم يرتابون ما أفقدهم حجته طرفة عين.

وفيه عن جابر الجعفي عن جابر الأنصاري انه سئل النبي صلّى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم (عج) في غيبته؟

فقال صلّى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوّة انهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان جللها السحاب.

أقول: التشبيه بالشمس المجللة بالسحاب يؤمي إلى أمور، كما يستفاد من كلمات العلاّمة المجلسي (ره):

الأول: ان نور الوجود والعلم والهداية يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام

ثبت بالأخبار المستفيضة انهم العلل الغائية لإيجاد الخلق فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم وببركتهم والإستشفاع بهم والتوسّل إليهم يظهر العلوم والمعارف على الخلق ويكشف البلايا عنهم فلولاهم لاستحقّ الخلق بقبايح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال الله تعالى: وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم.

ولقد جربنا مراراً لا نحصيها انه عند انغلاق الأمور وإعضال المسائل والبعد عن جناب الحق تعالى وانسداد أبواب الفيض لما استشفعنا بهم وتوسّلنا بأنوارهم فبقدر ما يحصل الإرتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت تنكشف تلك الأمور الصعبة، وهذا معاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان.

**الثاني:** كما ان الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ينتظرون في كل آن إنكشاف السحاب عنها وظهورها ليكون انتفاعهم بها أكثر؛ فكذلك في أيام غيبته ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كل وقت وزمان ولا ييأسون منه.

**الثالث:** ان منكر وجوده مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيبها السحاب عن الأبصار.

**الرابع:** ان الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب فكذلك غيبته (عج) أصلح لهم في تلك الأزمان فلذا غاب عنهم.

**الخامس:** ان الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربما عمي بالنظر إليها لضعف الباصرة عن الإحاطة بها، فكذلك شمس ذاته المقدسة ربما يكون ظهوره أضر لبصايرهم ويكون سبباً لعماهم عن الحق وتحتمل بصايرهم الإيمان به في غيبته كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرّر بذلك.

**السادس:** ان الشمس قد تخرج من السحاب وينظر إليها واحد دون واحد فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيّام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

**السابع:** انهم كالشمس في عموم النفع وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى كما فسّر به في الأخبار قوله تعالى: «من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً».

**الثامن:** ان الشمس كما ان شعاعها يدخل البيوت بقدر ما فيها من الروازن

والشبابيك وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسّهم ومشاعرهم التي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانية والعلايق الجسمانية وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب.

فقد فتحت لك من هذه الجنّة الروحانية ثمانية أبواب ولقد فتح الله عنّي بفضله ثمانية اخرى تضيق العبارة عن ذكرها عسى الله أن يفتح علينا وعليك في معرفتهم ألف باب يفتح من كل باب ألف باب.

عن إبن عمير عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قلت له: ما بال أميرالمؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأول؟

قال: لآية في كتاب الله عزّوجل: «لو تزيّلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما».

قال: قلت: وما يعني بتزيلهم؟قال: ودايع مؤمنون في أصلابهم قوم كافرين فكذلك القائم لن يظهر أبداً حتى تخرج ودايع الله عزّوجل، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّوجل جلاله فقتلهم(٣٣).

## ٢ــ [الدافع الوقائي]

وهو الباعث الثاني المتبادر من جملة من النصوص المروية حيث تؤكد على انه عليه السلام غاب من أجل حماية نفسه من القتل والفتك على ما سبق الإشارة إليه، وكذا لحماية أوليائه وشيعته من الإبادة والتصفية الجسدية لعدم توفّر الضمانات الكفيلة بإبقائه مع ظهوره وإعلان دعوته في الوقت الذي تترجح فيه كفة موازين القوى في صالح أعدائه، وفي ذلك قال العلاّمة الحلي في نهج المسترشدين:

وأما غيبة الإمام المهدي عليه السلام فإمّا لخوفه على نفسه من أعدائه وخوفه على أوليائه فلا يظهر عاماً ولا خاصاً(٣٤).

وقال جمال الدين الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري الحلي في كتاب اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية:

سبب غيبته لا يجوز أن يكون قبيحاً لما ثبت من عصمته عليه السلام فتكون

حسناً ولا يجب علينا معرفة وجه حسن كل فعل تفصيلاً، وإلا لوجب معرفة وجه حسن خلق الحيّات والعقارب تفصيلاً، وهو باطل بالإجماع، وحينئذ جاز أن يكون غيبته لمصلحة خفية استأثر الله تعالى بعلمها غير انا نذكر ما يمكن أن يكون سبباً وهو الخوف كما استتر النبي صلّى الله عليه وآله تارة في الغار وتارة في الشعب خوفاً من المشركين، وقد دلّ بعض الأخبار على ان غيبته عليه السلام لذلك وتكون الغيبة حاصلة مادام السبب باقياً ويكون الإثم في تعطيل الحدود والأحكام على من منه الخوف.

لايقال: الخوف ليس مختصاً بزمانه عليه السلام بل كان في زمن آبائه عليهم السلام أيضاً ثم انهم ظهروا وبيّنوا الشرائع لشيعتهم ولزموا التقيّة مع الظلمة ولم يستتروا فهلا كان حاله كذلك؟

سلمنا: لكن الخوف ليس من شيعته فهلا ظهر لهم خاصة وأفتاهم وبيّن لهم ما اختلفوا فيه من الأحكام. لأنا نقول:

**أما الأول:** فقد أجاب السيد المرتضى (ره) عنه بما مضمونه: انه عليه السلام غير متعبّد بالتقيّة بل فرضه الجهاد ومنابذة الأعداء وإقامة الدين كما دلّت عليه الأخبار المتواترة من الإمامية وغيرهم بخلاف آبائه عليهم السلام، فإنّ أكثرهم لم يكن مأموراً بالخروج والقيام والحرب، بل كان متعبداً بالتقية كما ورد عنهم عليهم السلام: ما منّا إلا من وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلاّ قائمنا فإنه يخرج ولا بيعة لأحد في عنقه، فظهر الفرق بينه وبين آبائه كما ان عيسى عليه السلام لم يحارب ولم يكن فرضه الجهاد ومحمد صلّى الله عليه وآله وسلم حارب وكان فرضه الجهاد والأحكام تتغيّر بحسب تغيّر المصالح.

**وأما الثاني:** فقد أجاب شيخنا المفيد(ره) بأن شيعته غير معصومين فجاز أن تدعوهم دواعي الشيطان إلى إغرائه طمعاً في الدنيا كما دعت أمم الأنبياء إلى الإرتداد عن شرائعهم وكما عاند قوم موسى عليه السلام أخاه هارون وارتدّوا، وفي هذا نظر.

**وأجاب:** غيره بأنا نجوز ذلك ولا نحيله لكن ليس كل جائز يجب وقوعه بل إذا وجد سبب وجوده وهو غير حاصل هنا لأنهم ينتفعون بلطفيته حال غيبته فلا مرجح لظهوره، وهذا أقوى عندي(٣٥).

وأضاف المحقق الكراجكي في كنز الفوائد بقوله:

والذي اقتضاه العدل والحكمة في هذا الزمان من نصب الإمام للأنام، فقد أزاح الله سبحانه العلّة فيه، وأوجده، ودلّ عليه بحجّة العقل الشاهدة في الجملة بأنه لابدّ من إمام كامل معصوم في كل عصر، وبحجج النصوص على التعيين، المأثورة عن رسول الله ربّ العالمين، وعن الأئمّة من أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، في التعريف بصاحب هذا الزمان عليه السلام، بنعته ونسبه اللّذين يتميّز بهما عن الأنام، ولكن الظالمين سلكوا سنن من كان قبلهم في قصدهم لإهلاك هداتهم، وحرصهم على إطفاء نور مصابيحهم، فقصدوا قصده فأخافوه، وانطوت نيّاتهم على قتله متى وجدوه، فأمره الله بالإستتار، لما علمه من مباينة حاله لحال كل نبي وإمامٍ أبدى شخصه فقتلهم الناس، إذا كانت مصلحة الأمّة بعد آبائه صلوات الله عليهم، مقصورةً على كونه إماماً لهم، وأنّ غيره لا يقوم مقامه في مصلحتهم، وسقط عنهم فرض التصدّي للسائلين لعدم الأمن والتمكّن، فكانت الحجّة لله تعالى على الظالمين الذين وجدوا سبيل الهداية، وأرشدوا إليها، فمنعوا أنفسهم سلوكها، وآثروا الضلالة عليها، فكانوا كمن شدّ عينه عن النظر إلى مصالحه، وسدّ سمعه عن استماع مناصحته، ثم قال: لو شاء الله لهداني، قال الله سبحانه فيمن ماثلت أحواله لحاله: «فأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى» فصّلت: ١٧.

تعالى الله ذو الكلمة العليا والحجّة المثلى(٣٦).

## ٣ـ (الدافع التحفيزي)

وقد أشار إليه جمع من الأعلام ولنبدأ بذكر ما أفاده المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الموسوم بفلسفة التوحيد والولاية حيث قال:

أمّا الحكمة من وجوده ـ كما نرجح ـ فهي ان هذا الإيمان هو الضامن والكفيل لعقيدة الولاية واستمرارها مدى الحياة، لأن الإعتقاد بوجود إمام من آل الرسول في جميع الأزمنة، وان الأرض لو خليت منه لساخت بأهلها ـ يشد عزم الموالي، ويدفعه إلى الحرص عليها، والإستماتة في سبيلها.. ومنذ أيام قرأت لبعض حاملي شهادة الدكتوراه في الفلسفة ـ كلمة تقول: «كيف استطاعت عقيدة التشيّع أن تعيش في قلوب قوم إلى اليوم بالرغم ممّا أحاط بهم من اضطهاد فكري

وسياسي، بينما اندثرت فرق جديرة آراؤها بكل إعجاب وتقدير، وأعني بهم المعتزلة».

وقد غاب عن هذا المتعجّب ان السبب لبقاء عقيدة التشيّع وخلودها هو الإيمان بولاية المعصومين من أهل البيت الأطهار: وإحياء ذكرهم وآثارهم وسننهم، والإيمان بأن الأرض لا تخلو من واحد منهم منزه عن الخطأ والخطيئة.. ولو ان المعتزلة دانوا وآمنوا بهذا الولاء لآل محمد صلّى اللّه عليه وآله لبقوا وبقيت آراؤهم إلى يوم يبعثون تماماً كالشيعة والتشيّع، ولكنهم رفضوا ذلك، فاندثروا واندثرت آراؤهم مع انها جديرة بكل إعجاب وتقدير على حد تعبير الدكتور المذكور، وكما سقط المعتزلة سقط إلى الأبد كثير غيرهم كالنواصب ومن إليهم من أهل المذاهب.

هذا، إلى أن الإيمان بوجود الرئيس ـ مستوراً كان أم مشهوراً ـ يخلق في نفوس أتباعه قوّة معنويّة تجعل منهم اسرة واحدة، وقلباً واحداً على اختلاف لغاتهم وتعدّد أوطانهم؛ ولهذه الغاية حافظ المسلمون من قبل على منصب الخلافة بعد أن اضمحلت الدولة العباسية، واضطرّ البويهيّون وغيرهم من الحكّام أن يبقوا لقب الخليفة لواحد من العباسيّين، يخطبون باسمه في المساجد وعلى المنابر، ويقدمونه في الإحتفالات الدينية وغيرها وما كان له أيّ أثر ولا خبر إلاّ الحرص على وحدة المسلمين والاخوة الإسلامية.. وقد ضجّ كثير من المسلمين عند سقوط الدولة العثمانية، وقامت قيامتهم خوفاً على منصب الخلافة من الضياع والزوال، ورثاها شوقي بأكثر من قصيدة، وقال فيما قال:

قل للخلافة قول باك شمسها بالأمس لما أنت بدلوك

وقال من قصيدة ثانية:

| | |
|---|---|
| الهند والهة و مصر حزينة | تبكي عليك بمدمع سحاح |
| والشام تسأل والعراق وفارس | أمحامن الأرض الخلافة ماح |

وكلّنا يعلم من هم الخلفاء العباسيون والأتراك العثمانيون؟ ولكن الرثاء والبكاء كان على منصب الخلافة، لأنه اللواء الذي ينضوي تحته كل من نطق بالشهادتين، وهذي هي بالذات الحكمة من الإيمان بالإمام المنزّه عن الخطا والخطيئة وأن كان مستوراً، وهي حكمة بالغة تجمع قلوب الموالين لآل البيت على

الإحساس المتحد. . وقد أدرك هذه الحكمة الإنكليز، وهم من أرقى الأمم، فحافظوا على التاج البريطاني؛ ووضعوا رسمه على العلم والسلع أيضاً للدلالة على انهم اسرة واحدة لأب واحد وهو حامل التاج مع انه إسم لغير معنى، وحاكم بلا أمر ونهي. . ولا يصل إليه أحد من رعيته وأهل مملكته إلاّ القليل النادر. . وهكذا ميكاد واليابان الذي ينظر إليه اليابانيون كإله أو نصف إله. . فهل الإنكليز وأهل اليابان عقلاء والشيعة مجانين؟(٣٧).

وقد أشار من القدماء إلى مثل هذا الدافع شيخ الطائفة الطوسي في كتاب تلخيص الشافي ولكن بأسلوبه الذي يحاكي عقلية عصره حيث قال ما لفظه:

فإن قلتم: لو أعدمه لكان فوت انتفاعتنا بالإمام منسوباً إليه تعالى، وليس كذلك إذا كان موجوداً مستخفياً. . ؟

قيل لكم: بل يكون منسوباً إلى من أخاف الإمام ولم يؤمنه على نفسه فيظهر وينتفع به لأنه إذا أخيف فليس غير الإمتناع من الظهور.

ثمّ ــ حينئذ ــ لا فرق ــ إذا لم يتمكّن من الظهور ــ : بين أن يعدم إلى أن يمكن إيجاده، أو يستتر إلى أن يمكن إظهاره، فأيّ الأمرين وقع فالعلّة من الله تعالى مزاحة واللّوم على من أخاف الإمام، ولم يمكّنه من الظهور، ولا فرق ــ في لحوق الذم بنا ــ : بين أن نفوّت نفوسنا منافع تجب عند أسباب نفعلها، كوجوب العلم عند النظر، وبين أن نفوّتها منافع لا تجب عن أسباب، بل معلوم حصولها بالعادة، أو ما جرى مجراها عند غيرها من أفعالنا: كنحو الشبع عند الأكل والري عند الشرب. وإذا كنّا قاطعين على أنّ الله تعالى يوجد الإمام ويظهره ــ لا محالة ــ إذا أزلنا أسباب خوفه، فقد صرنا متمكنين وقادرين على ما يقتضي ظهوره، وإذا لم نفعل فنحن الملومون.

وهذا السؤال أورده المرتضى رضي الله عنه في (الذخيرة) ولم يجر في شيء من كتبه الأخر على هذا الوجه من التحقيق والتفريع، وأنا أذكر الجواب الّذي ذكره بألفاظه إن شاء الله :

قال: والجواب، ان المقصود بهذا السؤال إلزامنا تجويز كون إمام زماننا هذا عليه السلام معدوماً، بدلاً من كونه غائباً، وهذا غير لازم، لأنه ينتفع به ــ في حال غيبته ــ جميع شيعته، والقائلين بإمامته، وينزجرون بمكانه وهيبته عن القبائح، فهو

لطف لهم في حال الغيبة كما يكون لطفاً في حال الظهور.

وسنبيّن ذلك فضل بيان، فيما بعد إن شاء الله، وهم أيضاً منتفعون به من وجه آخر، لأنه يحفظ عليهم الشرع، وبمكانه يثقون بأنه لم يكتم من الشرع ما لم يصل إليهم، وإذا كان معدوماً فات هذا كلّه.

وهذه الجملة تسقط مقصود المخالفين في هذا السؤال، لكنّا نجيب عنه على كل حال: إذا بني على التقدير، وقيل: أجيزوا في زمان غير هذا الزمان أن يعدم الإمام إذا لم يمكن من الظهور والتدبير، ونفرض أن أحداً لم يقرّ بإمامته، فينتفع به وإن كان غير ظاهر الشخص له، فنقول: انتفاع الأمّة بالإمام لا يتمّ إلاّ بأمور: من فعله تعالى، فعليه أن يفعلها، وأمور من جهة الإمام عليه السلام، فلابدّ ــ أيضاً ــ من حصولها، وأمور من جهتنا، فيجب على الله تعالى أن يكلفنا فعلها ويجب علينا الطاعة فيها:

فالّذي من فعله تعالى: هو إيجاد الإمام وتمكينه بالقدر والعلوم والآلات من القيام بما فوّض إليه، والنص على عينه، وإلزام القيام بأمر الأمّة.

وما يرجع إلى الإمام: هو قبول هذا التكليف، وتوطينه نفسه على القيام به.

وما يرجع إلى الأمّة: هو تمكين الإمام من تدبيرهم، ورفع الحوائل والموانع عن ذلك، ثمّ طاعته والإنقياد له والتصرّف على تدبيره.

فما يرجع إلى الله تعالى: هو الأصل والقاعدة، ولابدّ من تقدّمه وتمهّده، ويتلوه ما يرجع إلى الإمام، ويتلو الأمرين ما يرجع إلى الأمّة. فمتى لم يتقدّم الأصلان الراجعان إلى الله تعالى وإلى الإمام نفسه، لم يجب على الأمّة ما قلنا: انه يجب عليهم بما هو فرع الأصلين، وليس يخرج ما ذكرناه وقلنا: انه أصل في هذا الباب وواجب فعله من كونه أصلاً، ومن وجوب التقديم اخلال الأمّة بما يجب عليها، والعلم بأنها تطيع أو تعصي.

فيجب ــ على كل حال ــ أن يكون الإمام موجوداً، مزاح العلّة في القدر والعلوم وما جرى مجراها، موطناً نفسه على تدبير الأمّة إذا أمن وزال خوفه، ولم يجز أن يقوم العدم ــ في هذا الباب ــ مقام الوجود. على أن الإمام بهذا الفرض الذي فرضوه ــ وإن كان معدوماً ــ في حكم الموجود، لأنه تعالى إذا أعلم الأمّة، ودلّها على أنه موجد الإمام ــ لا محالة ــ متى مكّنوه وأزالوا خوفه وإن كانوا مكلفين

بشريعة، ثمّ انطوى عنهم منها بشيء أوجده في الحال لينزجر عنه، فالإمام كالموجود، بل مع هذه العناية منه تعالى.

والتقدير المفروض: ان الإمام هو [لطف منه] تعالى، وإنما يوجب وجود حجّة في كل زمان إذا كنا على ما نحن الآن عليه ومع الفرض الذي ذكروه تغيّرت الحال(٣٨).

وأضاف أيضاً في موضع آخر بقوله:

أن لطف أوليائه حاصل بالإمام في حال الغيبة كما هو حاصل في حال الظهور، لأنهم لا يأمنون في حال غيبته من انبساط يده وتمكنه من التأديب والردع، فهم ـ مع علمهم بإمامته ـ يخافونه ويرهبون تأديبه في كل حال.

وعلى هذا لا مسألة علينا في استتاره عن أوليائه، وأنه تفوتهم لغيبته مصالح توجب إسقاط التكليف عنهم(٣٩).

## ع ـ الدافع الإختباري التمحيصي

وخير ما عثرنا عليه مما يناسب حكايته ونقله في هذا الموضع هو ما صرح به الشيخ الجليل والحبر النبيل محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني قدس سره حيث قال في مقدمة كتابه الموسوم بالغيبة ما نصّه:

روينا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: من دخل في هذا الدين بالرجال أخرجه منه الرجال كما أدخلوه فيه، ومن دخل فيه بالكتاب والسنّة زالت الجبال قبل أن تزول ولعمري ما أتى من تاه وتحيّر وافتتن وانتقل عن الحق وتعلّق بمذاهب أهل الزخرف والباطل إلا من قلة الرواية والعلم وعدم الدراية والفهم فإنهم الأشقياء، ثم اهتمّوا بطلب العلم ولم يتعبوا أنفسهم في اقتنائه وروايته من معادنه الصافية على أنهم لو رووا ثم لم يدروا لكانوا بمنزلة من لم يرووا.

وقد قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: اعرفوا منازل شيعتنا عندنا على قدر روايتهم عنّا وفهمهم منّا، فإن الرواية تحتاج إلى الدراية وخبر تدريه خير من ألف خبر ترويه، وأكثر من دخل في هذه المذاهب إنما دخل على أحوال فمنهم من دخله بغير روية ولا علم فلما اعترضه يسير الشبهة تاه.

ومنهم من أراده طلباً للدنيا وحطامها فلما أماله الغواة والدنياويون إليها مال مؤثراً لها على الدين مغتراً مع ذلك بزخرف القول غروراً من الشيطان الذين وصفهم

الله في كتابه فقال: «شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً» والمغتر به فهو كصاحب السراب الذي يحسبه الظمآن عند ظمئه لمعة ماء فإذا جاءه لم يجده شيئاً كما قال الله عزّوجل.

ومنهم من تحلّى بهذا الأمر للرياء والتحسّن بظاهره وطلباً للرياسة وشهوة لها وشغفاً بها من غير اعتقاد للحق ولا إخلاص فيه فسلب الله جماله وغيّر حاله وأعدّ له نكاله.

ومنهم من دان على ضعف من إيمانه ووهن من نفسه بصحّة ما نطق به منه فلما وقعت هذه المحنة التي أذننا أولياء الله صلى الله عليهم بها مذ ثلاثمائة سنة تحيّر ووقف كما قال الله عزّوجل من قائل: «كمثل الّذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون».

وكما قال: «كلّما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا» ووجدنا الرواية قد أتت عن الصادقين عليهم السلام بما أمروا به من وهب الله له حظاً من العلم وأوصله منه إلى ما لم يوصل إليه غيره من تبيان ما اشتبه على إخوانهم في الدين وإرشادهم في الحيرة إلى سواء السبيل، وإخراجهم عن منزلة الشك إلى نور اليقين، فقصدت القربة إلى الله عزّوجل بذكر ما جاء عن الأئمة الصادقين الطاهرين عليهم السلام من لدن أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخر من روى عنه منهم في هذه الغيبة التي عمي عن حقيقتها ونورها من أبعده الله عن العلم بها والهداية إلى ما أوتي عنهم عليهم السلام فيها ما يصحح لأهل الحق ما رووه ودانوا به وتؤكد حجتهم بوقوعها ويصدق ما أذنوا به منها.

وإذا تأمّل من وهب الله له حسن الصورة وفتح مسامع قلبه ومنحه جودة القريحة وأتحفه بالفهم وصحة الرواية بما جاء عن الهداة الطاهرين صلوات الله عليهم على قديم الأيام وحديثها من الروايات المتصلة فيها الموجبة لحدوثها المقتضية لكونها مما قد أوردناه في هذا الكتاب حديثاً حديثاً، وروى فيه وفكر فكراً ممعناً ولم يجعل قراءته ونظره فيه صفحاً دون سافي التأمل ولم يطمح ببصره عن حديث منها يشبه ما تقدمه دون إمعان النظر فيه والتبيين له ولما يجري من زيادة المعاني بلفظة من كلام الإمام عليه السلام بحسب ما حمله واحد من الرواة عنه علم ان هذه الغيبة لو لم تكن ولم يحدث مع ذلك ومع ما روى مرّ الدهور فيها لكان

مذهب الإمامة باطلاً لكن الله تبارك وتعالى صدق إنذار الإئمّة عليهم السلام بها، وصحح قولهم فيها في عصر بعد عصر وألزم الشيعة التسليم والتصديق والتمسك بما هم عليه، وقوى اليقين في قلوبهم بصحة ما نقلوه، وقد حذر أولياء الله صلوات الله عليهم شيعتهم من أن تميل بهم الأهواء أو يزيغ بهم بقلوبهم بتراخي مدتها وطول الأمد فيها «ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة».

فإنه روى عنهم عليهم السلام ما حدّثنا به محمد بن همام قال: حدثنا محمد بن حميد بن زياد الكوفي قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن سماعة قال: حدّثنا أحمد بن الحسن الميثمي عن رجل من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: سمعته يقول: نزلت هذه الآية التي في سورة الحديد: «ولا تكونوا كالّذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» في أهل زمان الغيبة ثم قال عزّوجل: «إنّ الله يحيي الأرض بعد موتها قد بيّنا لكم الآيات لعلّكم تَعْقِلُوْنَ».

وقال: إنما الأمد أمد الغيبة فإنه أراد عزّوجل يا امّة محمد أو يا معشر الشيعة لا تكونوا كالّذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد، فتأويل هذه الآية جاء في أهل زمان الغيبة وأيامها دون أهل الأزمنة، وان الله نهى الشيعة عن الشك في حجة الله تعالى أو أن يظنّوا أن الله تعالى يخلي أرضه منها طرفة عين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه لكميل بن زياد: بلى اللّهمّ لا تخلو الأرض من حجّة الله إما ظاهر معلوم، وإما خائف مغمور لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته وحذرهم من أن يشكوا أو يرتابوا فيطول عليهم الأمد فتقسوا قلوبهم ثم قال عليه السلام: ألا تسمع قوله تعالى في الآية التالية لهذه الآية: «إعلموا انّ اللهَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قد بيّنا لكم الآيات لعلّكم تعقلون» أن يحييها الله بعدل القائم عند ظهوره بعد موتها بجور أئمّة الضلال وتأويل كل آية منها مصدق للآخر. وعلى انّ قولهم صلوات الله عليهم لابدّ أن يصح في شذوذ من يشذ وفتنة من يفتتن، ونكوص من ينكص على عقبيه من الشيعة بالبلية والتمحيص والغربلة التي قد أوردنا ما ذكروه عليهم السلام منه بأسانيد في باب ما يلحق الشيعة من التمحيص والتفرقة والغربلة إلا أنا نذكر في هذا الموضع حديثاً أو حديثين من جملة ما أوردنا في ذلك الباب لئلاّ ينكر منكر ما حدث من هذه الفرق العاملة بالأهواء المؤثرة للدنيا وهو ما أخبرنا به أحمد بن محمد بن

سعيد بن عقدة الكوفي، وهذا الرجل ممّن لا يطغى عليه في الثقة ولا في العلم بالحديث والرجال الناقلين له:

قال: حدّثنا علي بن الحسين التيملي من تيم الله قال: حدثاني أخواي أحمد ومحمد إبنا الحسن بن علي بن فضّال عن أبيهما، عن ثعلبة بن ميمون، عن أبي كهمس، عن عمران بن ميثم عن مالك بن ضمرة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لشيعته: كونوا في الناس كالنحل في الطير ليس شيء من الطير إلاّ وهو يستضعفها ولو يعلم ما في أجوافها لم يفعل بها كما يفعل خالطوا الناس بأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فإن لكل امرىء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحبّ.

أما انكم لن تروا ما تحبون وما تأملون، يا معشر الشيعة حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا كالكحل في العين، أو كالملح في الطعام، وهو أقل من الزاد، وسأضرب لكم في ذلك مثلاً، وهو كمثل رجل كان له طعام قد ذراه وغربله ونقاه وجعله في بيت وأغلق عليه الباب ما شاء الله ثم فتح الباب عنه فإذا السوس قد وقع فيه ثم أخرجه ونقاه وذراه ثم جعله في البيت وأغلق عليه الباب ما شاء الله ثم فتح الباب عنه فإذا السوس قد وقع فيه وأخرجه ونقاه وذراه ثم جعله في البيت وأغلق عليه الباب ثم أخرجه بعد حين فوجده قد وقع فيه السوس ففعل به كما فعل مراراً حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر والأندر لا يضرها السوس شيئاً وكذلك أنتم تمحصكم الفتن حتى لا يبقى إلاّ عصابة لا يضرّها الفتن شيئاً.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: والله لتمحصنّ والله لتطيّرن يميناً وشمالاً حتى لا يبقى منكم إلا كل امرىء أخذ الله ميثاقه وكتب الإيمان في قلبه وأيّده بروح منه.

وفي رواية أخرى عنهم عليهم السلام: حتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلا الأندر فالأندر، وهذه العصابة التي تبقى على هذا الأمر وتثبت وتقيم على الحق هي التي أمرت بالصبر في حال الغيبة.

فمن ذلك ما أخبرنا به علي بن أحمد البندينجي عن عبيدالله بن موسى العلوي العباسي، عن هارون بن مسلم، عن القاسم بن عروة، عن يزيد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في معنى قوله تعالى: «يا أيُّها الَّذين

آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوّكم، ورابطوا إمامكم المنتظر.

وهذه العصابة القليلة هي التي قال أميرالمؤمنين عليه السلام لها: لا تستوحش لقلتها مما أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي قال: حدثنا أبو عبد اللّه جعفر بن عبد اللّه المحمدي من كتابه في المحرم سنة ثمان وستين ومائتين قال: حدثني يزيد بن إسحاق الأرحبي ويعرف بشعر قال: حدثنا مخول عن فرات بن أحنف عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول: أيّها الناس الإيمان أنف الهدى وعيناه، أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة من يسلكه ان الناس اجتمعوا على مائدة قليل شبعها كثير جوعها واللّه المستعان، وإنما يجمع الناس الرضا والغضب.

أيّها الناس إنما عقر ناقة صالح واحد فأصابهم اللّه بعذابه بالرضا وآية ذلك قوله عزّوجل: «فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر» وقال: «فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسوّاها ولا يخاف عقباها».

ألا ومن سئل عن قاتلي فزعم انه مؤمن فقد قتلني أيها الناس من سلك الطريق ورد الماء ومن حاد عنه وقع في التيه ثم نزل.

ورواه لنا محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن محمد بن جمهور جميعاً عن الحسن بن محمد بن جمهور عن أحمد بن نوح عن ابن عليم عن رجل، عن فرات بن أحنف قال: أخبرني من سمع أميرالمؤمنين عليه السلام وذكر مثله إلا انه قال: لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام من سلك الطريق ورد الماء ومن حاد عنه وقع في التيه بيان شاف لمن تأمّله ودليل على التمسك بنظام الأئمّة وتحذير من الوقوع في التيه بالعدول عنها والإنقطاع عن سبيلها ومن الشذوذ يميناً وشمالاً والإصغاء إلى ما يزخرفه المفتونون في دينهم من القول الذي هو كالهباء المنثور وكالسراب المضمحل كما قال اللّه عزّوجل «أَمْ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ولقد فتنّاالّذين من قبلهم فيعلمنّ اللّه الّذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين».

وكما روي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله انه قال: إياكم وجدال كل مفتون فإنه ملقن حجّته إلى انقضاء مدّته فإذا انقضت مدّته الهبته خطيئته وأحرقته.

أخبرنا بذلک عبدالواحد بن عبد اللّه بن يونس قال: حدّثنا محمد بن جعفر القرشي قال: حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال: حدثنا محمد بن سنان، عن أبي محمد الغفاري عن أبي عبد اللّه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وذكر الحديث.

وقد جمعت في هذا الكتاب ما وفق اللّه لجمعه من الأحاديث التي رواها الشيوخ عن أميرالمؤمنين والأئمّة الصادقين عليهم السلام أجمعين في الغيبة وغيرها مما سبيله أن يضاف إلى ما روى فيها بحسب ما حضر في الوقت إذ لم يحضرفي جميع ما رويته في ذلک لبعده عني وإن حفظي لم يشمل عليه والذي رواه الناس من ذلک أكثر وأعظم مما رويته ويصغر ويعتل عنه ما عندي وجعلته أبواباً صدرتها بذكر ما روى في صون سر آل محمد عليهم السلام عمّن ليس من أهله والتأدّب بآداب أولياء اللّه في ستر ما أمروا بستره عن أعداء الدين والنصاب المخالفين وسائر الفرَق من المبتدعين والشاكين والمعتزلة الدافعين لفضل أميرالمؤمنين صلوات اللّه عَليه المجيزين بتقديم المأموم على الإمام والناقص على التام خلافاً على اللّه عزّوجل «أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ انْ يتّبع أمّن لا يهدي إلاّ أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»؟.

وإعجاباً بآرائهم المضلّة وقلوبهم العمية كما قال اللّه جلّ من قائل: «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور».

وكما قال تبارك وتعالى «قل هل أنبّئكم بالأخسرين أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً»الجاحدين فضل الأئمة الطاهرين وإمامتهم عليهم السلام المحلول في صدورهم لشقائهم ما قد تمكن فيها من العناد لهم بعد وجوب الحجّة عليهم من اللّه بقوله عزّوجل «واعتصموا بحبل اللّه جميعاً ولا تفرّقوا» ومن رسوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بقوله في عترته انهم الهداة وسفينة النجاة وانهم أحد الثقلين الذين أعلمنا تخليفه إياهما علينا، والتمسک بهما بقوله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي حبل ممدود بينكم وبين اللّه طرف بيد اللّه وطرف بأيديكم ما إنْ تمسكتم به لنْ تضلّوا خذلاناً من اللّه شملهم به استخفافهم ذلک وبما كسبت أيديهم وبإيثارهم العمى على الهدى كما قال اللّه عزّوجل: «فأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدي أفرأيت من اتّخذ إلهه

هواه وأضلّه الله على علم» يريد عزّوجل على علم لعباده للحق واسترخائه إياه ورده له واستمرائه الباطل وحلوه في قلبه وقبوله له والله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وهم المعادون لشيعة الحق ومحبّي أهل الصدق المنكرون لما رواه الثقات من المؤمنين عن أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليهم السلام الرادون العايبون لهم بجهلهم وشقوتهم القائلون بما رواه أعداؤهم العاملون به الجاعلون أئمتهم أهوائهم وعقولهم وآرائهم دون من اختاره الله بعلمه حيث يقول: «ولقد اخترناهم على علم على العالمين» ونصبه واصطفاه وانتجبه وارتضاه المؤثرون الملح الأجاج على العذب الفرات فإن صون دين الله وطوى علم خيرة الله عن أعدائهم المستهزئين به أولى ما قدم وأمرهم بذلك أحق ما امتثل.

ثم عقد باباً في أواسط كتابه عنونه بما صورته:

**اباب فيما يلحق الشيعة من التمحيص والتفرق والتشتت عند الغيبة حتى لا يبقى على حقيقة الأمر إلا الأقل الذي وصفه الأئمة عليهم السلام.ا**

وروماً للإختصار ننتخب منه بعض الروايات من أمثال ما رواه:

١ـ عن يعقوب السراج وعلي بن رئاب عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: لما بويع لأمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب خطبة ذكرها يقول فيها: ألا إن بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم صلّى الله عليه وآله والذي بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وسمة ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم.

٢ـ وعن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام انه سمعه يقول: ويل لطغاة العرب من شر قد اقترب، قلت: جعلتُ فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: شيء يسير، فقلت: والله ان من يصف هذا الأمر منهم لكثير، فقال: لابدّ للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ويخرج من الغربال خلق كثير.

٣ـ وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: كونوا كالنحل في الطير ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم فو الذي نفسي بيده ما ترون ما تحبّون حتى تتفل بعضكم في

وجوه بعض وحتى يسمي بعضكم بعضاً كذابين وحتى لا يبقى منكم أو قال من شيعتي كالكحل في العين والملح في الطعام وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقاه وطيّبه ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ثم عاد إليه فإذا هو أصابه السوس فأخرجه ونقاه وطيّبه ثم أعاده إلى البيت فتركه ماشاء الله ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس فأخرجه ونقاه وطيّبه وأعاده ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً وكذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا يضرّها الفتنة شيئاً.

ثم قال قدس سره بعد الإشارة إلى بعض الروايات:

فتبينوا يا معشر الشيعة هذه الأحاديث المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام ومن بعده من الأئمة واحذروا ما حذروكم وتأملوا ما جاء عنهم تأمّلاً شافياً وتفكروا فيه تفكّراً، فلو لم يكن في التحذير شيء أبلغ من قولهم ان الرجل يصبح على شريعة من أمرنا ويمسي وقد خرج منها ويمسي على شريعة من أمرنا ويصبح وقد خرج منها، أليس هذا دليل على الخروج من نظام الإمامة وترك ما كان يعتقد منها إلى تبيان الطريق، وفي قوله: والله لتكسرن تكسر الزجاج وان الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرن تكسر الفخار، فإن الفخار ليكسر فلا يعود كما كان فضرب ذلك مثلاً لمن يكون على مذهب الإمامية فيعدل عنه إلى غيره بالفتنة التي تعرض له ثم تلحقه السعادة بنظرة من الله فتبين ظلمة ما دخل فيه وصفى ما خرج منه فيبادر قبل موته بالتوبة والرجوع إلى الحق فيتوب الله عليه ويعيده إلى حاله في الهدى كالزجاج الذي يعاد بعد تكسيره فيعود كما كان ولمن يكون علي هذا الأمر فيخرج عنه ويتم على الشقاء بأن يدركه الموت وهو على ما هو عليه غير تائب منه ولا عائد إلى الحق فيكون مثله كمثل الفخار الذي يكسر فلا يعاد إلى حاله لأنه لا توبة له بعد الموت ولا في ساعة منه، نسأل الله الثبات على ما منّ به علينا وأن يزيد في إحسانه إلينا فإنما نحن له ومنه.

## أدلّة الغيبة الكبرى

وأمّا الأدلة التي تمسك بها الشيعة الإمامية لإثبات ظاهرة الغيبة والإستدلال على صحة وقوعها مضافاً إلى النصوص الصريحة المستفيضة فبإمكاننا أن نوجزها بالأدلة التالية:

١ـ الدليل العقلي.
٢ـ الدليل الكلامي.
٣ـ الدليل التاريخي.
٤ـ الدليل العقائدي.
٥ـ الدليل العلمي.
٦ـ الدليل الحضاري.
٧ـ دليل عدم الإستحالة والإمتناع الذاتيين.
٨ـ دليل اقتضاء الضرورة والإلجاء.
٩ـ الدليل الإعجازي.

وإني وإن كنت أحبذ طرح هذه الأدلة بصياغة جديدة تمتاز بعمق في الإستعراض والتحليل وبقالب عصري يتساوق مع المستوى العام لشبيبتنا المعاصرة، إلا اني لفقد الوقت الكافي وكثرة المشاغل المختلفة اضطررت إلى الإقتصار على مجرد الإنتخاب لبعض كلمات علمائنا الأعلام على غرار ما تقدم منّا في عرض دوافع الغيبة الكبرى وبالنحو الذي يتأدى به الغرض المطلوب المتوخي من وراء الإشارة إليها وذلك بالنحو التالي:

١ـ الدليل العقلي :

ربما يتصوّر الناظر إلى هذا العنوان ان هناك دليلاً عقلياً يقوّم فكرة الغيبة ويدعم ظاهرتها فعلاً، ولكن الأمر في الحقيقة والواقع على النقيض من ذلك وهذا ما يحتاج بيانه إلى اسلوب إقناعي خاص وصياغة بارعة وقد توخى ذلك المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب الشيعة والتشيّع بأسلوبه الخاص المتميّز حيث يقول:

الدين والعقل:

أشاد الإسلام بالعقل وأحكامه، ودعا إلى تحرره من التقاليد والأوهام، ونعى على العرب وغير العرب الذين لا يفقهون ولا يعقلون، ويؤمنون بالسخافات والخرافات، وقد أنزل الله في ذلك عشرات الآيات، وتواترت به عن الرسول الأعظم الأحاديث والروايات، وأفرد له علماء المسلمين أبواباً خاصة في كتب الحديث والكلام والأصول.

**سؤال:**

وتسأل ـــ أيها القارىء ـــ هل معنى اشادة الإسلام بالعقل انه يدرك صحّة كل أصل من أصول الإسلام، وكل حكم من أحكام الشريعة، بحيث إذا حقّقنا ومحصنا أية قضية دينية في ضوء العقل لصدقها وآمن بها إيمانه بأن الإثنين أكثر من الواحد؟

**الجواب:**

كلاّ.. ولو أراد الإسلام هذا من تأييده للعقل لقضى على نفسه بنفسه، ولكان وجوده كعدمه، ولوجب أن يؤخذ الدين من العلماء والفلاسفة، لا من الأنبياء وكتب الوحي، ان للعقل دائرة، وللدين اخرى، وكل منهما يترك للآخر الحكم في دائرته واختصاصه، والإنسان بحاجة إلى الإثنين، حيث لا تتم له السعادة والنجاح إلا بهما معاً.

ان الغرض الأول الذي يهدف إليه الإسلام من الإشادة بالعقل هو أن يؤمن الإنسان بما يستقل به من أحكام، ولا يصدق شيئاً يكذبه العقل ويأباه، ان العقل لا يدرك كل شيء، وإنما يدرك شيئاً، ولا يدرك شيئاً، والذي يعلم كل شيء هو اللّه وحده، فوجود اللّه وعلمه وحكمته، وإعجاز القرآن الدال على صدق محمد في دعوته، وما إلى ذاك يدركه العقل مستقلاً، ويقدم عليه البرهان القاطع، أما وجود الملائكة والجن، والسير غداً على صراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، وشهادة الأيدي والأرجل على أصحابها، وتطاير الكتب، وسؤال منكر ونكير، ونحو ذلك ممّا لا يبلغه الإحصاء، وثبت بضرورة الدين، أما هذه فلا تفسّر بالعلم، وليس فيه للعقل حكم بالنفي أو الإثبات، ان الدين غير محصور ولا مقصور فيما يدركه العقل، بل يتعداه إلى امور غيبيّة يؤمن بوجودها كل من آمن باللّه والرسول واليوم الآخر، ولكن الدين في جميع أحكامه وتعاليمه لا يعلم الناس ما يراه العقل محالاً، أو مضراً.

وبالتالي: فليس كل ما هو حق يجب أن يثبت بطريق العقل، ولا كل ما لم يثبت بالعقل يكون باطلاً ـــ مثلاً ـــ ان مسألة المهدي المنتظر لا يمكن إثباتها بالأدلة العقلية، لا لأنها غير صحيحة، وباطلة من الأساس، بل لأنها ليست من شؤون العقل واختصاصه، ان عجز العقل عن إدراك قضية من القضايا شيء، وكونها حقاً أو باطلاً شيء آخر.

## العادة والعقل:

فرق بين ما هو ممتنع الوقوع في نفسه، بحيث لا يمكن أن يقع بحال، حتى على أيدي الأنبياء والأولياء، كاجتماع النقيضين، وجعل الواحد أكثر من إثنين، وبين ما هو ممكن الوقوع في نفسه، ولكن العادة لم تجر بوقوعه، كالأمثلة الآتية، وما كان من النوع الأول يسمى بالمحال العقلي، وما كان من النوع الثاني يسمى بالمحال العادي، وكثير من الناس يخلطون بين النوعين، ويتعذر عليهم التمييز بينهما، فيظنون ان كل ما هو محال عادة هو محال عقلاً.

وإليك الأمثلة: لقد اعتدنا أن لا نرى عودة الأموات إلى هذه الدنيا، وأن يولد الصبي، ولا يكلم الناس ساعة ولادته، وإذا جاع أحدنا لا تنزل عليه مائدة من السماء، وإذا أصابه العمى والبرص لا يشفى بدون علاج، وإذا سبح الله وحمده لا تردد الجبال والطير معه التسبيح والتحميد، وإذا أخذ الحديد بيده لا يلين له كالشمع، وإذا سمع منطق الطير لا يفهم منه شيئاً، كما يخفى عليه حديث النمل، ويعجز عن تسخير الجن في عمل المحاريب والتماثيل، ولم يشاهد إنساناً حياً منذ قرون، ولا انقلاب العصا إلى ثعبان، ولا وقوف مياه البحر كالجبال، ولا جلوس الإنسان في النار دون أن يناله أيّ أذى، فكل هذه، وما إليها لم تجر العادة بوقوعها، ولم يألف الناس مشاهدتها، لذا ظن من ظن انها مستحيلة في حكم العقل، مع انها ممكنة عقلاً، بعيدة عادة، بل وقعت بالفعل.

فلقد أخبر القرآن الكريم بصراحة لا تقبل التأويل ان السيّد المسيح كلم الناس، وهو في المهد، وأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وأنزل مائدة من السماء وانه مازال حيّاً، وسيبقى حيّاً إلى يوم يبعثون، وان النار كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، وان عصا موسى صارت ثعباناً، وان الحديد لان لداود، وسبح معه الطيروالجبال، وان سليمان استخدم الجانّ، وعرف لغة الطيور والنمل.

ان هذه الخوارق محال بحسب العادة، جائزة في نظر العقل، ولو كانت محالاً في نفسها لامتنع وقوعها للأنبياء وغير الأنبياء، فكذلك بقاء المهدي حيّاً ألف سنة أو ألوف السنين واختفاؤه عن الأنظار ــ كما يقول الإمامية ــ بعيد عادة، جائز عقلاً، واقع ديناً بشهادة الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فمن أنكر إمكان وجود المهدي محتجاً بأنه محال في نظر العقل يلزمه أن ينكر هذه

الخوارق التي ذكرها القرآن، وآمن بها كل مسلم، ومن اعترف بها يلزمه الإعتراف بإمكان وجود المهدي، والتفكيك تحكم وعناد، إذ لا فرق في نظر العقل بين بقاء المهدي حياً ألوف السنين، وهذه الخوارق من حيث الإمكان وجواز الوقوع، ما دام الجميع من سنخ واحد.

## أحاديث المهدي:

ألّف علماء الإمامية كتباً خاصة في المهدي، منهم محمد بن إبراهيم النعماني، والصدوق، والشيخ الطوسي، والمجلسي الذي خصّص له المجلّد الثالث عشر من بحاره، وذكر هؤلاء العلماء وغيرهم كل ما يتصل بالمهدي من الأحاديث النبوية، بخاصة ما جاء في كتب السنّة، وبصورة أخص الصحاح الستّة، وقد استقصاها السيد محسن الأمين في القسم الثالث من الجزء الرابع من «أعيان الشيعة» طبعة سنة ١٩٥٤، ورغم ثقتي بهؤلاء الأعلام، ويقيني بصدقهم عما ينقلونه عن غيرهم فإني تتبعت بنفسي ما تيسر لي مراجعته من كتب السنّة، خشية الإشتباه بالنقل، أو في فهم الحديث وقبوله للتأويل، ولأن القدامى وأكثر الجدد من علمائنا ينقلون عن الكتاب الذي يبلغ المجلدات دون أن يشيروا إلى رقم الصفحة، ولا تاريخ الطبع، حتى ولا اسم المجلد، وربما اكتفوا بالقول «جاء في كتب السنّة أو قال السنّة».

وأكتفي هنا بنقل ما جاء في ثلاثة كتب من الصحاح الستّة لأن لفظ أحاديثها هو بالذات لفظ الأحاديث المروية في كتب الإمامية.

قال إبن ماجة في سننه ج٢ طبعة سنة١٩٥٣ الحديث رقم٤٠٨٢:

«قال رسول الله: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وانّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً شديداً، وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينتصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه، حتى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً، كما ملئت جوراً».

والحديث رقم ٤٠٨٣:

«قال رسول الله: يكون في امتّي المهدي، ان قصر فسبع، وإلا فتسع، تنعم فيه امتّي نعمة لم تنعم مثلها قط، تأتي أكلها، ولا تدخر منه شيئاً، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل يقول:

«يا مهدي أعطني. فيقول: خذ».

والحديث رقم ٤٠٨٥: «المهدي منّا أهل البيت».

والحديث رقم٤٠٨٦: «المهدي من وُلد فاطمة».

والحديث رقم٤٠٨٧: «نحن بني عبدالمطلب سادة أهل الجنّة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي».

وقال أبو داود السجستاني في سننه ج٢ طبعة سنة ١٩٥٢ ص٤٢٢ وما بعدها:

«قال رسول الله: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يواطىء إسمه إسمي، وإسم أبيه إسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

وفي حديث آخر: «المهدي منّي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين».

وجاء في صحيح الترمذي ج٩ طبعة سنة١٩٣٤ ص ٧٤:

«قال رسول الله: لا تذهب الدنيا، حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء إسمه إسمي».

وفي ص ٧٥: «قال رسول الله: يلي رجل من أهل بيتي يواطىء إسمه إسمي، ولو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتّى يلي».

وجاء في كتاب «كنوز الحقائق» للإمام المناوي المطبوع مع كتاب «الفتح المبين» سنة ١٣١٧هـ ص٣: «أبشري يا فاطمة المهدي منك».

هذا المهدي الذي أثبته الإمام المناوي وصحاح السنّة، وكثير من مؤلفاتهم هو بالذات المهدي المنتظر الذي قالت به الإمامية، فإذا كان المهدي خرافة وأسطورة فالسبب الأول والأخير لهذه الأسطورة هو رسول الله. تعالى الله ورسوله علواً كبيراً حتى لفظ «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»، حتى هذه الجملة التي عابوها على الإمامية، فإن يك من ذنب فالنبي هو المسؤول، حاشا الله والرسول.

ان الذين يسخرون من فكرة المهدي إنما يسخرون من الإسلام، ونبي الإسلام، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وينطبق عليهم الحديث الذي نقله صاحب الأعيان في الجزء الرابع عن «فرائد السمطين» لمحمد بن إبراهيم الحموني

الشافعي عن النبي: «من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمّد».

قال بعض المؤلفين: «إخترع الشيعة فكرة المهدي لكثرة ما لاقوه وعانوه من العسف والجور، فسلوا أنفسهم، ومنوها بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً، وينصفهم من الظالمين والمجرمين».

ولو كان هذا القائل على شيء من العلم بسنة الرسول لما قال هذا، لقد تخيل أشياء لا أصل لها ولا أساس، ثم أعلنها على انها عين الحق والواقع، ولست أعرف أحداً أجهل وأجرأ على الباطل ممن يكتب في موضوع ديني، وقبل أن يبحث وينقب عن أقوال العلماء وآرائهم، ان العلم هو معرفة الشيء عن دليله، أما القول بالظن والتخرص، كما فعل الذين أنكروا وجود المهدي فجهالة وضلالة.

وبالتالي، فإن الإمامية لو لا هذه الأحاديث التي أوردها أصحاب الصحاح لكانوا في غنى عن القول بالمهدي، وبكل ما يتصل به من قريب أو بعيد، ولكن ما العمل، وهم يتلون قوله تعالى «ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».

وبكلمة لقد أخبر النبي بالمهدي فوجب التصديق به، تماماً كما وجب التصديق بمن سبق من الأنبياء، لأن القرآن الكريم أخبرعنهم.

وربّ قائل: ان الأحاديث النبوية التي نقلتها عن صحاح السنة إنما دلت على خروج المهدي في آخر الزمان، دون أن تتعرض من قريب أو بعيد إلى وقت ولادته، كما قال الإمامية.

**الجواب:**

ان القول بخروج المهدي وولادته، وكل ما يتصل به لا مستند له إلاّ الأحاديث النبوية، غاية الأمر ان خروجه في آخر الزمان ثبت بطريق السنة والإمامية، أما ولادته فقد ثبتت بطريق الإمامية فقط، وليس من الضروري لأن يؤمن المسلم بشيء أن يثبت بطريق الفريقين، وإنما الواجب أن يؤمن بما يثبت عنده، على شريطة أن لا يناهض إيمانه حكم العقل ويصادمه، وقد بيّنا انّ بقاء المهدي حياً تماماً كالخوارق التي حدثت لإبراهيم وداود مع حكم العقل بالإمكان، لأنها قد حدثت بالفعل، والدالّ على الوقوع دالّ على الإمكان بالضرورة.

هذا، وان جماعة من كبار علماء السنة قالوا بمقالة الإمامية، وآمنوا بأن المهدي قد وُلد، وانه ما زال حياً، وقد ذكر السيد الأمين أسماءهم في الجزء الرابع

من الأعيان، ونقل الثناء على علمهم والثقة بدينهم عن كثير من المصادر المعتبرة عند السنة، وهم:

١ـ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول».

٢ـ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، في كتابيه «البيان في أخبار صاحب الزمان»، و «كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب».

٣ـ علي بن محمد الصباغ المالكي في كتابه «الفصول المهمّة».

٤ـ أبو المظفر يوسف البغدادي الحنفي المعروف بسبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».

٥ـ محيي الدين بن العربي الشهير في كتابه «الفتوحات المكيّة».

٦ـ عبدالرحمان بن أحمد الدشتي الحنفي.

٧ـ عبدالوهاب الشعراني في كتاب «عقائد الأكابر».

٨ـ عطاء اللّه بن غياث الدين في كتابه «روضة الأحباب في سيرة النبي والآل والأصحاب».

٩ـ محمد بن محمد البخاري المعروف بخواجة بارسا الحنفي في كتابه «فصل الخطاب».

١٠ـ العارف عبدالرحمان في كتابه «مرآة الأسرار».

١١ـ الشيخ حسن العراقي.

١٢ـ أحمد بن إبراهيم البلاذري في «الحديث المتسلسل».

١٣ـ عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن الخشاب في كتابه «تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم».

هذي هي مسألة المهدي المنتظر عرضناها على العقل فلم ينكرها، وعلى القرآن الكريم فوجدنا لها أشباهاً ونظائر، وعلى سنّة الرسول فكانت هي المصدر الأول، وعلى علماء السنّة فألفيناهم مجمعين عليها، ومنهم هؤلاء الذين قالوا: انه ولد، وانه حيّ إلى أن يأذن اللّه، فأين مكان الغرابة والخرافة في قول الإمامية؟!(٤٠).

## ٣ـ الدليل الكلامي:

وأهمّ ما أشار إليه متكلّموا الإمامية أمران: اقتضاء قاعدة اللطف واقتضاء مبدأ العصمة.

فأما الأول: فقد أشار إليه كافة متكلّميهم إلا اننا نقتصر على الإشارة إلى كلام اثنين منهم أولهما العلاّمة الشيخ زين العابدين علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (قده) في كتاب الصراط المستقيم حيث يقول:

ان الإمامة لطف عقليّ في التكليف واجب في الحكمة على الخبير اللطيف، وقد علم موت آباء المهدي عليهم السلام فلو لا وجوده لخلا الزمان عن اللطف الذي هو الإمام، وقد جرت عادة الملك الديّان بنصب الأنبياء والأوصياء في جميع الأزمان(٤١).

وثانيهما: العلاّمة السيد محسن الأمين طاب ثراه في أعيان الشيعة حيث يقول:

أما الدليل العقلي (على وجوده وحياته وغيبته) فهو حكم العقل بوجوب اللطف على الله تعالى وهو فعل ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ويوجب إزاحة العلّة وقطع المعذرة بدون أن يصل إلى حد الإجبار لئلاً يكون لله على الناس حجّة وتكون له الحجّة البالغة، فالعقل حاكم بوجوب إرسال الرسل وبعثة الأنبياء ليبينوا للناس ما أراد الله منهم من التكاليف المقربة من الخير والمبعدة عن الشر ويحكموا بينهم بالعدل وأن يكونوا معصومين من الذنوب منزهين عن القبائح والعيوب لتقبل أقوالهم ويؤمن منهم الكذب والتحريف وكما يجب إرسال الرسل من قبل الله تعالى يجب نصب أوصياء لهم يقومون مقامهم في حفظ الشريعة وتأديتها إلى الناس ونفي التحريف والتبديل عنها والحكم بين الناس بالعدل وإنصاف المظلوم من الظالم ويجب عصمتهم عما عصم منه الأنبياء للدليل الذي دلّ على عصمة الأنبياء بعينه ولقوله تعالى خطاباً لإبراهيم عليه السلام: إنّي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين، وغير المعصوم تجوز عليه المعصية فيكون ظالماً لنفسه.

(ويجب) أن يكون نصبهم من الله تعالى لا من الناس لإن العصمة لا يطلع عليها إلا الله تعالى ولإن إيكال ذلك إلى الناس مؤد إلى الهرج والمرج ووقع النزاع

والإختلاف وحصول الفساد فوجب القول بوجود إمام معصوم في كل زمان منصوب من قبل الله تعالى.

وقد أجمع المسلمون على أن من عدا الأئمة الإثني عشر ليسوا بهذه الصفات فوجب القول بأن أصحاب هذه الصفات هم الأئمة الإثنا عشر وإلا لزم خلو العصر من إمام معصوم وقد ثبت بطلانه.

«قال» الشيخ المفيد عليه الرحمة في الإرشاد: ومن الدلائل على إمامة القائم بالحق ابن الحسن عليهما السلام ما يقتضيه العقل بالإستدلال الصحيح من وجود إمام معصوم كامل غني عن رعاياه في الأحكام والعلوم في كل زمان لإستحالة خلو المكلفين من سلطان يكونون بوجوده أقرب إلى الصلاح وأبعد من الفساد وحاجة الكل من ذوي النقصان إلى مؤدب للجناة مقوم للعصاة رادع للغواة معلم للجهال منبه للغافلين محذر للضلال مقيم للحدود منفذ للأحكام فاصل بين أهل الإختلاف ناصب للأمراء ساد للثغور حافظ للأموال حام عن بيضة الإسلام جامع للناس في الجمعات والأعياد وقيام الأدلة على انه معصوم من الزلات لغناه بالإتفاق عن إمام، واقتضى ذلك له بالعصمة بلا إرتياب ووجوب النص على من هذه سبيله من الأنام أو ظهور المعجز عليه لتمييزه ممّن سواه وعدم هذه الصفات من كل أحد سوى من أثبت إمامته أصحاب الحسن بن علي وهو إبنه المهدي وهذا أصل لا يحتاج معه في الإمامة إلى رواية النصوص لقيامه بنفسه في قضية العقول وصحته بثابت الإستدلال ثم جاءت روايات في النص على ابن الحسن عليه السلام من طرق تنقطع بها الأعذار(٤٢).

**وأما الثاني:** وهو اقتضاء مبدأ العصمة فأمره كذلك إلا اننا نقتصر في النقل على ما أفاده العلاّمة السيّد محسن الأمين (ره) أيضاً في كتابه المشار إليه آنفاً حيث يقول:

بعد ما ثبت بالأدلة القاطعة التي تقدمت الإشارة إلى بعضها وجوب نصب الإمام وإنحصار الأئمة في الإثني عشر ومنهم صاحب الزمان عليه السلام ورأيناه غائباً عن الأبصار علمنا أنه لم يغب مع عصمته إلا لسبب اقتضى ذلك وضرورة قادت إليه ولا يلزمنا معرفة ذلك على التفصيل وجرى ذلك مجرى ما لا نعلم بمراد الله فيه من الآيات المتشابهة في القرآن التي ظاهرها الجبر أو التشبيه مثل الرحمن على

العرش استوى وجاء ربك وأمثال ذلك، فإذا علمنا باستحالة الجبر والجسمية عليه تعالى وعلمنا أنه لا يجوز أن يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات علمنا أن لهذه الآيات وجوهاً صحيحة بخلاف ظواهرها توافق أدلة العقل وإن لم نعلمها تفصيلاً.

(وكذلك) ما غاب عنّا وجه المصلحة فيه من إيلام الأطفال والطواف بالبيت ورمي الجمار وما أشبه ذلك من العبادات، فإذا علمنا أنه تعالى لا يفعل قبيحاً ولا يأمر بالعبث فلابدّ من مصلحة في ذلك وإن جهلنا تفصيلها مع أن السبب في الغيبة ظاهر وهو الخوف على النفس ولو كان على ما دون النفس لوجب الظهور والتحمّل.

**فإن قيل:** الأئمة قبله كانوا يخافون على أنفسهم وبعضهم قتل غيلة بالسم وبعضهم بالسيف وقد أظهروا أنفسهم وكثير من الأنبياء أظهروا دعوتهم وإن أدّت إلى قتلهم؟

**قلنا:** يمكن أن يكون الفارق أنّ غيره من الأئمة عليهم السلام لهم من يقوم مقامهم وهو ليس بعده إمام يقوم مقامه وكذلك الأنبياء وإن خوفه كان أكثر لإخبار آبائه عليهم السلام بأن صاحب السيف من الأئمة الذي يملأ الأرض عدلاً هو الثاني عشر وشاع ذلك عنهم حتى بين أعدائهم فكان الملوك يتوقفون عن قتل آبائه لعلمهم أنهم لا يخرجون بالسيف، ويتشوفون إلى حصول الثاني عشر ليقتلوه.

ألا ترى أنه لما توفي الحسن العسكري عليه السلام وكّل السلطان بحرمه وجواريه من يتفقد حملهن ليقتل ولده كما فعل فرعون ونمرود لما علما أنّ زوال ملكهما على يد موسى وإبراهيم عليهما السلام فوكّلا من يتفقد الحبالى ويقتل الأطفال وفرقا بين النساء والأزواج فستر الله ولادتهما كما ستر ولادة المهدي لما علم في ذلك من الحكمة والتدبير مع أن حكمة الله في ذلك لا تجب معرفتها على التفصيل كما قدمنا.

ويجوز اختلاف تكليفه مع تكاليفهم لاختلاف المصالح باختلاف الأزمان، كما كان تكليف أمير المؤمنين مرة السكوت ومرة الجهاد بالسيف، وتكليف الحسن الصلح، وتكليف الحسين الخروج، وتكليف باقي الأئمة السكوت والتقية صلوات الله عليهم أجمعين.

## ٣ـ الدليل التاريخي:

والذي يمكن أن يستدل به تاريخياً على تصحيح الغيبة الكبرى ونفي الغرابة

والإستبعاد في وقوعها أمور متعدّدة نشير إليها من خلال التطرق لثلاث ظواهر تاريخية يكمل كل واحد منها الآخر ويساهم في صنع وصياغة دليلنا التاريخي الذي نحن بصدد عرضه والإستدلال به.

## (الظاهرة الأولى)

وهي عبارة عن قضية إخفائه منذ الوهلة الأولي لمجيئه في هذه الدنيا وما صدر من والده الإمام العسكري عليه السلام من شدة التوقي والحذر من كشف أمره للملأ وعامة الناس.

فهل يفتقد التاريخ إلى وجود نظير لمثل هذه الحالة السلوكية بحيث تتقزز منها الطبائع وتشمئز منها النفوس وتأنف منها العقول؟

وللجواب عن ذلك ننقل ما أفاده الشيخ المفيد قدس الله نفسه الزكية حيث قال في الفصل الأول من فصول كتابه (الفصول العشرة في الغيبة):

ان استتار ولادة المهدي بن الحسن بن علي عليهم السلام عن جمهور أهله وغيرهم وخفاء ذلك واستمرار استتاره عنهم ليس بخارج عن العرف ولا مخالفاً لحكم العادات بل العلم محيط بتمام مثله في أولاد الملوك والسوقة لأسباب تقتضيه لا شبهة فيها على العقلاء.

فمنها: أن يكون للإنسان ولد من جارية قد استتر تملكها من زوجته وأهله فتحمل منه فيخفي ذلك عن كل من يشفق منه أن يذكره ويستره عمن لا يأمن إذاعة الخبر به لئلا يفسد الأمر عليه مع زوجته بأهلها وأنصارها ويتم الفساد به ويترتب ضرر عليه يضعف عن دفاعه عنه وينشأ الولد وليس أحد من أهل الرجل وبني عمّه وإخوانه وأصدقائه يعرفه يمر على ذلك إلى أن يزول خوفه من الإخبار عنه فيعرف به إذ ذاك وربما تم ذلك إلى أن يحضره وفاته فيعرّف به عند حضورها تحرّجاً من تضيع نسبه وإيثاراً لوصوله إلى مستحقه من ميراثه، وقد يولد للملك ولد لا يؤذن به حتى ينشأ ويترعرع فإن رآه على الصورة التي تعجبه.. وقد ذكر الناس ذلك عن جماعة من ملوك الفرس والروم والهند في الدوليين معاً فسطروا أخبارهم في ذلك وأثبتوا قصة كيخسرو أو ابن سياوخش وكيقاوس ملك الفرس الذي جمع ملك بابل والمشرق وما كان من ستر أمه حملها وإخفاء ولادتها للكيخسرو أو أمه هذه المسماة بوسفافريد بنت افراسياب ملك الترك فخفى أمره مع الجد كان من كيقاوس جده

الملك الأعظم في البحث عن أمره والطلب له فلم يظفر بذلك حيناً طويلاً والخبر بأمره مشهور، وسبب ستره وإخفاء شخصه معروف قد ذكره علماء الفرس وأثبته محمد بن جرير الطبري في كتابه التاريخ وهو نظير لما أنكره الخصوم في خفاء أمر ولد الحسن بن علي عليهما السلام واستتار شخصه ووجوده وولادته بل ذلك أعجب.

ومن الناس من يستر ولده عن أهله مخافة شنعتهم في حقه وطمعهم في ميراثه ما لم يكن له ولد فلا يزال مستوراً حتى يتمكن من إظهاره على أمان منه عليه ممّن سميناه.

ومنهم من يستر ذلك ليرغب في العقد له من لا يؤثر مناكحة صاحب الولد من الناس فيتم له في ستر ولده وإخفاء شخصه وأمره والتظاهر بأنه لم يتعرض بنكاح من قبل ولا له ولد من حرة ولا أمة وقد شاهدنا من فعل ذلك الخبر عن النساء به أظهر من الرجال.

واشتهر من الملوك من ستر ولده وأخفى شخصه من رعيته لضرب من التدبير في إقامة خليفة له وامتحان جنده بذلك في طاعته إذ كانوا يرون انه لا يجوز في التدبير استخلاف من ليس له بنسب مع وجود ولده ثم يظهر بعد ذلك أمر الولد عند التمكن من إظهاره برضى القوم وصرف الأمر عن الولد إلى غيره أو لعزل مستخلف عن المقام على وجه ينتظم للملك أمور لم يكن يتمكن من التدبير الذي كان منه على ما شرحناه وغير ذلك مما يكثر تعداده من أسباب ستر الأولاد وإظهار موتهم واستتار الملوك أنفسهم والارجاف بوفاتهم وامتحان رعاياهم بذلك واغراض لهم معروفة قد جرت من المسلمين بالعمل عليها العادات وكم وجدنا من نسب ثبت بعد موت أبيه بدهر طويل ولم يكن أحد من الخلق يعرفه بذلك حتى شهد له بذلك رجلان مسلمان وذلك لداع دعا الأب إلى ستر ولادته عن كل أحد من قريب وبعيد إلا من شهد به من بعد عليه بإقراره به على الستر لذلك والوصية بكتمانه أو بالفراش الموجب لحكم الشريعة الحاق الولد بوالده إنتهى.

أقول: ومما يناسب إيراده هنا ما روي عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري حيث قال:

دخلت على أبي محمد عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده.

فقال لي مبتدئاً: يا أحمد ابن إسحاق ان الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه به يدفع البلاء عن أهل الأرض وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض.

قال: فقلت: يابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء ثلاث سنين، قال: يا أحمد بن إسحاق لو لا كرامتك على الله عزّوجل وعلى حججه ما عرضت عليك إبني هذا، إنه سمي رسول الله صلّى الله عليه وآله وكنيه الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر، ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبنّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبته الله عزّوجل على القول بإمامته ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه.

فقال أحمد بن إسحاق: فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟

فنطق الغلام عليه السلام بلسان عربي فصيح وقال: أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه ولا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق.

قال: فخرجت مسروراً فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه فقلت: يابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننت به علي فما السنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين؟

قال: طول الغيبة يا أحمد.

قلت: يابن رسول الله وإن غيبته لتطول؟

قال: إي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلا من أخذ الله عزّوجل عهده لولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيّده بروح منه.

يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من الله وسرّ من سر الله وغيب من غيب الله فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا في علّيين.

## (الظاهرة الثانية)

وهي عبارة عن طول فترة الإستتار وتمادي مدتها الزمنية عن الحد المتعارف عليه في الإختفاء والتوقي ولدفع ما يتوهم من الأستبعاد والغرابة عقد رئيس

المحدثين الشيخ الصدوق الأبواب الأولى إلى الباب الثامن من كتابه كمال الدين وتمام النعمة للتحدّث عن الغيبات التي غاب فيها جمع من الأنبياء والأوصياء والحجج إلى أيام المسيح عليه السلام، فإن أردت الوقوف عليها فارجع إلى ذلك الكتاب، وأما ما نقتصر عليه من كلام الشيخ الصدوق ثمة فهو قوله في أوائل كتابه حيث ذكر ما نصه:

«إنَّ الغَيْبةالّتي وقعت لصاحب زماننا عليه السلام قد لزمت حكمتها وبان حقّها وفلجت حجّتها للّذي شاهدناه وعرفناه من آثار حكمة اللّه عزّوجلّ واستقامة تدبيره في حججه المتقدّمة في الأعصار السالفة مع أئمّة الضلال وتظاهر الطواغيت واستعلاء الفراعنة في الحقب الخالية وما نحن بسبيله في زماننا هذا من تظاهر أئمّة الكفر بمعونة أهل الإفك والعدوان والبهتان.

وذلك أنَّ خصومنا طالبونا بوجود صاحب زماننا عليه السلام كوجود من تقدّمه من الأئمّة عليهم السلام فقالوا: إنّه قد مضى على قولكم من عصر وفاة نبيّنا عليه السلام أحد عشر إماماً كلٌّ منهم كان موجوداً معروفاً باسمه وشخصه بين الخاصّ والعام، فإن لم يوجد كذلك فقد فسد عليكم أمر من تقدَّم من أئمّتكم كفساد أمر صاحب زمانكم هذا في عدمه وتعذّر وجوده.

فأقول ـــ وباللّه التوفيق ـــ : إنَّ خصومنا قد جهلوا آثار حكمة اللّه تعالى وأغفلوا مواقع الحقّ ومناهج السبيل في مقامات حجج اللّه تعالى مع أئمّة الضلال في دول الباطل في كلّ عصر وزمان، إذ قد ثبت أنَّ ظهور حجج اللّه تعالى في مقاماتهم في دول الباطل على سبيل الإمكان والتدبير لأهل الزمان، فإن كانت الحال ممكنة في استقامة تدبير الأولياء لوجود الحجّة بين الخاصِّ والعام كان ظهور الحجّة كذلك، وإن كانت الحال غير ممكنة من استقامة تدبير الأولياء لوجود الحجّة بين الخاصّ والعام وكان استتاره ممّا توجبه الحكمة ويقتضيه التدبير حَجَبه اللّه تعالى وستره إلى وقت بلوغ الكتاب أجله، كما قد وجدنا من ذلك في حجج اللّه المتقدّمة من عصر وفاة آدم عليه السلام إلى حين زماننا هذا منهم المستخفون ومنهم المتسعلنون، بذلك جاءت الآثار ونطق الكتاب.

فمن ذلك ما حدّثنا به أبي ـــ رحمه اللّه ـــ قال: حدَّثنا سعد بن عبد اللّه قال: حدَّثنا أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن إسحاق

بن جرير، عن عبدالحميد بن أبي الديلم قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: يا عبد الحميد إنّ للّه رسلاً مستعلنين ورسلاً مستخفين، فإذا سألته بحقّ المستعلنين فسله بحقّ المستخفين.

وتصديق ذلك من الكتاب قوله تعالى: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم اللّه موسى تكليماً﴾ فكانت حجج اللّه تعالى كذلك من وقت وفاة آدم عليه السلام إلى وقت ظهور إبراهيم عليه السلام أوصياء مستعلنين ومستخفين، فلمّا كان وقت كون إبراهيم عليه السلام ستر اللّه شخصه وأخفى ولادته، لأنّ الإمكان في ظهور الحجّة كان متعذّراً في زمانه، وكان إبراهيم عليه السلام في سلطان نمرود مستتراً لأمره وكان غير مظهر نفسه، ونمرود يقتل أولاد رعيّته وأهل مملكته في طلبه إلى أن دلّهم إبراهيم عليه السلام على نفسه، وأظهر لهم أمره بعد أن بلغت الغيبة أمدها ووجب إظهار ما أظهره للّذي أراده اللّه في إثبات حجّته وإكمال دينه، فلمّا كان وقت وفاة إبراهيم عليه السلام كان له أوصياء حججاً للّه عزّوجلّ في أرضه يتوارثون الوصيّة كذلك مستعلنين ومستخفين إلى وقت كون موسى عليه السلام فكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل في طلب موسى عليه السلام الّذي قد شاع من ذكره وخبر كونه، فستر اللّه ولادته، ثمّ قذفت به أمّه في اليمّ كما أخبر اللّه عزّوجلّ في كتابه ﴿فالتقطه آل فرعون﴾.

وكان موسى عليه السلام في حجر فرعون يربّيه وهو لا يعرفه، وفرعون يقتل أولاد بني إسرائيل في طلبه، ثمّ كان من أمره بعد أن أظهر دعوته ودلّهم على نفسه ما قد قصّه اللّه عزّوجلّ في كتابه، فلمّا كان وقت وفاة موسى عليه السلام كان له أوصياء حججاً للّه كذلك مستعلنين ومستخفين إلى وقت ظهور عيسى عليه السلام.

فظهر عيسى عليه السلام في ولادته، معلناً لدلائله، مظهراً لشخصه، شاهراً لبراهينه، غير مخف لنفسه، لأنّ زمانه كان زمان إمكان ظهور الحجّة كذلك.

ثمّ كان له من بعده أوصياء حججاً للّه عزّوجلّ كذلك مستعلنين ومستخفين إلى وقت ظهور نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله فقال اللّه عزّوجلّ له في الكتاب: ﴿ما يقال لك إلاّ ما قد قيل للرّسل من قبلك﴾ ثمّ قال عزّوجلّ: ﴿سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾.

فكان ممّا قيل له ولزم من سنّته على إيجاب سنن من تقدّمه من الرسل إقامة

الأوصياء له كإقامة من تقدّمه لأوصيائهم، فأقام رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصياء كذلك وأخبر بكون المهديّ خاتم الأئمّة عليهم السلام، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، نقلت الأمّة ذلك بأجمعها عنه.

وأنّ عيسى عليه السلام ينزل في وقت ظهوره فيصلّي خلفه، فحفظت ولادات الأوصياء ومقاماتهم في مقام بعد مقام إلى وقت ولادة صاحب زماننا عليه السلام المنتظر للقسط والعدل، كما أوجبت الحكمة باستقامة التدبير غيبة من ذكرنا من الحجج المتقدّمة بالوجود.

وذلك أنّ المعروف المتسالم بين الخاصّ والعام من أهل هذه الملّة أنّ الحسن بن عليّ والد صاحب زماننا عليهما السلام قد كان وكّل به طاغية زمانه إلى وقت وفاته، فلمّا توفّي عليه السلام وكّل بحاشيته وأهله وحبست جواريه وطلب مولوده هذا أشدّ الطلب وكان أحد المتولّيين عليه عمّه جعفر أخو الحسن بن عليّ بما ادّعاه لنفسه من الإمامة ورجا أن يتمّ له ذلك بوجود ابن أخيه صاحب الزمان عليه السلام فجرت السنّة في غيبته بما جرى من سنن غيبة من ذكرنا من الحجج المتقدّمة، ولزم من حكمة غيبته عليه السلام ما لزم من حكمة غيبتهم».

## (الظاهرة الثالثة)

وهي عبارة عن مسألة طول عمره وزيادته على الحدّ المتعارف عليه في بقاء أفراد الإنسان في هذه الحياة وهذا بالذات هو الذي أفرد له كثير من محقّقي الإمامية الأبواب المختلفة في جملة من مصنّفاتهم وأطنبوا في الإستدلال على إمكانية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام وذلك بالإشارة إلى وجود النظائر التاريخية العديدة التي تضمنت طول الأعمار بما يزيد على القدر الغالب في جريان العادة في الأجسام والعوارض والحياة ولنعم ما قال في ذلك العلاّمة السيد محسن الأمين (قده) في أعيان الشيعة حيث أورد ما نصه:

نص القرآن العظيم على مثله في نوح وأنه لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، ونقل أنه عاش ألفاً وثلاثمائة سنة.

(وفي رواية) عن أنس بن مالك عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه عاش ألفاً وأربعمائة وخمسين سنة.

وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة، كما هو مذكور في التوراة.

وعاش شيث تسعمائة وإثنتي عشرة سنة.

وجاءت الروايات ببقاء الخضر إلى الآن.

(قال) الطبرسي في اعلام الورى: أجمعت الشيعة وأصحاب الحديث بل الأمّة بأسرها خلا المعتزلة والخوارج على أن الخضر موجود في هذا الزمان حيّ كامل العقل ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب، إنتهى.

وكذلك إلياس وإدريس، ونص القرآن الكريم على بقاء عيسى ورفعه إلى السماء، وجاءت الروايات المتفق عليها بين الفريقين على أنه ينزل عند خروج المهدي ويصلّي خلفه فكيف جاز بقاء المأموم طول هذه المدّة وحياته وامتنع بقاء الإمام.

هذا مع ما صح عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمّة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

وجاءت روايات الفريقين بحياة الدجّال وهو كافر معاند مضلّ وبقائه إلى خروج المهدي فيقتله المهدي، فكيف امتنع في وليّ الله ما وقع مع عدوّ الله ونسب معتقده إلى الجهل وسخافة العقل؟

ونصّ الكتاب العزيز على بقاء إبليس إلى يوم القيامة، وهو غاو مضلّ.

وقد صنف أبو حاتم السجستاني كتاباً خاصاً بالمعمرين.

وقد نص القرآن الكريم على بقاء أهل الكهف أحياء وهم نيام وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، فلبثوا في رقدتهم الأولى ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، كما نطق به القرآن العظيم، فأيّما أعجب وأغرب وأبعد بقاء رجل يأكل ويشرب ويمشي وينام ويستيقظ ويتنظف مدة طويلة أم بقاء أشخاص نيام في مكان واحد لا يأكلون ولا يشربون ولا يتنظفون.

وقد نص القرآن الكريم على إماتة عزير مائة عام ثم إحيائه وطعامه لم يتسنّه ولم يتغيّر وحماره معه فأيّهما أعجب هذا أم بقاء المهدي؟

وقد نص الكتاب العزيز على بقاء أهل الجنّة والنار.

وجاءت الأخبار بلا خلاف بأنّ أهل الجنّة لا يهرمون ولا يضعفون ولا يحدث بهم نقصان في الأنفس والحواس.

ومن أراد إستقصاء أخبار المعمرين فليرجع إلى كتابنا البرهان على وجود

صاحب الزمان.

وقد شاهدنا في زماننا بقاء الأجسام بعد الموت محفوظة بالأدوية ألوفاً من السنين في الملك الذي أخرج من صيدا وهو في تابوت مغموراً بالماء لم يفقد من جسمه شيء، ونقل بتابوته إلى القسطنطينية في عهد السلطان عبد الحميد العثماني وتاريخه قبل المسيح عليه السلام.

وشاهدنا في مصر أجسام الفراعنة محنطة باقية من عهد موسى عليه السلام أو قبله بأكفانها والتماسيح المحنطة والمعزى والحنطة والخبز وغير ذلك، وبهذه السنين استخرج في مصر أحد الفراعنة المسمّى (توت عنخ امون) وجسمه لم يبل ومائدته أمامه عليها الفواكه فإذا جاز على الله تعالى أن يلهم عباده معرفة الأدوية الحافظة لأجسام الموتى والحيوانات وغيرها ألوفاً من السنين أما يجوز عليه أن يطول عمر شخص ويبقيه حياً زماناً طويلاً؟.

(وقد) ضرب السيد ابن طاووس رحمه الله في كتاب كشف المحجة مثلاً لرفع استبعاد بقاء المهدي حياً بين الناس مدّة طويلة وهم لا يعرفونه حين حصلت بينه وبين بعض علماء بغداد من أهل السنّة مناظرة في ذلك (فقال) لو أنّ رجلاً حضر إلى بغداد وادعى أنه يستطيع المشي على الماء وضرب لذلك موعداً أترى أن أحداً من أهل بغداد كان يتخلف عن ذلك الموعد لاشك أنه لا يتخلف أحد أو يتخلف النادر، ثم إذا حضر في اليوم المعيّن ومشى على الماء وقال إنه في اليوم الثاني يريد أن يفعل مثل ذلك أفكان يحضر من الناس مثل ما حضر في اليوم الأول لا شك أن الحاضرين يكونون أقل من اليوم الأول بكثير، وإذا قال إنه في اليوم الثالث يريد أن يفعل مثل ذلك فلا شك أنه لا يحضره أحد أو يحضره النادر، وإذا تكرر ذلك منه كثيراً لا ينظر إليه أحد ولا يستغرب منه ذلك فكذلك المهدي عليه السلام لما كان بقاء مثله زمناً طويلاً قليل يستغربه الناس ولو نظروا إلى تكرر وقوعه في الأعصار السابقة يرتفع الإستغراب.

(وأقول) انه في زماننا ونحن بدمشق جاء خبر بأن طيارة عثمانية تريد المجيء إلى دمشق ولم تكن الناس رأت الطائرات فلم يبق بدمشق أحد إلا خرج للنظر إليها فلما جاءت ثانياً وثالثاً قل المتفرجون إلى أن صارت الطائرات اليوم بمنزلة الطيور لا ينظر إليها أحد ولا يستغرب أمرها.

أقول: وقد أحصى المحقق الشيخ محمد رضا الطبسي (ره) في كتابه (الشيعة والرجعة) في المجلد الأول اثنتا عشرة طبقة أدرج في كل واحدة منها المعمرين مخصصاً (**الطبقة الأولى) بمن تجاوز المائة ولم يتعدى المائتين.**

**و (الطبقة الثانية) بمن بلغ المائتين ولم يبلغ الثلاثمائة.**

**و (الثالثة) بمن بلغ الثلاثمائة ولم يبلغ الأربعمائة.**

**و (الرابعة) بمن بلغ الأربعمائة ولم يبلغ الخمسمائة.**

**و (الخامسة) بمن بلغ الخمسمائة ولم يبلغ الستمائة.**

**و (السادسة) بمن بلغ الستمائة ولم يبلغ السبعمائة.**

**و (السابعة) بمن بلغ السبعمائة ولم يبلغ الثمانمائة.**

**و (الثامنة) بمن بلغ الثمانمائة ولم يبلغ التسعمائة.**

فمن أراد الإطلاع على ما أدرجه مفصلاً فيها فليرجع إلى ذلك الكتاب، ونحن في هذا الموضع إنما نكتفي بنقل ما أفاده في بقية الطبقات لمناسبته لما نحن بصدد إثباته من أمر الإمام المهدي عليه السلام الذي تجاوز عمره الألف سنة بالنسبة إلى العصر الذي نحن فيه، وإليك نص عبارته حيث قال:

## الطبقة التاسعة:فيمن بلغ تسعمائة ولم يبلغ الألف:

١ــ «آدم صفي الله» عاش ٩٣٠ سنة ذكر في ج١ من الكامل ص ١٩، وفي مروج الذهب هامش إبن الاثير ص ٤٥ وفي كنز الفوائد ص ٢٤٥ مثله، وفي مستدرك الحاكم ص ٥٨٨ باسناده عن إبن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: كان عمر آدم ألف سنة قال إبن عباس: وبين آدم ونوح ألف سنة، وبين نوح وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم وموسى سبعمائة سنة وبين موسى وعيسى خمسمائة سنة، وبين عيسى ومحمد صلّى الله عليه وآله ستمائة سنة.

٢ــ حواء عاشت ٩٣١ سنة ماتت بعد آدم.

٣ــ شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح كان معاصراً لهود عليه السلام صاحب ارم (ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) عاش ٩٠٠ سنة ذكره في إكمال الدين وأخبار الدول.

٤ــ شيث بن آدم وهو لغة سريانية ومعناه هبة الله أعطاه الله آدم بعد قتل هابيل بخمس سنوات، وقد يطلق عليه «اورياء الثاني» وهو في اللغة السريانية بمعنى

المعلم وأنزل الله عليه «٥٠» صحيفة.

وفي رواية ٩٢ صحيفة محتوية على الحكم والصنايع مثل الإكسير والرياضيات والهيئة. وعاش ٩١٢ سنة ذكره إبن الأثير ج١ ص ١٩ وهو أول من حمل الوصاية بعد أبيه آدم من الله تعالى.

٥ــ أنوش عاش ٩٦٥ سنة ذكره في كنز الفوائد ص ٢٤٥ وقيل ٩٨٠ سنة.

٦ــ متو شلخ بن إدريس عاش ٩٩٧ سنة.

٧ــ عديم من ملوك مصر عاش ٩٢٦ سنة ذكره في أخبار الدول.

٨ ــ قينان عاش ٩٢٠ سنة ذكره في كنز الفوائد ص ٢٤٥.

٩ــ برد بن مهلائيل عاش ٩٧٦ سنة.

١٠ــ سربابک ملک الهند ذكره في البحار ج١٣ ص ٧٦ عن علي بن عبد الله الأسواري عن مكي بن أحمد قال: سمعت إسحاق بن إبراهيم الطوسي وقد أتى عليه ٩٧ سنة على باب يحيى بن منصور قال: رأيت سربابک ملک الهند في بلد تسمي (صوح) فسألناه كم أتى عليك من السنين؟ قال: ٩٣٥ سنة. وهو مسلم فزعم ان النبي صلّى الله عليه وآله أنفذ إليه عشرة من أصحابه منهم حذيفة بن اليمان وعمرو بن العاص واسامة بن زيد وأبو موسى الأشعري وصهيب الرومي وغيرهم يدعونه إلى الإسلام فأجاب وأسلم وقبل كتاب النبي صلّى الله عليه وآله.

فقلت له: كيف تصلي مع هذا الضعف؟

فقال لي: قال الله عزّوجل: «الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم» الآية.

فقلت له: ما طعامك؟ قال لي: آكل ماء اللحم والكراث. وسألته: هل يخرج منک شيء؟فقال: في كل اسبوع مرة شيء يسير. وسألته عن أسنانه؟فقال: أبدلتها عشرين مرة.

ورأيت له في اصطبله شيئاً من الدواب أكبر من الفيل يقال له «زنجفيل» فقلت له: ما تصنع بهذا؟

قال: يحمل بثياب الخدم إلى القصار ومملكته مسير أربع سنوات في مثلها ومدينته طولها ٥٠ فرسخاً في مثلها وعلى كل باب منها عسكر مائة ألف وعشرون ألفاً إذا وقع في أحد الأبواب حدث خرجت تلک الفرقة إلى الحرب لا تستعين بغيرها،

وهو في وسط المدينة.

وسمعته يقول: دخلت المغرب فبلغت إلى الرمل رمل عالج وسرت إلى قوم موسى فرأيت سطوح بيوتهم مستوية وبيدر الطعام خارج القرية يأخذون منه القوت والباقي يتركونه هناك وقبورهم في دورهم وبساتينهم في المدينة على فرسخين ليس فيهم شيخ ولا شيخة ولم أر فيهم علّة ولا يعتلون إلى أن يموتون ولهم أسواق إذا أراد الإنسان منهم شراء شيء صار إلى السوق فوزن لنفسه وأخذ ما يصيبه وصاحبه غير حاضر، وإذا أرادوا الصلاة حضروا فصلوا وانصرفوا لا يكون بينهم خصومة ولا كلام يكره إلا ذكر الله عزّوجل وذكر الموت.

## الطبقة العاشرة: فيمن بلغ ألف سنة ولم يبلغ الألفين:

١ــ كيومرث عاش ١٠٠٠ سنة ونسب إليه بناء اصطخر ودماوند.

٢ــ يوشالقرس بن كالب بن قينان وكان في الحسن والوجاهة مثل يوسف كان الناس يفتتنون به فخاف الفتنة فدعى الله أن يغيّر حسنه فصار مجدراً عاش في بني إسرائيل ١٠٠٠ سنة.

٣ــ ضحاك عاش ١٠٠٠ سنة، كما ذكره الطبري، وفي حبيب السير وفي الغيبة الطوسية ١٢٠٠ سنة.

٤ــ صاحب المهرجان على ما في الغيبة الطوسية عاش ١٥٠٠ سنة.

٥ــ بخت نصر١٥٠٧ سنين و٥٠ يوماً في أخبار الدول انه بعد تخريبه بيت المقدس وقتله بني إسرائيل ورجوعه إلى بابل مسخه الله سبع سنين أولا بصورة الأسد ثم بصورة النسر ثم بصورة البقر مسخه الله، وقد قضى من عمره نحو١٥٠٠ سنة وخمسين يوماً ومع زمان مسخه كان المجموع ١٥٠٧ سنة و٥٠ يوماً كما مرّ.

٦ــ بيوزاسف بن اروندااسف عاش ١٠٠٠ سنة في ج١ من الكامل ص ١٣١.

## الطبقة الحادية عشرة فيمن تجاوز الألفين:

١ــ نوح النبي عاش على المشهور٢٥٠٠ سنة، وقيل٢٤٥٠ سنة، وقيل غير ذلك.

٢ــ عناق بنت آدم عاشت ٣٠٠٠ سنة.

٣ــ عوج بن عناق عاش ٣٦٠٠ سنة وكان باقياً إلى زمن موسى.

٤ــ لقمان الحكيم عاش ٤٠٠٠ سنة وقيل ١٠٠٠ سنة وله مواعظ ونصائح

كافية، ولا بأس بالإشارة إلى ترجمته وما قيل فيه من انه نبي أو غير نبي، وبعض نصائحه وحكمه:

قال الشيخ الجليل أمين الإسلام: في ج ٨ من تفسير المجمع ص ٣١٩ في تفسير قوله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة»: أي أعطيناه العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور.

ثم قال: واختلف فيه «فقيل» انه كان حكيماً ولم يكن نبياً، عن إبن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر المفسّرين.

«وقيل»: انه كان نبياً عن عكرمة والسدي والشعبي، وفسروا الحكمة هنا بالنبوّة.

«وقيل»: انه كان عبداً أسود حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين وكان في زمن داود عليه السلام.

وقال له بعض الناس: ألست ترعى معنا؟ قال: نعم. قال: فمن أين أوتيت ما أرى؟ قال: قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. «وقيل»: انه ابن اخت أيّوب، عن وهب. «وقيل»: انه كان ابن خالة أيّوب، عن مقاتل.

وروي عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكّر، حسن اليقين، أحبّ الله فأحبّه، ومنّ عليه بالحكمة، كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت: إنْ خيّرني ربّي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم عليّ فسمعاً وطاعة، فإني أعلم انه إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني. فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لمَ يا لقمان؟ قال: لأن الحكم أشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان إن وفى فبالحرى أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنّة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً خير من أن يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة.

فتعجّبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلّم بها ثم كان يؤازر داود بحكمه فقال له داود: طوبى لك أعطيت الحكمة وصرفت عن

البلوى. . . وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: والله ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال، ولكنه كان قوياً في أمر الله متورعاً في الله ساكتاً سكيتاً عميق النظر، طويل الفكر، حديد البصر، لم ينم نهاراً قطّ، ولم يتكي في مجلس قوم، ولم يبعث بشيء قط، ولم يره من الناس على بول ولا غائط، ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في أمره، ولم يضحك من شيء قط، ولم يغضب قط مخافة الإثم في دينه، ولم يمازح إنساناً قط، ولم يفرح بما أوتيه من الدنيا، ولا حزن منها على شيء قط، وقد نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة، وقدم أكثرهم أفراطاً فما بكى على موت أحدهم، ولم يمر بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلاّ أصلح بينهما تحاجزاً، ولم يسمع قولاً من أحد استحسنه قط إلاّ سأله عن تفسيره وعمّن أخذه ويكثر مجالس الفقهاء والعلماء، وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين لعزّتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك، ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه أو يحترز من السلطان، وكان يداوي نفسه بالتفكير والعبر، وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه، فبذلك أوتي الحكمة ومنح القضية.

وفي ج٧ من بحار الأنوار ص ٣٢٤ عن المسعودي: كان لقمان «نوبيّا» مولى لقين بن خسر ولد على عشر سنين من ملك داود وكان عبداً صالحاً ومنّ الله عليه بالحكمة ولم يزل في فيافي الأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم إلى أيام يونس بن متى حتى بعث إلى أهل نينوى من بلاد الموصل.

وفيه ص ٣٢١ نقلاً عن الخصال بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: فيما أوصى به لقمان إبنه ناثان قال:

يا بني اجعل في أيامك ولياليك وساعتك نصيباً لك في طلب العلم فإنك لن تجد له تضيعا مثل تركه.

يا بني لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد عليها وان للدين ثلاث علامات: العلم والإيمان والعمل به. وان للإيمان ثلاث علامات: الإيمان بالله وكتبه ورسله. وللعالم ثلاث علامات: العلم بالله وبما يجب ويكره. وللعامل ثلاث علامات: الصلاة والصيام والزكاة. وللمتكلّف ثلاث علامات: ينازع من فوقه، ويقول ما لا يعلم ويتعاطى ما لا ينال. وللظالم ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه

بالغلبة ويعين الظلمة. وللمنافق ثلاث علامات: يخالف لسانه قلبه، وقلبه فعله وعلانيته سريرته. وللآثم ثلاث علامات: يخون ويكذب ويخالف ما يقول. وللمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان الناس عنده ويتعرض في كل أمر. وللمحمدة والحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب ويتملق إذا شهد ويشهد بالمصيبة. وللمسرف ثلاث علامات: يشتري ما ليس له ويلبس ما ليس له ويأكل ما ليس له. وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع ويضيع حتى يأثم. وللغافل ثلاث علامات: السهو واللهو والنسيان.

قال حماد بن عيسى: قال أبو عبد الله عليه السلام: ولكل واحدة من هذه العلامات شعب يبلغ العلم بها أكثر من ألف باب وألف باب وألف باب، فكن يا حماد طالباً للعلم في الليل والنهار، فإن أردت أن تقر عينيك وتنال خير الدنيا والآخرة فاقطع الطمع مما في أيدي الناس، وعدّ نفسك في الموتى، ولا تحدث لنفسك انك فوق أحد من الناس، واخزن لسانك كما تخزن مالك... الخ.

٥ـ لقمان بن عاد صاحب النسور عاش ٣٥٠٠ سنة ذكره في أخبار الدول.

يقول: لقمان بن عاد صاحب النسور وهو بقية آدم الأولى بعثه عاد مع الوفد إلى الحرم يستسقون فدعوا وسأل هو البقاء واختار عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر أخذ مكانه آخر، يأخذ النسر وهو فرخ فيربيه إلى أن يموت لقد اختلف الناس في عمر النسر وعامتهم على انه يعيش ٥٠٠ سنة، فعلى هذا لقمان عاش ٣٥٠٠ سنة، ولم يبلغ هذا العمر من بني آدم أحد من بعد الخضر غير لقمان وغير عوج بن عناق، وقيل انه عاش ٣٨٠٠ سنة، لأنه كان له قبل أن يأخذ النسور ٣٠٠ سنة من العمر، والله تعالى أعلم.

قال في المستطرف في ج٢ ص ٣٣ وذكر انّ لقمان عاش ٣٥٠٠ سنة.

## الطبقة الثانية عشرة:فيمن بلغ الآلاف:

ويبقى إلى ظهور المهدي المنتظر«عج» إلى يوم المحشر:

١ـ الخضر الذي كان موسى بن عمران في عصره، وهو خضرون بن قابيل على ما تقدم في ص ٦٤ من هذا الكتاب نقلاً عن السجستاني انه قال: ان أطول بني آدم عمراً الخضرون بن قابيل ولعله قد جاوز ٩٠٠٠ سنة.

وفي المستطرف ج٢ ص ٣٣ يقول: وأما الخضر عليه السلام فاسمه خضرون

فهو أطول بني آدم عمراً.

وفي كنز الفوائد يقول: ومن المعمرين الخضر المتصل بقاؤه إلى آخر الزمان ومما جاء من حديثه: ان آدم عليه السلام لما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني ان الله تبارك وتعالى منزل على أهل الأرض عذاباً فليكن جسدي معكم في المغارة حتى إذا هبطتم فابعثوا بي فادفنوني بأرض الشام فكان جسده معهم فلما بعث الله نوحاً ضم ذلك الجسد وأرسل الله الطوفان على الأرض فغرقت الأرض زماناً فجاء نوح عليه السلام حتى نزل ببابل وأوصى بنيه الثلاثة وهم سام ويافث وحام أن يذهبوا بجسده إلى المكان الذي أمرهم أن يدفنوه فيه فقالوا: الأرض وحشة لا أنيس بها ولا يهتدي الطريق ولكن تكف حتى يأمن الناس ويكثروا وتأنس البلاد وتجف فقال لهم: ان آدم قد دعى الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة فظل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولّى دفنه أنجز الله تعالى وعده إلى ما شاء الله أن يحيى.

وهذا حديث قد رواه مشايخ الدين وثقات المسلمين.

«قلت»: لابأس بالإشارة إلى ترجمته بنحو الإجمال:

«أما نسبه» ففيه أقوال كثيرة ربما تبلغ إلى عشرة، والصحيح على ما ذكره في ج ٧ من بحار الأنوار ان إسمه إلياس بن ملكان بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وفي الإصابة ج١ ص ٤٢٩ يقول: (القول الثالث): ما عن جابر عن وهب بن منبه: انه بليان بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وقيل: انه من ولد بعض من كان من آمن بإبراهيم وهاجر من أرض بابل، حكاه إبن جرير الطبري في تاريخه ص ١٨٨ ج١.

وقيل: كان أبوه فارسياً وامه رومية، وقيل: بالعكس كما في الإصابة ص ٤٢٩ ج١.

«وأما سبب تسميته» خضراً قيل انه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتزّ تحته خضراء، هذا لفظ من رواية إبن المبارك. وفي «كتبنا» في ج ٧ من بحار الأنوار ص ٢٩٦ ما يقرب منه. وفي مجمع البحرين في مادة خضر قال: واختلف في وجه تسميته بالخضر فقيل: سمّي به لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله. وقيل: انه كان في أرض بيضاء فإذا هي تهتز خضراً من خلفه.

وفي معاني الأخبار في وجهه قال: لأنه كان لا يجلس على خشبة يابسة إلا

اخضرّت.

«وأما كونه نبيّاً» اختلف العلماء فيه فالأكثرون على انه نبي محتجين بقوله تعالى: «وما فعلته عن أمري» وبأنه أعلم من موسى ومما نقل من وصاياه لموسى عند الإفتراق: «يا موسى اجعل همك في معادك ولا تخض في ما لا يعنيك ولا تترك الخوف في أمنك ولا تيأس من الأمن في خوفك». فقال له موسى: زدني؟فقال الخضر: «لا تضحك من غير عجب ولا تعير أحد الخاطئين بعد الندم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران. يا موسى لا تطلب العلم لتحدث به، واطلب العلم لتعمل به، وإياك والغضب إلا في الله ولا ترض على أحد إلا في الله ولا تحب لدنيا ولا تبغض لدنيا، فإن ذلك يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر.

وفي الإصابة ج١ ص ٤٣٠ باسناده عن محمد بن إسحاق وبعض أهل الكتاب: انه أرسل إلى قومه فاستجابوا له نصر هذا القول أبو الحسن الرماني ثم ابن الجوزي، وقال الثعلبي: هو نبي على جميع الأقوال معمر محجوب عن الأبصار.

وفيها ص ٤٣١ ومما يستدل به على نبوّته ما أخرجه عبد بن الحميد من طريق ربيع بن أنس قال: قال موسي ــ لما لقي الخضر ــ: السلام عليك يا خضر. فقال: وعليك السلام يا موسى. قال: وما يدرك اني موسى؟قال: أدراني بك الذي أدراك بي.

وفي تفسير النيسابوري ص ٨ في هامش تفسير الطبري: روي ان موسى لما وصل إليه قال: (السلام عليك). فقال: (وعليك السلام يا نبيّ بني إسرائيل). فقال: من عرفك هذا؟ قال: الذي بعثك إليّ.

«وأما سبب طول عمره»: فقد ذكر في الإصابة ج١ ص ٤٣١ بمثل ما ذكرنا عن الحافظ الكراجكي في كنزه وذكر باسناده عن معتمر بن سليمان، عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام انه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبداً من عباد الله صالحاً، وكان من الله بمنزلة ضخم وكان قد ملك بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة يقال له: «رفائيل» وكان يزوره فبينما هما يتحدثان إذ قال له:

حدّثني كيف عبادتكم في السماء فبكى وقال: وما عبادتكم عند عبادتنا، إنَّ في السماء لملائكة قياماً لا يجلسون أبداً، وسجوداً لا يرفعون أبداً، وركعاً لا يقومون أبداً يقولون: «ربّنا ما عبدناك حقّ عبادتك».

فبكى ذو القرنين ثم قال: يا رفائيل إني أحب أن أعمر حتى أبلغ عبادة ربي حق عبادته. قال: وتحبّ ذلك ؟ قال: نعم. قال: فإنّ للّ عيناً تسمّى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت. قال ذو القرنين: فهل تعلم موضعها؟ قال: لا غير إنا نتحدث في السماء ان للّه ظلمة في الأرض لم يطأها إنس ولا جان، فنحن نظن ان تلك العين في تلك الظلمة.

فجمع ذو القرنين علماء الأرض فسألهم عن عين الحياة فقالوا: لا نعرفها. قال: فهل وجدتم في علمكم ان للّه ظلمة؟ فقال عالم منهم: لم تسأل عن هذا؟ فأخبره. فقال: اني قرأت في وصية آدم ذكر هذه الظلمة وانها عند قرن الشمس.

فتجهز ذو القرنين وسار١٢ سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة، فإذا هي ليست بليل وهي تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال: إني أريد أن أسلكها فمنعوه، فسأله العلماء الذين معه أن يكفّ لئلا يسخط اللّه عليهم فأبى، فانتخب من عسكره ٦٠٠٠ رجل على ٦٠٠٠ فرس انثى بكر وعقد للخضر على مقدمته في ألفي رجل، الخضر بين يديه وقد عرف ما يطلب، وكان ذو القرنين يكتمه ذلك، فبينما هو يسير، إذ عارضه واد فظن ان العين في ذلك الوادي فلما أتى شفير الوادي استوقف أصحابه وتوجه فإذاً هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه فإذا ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد، فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج فلبس ثيابه وتوجه ومرّ ذو القرنين فأخطأ الظلمة ــ الحديث.

وفيه عن الثعلبي ص ٤٣٢: يقال: ان الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان عند رفع القرآن!

وقال النووي في تهذيبه: قال الأكثرون من العلماء انه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والإجتماع معه والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر.

وقال أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة منهم.

وأما اجتماع جماعة مع الخضر والياس ففي الإصابة ج١ ص ٤٤٤ في حرف (الخاء) باسناده عن محمد بن المنكدر انه قال: فبينما عمر بن الخطاب يصلي على

جنازة إذ هاتف يهتف من خلفه: ألا لا تستبقان بالصلاة يرحمك الله، فانتظره حتى لحق بالصف فكبّر فقال: إن تعذبه فقد عصاك، وأن تغفر له فإنه فقير إلى رحمتك، فنظر عمر وأصحابه الرجل، فلما دفن الميّت سوى الرجل عليه عن تراب القبر ثم قال: طوبى لك يا صاحب القبر لو لم تكن عريفاً أو كاتباً أو شرطياً فقال عمر: خذوا لي هذا الرجل. فسأله عن صلاته وعن كلامه فتولى الرجل عنهم فإذا أثر قدمه ذراع فقال عمر: هذا هو والله الخضر الذي حدثنا به النبي صلّى الله عليه وآله.

وفيه عن إبن أبي الدنيا باسناده إلى محمد قال: بينما رجل يمشي يبيع شيئاً ويحلف قام عليه شيخ فقال: يا هذا بع ولا تحلف، فعاد يحلف فقال: اقبل على ما يعنيك، قال: هذا ممن يعنيني، ثم قال: آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فإذا انقطع علمك فاسكت واتهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك فقال: اكتبني هذا الكلام فقال: ان يقدر شيء يكن ثم لم يره، فكانوا يرون انه الخضر.

وفيه نظيره عن إبن عمر، وفيه ص٤٤٥ عن أبي الدنيا باسناده عن محمد بن يحيى قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا برجل معلق بالأستار وهو يقول: «يا من لا يشغله شيء عن سمع يا من لا يغلطه السائلون، يا من لا يتبرم بإلحاح الملحّين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك».

قال: قلت: دعاؤك هذا عافاك الله أعده. قال: وقد سمعته؟ قلت: نعم. قال: فادع به دبر كل صلاة فو الذي نفس الخضر بيده لو أن عليك من الذنوب عدد نجوم السماء وحصى الأرض لغفر الله لك أسرع من طرفة عين.

«أقول»: العجب من ان ابن الجوزي ما ضعّف هذا الحديث مع ان دأبه ذلك.

وذكر في الإصابة عن الدينوري قال: وقد روى أحمد بن حرب النيسابوري باسناده عن يزيد بن الأصم عن علي بن أبي طالب عليه السلام نحوه، لكن قال: فقلت: يا عبد الله أعد الكلام، قال: وسمعته؟ قلت: نعم، قال: والذي نفس الخضر بيده ــ وكان الخضر يقولهنّ عند دبر الصلاة المكتوبة ــ لا يقولها أحد دبر الصلاة المكتوبة إلاّ غفرت ذنوبه وإن كانت مثل رمل عالج وعدد القطر وورق الشجر، ورواه محمد بن معاذ الهروي.

قلت: والدعاء المزبور في كتبنا أيضاً موجود في التعقيبات المشتركة فراجع.

وأما إلياس النبي عليه السلام ففي الكتاب ص ٤٤٨ ج١ باسناده عن أبي جعفر الكوفي عن أبي عمر النصيبي قال: خرجت أطلب مسلمة بن مصقلة بالشام وكان يقال: انه من الأبدال فلقيته بوادي الأردن، فقال لي: ألا أخبرك بشيء رأيته اليوم في هذا الوادي؟ قال: قلت: بلى. قال: دخلت اليوم هذا الوادي فإذا أنا بشيخ يصلّي فألقي في روعي انه الياس النبي عليه السلام، فدنوت منه وسلمت عليه، فرجع فلما جلس سلم عن يمينه وشماله ثم أقبل عليّ وقال: وعليك السلام. فقلت: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا الياس النبي. قال: فأخذتني رعدة شديدة حتى خررت على قفاي فدنى منّي فوضع يده بين يديّ، فوجدت بردها بين كتفي، فقلت: يا نبيّ الله ادع لي أن يذهب عني ما أجد حتى أفهم كلامك، فدعا لي بثمانية أسماء خمسة بالعربية وثلاثة بالسريانية، فقال: يا واحد يا أحد يا صمد، يا فرد يا وتر.

ودعابالأسماء الأخر فلم أعرفها ثم أخذ بيدي فأجلسني فذهب عني ما كنت أجده. فقلت: يا نبيّ الله هل في الأرض اليوم من الأبدال أحد؟قال: نعم هم ستّون رجلاً، منهم خمسون فيما بين العريش إلى الفرات، ومنهم ثلاثة بالمصيصة وواحد بأنطاكية وسائر العشرة في سائر أمصار العرب. قلت: يا نبيّ الله هل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم نلتقي في كل موسم بمنى. قلت: فما يكون من حديثكما؟ قال: يأخذ من شعري وآخذ من شعره ـــ الحديث.

وفيه ص ٤٤٩ عن داود بن مهران عن شيخ عن حبيب إلى محمد انه رأى رجلاً، فقال له من أنت؟ قال: أنا الخضر.

وعن محمد بن عمران، عن جعفر الصادق عليه السلام: انه كان مع أبي رجل فسأله عن مسائل، قال: فأمرني أن أرد الرجل فلم أجده، فقال: ذاك الخضر.

وعن النيشابوري قيل: ان إلياس موكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار وهما آخر من يموت من بني آدم. وقيل: ان إلياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر، ويجتمعان في يوم عرفة بعرفات. وعن سبط إبن الجوزي في تذكرته: ان جماعة طالت أعمارهم كالخضر وإلياس فإنها لا تدري كم لهما من السنين فإنما يجتمعان في كل عرفة فيأخذ هذا من شعر هذا وهذا من شعر هذا.

وعن شرح التفتازاني للعقائد: قد ذهب العظماء من العلماء إلى ان أربعة من الأنبياء في زمرة الحياة، الخضر والياس في الأرض وعيسى وإدريس في السماء.

وعن الفتوحات للعارف العربي المكي: ان العالم لا يخلو زماناً من قطب يكون فيه كما في الرسل، ولذلك أبقى الله من الرسل بإيجادهم في الدنيا أربعة وهم إدريس وإلياس وعيسى، وواحد حامل للعلم اللدنّي وهو الخضر. (إلى أن يقول): فإدريس في السماء الرابعة، وعيسى في السماء الثانية وإلياس والخضر في الأرض.

قلت: ومن المضحكات في قبال هؤلاء الأكابر وأهل العرفان والكشف كما هو المحقق عندهم تضعيف بعض من لا حق له بالتدخّل في هذه المسائل فترك ذكره أولى وأحرى مع كون المسألة عند أعظم المفسّرين كالطبري والنيشابوري والجزري وغيرهم من المسلمات فراجع وتأمّل.

وأما في أخبارنا: على ما في البحار ج ٧ ص ٢٩٢ نقلاً عن العلل باسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام انه قال: ان الخضر كان نبياً مرسلاً بعثه الله إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه وكانت آيته انه كان لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراء، وإنما سمّي خضراً لذلك وكان إسمه (بليان ابن ملكان بن عابر الخ) ثم بيّن فيه قصته مع موسى بن عمران وما وقع بينهما من قصة الغلام وقتله والسفينة وكسرها والجدار، الخ.

وفيه ص ٢٩٦ عن القصص باسناده عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ان موسى بن عمران حين أراد أن يفارق الخضر قال له: أوصني. فكان ممّا أوصاه: «إيّاك واللجاجة وأن تمشي في غير حاجة وأن تضحك من غير عجب» الحديث.

وفيه باسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضر موسى بن عمران قال له: «لا تعيرنَّ أحداً بذنب وان أحبّ الأمور إلى الله عزّوجل ثلاثة: القصد في الجدة، العفو في المقدرة، الرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عزّوجل به يوم القيامة ورأس الحكمة مخافة الله تعالى».

وفيه ص ٢٩٦ عن الصدوق باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: لقي موسى العالم(٤٣) وكلمه وسأله: نظر إلى خطاف ترتفع في الماء وتسفل في البحر فقال العالم لموسى: أتدري ما تقول هذه الخطاف؟ قال: وما تقول؟ قال: تقول: وربّ السماوات والأرض وربّ البحر ما علّمكما عن علم الله إلا قدر ما أخذت

بمنقاري من هذا البحر وأكثر ولما فارقه موسى قال موسى: أوصني فقال للخضر: «إلزم ما لا يضرك معه شيء كما لا ينفعك مع غيره شيء».

أما كونه صاحب موسى بن عمران وانه هو العالم الذي أمره الله تبارك وتعالى بطلبه إذ ظن انه لا أحد في الأرض أعلم منه هو الخضر ورسول الله كان أعلم خلق الله بالكائن من الأمور الماضية ذكره الطبري في تاريخه ج١ ص ٨٨١ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وفيه ج ١ ص ١٨٩ باسناده عن سعيد قال: قلت لإبن عباس: ان نوفاً يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى. فقال: كذب عدوّ الله حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: ان موسى قام في بنيّ إسرائيل خطيباً فقيل: أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إليه، فقال: بل عبد لي عند مجمع البحرين، فقال: يا ربّ كيف لي به؟ فقال: تأخذ حوتاً فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هناك. الحديث.

وفي المستدرك ج ٢ ص ٥٧٣ بإسناده عن سعيد مثله الخ. وفي الكامل ج ١ ص ١٥٥ مثله. وفي تفسير الطبري ج ١٥ ص ١٨٠ عن سعيد بن جبير، عن إبن عباس مثله الخ.

والحاصل كون الخضر هو صاحب موسى بن عمران ممّا لا إشكال فيه.

وأما مصاحبته للنبي صلّى الله عليه وآله ففي الإصابة ص ٤٣٦ في حرف (الخاء) باسناده عن عبد الله بن عمران بن عوز، عن أبيه، عن جدّه: ان رسول الله صلّى الله عليه وآله كان في المسجد فسمع كلاماً من ورائه فإذا هو بقائل يقول: (اللهمّ أعنّي على ما ينجيني) فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله حين سمع ذلك: ألا تضم إليها اختها؟

فقال الرجل: «اللهمّ ارزقني شوق الصالحين إلى ما شوقتهم إليه».

فقال النبي صلّى الله عليه وآله لأنس بن مالك: إذهب يا أنس فقل له: يقول لك رسول الله: تستغفر لي، فجاء أنس فبلغه، فقال الرجل: يا أنس أنت رسول رسول الله إلي فارجع فاستثبه. فقال النبي صلّى الله عليه وآله: قل له: نعم، فقال له: إذهب فقل له: ان الله فضّلك على الأنبياء مثل ما فضّل به رمضان على الشهور، وفضّل امّتك على الأمم مثل ما فضّل يوم الجمعة على سائر الأيام، فذهب ينظر إليه

فإذا هو الخضر.

قلت: وجاء هذا الخبر من غير رواية كثير بن عبد الله، قال أبو الحسين بن مناد: أخبرني أبو جعفر أحمد بن نظر العسكري، عن محمد بن سلام عن وضاح بن عباد الكرفي، عن عاصم بن سليمان الأحول، عن أنس بن مالك وغيرهم فلا يعبأ بتضعيف من لا خبرة له ولا حظّ له من العلم فإن لكل شيء أهلاً.

«وأمّا بقاؤه» بعد النبي صلّى الله عليه وآله فقد ذكره في الإصابة ج ١ ص ٤٤١ وص ٤٤٢ باسناده عن علي بن أبي علي الهاشمي، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه ان علي بن أبي طالب صلّى الله عليه وآله قال: لمّا توفّي النبي صلّى الله عليه وآله وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب».

قال جعفر: أخبرني أبي ان علي بن أبي طالب عليه السلام قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر، ومن غير هذا الطريق مثله بطرق متعددة:

«منها» ما عن محمد بن منصور. «ومنها» ما عن أبي الفضل بن الحسين. «ومنها» ما عن البيهقي في الدلائل. «ومنها» ما عن سيف بن عمر التميمي، وغير ذلك من الروايات.

وفي رواياتنا له: لما قتل علي عليه السلام جاء الخضر ووقف على باب علي باكياً آخذاً بعضادتي الباب قائلاً: «رحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيمانا، الخ». وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى أصحاب رسول الله ثم طلبوه فلم يصادفوه.

قال الحافظ خاتم المحدثين المجلسي في ج ٢٢ من بحاره في البيان: إنما أوردنا هذا الخبر لأن المتكلم كان الخضر عليه السلام، وذكر في إكمال الدين ص ٢١٨.

«قلت»: وإنما بسطنا الكلام في الخضر عليه السلام ليتنبه الخصم العنود وليعلم بأن لله تعالى أنواعاً وأنحاء من اللطف وإنما أخرّ الخضر طيلة هذه المدة لعلمه بأنه ستأتي نفوس شريرة يتبعون الشهوات ويوقعون في أذهان بسطاء العقول

الشبهات ويستشكلون في طول عمر المهدي المنتظر (عج) فأرغم الله أنوفهم إظهاراً لقدرته الكاملة وإعلاناً بأن إعطاء الحياة زيادة ونقيصة بيده الباسطة يعطي لمن يشاء بما يشاء، ويمنع عمّن يشاء حسبما يراه من المصلحة ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، فإبقاء الخضر وتأخيره إنما هو إتمام للحجة «ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة» ولله الحجّة البالغة وبيده أزمة الأمور، وهو على كل شيء قدير. إلى هنا ينتهي ما أفاده طاب ثراه في الطبقة الثانية عشرة ثم استدرك عليها طائفة اخرى لا يسعنا نقلها، فمن أراد الوقوف عليها فليراجعها في المجلد الأول من ذلك الكتاب من ص ٣١٠ إلى ص ٣٢٥.

## ٤ــ الدليل العقائدي:

ونعني به ذلك الدليل الذي يدين به أهل الملل والنحل المغاير مبدؤهم للإسلام حيث ذهبوا إلى تجويز حصول الأعمار الطويلة والإمتداد في الآجال وخالفوا فيما ذهبوا إليه مبدأ التشكيك الموهوم المسمّى بالإستبعاد المدعى في المقام من قبل خصوم الإمامية الذين عموا عن البديهيات وأنكروا حتى الضروريات فضلاً عن المعتقدات الثابتة بالبراهين القطعية والحجج القوية وما تضمنته من الخصوصيات. والذي يناسب استطرافه هنا ما أفاده المحقق أبو الفتح الكراجكي في كتاب كنز الفوائد حيث قال:

ومما عملته كتاب البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان عليه وعلى آبائه أفضل السلام، وبيان جواز تطاول الأعمار.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما هدى، وصلاته على من اصطفى سيّدنا محمد ورسوله المجتبى، وآله أئمة الهدى.

ذكرت يا أخي ــ أيّدك الله ــ أنك رأيت جماعة من المخالفين، يعتمدون في إنكار وجود صاحب الزمان صلى الله عليه، على ما يقتضيه تاريخ مولده، من تطاول عمره على القدر المعهود، ويقولون: إذا كان مولده عندكم في سنة خمس وخمسين ومائتين، فله إلى سنتنا هذه، وهي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، مأتان واثنتان وسبعون سنة.

ولسنا نرى الأعمار تتناهي إلى أكثر من مائة وعشرين سنة، بل لا نرى أحداً

يلحق عمره هذا القدر اليوم. ويزعمون أن هذه الزيادة على الماية والعشرين دلالة على بطلان ما نذهب إليه. وأنا مجيبك إلى ما سألت، وأبلغك منها ما طلبت بعون الله وحسن توفيقه. إعلم:

**أولاً:** انه إذا وجبت الإمامة ووضحت الأدلة على اختصاصها بأئمتنا الإثني عشر عليهم السلام دون جميع الأمّة، فلا منصرف عن القول بطول عمر إمامنا وصاحب زماننا، لأن الزمان لا يخلو من إمام، وقد مضى آباء صاحب الزمان بلا خلاف، ولم يبق من يستحق الإمامة سواه.

فإن لم يكن عمره ممتداً من وقت أبيه إلى أن يظهره الله سبحانه، حصل الزمان خالياً من إمام، وهذا دليل مبني على ما قدمناه. وبعد ذلك فإنه لا يصلح أن يكلمك في طول عمره من لا يقر بشريعته.

فأما من أقرّ بها، وأنكر تراخي الأعمار وطولها، فإن القرآن يخصمه بما تضمنه من الخبر على طول عمر نوح عليه السلام، قال الله تعالى:

«فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً..» العنكبوت: ١٤.

ولا طريق إلى الإنصراف عن ظاهر القرآن إلا ببرهان. وقد أجمع المسلمون على بقاء الخضر عليه السلام من قبل زمان موسى عليه السلام إلى الآن، وأن حياته متصلة إلى آخر الزمان، وما أجمع عليه المسلمون فلا سبيل إلى دفعه بحال من الأحوال.

فإنْ قال الخصم: هذان نبيّان، ويجوز أن يكون طول أعمارهما معجزاً لهما وكرامةً يميزان بها عن الأنام، ولا يصح أن يكون هذا العجز والإكرام إلا للأنبياء عليهم السلام.

فقل له: يفسد هذا عليك بما استقر عليه الإتفاق، من بقاء إبليس اللعين من عهد آدم عليه السلام وقبل ذاك إلى الآن، وأنه سيبقى إلى الوقت المعلوم كما نطق به القرآن، وليس ذلك معجزاً له ولا على سبيل الإكرام.

وإذا اشترك الولي والعدو في طول العمر، علم أن السبب في ذلك غير ما ذكرت، وأنه لمصلحة لا يعلمها إلا الله تعالى دون العباد.

فإن أنكر الخصم إبليس وبقاءه خرج عن ظاهر الشريعة ودفع إجماع الأئمة، وإن تأوّل ذلك طولب على صحة تأويله بالحجة.

ولو سلمت له طول العمر معجزاً للمعمر وإكراماً، ولم يذكر له إبليس وطول عمره على ممرّ الأزمان، كان لك أن تقول: إن حكم الإمام عندنا كحكم النبي في الإحتجاج وجواز ظهور العجز والإكرام بما يتميّز به عن الأنام، فليس بمنكر أن يطيل الله تعالى عمره على سبيل المعجز والإكرام.

واعلم ــ أيّدك الله ــ أن المخالفين لك في جواز امتداد الأعمار ممن يقرّ بالإسلام لا يكلمونك إلا بكلام مستعاد.

فمنهم من ينطق بلسان الفلاسفة، فيقول: إنّ طول العمر من المستحيل في العقول الذي (لم) يثبت على جوازه دليل.

ومنهم من ينطق بلسان المنجّمين، فيقول: إن الكواكب لا تعطي أحداً من العمر أكثر من مائة وعشرين سنة، ولهم هذيان طويل.

ومنهم من ينطق بلسان الأطباء وأصحاب الطبائع، فيقول: إن العمر الطبيعي هو مائة وعشرون سنة، فإذا انتهى الحي إليها فقد بلغ غاية ما يمكن فيه صحة الطباع وسلامتها، وليس بعد بلوغ غاية السلامة إلاّ ضدّها.

وليس على يد أحد منهم إلا الدعوى، ولا يستند إلا إلى العصبية والهوى، فإذا عضهم الحجاج رجعوا أجمعين إلى الشاهد المعتاد، فقالوا إنا لم نر أحداً تجاوز في العمر إلى هذا القدر، ولا طريق لنا إلى إثبات ما لم نر. وهذا الذي جرت به العادة، والعادة أصح دلالةً.

وجميعهم خارجون عن حكم الملة، مخالفون لما اتّفقت عليه الأمة، ولما سلف أيضاً من الشرائع المتقدّمة، لأن أهل الملل كلها متفقون على جواز امتداد الأعمار وطولها، وقد تضمنت التوراة من الأخبار بذلك ما ليس بينهم فيه منازع.

وفيها أن آدم عليه السلام عاش تسعماية وثلاثين سنة. وعاش شيث تسعماية واثنتي عشرة سنة. وعاش أنوش تسعماية وخمساً وستّين سنة. وعاش قينان تسعماية سنة وعشر سنين. وعاش مهلائيل ثمانماية وخمساً وتسعين سنة. وعاش برد تسعماية وإثنين وستّين سنة. وعاش اخنوخ وهو إدريس تسعماية وخمساً وستين سنة. وعاش متوشلح تسعماية وتسعاً وستين سنة. وعاش ملك سبعماية وسبعاً وستين سنة. وعاش نوح تسعماية وخمسين سنة. وعاش سام ستماية سنة. وعاش أرفخشاد أربعماية وثماني وتسعين سنة. وعاش شالخ أربعماية وثلاثاً وتسعين سنة. وعاش غابر ثمانماية

وسبعين سنة. وعاش فالخ مأتين وستين سنة. وعاش ارغو مأتين وستين سنة. وعاش باحور ماية وستاً وأربعين سنة. وعاش تارخ مأتين وثمانين سنة. وعاش إبراهيم ماية وخمساً وسبعين سنة. وعاش إسماعيل ماية وسبعاً وثلاثين سنة. وعاش إسحاق ماية وثمانين سنة. فهذا ما تضمنته التوراة مما ليس بين اليهود والنصارى اختلاف.

وقد تضمنت نظيره شريعة الإسلام، ولم نجد أحداً من علماء المسلمين يخالفه أو يعتقد فيه البطلان، بل أجمعوا من جواز طول الأعمار على ما ذكرناه.

والمستدل يعلم جواز ذلك في العقل إذا أنعم الإستدلال، والأخبار قد تناصرت في قومٍ عمروا في قريب الزمان، سوف أذكر جماعة منهم، ليتأكد البيان، وليس المنازعة لنا بعد ذلك من ذي بصيرة وعرفان.

فإن قال قائل: إن الأعمار قد كانت يتطاول في سالف الدهر، ثم تناقضت عصراً بعد عصر حتى انتهت إلى ما نراه مما لا يجوز اليوم سواه.

قيل له: إن العاقل يعلم أن الزمان لا تأثير له في الأعمار، وأن زيادتها ونقصانها من فعل قادر مختار يغيّرها في الأوقات بحسب ممّا يراه من الصلاح.

ولسنا ننكر أن اللّه سبحانه قد أجرى اليوم بأقدار متقاربة في الأعمار، يخالف ما كان في متقدم الزمان، غير أن هذا لا يحيل طول عمر بعض الناس، إذا كان ذلك ممكناً من القادر المعطي للأعمار.

وقد ذكرنا أن الأخبار قد أتت بذكر المعمّرين، كانوا في قريب الزمان، فلا طريق إلى دفع ما ذكرناه من هذا الإيضاح.

وأما الذين استعاروا كلام الفلاسفة من المخالفين لنا في هذه المسألة، وقولهم في العمر من المستحيل في العقول، فإنهم لم يُعَوِّلوا في العلم بذلك على ضرورة يشاركهم العقلاء فيها، وإذا عدموا الضرورة فلابد من حجة عقلية يطالبون بإيرادها، ولا حجة معهم ينطقون بها، ولا عمدة لهم أكثر من الهوى والرجوع إلى ما يشاهد ويرى، والهوى مضلة، والإنكار لما لم يشاهد مزلة، وليس من موحد ولا ملحد إلا وهو يثبت ما لا يرى ويقر بما لم يشاهد.

فالموحِّد يقر باللّه والملائكة وطول أعمارها، ولم نر شيئاً منها. والملحدة قد تقر بوجود جواهر بسيطة لا تجوز عليها الرؤية، وتَدَّعي أيضاً وجود عقل [وروح] لم ترهما، ولا رأت [نفسها] فضلاً عنها.

وكلّ فرقة تَدَّعي وجود أشياء لم تُرَ، فمن زعم أنه لا يثبت إلا ما شاهد ورأى فقد أفسد على نفسه من مذهبه.

وهؤلاء في العمر ولا يدرون ما هو، والعمر هو اتصال كون الحي المحدود حياً، فهذا الإتصال إنما يكون بدوام الحياة، والحياة فعل الله تعالى، فليس يستحيل منه إدامتها، وكل ما جاز أن يفعله الله تعالى من طول العمر، فإنه يجوز أن يفعل مثله في دوام الصحة والقوة وعدم الضعف والهرم.

وأما الذين استعاروا كلام المنجمين في المنازعين لنا في جواز طول العمر، فإنهم يعتمدون الظنون دون اليقين.

والعقلاء يعلمون أن أصول المنجمين في الأحكام لا يثبت بالنظر والدليل، وبينهم من التجارب فيها والإختلاف ما لا يخفى على المتأمّل.

إني وجدت في كتاب أحد علمائهم، وهو الكتاب المعروف بابا لابن هبلى(٤٤) في حكاية ذكرها عن معلمهم المقدم واستاذهم المفضل الذي يعولون (عليه) في الأحكام، ويستندون إلى كلامه وما يدّعيه، وهو المعروف (بماشاء الله) (٤٥) أنا موردها، ففيها أكبر حجة عليهم في هذه المسألة التي خالفونا فيها.

**قال ماشاء الله**: الباب الأعظم من الهيلاج الذي يدلّ على العمر الكثير فإنه يكون المولود في مثلثة إلى مثلثة وطالعه ثبوت أحد الكوكبين العلويّين: زحل والمشتري، وصاحب الطالع الكذخذاه، فإن كان المولود ليلياً، والهيلاج القمر، فإن كان فوق الشمس في برج، انثى، وإن كان نهارياً فيكون الشمس في برج ذكر، فإنه حينئذ يدل على بقاء المولود بإذن الله تعالى حتى يتحوّل القران عن مثلثة إلى أخرى، وذلك مائتان وأربعون سنة.

فأما في الزمن الأول فإن مثل هذه الدلالة كانت تدل على بقائه حتى يعود القران إلى مكانه، وذلك بعد تسعماية وخمسين سنة، والله أعلم.

فما يقولون في كلام عالمهم (ماشاء الله)، وقد أوضح بتخصيصه في الدلالة الزمن الأول بتسعماية وخمسين سنة، أن مراده بالمأتين والأربعين من هذا الزمان، وهو شاهد لنا على هؤلاء المعاندين المنكرين للحق الواضح البرهان.

وأمّا الذين اعتمدوا بكلام الأطبّاء وأصحاب الطبائع من قولهم: ان غاية العمر (في) الطبيعة ماية وعشرون سنة، فإنهم لم يعتمدوا على حجة، ولا تشبثوا

بشبهة، وليس في أيديهم أكثر من دعواهم، تبيّن لك بطلان مقالتهم، أن الطبائع أعراضٌ، والأعراض لا يصح منها في الحقيقة أفعال، وإنما يفعل القادر المختار، والطبائع أيضاً فعل الله تعالى، وهو الذي ارتكبها في الإنسان، فكما جاز منه أن يجعلها كلها صحيحة معتدلة مدة من الزمان، فهو قادر على أن يجعلها كذلك أضعاف تلك المدّة، فيطول عمر الإنسان، وليس يستحيل ذلك في عقل ذي بصيرة وعرفان.

وأما المعتمدون في ذلك على العادات، فإنه (لا) حجّة في أيديهم من قِبَل أن العادات قد تختلف باختلاف الأوقات وباختلاف الناس أيضاً والاصقاع.

وقد سمعت من جماعة من الناس أن بلاد السند من البلاد (التي) تطول فيها الأعمار.

ورأيت بالرملة في جمادي الآخرة من سنة اثنتي عشرة وأربعماية شريفاً من أهل السند يعرف بأبي القاسم عيسى بن علي العُمري من ولد عمر ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسألته عن ذلك؟ فقال لي هو صحيح.

وذكر أن الهرم عندهم قليل، وحدثني أن ببلاد السند عندهم رجلاً شريفاً عمرياً، وهو أمير من أمرائهم، انه عاش (مذ) أن فارقه ماية وستين سنة.

قال: وهذا الشريف هو العباس بن علي بن عمر بن أحمد بن حمزة بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وليس يشك العاقل في أن العادات بيد الله تعالى، وانه يصح منه تغييرها على التدريج (أو) خرقها، وقد تناثرت الأخبار القاطعة للأعذار بحال المعمّرين الذين كانوا فيما بَعُدَ وقَرُبَ من الناس، وروى حديثهم وأشعارهم ومبلغ أعمارهم وأخبارهم أصحاب السير والآثار، حتى جرى ذلك مجرى ما تعلق من الحوادث في الأزمان والوقائع وأخبار البلدان، واشترك في العلم العلماء، وحصل المنكر له كالمنكر لما سواه مما تواترت به الأخبار، وقبح في مثله الإنكار، ولو اقتصر المستدل في جواز طول العمر على هذا الوجه لأغناه من الإطالة والإكثار. . .(٤٦).

## ٥ ـ الدليل العلمي:

ونعني به ما أشار إليه المحقق السيد هبة الدين الشهرستاني في حاشيته على نكت الإعتقاد للشيخ المفيد بقوله:

«حسبك شهادة الدكاترة الأطباء أصحاب مجلة المقتطف الغراء المصرية في صفحة ٢٣٩ من المجلد ٥٩ قالوا: لكن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: ان كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان يقبل البقاء إلى ما لا نهاية له، وانه في الإمكان أن يبقى الإنسان ألوفاً من السنين، إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته.

وقولهم هذا ليس مجرد ظنّ، بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالإمتحان الخ.

وقالوا في الصفحة ٢٤٠: وغاية ما ثبت الأن من التجارب المذكورة أن الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين أو مائة سنة، بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلها فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبق مانع من استمرار الحياة مئات من السنين.. الخ»(٤٧).

### ٦ ــ الدليل الحضاري:

وملخصه أن البشرية قد أطبقت على انه لابدّ أن تؤوب شعوبها ويؤول مصيرها في خاتمة مطافها في الحياة إلى تحقيق المدنية المزدهرة مادياً ومعنوياً كنهاية حتمية لحركة التطوّر والإزدهار التي تصبوا إليها وتنشدها في مخططاتها الإنمائية في برامجها العملية، ولكن الذي وقع اختلافها فيه يكمن في كيفيّة تحقيق تلك المرحلة ومن هو الذي سيتولّى إقرار أسسها وتنفيذ برامجها.

فأما المذاهب الوضعيّة فقد شذت في ذلك شذوذاً بعيداً ونسجت لنفسها الأراجيف والأساطير الخرافية وأطّرتها في حدود قدرة الالهة الوهمية والأسماء الجوفاء الخاوية.

وأما المذاهب الإلحادية كالشيوعية والماركسية فهي الأخرى قد قامت على أعتاب الدعوة لتحقيق مثل هذا الحلم البشري لكن ربطته برباط مادي بحت وأسس إلحادية صرفة واستغلّت بحجّة تحقيق مزاعمها الطبقة العاملة المقهورة والمغلوبة على أمرها أبشع الإستغلال وقامت بإشباع نهم ونزوات الطبقة الحاكمة وأفراد حزبها المشؤوم طيلة عقود متطاولة حتى فضحت وبان زيفها وانكشف خبثها ومكرها في أيّامنا هذه أمام العالم أجمع وأفل نجمها إلى حيث لا رجعة.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى التكتّل الرأسمالي الغربي وأطروحة الديمقراطية ذلك الحلم المنشود الذي لن يتحقق أبداً لابتنائه على أسس لا تتفق مع الأساليب

الحكيمة في التدبير والإدارة.

وكذلك يطالعنا التاريخ العقائدي بمعتقد اليهود حيث نجدهم ينشدون تلك المدنية في حدود اسطورة دولة اورشليم التي ينبغي أن تطبق على مساحة من الأرض تمتدّ من الفرات شرقاً حتى النيل غرباً ومركزها القدس وهيكل سليمان.

وكذلك المسيحيون حيث نجد بشائر عودة المسيح لإقرار العدالة في الأرض وإشاعة المحبّة والإخاء والسلام في ربوع الأرض وبين أبناء البشرية جمعاء.

وأما المسلمون فأمرهم منحصر في فكرة الإمام المهدي عليه السلام ذلك الفرد الرباني الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً في كافة مرافق الحياة وعلى جميع الأصعدة والمستويات كما أوضحنا لك من خلال البحوث المتقدمة والآتية.

ولا يضر بذلك مخالفة من خالف من بعض طوائف المسلمين على مكابرة وعنجهيّة من أمره.

## ٧ـ دليل عدم الإستحالة والإمتناع الذاتيين:

قال المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب فلسفة التوحيد والولاية:

انّ كثيراً من الناس يخلطون بين الممتنع عادة، والممتنع عقلاً، ويتعذر عليهم التمييز بينهما، فيظنون ان كل ما هو ممتنع عادة فهو ممتنع عقلاً. فلقد أخبر القرآن بصراحة لا تقبل التأويل ان السيد المسيح كلّم الناس، وهو في المهد، وأبرأ الأكمه والأبرص من غير علاج، وأنزل مائدة من السماء بمجرد الدعاء، وانه مازال حيّاً، وسيبقى حيّاً إلى ألوف السنين أو ألوف الألوف!.

وان النار كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، وان عصا موسى صارت ثعباناً، وان الحديد لان لداود، وسبح معه الطير والجبال، وان سليمان استخدم الجان، وعرف لغة النمل والطيور.

وهذه الخوارق ممتنعة عادة، جائزة عقلاً؛ ولو كانت ممتنعة في نفسها لامتنع وقوعها على يد الأنبياء وغيرهم.

ولأنها جائزة في العقل، وأخبر عنها الشرع وجب التصديق، فكذلك بقاء المهدي جائز عقلاً واقع ديناً بشهادة الأحاديث الثابتة عن رسول الله وأهل بيته المعصومين، والإيمان بوجوده حيّاً ليس بأعظم من الإيمان بتلك الخوارق، بل الجميع من باب واحد(٤٨).

## ٨ ــ دليل اقتضاء الضرورة والإلجاء:

وهو الذي صرّح به الشيخ المفيد (رض) في الفصل التاسع من كتاب الفصول العشرة في الغيبة بقوله: ان الله تعالى دعا الخلق إلى الإقرار به وإظهار التوحيد والإيمان برسله عليهم السلام لمصلحتهم وانه لا شيء أصوب في تدبيرهم من ذلك، فمتى اضطروا إلي إظهار كلمة الكفر للخوف على دمائهم كان الأصلح لهم والأصوب في تدبيرهم ترك الإقرار بالله والعدول عن إظهار التوحيد والمظاهرة بالكفر بالرسل، وإنما تغيرت المصلحة بتغير الأحوال، وكان في تغيير التدبير الذي دبرهم الله به فيما خلقهم له مصلحة للمتّقين، وإن كان ما اقتضاه من فعل الظالمين قبيحاً منهم ومفسدة يستحقون به العقاب الأليم، وقد فرض الله تعالى الحج والجهاد وجعلهما صلاحاً للعباد، فإذا تمكنوا منه عمت به المصلحة وإذا منعوا منه بإفساد المجرمين كانت المصلحة لهم تركه والكف عنه وكانوا في ذلك معذورين وكان المجرمون به ملومين.

فهذا نظير لمصلحة الخلق بظهور الأئمة عليهم السلام وتدبيرهم إياهم متى أطاعوهم وانطووا على النصرة لهم والمعونة وإن عصوهم وسعوا في سفك دمائهم تغيّرت الحال فيما يكون به تدبير مصالحهم وصارت المصلحة له ولهم غيبته وتغييبه واستتاره ولم يكن عليه في ذلك لوم وكان الملوم هو المسبب له بإفساده وسوء اعتقاده ولم يمنع كون الصلاح باستتاره وجوب وجوده وظهوره مع العلم ببقائه وسلامته وكون ذلك هو الأصلح والأولى في التدبير، وانه الأصل الذي أحرى بخلق العباد إليه وكلفوا من أجله حسبما ذكرناه(٤٩).

## ٩ــ الدليل الإعجازي:

أو دليل القدرة الإلهية المطلقة. ومن أجل الوقوف على المراد منه نحيل القارىء الكريم إلى ما كتبه بهذا الصدد فقيد العلم والفقاهة الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر (رض) في كتاب بحث حول المهدي حيث يقول:

«قد عرفنا حتى الآن أن العمر الطويل ممكن علمياً ولكن لنفترض انه غير ممكن علمياً وأن قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه وتغيّر من ظروفه وشروطه فماذا يعني ذلك؟ انه يعني ان إطالة عمر الإنسان ــ كنوح أو كالمهدي ــ قروناً متعددة، هي على خلاف

القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والإستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء.

وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نص القرآن والسنة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويان، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون فقيل للنار حين ألقي فيها إبراهيم «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى وشبه للرومان انهم قبضوا على عيسى ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد صلّى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم.

كل هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام، وهو انه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لانجاز مهمته التي أعد لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أعد لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادةً بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطل القانون، وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟

والجواب: ان العلم نفسه قد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة

الضرورة في القانون الطبيعي. وتوضيح ذلك: ان القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطرد وقوع ظاهرة عقيب ظاهرة اخرى يستدل بهذا الإطراد على قانون طبيعي، وهو انه كلما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير ان العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاتها لأن الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الإستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإن منطق العلم الحديث، يؤكد ان القانون الطبيعي ــ كما يعرفه العلم ــ لا يتحدث عن علاقة ضرورية بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة ان المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظل وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببية، فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض ان كل ظاهرتين اطرد اقتران إحداهما بالأخرى، فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني ان من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى، ولكن هذه العلاقة تحولّت في منطق العلم الحديث إلى قانون الإقتران أو التتابع المطرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الإطراد في الإقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي إلى استحالة.

وأما على ضوء الأسس المنطقية للإستقراء فنحن نتفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة في ان الإستقراء، لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين ولكننا نرى انه يدل على وجود تفسير مشترك لاطراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، وهذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظم الكون إلى ربط ظواهر معيّنة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الإستثناء فتحدث المعجزة.

# غيبة الإمام المهدي عليه السلام
# لا تعني الإختفاء التام والإنقطاع الحقيقي عن الحياة

من الخطأ أن يتصور امرؤ أن الغيبة التي يدين بها الشيعة الإمامية تعني حالةً من الإستتار التام بالنسبة للإمام المهدي عليه السلام والإختفاء الحقيقي عن كل مخلوق في هذه الحياة وأن شخصه مجهول تماماً أشبه شيء بالعنقاء الذي يقال عنه انه طائر عظيم معروف الإسم مجهول الجسم لا يراه أحد.

ومن أجل دحض ما يمكن أن يتبادر من الإفتراءات حول ذلك ويكال من التهم من قبل الخصوم ننقل لک جملة من أقوال علمائنا الأعلام في خصوص هذه المسألة لتكون على بصيرة تامة ودراية وطيدة وكذلک جملة من الروايات الواردة من طرقنا الدالة على ما ندين به في خصوص هذا المورد وذلک بالنحو التالي:

قال الحكيم الرباني الشيخ ميثم البحراني في قواعد المرام في علم الكلام:

«إنّا نجوّز أن يظهر لأوليائه ولا نقطع بعدم ذلک، على ان اللطف حاصل لهم في غيبته أيضاً، إذ لا يأمن أحدهم إذا همّ بفعل المعصية أن يظهر الإمام عليه فيوقع به الحد، وهذا القدر كاف في باب اللطف»(٥٠).

وبمثل ذلک صرّح علم الهدى السيد المرتضى في رسالة عقدها في غيبة الحجّة بقوله: نحن نجوّز أن يصل إليه كثير من أوليائه والقائلين بإمامته فينتفعون به ومن لا يصل إليه منهم ولا يلقاه من شيعته ومعتقدي إمامته فهم ينتفعون به في حال الغيبة النفع الذي نقول انه لابدّ في التكليف منه لأنهم مع علمهم بوجوده بينهم وقطعهم على وجوب طاعته عليهم ولزومها لهم لابدّ أن يخافوه ويهابوه في ارتكاب القبائح ويخشوا تأديبه ومؤاخذته فيقل منهم فعل القبيح ويكثر فعل الحسن أو يكون ذلک أقرب(٥١).

وقال أيضاً: في كتاب تنزيه الأنبياء في جواب من قال: «فإذا كان الإمام عليه السلام غائباً بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ولا ينتفع به، فما الفرق بين وجوده وعدمه الخ؟»قلنا: الجواب أوّل ما نقوله: إنّا غير قاطعين على أنَّ الإمام لا يصل إليه أحد، ولا يلقاه بشر، فهذا أمر غير معلوم، ولا سبيل إلى القطع عليه، الخ.

وقال أيضاً في جواب من قال: إذا كانت العلّة في استتار الإمام، خوفه من

الظالمين، واتّقاءه من المعاندين، فهذه العلّة زائلة في أوليائه وشيعته، فيجب أن يكون ظاهراً لهم: بعد كلام له.

وقلنا أيضا: إنّه غير ممتنع أن يكون الإمام يظهر لبعض أوليائه ممّن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف، وإنّ هذا ممّا لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه، وإنّما يعلم كلّ واحد من شيعته حال نفسه، ولا سبيل له إلى العلم بحال غيره. وله في كتاب المقنع في الغيبة كلام يقرب ممّا ذكره هناك.

وقال الشيخ الطوسيّ رضوان الله عليه في كتاب الغيبة في الجواب عن هذا السؤال بعد كلام له: والّذي ينبغي أن يجاب عن هذا السؤال الّذي ذكرناه عن المخالف أن نقول: إنّا أوّلاً لا نقطع على استتاره عن جميع أوليائه بل يجوز أن يبرز لأكثرهم ولا يعلم كلٌّ إنسان إلاّ حال نفسه، فإن كان ظاهراً له فعلّته مزاحة، وإن لم يكن ظاهراً علم أنّه إنّما لم يظهر له لأمر يرجع إليه، وإن لم يعلمه مفصّلاً لتقصير من جهته الخ.

وأضاف العلاّمة السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة أيضاً بقوله: في ضمن جوابه على الشبهة الرابعة من الأجوبة الّتي فنّدَ فيها افتراءات الخصوم بقوله:

الشيعة تعتقد بوجود المهدي حياً في هذه الدنيا يرى الناس ويرونه ولا يعرفونه، وقد رفع مولانا الصادق عليه السلام في الأحاديث السابقة المروية عنه في المهدي عليه السلام استبعاد ذلك بأن إخوة يوسف تاجروه وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته فلم يعرفوه (قال عليه السلام) وما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتى يأذن الله عزّوجل أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف.

(وفي رواية) عن الصادق عليه السلام أن في صاحب هذا الأمر سنناً من الأنبياء (إلى أن قال) وأما سنته من يوسف فالستر، جعل الله بينه وبين الخلق حجاباً يرونه ولا يعرفونه.

أقول: يضاف إلى ذلك أيضاً عدّة شواهد وأمثلة ذكرها جمع من المحققين تتعلق بما ورد من المأثور لطلب الإتصال به والتشرف برؤيته في عالمي اليقظة والمنام، وما ذكر من الأدلة حول إمكان ذلك وعدم امتناعه أو عدم المنع منه وما نقل عن شؤونه الخاصة كوجود ذرّية وحفدة له وأماكن تواجدهم وما صدر عنه عليه

السلام من التواقيع في عصر الغيبة الكبرى للشيخ الأجل المفيد (رض) وكذا حل قضية معضلة ابتلى بها أهالي البحرين، يضاف إلى ذلك عشرات الحوادث التي تجري مجرى هذا القبيل، مما لا يسعنا الإتيان بها في كتابنا هذا، لذا نقتصر على المهم منها ممّا ألمحنا من خلال هذه الأسطر إليه فنقول:

**أما المثال الأول فما ورد من الطرق المأثورة للإتصال والتشرف برؤيته في عالمي اليقظة والمنام:**

وفي ذلك قال العلاّمة النحرير والمحقق الخبير السيد محمد تقي الإصفهاني في كتاب مكيال المكارم في آداب الدعاء للقائم عليه السلام ما نصه:

كما انه يستحب طلب الفوز بلقائه في زمان ظهوره يستحب أيضاً طلب الفوز بلقائه في زمان غيبته في حال نوم السائل وفي يقظته، ويدل على ذلك وجوه:

**(الأول)** جميع ما دل على استحباب الدعاء لكل أمر مشروع كقوله تعالى: «وقال ربكم ادعوني أستجب لكم» وقوله تعالى: «واسألوا الله من فضله» «وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان» والروايات في ذلك متواترة:

منها عن الصادق عليه السلام(٥٢) الدعاء هو العبادة التي قال الله «إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين»(٥٣).

وعنه الدعاء كهف الإجابة كما ان السحاب كهف المطر(٥٤).

وعنه: أكثروا من أن تدعوا الله فإن الله يحبّ من عباده المؤمنين أن يدعوه، وقد وعد عباده المؤمنين الإستجابة والله مصير دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم في الخير.

وفي حديث آخر عنه فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله عزّوجل إلا بالدعاء وانه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه(٥٥).

و عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: ما من مسلم دعا الله سبحانه دعوة ليس فيها قطيعة رحم، ولا إثم إلا أعطاه الله أحد خصال ثلاثة: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخر له، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال صلّى الله عليه وآله: أكثروا(٥٦).

و عنه صلّى الله عليه وآله قال: الدعاء مخّ العبادة، وما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له، إما أن يعجل له في الدنيا أو يؤجل له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بمأثم(٥٧).

وعنه صلّى الله عليه وآله قال: أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام(٥٨).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما كان الله ليفتح باب الدعاء ويغلق عليه باب الإجابة.

وعن الصادق عليه السلام: عليكم بالدعاء فإنكم لا تقربون مثله(٥٩).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أحبّ الأعمال إلى الله عزّوجل في الأرض الدعاء، وأفضل العبادة العفاف(٦٠).

وعن فضيل بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أوصني، قال عليه السلام: أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث وأداء الأمانة، وحسن الصحابة لمن صحبك، وإذا كان قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فعليك بالدعاء، ولا يمنعك من شيء تطلبه من ربك، ولا تقول هذا ما لا أعطاه وادع فإن الله يفعل ما يشاء.

إلى غير ذلك من الأخبار المروية في كتب علمائنا الأخيار.

وحاصل الكلام ان التشرف برؤية الإمام عليه السلام أمر ممكن مشروع، وكل أمر ممكن مشروع يستحب الدعاء له.

والنتيجة استحباب الدعاء للتشرف بلقائه سلام الله تعالى عليه.

أما الكبرى: فهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، ويكفي من الكتاب والسنّة ما تلونا عليك، والإجماع ظاهر على من له خبرة وأنس بكتب العلماء وسيرة المسلمين، بل يمكن ادعاء كون استحباب الدعاء من ضروريات الدين، والعقل حاكم بحسن سؤال العبد مطالبه من ربّ العالمين.

وأما الصغرى: أعني إمكان التشرف برؤية الإمام المنتظر، عجل الله تعالى فرجه ومشروعية طلبه، فهو ظاهر لأهل الإيمان واليقين، وأدل شيء على إمكانه وقوعه لكثير من الصالحين، ومن أراد الله به خيراً في الدنيا والدين، وقد ورد سؤاله في عدة من الزيارات والأدعية التي نقلها سلفنا الصالحون في كتبهم.

ففي الدعاد المروي عنه بتوسط العمري، واجعلنا ممن تقرّ عينه برؤيته(٦١).

وفي دعاء العهد: واكحل ناظري بنظرة منّي إليه(٦٢). وفي دعاء الندبة: وأره سيّده يا شديد القُوى. وفي دعاء عقيب السلام عليه في السرداب المبارك: وأرنا وجهه. إلى غير ذلك ممّا هو مذكور في محلّه، وحمل ذلك كله على ان المراد طلب رؤيته في زمان ظهوره فقط مما لا شاهد له ولا داعي إليه.

وقد ورد في بعض الأخبار انه عليه السلام يتردّد بين الناس فيرونه، ولا يعرفونه، وقد اتّفق لي ولبعض الأخيار ما هو من الأسرار.

ومن الأخبار التي أشرت إليها ما رواه الكليني(ره) في اصول الكافي(٦٣) بسند صحيح عال(٦٤) عن سدير الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان في صاحب هذا الأمر شبهاً من يوسف عليه السلام، قال: قلت له: كأنك تذكر حياته وغيبته، قال: فقال عليه الصلاة والسلام لي: وما تنكر من ذلك هذه الأمة أشباه الخنازير؟ ان إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء تاجروا يوسف، وبايعوه، وخاطبوه وهم إخوته، وهو أخوهم فلم يعرفوه، حتى قال: أنا يوسف وهذا أخي.

فما تنكر هذه الأمّة الملعونة أن يفعل الله عزّوجل بحجته في وقت من الأوقات كما فعل بيوسف؟ ان يوسف عليه السلام كان إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه لقدر على ذلك، لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر.

فما تنكر هذه الأمة أن يفعل الله عزّوجل بحجته، كما فعل بيوسف يمشي في أسواقهم، ويطأ بسطهم، حتى يأذن الله في ذلك كما أذن ليوسف قالوا: انك لأنت يوسف، قال: أنا يوسف.

وروى النعماني(٦٥) باسناده، عن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: انّ في صاحب هذا الأمر لسنّة من يوسف، فقلت: فكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة؟ فقال عليه السلام: ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك؟ ان اخوة يوسف كانوا عقلاء الباء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه وتاجروه وراودوه وكانوا إخوتهم وهو أخوهم لم يعرفوه حتى عرفهم نفسه، وقال لهم: أنا يوسف فعرفوه حينئذ.

فما تنكر هذه الأمة المتحيّرة أن يكوّن الله عزّوجل يريد في وقت من الأوقات

أن يستتر حجته عنهم؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً فلو أراد أن يعلمه بمكانه لقدر على ذلك والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيام من بدوهم إلى مصر.

فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف وأن يكون صاحبكم المظلوم، المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرفهم نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته «إنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف»!!.

أقول: تأمّل أيها المؤمن المستيقن في هذا الحديث الشريف وتدبّر في تعريض الإمام وإنكاره على من يزعم ان الإمام لا يتردد بين الأنام، ولا يرونه وانظر في تشبيهه من هذه الجهة بيوسف الصدّيق، وفي هذا الحديث وما ذكرنا قبله كفاية وتصديق لأهل الإيمان والتحقيق ولا أجد في الروايات ما يتوهّم منه المنافاة لما ذكرناه سوى حديثين نبيّن عدم منافاتهما لما بيناه لمن يأوى إلى ركن وثيق:

أحدهما: قوله في التوقيع الشريف المتقدم: فمن ادعى المشاهدة قبل السفياني والصيحة فهو كذّاب(الخ).

وقد بينّا في الأمر السابق عدم منافاته لما ذكرناه فراجع.

والثاني:ما في مزار البحار(٦٦) عن بعض كتب المزار باسناده عن أحمد بن إبراهيم، قال: شكوتُ إلى أبي جعفر محمد بن عثمان شوقي إلى رؤية مولانا عليه السلام، فقال لي: مع الشوق تشتهي أن تراه؟ فقلت له: نعم، فقال لي: شكر الله شوقك وأراك وجهه في يسر وعافية، لا تلتمس يا أبا عبد الله أن تراه، فإن أيام الغيبة تشتاق إليه ولا تسئل الإجتماع معه انها عزائم الله والتسليم لها أولى، ولكن توجه إليه بالزيارة.

أقول: لا منافاة في هذا الحديث لما ذكرناه:

أما أولاً: فلأنه دعا للسائل بقوله أراك وجهه، ولو كان هذا غير ممكن، أو طلبه غير مشروع لما كان يدعو له بذلك.

وأما ثانياً: فلأن هذا السؤال والجواب كان في زمان الغيبة الأولى، وفي ذلك الزمان قد وقع الفوز بلقائه عليه السلام لكثير من أهل الإيمان من السفراء وغيرهم كما يظهر من الأخبار ولم نر في الروايات ما يدل على نفي المشاهدة مطلقاً في الغيبة

الأولى.

وأما ثالثاً: فلأنه يحتمل أن يكون في ذلك الوقت مانع بملاحظته، لم يصلح التشرف بلقائه لأحد وقد ورد نظير ذلك في منع الوكلاء عن ذكره:

ففي أصول الكافي(٦٧) عن الحسين بن الحسن العلوي، قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه، فقال له: هو ذا يجبي إليه الأموال، وله وكلاء، وسموا جميع الوكلاء في النواحي، وأنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهم الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل: فإن هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله بن سليمان: نقبض على الوكلاء، فقال السلطان: لا، ولكن دسوا لهم قوماً لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه.

قال: فخرج التوقيع بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً، وأن يمتنعوا من ذلك، ويتجاهلوا الأمر فاندس لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه، وخلا به، فقال: معي مال أريد أن أوصله، فقال له محمد: غلطت، أنا، لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه ومحمد يتجاهل عليه، وبثوا الجواسيس، وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدم إليهم.

وأما رابعاً: فبأنه لا يمكن لأحد التشرف برؤيته إلا بإذنه، ويمكن أن يكون منع أبي جعفر من ذلك بسبب عدم إذن الإمام له في تشرف هذا الشخص بلقائه إما بسبب عدم تحمله لهذا السر وضعف طاقته ونشر الخبر وإذاعته أو لغير ذلك.

ويؤيّد هذا الوجه ما في أصول الكافي(٦٨) عن علي بن محمد، عن أبي عبد الله الصالحي، قال: سألني أصحابنا بعد مضي أبي محمد عليه السلام، أن أسأل عن الإسم والمكان، فخرج الجواب ان دللتهم على الإسم أذاعوه وإن عرفوا المكان دلوا عليه.

وأما خامساً: فلعل السائل أراد مصاحبته، وملازمته على نحو أصحاب سائر الأئمة عليهم السلام، وذلك كان ممنوعاً في الغيبتين جميعاً، والشيخ أبو جعفر فهم منه ذلك أيضاً، ولهذا قال: لا تسئل الإجتماع معه.

ويؤيّد هذا الوجه ما رواه(٦٩) الكليني رحمه الله تعالى في الصحيح عن الصادق عليه السلام قال للقائم عليه السلام غيبتان: إحديهما قصيرة، والأخرى طويلة، الغيبة الأولي لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه

فيها إلا خاصة مواليه.

هذا وقد مرّ في الأمر السابق ما يؤيده أيضاً فتدبّر.

**الوجه الثاني:** ان النظر إلى وجهه المنير عبادة وطلب التوفيق للعبادة عبادة، وكل من المقدمتين من الوضوح بمكان لا يحتاج إلى إقامة دليل وبرهان.

بل يشهد للأولى ما روي في مجالس(٧٠) الصدوق عن مولانا الرضا عليه السلام: من ان النظر إلى ذرية النبي صلّى الله عليه وآله عبادة، إماماً كان أو غير إمام.

وللثانية الدعوات المأثورة عن الأئمة عليهم السلام، وأمرهم بطلب التوفيق للعبادة من الله عزّوجل.

**الوجه الثالث:** قوله في دعاء العهد وغيره: اللّهمّ أرني الطلعة الرشيدة، والغرّة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة منّي إليه... فإنه يعم بإطلاقه زمان غيبته وحضوره كما لا يخفى على من استنار قلبه بنوره.

**الوجه الرابع:** فحوى ما ورد في فضل قراءة سورة بني إسرائيل في ليالي الجمعة.

ففي تفسير البرهان(٧١) عن العياشي والصدوق في كتابيهما، باسنادهما عن الصادق عليه السلام قال: من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم، ويكون من أنصاره.

وفحوى ما ورد في فضل قراءة دعاء العهد المروي في البحار(٧٢) عن كتاب الإختيار للسيد إبن الباقي عن الصادق عليه السلام، انه قال: من قرأ بعد كل فريضة هذا الدعاء فإنه يرى الإمام محمد بن الحسن عليه وعلى آبائه السلام في اليقظة أو في المنام، وقد ذكرناه في أول الباب السادس.

وفحوى ما روي في(٧٣) مكارم الأخلاق في فضل قراءة: اللّهمّ ان رسولك الصادق المصدق إلى آخره بعد كل فريضة، والمواظبة على هذا الدعاء، انه يتشرّف بلقاء صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه.

وقد ذكرناه في الباب السادس أيضاً وجه الإستدلال ان الأخبار المذكورة تدل بدلالة التنبه والإيماء على ان طلب التشرف بلقائه عليه السلام أمر محبوب عند الله تعالى وقد ندب إليه الأئمة عليهم السلام، حتى ان الفوز بلقائه قد جعل ثواباً لمن

تعبد ببعض العبادات التي أمر الشارع بها، فتدبّر.

**الوجه الخامس:** ما نظمه العلاّمة الطباطبائي السيد مهدي النجفي المشتهر ببحر العلوم في الغايات التي يستحب لها الغسل، حيث قال في درّته:

ورؤية الإمام في المنام          لدرك ما يقصد من مرام

فلو لم يكن طلب رؤية الإمام أمراً مستحباً مرغوباً إليه لم يكن الإغتسال له مستحباً راجحاً، إذ لا يخفى ان استحباب الغسل إنما هو لرجحان ما يغتسل له، وهذا ظاهر بالنظر إلى سائر موارده، فتدبّر.

**الوجه السادس:** ان طلب لقائه إنما هو لمحبّته، والإشتياق والتحبّب إليه، ولا ريب ان التودّد والتحبّب إليه من أفضل العبادات وأهمّها، لأنه من آثار الولاية وعلائمها، فكلما كان الحب أشد وأتمّ كان الإشتياق إلى لقاء المحبوب أكثر وأعظم، وقد مر في هذا الباب ما يدل على هذا المرام ويتذكر به أولوا الألباب.

**الوجه السابع:** ما روي في جنة المأوى(٧٤) للعالم النوري رحمه الله تعالى عن كتاب الإختصاص للشيخ المفيد(ره) عن أبي المغرا(٧٥) عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سمعته يقول: من كانت له إلى الله حاجة وأراد أن يرانا، وأن يعرف موضعه، فليغتسل ثلاث ليال يناجي بنا، فإنه يرانا ويغفر له بنا، ولا يخفى عليه موضعه، الخبر.

قال المحدث النوري بعد ذكر الحديث: قوله عليه السلام: يناجى بنا أي يناجى الله تعالى بنا، ويعزم عليه ويتوسل إليه بنا أن يرينا إياه، ويعرف موضعه عندنا وقيل: أي يهتم برؤيتنا، ويحدث نفسه بنا: ومحبتنا فإنه يراهم، أو يسئلنا ذلك إنتهى كلامه.

أقول: يحتمل قوياً أن يكون المراد من قوله عليه السلام يناجى بنا أن يناجي المؤمن إمام زمانه ويذكر له حاله ويبث إليه حزنه وشكواه، ويكلمه ويعرض عليه حوائجه ومناه ويسأله الإهتمام بما يحتاج إليه ويتمنّاه، كما يناجي ربّه ومولاه، فإن إمامه يسمع كلامه ويراه فإنه الذي جعله الله تعالى غوثاً لمن فزع إليه وهواه، ومفزعاً لمن التجأ إليه وناداه ومعيناً لمن استعان به وناجاه، فيكون معنى يناجي بنا: يناجينا، ونظيره ما سيأتي في الأمر الآتي في الحديث أن ينادي بهم الباري ومعناه يناديهم.

وفي(٧٦) دعاء يوم العاشور وجعلنا وإياكم من الطالبين بثاره، أي من طالبي

ثاره ونظيره كثير، كما لا يخفى على الخبير.

ويشهد لما ذكرناه اسيد الأجل علي بن طاووس في كشف المحجة(٧٧) نقلاً عن كتاب الرسائل لمحمد بن يعقوب الكليني، رحمه الله تعالى عمّن سماه قال: كتبتُ إلى أبي الحسن عليه السلام ان الرجل يحب أن يفضي إلى إمامه ما يحب أن يفضي(٧٨) إلى ربه؟ قال: فكتب عليه السلام: إن كانت لك حاجة فحرك شفتيك، فإن الجواب يأتيك إنتهى.

وعلى ما ذكرناه فالباء في قوله عليه السلام: يناجي بنا زائدة تقوية وتأكيداً للكلام أو للملابسة والإلصاق المجازي، فتدبّر.

**الوجه الثامن**: عمل الصالحين من العلماء وغيرهم، واستقرار سيرتهم على مسألة التشرّف بلقائه عليه السلام عن قديم الأيام بحيث كان جمع منهم يواظبون على البيتوتة، والتضرع والعبادة أربعين ليلة جمعة في مسجد الكوفة، أو أربعين ليلة أربعاء في مسجد السهلة لينالوا بهذا الفوز العظيم.

وقد اتفق الفوز بلقائه لكثير من الصالحين، ووقائعهم مذكورة في الكتب كالبحار(٧٩) ونجم الثاقب ودار السلام للشيخ محمود وغيرها.

وقد سمعت من الثقات وقائع غير مذكورة في تلك الكتب، لم يثبت في خاطري الآن كيفياتها لأثبتها في هذا المقام.

والحاصل: ان التشرف برؤيته في زمان غيبته أمر ممكن قد وقع لكثير من الأنام من الخواص والعوام، وبهذا يجاب عن بعض أهل الشبهة من العامة وغيرهم الذين يعترضون على الإمامية بأنه: أي فائدة في وجود الإمام الغايب عن الأبصار.

ويجاب عنهم أيضاً، بأن فوائد وجود الإمام ليست منحصرة في الفوائد التي تدرك بمشاهدته وظهوره، بل فوائد وجوده المبارك كثيرة، تصل إلى جميع الممكنات وإن كان غائباً عن أبصار البريات ولذلك شبه في عدة من الروايات بالشمس، إذا كانت تحت السحاب. «لمؤلفه»:

هو العالم الهادي بإشراق نوره ... وإن غاب عن عيني كحين ظهوره

ألم تر إن الشمس ينشر ضوءها ... إذا كان تحت الغيم حين عبوره

ونحن نذكر إن شاء الله تعالى شأنه في خاتمة الكتاب وجوهاً كثيرة مما ألهمنا الله تعالى ببركة أوليائه في تشبيه مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه في

زمان غيبته بالشمس إذا كانت تحت السحاب، هذا.

وقد صرح جمع من علمائنا في كتبهم بأنه لا يمتنع في زمان الغيبة التشرف بلقاء الحجة عليه السلام، وبوقوع ذلك لكثير من المؤمنين:

قال السيّد المرتضى رضي اللّه تعالى عنه في كتاب الغيبة فإن قيل فأيّ فرق بين وجوده غائباً لا يصل إليه أحد ولا ينقطع به بشر وبين عدمه، وإلا جاز إعدامه إلى حين علم اللّه بتمكين الرعية له كما جاز أن يبيحه الإستتار حتى يعلم التمكين له فيظهر..

قيل له: أولاً نحن نجوز أن يصل إليه كثير من أوليائه والقائلون بإمامته فينتفعون به، ومن لا يصل إليه منهم ولا يلقاه من شيعته، ومعتقدي إمامته فهم ينتفعون به في حال الغيبة النفع الذي نقول انه لابدّ في التكليف منه، إلى آخر ما قال.

وقال السيد رضي الدين علي بن طاووس(ره) في كشف المحجة(٨٠) مخاطباً لولده(ره): والطريق مفتوحة إلى إمامك عليه السلام لمن يريد اللّه جلّ جلاله عنايته به وتمام إحسانه إليه، إنتهى.

ومن العلماء المصرحين بذلك العلاّمة المجلسي، وبحر العلوم والمحقق الكاظمي والشيخ الطوسي وغيرهم من أجلة العلماء الأبرار.

فقد ظهر بما تلوناه عليك ببركة أوليائه عليه السلام إمكان رؤيته في اليقظة والمنام في زمان الغيبة الكبرى، واستحباب مسألة هذا الشأن من القادر المنّان، وهو الموفّق وعليه التكلان. إنتهى كلامه أعلى اللّه مقامه.

وأما المثال الثاني الشاهد على اتصاله عليه السلام بشيعته وتدبيره لشؤونهم فهوعبارة عن الرسالتين الصادرتين منه للفقيه الثقة فخر الشيعة الشيخ المفيد (قدس سره)(٨١).

## «الرسالة الأولى»

وقد رواها المحدث الثقة الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الإحتجاج بقوله:

ذكر كتاب ورد من الناحية المقدسة حرسها اللّه ورعاها في أيّام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة على الشيخ المفيد أبي عبد اللّه محمد بن محمد بن

النعمان قدس الله روحه ونوّر ضريحه ذكر موصله انه يحمله من ناحية متصلة بالحجاز نسخته:

للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد، سلام عليك أيّها المولى المخلص في الدين المخصوص فينا باليقين، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، ونسأله الصلاة على سيّدنا ومولانا نبيّنا محمّد وآله الطاهرين ونعلمك أدام الله توفيقك لنصرة الحقّ وأجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق، أنّه قد أذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك ما تؤدّيه عنّا إلى موالينا قبلك، أعزّهم الله بطاعته، وكفاهم المهمّ برعايته لهم وحراسته.

فقف أمدّك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه، على ما نذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله، نحن وإن كنّا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الّذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح، ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، مادامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا يحيط علمنا بأنبائكم، ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالزلل الّذي أصابكم، مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون.

إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولو لا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء، فاتّقوا الله جلّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويحمى عليه من أدرك أمله، وهي أمارة لأزوف حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، والله متمّ نوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتقيّة من شبّ نار الجاهلية، يحششها عصب أمويّة تهول بها فرقة مهديّة أنا زعيم بنجاة من لم يرم منها المواطن الخفيّة، وسلك في الطعن منها السبل الرضيّة، إذا حلّ جمادي الأولى من سنتكم هذه، فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون من الّذي يليه، ستظهر لكم من السماء آية جليّة ومن الأرض مثلها بالسويّة، ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مرّاق، يضيق بسوء فعالهم على أهله الأرزاق.

ثمّ تنفرّج الغمّة من بعده، ببوار طاغوت من الأشرار، يسرّ بهلاكه المتّقون الأخيار، ويتّفق لمريدي الحجّ من الآفاق، ما يأملونه على توفير غلبة منهم واتّفاق، ولنا في تيسير حجّهم على الإختيار منهم والوفاق، شأنٌ يظهر على نظام واتّساق، فيعمل كلّ امرىء منكم ما يقرب به من محبّتنا وليتجنّب ما يدنيه من كراهيتنا، وسخطنا، فإنّ امرءاً يبغته فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، واللّه يلهمك الرشد، ويلطف لكم بالتوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام:

هذا كتابنا إليك أيّها الأخ الوليّ، والمخلص في ودّنا الصفيّ، والناصر لنا الوفيّ، حرسك اللّه بعينه الّتي لا تنام، فاحتفظ به ولا تظهر على خطّنا الّذي سطرناه بما له ضمنّاه أحداً، وأدّ ما فيه إلى من تسكن إليه، وأوص جماعتهم بالعمل عليه إن شاء اللّه، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطاهرين(٨٣).

قال العلاّمة المجلسي في ذيل محكيه له:

إيضاح: «الشاسع البعيد» و«الإنتياش» التناول «وحمّ» على بناء المجهول أي قدّر، و«يحمى» على بناء المعلوم أو المجهول من الحماية والدفع، وتقول: «حششت النار» أحشّها إذا أوقدتها.

## «الرسالة الثانية»

وعنه أيضاً في الكتاب المذكور قال: ورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات اللّه عليه يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجّة سنة إثنتي عشرة وأربعمائة نسخته:

من عبد اللّه المرابط في سبيله إلى ملهم الحقّ ودليله:

بسم اللّه الرحمن الرحيم سلام عليك أيّها الناصر للحقّ الداعي إلى كلمة الصدق، فإنّا نحمد اللّه إليك الّذي لا إله إلاّ هو، إلهنا وإله آبائنا الأوّلين ونسأله الصلاة على نبيّنا وسيّدنا ومولانا محمّد خاتم النبيّين وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

وبعد: فقد كنّا نظرنا مناجاتك عصمك اللّه بالسبب الّذي وهبه لك من أوليائه وحرسك من كيد أعدائه، وشفّعنا ذلك الآن من مستقرّ لنا، ينصب في شمرخ من بهماء صرنا إليه آنفاً من غماليل ألجأ إليه السباريت من الإيمان، ويوشك أن يكون

هبوطنا منه إلى صحصح من غير بعد من الدهر، ولا تطاول من الزمان، ويأتيك نبأ منّا بما يتجدّد لنا من حال، فتعرف بذلك ما تعتمده من الزلفة إلينا بالأعمال والله موفّقك لذلك برحمته. فلتكن حرسك الله بعينه الّتي لا تنام أن تقابل بذلك، ففيه تبسل نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين وتبتهج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون. وآية حركتنا من هذه اللّوثة(٨٤) حادثة بالحرم المعظّم، من رجس منافق مذمّم، مستحلّ للدّم المحرّم، يعمد بكيده أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم والعدوان، لأنّنا من وراء حفظهم بالدّعاء الّذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء، فليطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب، والعاقبة لجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم، ما اجتنبوا المنهيّ عنه من الذنوب.

ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص المجاهد فينا الظالمين، أيّدك الله بنصره الّذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين، أنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين وخرج عليه بما هو مستحقّه كان آمناً من الفتنة المظلة، ومحنها المظلمة المضلّة، ومن بخل منهم بما أعاره الله من نعمته، على من أمره بصلته، فإنّه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته، ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتّصل بنا ممّا نكرهه، ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيّدنا البشير النذير، محمّد وآله الطاهرين وسلّم، وكتب في غرّة شوّال من سنة إثنتي عشرة وأربعمائة.

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها، هذا كتابنا إليك أيّها الوليّ الملهم للحقّ العليّ بإملائنا وخطّ ثقتنا فأخفه عن كلّ أحد، واطوه واجعل له نسخة يطّلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا، شملهم الله ببركتنا [ودعائنا] إن شاء الله، والحمد لله والصلاة على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين(٨٥).

وأردفه هو الآخر العلامة المجلسي بقوله:

توضيح: «الشمراخ» رأس الجبل، وفي العبارة تصحيف ولعلّه كان هكذا «وشفعنا لك الآن» أي لننجح حاجتك الّتي طلبت «في مستقرّ لنا» أي مخيّم تنصب لنا

في رأس جبل «من مفازة بهماء» أي مجهولة «والغماليل» جمع الغملول بالضمّ وهو الوادي أو الشجر أو كلّ مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو غمام أو ظلمة «والسباريت» جمع السبروت بالضمّ، وهو القفر لا نبات فيه، والفقير ولعلّ الأخير أنسب و«أبسلت فلاناً» أسلمته للهلكة و «اللّوثة» بالضمّ الإسترخاء والبطوء وكانت النسخ سقيمة أوردناه كما وجدنا(٨٦).

وأضاف المحدث النوري طاب ثراه في خاتمة كتابه الموسوم بجنّة المأوى في ضمن فائدته الأولى التي عقدها لتأييد جواز رؤيته عليه السلام في الغيبة الكبرى في الوجه الرابع من الوجوه التي أوردها فيها بقوله:

ما ذكره العلاّمة الطباطبائي في رجاله في ترجمة الشيخ المفيد بعد ذكر التوقيعات المشهورة الصادرة منه عليه السلام في حقّه ما لفظه: وقد يشكل أمر هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى، مع جهالة المبلّغ، ودعواه المشاهدة المنافية بعد الغيبة الصغرى، ويمكن دفعه باحتمال حصول العلم بمقتضى القرائن، واشتمال التوقيع على الملاحم والإخبار عن الغيب الّذي لا يطّلع عليه إلاّ الله وأولياؤه بإظهاره لهم، وأنّ المشاهدة المنفيّة أن يشاهد الإمام عليه السلام ويعلم أنّه الحجّة عليه السلام حال مشاهدته له، ولم يعلم من المبلّغ إدّعاؤه لذلك.

وقال رحمه الله في فوائده في مسألة الإجماع بعد اشتراط دخول كلّ من لا نعرفه: وربّما يحصل لبعض حفظة الأسرار من العلماء الأبرار العلم بقول الإمام عليه السلام بعينه على وجه لا ينافي امتناع الرؤية في مدّة الغيبة، فلا يسعه التصريح بنسبة القول إليه عليه السلام فيبرزه في صورة الإجماع، جمعاً بين الأمر بإظهار الحقّ والنهي عن إذاعة مثله بقول مطلق، إنتهى(٨٧).

### وأما المثال الثالث الوارد بهذا الصدد فهو:

## قصة الوزير مع أهل البحرين واحتياله بالرمان:

جاء في محكي المحقق الحدائقي في كشكوله عن بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره قوله:

(منها) ما أخبرني به بعض الأفاضل الكرام والثقات الأعلام قال: أخبرني بعض من أثق به يرويه عمن يثق به ويطريه انه قال: لما كانت بلدة البحرين تحت

ولاية الإفرنج جعلوا واليها رجلاً من المسلمين ليكون ادعى إلى تعميرها وأصلح بحال أهلها، وكان هذا الوالي من النواصب وله وزير أشدّ نصباً منه يظهر العداوة لأهل البحرين لحبّهم لأهل البيت عليهم السلام، ويحتال في إهلاكهم وإضرارهم بكل حيلة.

فلمّا كان في بعض الأيام دخل الوزير على الوالي وبيده رمّانة فأعطاها الوالي فإذا مكتوب عليها: «لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي خلفاء رسول الله» فتأمّل الوالي فرأى الكتابة من أصل الرمّانة بحيث لا يحتمل عنده أن يكون من صناعة بشر، فتعجّب من ذلك وقال للوزير: هذه آية بيّنة وحجّة قويّة على إبطال مذهب الرافضة، فما رأيك في أهل البحرين؟

فقال له: أصلحك الله ان هؤلاء جماعة متعصّبون ينكبون عن البراهين وينبغي لك أن تحضرهم وتريهم هذه الرمّانة فإن قبلوا ورجعوا إلى مذهبنا كان لك الثواب الجزيل بذلك، وان أبوا إلاّ المقام على ضلالتهم فخيرهم بين ثلاث اما أن يؤدوا الجزية وهم صاغرون، أو يأتوا بجواب عن هذه الآية البينة التي لا محيص لهم عنها، أو تقتل رجالهم وتسبي نساءهم وأولادهم وتأخذ الغنيمة من أموالهم فاستحسن الوالي رأيه وأرسل إلى العلماء والأفاضل الأخيار والنجباء والسادات الأبرار من أهل البحرين وأحضرهم وأراهم الرمّانة وأخبرهم بما رأي فيهم ــ إن لم يأتوا بجواب شاف ــ من القتل والأسر وأخذ الأموال أو أخذ الجزية على وجه الصغار كالكفّار، فتحيّروا في أمرها ولم يقدروا على الجواب وتغيّرت وجوههم وارتعدت فرائصهم فقال كبراؤهم: أمهلنا أيها الأمير ثلاثة أيام لعلنا نأتيك بجواب ترتضيه وإلا فاحكم فينا بما شئت، فأمهلهم فخرجوا من عنده خائفين مرعوبين متحيّرين.

فاجتمعوا في مجلس وأجالوا الرأي في ذلك فاتّفق رأيهم على أن يختاروا من صلحاء البحرين وزهّادهم عشرة، ففعلوا ذلك، ثم اختاروا من العشرة ثلاثة فقالوا: لأحدهم اخرج الليلة إلى الصحراء واعبد الله فيها واستغث بإمام زماننا وحجة الله علينا لعله يبين لك ما هو المخرج من هذه الداهية الدهماء.

فخرج وبات طول ليلته متعبداً خاشعاً باكياً يدعو الله ويستغيث بالإمام حتى أصبح ولم ير شيئاً، فأتاهم وأخبرهم.

فبعثوا في الليلة الثانية الثاني منهم فرجع كصاحبه ولم يأتهم بخبر.

فازداد قلقهم وجزعهم، فأحضروا الثالث وكان تقياً فاضلاً اسمه محمد بن عيسى فخرج الليلة الثالثة حافياً حاسراً للرأس إلى الصحراء وكانت ليلة مظلمة، فدعى وبكى وتوسّل إلى اللّه سبحانه وتعالى في خلاص هؤلاء المؤمنين وكشف هذه البلية عنهم واستغاث بصاحب الزمان.

فلما كان في آخر الليل إذ هو برجل يخاطبه ويقول: يا محمد بن عيسى ما لي أراك على هذه الحالة ولماذا خرجت في هذه البرية؟

فقال: أيها الرجل دعني فإني خرجت لأمر عظيم وخطب جسيم لا أذكره إلاّ إلى إمامي، ولا أشكوه إلا لمن يقدر على كشفه عني.

فقال: يا محمد بن عيسى أنا صاحب الأمر فاذكر لي حاجتك.

فقال: إن كنت هو فأنت تعلم حاجتي وقصتي ولا تحتاج أن أشرحها إليك.

فقال له: نعم خرجت لما دهمكم من أمر الرمّانة وما كتب عليها وما أوعدكم الأمير به.

قال: فلما سمعت ذلك منه توجهتُ إليه وقلت له: نعم يا مولاي قد تعلم ما أصابنا وأنت إمامنا وملاذنا والقادر على كشفه عنا.

فقال عليه السلام: يا محمد بن عيسى ان الوزير (لعنه اللّه) في داره شجرة رمّان فلما حملت تلك الشجرة صنع شيئاً من الطين على هيئة الرمانة، وجعلها نصفين وكتب في داخل كل نصف بعض تلك الكتابة، ثم وضعها على الرمانة وشدهما عليها وهي صغيرة فأثر فيها وصارت هكذا، فإذا مضيتم غداً إلى الوالي فقل له: جئتك بالجواب ولكني لا أبديه إلا في دار الوزير، فإذا مضيتم إلى داره فانظر عن يمينك ترى فيها غرفة فقل للوالي: لا أجيبك إلاّ في تلك الغرفة، وسيأبى الوزير عن ذلك وأنت بالغ في ذلك ولم ترض إلاّ بصعودها، فإذا صعد فاصعد معه ولا تتركه وحده يتقدّم عليك، فإذا دخلت الغرفة رأيت كوة فيها كيس أبيض فانهض إليه وخذه فترى فيه تلك الطينة التي عملها لهذه الحيلة، ثم ضعها أمام الوالي وضع الرمّانة فيها لينكشف له جلية الحال.

وأيضاً يا محمد بن عيسى قل للوالي: ان لي معجزة أخرى وهي ان هذه الرمانة ليس فيها إلا الرماد والدخان، وإن أردت صحة ذلك فأمر الوزير بكسرها،

فإذا كسرها طار الرماد والدخان على وجهه ولحيته.

فلمّا سمع محمد بن عيسى ذلك من الإمام فرح فرحاً شديداً وقبل ما بين يدي الإمام وانصرف إلى أهله بالبشارة والسرور. فلمّا أصبحوا مضوا إلى الوالي وفعل محمد بن عيسى كلما أمره به الإمام وظهر كلما أخبره. فالتفت الوالي إلى محمد بن عيسى وقال له: من أخبرك بهذا؟ فقال: إمام زماننا وحجة الله علينا. فقال: ومن إمامكم؟ فأخبره بالأئمة واحداً بعد واحد إلى أن انتهى إلى صاحب الزمان عليه السلام. فقال الوالي: فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وان الخليفة من بعده أمير المؤمنين علي عليه السلام، ثم أقرّ بالأئمة إلى آخرهم وحسن إيمانه وأمر بقتل الوزير واعتذر إلى أهل البحرين وأحسن إليهم وأكرمهم.

قال: وهذه القصة مشهورة عند أهل البحرين، وقبر محمد بن عيسى معروف تزوره الناس ـ إنتهى ما أردنا نقله من بحار الأنوار(٨٨).

## وأما المثال الرابع الوارد بهذا الصدد فهو:

# قصة الجزيرة الخضراء

الواردة في كتاب بحار الأنوار حيث قال العلامة المجلسي عطّر الله مرقده:

وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت إيرادها لاشتمالها على ذكر من رآه عليه السلام ولما فيه من الغرائب، وانما أفردت لها باباً لأني لم أظفر بها في الأصول المعتبرة ولنذكرها بعينها كما وجدتها.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لمعرفته، والشكر له على ما منحنا للإقتداء بسنن سيد بريته محمد الذي اصطفى من بين خليقته، وخصنا بمحبة علي والأئمة المعصومين من ذرّيته، صلى الله عليهم أجمعين الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

(وبعد) فقد وجدت في خزانة أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وحجة رب العالمين وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام بخط الشيخ الفاضل والعالم العامل الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الكوفي (قده) ما هذا صورته:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين (وبعد) فيقول

الفقير إلى عفو ربّه ورضوانه سبحانه وتعالى الفضل بن يحيى بن علي الطيّبي الإمامي الكوفي عفى الله عنه: قد كنت سمعت من الشيخين الفاضلين العالمين العاملين شيخ شمس الدين بن نجيح الحلي والشيخ جلال الدين عبد الله بن الحرام الحلي (قدس الله روحيهما ونوّر ضريحهما) في مشهد سيد الشهداء وخامس أصحاب الكساء مولانا وإمامنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في النصف من شهر شعبان سنة تسع وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية (على مشرفها محمد أفضل الصلاة ثم التحية) حكاية ما سمعناه من الشيخ الصالح التقي والفاضل الورع الزكي زين الدين علي ابن فاضل المازندراني المجاور بالغري (على مشرفه السلام) حيث اجتمعا به في مشهد الإمامين الزكيّين الطاهرين المعصومين السعيدين (عليهما السلام) بسرّ من رأى، وحكى لهما حكاية ما شاهده ورأى في البحر الأبيض والجزيرة الخضراء من الغرائب، فمر بي باعث الشوق إلى رؤياه وسألت تيسير لقياه والإستماع لهذا الخبر من نقله فيه بإسقاط روايته، وعزمت على الإنتقال إلى سر من رأى للإجتماع به، فاتفق ان الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني انحدر من سر من رأى إلى الحلة في أوائل شهر شوّال من السنة المذكورة ليمضي على جاري عادته ويقيم في المشهد الغروي، فلما سمعت بدخوله إلى الحلة وكنت يومئذ بها أنتظر قدومه فإذا أنا به وقد أقبل راكباً يريد دار السيد الحسيب ذي النسب الرفيع والحسب المنيع السيد فخر الدين الحسن بن علي الموسوي المازندراني نزيل الحلة (أطال الله بقاه) ولم أكن إذ ذاك الوقت أعرف الشيخ المذكور، ولكن خرج في خاطري انه هو، فلما غاب عن عيني تبعته إلى دار السيد المذكور، فلما وصلت إلى باب الدار رأيت السيد فخر الدين واقفاً على باب داره مستبشراً فلما رآني مقبلاً ضحك في وجهي وعرفني بحضوره، فاستطار قلبي فرحاً وسروراً ولم أملك نفسي على الصبر عن الدخول إليه في غير ذلك الوقت فدخلت الدار مع السيد فخر الدين فسلّمت عليه وقبلت يديه.

فسأل السيد عن حالي فقال له: هو الشيخ فضل بن الشيخ يحيى الطيبي صديقكم، فنهض واقفاً وأقعدني في مجلسه ورحب بي وأحفى السؤال عن حال أبي وأخي الشيخ صلاح الدين لأنه كان عارفاً بهما سابقاً ولم أكن في تلك الأوقات حاضراً، بل كنت في بلدة واسط أشتغل في طلب العلم عند الشيخ العامل العالم

الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الواسطي الامامي تغمده الله برحمته وحشره في زمرة أئمته، فتحادثت مع الشيخ الصالح المذكور متع الله المؤمنين بطول بقائه فرأيت في كلامه امارات تدل على الفضل في أغلب العلوم من الفقه والحديث والعربية بأقسامها، وطلبت منه شرح ما حدث به الرجلان الفاضلان العالمان العاملان المؤملان الشيخ شمس الدين والشيخ جلال الدين الحليان المذكوران سابقاً (عفى الله عنهما) فقصّ لي القصة من أولها إلى آخرها بحضور السيد الجليل السيد فخر الدين نزيل الحلة صاحب الدار وحضور جماعة من علماء الحلة والأطراف قد كانوا أتوا لزيارة الشيخ المذكور (وفقه الله) وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر شوال من سنة تسع وتسعين وستمائة، وهذه صورة ما سمعته من لفظه (أطال الله بقاه) وربما وقع في الألفاظ التي نقلتها من لفظه تغيير لكن المعاني واحدة، قال (حفظه الله تعالى):

قد كنت مقيماً في دمشق الشام منذ سنين مشتغلاً بطلب العلم عند الشيخ الفاضل الشيخ عبد الرحيم الحنفي (وفقه الله لنور الهداية) في علمي الأصول والعربية وعند الشيخ زين الدين علي المغربي الأندلسي المالكي في علم القراءة لأنه كان عالماً فاضلاً عارفاً بالقراءات السبع، وكان له معرفة في أغلب العلوم من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والأصولين، وكان لين الطبع لم يكن عنده معاندة في البحث ولا في المذهب لحسن ذاته، فكان إذا جرى ذكر الشيعة قال: علماء الإمامية بخلاف غيرهم من المدرسين فإنهم يقولون عند ذكر الشيعة: قال علماء الرافضة فاختصصت به وتركت التردد إلى غيره، فأقمنا على ذلك برهة من الزمان اقرأ عليه في العلوم المذكورة، فاتفق انه عزم على السفر من دمشق الشام يريد الديار المصرية فلكثرة المحبة التي كانت بيننا عزّ عليّ مفارقته وهو أيضاً كذلك.

فآلى الأمر إلى انه (هداه الله) صمم [العزم] على صحبتي له إلى مصر، وكان عنده جماعة من الغرباء مثلي يقرأون عليه فصحبه أكثرهم فسرنا في صحبته إلى أن وصلنا مدينة بلاد مصر المعروفة بالفاخرة وهي أكبر المدائن كلها، فأقام بالمسجد الأزهر مدة يدرس فتسامع فضلاء مصر بقدومه فوردوا كلهم لزيارته والإنتفاع بعلومه، فأقام في فاخرة مصر مدة تسعة أشهر ونحن معه على أحسن حال، وإذا

بقافلة قد وردت من الأندلس ومعها رجل معه كتاب من والد شيخنا الفاضل المذكور ويعرف فيه بمرض شديد قد عرض له وانه يتمنى الإجتماع به قبل الممات ويحثه فيه على عدم التأخير، فرق الشيخ من كتاب أبيه فبكى وصمم العزم على المسير إلى جزيرة الأندلس، فعزم بعض التلامذة على صحبته ومن الجملة انا لأنه (هداه الله) قد كان أحبني محبّة شديدة وحسن الي المسير معه.

فسافرت إلى الأندلس في صحبته فحيث وصلنا إلى أول قرية من الجزيرة المذكورة عرض لي حمى منعتني عن الحركة، فحيث رآني الشيخ على تلك الحالة رقّ لي وبكى وقال: يعزّ عليّ مفارقتك فأعطى خطيب تلك القرية التي وصلنا إليها عشرة دراهم وأمره أن يتعاهدني حتى لا يكون مني أحد الأمرين وان من الله علي بالعافية أتبعه إلى بلده، هكذا عهد اني بذلك (وفقه الله لنور الهداية إلى صراط الحق المستقيم) ثم مضى إلى بلد الأندلس ومسافة الطريق من ساحل البحرإلى بلده خمسة أيام، فبقيت في تلك القرية ثلاثة أيام لا أستطيع الحركة لشدّة ما أصابني من الحمى ففي آخر اليوم الثالث فارقتني الحمى وخرجت أدور في سكة تلك القرية، فرأيت قفلاً قد وصل من جبال قريبة من شاطيء البحر الغربي يجلبون الصوف والسمن والأمتعة.

فسألت عن حالهم، فقيل: ان هؤلاء يجيئون من جهة قريبة من أرض البويرة وهي قريبة من جزائر الرافضة، فحيث سمعت ذلك منهم ارتحت إليهم وجذبني باعث الشوق إلى أرضهم.

فقيل لي: ان المسافة خمسة وعشرين يوماً منها يومان بغير عمارة ولا ماء وبعد ذلك فالكرى متصلة، فاكتريت معهم من رجل حمار بمبلغ ثلاثة دراهم لقطع تلك المسافة التي لا عمارة فيها، فلما قطعنا تلك المسافة ووصلنا أرضهم العامرة فمشيت راجلاً وتنقلت على اختياري من قرية إلى أخرى، إلى أن وصلت إلى أول تلك الأماكن.

فقيل لي: ان جزيرة الروافض قد بقي بينك وبينها ثلاثة أيام، فمضيت ولم أتأخّر فوصلت إلى جزيرة ذات أسوار أربعة ولها أبراج محكمات عاليات شاهقات، وتلك الجزيرة بحصونها راكبة على شاطيء البحر، فدخلت من باب كبير يقال له: باب البربر فدرت في سككها أسأل عن مسجد البلد فهديت عليه ودخلت إليه فرأيته

جامعاً كبيراً معظماً واقعاً على البحر من الجانب الغربي من البلد، فجلست في جانب المسجد لأستريح وإذا بالمؤذن يؤذن للظهر ونادى بحيّ على خير العمل، ولما فرغ دعي بتعجيل الفرج للإمام صاحب الزمان عليه السلام فأخذتني العبرة بالبكاء، فدخلت جماعة بعد جماعة إلى المسجد وشرعوا في الوضوء على عين ماء تحت شجرة في الجانب الشرقي من المسجد وأنا أنظر إليهم فرحاً مسروراً لما رأيته من وضوئهم المنقول عن أئمة الهدى (سلام الله عليهم)، فلما فرغوا من وضوئهم وإذا برجل قد برز من بينهم بهيّ الصورة عليه السكينة والوقار، فتقدم إلى المحراب وأقام الصلاة فاعتدلت الصفوف وراءه وصلى بهم إماماً وهم به مأمون صلاة كاملة بأركانها المنقولة عن أئمتنا عليهم السلام على الوجه المرضاة فرضاً ونفلاً، وكذا التعقيب والتسبيح.

ومن شدّة ما لقيته من وعثاء السفر وتعبي في الطريق لم يمكني أن أصلي معهم الظهر، فلما فرغوا ورأوني أنكروا عليّ بعدم الإقتداء بهم فتوجّهوا نحوي بأجمعهم وسألوني عن حالي ومن أين أصلي وما مذهبي؟

فشرحت لهم أحوالي واني عراقي الأصل، وأما مذهبي فاني رجل مسلم أقول: «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون».

فقالوا لي: لا تنفعك هاتان الشهادتان ألا تحقن دمك في دار الدنيا لم لا تقول الشهادة الأخرى لتدخل الجنّة بغير حساب؟

فقلت لهم: وما تلك الشهادة الأخرى اهدوني إليها يرحمكم الله؟

فقال لي إمامهم: الشهادة الثالثة هي أن تشهد أنّ أمير المؤمنين ويعسوب المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ولده أوصياء رسول الله وخلفاؤه من بعده بلا فاصلة قد أوجب الله عزّوجل طاعتهم على عباده وجعلهم أولياء أمره ونهيه وحججاً على خلقه في أرضه وأماناً لبريته لأن الصادق الأمين محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله سماهم واحداً بعد واحد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فلما سمعت مقالتهم هذه حمدت الله سبحانه على ذلك وحصل عندي أكمل السرور وذهب عني تعب الطريق من الفرح وعرفتهم اني على دينهم، فتوجهوا إليّ

توجه إشفاق وعيّنوا لي مكاناً في زوايا المسجد وما زالوا يتعاهدوني بالعزة والإكرام مدة إقامتي عندهم، وصار إمام المسجد لا يفارقني ليلاً ونهاراً.

فسألته عن ميرة أهل بلده من أين تأتيهم فلا أرى لهم أرضاً مزروعة؟

فقال: تأتي لهم ميرة من الجزيرة الخضراء من البحر الأبيض من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر عليه السلام. فقلت له: كم تأتيكم ميرتكم في السنة؟فقال: مرتين وقد أتت مرة وبقيت أخرى. فقلت: كم بقي حتى تأتيكم؟قال: أربعة أشهر، فتأثرت لطول المدّة ومكثت عندهم مقدار أربعين يوماً أدعو الله ليلاً ونهاراً بتعجيل مجيئهم وكنت عندهم في غاية الإعزاز والإكرام. ففي آخر يوم من الأربعين ضاق صدري لطول المدّة فخرجت إلى شاطيء البحر أنظر إلى جهة الغرب التي ذكر أهل البلد أن ميرتهم تأتي إليهم من تلك الجهة فرأيت شبحاً من بعيد يتحرك.

فسألت من شيخ من أهل البلدة وقلت له: هل يكون في البحر طيراً أبيض؟ فقال لي: لا فهل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم.

فاستبشروا وقالوا: هذه المراكب التي تأتي إلينا في كل سنة من بلاد أولاد الإمام عليه السلام، فما كان إلا قليل حتى قدمت تلك المراكب وعلى قولهم ان مجيئها كان في غير الميعاد. فقدم مركب كبير وتبعه آخر وآخر حتى كملت سبعاً فصعد من المركب الشيخ الكبير شيخ مربوع القامة بهي المنظر حسن الزي ودخل المسجد فتوضأ الوضوء الكامل على الوجه المنقول عن أئمة الهدى عليهم السلام وصلى الظهرين. فلما فرغ من صلاته التفت نحوي مسلّماً عليّ فرددت عليه فقال لي: ما اسمك وأظن ان اسمك علي؟ قلت: صدقت. فحادثني محادثة من يعرفني، فقال: اسم أبيك يوشك أن يكون فاضلاً؟ قلت: نعم، ولم أكن أشك في انه قد كان في صحبتنا من دمشق الشام إلى مصر. فقلت: أيها الشيخ ما أعرفك بي وبأهلي هل كنت معنا حيث سافرنا من دمشق الشام إلى مصر؟

فقال: لا. قلت: ولا من مصر إلى الأندلس؟قال: لا ومولاي صاحب العصر. قلت له: ومن أين تعرفني باسمي وإسم أبي؟

قال: اعلم انه قد تقدم إليّ وصفك وأصلك ومعرفة إسمك وشخصك وهيئتك وإسم أبيك (رحمه الله) وأنا أصحبك معي إلى الجزيرة الخضراء.

فسررت بذلك حيث قد ذكرت ولي عندهم إسم، وكان من عادته انه لا يقيم

عندهم إلا ثلاثة أيام، فأقام اسبوعا وأوصل الميرة إلى أصحابها المقررة لهم، فلما أخذ منهم خطوطهم بوصول المقرر لهم عزم على السفر وحملني معه وسرنا في البحر.

فلمّا كان اليوم السادس عشر من مسيرنا في البحر رأيت ماء أبيض، فجعلت أطيل النظر إليه. فقال لي الشيخ، وإسمه محمد: ما لي أراك تطيل النظر إلى هذا الماء؟فقلت له: اني أراه على غير لون ماء البحر. فقال لي: هو البحر الأبيض، وتلك الجزيرة الخضراء، وهذا الماء مستدير حولها مثل السور أي من أي الجهات أتيته وجدته، وبحكمة الله تعالى ان مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وإن كانت محكمة ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر عليه السلام فاستعملته وشربت منه، فإذا هو كماء الفرات.

ثم انا قطعنا ذلك الماء الأبيض ووصلنا إلى الجزيرة الخضراء لا زالت عامرة أهله، ثم صعدنا من المركب الكبير إلى الجزيرة ودخلنا البلد فرأيته محصناً بقلاع وأبراج وأسوار سبعة واقعة على شاطيء البحر ذات أنهار وأشجار مشتملة على أنواع الفواكه والأثمار المنوعة، وفيها أسواق كثيرة وحمامات عديدة وأكثر عمارتها برخام سفاف، وأهلها في أحسن الزي والبهي، فاستطار عقلي سروراً لما رأيته.

ثم مضى بي رفيقي محمد بعد ما استرحنا في منزله إلى الجامع المعظم فرأيت فيه جماعة كثيرة وفي وسطهم شخص جالس عليه المهابة والسكينة والوقار ما لا أقدر أصفه والناس يخاطبونه بالسيد شمس الدين محمد العالم ويقرأون عليه في القرآن والفقه والعربية بأقسامها وأصول الدين والفقه الذي يقرأونه عن صاحب الأمر عليه السلام مسألة مسألة وقضية قضية وحكماً حكماً، فلما مثلت بين يديه رحب بي وأجلسني في القرب منه وأحفى السؤال عن تعبي في الطريق وعرفني انه تقدم إليه كل أحوالي وان رفيقي الشيخ محمد إنما جاء بي بأمر من السيد شمس الدين العالم (أطال الله بقاه) ثم أمر بتخلية موضع منفرد في زاوية من زوايا المسجد وقال لي: هذا يكون لك إذا أردت الخلوة والراحة.

فنهضت ومضيت إلى ذلك فاسترحت فيه إلى وقت العصر، وإذا أنا بالموكل بي قد أتى إليّ وقال لي: لا تبرح من مكانك حتى يأتيك السيّد (سلمه الله تعالى) وقد أقبل ومعه أصحابه، فجلسوا ومدت المائدة فأكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيد

لأجل صلاة المغرب والعشاء.

فلما فرغنا من الصلاتين ذهب السيد إلى منزله ورجعت إلى مكاني وأقمت على هذه الحالة مدة ثمانية عشر يوماً ونحن في صحبته (أطال الله بقاه) فأول جمعة صلينا معهم رأيت السيد صلى الجمعة ركعتين فريضة واجبة، فلما انقضت الصلاة قلت: يا سيدي رأيتكم صليتم الجمعة ركعتين فريضة واجبة؟قال: نعم لأن شروطها المعلومة قد حضرت ووجبت. فقلت في نفسي: ربما كان الإمام عليه السلام حاضراً، ثم في وقت آخر سألت منه في الخلوة: هل كان الإمام حاضراً؟فقال: لا، ولكني أنا النائب الخاص بأمر صدر عنه عليه السلام. فقلت: يا سيّدي وهل رأيت الإمام عليه السلام؟قال: لا، ولكن حدثني أبي (رحمه الله) انه سمع حديثه ورأى شخصه. فقلت له: ولم ذلك يا سيدي يختص بذلك رجل دون آخر؟فقال: يا أخي ان الله سبحانه وتعالى يؤتي الفضل من يشاء من عباده، وذلك بحكمة بالغة وعظمة قاهرة كما ان الله اختص من عباده الأنبياء والمرسلين والأوصياء المنتجبين فجعلهم أعلاماً لخلقه، وحججاً على بريته، ووسيلة بينهم وبينه ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، ولم يخل أرضه بغير حجة على عباده، ولابد لكل حجة من سفير يبلغ عنه.

ثم ان السيد (سلمه الله تعالى) أخذ بيدي إلى خارج مدينتهم وجعل يسير معي نحو البساتين فرأيت فيها أنهاراً جارية وبساتيناً كثيرة مشتملة على أنواع الفواكه عظيمة الحسن والحلاوة من العنب والرمّان والكمثرى وغيرها، ما لم أرها في العراقين ولا في الشامات كلها.

فبينما نحن نسير من بستان إلى آخر إذ مرّ بنا رجل بهيّ الصورة مشتمل ببردتين من صوف أبيض، فلما قرب منا سلم علينا وانصرف عنا فأعجبتني هيئته فقلت للسيد سلمه الله: من هذا الرجل؟

قال لي: انظر إلى هذا الجبل الشاهق. قلت: نعم. قال: ان في وسطه لمكان حسن وفيه عين جارية تحت شجرة ذات أغصان كثيرة وعندها قبة مبنية بالآجر، وان هذا الرجل مع رفيق له خادمان لتلك القبّة وأنا أمضي إلى هناك في كل صباح جمعة وأزور الإمام منها وأصلي ركعتين وأجد هناك ورقة مكتوب فيها ما أحتاج إليه من المحاكمة بين المؤمنين، فمهما تضمنته الورقة أعمل بها، فينبغي لك أن تذهب إلى

هناك وتزور الإمام عليه السلام من القبّة.

فذهبت إلى الجبل فرأيت القبة على ما وصف لي (سلمه الله تعالى) ووجدت هناك خادمين، فرحب بي الذي مرّ علينا وأنكرني الأخر.

فقال له: لا تنكره فإني رأيته في صحبة السيد شمس الدين العالم، فتوجّه إليّ ورحب بي وحادثاني وأتياني بخبز وعنب فأكلت وشربت من ماء تلك العين التي عند تلك القبّة وتوضأت وصليت ركعتين وسألت الخادمين عن رؤية الإمام. فقالا لي: الرؤية غير ممكنة، إذ ليس معنا إذن في إخبار أحد. فطلبت منهما الدعاء فدعيا لي وانصرفت عنهما، ونزلت من ذلك الجبل إلى أن وصلت إلى المدينة.

فلما وصلت إليها ذهبت إلى دار السيد شمس الدين العالم فقيل لي: انه خرج في حاجة له. فذهبت إلى دار الشيخ محمد الذي جئت معه في المركب، فاجتمعت به وحكيت له عن مسيري إلى الجبل واجتماعي بالخادمين وإنكار الخادم عليّ.

فقال لي: ليس لأحد رخصة في الصعود إلى ذلك المكان سوى السيد شمس الدين وأمثاله، فلهذا وقع الإنكار منه عليك. فسألته عن أحوال السيد شمس الدين (أدام الله أفضاله) فقال: انه من أولاد الإمام عليه السلام وان بينه وبين الإمام خمسة آباء، وانه النائب الخاص عن أمر صدر منه.

قال الشيخ صالح زين الدين علي بن فاضل المازندراني المجاور بالغري (على مشرفه السلام) واستأذنت السيد شمس الدين (أطال الله بقاه) في نقل بعض المسائل التي يحتاج إليها عنه وقراءة القرآن المجيد ومقابلة المواضع المشكلة من العلوم الدينية وغيرها، فأجاب إلى ذلك وقال: إذا كان ولابدّ من ذلك فابدأ أولاً بقراءة القرآن العظيم.

فكان كلما قرأت شيئاً فيه خلاف بين القرآن أقول: قرأ حمزة كذا وقرأ الكسائي وقرأ عاصم كذا وأبو عمرو وابن كثير كذا.

فقال السيّد: نحن لا نعرف هؤلاء، وإنما القرآن نزل على سبعة أحرف قبل الهجرة من مكة إلى مدينة وبعدها لما حج رسول الله صلّى الله عليه وآله حجة الوداع نزل عليه الروح الأمين جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد اتل عليّ القرآن حتى أعرفك أوائل السور وأواخرها وشأن نزولها.

فاجتمع إليه علي بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين عليهم السلام وأبيّ

بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وحسان بن ثابت وجماعة من الصحابة (رضي الله عن المنتجبين منهم) فقرأ النبي صلّى الله عليه وآله القرآن من أوّله إلى آخره، فكان كلّما مرّ بموضع فيه اختلاف بينه له جبرئيل وأمير المؤمنين عليه السلام يكتب ذلك في درج من ادم، فالجميع قراءة أمير المؤمنين ووصي رسول ربّ العالمين.

فقلت له: يا سيدي أرى بعض الآيات غير مرتبطة بما قبلها وبما بعدها وكان فهمي القاصر لم يصل إلى غرويه ذلك؟ فقال: نعم الأمر كما رأيته وذلك لما انتقل سيّد البشر محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله من دار الفناء إلى دار البقاء وفعلا صنما قريش ما فعلاه من غصب الخلافة الظاهرة جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كله ووضعه في ازار وأتي به إليهم وهم في المسجد فقال لهم: هذا كتاب الله سبحانه أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أعرضه إليكم بقيام الحجة عليكم يوم العرض بين يدي الله تعالى، فقال له فرعون هذه الأمة ونمرودها: لسنا محتاجين إلى قراءتك، فقال له عليه السلام: قد أخبرني حبيبي رسول الله صلّى الله عليه وآله بقولك هذا وانما أردت بذلك القاء الحجة عليكم، فرجع أميرالمؤمنين عليه السلام به إلى منزله وهو يقول: لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك لا رادّ لما سبق في علمك ولا مانع لما اقتضته حكمتك فكن أنت الشاهد لي عليهم يوم العرض عليك، فنادى ابن أبي قحافة بالمسلمين وقال لهم: كلّ مَنْ عنده قرآن من آية أو سورة فليأت بها.

فجاءه أبو عبيدة بن الجراح وعثمان وسعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وحسان بن ثابت وجماعات المسلمين وجمعوا هذا القرآن وأسقطوا مما كان فيه من المثالب التي صدرت منهم بعد وفاة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله. فلهذا ترى الآيات غير مرتبطة، والقرآن الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بخطه محفوظ عند صاحب الأمر عليه السلام فيه كل شيء حتى ارش الخدش.

وأما هذا القرآن فلا شك ولا شبهة في صحته وانه كلام الله سبحانه هكذا صدر عن صاحب الأمر عليه السلام.

قال الشيخ الفاضل علي بن فاضل: ونقلت عن السيد شمس الدين (حفظه

الله تعالى) مسائل كثيرة تنوف على تسعين مسألة وهي عندي جمعتها في مجلد واحد وسميتها بالفوائد الشمسية ولا اطلع عليها إلا الخلّص من المؤمنين وستراه إن شاء الله، فلما كانت الجمعة الثانية وهي الوسطى من جمع الشهر وفرغنا من الصلاة وجلس السيد (سلمه الله تعالى) في مجلس الإفادة للمؤمنين وإذا أنا أسمع هرجاً ومرجاً وجزلة عظيمة خارج المسجد، فسألت من السيد عما سمعته فقال لي: ان امراء عسكرنا يركبون في كل جمعة من وسط كل شهر وينتظرون الفرج، فاستأذنته في النظر إليهم فأذن لي فخرجت لرؤيتهم وإذا هم جمع كثير يسبحون الله ويحمدونه ويهللونه جلّ وعزّ ويدعون الفرج للإمام القائم بأمر الله والناصح لدين الله محمد بن الحسن المهدي الخلف الصالح صاحب الزمان عليه السلام.

ثم عدت إلى مسجد السيد (سلمه الله تعالى) فقال لي: رأيت العسكر؟ فقلت: نعم. قال: فهل عددت أمراءهم؟ فقلت: لا. قال: عدتهم ثلاثمائة ناصر وبقي ثلاثة عشر ناصراً ويعجل الله لوليّه الفرج بمشيئته انه جواد كريم. فقلت: يا سيدي ومتى يكون الفرج؟ فقال: يا أخي انما العلم عند الله والأمر متعلق بمشيئته سبحانه وتعالى حتى انه ربما كان الإمام عليه السلام لا يعرف ذلك بل له علامات وإمارات تدل على خروجه من جملتها أن ينطق ذوالفقار بأن يخرج من غلافه ويتكلم بلسان عربي متين: قم يا ولي الله على اسم الله فاقتل أعداء الله.

ومنها: ثلاثة أصوات يسمعها الناس كلهم: الصوت الأول أزفة الآزفة يا معشر المؤمنين، والصوت الثاني: ألا لعنة الله على القوم الظالمين لآل محمد، والثالث: يظهره الله فيرى في قرن الشمس يقول: إن الله بعث صاحب الأمر محمد بن الحسن المهدي عليه السلام فاسمعوا له وأطيعوا.

فقلت: يا سيدي قد روينا عن مشائخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام انه قال لما امر بالغيبة الكبرى: من رآني بعد غيبتي فقد كذب. فقال: فيكم من يراه؟ فقال: صدقت انه عليه السلام انما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العباس حتى ان الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدث بذكره، وفي هذا الزمان تطاولت المدة وأيس منه الأعداء وبلادنا نائية عنهم وعن ظلمهم وعتاتهم، وببركته عليه السلام لا يقدر أحد من الأعداء على الوصول إلينا.

قلت: يا سيدي قد روت علماء الشيعة حديثاً عن الإمام عليه السلام انه أباح الخمس لشيعته فهل رويتم عنه ذلك؟قال: نعم انه رخص وأباح الخمس لشيعته من ولد علي عليه السلام وقال: هم في حل من ذلك. فقلت: وهل رخص للشيعة أن يشتروا الإماء والعبيد من سبي العامة؟قال: نعم ومن سبي غيرهم لأنه عليه السلام قال: عاملوهم بما عاملوا به أنفسهم، وهاتان المسألتان زائدتان على المسائل التي سميتها لك.

وقال السيّد (سلمه الله تعالى) انه عليه السلام يخرج من مكة بين الركن والمقام في سنة وتر فليرتقبها المؤمنون. فقلت: يا سيدي قد أحببت المجاورة عندكم إلى أن يأذن الله لي بالفرج. فقال لي: اعلم يا أخي انه تقدم إليّ كلام بعودك إلى وطنك ولا يمكنني وإياك المخالفة لأنك ذو عيال وغبت عنهم مدة مديدة ولا يجوز لك التخلف عنهم بأكثر من هذا.

فتأثرت من ذلك فبكيت وقلت: يا مولاي وهل يجوز المراجعة في أمري؟ قال: لا. قلت: يا مولاي وهل تأذن لي أن أحكي كلما رأيته وسمعته؟

قال: لابأس بأن تحكي للمؤمنين لتطمئن قلوبهم الا كيت وكيت وعين ما لا أقوله. فقلت: يا سيدي أما يمكن النظر إلى جماله وبهائه عليه السلام؟ قال: لا ولكن اعلم يا أخي ان كل مؤمن مخلص يمكن أن يرى الإمام ولا يعرفه. فقلت: يا سيدي أنا من جملة عبيده المخلصين ولا رأيته.

فقال لي: بل رأيته مرتين مرة لما أتيت إلى سر من رأى وهي أول مرة جئتها وسبقك أصحابك وتخلفت عنهم حتى وصلت إلى نهر لا ماء فيه فحضر عندك فارس على فرس شهباء وبيده رمح طويل وله سنان دمشقي، فلما رأيته خفت على ثيابك فلما وصل إليك قال: لا تخف إذهب إلى أصحابك فإنهم ينتظرونك تحت تلك الشجرة، فاذكرني والله ما كان. فقلت: قد كان ذلك يا سيدي. قال: والمرة الأخرى حين خرجت من دمشق تريد مصراً مع شيخك الأندلسي وانقطعت عن القافلة وخفت خوفاً شديداً فعارضك فارس على فرس غرّاء محجلة وبيده رمح أيضاً وقال لك: سر ولا تخف إلى قرية على يمينك ونم عند أهلها الليلة وأخبرهم بمذهبك الذي ولدت عليه ولا تبق منهم فإنهم مع قرى عديدة جنوبي دمشق مؤمنون مخلصون يدينون بدين علي بن أبي طالب والأئمة الطاهرين المعصومين من ذرّيته

عليه السلام أكان ذلك يا ابن فاضل؟ قلت: نعم وذهبت عند أهل القرية ونمت عندهم فأعزوني وسألتهم عن مذهبهم، فقالوا لي من غير تقيّة مني: نحن على مذهب أمير المؤمنين ووصي رسول ربّ العالمين علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذرّيته عليه السلام. فقلت لهم: من أين لكم هذا المذهب ومن أوصله إليكم؟ قالوا: أبوذر الغفاري رضي الله عنه حين نفاه عثمان إلى الشام ونفاه معاوية إلى أرضنا هذه فعمتنا بركته، فلما أصبحت طلبت منهم اللحوق بالقافلة فجهزوا معي رجلين ألحقاني بها بعد أن صرحت لهم بمذهبي. فقلت له: يا سيدي هل يحج الإمام عليه السلام في كل مدة بعد؟ قال لي: يا ابن فاضل الدنيا خطوة مؤمن فكيف بمن لم تقم الدنيا إلا بوجوده ووجود آبائه عليهم السلام، نعم يحج في كل عام ويزور آبائه في المدينة والعراق وطوس (على مشرفها السلام) ويرجع إلى أرضنا هذه.

ثم ان السيد شمس الدين حث عليّ بعدم التأخير بالرجوع إلى العراق وعدم الإقامة في بلاد المغرب، وذكر لي ان دراهمهم مكتوب عليها لا إله إلاّ الله محمداً رسول الله علي وليّ الله محمد بن الحسن القائم بأمر الله.

وأعطاني السيد منها خمسة دراهم وهي محفوظة عندي للبركة.

ثم انه (سلمه الله) وجهني مع المراكب التي أتيت معها إلى أن وصلنا إلى تلك البلدة التي أول ما دخلتها من أرض البربر وكان قد أعطاني حنطة وشعيراً فبعتها في تلك البلدة بمائة وأربعين ديناراً ذهباً من معاملة بلاد المغرب، فتوجهت منها إلى طرابلس من مدن المغرب ولم أجعل طريقي على الأندلس امتثالاً لأمر السيد شمس الدين العالم (أطال الله بقاه) وسافرت منها مع الحاج المغربي إلى مكة شرفها الله تعالى وحججت إلى العراق وأريد المجاورة في الغري (على مشرفها السلام) حتى الممات.

قال الشيخ زين العابدين علي بن فاضل المازندراني: ولم أر العلماء الإمامية عندهم ذكر سوى خمسة: السيد المرتضى الموسوي والشيخ أبو جعفر الطوسي، ومحمد بن يعقوب الكليني، وإبن بابويه والشيخ أبو القاسم جعفر بن إسماعيل الحلي (قده).

وهذا آخر ما سمعته من الشيخ الفاضل التقي والصالح الزكي علي بن فاضل

المذكور (أدام الله أفضاله وكثر من علماء الدهر وأتقيائه أمثاله) والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على خير خلقه سيد البرية محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين وسلم تسليماً كثيراً(٨٩).

وقد أضاف على ما تقدم المحقق الحدائقي في كشكوله بقوله:

(يقول جامع هذه الظرائف وناقل هذه اللطائف) قد وقفت في بعض كتب أخرى يتضمّن بيان تلك الجزائر العامرة أحببت حكايتها على نحو ما رأيته، وهذه صورته:

## قصة جزر أولاد صاحب الزمان

روى الشريف الزاهد أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن عبدالرحمن العلوي الحسيني في كتابه بإسناده عن الأجل العالم حجة الإسلام سعيد بن أحمد بن الرضي عن الشيخ الأجل المقري خطير الدين حمزة بن المسيب بن الحارث وانه حكى في داري بالنظر فيه بمدينة السلام في ثامن عشر شهر شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال: حدثني شيخي العالم أبو القاسم عثمان بن عبد الباقي بن أحمد الدمشقي في سابع عشر جمادي الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قال: حدثني الأجل العالم الحجة كمال الدين أحمد بن محمد بن يحيى الأنباري بداره بمدينة السلام ليلة الخميس عاشر شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة قال: كنا عند الوزير العزيز عون الدين يحيى بن هبيرة في رمضان بالسنة المقدم ذكرها ونحن على طبقه وعنده جماعة، فلما أفطر من كان حاضراً وتقوض أكثر من حضر أردنا الإنصراف فأمرنا بالتمسي عنده، وكان في مجلسه في تلك الليلة شخص لا أعرفه ولم أكن رأيته من قبل ورأيت الوزير يكثر إكرامه ويقرب مجلسه ويصغي إليه ويسمع قوله دون الحاضرين، فتجارينا الحديث والمذاكرة حتى أمسينا وأردنا الإنصراف فعرفنا بعض أصحاب الوزير ان الغيث ينزل وانه يمنع من يريد الخروج، فأشار الوزير أن نتمسى عنده فأخذنا نتحادث فأفضى بنا الحديث حتى تحادثنا في الأديان والمذاهب ورجعنا إلى دين الإسلام وتفرق المذاهب فيه فقال الوزير: أقل طائفة مذهب الشيعة وما يمكن أن يكون أكثر منهم في خطتنا هذه وهم الأقل من أهلها، وأخذ يذم أحوالهم ويحمد الله على قلتهم في أقاصي الأرض.

فالتفت الشخص الذي كان الوزير مقبلاً عليه مصغياً إليه فقال: أدام الله أيامك أحدث بما عندي فيما قد تفاوضتم فيه أو اعزب عنه.

فصمت الوزير ثم قال: قل ما عندك.

فقال: خرجت مع والدي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة من مدينتنا وهي المعروفة بالباهية ولها الرستاق الذي تعرفه التجار وعدة ضياعها ألف ومأتا ضيعة في كل ضيعة من الخلق ما لا يحصي عددهم إلا الله تعالى وهم قوم من نصارى وجميع الجزائر التي كانت حولهم على مذهبهم ومسير بلادهم عشرون يوماً وكل من في البر وغيرهم نصارى ويتصل الحبشة والنوبة وكلهم نصارى ويتصل بالبربر وهم على دينهم، فإن حد هذا كان يملأ كل من في الأرض ولم نصف إليهم إلافرنج والروم، وغير خفي عليكم من بالشام والحجاز والعراق، واتفق انا سرنا في البحر واوغلنا وتعدينا الجهات التي كنا نصل إليها ورغبنا في المكاسب ولم نزل على ذلك حتى صرنا إلى جزائر عظيمة كثيرة الأشجار مليحة الجدران فيها المدن المدورة والرساتيق، فأول مدينة وصلنا إليها وأرسى الركب فيها وقد سألنا النوخذا: أي شيء هذه الجزيرة؟ فقال: والله ان هذه الجزيرة لم أصل إليها ولا أعرفها وأنا وأنتم في معرفتها سواء.

فلما أرسينا بها وصعد التجّار إلى مشرعة تلك المدينة وسألنا ما اسمها فقيل: هي المباركة، فسألنا عن سلطانها وما اسمه، فقالوا: اسمه الطاهر، فقلنا: وأين سرير مملكته؟ فقالوا: بالزاهرة، فقلنا: وأين الزاهرة؟ فقالوا: بينكم وبينها عشر ليال في البحر وخمس وعشرون ليلة في البر وهم قوم مسلمون.

فقلنا: من يقبض زكاة ما في المركب لنشرع في البيع والإبتياع؟ فقالوا: تحضرون عند نائب السلطان، فقلنا: وأين أعوانه؟ فقالوا: لا أعوان له وهو في داره وكل من عليه حق يحضر عنده فيسلم إليه فتعجّبنا من ذلك وقلنا: ألا تدلونا عليه، قالوا: بلى، وجاء معنا من أدخلنا داره فرأينا رجلاً صالحاً عليه عباءة وتحته عباءة وهو مفترشها وبين يديه دواة وهو يكتب منها من كتاب ينظر إليه، فسلمنا عليه فرد علينا السلام وحيّانا وقال: من أين أقبلتم؟ فقلنا: من كذا وكذا، فقال: كلكم مسلمون؟ فقلنا: لا بل فينا المسلم واليهودي والنصارى، فقال: يزن اليهودي جزيته والنصراني جزيته ويناظر المسلم عن مذهبه، فوزن والدي عن خمسة نصارى عنه

وعني وعن ثلاثة نفر كانوا معنا ثم وزن تسعة نفر كانوا يهوداً وقالوا للمسلمين: هاتوا مذهبكم، فشرعوا معه في مذاهبهم فقال: لستم مسلمين وإنما أنتم خوارج وأموالكم تحل للمسلم المؤمن وليس بمسلم من لا يؤمن بالله ورسوله وبالوصي والأوصياء من ذرّيته حتى مولانا صاحب الزمان عليه السلام فضاقت بهم الأرض ولم يبق إلا أخذ أموالهم، ثم قال لنا: يا أهل الكتاب لا معارضة لكم فيما معكم حيث أخذت الجزية منكم.

فلما عرف أولئك ان أموالهم معرّضة للنهب سألوه أن يحملهم إلى سلطانه، فأجاب سؤالهم وتلا: (ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّن) وقلنا للربّان: هؤلاء قوم قد عاشرناهم وصاروا رفقة وما نحب أن نتخلف عنهم أينما يكونون نكون معهم حتى نعلم ما يسفر حالهم عنه.

فقال الربّان: والله ما أعلم هذا البحر أين المسير فيه فاستأجرنا ربّاناً ورجالاً وقلعنا القلع وسرنا ثلاثة عشر يوماً بلياليها حتى كان قبل طلوع الشمس أو الفجر كبر الربّان فقال: هذه والله أعلام الزاهرة ومنابرها وجدرانها قد بانت، فسرنا حتى تضاحى النهار فقدمنا إلى مدينة لم تر العيون مثلها ولا أحسن منها ولا أخف على القلوب ولا أرق من نسيمها ولا أطيب من هواها ولا أعذب من مائها، وهي راكبة البحر على جبل من صخر أبيض كأنه لون الفضة وعليها سور إلى ما يلي البر والبحر، والأنهار منحرفة في وسطها يشرب منه أهل الدور والأسواق وتأخذ منها الحمامات وفواضل الأنهار ترمي على البحر، ومدى الأنهار فرسخ ونصف أو دونه وفي تحت ذلك الجبل بساتين المدينة وأشجارها ومزارعها عند العيون، وثمار تلك الأشجار لا يرى أطيب منها ولا أعذب، ويرعى الذئب والنعجة عياناً، ولو قصد قاصد تخلية دابته في زرع غيره لما رعته ولا قطعت منه قطعة، ولقد شاهدت السباع والهوام رابضة في غيض في جنب تلك المدينة وبنو آدم يمرون عليها فلا تؤذيهم.

فلما قدمنا المدينة وأرسى المركب فيها وما صحبنا من الشوالي والذبائح من المباركة بشريعة الزاهرة صعدنا فرأينا مدينة عظيمة كثيرة الخلق وسيعة الربقة فيها الأسواق الكثيرة والمعاش العظيم ويرد إليها الخلق من البر والبحر، وأهلها على أحسن قاعدة لم يكن على وجه الأرض من الملل والأديان مثلهم وأمانتهم، حتى ان المتعيّش بسوق المدينة يرد إليه من يبتاع منه حاجة اما بالوزن أو بالذراع فيبيعه عليها

ثم يقول: يا هذا زن لنفسك واتزن لنفسك وهذه صورة مبايعتهم لا يسمع منهم لغو المقال ولا النميمة ولا يسب بعضهم بعضاً وإذا نادى المؤذّن للأذان لا يتخلف منهم متخلف ذكراً كان أو أنثى إلا سعى إلى الصلاة حتى إذا قضيت الصلاة للوقت المفروض، رجع كل منهم إلى بيته حتى يكون وقت صلاة اخرى فيكون الحال كما كانت.

فلما دخلنا المدينة وأرسينا بمشرعتها أمر بحضورنا عند السلطان فحضرنا داره ودخلنا إلى بستان صور في وسطه قبة من فضة، والسلطان في تلك القبة وعنده جماعة، وفي باب القبة ساقية تجري فوافينا القبة وقد أقام المؤذن للصلاة فلم يكن أسرع من أن امتلأ البستان بالناس وأقيمت الصلاة وصلى بهم جماعة، فلا والله لم تنظر عيني أخضع لله منه ولا ألين جانباً لرعيته فصلى من صلى مأموماً، فلما قضيت الصلاة التفت وقال: هؤلاء القادمون؟

قلنا: نعم، وكانت تحية الناس له ومخاطبتهم له: يابن صاحب الأمر، فقال: على خير مقدم، فقال: أنتم تجار أم ضيفان؟ فقلنا: تجار، فقال: من فيكم المسلم ومن فيكم أهل الكتاب؟ فعرفناه ذلك، فقال: ان للإسلام فرقاً وشعباً فمن أي قبيل أنتم وكان معنا شخص يدعي بالمغري اسمه آدربهان بن أحمد الأهوازي يزعم انه على مذهب الشافعي فقال: أنا رجل شافعي.

قال: فمن على مذهبك من الجماعة؟ فقال: كلنا إلا هذا حسان بن عنب فإنه رجل مالكي. فقال: أنت تقول بالإجماع؟ قال: نعم.

قال: إذاً تعمل بالقياس، ثم قال: بالله يا شافعي تلوت ما أنزل يوم المباهلة؟ قال: نعم. قال: ما هو؟ قال: قوله تعالى: (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين).

فقال: بالله عليك مَن أبناء الرسول ومن نساؤه ومن نفسه؟

فأمسك آدربهان. فقال: بالله هل بلغك أو أتاك أن غير الرسول والوصي والبتول والسبطين دخل تحت الكساء؟ قال: لا. فقال: والله لم تنزل هذه الآية إلا فيهم ولا خص بها سواهم، ثم قال بالله عليك هل تلوت قوله تعالى: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)؟

قال: نعم. قال: باللّه عليك من عنى بذلك؟ فأمسك. فقال: واللّه ما عني بها إلا أهلها، ثم بسط لسانه وتحدث بحديث أمضى من السهام، وأقطع من الحسام، فقطع الشافعي ووافقه عند ذلك.

فقال: عفواً عفواً يا ابن صاحب الأمر انسب لي نسبك.

فقال: أنا طاهر بن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الذي أنزل اللّه فيه (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) هو واللّه الإمام المبين ونحن الذين أنزل اللّه في حقنا (ذرّية بعضها من بعض واللّه سميع عليم) يا شافعي نحن ذرّية الرسول نحن أولوا الأمر.

فخرّ الشافعي مغشياً عليه لما سمع منه ثم أفاق وآمن به فقال: الحمد للّه الذي منحني الإسلام والإيمان ونقلني من التقليد إلى اليقين.

ثم أمر لنا بإقامة الضيافة فبقينا على ذلك ثمانية أيام ولم يبق في المدينة أحد إلا جاء إلينا وحادثنا.

فلما انقضت الأيام الثمانية سأله أهل المدينة أن يقوموا لنا بالضيافة ففتح لهم في ذلك، فكثرت الأطعمة والفواكه وعملت لنا الولائم وبقينا في تلك المدينة سنة كاملة فعلمنا وتحققنا ان ملك المدينة مسيرة شهرين وبعدها مدينة إسمها الرائقة سلطانها القاسم بن صاحب الأمر مسيرة ملكها شهرين وهي على تلك القاعدة ولها دخل عظيم، وبعدها مدينة إسمها الصافية سلطانها إبراهيم بن صاحب الأمر وبعدها مدينة أخرى إسمها ظلوم سلطانها عبدالرحمن بن صاحب الأمر مسيرة رستاقها وضياعها شهران، وبعدها مدينة أخرى إسمها عناطيس سلطانها هاشم بن صاحب الأمر وهي أعظم دخله ومسير ملكها أربعة أشهر، فيكون مسيرة هذه المدن الخمس والمملكة مقدار سنة لا يوجد في أهل تلك الخطط والضياع غير الموحد القائل بالبراءة والولاية التي يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون بالعدل وبه يأمرون، وليس على وجه الأرض مثلهم ولو جمع أهل الدنيا لكانوا أكثر عدداً منهم على اختلاف الأديان والمذاهب، ولقد أقمنا عندهم سنة كاملة نترقب ورود صاحب الأمر إليهم، فإنهم زعموا بأنها سنة وروده فلم يوفّقنا اللّه تعالى للنظر إليه.

فأما آدربهان وحسان فإنهما أقاما بالزاهرة يترقبان رؤيته وقد كنا لما استكثرنا هذه المدن وأهلها ودخلنا سألنا عنها فقيل: انها عمارة صاحب الأمر واستخراجه فلما سمع عون الدين نهض ودخل حجرة لطيفة وقد تقضى الليل فأمر بإحضارنا واحداً بعد واحد وقال: إياكم إعادة ما سمعتم وادراءه على ألفاظكم وتأكد علينا فخرجنا من عنده ولم يعد أحد منّا مما سمعه حرفاً واحداً حتى هلك، وكنا إذا حضرنا موضعاً واجتمع أحدنا بصاحبه قال: أتذكر شهر رمضان؟ فيقول: ستر الحلال شرط، فهذا ما سمعته ورويته والحمد لله ربّ العالمين.

(أقول) قد وقع في بعض توقيعاته عليه السلام: السلام إلى شيخنا المفيد (قده) إننا باليمن بواد يقال له شمروخ وشمويخ، ولعل هذا هو إسم للمكان الذي يختص به عليه السلام(٩٠).

وقد حكى المحقق الشيخ زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي البياضي في كتاب الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم هذه القصّة بإيجاز في المجلد الثاني منه(٩١) فراجع.

وأمّا المثال الخامس الذي يناسب ذكره هنا كخاتمة لما نحن فيه فهو تظافر النقل واستفاضته واشتهاره برؤيته عليه أفضل الصلاة والسلام في زمن الغيبة الكبرى وفي مقاطع تاريخية متعددة منها إلى يومنا هذا ونظراً لكثرة مصاديق تلك الظاهرة بالقدر الذي يتعسّر علينا الإتيان به فإننا نحيل القارئ إلى جملة من المصادر التي تناولت أخبار تلك المشاهدات والتي منها:

١ ــ (بحار الأنوار) للعلاّمة المجلسي ج٥٢ من ص ١ إلى ص ٨٩، ومن ص ١٥١ إلى ص ١٨٠، وذلك في:

أ ــ الباب الثامن عشر من أبواب تاريخ الإمام الثاني عشر والمعنون بـ(باب ذكر من رآه صلوات الله عليه).

ب ــ الباب التاسع عشر من نفس الأبواب والمعنون بـ(باب خبر سعدبن عبدالله).

ج ــ الباب الثالث والعشرون من نفس تلك الأبواب والمعنون بـ(باب من ادعى الرؤية في الغيبة الكبرى وانه يشهد ويرى الناس ولا يرونه وسائر أحواله عليه السلام في الغيبة).

د ـ الباب الرابع والعشرون من نفس تلك الأبواب والمعنون بـ(باب نادر في ذكر من رآه عليه السلام في الغيبة الكبرى قريباً من زماننا) .

٢ـ (جنة المأوى في ذكر من فاز بلقاء الحجّة في الغيبة الكبرى) للمحدث الجليل الشيخ حسين النوري الطبرسي وتوجد نسخته المطبوعة في خاتمة المجلد الثالث والخمسين من مجلدات كتاب بحار الأنوار المطبوع .

٣ـ (تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي(ع)) للمحدث الخبير العلاّمة السيد هاشم البحراني، وقد قامت مؤسسة المعارف الإسلامية مؤخّراً بمدينة قم بطباعته طبعة أنيقة محقّقة .

٤ـ (كمال الدين وتمام النعمة)لرئيس المحدثين الشيخ الصدوق ج٢ ص٤٣٣ .

٥ـ (منتخب الأنوار الوضية) للسيد علي النيلي النجفي من أعلام القرن التاسع المطبوع في قم في ص ١٣٩ .

إلى غير ذلك من المصادر التي يقف عليها المتتبّع وما ذكرناه فيه إشارة كافية لمن أراد الوقوف على أكثرها .

## المسؤوليات الشرعية الموظفة للشيعة في زمن الغيبة الكبرى

وهي أمور اختصرناها من كتاب مكيال المكارم ونعرضها لك بالنحو التالي مجردة عن أدلتها ونصوصها:

(الأول) تحصيل معرفة صفاته وآدابه وخصائص شخصيته والمحتومات من علائم ظهوره .

(الثاني) رعاية الأدب بالنسبة إلى ذكره بأن لا يذكره المؤمن إلا بألقابه

الشريفة المباركة مثل الحجّة والقائم والمهدي وصاحب الأمر وصاحب الزمان وغيرها وترك التصريح باسمه الشريف الأصلي.

(الثالث) إظهار صور الحب والولاء له بما هو أهل له وبما يليق بشأنه.

(الرابع) بذل المساعي لتحبيبه إلى قلوب الناس وتشويق القلوب للإستمالة إلى إحياء ذكره.

(الخامس) انتظار فرجه وظهوره صلوات اللّه عليه.

(السادس) إظهار الشوق إلى لقائه وهو من علائم الولاء له.

(السابع) الإكثار من ذكر فضائله ومناقبه وخصوصياته وما يرتبط به.

(الثامن) إظهار الحزن والأسى والهم بفراقه.

(التاسع) المواظبة على الحضور في المجالس التي تذكر فيها فضائله ومناقبه.

(العاشر) الإحتفال بذكرى مولده وإقامة مجالس ذكره.

(الحادي عشر) إنشاء وإنشاد الشعر في فضائله ومناقبه صلوات اللّه تعالى عليه.

(الثاني عشر) الإنتصاب قائماً عند ذكر اسمه أو أحد ألقابه لتعظيمه وإعلان الولاء لنهضته والتأهّب لنصرته.

(الثالث عشر) البكاء والإبكاء والتباكي على فراقه وما ورد عليه من المصائب والمحن والأحزان.

(الرابع عشر) سؤال وطلب التوفيق لمعرفته حق المعرفة من اللّه عزّوجلّ.

(الخامس عشر) المداومة على قراءة الدعاء المروي عن الإمام الصادق عليه السلام والذي ورد فيه قوله لزرارة: يا زرارة إذا أدركت ذلك الزمان فادعُ بهذا الدعاء: «اللّهمّ عرّفني نفسک فإنّک إن لم تعرّفني نفسک لم أعرف نبيک اللّهمّ عرّفني رسولک فإنّک إن لم تعرّفني رسولک لم أعرف حجّتک، اللّهمّ عرّفني حجّتک فإنّک إن لم تعرّفني حجّتک ضللت عن ديني».

(السادس عشر) قراءة دعاء الغريق المروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «يا اللّه يا رحمن يا رحيم يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على دينک».

قال جمال العارفين السيّد ابن طاووس في مهج الدعوات:

لعلّ معنى قوله (الأبصار) لأن تقلب القلوب والأبصار يكون يوم القيامة من شدّة أهواله، وفي الغيبة إنما يخاف من تقلّب القلوب دون الأبصار(٩٢).

(السابع عشر) قراءة مضمرة مهج الدعوات قال عليه السلام: عليكم بالدعاء وانتظار الفرج فإنه سيبدو لكم علم فإذا بدا لكم فاحمدوا الله وتمسكوا بما بدا لكم قال الراوي قلت: فما ندعوا به؟ قال: تقول: «اللّهمّ أنتَ عَرَّفْتَني نَفْسكَ وعَرَّفْتَني رَسُوْلكَ وعرَّفْتَني ملائكتكَ وعرّفْتَني نبيكَ وعرّفْتَني وُلاةَ أمركَ اللّهمّ لا آخُذُ إلاَّ ما أعْطَيْتَ ولا واقي إلا مَا وَقَيْتَ، اللّهمّ لا تُغَيِّبْني عن منازلِ أوليائك ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني، اللّهمّ اهدِني لِولايةِ مَن افْتَرَضْتَ طاعتَهُ».

وفي وجوب معرفته وضرورة لزوم الإعتقاد به صلوات الله وسلامه عليه قبل ظهوره قال رئيس المحدّثين الشيخ الصدوق (رض) في كمال الدين:

إنَّ خصومنا غفلوا عمّا يلزم من حجّة حجج الله في ظهورهم واستتارهم وقد ألزمهم الله تعالى الحجّة البالغة في كتابه ولم يتركهم سدى في جهلهم وتخبّطهم ولكنّهم كما قال الله عزّوجلّ: «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» إنّ الله عزّوجلّ قد أخبرنا في قصّة موسى عليه السلام أنّه كان له شيعة وهم بأمره عارفون وبولايته متمسكون ولدعوته منتظرون قبل إظهار دعوته، ومن قبل دلالته على نفسه حيث يقول: «ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الّذي من شيعته على الّذي من عدوّه»، وقال عزّوجلّ حكاية عن شيعته: «قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ــ الآية»فأعلمنا الله عزّوجلّ في كتابه أنّه قد كان لموسى عليه السلام شيعة من قبل أن يظهر من نفسه نبوّةً، وقبل أن يظهر له دعوة يعرفونه ويعرفهم بموالاة موسى صاحب الدّعوة ولم يكونوا يعرفون أنَّ ذلك الشخص هو موسى بعينه، وذلك أنّ نبوّة موسى إنّما ظهرت من بعد رجوعه من عند شعيب حين سار بأهله من بعد السنين الّتي رعى فيها لشعيب حتّى استوجب بها أهله فكان دخوله المدينة حين وجد فيها الرجلين قبل مسيره إلى شعيب، وكذلك وجدنا مثل نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله قد عرف أقوام أمره قبل ولادته وبعد ولادته، وعرفوا مكان خروجه ودار هجرته من قبل أن يظهر من نفسه نبوّةً، ومن قبل ظهور دعوته وذلك مثل سلمان الفارسيّ ــ رحمه الله ــ ومثل

قُسٍّ بن ساعدة الأياديّ، ومثل تبّع الملك، ومثل عبد المطّلب، وأبي طالب، ومثل سيف بن ذي يزن، ومثل بحيرى الراهب، ومثل كبير الرّهبان في طريق الشام، ومثل أبي مويهب الراهب، ومثل سطيح الكاهن، ومثل يوسف اليهوديّ، ومثل ابن حوّاش الحبر المقبل من الشام، ومثل زيد بن عمرو بن نفيل، ومثل هؤلاء كثير ممّن قد عرف النبيّ صلّى الله عليه وآله بصفته ونعته وإسمه ونسبه قبل مولده وبعد مولده، والأخبار في ذلك موجودة عند الخاصّ والعامّ، وقد أخرجتها مسندة في هذا الكتاب في مواضعها.

فليس من حجّة الله عزّوجلّ نبيّ ولا وصيّ إلاّ وقد حفظ المؤمنون وقت كونه وولادته وعرفوا أبويه ونسبه في كلّ عصر وزمان حتّى لم يشتبه عليهم شيء من أمر حجج الله عزّوجلّ في ظهورهم وحين إستتارهم، وأغفل ذلك أهل الجحود والضلال والكنود فلم يكن عندهم علم شيء من أمرهم، وكذلك سبيل صاحب زماننا عليه السلام حفظ أولياؤه المؤمنون من أهل المعرفة والعلم وقته وزمانه وعرفوا علاماته وشواهد أيّامه وكونه ووقت ولادته ونسبه، فهم على يقين من أمره في حين غيبته ومشهده، وأغفل ذلك أهل الجحود والإنكار والعنود، وفي صاحب زماننا عليه السلام قال الله عزّوجلّ: «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»، وسئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: الآيات هم الأئمّة، والآية المنتظرة هو القائم المهدي عليه السلام، فإذا قام لا ينفع نفساً إيمانهالم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدّم من آبائه عليهم السلام.

(الثامن عشر) معرفة علامات ظهوره عليه السلام ولا سيما العلامات المحتومة التي أخبر بها الأئمة الطاهرون عليهم السلام.

(التاسع عشر) التسليم لأمر الله عزّوجل وترك الإستعجال في طلب ظهوره.

(العشرون) التصدّق بالنيابة عنه على الفقراء والمساكين والمحاويج.

(الحادي والعشرون) التصدّق بقصد سلامته وحفظه وأمانه.

(الثاني والعشرون) الحج بالنيابة عنه أو بعث النائب ليحجّ عنه.

(الثالث والعشرون) طواف بيت الله الحرام نيابة عنه أو بعث النائب ليطوف عنه.

(الرابع والعشرون) زيارة مشاهد رسول الله والأئمة المعصومين عليهم السلام نيابة عنه وإهداء ثوابها إليه أو بعث الزائر وتوصيته ليقوم بذلك عنه.

(الخامس والعشرون) العزم القلبي القطعي على نصرته في زمان حضوره وظهور دولته.

(السادس والعشرون) تجديد البيعة له بعد كل فريضة من الفرائض الخمس اليوميّة أو في كل يوم أو في كلّ جمعة بما ورد من المأثور.

(السابع والعشرون) صلته بالمال وتحصل في زمن الغيبة الكبرى بصرفه في المصارف التي يعلم رضاه بها وحبّه لها وبقصد صلته مثل طبع الكتب المتعلّقة به وإقامة مجالس ذكره والدعوة إليه وصلة شيعته ومحبّيه خصوصاً الذريّة العلويّة والعلماء المروّجين ورواة أحاديث الأئمّة الطاهرين عليهم السلام وما إلى ذلك.

(الثامن والعشرون) زيارته بالتوجّه إليه والتسليم عليه في كل مكان، وفي كل زمان عموماً وفي بعض الأمكنة والأزمنة خصوصاً.

(التاسع والعشرن) صلاة أربع ركعات بتسليمين يوم كلّ خميس ويهدي ثوابها إلى صاحب الزمان عليه السلام ويدعو بين كل ركعتين منها بقوله:

«اللّهمَّ أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حَيِّناً ربَّنا منكَ بالسلام اللّهمّ إن هذه الركعات هدية مني إلى الإمام المهدي صلواتك وسلامكَ عليه فصلّ على محمد وآل محمد وبلّغه إيّاها وأعطني أملي ورجائي فيك وفي رسولك صلواتك عليه وآله» ثم تدعو بما أحببت.

(الثلاثون) إهداء قراءة القرآن إليه عليه السلام.

(الحادي والثلاثون) التوسّل والإستشفاع به إلى الله عزّوجلّ.

(الثاني والثلاثون) الإستغاثة به والتوجّه إليه في الملمات والمهمّات.

(الثالث والثلاثون) مراقبة حقوقه والمواظبة على أدائها ومراعاة الوظائف بالنسبة إليه.

(الرابع والثلاثون) أن يظهر العالم علمه إذا انتشرت البدع وشاعت الشبهات وفشى الفساد في البلاد بقدر ما تحتمله قدرته وتسعه ظروف التقيّة، وذلك لقول النبي صلّى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع في امّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله.

وفي حديث آخر قال صلّى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلّمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة.

(الخامس والثلاثون) المواظبة على ما تقتضيه ظروف التقيّة عن الأشرار ولزوم كتمان الأسرار عن الأغيار.

(السادس والثلاثون) الصبر على الأذى في جنب الله ومشاق التكذيب والبهتان وسائر المحن.

(السابع والثلاثون) طلب الثبات على الحق والبقاء على الإستقامة وحسن العاقبة.

(الثامن والثلاثون) التواصي بالصبر والثبات في زمن الغيبة الكبرى.

(التاسع والثلاثون) الإحتراز والتجافي عن مجالس أهل البطالة والضلالة الذين يستهزؤن بذكر الإمام عليه السلام أو يذكرونه بسوء أو يعيبون عليه أو ينكرونه أو يتحاشون عن ذكره استنكافاً أو يستهزؤن بالمؤمنين المنتظرين له.

(الأربعون) الإختفاء والتجافي عن الإشتهار فإنّ الشهرة آفة والخمول راحة للأمن من غوائل الأعداء ومكائد الألداء وبطش الكفرة الفجرة.

(الحادي والأربعون) تهذيب النفس من الصفات الذميمة وتحليتها بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعراق.

(الثاني والأربعون) الإعتصام بحبل الله والإتحاد على ما يوجب مرضاته ونبذ الفرقة والشقاق والسعي إلى تأليف القلوب ونشر الإخاء والوئام.

(الثالث والأربعون) ردّ الحقوق إلى أصحابها وإغاثة الملهوف وتفريج هم المكروب

(الرابع والأربعون) بذل الجهود الحثيثة لتحصيل فضيلة التسليم لأمره والإنقياد لأحكامه عند ظهوره والإنضواء تحت لوائه عند التشرّف بحضور دولته ومواكبة نهضته.

(الخامس والأربعون) تعظيم مواقفه ومشاهده كمسجد السهلة ومسجد الكوفة والسرداب بسامراء ومسجد جمكران بقم وغيرها من المواضع التي رآه فيها

بعض الصالحين كجزء من شعائر الله تبارك وتعالى التي ورد الأمر بتعظيمها وعمارتها بالذكر والطاعات وأنواع القربات فإنها من تقوى القلوب.

## تنبيه فيه دفع فرية واتّهام

قال السيّد محسن الأمين (قده) في أعيان الشيعة:

وقد نشأت شبهة أن الشيعة يعتقدون بوجود المهدي في سرداب بسر من رأى من زيارتهم لذلك السرداب وتبركهم به وصلاتهم فيه وزيارة المهدي عليه السلام فيه فتوهّموا أنهم يقولون بوجوده في السرداب وتَقَوَّل بعضهم عليهم بأنهم يأتون في كل جمعة بالسلاح والخيول إلى باب السرداب ويصرخون وينادون يا مولانا اخرج إلينا، وقال: إن ذلك بالحلة ثم شنع عليهم تشنيعاً عظيماً ونسبهم إلى السخف وسفاهة العقل وهذا ليس بعجيب من تقوّلاتهم الكثيرة على الشيعة بالباطل، وهذا الذي زعمه هذا القائل لم نره ولم نسمع به سامع من غيره وإنما أخذه قائله من أفواه المتقولين أو افتراه من نفسه حتى أنه لم يفهم أن السرداب بسامراء لا بالحلّة.

وسبب زيارة الشيعة لذلك السرداب وتبرّكهم به أنه سرداب الدار التي كان يسكنها الإمامان علي بن محمد الهادي وابنه الحسن بن علي العسكري وابنه الإمام المهدي عليهم السلام وتشرّف بسكناهم له وقد رويت للإمام المهدي عليه السلام فيه معجزة يأتي نقلها فيما نقلناه عن عبدالرحمن الجامي، ورويت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فيه زيارة للمهدي عليه السلام فلذلك يزورونه فيه بتلك الزيارة ورويت فيه أدعية وصلوات يفعلونها فيه.

وأضاف الحجّة الثبت الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه جنّة المأوى عند جوابه على سؤال قُدِّم إليه حول ذلك بقوله:

سألت عن (المهديّ المنتظر) وقلت إنّ الشيعة يزعمون انّه دخل في سرداب في سامرّاء وتغيّب هناك... ويقفون في كلّ ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم، ثمّ ينفضّون ويرجئون الأمر إلى الليلة الآتية (انتهى).

عجبت كيف تسألني عن هذه الخرافة؟ ونسيت ما قلته أنت ونقلته عنّا في

صفحة من صفحات كتابك انّه (أي محمّد الحسين) لا يرضى عن الرجوع في تأريخ الشيعة إلى ما كتبه إبن خلدون (البربري) الذي يكتب وهو في افريقيا وأقصى المغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق، إنتهى.

فهل نقلت الأسطورة الخرافية إلاّ عن إبن خلدون أو أمثاله؟ وهل وجدتها في شيء من كتب الشيعة؟ إذاً فارشدنا إليه أرشدك اللّه، هذا وقد قرأت في كتابنا (أصل الشيعة وأصولها) الذي نوهت أنت عنه في هذه الصفحة.

نعم لا شكّ انّك قرأت في صفحة١٠١ من الطبعة الثالثة المطبوعة عندكم في القاهرة ما نصّه: وقد أوضحنا غير مرّة أنّ من الأغلاط الشائعة عند القوم (أي عند السنّة) من سلفهم إلى خلفهم وإلى اليوم زعمهم أنّ الشيعة يعتقدون غيبة الإمام في السرداب؛ مع أنّ السرداب لا علاقة له بغيبة الإمام أصلاً، وإنّما تزوره الشيعة وتؤدّي بعض المراسيم العبادية فيه لأنّه موضع تهجّد الإمام وآبائه العسكريّين، ومحلّ قيامهم في الأسحار لعبادة الحقّ ـ إنتهى.

وأعجب من ذلك قضيّة الوقوف على باب السرداب والهتاف باسمه ودعوته للخروج، فإنّ سامراء من مشاهير مدن العراق، يقصدها كلّ يوم أو كلّ شهر، أو كلّ عام ألوف من أهل الأقطار النائية من مختلف العناصر والمذاهب، ومقام السرداب وبابه مفتوح لكلّ وارد انفتاح سائر المشاهد والمعابد، فمن ذا الّذي رأى الشيعة يقفون على بابه ويهتفون باسمه للخروج؟

نعم السرداب مزار عند الشيعة ويقفون على بابه أيّ وقت شاؤا لا يختصّ بمغرب ولا غيره، ويسمّيه العوام أو بعض الخواصّ (الغيبة) لأن الإمام غاب في تلك الدار، وهي الّتي ولد ونشأ فيها، ويقفون على الباب يستأذنون للدخول شأن الوقوف على الأماكن المقدّسة، ويسألونه تعالى تعجيل الفرج برفع كابوس هذا الظلم عن العالم، وإقامة موازين القسط والعدل بظهور إمام يملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ولا يختصّ السرداب بهذا الدعاء بل يدعون به في كلّ زمان وكلّ مكان وهذه إحدى الإفتراءات التي كانت الدعايات السوداء تنشرها عن الشيعة، وكنا نحسبها زالت أو تزول في هذا العصر الذي يسمّونه عصر النور ـ وهو أظلم العصور ظلماً وظلاماً ـ كنّا نحسبه عصر التمحيص وعصر الحقائق وإذا الناس تلك الناس والزمان ذلك الزمان وكل كتاب فجر الإسلام وكل كاتب أحمد أمين فلا

حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم(٩٤).

(السادس والأربعون) ترك توقيت ظهوره وتكذيب الموقتين المدعين علمهم بذلك.

(السابع والأربعون) تكذيب من ادّعى الوكالة والنيابة الخاصة عنه عليه السلام في زمان الغيبة الكبرى وذلك من ضروريات المذهب الذي يعرفون به وسيأتي مضافاً لما سبق مزيد من التوضيح لذلك في مطاوي كتابنا هذا.

(الثامن والأربعون) أن تسأل الله عزّوجل أن يرزقك لقاء مولانا صاحب الزمان مقترناً بالعافية والإيمان.

(التاسع والأربعون) القيام بالوظائف الشرعية وأداء التكاليف الدينيّة وإحياء كافة الشعائر المذهبيّة وتجنب جميع صور المعاصي والذنوب.

(الخمسون) الإتيان بصلاته المخصوصة به كما ورد في مضانها المعتبرة وهي ركعتان تقرأ في كل ركعة الفاتحة إلى «إيّاك نعبد وإياك نستعين» ثم تقول مائة مرّة «إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» ثم تتم قراءة الفاتحة وتقرأ بعدها الإخلاص مرّة واحدة وتدعو عقيبها فتقول: «اللّهمّ عظم البلاء وبرح الخفاء وانكشف الغطاء وضاقت الأرض ومنعت السماء وإليك المشتكى وعليك المعوّل في الشدّة والرخاء.

اللّهمّ صلّ على محمد وآل محمد الذين أمرتنا بطاعتهم وعجل اللّهمّ فرجهم بقائمهم وأظهر إعزازه يا محمد يا علي يا علي يا محمد إكفياني فإنّكما كافياي، يا محمد يا علي يا علي يا محمد انصراني فإنّكما ناصراي، يا محمد يا علي يا عليّ يا محمد إحفظاني فإنكما حافظاي، يا مولاي يا صاحب الزمان الغوث الغوث الغوث أدركني أدركني الأمان الأمان الأمان.

(الحادي والخمسون) التأهّب والإستعداد لنصرته وتحصيل ما يرتبط بذلك من العلم بالفنون الحربيّة وكيفيّة استعمال الأعتدة العسكرية.

(الثاني والخمسون) الإمساك عن التمكين وبسط دولته إلاّ بعد الظهور وإعلان الإمام عليه السلام بنفسه طلب ذلك ولأهمية هذه الوظيفة نتوسّع فيها بعض الشيء فنقول:

رويت من طرق الشيعة طائفة من الروايات المعتبرة تتعلق بموضوع إقامة دولة العدل في زمن الغيبة الكبرى وقد حامت الأوهام حولها إلى حد أضحت فيه

مستمسكاً يتذرع به ذووا الهمم الكاسدَة والعزائم الخامدة للحيلولة دون نشأة أيّ بادرة تهدف إلى تطبيقها وإقرار أسسها وتثبيت جذورها وشكلوا انطلاقاً من هذا الوهم سداً منيعاً أمام تنامي مظاهر الحياة الفاضلة وسيطرة معالمها على شتّى نواحي الوجود الإنساني، وهذا المصير إنما صار إليه جمع عن غفلة من حقيقة أمرهم أو عن تعامي وتجاهل مُتَعَمَّد وإلاّ فإنّ هذه المسألة في حدود إثباتاتها الشرعية ليست بالنحو الذي استطرقوه وبالمناهج التي ولوجوها بل ينبغي أولاً وقبل كل شيء التفريق بين مسألة أنّ إقامة دولة العدل كضرورة تبتني عليها آمال البشرية جمعاء في ضمن الحدود والموازين التي قررتها الشريعة الإسلامية ولو في ضمن الدولة المغايرة في الحكم إسلامياً بغضّ النظر عن أيّ أمر آخر وبين مسألة ضرورة التمهيد والتوطئة لتقبل اطروحة عصر الظهور وتنشئة الأجيال على الذوبان فيها بكلهم التي تتم تارة عبر تطبيق المسألة المتقدمة لا كمقدمة حتمية وأخرى عن طريق تنمية الوعي وتهذيب أصول الثقافة العامة وارهاف الحس الخلقي والروحي وبين مسألة السعي لتمكين الإمام المهدي عليه السلام بالثورة على العالم كله والسعي لإسقاط أنظمة الحكم فيها ومطالبته بالظهور والخروج على أثر ذلك.

فأمّا المسألة الأولى فأدلتها منفصلة تماماً عن مباحث المسألتين الأخريين وأبرز ما يقوّم جوهرها عبارة عن مجموعة أدلة مركبة من:

١ــ أدلة ضرورة إقامة دولة العدل الإلهي.

٢ــ أدلة الجهاد.

٣ــ أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ــ أدلة لزوم القضاء والتصدّي لإشغاله لمن جمع الشرائط.

٥ ــ أدلة وجوب تطبيق الحدود وإقرار لوائح القصاص والعقوبات بأشكالها المختلفة.

فأمّا الواجب من أقسام الجهاد بالإتفاق فأربعة أقسام:

(أحدها) الجهاد لحفظ بيضة الدين إذا أراد أعداء الله تعالى مسّها بسوء وهمّوا بأن يجعلوا كلمتهم أعلا من كلمة الإيمان بالله وأن يكون الشرع باسمهم مناقضاً لدين الله عزّوجل.

(ثانيها) الجهاد لدفع العدوّ عن التسلّط على دماء المسلمين بالسفك

وأعراضهم بالهتك.

(ثالثها) الجهاد لدفع العدوّ عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكُفّار فخيف من استيلائهم عليها.

(رابعها) الجهاد لدفعهم عن ثغور المسلمين وقراهم وأرضهم أو لإخراجهم منها بعد تسلّطهم عليها بالجور أو لجبر بيضة المسلمين بعد كسرها وإصلاحها بعد فسادها والسعي في إنقاذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفرة بالله عزّوجل.

وهناك قسم خامس للجهاد وهو ابتداء الكفّار بجهادهم في سبيل دعوتهم إلى الإيمان بالله عزّوجل وغزوهم لأجل ذلك في عقر ديارهم وبحبوحة قرارهم فهو ممّا لا يجوز عند الشيعة الإمامية إلا للنبيّ صلّى الله عليه وآله أو الإمام المعصوم أو المنصوب الخاص من أحدهما فلا يتولاّه الفقهاء النائبون عن الإمام أيام غيبته ولا غيرهم.

وأمّا ما يتعلّق بضرورة إقرار أسس الشريعة الإسلامية في زمن الغيبة الكبرى فهو ممّا لا يسعنا هنا الإشارة إليه بتمامه لذا نقتصر في التمثيل له بكلام للمحدّث الفقيه المحقّق الفيض الكاشاني حيث يقول في كتاب مفاتيح الشرائع في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما لفظه:

فوجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البرّ والتقوى والإفتاء والحكم بين الناس بالحقّ وإقامة الحدود والتعزيرات وسائر السياسات الدينيّة من ضروريّات الدين وهو القطب الأعظم في الدين والمهم الذي ابتعث الله له النبيّين ولو تركت لعطلت النبوّة واضمحلّت الديانة وعمّت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وخربت البلاد وهلك العباد نعوذ بالله من ذلك.

وأضاف المحقّق النجفي في جواهره بعد اسهابه في المقام بقوله: وبالجملة.. فالمسألة من الواضحات التي لا تحتاج إلى أدلة.

وأمّا المسألة الثانية فقد تقدّمت الإشارة إليها كما أطنب السيّد محمد تقي الإصفهاني في كتابه مكيال المكارم تفصيل القول فيها بما لا مزيد عليه فلا نطيل الكلام عنها.

وأمّا المسألة الثالثة فأوّل ما يلحظ من أدلّتها الأحاديث المصرحة بأهمية انتظار الفرج والتي منها ما رواه الصدوق في الإكمال بسنده عن رسول الله صلّى الله عليه

وآله انه قال: أفضل الأعمال انتظار الفرج من اللّه عزّوجل.

وما رواه فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام:

المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل اللّه.

وما رواه الصدوق في الإكمال والنعماني في غيبته بسنديهما عن العلاء بن سيابة عن أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليه السلام انه قال: من مات منكم على هذا الأمر منتظراً كان كمن هو في الفسطاط للقائم عليه السلام.

وما رواه النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام انه قال: ذات يوم ألا أخبركم بما لا يقبل اللّه عزّوجل من العباد عملاً إلاّ به، فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمداً عبده، والإقرار بما أمر اللّه والولاية لنا والبراءة من أعدائنا يعني الأئمة خاصة والتسليم لهم والورع والإجتهاد والطمأنينة والإنتظار للقائم عليه السلام، ثم قال: ان لنا دولة يجيء اللّه بها إذا شاء، ثم قال: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه.

وما رواه الصدوق في الإكمال عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الفرج؟ قال: إنّ اللّه عزّوجل يقول: «إنتظروا إنّي معكم من المنتظرين».

وما رواه عن الرضا عليه السلام من قوله: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول اللّه عزّوجلّ: «وارتقبوا إنّي معكم رقيب»، «فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين»، فعليكم بالصبر فإنّه إنّما يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الّذين من قبلكم أصبر منكم.

وأما ما يستند إليه في المقام فهو جملة من الروايات الّتي تضمّنت الأمر بالإمساك وعدم الدعوة إلى التمكين بالمعنى الّذي ألمحنا إليه ولا علاقة لها قط بما توهّمه القوم حولها، وهذا ما يتّضح لك جلياً عند تصفّحها ملياً والنظر فيها بإمعان ودقّة.

فمنها ما رواه النعماني في غيبته بسنده عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له عليه السلام: أوصني فقال: أوصيك بتقوى اللّه وأن تلزم بيتك وتقعد في دهماء هؤلاء الناس وإياك والخوارج منا فإنهم ليسوا على شيء ولا إلى

شيء واعلم أنّ لبني امـيّة ملكاً لا يستطيع الناس أن تردعـه وان لأهل الحق دولة إذا جاءت ولاها الله لمن يشاء منا أهل البيت، من أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى وإن قبضه الله قبل ذلك جاز له، واعلم أنه لا يقوم عصابة تدفع ضيماً أو تعز ديناً إلا صرعتهم البليّة حتى تقوم عصابة شهدوا بدراً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله لا يورّى قتيلهم ولا يرفع صريعهم ولا يداوي جريحهم، قلت: من هم؟ قال: الملائكة.

وفيه أيضاً: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انه قال لي أبي عليه السلام لابدّ لنار من أذربيجان لا يقوم لها شيء، وإذا كان ذلك فكونوا اجلاس بيوتكم والبدوا ما ألبدنا فإذا تحرّك متحركنا فاسعوا إليه ولو حبواً والله لكأنّي أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد على العرب شديد وقال: ويل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب.

وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال:

«إتّخذوا صوامعكم بيوتكم وعضّوا على مثل جمر الغضا واذكروا الله كثيراً فذكر الله أكبر لو كنتم تعلمون».

وعنه أيضاً في نهج البلاغة ألزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم وهوى ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله فاستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النيّة مقام إصلاته بسيفه فإنّ لكلّ شيء مدّة وأجلاً.

وعن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خمس علامات قبل قيام القائم عليه السلام: الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكيّة واليماني، فقلت: جعلتُ فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا.

وفي سند الصحيفة السجّادية عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

ما يخرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلاّ اصطلمته البليّة وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا»(٩٥)

وما رواه العلاّمة المجلسي في البحار عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

مزاولة قلع الجبال أيسر من مزاولة مُلك مؤجّل واستعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولنّ عليكم الأمر فتقسو قلوبكم»(٩٦).

وأمّا ما دلّ على ذم المستعجلين بالتمكين والدعوة لبسط نفوذه قبل ظهوره فروايات منها ما رواه النعماني في غيبته بسنده عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ليس منّا أهل البيت أحد يدفع ضيماً ولا يدعو إلى حق إلاّ صرعته البليّة حتى تقوم عصابة شهدت بدراً لا يوارى قتيلها ولا يداوى جريحها، قلت: من عني أبو جعفر عليه السلام؟ قال: الملائكة.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

إذا هلك الخاطب وزاغ صاحب العصر وبقيت قلوب تتقلب من مخصب ومجدب هلك المتمنون واضمحل المضمحلّون وبقي المؤمنون وقليل ما يكونون ثلاثمائة أو يزيدون وتجاهدمعهم عصابة جاهدت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم بدرولم تقتل ولم تمت قال المحدث الخبير النعماني في ذيل هذا الحديث: قول أميرالمؤمنين عليه السلام وراغ صاحب العصر أراد صاحب هذا الزمان الغائب الرائغ عن أبصار هذا الخلق لتدبير الله الواقع، ثم قال: وبقيت قلوب تنقلب مخصب ومجدب وهي قلوب الشيعة المنقلبة عند هذه الغيبة والحيرة فمن ثابت منها على الحق مخصب، ومن عادل عنها إلى الضلال وزخرف المقال مجدب، ثم قال: هلك المتمنون ذماً لهم وهم الذين يستعجلون أمر الله ولايسلمون له ويستطيلون الأمد فيهلكون قبل أن يروا فرجاً ويبقى الله من يشاء أن يبقيه من أهل الصبر والتسليم حتى يلحقه بمرتبته وهم المؤمنون وهم المخلصون القليلون الذين ذكر انهم ثلاثمائة أو يزيدون ممّن يؤهله الله بقوّة إيمانه وصحّة يقينه لنصرة وليّه عليه السلام وجهاد عدوّه وهم كما جاءت الرواية عمّاله وحكامه في الأرض عند استقرار الدار ووضع الحرب أوزارها، ثم قال أميرالمؤمنين عليه السلام: تجاهد معهم عصبة جاهدت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم بدر لم تقتل ولم تمت.

يريد ان الله عزّوجل يؤيّد أصحاب القائم عليه السلام هؤلاء الثلاثمائة والنيف الخلّص بملائكة بدر وهم أعدادهم، جعلنا الله ممّن يؤهله لنصرة دينه مع وليّه عليه السلام وفعل بنا في ذلك ما هو أهله.

وعن أبي المرهف قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: هلكت المحاضير، قال: قلت: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون ونجا المقربون وثبت الحصن على أوتادها كونوا أحلاس بيوتكم فإن الفتنة على من اثارها وانهم لا يريدونكم بجائحة إلاّ أتاهم الله بشاغل لأمر يعرض لهم.

وعن أبي بكر الحضرمي قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبد الله عليه السلام وذلك حين ظهرت الرايات السود بخراسان، فقلنا: ما ترى؟ فقال: اجلسوا في بيوتكم فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: كفّوا ألسنتكم وألزموا بيوتكم فإنه لا يصيبكم أمر تخصّون به أبداً ويصيب العامة ولا تزال الزيدية وقاءاً لكم أبداً.

وعن عبدالرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام يوماً وعنده مهزم الأسدي فقال: جعلني الله فداك متى هذا الأمر فقد طال علينا فقال: كذب المتمنّون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون وإلينا تصيرون.

وعن عبدالرحمن بن كثير أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجل: «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» قال: هو أمرنا أمر الله عزّوجل لا يستعجل به يؤيّده ثلاثة أجناد الملائكة والمؤمنون والرعب وخروجه عليه السلام كخروج رسول الله عليه السلام، وذلك قوله تعالى: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحقّ».

وفيه أيضاً بسنده عن أبي الطفيل عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام ان ابن عباس بعث إليه من يسأله عن هذه الآية: «يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» فغضب علي بن الحسين عليه السلام وقال للسائل: وددتُ أن الذي أمرك بهذا واجهني به ثم قال: نزلت في أبي وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد وسيكون ذلك ذرّية من نسلنا المرابط، ثم قال: أما ان في صلبه يعني ابن عباس وديعة ذرئت لنار جهنم سيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً وستصبغ الأرض بدماء فراخ من فراخ آل محمد عليهم السلام تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير مدرك ويرابط الذين آمنوا ويصبرون ويصابرون حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

وعن يزيد بن معاوية العجلي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام في قوله عزّوجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» فقال: اصبروا على أداء الفرائض

وصابروا عدوّكم ورابطوا امامكم.

وعن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: مثل خروج القائم منا أهل البيت كخروج رسول الله ومثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ووقع من وكره فتلاعبت به الصبيان.

وعن جابر بن يزيد أيضاً عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض أي لا تخرجوا على أحد فإنّ أمركم ليس به خفاء إلا أنها آية من الله عزّوجل ليست من الناس إلاّ أنها أضوء من الشمس لا تخفي على برّ ولا فاجر، أتعرفون الصبح فإنه كالصبح ليس به خفاء.

ثم عقّب هذه الطائفة من الروايات الثقة النعماني بقوله:

انظروا رحمكم الله إلى هذا التأديب عن الأئمة عليهم السلام إلى أمرهم ورسمهم في الصبر والكف والإنتظار للفرج وذكرهم هلاك المحاضير والمستعجلين وكذب المتمنّين ووصفهم نجاة المسلمين ومدحهم الصابرين الثابتين ونسبهم إياهم إلى الثبات الحصين على أوتادها فتأدّبوا، رحمكم الله بتأديبهم وامتثلوا أمرهم وسلموا لقولهم ولا تجاوزوا رسمهم ولا تكونوا ممّن أرداه الهوى والعجلة ومال به الحرص عن الهدى والمحجة البيضاء، وفّقنا الله وإياكم لما فيه من السلامة من الفتنة وثبتنا وإياكم على حسن البصيرة، وأسلكنا وإياكم الطريق المستقيمة الموصلة إلى رضوانه المسكنة سكنى جنانه مع خيرته وخلصائه بمنّه وإحسانه(٩٧).

## عدم التمكين لا يستوجب القدح

قال العلاّمة المجلسي في البحار في جواب من زعم ان كل من خفي عليه الإمام المهدي عليه السلام من الشيعة في زمان الغيبة الكبرى فهم مقصرون مذنبون ما نصّه:

يلزم عليه أن لا يكون أحد من الفرقة المحقّة الناجية في زمان الغيبة موصوفاً بالعدالة، لأنّ هذا الذنب الّذي صار مانعاً لظهوره عليه السلام من جهتهم إمّا كبيرة أو صغيرة أصرّوا عليها، وعلى التقديرين ينافي العدالة فكيف كان يحكم بعدالة الرواة والأئمّة في الجماعات، وكيف كان يقبل قولهم في الشهادات، مع أنا نعلم ضرورة أنّ كلّ عصر من الأعصار مشتمل على جماعة من الأخيار لا يتوقّفون مع خروجه عليه السلام وظهور أدنى معجز منه في الإقرار بإمامته وطاعته، وأيضاً فلا

شكّ في أنّ في كثير من الأعصار الماضية كان الأنبياء والأوصياء محبوسين ممنوعين عن وصول الخلق إليهم، وكان معلوماً من حال المقرّين أنّهم لم يكونوا مقصّرين في ذلك بل نقول: لمّا اختفى الرسول صلّى اللّه عليه وآله في الغار كان ظهوره لأميرالمؤمنين صلوات اللّه عليه وكونه معه لطفاً له، ولا يمكن إسناد التقصير إليه فالحقّ في الجواب أنّ اللّطف إنّما يكون شرطاً للتكليف إذا لم يكن مشتملاً على مفسدة فإنّا نعلم أنّه تعالى إذا أظهر علامة مشيّته عند ارتكاب المعاصي على المذنبين كأن يسودّ وجوههم مثلاً، فهو أقرب إلى طاعتهم وأبعد عن معصيتهم، لكن لاشتماله على كثير من المفاسد لم يفعله، فيمكن أن يكون ظهوره عليه السلام مشتملاً على مفسدة عظيمة للمقرّين يوجب استئصالهم واجتياحهم، فظهوره عليه السلام مع تلك الحال ليس لطفاً لهم وما ذكره ـ رحمه اللّه ـ من أنّ التكليف مع فقد اللطف كالتكليف مع فقد الآلة فمع تسليمه إنّما يتمّ إذا كان لطفاً وارتفعت المفاسد المانعة عن كونه لطفاً.

وحاصل الكلام أنّ بعد ما ثبت من الحسن والقبح العقليّين وأنّ العقل يحكم بأنّ اللطف على اللّه تعالى واجب، وأنّ وجود الإمام لطف باتّفاق جميع العقلاء على أنّ المصلحة في وجود رئيس يدعو إلى الصلاح، ويمنع عن الفساد، وانّ وجوده أصلح للعباد وأقرب إلى طاعتهم وأنه لابدّ أن يكون معصوماً وأنّ العصمة لا تعلم إلاّ من جهته تعالى وأنّ الإجماع واقع على عدم عصمة غير صاحب الزمان عليه السلام يثبت وجوده.

وأمّا غيبته عن المخالفين، فظاهر أنّه مستند إلى تقصيرهم وأمّا عن المقرّين فيمكن أن يكون بعضهم مقصّرين وبعضهم مع عدم تقصيرهم ممنوعين من بعض الفوائد الّتي تترتّب على ظهوره عليه السلام لمفسدة لهم في ذلك ينشأ من المخالفين أو لمصلحة لهم في غيبته بأن يؤمنوا به مع خفاء الأمر وظهور الشبه، وشدّة المشقّة فيكونوا أعظم ثواباً مع أنّ إيصال الإمام فوائده وهداياته لما يتوقّف على ظهوره بحيث يعرفونه، فيمكن أن يصل منه عليه السلام إلى أكثر الشيعة ألطاف كثيرة لا يعرفونه كما سيأتي عنه عليه السلام أنّه في غيبته كالشمس تحت السحاب. على أنّ في غيبات الأنبياء دليلاً بيّنا على أنّ في هذا النوع من وجود الحجّة مصلحة وإلاّ لم يصدر منه تعالى.

# خاتمة القسم الأول
## في فضل زمن الغيبة الكبرى

روى العلاّمة المجلسي في بحاره عن رسول الله صلّى الله عليه وآله انه قال ذات يوم: ليتني قد لقيت إخواني، فقال له أبوبكر وعمر أو لسنا إخوانك آمنّا بك وهاجرنا معك؟ قال: قد آمنتم وهاجرتم وأعادا القول. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنتم أصحابي ولكن إخواني يأتون من بعدكم يؤمنون بي ويحبّوني وينصروني ويصدّقوني وما رأوني فيا ليتني قد لقيت إخواني.

(وفيه) سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّوجل الم ذلك الكتاب إلى يؤمنون بالغيب فقال: المتّقون شيعة علي والغيب فهو الحجة الغائب وشاهد ذلك قول الله عزّوجل: «ويقولون لو لا أنزل عليه آية من ربّه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين» فأخبر عزّوجل أنّ الآية هي الغيب والغيب هو الحجة وتصديق ذلك قول الله عزّوجل: «وجعلنا ابن مريم وامّه آية» يعني حجّة.

(وفيه) عن النبي صلّى الله عليه وآله انّه قال لعليّ: يا علي واعلم ان أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي صلّى الله عليه وآله وحجب عنهم الحجّة فآمنوا بسواد في بياض.

(وفيه) عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: تمتدّ الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده يا أبا خالد ان أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعونة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله بالسيف أولئك المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً وقال: انتظار الفرج من أعظم الفرج.

وروى الشيخ الأجل الصدوق في الإكمال بسنده عن عمّار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: العبادة مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل أفضل، أم العبادة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟ فقال: يا عمّار

الصدقة والله في السرّ في دولة الباطل أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل لخوفكم من عدوّكم في دولة الباطل وحال الهدنة ممّن يعبد الله عزّوجل في ظهور الحقّ مع الإمام الظاهر في دولة الحقّ، وليس العبادة مع الخوف وفي دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولة الحقّ. إعلموا أنّ من صلّى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدوّه في وقتها فأتمّها كتب الله عزّوجل له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانيّة، ومن صلّى منكم صلاة نافلة في وقتها فأتمّها كتب الله عزّوجلّ له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة كتب الله له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله عزّوجلّ بالتقيّة على دينه وعلى إمامه وعلى نفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة كثيرة، إنّ الله عزّوجلّ كريم.

قال: فقلت: جعلتُ فداك قد رغبتني في العمل وحثثتني عليه ولكنّي أحبّ أن أعلم كيف صرنا اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر في دولة الحقّ ونحن وهم على دين واحد وهو دين الله عزّوجلّ؟

فقال: إنّكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّوجلّ وإلى الصلاة والصوم والحجّ وإلى كلّ فقه وخير وإلى عبادة الله سرّاً مع عدوّكم مع الإمام المستتر مطيعون له، صابرون معه، منتظرون لدولة الحقّ، خائفون على إمامكم وأنفسكم من الملوك، تنظرون إلى حقّ إمامكم وحقّكم في أيدي الظلمة قد منعوكم ذلك واضطرّوكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوّكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهنيئاً لكم هنيئاً.

قال: فقلت له: جعلت فداك فما نتمنّى إذاً أن نكون من أصحاب الإمام القائم في ظهور الحقّ ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحقّ؟ فقال سبحان الله: أما تحبّون أن يظهر الله عزّوجلّ الحقّ والعدل في البلاد، ويحسن حال عامّة العباد، ويجمع الله الكلمة ويؤلّف بين قلوب مختلفة ولا يعصى الله عزّوجلّ في أرضه، ويقام حدود الله في خلقه، ويردّ الله الحقّ إلى أهله فيظهروه حتّى لا يستخفي بشيء من الحقّ مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميّت على الحال الّتي أنتم عليها إلاّ كان أفضل عند الله عزّوجلّ من كثير ممّن شهد بدراً وأحداً فأبشروا(١٠٠).

# القسم الثاني
# في ظاهرة دعوى السفارة

## تمهيد

وقبل الدخول في صلب الموضوع يجمل بنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أمر هام وهو أن الامام الحجة المهدي عليه أفضل الصلاة و السلام كما أنه قد عايش ظروفاً متعددة ومتسلسلة كذلك عايش أصنافاً بشرية معينة كان لها الدور البارز في تحوير تلك الفترات وتأطير نشاطات حركته الرسالية فيها كما سوف تحتل المتأخرة منها الدور المماثل بل الأهم ٠

فهذه الأصناف في الواقع تحتل دوراً رائداً وهاماً في الخط الطولي للمدة الزمنية المختصة بإمامة الحجة عليه السلام وهذا ما ندركه بجلاء عند ما نتصفحها بتسليط المزيد من الأضواء عليها من خلال هذا التمهيد:

فأما الصنف الأول: فهم الذين اختصوا برؤيته قبل حلول فترة الغيبة الصغرى في زمن حياة أبيه الإمام العسكري عليه السلام ولم يتجاوز دورهم هذا المقطع التاريخي.

وأمّا الصنف الثاني فهم الذين اختصوا بتسيير مهام الإمامة في فترة الغيبة الصغرى وأولئك هم (السفراء والوكلاء).

وأمّا الصنف الثالث فهم أولئك الذين ارتبطوا به برباط خاص في فترة الغيبة الكبر وهذا الإرتباط له وجهان:

**(الأول)** الإرتباط المباشر ويمثله خدمه الثلاثون.

**(الثاني)** الإرتباط غير المباشر ويمثله المنصوبون بحكم التمثيل النيابي العام عنه عليه السلام على ما سيأتي توضيحه وهم على مراتب ثلاث:

**(المرتبة الأولى)** وهي المرتبة الدارجة ويمثلها سائر الفقهاء الجامعين للشرائط المعتبرة.

**(المرتبة الثانية)** وهي المرتبة الإستثنائية ويمثلها خصوص الفقهاء المجددين للمذهب في كل قرن وعهد.

**(المرتبة الثالثة)** وهي المرتبة الممتازة ويمثلها الممهدون والموطئون لعصر

الظهور.

وأمّا الصنف الرابع فهم أولئك الذين يختصّون به في لحظة الظهور فهم الأنصار الذين يستعين بهم لنصرة دعوته وإدارة دولته وتسيير الجند والألوية لفتح البلاد وهداية العباد إلى مناهل الرشاد والسداد.

وأمّا الصنف الخامس فهم خلفاؤه الذين سيشغلون الفترة التي تعقب وفاته وارتحاله إلى الرفيق الأعلى.

وقبل الدخول في تناول المزيد من الكلام عن كل واحد من هذه الأصناف نقدّم مقدمة نذكر فيها بحثاً لغوياً عن ثلاثة مصطلحات هي: السفارة والنيابة والوكالة.

## ١ ـ السفارة

المفهوم اللغوي للسفارة: قال إبن فارس في معجم مقاييس اللغة: السين والفاء والراء أصل واحد يدلّ على الإنكشاف وانجلاء من ذلك السَّفَر وسُمّيَ بذلك لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم . . . وأما قولهم: سَفَرَ بين القوم سِفَارَةَ إذا أصلح فهو من الباب لأنه أزال ما كان هناك من عداوة وخلاف. وقال الخليل في العين: السَّفِيْر رسول بعض القول إلى قَوْمٍ وهم السفَراء. وقال الطريحي في مجمع البحرين: السفير الرسول بين القوم يزيل ما بينهم من الوحشة فَعيْل بمعنى فاعل، والسفَارة بالكسر: الرسالة، فالرسول والملائكة والكتب مشتركةَ في كونها سَافِرة عن القوم بما اشتبه عليهم.

فتحصّل لدينا من مجمل هذه الكلمات أنَّ السفير لا يطلق إلاّ على من أوكلت إليه مهام خاصة يتوقّف حل مسائل وقع الخلاف فيها على أدائها كما أن من لوازمها الإنتقال وقطع المسافات الطويلة لإنجاز ذلك كما ينبئ هذا الدور الذي يضطلع به عن مكانة رفيعة المستوى يتسم بها لما في مهمّته من أهمية وقيمة خاصة تتطلب وتستدعي مثل ذلك.

## المفهوم السياسي الحديث للسفير:

قال حسن عبد الله في قاموس مصطلحات العلاقات والمؤتمرات الدولية: سَفير: هو أرقى طبقات الممثلين ومبعوث رئيس الدولة لدى الدولة التي يعتمد لديها ويحمل أوراق اعتماده الصادرة منه إلى رئيس الدولة المعتمد لديها(١٠١).

وأضاف الدكتور سموحي فوق العادة في معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية زيادة على ذلك بقوله:

**١ ــ سَفِيرٌ**: السفير هو رئيس البعثة الدبلوماسية من الدرجة الأولى كما ورد في نظام ڤينا المعقود عام ١٨١٥، وكما صنفته المادة ١٤ (فقرة ا) من اتفاقية ڤينا للعلاقات الدبلوماسية المعقودة عام ١٩٦١. وهو الممثل الدبلوماسي الأول الذي يعتمده رئيس دولته لدى رئيس الدولة المستقبلة بموجب كتاب اعتماد رسمي، بعد ترشيحه والموافقة على تعيينه، ويتولّى تمثيل دولته وحماية مصالحها ومصالح رعاياها، والتفاوض مع الحكومة المحلية، وتوثيق العلاقات السياسية والعسكرية والإقتصادية والثقافية بين البلدين. ويحق للسفير طلب مقابلة رئيس الدولة كلما اقتضت الضرورة ذلك، ويعتبر في الحفلات الرسمية التي يحضرها هذا الأخير بمثابة ممثّل شخصي لرئيس الدولة الذي أوفده.

وتُحدَّد الأسبقيّة بين السفراء بالإستناد إلى القدَم في تاريخ تقديم كتاب الإعتماد، ويسمى سفير البابا «القاصد الرسولي» ويعتبر في البلاد الكاثوليكية فقط عميداً للسلك الدبلوماسي.

**٢ ــ سَفِيرٌ مُتَجَوِّل**: السفير المتجوّل إصطلاح حديث في التعامل الدبلوماسي، وهو يشير إلى السفير أو الشخصية البارزة أو وزير الدولة الذي توفده حكومته بمهمة خاصة وسرية إلى بلد معيّن وأحياناً عدة بلاد ليتولى فيها الإتصال بكبار المسؤولين بغية توضيح قضيته أو بيان وجهة نظر حكومته في موضوع ما، أو الإستفسار عن حادث معيّن، أو جس النبض لمعرفة نوايا تلك الحكومة في إحدى القضايا الهامة، الخ...

ويساعد السفير المقيم (في حال وجوده) السفير المتجوّل في أداء مهمّته، ويرافقه في معظم زياراته الرسمية، ويمنحه الأسبقية عليه بوصفه مبعوثاً خاصاً. ويقابل السفير المتجوّل في المجال الدبلوماسي الممثل الشخصي لرئيس الدولة.

**٣ ــ سَفِيرٌ مُعَيَّن**: هو السفير الذي رشحته دولة معينة ليمثلها لدى دولة أخرى، وقبلته هذه الأخيرة فأصبح شخصاً مقبولاً لديها، وتضيف إسمه إلى قائمة السلك الدبلوماسي بانتظار قدومه وتقديمه كتاب اعتماده إلى رئيس الدولة المعتمد لديها.

بالأعمال) كما يطلق على الإجتماعات الدولية التي يمثل فيها السفراء دولهم بدلاً عن وزراء الخارجية، أو وزراء الدولة، أو المندوبين الخاصين(١٠٢).

## المفهوم المذهبي للسفير:

وهو يتّفق مع المفهوم اللغوي والسياسي من حيث تضمنه للمعاني المومأ إليها فيهما لكنه يفترق عنهما بأمرين:

**(الأول)** اتسامه بالصبغة الدينية الصرفة المحصورة في إطار الإجابة على المسائل الدينية المعضلة أو تدبير ما يمت إليها بصلة كتصريف الحقوق الشرعية في جهاتها المنصوصة أو نحو ذلك.

**(الثاني)** أنّ هذا الطابع من التمثيل لم يحدث بحسب معتقد الشيعة الإمامية وبالمصطلح الصريح الرسمي إلا في فترة الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام ولخصوص أربعة أشخاص معيّنين فلا يصح بحال من الأحوال لأحد غيرهم كما لا يتصوّر وقوعه في زمن غير زمن تلك الغيبة كما سيأتي المزيد من توضيحه.

## ٢ ــ النيابة

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: النون والواو والباء كلمة واحدة تدلّ على اعتياد مكان ورجوع إليه وناب يناب. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين: ناب عني فلان في هذا الأمر نيابة إذا قام مقامك. وقال الفيومي في المصباح المنير: أَنَابَ وكيلاً عنه في كذا فزيد مُنِيبٌ والوكيل مُنَاب والأمْر مُنَاب فيه ونَابَ الوكيل عنه في كذا يَنُوْب نِيَابَةً فهو نائبَ والأمر مَنُوْب فيه وزيد مَنُوْبٌ عنه وجَمْعُ النائب نُوَّاب. وقال الفيروز آبادي في القاموس: ناب عنه نَوْباً ومَنَاباً قَامَ مقامه وأَنَبْتُه عنه.

أقول: المفهوم من مجموع هذه الكلمات اللغوية أن النيابة عبارة عن ايعاز التصرف وايكال أداء عملٍ ما لا في وجه إنشائه بإيكال الإختيار إلى النائب في الإتيان والترك فهي تفويض محصور وإعطاء لصلاحية مُقَلَّصة وتوجيه وبعث محدود في نطاق ضيّق. ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام:

**١ ــ نيابة خصوص الخصوص:** وهي عبارة عن الإيعاز بالتصرّف لآحاد الناس في خصوص جهات معيّنة من الأعمال المحدودة سواء كانت افتقرت إلى نيّة القربة

كالنيابة في فعل الواجبات من قبيل قضاء فوائت الميّت أو الإتيان بحجّ النيابة أو فعل المستحبّات كالإتيان بالزيارات والصلوات المستحبّة فيها بقصد الإستنابة ونحو ذلك. أو لم تفتقر إلى نية كما هو الحال في سائر الأعمال المباحة على اختلاف مواردها.

**٢ ـ نيابة الخواص للخصوص:** وهو تعبير آخر لما يختص به الشيعة الإماميّة من أمر النواب الأربعة المخصوصين الذين استنابهم الإمام المهدي عليه السلام في فترة الغيبة الصغرى لإنجاز مهام الإمامة الملقاة على عاتقه وكاهله من تبليغ الأحكام وإصلاح أمور الناس في حياتهم ومعائشهم وما يرتبط بدنياهم وآخرتهم وجئنا بلفظ (نيابة الخواص) للتدليل على مكانة وعظمة أولئك النوّاب وعقّبناها بكلمة (للخصوص) أي لخصوص الوكلاء المنصوبين أيضاً من ناحية الإمام المهدي عليه السلام لإنجاز المهام الموكلة إليهم لأدائها بشتّى صور الأداء داخل خلايا التكتلات الشيعيّة آنذاك.

ولا يتوهّم من خلال ما سنذكره في معنى الوكالة الآتي أن منزلة النوّاب الأربعة أدنى من منزلة الوكلاء وذلك لأنّ هذه النيابة ذات قدسية خاصة يفصح عنها ما رواه شيخ الطائفة الطوسي في كتاب الغيبة عن ابن نوح قال: سمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختي سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروا، ولكن أنا رجل ألقي الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجّة على مكانه لعلّي كنت أدل على مكانه وأبو القاسم فلو كان الحجّة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه(١٠٣).

يضاف إلى ذلك أن المهمة الموكلة إليهم تمنع من تجاوز هذا الحد من التمثيل وتوجب رعاية حرمة مقام الإمامة وقداستها ومركزيّتها في اتخاذ القرارات وإصدار الأوامر وفي المقابل نجد أن الوكالة الممنوحة لمن هو دون هؤلاء السفراء الأربعة لا تعني سوى تفويض التصرف في آحاد المسائل كإعطاء الحقوق الشرعية لمستحقيها أو صرفها في وجوه البر حسبما تقتضيه دواعي مجتمعاتهم لا غير أو أخذ الإستفتاءات من الوجوه والأعيان وسائر الطبقات.

وقد يلاحظ المتصفّح لتاريخ الغيبة الصغرى كثرة إستعمال لفظ النوّاب أو

الإستعاضة عنها بالسُّفَراء وهذه الظاهرة إن أفادت شيئاً فإنما تدل على وجود قاسم مشترك بينهما في المعنى في المفهوم الإصطلاحي المتداول وقد أوضحنا لک من خلال العرض السابق وجه هذا الإشتراك وما يزداد به مفهوم السفارة على مفهوم النيابة فلا نعيد.

٣ ـ **نيابة خصوص العموم:** وهي من قبيل نيابة مالک الأشتر عن الإمام علي عليه السلام في تولّي إدارة دفة الحكم في مصر حيث جاء في أول ما عهد به عليه السلام إليه في وثيقة العهد المشهورة ما نصّه: «هذا ما أمر به عبد اللّه علي أميرالمؤمنين مالک بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاّه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى اللّه وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلاّ مع جحودها وإضاعتها... الخ».

ففيه إيعاز بالتصرف في إدارة الحكم لخصوص شخص مالک الأشتر ضمن الصلاحيات المصرح بها من خلال ذلک العهد والتي تعم جميع مرافق الدولة ووجوه تدبيرها وتسيير شؤون نظام الحكم فيها.

٤ ـ **نيابة عموم الخصوص:** وهي المصرّح بها على لسان المتشرعة بالنيابة العامة لكننا في عنونتنا تلک أخذنا بالمعنى الأدق فيها وهذا النوع من النيابة هو من خصوصيات زمن الغيبة الكبرى حيث وردت نصوص متظافرة تتعلق بخصوصها وتتناول تحديد الخطوط العامة لها وتلقي بالضوء على الملامح التفصيلية لشخصية النائب عنهم عليهم السلام وما ينبغي أن يتّصف به من الشرائط والمواصفات الخاصة التي تؤهله لتحمّل أعباء تلک الوظيفة الحيوية الهامة في تحديد مسار حركة الأمة تجاه دينها ومعتقداتها وقيمها ومثلها ومبادئها.

فوجه العموم في هذه النيابة هو استنابتهم عليهم السلام كلّ من توفرت فيه الشرائط المنصوص عليها من قبلهم في سائر الأزمان والدول والأصقاع والنواحي ووجه الخصوص فيها هو محدودية القدر المصرح بتوليه وعدم تعديه في نصوصهم عليهم السلام من الإفتاء والولاية وما يترتب عليهما.

أما النصوص المصرح بها في المقام فنذكر لک على سبيل المثال منها ما يلي:

**(الأولى)** ما رواه الصدوق في كتاب إكمال الدين والشيخ في الغيبة والطبرسي

في الإحتجاج من التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام والمتضمن لقوله: «... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم».

**(الثانية)** رواية أبي خديجة قال: قال لي أبو عبد الله [الصادق] عليه السلام: انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإني قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه.

**(الثالثة)** روايته الأخرى عنه عليه السلام قال: «اجعلوا بينكم رجلاً ممن قد عرف حلالنا وحرامنا فإني قد جعلته قاضياً».

**(الرابعة)** مقبولة عمرو بن حنظلة عنه أيضاً عليه السلام وقد جاء فيها: «ينظران من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخفّ بحكم الله وعلينا ردّ، والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حد الشرك بالله» الحديث.

وقد وردت روايات أخر لا يسعنا المقام للإتيان بها تحدد أبعاد شخصية النائب عنهم عليهم السلام كاشتراط الذكورة والتكليف وطهارة المولد والعقل والحرية والفقاهة والعدالة والصدق والورع والتقوى.

## ٣ـ الوكالة

**المفهوم اللغوي للوكالة:** قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: الواو والكاف واللام أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك... والتوكّل منه وهو إظهار العجز في الأمر والإعتماد على غيرك... وسُمّي الوكيل لأنه يُوكَل إليه الأمر. وقال الخليل في كتاب العين: وكلته إليك أكِلُهُ كِلَةً أي فوّضته... والوكيل فعله التوكُّل ومصدره الوكالة. وقال الطريحي في مجمع البحرين: الوكَالة فتحاً وكسراً اسم من التوكيل وهي مشتقّة من وكَّل إليه الأمر أي فوّضه إليه. وقال الأحمد نكري في كتاب دستور العلماء: الوكالة بفتح الأوّل وكسره اسم للتوكيل وهو الحفظ والإعتماد ومنه الوكيل في أسمائه تعالى وهو فعيل بمعنى الفاعل على الأول أي الحافظ وبمعنى المفعول على الثاني أي المعتمد عليه.

أقول: المتبادر من هذه التعريفات ان في الوكالة نوع تفويض بنحو أخص

وأبعد غوراً في منح الإختيار والصلاحيات كما فيها نوع تنزيل للمُفَوَّضِ إليه منزلة المُفَوِّض.

ومما يدل على ذلك ما جاء عن محمد بن عيسى قال: كتب أبو الحسن العسكري عليه السلام إلى الموالي ببغداد والمدائن والسواد وما يليها: قد أقمت أبا علي بن راشد مقام علي بن الحسين بن عبد ربه ومن قبله من وكلائي وقد أوجبت في طاعته طاعتي وفي عصيانه الخروج إلى عصياني»(١٠٤).

**المفهوم الشرعي للوكالة:** وقد اشتق من المعنى اللغوي في مفهومه إلا انه أخص منه وهذا ما نلاحظه من قول الطريحي في المجمع: وهي في الشرع الإستنابة بالتصرّف. وقول الأحمد نگري في الدستور: وفي الشرع تفويض التصرّف في أمر شرعي إلى غيره أي إقامة الغير مقام نفسه في التصرّف ممّن يملك التصرّف والوكيل هو الذي فُوِّض إليه التصرّف بإقامة المُفَوِّض أي الموكّل إيّاه ومقام نفسه في التصرّفات. وقد كانت هذه الظاهرة من أهم الملامح التي عايشت سيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ابتداءاً من النبي صلّى الله عليه وآله وانتهاءاً بالإمام الحجّة المهدي عليه السلام كما سنأتي على ذكره.

## (الصنف الأول)

**من أولئك الذين اختصّوا برؤيته عليه السلام في حياة أبيه وأهمّهم:**

**١ ــ السيّدة حكيمة بنت الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام.**

**٢ ــ نسيم الخادم ومارية الجارية في بيت الإمام الحسن العسكري عليه السلام.**

**٣ ــ أصحاب أبيه عليه السلام الذين أراهم إيّاه في اليوم الثالث من ولادته.**

**٤ ــ أبو هارون.**

**٥ ــ معاوية بن حكيم.**

**٦ ــ محمد بن أيوب بن نوح.**

**٧ ــ محمد بن عثمان العمري.**

**٨ ــ عمر الأهوازي.**

**٩ ــ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الزيّات.**

**١٠ ــ كامل بن إبراهيم المدني.**

١١ ــ يعقوب بن منفوس.
١٢ ــ جد أبي الحسن بن وجناء.
١٣ ــ أحمد بن إسحاق بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري، وآخرون.

## (الصنف الثاني)

## السفراء و الوكلاء

### وللتمهيد نقدم لمحة خاطفة عما يتعلق بالإمام المهدي عليه السلام والتنظيم الهرمي لتمثيله النيابي

يستكشف الباحث من مجموع الروايات والنصوص التأريخية أن الإمام المهدي عليه السلام اعتمد تنظيماً هرمياً في ارتباطاته واتصالاته بقواعده ومواليه، فكان عليه السلام في قمّة الهرم قائداً يمارس عمله بسرية وخفاء، يصدر الأوامر والتعليمات إلى سفرائه مباشرة وهم بمثابة أعضاء الإرتباط بينه وبين الوكلاء الذين انتشروا في المناطق البعيدة، ليكونوا همزة الوصل بين السفراء والقواعد الشعبية الواسعة.

وكان الإمام عليه السلام يعمد إلى إحاطة إتصاله بالوكلاء بالغموض المطلق وكان ذلك الإتصال مجهولاً تماماً لدى كل إنسان مهما كان خاصاً ومقرباً ما عدا السفير نفسه الذي يضطلع بمهمة الإتصال المباشر، ومن الممكن القول بأن السفير كان منهياً عن التصريح به أساساً لكل أحد سوى اولئك الوكلاء.

وكان إختيار الإمام عليه السلام لأشخاص السفارة وإيكال الوكالة الخاصة لهم، تقوم على عمق إخلاصهم، وقوة تحملهم للتعذيب فيما إذا وقعوا تحت أيدي السلطة، ولم يشترط الإمام عليه السلام أن يكون السفير هو الأعمق فقهاً أو الأوسع ثقافة، لأنّ السفارة لا تعني إلا التوسّط في التبليغ، ومن هنا جاز إسنادها إلى المفضول مع وجود الأفضل، حرصاً على الإخلاص العميق وقوّة الإرادة.

ومن هنا جاء البعض يعترض على ــ أبي سهل النوبختي كما قدمنا لك قريباً عند الحديث عن النيابة(١٠٥).

وكانت مسؤولية السفراء في هذا التنظيم عامة وشاملة، على حين نرى مسؤولية الوكلاء خاصة، تشمل منطقتهم فقط، ومهمة الوكيل في التنظيم، تسهيل عمل السفير وتوسيع نطاقه، خصوصاً أن ظروف العمل السري تمنع حرية الحركة

والإتصال المباشر بالقواعد الشعبية المنتشرة في مختلف البلدان الإسلامية، فيكون لعمل الوكلاء ونشاطهم أكبر الأثر في إيصال التعاليم والتوجيهات إلى أكبر مقدار ممكن من القواعد الشعبية الموالية.

فضلاً على ذلك أن فكرة اعتماد نظام الوكلاء في التنظيم الهرمي، تساهم في إضفاء طابع التكتّم والسرية على اسم وشخص السفير فالفرد المنتمي للقواعد الشعبية العارف بفكرة ــ السفارة ــ غاية ما يستطيعه هو الإتصال بأحد الوكلاء من دون معرفة اسم السفير أو عمله أو مكانه»(١٠٦).

وكانت الأموال والحقوق الشرعية تصل الإمام عليه السلام ليعاد توزيعها بواسطة السفراء ثم الوكلاء لتصرف في مواضعها.

وهذه الأموال منها ما يصل الإمام عليه السلام مباشرة، ومنها ما يصرفه الوكيل وفقاً للقواعد والأحكام الإسلامية في صرف الحقوق.

ومن مهمة السفراء أيضاً التوسط لنقل الأسئلة وإيصالها من والي الإمام عليه السلام، بما في ذلك الأسئلة الفقهية والعقائدية وغيرها من سائر الشؤون الحياتية التي كانت بحاجة إلى اجابة الإمام عليه السلام عنها.

## لمحة تاريخية عن حياة السفراء الأربعة «رض»

### (الأول أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري)

بفتح العين وسكون الميم وكان أسدياً فنسب إلى جده أبي أمه جعفر العمري، وقيل إن أبامحمد الحسن العسكري عليه السلام أمر بكسر كنيته فقيل العمري، ويقال له العسكري لإنه كان يسكن عسكر سرّ من رأى ويقال له السمان لإنه كان يتجر بالسمن تغطية للأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى الحسن العسكري عليه السلام ما يجب عليهم من المال جعله أبو عمرو في زقاق السمن وحمله إليه تقية وخوفاً وكان علي الهادي عليه السلام نصبه وكيلاً ثم إبنه الحسن العسكري عليه السلام ثم كان سفيراً للمهدي عليه السلام.

قال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة في حقه أنه الشيخ الموثوق به وقال علي الهادي عليه السلام في حقه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعنّي يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه، وسأله بعض أصحابه لمن أعامل وعمّن آخذ وقول من أقبل؟ فقال: العمري ثقتي فما أدّى إليك فعني يؤدي وما قال لك فعني يقول فاسمع له وأطع

فإنه الثقة المأمون.

وقال الحسن العسكري عليه السلام في حقه بعد مضي أبيه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقة في المحيا والممات فما قاله لكم فعني يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه. وجاءه أربعون رجلاً من أصحابه يسألونه عن الحجة من بعده فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم إلا وأنكم لا ترونه بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر فأقبلوا من عثمان بن سعيد ما يقوله وانتهوا إلى أمره وأقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه.

وعثمان بن سعيد هو الذي حضر تغسيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام وتولى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه ودفنه مأموراً بذلك.

قال الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يده ويد إبنه محمد إلى شيعته وخواص أبيه بالأمر والنهي وأجوبة المسائل بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن العسكري عليه السلام فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما حتى توفي عثمان بن سعيد وغسله إبنه محمد ودفن بالجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان في قبلة مسجد الذرب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيق مظلم فكنا نزوره مشاهرة من وقت دخولي إلى بغداد سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة ثم عمّره الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى برا وعمل عليه صندوقاً تحت سقف ويتبرك جيران المحلّة بزيارته ويقولون هو رجل صالح وربما قالوا هو إبن داية الحسين عليه السلام ولا يعرفون حقيقة الحال وهو كذلك إلى يومنا هذا وهوسنة أربع وأربعين وأربعمائة.

## (الثاني أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري)

روى الشيخ في كتاب الغيبة عن هبة الله بن محمد عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة على عدالة عثمان بن سعيد وجعل الأمر بعد موته كله مردوداً إلى إبنه أبي جعفر والشيعة مجمعة على عدالته وثقته وأمانته للنص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن العسكري عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد لا يختلف في عدالته ولا يرتاب بأمانته والتوقيعات تخرج على يده

إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج به في حياة أبيه عثمان.

وقال الشيخ أيضاً: لما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام إبنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام قال الحسن العسكري عليه السلام: إشهدوا علي أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل إبني مهديكم.

وقال عليه السلام لبعض أصحابه: العمري وإبنه ثقتان فما أدّيا إليك فعني يؤديان وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان.

وكانت لأبي جعفر محمد بن عثمان كتب في الفقه مما سمعه من أبي محمد الحسن عليه السلام ومن الصاحب عليه السلام ومن أبيه عثمان عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد منها كتب الأشربة.

وروي عنه أنه قال: والله أنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه. وقيل له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول: اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني. وقال: رأيته صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللّهمّ انتقم بي من أعدائك. ودخل على محمد بن عثمان بعض أصحابه فرآه بين يديه ساجة ونقاش ينقش عليها آياً من القرآن وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها فقال: هذه لقبري أوضع عليها أو قال أسند إليها وقد فرغت منه وأنا كل يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فإذا كان يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا صرت إلى الله ودفنت فيه فكان كما قال.

وفي رواية أنه حفر قبراً وقال: أمرت أن أجمع أمري فمات بعد شهرين، وكانت وفاته في آخر جمادي الأولى سنة خمس وثلاثمائة أو أربع وثلاثمائة وتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة، ودفن عند والدته بشارع الكوفة في بغداد، وقيل وهو الآن في وسط الصحراء.

## (الثالث أبوالقاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي)

أقامه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه قبل وفاته بسنتين أو ثلاث سنين فجمع وجوه الشيعة وشيوخها وقال لهم إن حدث علي حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه

وعولوا في أموركم عليه.

وفي رواية أنهم سألوه أن حدث أمر فمن يكون مكانك فقال لهم هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر والوكيل له والثقة الأمين فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت.

وكان محمد بن عثمان العمري له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس منهم الحسين بن روح وكلهم كان أخص به من الحسين بن روح وكان مشائخ الشيعة لا يشكون في أن الذي يقوم مقام محمد بن عثمان هو جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه لما رأوه من الخصوصية به وكثرة وجوده في منزله حتى أنه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلا ما أصلح في منزل جعفر أو أبيه بسبب وقع له ويأكله في منزل أحدهما فلما وقع الإختيار على أبي القاسم سلموا ولم ينكروا وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر محمد بن عثمان ومنهم جعفر بن أحمد بن متيل قال: جعفر لما حضرت محمد بن عثمان الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدثه وأبو القاسم بن روح عند رجليه فقال لي أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحوّلت إلى عند رجليه.

وفي رواية أن الحسين بن روح كان وكيلاً لمحمد بن عثمان سنين كثيرة ينظر له في أملاكه وكان خصيصاً به وكان يدفع إليه في كل شهر ثلاثين ديناراً رزقاً له غير ما يصل إليه من الوزراء والرؤساء من الشيعة مثل آل الفرات وغيرهم فتمهدت له الحال في طول حياة محمد بن عثمان إلى أن أوصى إليه.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة: كان أبو القاسم رحمه الله من أعقل الناس عند المخالف والموافق ويستعمل التقية.

وتوفي أبو القاسم الحسين بن روح في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة ودفن في النوبختية في الدرب النافذ إلى التل وإلى درب الآجر وإلى قنطرة الشوك.

## (الرابع أبو الحسن علي بن محمد السموري)

أوصى إليه الحسين بن روح فقام بما كان موكلاً إليه.

روى الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة بسنده عن أحمد بن إبراهيم بن مخلد قال: حضرت بغداد عند المشايخ رحمهم الله فقال الشيخ أبو الحسن علي

محمد السمري قدس الله روحه إبتداءاً منه رحم الله علي بن الحسين بن بابويه القمي (وهو والد الصدوق) فكتب المشايخ تاريخ ذلك اليوم فورد الخبر إنه توفي في ذلك اليوم.

وفي رواية أنه كان يسألهم عن خبر علي بن الحسين بن بابويه فيقولون قد ورد الكتاب باستقلاله حتى كان اليوم الذي قبض فيه فسألهم فذكروا مثل ذلك فقال لهم: آجركم الله فيه فقد قبض في هذه الساعة فأثبتوا التاريخ فلما كان بعد سبعة عشر يوماً أو ثمانية عشر ورد الخبر بوفاته في تلك الساعة.

وروي الشيخ في كتاب الغيبة أيضاً بسنده أن السمري أخرج قبل وفاته بأيام إلى الناس توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فأنت ميّت ما بينك وبين ستّة أيام فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

قال الراوي: فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيك من بعدك فقال لله أمر هو بالغه.

وكانت وفاته في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين أو تسع وعشرين وثلاثمائة ودفن في الشارع المعروف بشارع الخلنجي من ربع باب المحول قريباً من شاطىء نهر أبي عتاب(١٠٨).

## ما ورد لزيارة قبورهم:

### قال المحدث الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان:

إعلم: إنّ من وظائف الوافدين لزيارة الأعتاب المقدّسة في العراق أثناء إقامتهم في مدينة الكاظمين عليهما السلام الطيّبة، هو التوجّه إلى بغداد، لزيارة هؤلاء النوّاب الأربعة، الّذين نابوا عن الحجّة المنتظر إمام العصر صلوات الله عليه وزيارة قبورهم لا يتطلب من الزائر بذل كثير من الجهد، فهي مجتمعة في بغداد غيربعيدة عن الوافدين من الزوّار، وهي لو كانت منتشرة في أقاصي البلاد لكان يحقّ أن يشدّ إليها الرحال، ويطوى في سبيلها المسافات الشاسعة، ويتحمّل متاعب

السفر وشدائده، لنيل ما في زيارة كل منها من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وهم قد فاقوا جميع أصحاب الأئمة (عليهم السلام) وخواصهم مرتبة وفضلاً، وفازوا بالنيابة عن الإمام عليه السلام وسفارته، والوساطة بينه وبين الرعية، خلال سبعين سنة، وقد جرى على أيديهم كرامات كثيرة، وخوارق لا تحصى...، وغير خفي أنّهم في مَماتهم أيضاً وسائط. فمن اللازم أن يبلغ الإمام عليه السلام ما تكتب في الحاجات والشدائد من الرقاع عن طريقهم وبوسيلتهم، كما عرف في محلّه، والخلاصة انَّ عظيم فضلهم ومنزلتهم، ممّا لا يحدّه البيان، وحسبنا ما ذكرناه ترغيباً إلى زيارتهم، وأمّا صفة زيارتهم، فهي كما ذكرها الطوسي رحمه الله في التهذيب، والسيّد إبن طاووس رحمه الله في مصباح الزائر، مسنداً إلى أبي القاسم حسين بن روح رحمه الله حيث قال في صفة زيارتهم، يسلّم على رسول الله، وعلى أمير المؤمنين بعده، وعلى خديجة الكبرى، وعلي فاطمة الزهراء، وعلى الحسن والحسين، وعلى الأئمة عليهم السلام إلى صاحب الزمان(صلوات الله عليه) ثم تقول: *(السلام عليك ــ يا فلان بن فلان ــ). وتذكر إسم صاحب القبر وإسم أبيه: (أشهد أنّكَ بابُ المولى، أدّيتَ عَنْهُ، وَأدَّيتَ إلَيْه، مَا خالَفْتَهُ، ولا خالفت عليه، قمت خاصاً، وانصرفت سابقاً، جئتكَ عارفاً بالحَقّ الّذي أنت عليه، وأنَّكَ ما خُنْتَ في التأدية والسّفارة، السلام عليكَ منْ باب ما أوسعك، ومن سفير ما أمنك، ومنْ ثقة ما أمكنك، أشهد انَّ اللهَ اختصَّكَ بنوره حتّى عاينت الشخص، فأدّيتَ عَنْهُ وأدَّيتَ إلَيْه). ثمّ ترجع فتبتدىء بالسلام على رسول الله، إلى صاحب الزمان عليهم السلام ثمَّ تَقول: (جئتك مخلصاً بتوحيد الله، وموالاة أوليائه، والبراءة من أعدائهم ومن الّذين خالفوك، يا حجّة المولى، وبك إليهم [اللّهمَّ] توجُّهي، وبهم [إليك] إلى الله توسُّلي). ثمَّ تدعو، وتسأل الله ما تحب، تجب إن شاء الله تعالى(١٠٩).*

## مهمة السفارة

وقد اضطلعوا بمهمة قيادة القواعد الشعبية الموالية للإمام عليه السلام من الناحية الفكرية والسلوكية، والعمل على اقرارها وتطبيقها بحذافيرها، والتوسّط بينه وبينها في إيصال البيانات وإخراج التوقيعات، وحل مشاكلها وتذليل العقبات التي تصادفها. وقد اعتمدوا في تحركاتهم ونشاطاتهم السرية التامة دون أن يثيروا السلطات عليهم، ومن أجل توفير أكبر الفرص وأوسع المجالات للعمل تحت قيادة

الإمام عليه السلام دون أن يقعوا تحت طائلة المطاردة والتنكيل. ولعل من أهم الدوافع التي دفعت السفراء إلى هذا الأسلوب من العمل هي الأسباب التالية: ـــ

١ ـــ خوف السلطة من العلويين، ومحاولة مطاردة واضطهاد عدد كبير من قادتهم وكبرائهم، ويكفينا ذلك العدد الضخم من العلويين الذين استئصلوا على يد السلطات، وقد ضبط لنا أسماءهم أبو الفرج في المقاتل(١١٠).

ويقول الطوسي في غيبته: «إنّ سيف المعتضد كان يقطر دماً»(١١١)، وكانت تلك الفترة «مليئة بالظلم والجور وسفك الدماء»(١١٢).

٢ ـــ الجوّ القلق والمضطرب الذي عاشته قواعد الإمام الشعبية، والسفراء الأربعة بنحو خاص، إلى درجة أن عثمان بن سعيد السفير الأول للإمام عليه السلام كان ينقل المال في جراب من الدهن، لشعوره بضغط السلطات ومطاردتهم له، ولما ينتظره من العقاب الصارم لو عرفت به الدولة أو حصلت تجاهه على مستمسك خطير.

٣ ـــ المطاردة الجادة والدؤبة للإمام المهدي عليه السلام ومحاولة إلقاء القبض عليه، وحملات التفتيش المنظمة لداره، فإذا كانت الدولة تقف من الإمام عليه السلام هذا الموقف فكيف يتصور موقفها تجاه قواعده ومواليه؟!.

وكان السفراء أيضاً هم حلقة الوصل في قبض وتوزيع الأموال التي كان الموالون يحملونها إلى الإمام عليه السلام من أطراف البلاد الإسلامية وكانت الوفود تفد للسفير تحمل معها الأموال والأسئلة، تسلم السفير الأموال وتستقي منه أجوبة المسائل وحل المشكلات.

وظاهر بعض الروايات، أن الأموال كانت تحمل في السنوات الأولى من الغيبة الصغرى إلى سامراء حيث يكون من يقبضها هناك ويسلمها للإمام المهدي عليه السلام وذلك بدلالة السفير نفسه، كما فعل أبو جعفر العمري مع الدينور(١١٣) ثم انقطع ذلك، واستمرّ السفير على قبض المال بنفسه مع إعطاء الوصل به(١١٤).

وقبض الأموال وتوزيعها كان يقع سراً بعيداً عن أعين الدولة ورقابتها ولا يصرح به إلا نادراً، وكان التوزيع ـ في الأعم الأغلب ـ يأخذ الأسلوب التجاري أي يعطي للفرد بصفته دائناً مثلاً، دون أن يثير هذا السلوك شك السلطات.

وكثيراً ما كانوا يواجهون الوشايات بتخطيط رائع ومضاد(١١٥).

ومن النشاطات الأخرى التي مارسها السفراء، تصديهم لحل المشاكل العلمية والدخول في المناقشات العقائدية، إما توجيهاً لقواعدهم الشعبية أو من أجل الإحتجاج ضد الشبهات والدفاع عن الإسلام(١١٦)(١١٧).

## أهداف السفارة

هناك هدفان ترمي إليها السفارة عن الإمام عليه السلام هي:

١ ــ تهيئة أذهان الأمة وتوعيتها لمفهوم ــ الغيبة الكبرى ــ وتعويد الناس تدريجياً على الإحتجاب، وعدم مفاجأتهم بالغيبة دون سابق مقدمات، ولربما أدّى الإحتجاب المفاجيء إلى الإنكار المطلق لوجود المهدي عليه السلام.

ومن هنا جاء تخطيط الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام بالإختفاء التدريجي عن وسط الأمة، وضاعفه الإمام العسكري على نفسه، كما أن الإمام المهدي نفسه تدرج في عمق الإحتجاب كما بينا، وكانت فترة السفارة أيضاً إحدى الفترات المرحلية لتهيئة الأذهان بشكلها المتدرّج.

٢ ــ قيام السفارة برعاية شؤون القواعد الشعبية الموالية للإمام عليه السلام والتوسّط بينها لتمضي شؤونها ومصالحها بعد اختفاء الإمام عن مشاهد الأعيان ومزاولة مهام الإمامة في مسرح الحياة بغيبته الكبرى.

وقد قام السفراء بمسؤوليتهم في هذا الجانب خير قيام حيث اضطلعوا بحفظ مصالح القواعد الشعبية ومن خلال ظروف اجتماعية وسياسية بالغة التعقيد(١١٨).

## الوكلاء

كان للإمام عليه السلام في الغيبة الصغرى وكلاء كثيرون في بغداد وغيرها لتغطية مهام العمل المبرمج داخل المجتمعات الشيعيّة والقواعد الشعبيّة الموالية غير أن السفارة مختصة بأولئك الأربعة المتقدمة أسماؤهم المعروفين بالنوّاب حيث كانوا يقومون بدور الوسيط بين الإمام وبين الوكلاء الذين يتم انتخابهم أيضاً بأمر الإمام واختياره وقد كانوا ممّن يطمئن إليه ويعول عليه ثقات أجلاء.

قال شيخ الطائفة في كتاب الغيبة عنهم: «وكان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قبل المنصوبين للسفارة من الأصل منهم أبو

الحسين محمد بن جعفر الأسدي رحمه الله . . . ومنهم أحمد بن إسحاق الأشعري . . . وإبراهيم بن محمد الهمداني وأحمد بن اليسع»(١١٩).

ومما لا شك فيه أن هناك فرقاً أساسياً بين هؤلاءالوكلاء وأولئك السفراء، ويتضح هذا الفرق في أمرين رئيسيين:

**أولهما:** أن السفير يواجه الإمام المهدي عليه السلام مباشرة ويعرفه شخصياً ويأخذ منه التوقيعات والبيانات، على حين أن الوكلاء ليسوا كذلك بل يكون اتصالهم بالمهدي عليه السلام عن طريق سفرائه، ليكونوا حلقة الوصل بينهم وبين قواعدهم الشعبية.

**ثانيهما:** إنّ مسؤولية السفير في الحفاظ على إخوانه في الدين وقواعده الشعبية عامة وشاملة، على حين نرى مسؤولية الوكيل خاصة بمنطقته والمصلحة الأساسية لوجود الوكلاء أمران أساسيان:

**الأمر الأول:** المساهمة في تسهيل عمل السفير وتوسيعه، حيث لا يكون بوسع السفير بطبيعة الحال، وبخاصة في ظرف السرية والتكتّم الإتصال بالقواعد الشعبية المنتشرين في العراق وغير العراق من البلاد الإسلامية، فيكون لعمل الوكلاء بهذا الصدد أكبر الأثر في إيصال التعاليم والتوجيهات إلى أوسع مقدار ممكن من القواعد الشعبية.

**الأمر الثاني:** المساهمة في إخفاء السفير نفسه، وكتمان اسمه وشخصه حيث قلنا في ما سبق أن الفرد الإعتيادي العارف بفكرة السفارة، غاية ما يستطيعه هو الإتصال بأحد الوكلاء من دون معرفة باسم السفير أو عمله أو مكانه، وقد لا يكون الوكيل على استعداد للتصريح بذلك أصلاً.

ونقتصر هنا على من كان معروفاً منهم بالإسم واللقب بالنحو التالي:

**١ ـ حاجز بن يزيد .. الملقّب بالوشا.** روى فيه الشيخ المفيد باسناده عن الحسن بن عبد الحميد، قال: شككت في أمر حاجز، فجمعت شيئاً ثم صرت إلى العسكر ـ يعني سامراء ـ فخرج إليّ: ليس فينا شك ولا فيمن يقوم مقامنا بأمرنا، ترد ما معك إلى حاجز بن يزيد.

وروى الكليني بسنده عن محمد بن الحسن الكاتب المحروزي انه قال: وجهت إلى حاجز الوشاء مائتي دينار وكتبت إلى الغريم بذلك فخرج الوصول،

وذكر انه كان قبلي ألف دينار وإني وجهت إليه مائتي دينار، وقال: إن أردت أن تعامل أحداً فعليك بأبي الحسين الأسدي بالري، فورد الخبر بوفاة حاجز ــ رضي الله عنه ــ بعد يومين أو ثلاثة . . . إلخ الحديث.

**٢ ــ أبو طاهر محمد بن علي بن بلال**، وقد عدّه ابن طاووس من السفراء المعروفين في الغيبة الصغرى الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي عليه السلام فيهم، وعبر عنه الإمام المهدي عليه السلام في بعض توقيعاته: بأنه الثقة المأمون العارف بما يجب عليه، وذكره الصدوق في قائمة الوكلاء في خبر إكمال الدين.

إلاّ أن الشيخ في الغيبة ذكره في المذمومين، وروى فيه أحاديث ستأتي على ذكرها عند ذكر السفراء المزيفين، مما يدل على أنه كان وكيلاً صالحاً في مبدأ أمره ثم انحرف وفسد حاله بعد ذلك.

**٣ ــ محمد بن إبراهيم بن مهزيار**: عدّه إبن طاووس من السفراء والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي فيهم.

أقول: يريد بالسفير هنا معناه الأعم وهو كل من له ارتباط بالمهدي عليه السلام ولو بالواسطة. وليس المراد كونه سفيراً مباشراً لضرورة انحصار السفراء بالأربعة، كما قدمنا وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وروى الشيخ في الغيبة بسنده إلى الشيخ الكليني، مرفوعاً إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار، قال: شككت عند مضي أبي محمد ــ الحسن العسكري عليه السلام ــ وكان اجتمع عند أبي مال جليل، فحمله وركب السفينة وخرجت معه مشيعاً له فوعك وعكاً شديداً، فقال: يا بني ردني ردني فهو الموت، واتّق الله في هذا المال، وأوصى إليّ ومات. فقلت في نفسي لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح. أحمل هذا المال إلى العراق وأكتري داراً على الشط ولا أخبر أحداً، فإن وضح لي شيء كوضوحه أيام أبي محمد عليه السلام أنفذته، وإلا تصدقت به.

فقدمت العراق واكتريت داراً على الشط، وبقيت أياماً، فإذا أنا برسول معه رقعة فيها: يا محمد معك كذا وكذا في جوف كذا وكذا حتى قصّ عليّ جميع ما معي مما لم أحط به علماً، فسلمت المال إلى الرسول، وبقيت أياماً لا يرفع لي رأس، فاغتممت. فخرج إليّ: قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله.

**٤ ـ أحمد بن إسحاق بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري، أبو علي القمي**، وكان وافد القميين. روى عن أبي جعفر الثاني ـ يعني الإمام الجواد عليه السلام ـ وأبي الحسن ـ الهادي عليه السلام ـ وكان من خاصة أبي محمد ـ العسكري ـ عليه السلام.

له كتب، منها: كتاب علل الصلاة، كبير. ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام. عاش بعد وفاة أبي محمد عليه السلام.

وروى شيخ الطائفة بسنده عن أبي محمد الرازي قال: كنت وأحمد بن أبي عبد الله بالعسكر ـ يعني سامراء ـ فورد علينا من قبل الرجل ـ يعني المهدي عليه السلام ـ فقال: أحمد بن إسحاق الأشعري وإبراهيم بن محمد الهمداني وأحمد بن حمزة بن اليسع ثقات.

وكان أحمد بن إسحاق هذا، من الخاصة الذين عرض الإمام العسكري عليه السلام عليهم ولده المهدي عليه السلام، وأعطاه الأطروحة الكاملة لفكرة الغيبة مع البرهنة على إمكانها والتنظير بحال الأنبياء السابقين. كما أشرنا إلى اسمه في طائفة الصنف الأول المار ذكره.

وكان قد بشره الإمام العسكري عليه السلام بولادة المهدي عليه السلام إذ أرسل إليه توقيعاً بالخط الذي ترد به التوقيعات يقول فيه: ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته، أحببنا إعلامك ليسرك الله به مثل ما سرنا به والسلام.

**٥ ـ محمد بن صالح بن محمد، الهمداني، الدهقان.** من أصحاب العسكري عليه السلام وكيل الناحية، يدل على ذلك ما ذكره الإمام المهدي عليه السلام نفسه في توقيع له لإسحاق بن إسماعيل، يقول فيه: فإذا وردت بغداد، فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا، والذي يقبض من موالينا.

وقد غلى آخر عمره فأصبح منحرفاً، وإنما كان ممدوحاً موثوقاً قبل انحرافه، ولعلّه هو المقصود من قول المهدي عليه السلام في بعض بياناته: وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته؛ فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله.

**٦ ـ محمد بن جعفر بن محمد بن عون. الأسدي الرازي**، كان أحد الأبواب،

يكنى أبا الحسين، له كتاب الرد على أهل الإستطاعة. الكوفي ساكن الريّ، يقال له: محمد بن أبي عبد الله. كان ثقة صحيح الحديث، إلا أنه روى عن الضعفاء، وكان أبوه وجهاً، روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى، ومات ليلة الخميس لعشر خلون من جمادي الأولى سنة اثني عشرة وثلاثمائة.

وروى شيخ الطائفة الطوسي في كتاب الغيبة: وعن صالح بن أبي صالح قال: سألني بعض الناس في سنة تسعين ومائتين قبض شيء فامتنعت من ذلك، وكتبت ـ يعني إلى المهدي عليه السلام ـ استطلع الرأي، فأتاني الجواب: بالري محمد بن جعفر العربي، فليدفع إليه فإنه من ثقاتنا.

وقد سبق أن سمعنا الإمام المهدي عليه السلام، نصب الأسدي هذا وكيلاً بعد موت حاجز الوشا.

وروى أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي بن نوبخت، قال: عزمت على الحج وتأهبت فورد عليّ ـ يعني من المهدي عليه السلام ـ نحن لذلك كارهون. فضاق صدري واغتممت وكتبت: أنا مقيم بالسمع والطاعة. غير أني مغتم بتخلفي عن الحج، فوقع: لا يضيقنّ صدرك فإنك تحج من قابل.

فلما كان من قابل استأذنت، فورد الجواب ـ يعني بالإذن بالسفر ـ فكتبت: إني عادلت محمد بن العباس وأنا واثق بديانته وصيانته، فورد الجواب: الأسدي نعم العديل، فإن قدم فلا تختر عليه، قال: فقدم الأسدي فعادلته.

ومات الأسدي على ظاهر العدالة، لم يتغيّر ولم يطعن فيه.. في شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

وكان المعتاد دفع أموال الإمام عليه السلام إلى الأسدي ليوصلها إليه، ولو بواسطة السفير، وكان يخرج به الوصول، روي عن محمد بن شاذان النيشابوري، قال: اجتمع عندي خمسمائة درهم ينقص عشرون درهماً، فلم أحبّ أن ينقص هذا المقدار، فوزنت من عندي عشرين درهماً ودفعتها للأسدي، ولم أكتب بخبر نقصانها واني أتممتها بمالي. فورد الجواب ـ أي من الناحية ـ قد وصلت الخمسمائة التي لك فيها عشرون.

٧ ـ **القاسم بن العلا:** من أهل آذربيجان. قال إبن طاووس: انه من وكلاء الناحية، يكنى بأبي محمد. وروي عنه أنه قال: ولد لي عدة بنين فكنت أكتب

ـ يعني إلى الناحية ـ وأسأل الدعاء لهم، فلا يكتب إليّ بشيء من أمرهم، فماتوا كلهم، فلما ولد لي الحسين إبني كتبت أسأل الدعاء، وأجبت وبقي والحمد لله.

عمّر مائة وسبع عشر سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين. لقي الإمام الهادي عليه السلام والإمام العسكري عليه السلام وأصيب بالعمى بعد الثمانين، وكان مقيماً بمدينة الران من أرض أذربيجان، وكان لا تنقطع توقيعات مولانا صاحب الزمان إليه، على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وبعده على أبي القاسم بن روح، قدس الله روحهما.

**٨ ـ محمد بن شاذان بن نعيم النعيمي النيشابوري:** عدّه إبن طاووس من وكلاء الناحية، وممن وقف على معجزات صاحب الزمان ورآه عليه السلام. وفي توقيع صادر عن الإمام المهدي عليه السلام: وأما محمد بن شاذان بن نعيم، فإنه رجل من شيعتنا أهل البيت.

**٩ ـ إبراهيم بن مهزيار، ابو إسحاق الأهوازي،** والد محمد بن إبراهيم بن مهزيار، وقد سمعنا قول المهدي عليه السلام في توقيعه لمحمد بن إبراهيم: قد أقمناك مقام أبيک فاحمد الله، وهو دال على أنّ أباه كان وكيلاً للناحية أيضاً.

روي عن ولده محمد بن إبراهيم أنه قال: أنّ أبي لما حضرته الوفاة دفع إليّ مالاً وأعطاني علامة، ولم يعلم بتلك العلامة أحد إلا الله عزّوجل، وقال: من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال، قال: فخرجت إلى بغداد ونزلت في خان. فلما كان في اليوم الثاني إذ جاء شيخ ودقّ الباب، فقلت للغلام: أنظر من هذا؟ فقال: شيخ بالباب، فقلت: أدخل، فدخل وجلس، فقال: أنا العمري، هات المال الذي عندك وهو كذا وكذا ومعه العلامة، قال: فدفعت إليه المال.

وقد عدّه إبن طاووس من سفراء الصاحب والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإثنا عشرية فيهم، له كتاب البشارات.

**١٠ ـ محمد بن حفص: بن عمرو، ابو جعفر،** أبوه يدعى بالعمري والجمال، وكان وكيلاً لأبي محمد العسكري عليه السلام، وكان وكيل الناحية، وكان الأمر يدور عليه.

**١١ ـ الحسين بن علي بن سفيان بن خالد بن سفيان، ابو عبد الله البزوفري.** شيخ جليل من أصحابنا، له كتب، روى الشيخ في الغيبة عن بعض العلويين سماه،

قال: كنت بمدينة قم فجرى بين إخواننا كلام في أمر رجل أنكر ولده، فأنفذوا إلى الشيخ ــ صانه الله ــ وكنت حاضراً عنده ــ أيّده الله ــ فدفع إليه الكتاب فلم يقرأه، وأمره أن يذهب به إلى أبي عبد الله البزوفري ــ أعزه الله ــ ليجيب عن الكتاب، فصار إليه، وأنا حاضر، فقال أبو عبد الله: الولد ولده وواقعها في يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا، فقل له فليجعل إسمه محمداً، فرجع الرسول إلى البلد وعرفهم، ووضح عندهم القول، وولد الولد وسمّي محمداً.

**١٢ ــ الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي:** وهو السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام، إلا أنه أبان سفارة سلفه الشيخ محمد بن عثمان العمري، كان وكيلاً له، ينظر في أملاكه، ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة، وكان خصيصاً به، فحصل في أنفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاصه بأبي جعفر وتوثيقه عندهم، ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر، فمهدت له الحال في طول حياة أبي جعفر إلى أن انتهت الوصية بالنص عليه، فلم يختلف في أمره، ولم يشك فيه أحد.

وأصبح العمري قبل موته بسنتين أو ثلاث يُحوّل عليه أموال الإمام عليه السلام، لكي يعود الرأي العام ويُهيّء الجوّ بالرجوع إليه حين تؤول السفارة إليه، كما سبق أن عرفنا.

ومن هنا أمكن أن يعد الشيخ إبن روح في السفراء تارة، وفي الوكلاء أخرى، رضي الله عنه وأرضاه.

**١٣ ــ إبراهيم بن محمد الهمداني:** وكيل الناحية، كان من مآثره أنه حجّ أربعين حجّة، وكان معاصراً للإمام الجواد عليه السلام، وقد كتب له بخطّه: وعجل الله نصرتك ممّن ظلمك وكفاك مؤنته، وأبشرك بنصر الله عاجلاً وبالأجر آجلاً، وأكثر من حمد الله.

وروي عنه أنه قال: وكتب إليّ: وقد وصل الحساب تقبل الله منك ورضي عنهم وجعلهم معنا في الدنيا والآخرة.. وقد كتبت إلى النضر، أمرته أن ينتهي عنك وعن التعرّض لك ولخلافك، وأعلمته موضعك عندي، وكتبت إلى أيوب أمرته بذلك أيضاً، وكتبت إلى مواليّ، بهمدان كتاباً أمرتهم بطاعتك والمصير إلى أمرك، وأن لا وكيل لي سواك.

**١٤ ــ أحمد بن اليسع بن عبد الله القمي:** روى أبوه عن الرضا عليه السلام، ثقة ثقة، له كتاب نوادر. وقد ورد توثيقه عن الإمام المهدي عليه السلام، وهو يدل في الجملة على توكيله والإذن برجوع الناس إليه، كما أسلفنا.

**١٥ ــ أيوب بن نوح بن دراج النخعي أبو الحسين،** كان وكيلاً لأبي الحسن الهادي عليه السلام ــ وأبي محمد ــ العسكري عليه السلام، عظيم المنزلة عندهما، مأموناً، وكان شديد الورع كثير العبادة، ثقة في رواياته، وأبوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة، وكان صحيح الإعتقاد، له كتاب نوادر، وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث ــ الهادي ــ عليه السلام. وروى الشيخ عن عمر بن سعيد المدائني، قال: كنت عند أبي الحسن العسكري عليه السلام بصريا، إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدامه، فأمره بشيء ثم انصرف، والتفت إليّ أبو الحسن عليه السلام وقال: يا عمر إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنّة، فانظر إلى هذا.

* * *

فهؤلاء طائفة ممن اضطلعوا بمهمة الوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى، لتكميل وتوسيع عمل السفراء الأربعة في مختلف البلدان الإسلامية. ويظهر من بعض الأخبار أن فكرة الوكالة، وتعدد الوكلاء، كانت نافذة المفعول منذ السنوات الأولى للغيبة الصغرى، ومنذ أوائل وجود السفارة(١٢٠).

## تنظيم الوكلاء السري

روى الثقة الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال: كان رجل من ندماء روز حسني وآخر معه فقال له: هو ذا يجبي الأموال وله وكلاء وسمّوا جميع الوكلاء في النواحي وأنهى ذلك إلى عبيد اللّه بن سليمان الوزير، فَهَمَّ الوزير بالقبض عليهم فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل فإن هذا أمر غليظ فقال عبيد اللّه بن سليمان: نقبض على الوكلاء فقال السلطان: لا ولكن دُسّوا لهم قوماً لا يُعْرَفون بالأموال فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه، قال: فخرج بأن يتقدّم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً وأن يمتنعوا من ذلك ويتجاهلوا الأمر فاندسّ لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه وخلا به فقال: معي مال أريد أن أوصله فقال له محمد: غلطتَ أنا لا أعرف من هذا شيئاً فلم يزل يتلطّفه ومحمد يتجاهل عليه وبثوا الجواسيس وامتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدّم إليهم، الحديث(١٢١).

ويستفاد من هذا الحديث إن أولئك الوكلاء المنتشرين في مختلف المناطق والأصقاع والنواحي كانوا مراقبين من أجهزة الحكم التي كانت تتربص بهم الدوائر وتتحين بهم الفرص خصوصاً بإمامهم الغائب عن الأنظار الذي جعلوه نصب مساعيهم بالدرجة الأولى لكن من دون جدوى.

## دفع شبهة وإشكال عن السفراء والوكلاء المرضيّين

ورد في بعض الأخبار المأثورة عنهم عليهم السلام انهم قالوا: «خُدّامنا وقوّامنا شرار خلق الله» وهو ظاهر المنافاة لما قدمنا ذكره في شأن السفراء والوكلاء فما هو وجه الجواب عن ذلك؟ وأجيب عنه بقولين:

**(الأول)** ما عن شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في غيبته:

هذا ليس على عمومه وإنما قالوا لأنّ فيهم من غَيَّر وبَدَّل وخان على ما سنذكره.

**(الثاني)** ما أفاده المحدث الجليل السيد علي بن عبد الكريم النيلي النجفي في كتاب منتخب الأنوار المضيّة حيث قال: لا يقال: لا نسلم أن هؤلاء السفراء والرسل والنوّاب والأصحاب والوكلاء كانوا كما يقولون، ولئن سلمنا ذلك فلا نسلم أنهم فعلوا ما يذكرون، ولئن سلمنا ذلك فلا نسلم أنهم كما تزعمون، أليس قد ورد الخبر عن أئمتكم أنهم قالوا: «خدامنا وقوامنا شر خلق الله»، وإذا كانوا شر خلق الله فلا اعتبار بهم. لأنا نقول: ان سبيل هؤلاء وثبوتهم وثبوت ما ورد عنهم أنهم فعلوه وما سمع منهم أنهم قالوا سبيل كافة الأحكام التي وردت بها شريعة الرسول عليه السلام، فإن جاز الطعن في ثبوت هؤلاء الرجال وما ورد عنهم من الأقوال والأفعال فليجز الطعن في كافة الأحكام، لكنه بالإجماع محال فالطعن في هذا محال. وأما ما ذكرتم من الخبر فليس لصحته أثر لثبوت نقيضه، وهو ما صح لي روايته عن الثقة أحمد بن محمد الأيادي رحمه الله يرفعه إلى محمد بن صالح الهمداني أحد الوكلاء المذكورين قال: كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام: ان أهل بيتي يؤذوني ويقرعوني بالحديث الذي روي عن آبائك عليهم السلام انهم قالوا: «خدامنا وقوامنا شرار خلق الله» فكتب عليه السلام: ويحهم أما علموا أن الله عزوجل ذكرنا وذكركم في كتابه «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة» شبّهنا وإياكم بالقرى، فنحن والله القرى التي بارك فيها وأنتم القرى

الظاهرة ثم أردفه بقوله: وإذا كان كذلك فلا يرد الإيراد وهو المطلوب. اه(١٢٢).

## الصنف الثالث

**وقد سبق أن أشرنا إلى انقسامه إلى أربعة أقسام:**

**١ ـ الخدم الثلاثون.**

**٢ ـ الفقهاء.**

**٣ ـ المجدّدون.**

**٤ ـ الممهدون والموطئون.**

## ١ ـ خدمه ومواليه عليه السلام

**الذين يلون أمره في الغيبة الكبرى:**

وردت بعض النصوص تشير إلى وجود عدّة من الخدم والموالي لرعاية شؤون الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى وتدبير شؤونه الخاصة وإن عدّتهم ثلاثون شخصاً. فممّا يدل على ذلك ما رواه شيخ الطائفة في كتاب الغيبة بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لابدّ لصاحب هذا الأمر من عزلة ولابدّ في عزلته من قوّة وما بثلاثين من وحشة ونعم المنزل طيبة(١٢٣).

والحديث الآخر رواه المحدث الثقة النعماني في كتاب الغيبة كما قدمنا حكايته عنه في أخبار إنقسام الغيبة إلى صغرى وكبرى حيث قال الإمام الصادق عليه السلام في شأن الكبرى منهما: فلا يبقى على أمره من أصحابه (أي شيعته) إلاّ نفر يسير لا يطلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره(١٢٤).

وقد ذيّل العلاّمة المجلسي الخبر الأول بما لفظه: العزلة بالضم إسم الإعتزال والطيبة إسم المدينة الطيّبة فيدل على كونه عليه السلام غالباً فيها وفي حواليها وعلى أن معه ثلاثين من مواليه وخواصّه إن مات أحدهم قام آخر مقامه، إنتهى.

وأضاف المحدث النوري طاب ثراه في خاتمة كتابه جنّة المأوى في الوجه الخامس من الوجوه التي أوردها في ضمن فائدته الأولى التي عقدها لتأييد جواز رؤيته عليه السلام في الغيبة الكبرى بقوله: ما رواه الكليني في الكافي والنعماني في غيبته والشيخ في غيبته بأسانيدهم المعتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابدّ له في غيبته من عزلة، وما بثلاثين من

وحشة(١٢٥). وظاهر الخبر كما صرّح به شرّاح الأحاديث أنّه عليه السلام يستأنس بثلاثين من أوليائه في غيبته. وقيل: إنّ المراد أنّه على هيئة مَن سنّه ثلاثون سنة أبداً وما في هذا السنّ وحشة، وهذا المعنى بمكان من البعد والغرابة، وهذه الثلاثون الّذين يستأنس بهم الإمام عليه السلام في غيبته لابدّ أن يتبادلوا في كلّ قرن إذ لم يقدَّر لهم من العمر ما قدّر لسيّدهم عليه السلام ففي كلّ عصر يوجد ثلاثون مؤمناً وليّاً يتشرّفون بلقائه.

## ٢ ـ الفقهاء في زمن الغيبة الكبرى

وقد أشرنا إليهم في القسم الرابع من أقسام النيابة فلا نعيد الكلام ولكن نكتفي هنا بذكر قولين:

**(الأول)** قول الشيخ الكراجكي في كنز الفوائد حيث صرح بما لفظه: فأما الذي يجب أن يفعله اليوم المسترشدون ويعول عليه المستفيدون فهو الرجوع إلى الفقهاء من شيعة الأئمة، وسؤالهم في الحادثات عن الأحكام، والأخذ بفتاويهم في الحلال والحرام، فهم الوسائط بين الرعية وصاحب الزمان عليه السلام، والمستودعون أحكام شريعة الإسلام، ولم يكن الله تعالى يبيح [لحجته] صلى الله عليه، الإستتار إلا وقد أوجد للأمة من فقه آبائه عليهم السلام ما تنقطع به الأعذار، وليس الرجوع إليهم كالرجوع إلى القائسين، ولا التعويل عليهم بمماثل للتعويل على المستحسنين، المفتين في الشريعة بالظن والترجيح، وإنما هو رجوع إلى ما استودعوه من النصوص المفيدة للعلم واليقين، وتعويل على ما استحفظوه من الآثار المنقولة من فتاوى الصادقين، التي فيها علم ما يلتمسه الطالبون، وفيه ما يقتبسه السائلون، ومن أخذ من هذا المعدن فقد أخذ من الإمام صلى الله عليه، لأنها علومه، وأقوال آبائه صلوات الله عليهم وسلامه(١٢٦).

**(الثاني)** للشيخ محمد رضا الطبسي النجفي في كتاب الدرّ الثمين:

وأما نوابه في الغيبة الكبرى المنصّبون من قبله عامة فمن مثل الكليني والشيخ المفيد والسيّد المرتضى والرضي والطوسي ومن شابههم طبقة بعد طبقة، فكل مجتهد وفقيه عادل حامل لعلومهم فهو المأذون من قبله أن يتصرف في حلالهم وحرامهم وأخذ الحقوق الشرعية وصرفها بمصارفها المقرّرة وحجته على الناس من قبل الرواية المعروفة:

«وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله على الخلق»، ولقوله: «وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه»، وقولهم: «من كان عالماً بحلالنا وعرف شيئاً من أحكامنا» الحديث(١٢٧).

## ٣ـ المجددون لمذهب الشيعة الإمامية:

وهي ظاهرة اخرى من الظواهر التي امتاز بها مذهب الشيعة على من سواهم من أجل الحفاظ على المذهب الحق وخفارته وحراسته والإبقاء على ديمومية لواء التوحيد بصورته الأصلية ونهج الشرع القويم والصراط المستقيم. وقد اعترف بها حتى المناوئين. فقد حكى الشيخ البهائي في مقدمته في كتابه الموسوم بدراية الحديث وغيره في غيرها، عن إبن الأثير في جامع الأصول انه قال: ان من خواص الشيعة ان لهم على رأس كل مائة سنة من يجدد مذهبهم وكان مجدده على رأس المائتين عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وعلى رأس المائة الثالثة محمد بن يعقوب وعلى رأس المائة الرابعة علي بن الحسين المرتضى(١٢٨).

وأخرج إبن حجر في صواعقه قال: قال صلّى الله عليه وآله وسلم: في كل خلف من امّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وان أئمّتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون.

وروى المحدث الصفار في بصائر الدرجات بسنده عن أبي البختري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ان العلماء ورثة الأنبياء وذلك ان الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا علمكم هذا عمن تأخذون فإنّ فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وروى الكشي في رجاله بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد.

ومن الطريف بعد الذي قدمنا لک ما جاء في محكي الشيخ البهائي «قدس سره» في كشكوله عن المشكاة للطيبي في قوله: فيما أُعلِم عن أبي هريرة عن رسول

الله صلّى الله عليه وآله قال: ان الله عزّوجل بعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، رواه أبو داود. مشكاة: قوله فيما أعلم، أي في جملة ما أعلم يجوز بضم الميم، حكاية عن قول أبي هريرة، وبفتحها ماضياً عن الأعلام حكاية عن فعله. وقوله: من يجدد لها، قال صاحب جامع الأصول: قد تكلم العلماء في التأويل وكل واحد أشار إلى المقام الذي هو مذهبه، وحمل الحديث عليه والأولى الحمل على العموم، فإنّ لفظة من تقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضاً بالفقهاء، فإن انتفاع الأمر بهم وإن كان كثيراً فإنّ انتفاعهم بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعّاظ والزهّاد أيضاً كثير، إذ حفظ الدين وقوانين السياسة وبث العدل وظيفة الأمراء، وكذا القراء وأصحاب الحديث ينفعون بضبط التنزيل والأحاديث التي هي اصول الشرع، والوعاظ والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، لكن ينبغي أن يكون مشار إليه في كل فن من هذه الفنون، ففي رأس الأولى من أولى الأمر عمر بن عبد العزيز ومن الفقهاء محمد بن علي الباقر عليه السلام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وسالم بن عبد الله عمرو الحسن البصري ومحمد بن سيرين وغيرهم من طبقاتهم، ومن القراء عبد الله بن كثير، ومن المحدثين ابن شهاب الزهري وغيرهم من التابعين وتابع التابعين.

وفي رأس الثانية من أولي الأمر المأمون، ومن الفقهاء الشافعي، وأحمد بن حنبل لم يكن مشهور حينئذ، واللؤلؤي من أصحاب أبي حنيفة وأشهب من أصحاب مالك، ومن الإمامية علّي بن موسى الرضا عليه السلام، ومن القراء يعقوب الحضرمي، ومن المحدثين يحيى بن معاذ، ومن الزهّاد معروف الكرخي.

وفي الثالثة من أولي الأمر المقتدر بالله، ومن الفقهاء أبي العباس بن شريح الشافعي وأبو جعفر الطحاوي الحنفي وإبن جلال الحنبلي وأبو جعفر الرازي الإمامي، ومن المتكلّمين أبو الحسن الأشعري، ومن القراء أبوبكر أحمد بن موسى بن مجاهد، ومن المحدثين أبو عبد الرحمن النسائي.

وفي الرابعة من أولي الأمر القادر بالله، ومن الفقهاء أبو حامد الأسفرايني الشافعي وأبوبكر الخوارزمي الحنفي وأبو محمد عبد الوهّاب المالكي وأبو عبد الله الحسين الحنبلي والمرتضى الطرطوسي أخ الوضاح الشاعر، ومن المتكلمين القاضي أبوبكر الباقلاني وابن فورك، ومن المحدثين الحكم ابن النسفي، ومن

القراء أبو الحسن الجهامي، ومن الزهاد أبوبكر الدينوري.

وفي الخامسة من أولي الأمر المستظهر بالله، ومن الفقهاء الإمام أبو حامد الغزالي الشافعي والقاضي محمد بن المروزي الحنفي وأبو الحسن الراغوي الحنبلي، ومن المحدثين رزين العبدري، وإنما المراد بالذكر ذكر من انقضت المأة وهو حي عالم مشار إليه والله أعلم(١٢٩).

## ٤ ــ الممهدون والموطئون:

وقد قام بإحصاء الروايات الواردة في شأن هؤلاء المحقق الفاضل الشيخ علي الكوراني في كتابه الممهدون للمهدي عليه السلام ونحن نسرد لك القسم الروائي منه حسبما أورده فيه كما يلي:

### أحاديث الممهّدين [ومصادرها]

**(١) حديث (حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود)**

نصّ الحديث من مستدرك الحاكم:

«عن عبد الله بن مسعود قال: أتَيْنا رسول الله (ص) فخرج إلينا مستبشراً يُعْرَف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلاّ أخبرنا به، ولا سكتنا إلاّ ابتدأنا.. حتّى مرّت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين فلمّا رآهم التزمهم وانهملت عيناه.. فقلنا: يا رسول الله ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه! فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد حتّى ترتفع رايات سود في المشرق فيسألون الحقّ فلا يعطونه ثمّ يسألونه فلا يعطونه ثمّ يسألونه فلا يعطونه، فيقاتلون فيُنْصَرون.. فمن أدركه منكم ومن أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي ولو حَبْواً على الثلج، فإنّها رايات هدى يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي يواطي إسمه إسمي واسم أبيه إسم أبي فيملك الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

أخرجه:

ــ الحاكم في المستدرك ج٤ ــ ص ٤٦٤ وص ٥٥٣.

ــ الحنفي في كنز العمال ج٧ ــ ص ١٨٧.

ــ ابن ماجة في سننه ج٢ ــ ص ٥١٨ و٢٦٩.

ــ ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٠٠.

ــ السيوطي في العرف الوردي ج٢ ــ ص ٦٣ و٦٨. وأخرجه في الحاوي ج٢ ص ١٢٧ وقال: أخرجه إبن شيبة، ونعيم بن حماد في الفتن، وأبو نعيم عن إبن مسعود.

ــ القندوزي في ينابيع المودة ص ١٩٣ و٤٣٣ نقلاً عن مسند أبي حاتم، وصحيح حبان، وكتاب ابن السري.

ــ الجمع بين الصحاح في آخره.

ــ الشافعي في عقد الدرر حديث ١٦٢ و١٦٤ ص ١٢٤.

ــ ابن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٤ و٨٥ وغيرها (من المخطوطة).

ــ ابن خلدون في مقدمته ص ٢٦٧.

ــ قال ابن الصديق الحضرمي: رواه الحاكم في المستدرك (وذكر سنده عن عبد الله بن مسعود) ورواه ابن ماجة (وذكر سنده عن عبد الله بن علقمة) وقال: رجاله كلّهم ثقات.

ــ ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣٠ و١١٧.

ــ البحراني في غاية المرام ص ٥٧٠ نقلاً عن الأربعين حديثاً لأبي نعيم.

ــ إبن أبي شيبة في المصنّف ج١٥ ص ٢٣٥.

ــ الداني في سننه ص ٩٣.

**ملاحظات حول رواية هذا الحديث:**

١) روت المصادر المذكورة وغيرها هذا الحديث الشريف بصيغ متقاربة، مع بعض الفروق في الألفاظ والفقرات، وفي أكثرها لا توجد فقرة (واسم أبيه كاسم أبي) وفي عدد منها كالحاوي للسيوطي وعقد الدرر للشافعي والفتن والملاحم لإبن حماد والملاحم والفتن لإبن طاووس ورد فيها: «حتّى يبعث الله رايةً من المشرق سوداء من نصرها نصره الله ومن خذلها خذله الله حتى يأتوا رجلاً اسمه إسمي فيولّونه أمرهم فيؤيّده الله».

٢) هذا الحديث واحد من عدة أحاديث عن الرايات السود أو رايات المشرق الممهدة للمهدي عليه السلام ولكنّه أطولها وأوسعها انتشاراً في مصادر الحديث، ولا يبعد أن يكون هو الأصل لعدة أحاديث ذكرتها المصادر كأنّها أحاديث مستقلة بينما هي أجزاء منه منقولة لفظاً أو معنى، ومن ذلك الحديث الذي يضاهيه في

الشهرة والإنتشار في المصادر: «إذا رأيتم الرايات السود خرجتْ منْ قبَل خراسان فأتوها ولو حَبْواً على الثلج فإنَّ فيها خليفة الله المهدي» الذي رواه كنز العمال، وإبن ماجة وعقد الدرر، وابن حمّاد، والصواعق المحرقة، والحاوي وغيرهم.

ولعلّ من ذلك أيضاً حديث: «يخرج ناس من المشرق يوطّئون للمهدي سلطانه» الذي رواه عدد من أهل الصحاح كإبن ماجة وأحمد وغيرهم.

ومـا رواه المجلسي في بحـار الأنوار ج٥١ ـ ص ٨٣ وج٥٢ ص ٢٤٣، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كأنّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يعطونه ثمَّ يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم.. فَيُعْطَوْنَ ما سألوا فلا يقبلونه حتّى يقوموا، ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم (أي المهدي عليه السلام) قتلاهم شهداء، أما إنّي لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر».

٣) روى الحنفي في كنز العمّال ج ٦ ـ ص ٦٨ حديثاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بمثابة التعليق على حديث النبي صلّى الله عليه وآله عن عامر بن الطفيل أنّه قال له: «يا عامر إذا سمعت بالرّايات السود مقبلة من خراسان فكنت في صندوق مقفل عليك فاكسر ذلك القفل وذلك الصندوق حتّى تقتل تحتها، فإن لم تستطع فتدحرج حتّى تقتل تحتها».

**(٢) أنّها غير رايات بني العبّاس**

«تخرج من المشرق رايات سود لبني العبّاس، ثمَّ يمكثون ما شاء الله، ثمَّ تخرج رايات سود صغار تقاتل رجلاً من ولد أبي سفيان وأصحابه، ويؤدّون الطاعة للمهدي».

ـ أخرجه السيوطي في العرف الوردي ج٢ ـ ص ٦٩.

ـ وإبن حمّاد في الفتن والملاحم بألفاظ مختلفة ص ٥٢ و٨٤ و٨٥ (من المخطوطة).

ـ وإبن طاووس في الملاحم والفتن ص٣٣. وسوف نذكر محاولة بني العباس تطبيق أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله عن رايات المشرق والمهدي عليه السلام على راياتهم وملوكهم.

**(٣) حديث «هم أهل الرايات السود المستضعفون»**

«فيبعث الله عليه (أي على السفياني) فتىً من قبل المشرق يدعوهم إلى أهل بيت النبيّ، هم أصحاب الرايات السود المستضعفون يعزّهم الله وينزل عليهم النصر فلا يقاتلهم أحد إلاّ هزموه».

أخرجه الحنفي في كنز العمّال ج٧ ـ ص ٢٦٢.

والسيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي.

وابن طاووس في الملاحم والفتن ص١٥٠.

**(٤) حديث «فلا يردّها شيء حتى تنصب في ايلياء»**

«تخرج من خراسان رايات سود فلا يردّها شيء حتّى تنصب في إيلياء».

أخرجه الحنفي في كنز العمال ج٧ ـ ص ٢٦٢ نقلاً عن مسند أحمد وجامع الترمذي بسنديهما عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي في سننه ج٣ ص ٣٦٢.

وأخرجه السيوطي في الحاوي ج٢ ـ ص ١٢٧، وفي العرف الوردي ج٢ ـ ص ٦٠. وأخرجه ابن كثير في النهاية وقال: هذه الرايات ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم فاستلب بها دولة بني أمية، بل رايات سود أخرى تأتي بصحبة المهدي. وصححه الصديق الحضرمي في رسالته في الرد على ابن خلدون وقال: رواه البيهقي في الدلائل.

وروى قريباً منه ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ٤٣ و٥٨.

وروى في صفحة٣١ عن سفيان الكلبي «يخرج على لواء المهديّ غلام حديث السنّ خفيف اللّمة أصفر، لو قاتل الجبال لهدّها» وفي رواية أخرى يقاتل حتى ينزل ايلياء. وروى نعيم بن حمّاد في الفتن ص ٨٤ (مخطوطة) عن محمد بن الحنفية قال: «تخرج رايات سود لبني العبّاس ثمّ تخرج من خراسان أخرى سود قلانسهم سود وثيابهم بيض على مقدّمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم يهزمون أصحاب السفياني حتّى ينزل بيت المقدس يوطّىء للمهديّ سلطانه، ويمدّ إليه ثلاث مائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلّم الأمر إلى المهديّ إثنان وسبعون شهراً.

وروى قريباً منه الصبان الشافعي في إسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار ص١٢٧

**(٥) أحاديث دخول الإيرانيين إلى دمشق وهي ثلاثة اقسام:**

**القسم الأول:** ما يتعلّق برايات بني العبّاس وأبي مسلم الخراساني وأصحابه، وقد رواها ابن حمّاد تحت عنوان (خروج بني العبّاس) من ص ٥٢ إلى ٥٦ من مخطوطة الفتن والملاحم، منها:

«تقبل الرايات السود من المشرق يقودهم رجال كالبخت المجلّلة أصحاب شعور، أنسابهم القرى وأسماؤهم الكنى، يفتحون مدينة دمشق ترفع عنهم الرحمة ثلاث ساعات».

ومنها: «يدخلون دمشق برايات سود عظام فيقتلون فيها مقتلة عظيمة شعارهم بكش بكش» ومعنى بكش بالفارسيّة: اقتل.

وفي رواية أخرى: «أسماؤهم الكنى وقبائلهم القرى وعليهم ثياب كلون اللّيل المظلم تعود بهم إلى آل العبّاس».

وفي أخرى: «لا يفون بعهد ولا ميثاق يدعون إلى الحقّ وليسوا من أهله، أسماؤهم الكنى ونسبتهم القرى، وشعورهم مرخاة كشعور النساء».

**والقسم الثاني:** يتعلّق بدخول الرايات السود الصغار مع المهدي عليه السلام، وقد رواها ابن حمّاد في مخطوطته ص ٩٥ إلى ٩٩ تحت عنوان خروج المهدي إلى بيت المقدس وفي أمكنة أخرى منها:

«يخرج (أي المهدي عليه السلام) من مكّة في إثني عشر ألفاً إن قلّوا وخمسة عشر ألفاً إن كثروا، يسير الرعب بين يديه لا يلقاه عدوّ إلاّ هزمهم بإذن الله، شعارهم أمت أمت، لا يبالون في الله لومة لائم، فتخرج إليهم سبع رايات من الشام فيهزمهم ويمل فترجع إلى الناس نعمتهم ومحبّتهم».

ومنها ما رواه في ص ٨٥ (عن ابن شوذب قال: كنت عند الحسن (البصري) فذكرنا حمص فقال: هم أسعد الناس بالمسوّدة الأولى وأشقى الناس بالمسوّدة الثانية، فقلنا: وما المسوّدة الثانية يا أبا سعيد؟ فقال: قال أبو الطهويّ: «تخرج من قبل المشرق في ثمانين ألفاً محشوّة قلوبهم إيماناً حشو الرمّانة من الحبّ، بوار المسوّدة الأولى على أيديهم».

ومنها ما رواه في ص ٨٤: «تخرج راية سوداء لبني العبّاس ثمّ تخرج من خراسان أخرى سوداء قلانسهم سود وثيابهم بيض، على مقدّمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتّى ينزل

بيت المقدس يوطّيء للمهديّ سلطانه، ويمدّ إليه ثلاث مئة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يسلّم الأمر للمهديّ إثنان وسبعون شهراً.

**والقسم الثالث**: يدلّ على دخولهم إلى دمشق قبل ظهور المهدي عليه السلام منها ما رواه إبن حماد في الفتن والملاحم ص٧١ (مخطوطة).

«يدخل أوايل أهل المغرب مسجد دمشق، فبيناهم ينظرون في أعاجيبه إذ رجفت الأرض فانقعر غربيّ مسجدها، ويخسف بقرية يقال لها حرستا، ثمّ يخرج عند ذلك السفياني فيقتلهم حتّى يدخلهم مصر، ثمّ يرجع فيقاتل أهل المشرق حتّى يردّهم إلى العراق».

وما رواه في ص ٧٩: «يبايع السفيانيّ أهل الشام فيقاتل أهل المشرق فيهزمهم من فلسطين حتّى ينزلوا مرج الصفر، ثم يلتقون فتكون الدائرة على أهل المشرق حتّى ينزلوا الثنيَّة، ثمّ يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق حتّى يأتوا الجصّ، ثمّ يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق، حتّى يبلغوا إلى المدينة الخربة يعني قرقيسيا، ثمّ يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق حتّى ينتهوا إلى عاقرقوفا، ثمّ يقتتلون فتكون الدائرة على أهل المشرق فيحوز السفيانيّ الأموال.

ثمّ تخرج في حلق السفياني قرحة، ثمّ يدخل إلى الكوفة غدوة ويخرج منها بالعشيّ بجيوشه، فإذا كان بأفواه الشام توفّي وثار أهل الشام فبايعوا ابن الكلبيّة اسمه عبد الله بن يزيد بن الكلبيّة غاير العينين مشوّه الوجه، فيبلغ أهل المشرق وفاة السفياني فيقولون ذهبت دولة الشام فيثورون ويبلغ ابن الكلبيّة فيثور بمجموعه إليهم فيقتتلون بالألوية فتكون الدائرة على أهل المشرق حتّى يدخلوا الكوفة فيقتل المقاتلة ويسبي الذرّيّة والنساء ثمّ يخرب الكوفة، ويبعث منها جيشاً إلى الحجاز».

**(٦) تفسير قوله تعالى: «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد».**

روي في البحار ج٦٠ ـ ص ٢١٦ «عن بعض أصحابنا قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً إذ قرأ هذه الآية: «فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً»

فقلنا: جعلنا فداك من هؤلاء؟ فقال ثلاث مرّات: هم والله أهل قم، هم والله أهل قم، هم والله أهل قم».

وروى العياشي في تفسيره عن حمران عن الإمام محمد الباقر عليه السلام

قال: كان يقرأ «بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد» ثمّ قال: وهو القائم وأصحابه أولو بأس شديد.

وفي تفسير نور الثقلين نقلاً عن الكافي: «قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً لآل محمد إلاّ قتلوه».

**(٧) حديث «رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحقّ».**

روى في البحار ج ٦٠ ــ ص ٢١٦ و٤٤٦ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «رجل من قم يدعو الناس إلى الحقّ، يجمع معه قوم قلوبهم كزبر الحديد لا تزلّهم الرياح والعواصف، ولا يملّون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكّلون، والعاقبة للمتّقين».

**(٨) حديث «تكون قم وأهلها حجّة على الخلائق»**

روي في البحار ج ٦٠ ــ ص ٢١٣ عن علي بن ميمون الصائغ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وسيأتي زمان تكون بلدة قم وأهلها حجّة على الخلائق، وذلك في زمان غيبة قائمنا إلى ظهوره، ولو لا ذلك لساختِ الأرض بأهلها».

وروي بأسانيد أخرى أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه ذكر الكوفة وقال: «ستخلو كوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحيّة يظهر العلم ببلدة يقال لها قم ويصير معدناً للعلم والفضل حتّى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتّى المخدّرات في الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهله قائمين مقام الحجّة، ولو لا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة، فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب فتتمّ حجّة الله على الخلق حتّى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين العلم، ثمّ يظهر القائم ويصير سبباً لنقمة الله وسخطه على العباد، لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلاّ بعد إنكارهم حُجّةً».

**(٩) حديث «يخرج رجل قبل المهدي»**

«يخرج رجل قبل المهدي من أهل بيته من المشرق يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل ويقتل (يمثّل) ويتوجّه إلى بيت المقدس فلا يبلغه حتّى يموت».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٧ ــ ص ٢١٦.

والسيوطي في العرف الوردي ج٢ ــ ص٧٠

وفي الحاوي ج٢ ــ ص ١٤٢ و١٤٦.

وابن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٦ و٩٦ (مخطوطة).

والكاظمي في بشارة الإسلام ص ١٨٤ و١٧٧.

«يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حرّاث على مقدّمته رجل يقال له منصور يوطّيء أو يمكّن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله (ص) على كلّ مؤمن نصره، أو قال إجابته».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج ٦ ــ ص٩٣.

والسيوطي في العرف الوردي ج٢ ــ ص ٥٢ وفي الحاوي ج٢ ص ١٢٦.

وأبو داود في سننه كما في التاج الجامع للأصول ج٥ ص ٣٤٦.

والقندوزي في ينابيع المودة ج٣ ص ٨٧.

«فإذا انقضى ملك بني فلان، أتاح الله لآل محمد برجل منّا أهل البيت، يسير بالتقى ويعمل بالهدى، ولا يأخذ في حكمه الرشى، والله إنّي لأعرفه باسمه واسم أبيه.. ثمّ يأتينا ذو الخال والشامتَيْن العادل، الحافظ لما استودع فيملؤها قسطا وعدلا».

رواه الكاظمي في بشارة الإسلام ص ١٤١.

**(١٠) في تفسير آية «وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم»**

قال صاحب تفسير الكشّاف ج٤ ص ٣٣١ في تفسير قوله تعالى: «وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم» سورة محمد آية ٣٨ قال: «وسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه وقال: هذا وقومه، والّذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريّا لتناوله رجال من فارس».

وأخرجه الترمذي، وابن حيّان والطبري، وابن أبي حاتم وغيرهم عن طريق العلاء بن عبد الرحمان عن أبيه عن أبي هريرة، وله طرق عنه وعن غيره» (أخرجه الترمذي ج٢ ص٦٠).

وقال صاحب تفسير الميزان ج ١٨ ص٢٥٠:

«في الدرّ المنثور أخرج عبد الرزّاق وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير

وابن أبي حاتم والطبري في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة قال: «تلا رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الآية: (وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لا يكونوا أمثالكم)

فقالوا: يا رسول الله مَن هؤلاء الّذين إنْ تولّينا استبدلوا بنا؟ فضرب رسول الله على منكب سلمان ثمّ قال: هذا وقومه، والّذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريّا لتناوله رجال من فارس».

وروي بطريق أخرى عن أبي هريرة مثله، وكذا عن ابن مردويه عن جابر مثله.

وحديث «لو كان الإيمان في الثريا لتناوله (لناله) رجال من فارس و(لو كان العلم في الثريّا لتناوله رجال من فارس) حديث مشهور بين المسلمين

أخرجه البخاري في تفسير سورة ٦٢ ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣١ والترمذي في تفسير سورة ٤٧، ٦٢ وأحمد في ج٢ ص ٢٩٧ و٢٩٧ و٤٢٠ و٤٢٢ و٤٦٩.

وأخرجه عبدالرزاق في المصنف ج١١ ص ٥٧ عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج ٢ ص ٢٠٦ وجاء في التعليق عليه: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٦٤ رواية إبن أبي ليلى والبزاز والطبراني مرفوعاً وقال: رجاله رجال الصحيح.

**(١١) في تفسير آية «وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم»**

«كنّا عند رسول الله(ص) فأنزلت سورة الجمعة فتلاها حتّى بلغ (وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم) فقال له رجل: يا رسول الله مَن هؤلاء الّذين لم يلحقوا بنا؟ فلم يكلّمه،

قال أبو هريرة: وكان سلمان الفارسيّ فينا، فوضع رسول الله(ص) يده على سلمان وقال: والّذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريّا لتناوله رجال من هؤلاء».

قال في الجامع الصحيح ج٢ ص ٣٨٣: رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن.

ورواه أحمد في مسنده ج٢ ص ٤١٧ وروى قريباً منه في ج٢ ص ٢٩٧ و٤٢٠ و٤٦٩، ورواه غيره من أهل الصحاح كما تقدّم ومنهم مسلم في صحيحه ج٤ ص ١٩٧٢.

(١٢) حديث «ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً»

«جاء الأشعث إليه (إلى علي«ع») وهو على المنبر فجعل يتخطّى رقاب الناس حتّى قرب منه ثمّ قال له: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك ــ يعني العجم ــ فركض المنبر برجله حتّى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث! ليقولنّ أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر.

فقال (ع): «مَن عذيري من هؤلاء الضياطرة، يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار ويهجر قوماً للذكر! أفتأمرني أن أطردهم؟! ما كنتُ لأطردهم فأكون من الجاهلين، أما والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً».

أخرجه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٢٠ ص ٢٨٤.

وأخرج أحمد في مسنده ج٥ ص ١١ عن النبي (ص) أنّه قال:

«يوشك أن يملأ الله تبارك وتعالى أيديكم من العجم ثمّ يكونون أُسداً لا يفرّون فيقتلون مقاتلتكم ولا يأكلون فيأكم».

وروى قريباً منه ابن طاووس في الملاحم والفتن ص ١١٠ و١٥١، والحمراء: بضم الحاء وفتح الميم جمع أحمر تقال لمن لونهم أبيض.

ومعنى غلبتنا على قربك: أنهم أحاطوا بمنبرك فصاروا أقرب إليك منّا. والضياطرة: جمع ضيطر وهو الرجل الضخم الفارغ.

وعن أبي هريرة قال: «ذكرت الأعاجم عند رسول الله(ص) فقال النبيّ(ص): لأنا بهم (أو ببعضهم) أوثق منّي بكم (أو ببعضكم)» أخرجه الترمذي ج٥ ص٣٨٢.

(١٣) حديث كنوز الطالقان

«ويحاً للطالقان فإنّ لله عزّوجلّ بها كنوزاً ليست من ذهب ولا فضّة، ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حقّ معرفته، وهم أنصار المهديّ آخر الزمان».

أخرجه:

الحنفي في كنز العمال ج٧ ص ٢٦٣.

والسيوطي في العرف الوردي ج٢ ص ٨٢.

والقندوزي في ينابيع المودّة ص ٤٩٩ وفيه: «بخ بخ لطالقان».

وابن الأعثم الكوفي في كتابه الفتوح.

وابن حماد في الفتن والملاحم (مخطوطة).

والكنجي في البيان ص ١٠٦.

وروى المجلسي في البحار ج٥٢ ص ٣٠٨ «له كنز بالطالقان ما هو بذهب ولا فضّة، وراية لم تنشر منذ طويت، ورجال كأنّ قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شكّ في ذات الله، أشدّ من الجمر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلاّ خرّبوها، كأنّ على خيولهم العقبان، يتمسّحون بسرج الإمام يطلبون بذلك البركة ويحفّون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد منهم».

**(١٤) حديث الهاشمي الخراساني وشعيب**

«يخرج شاب من بني هاشم، بكفّه اليمنى خال، من خراسان برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم».

أخرجه:

نعيم بن حماد في الملاحم والفتن ص ٨٤ و٨٥ (مخطوطة).

وقريباً منه الشافعي في عقد الدرر ج١٧٦ و١٢٨.

والسيوطي في العرف الوردي ج٢ ص ٦٦ و٦٧ و٦٨.

وإبن طاووس في الملاحم والفتن ص ٣١.

وإبن حجر في الفتاوى ص ٢٧.

وفي القول المختصر وفيه (في كفه اليسرى خال).

وإبن الصبان في إسعاف الراغبين (المطبوع على هامش نور الأبصار) ص ١٢٧.

والكنجي في البيان ص ٣٣٠ وقال: رواه الطبري وأبو نعيم.

وفي مجمع الفوائد ومنبع الزوائد ج٧ ص ٣١٨.

وإبن خلدون في المقدمة ص ٢٦٩.

والحنفي في كنز العمال ج٧ ص ٢٦٠ وفيه (في كفّه اليسرى خال وعلى مقدّمته رجل من بني هاشم يدعى شعيب بن صالح).

وقريباً منه في بشارة الإسلام ١٨٥ وفيه (إثنان وسبعون شهراً).

**(١٥) حديث باب اصطخر**

«إذا خرجت خيل السفياني إلى الكوفة في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهديّ، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدّمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسفياني بباب إصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنّى الناس المهدي ويطلبونه».

أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٦ مخطوطة.

والحنفي في كنز العمال ج٧ ص ٢٦٠،

والسيوطي في العرف الوردي ج٢ ص ٦٩ وفيه (يلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء إصطخر) وكذا في الحاوي ج٢ ص ١٤١ ــ ١٥٢.

**(١٦) حديث «تبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي»**

«يدخل السفيانيّ الكوفة فيسبيها ثلاثة أيّام ويقتل من أهلها ستّين ألفاً ثمّ يمكث فيها ثمانية عشر ليلة يقسِّم أموالها، ودخوله الكوفة بعد ما يقاتل الترك والروم بقرقيسيا... ثمّ يبعث عليهم خلفهم فتن فترجع طائفة منهم إلى خراسان، فيقبل السفياني ويهدم الحصون حتّى يدخل الكوفة ويطلب أهل خراسان، ويظهر بخراسان قوم يدعون إلى المهديّ، ثمّ يبعث السفياني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد حتّى يؤدّيهم إلى الكوفة، ثمّ يخرج المهديّ ومنصور هاربين، ويبعث السفيانيّ في طلبهما فإذا بلغ المهديّ ومنصور مكّة نزل جيش السفيانيّ إليهما فيخسف بهم، ثمّ يخرج المهديّ حتّى يمرّ بالمدينة فيستنقذ مَن كان فيها من بني هاشم، وتقبل الرايات السود حتّى تنزل على الماء فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفيانيّ نزولهم فيهربون، ثمّ تنزل الكوفة حتّى تستنقذ مَن فيها من بني هاشم، ثمّ يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب، ليس معهم سلاح إلاّ قليل وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا السفيانيّ فيستنقذون من أيديهم سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهديّ».

أخرجه: نعيم بن حماد في الفتن والملاحم ص ٨٥ و٨٨ (مخطوطة).

والحنفي في كنز العمّال ج٧ ص ٢٦٠.

وروى قريباً منه السيوطي في العرف الوردي ج١ ص ٦٨ وبمعناه ص ٧١ و٧٢.

وفي عقد الدرر ح رقم ١٢٨ وبمعناه ح ١٢٥.

والشافعي في إسعاف الراغبين طبعة هامش نور الأبصار ص ١٢٢.

والطوسي في الغيبة ص ٢٧٤.

وروى المجلسي في البحار ج٥٢ ص ٢٧٤: «وتقبل رايات من شرقيّ الأرض غير معلّمة ليست بقطن ولا كتّان ولا حرير، مختومة في رأس القناة بخاتم السيّد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد، تظهر بالمشرق وتوجد ريحها بالمغرب كالمسك الإذفر، يسير الرعب أمامها بشهر حتّى ينزلوا الكوفة طالبين بدماء آبائهم وروي في ص ٢٣٧: «فأوّل أرض المغرب (تخرب) أرض الشام يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون فيقتله ومن معه، ويقتل الأصهب، ثمّ لا يكون له همّة إلاّ الإقبال نحو العراق، ويمرّ جيشه بقرقيسيا فيقتتلون فيها فيقتل من الجبّارين مائة ألف، ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدّتهم سبعون ألفاً فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً. . فبيناهم كذلك إذ أقبلت رايات من قبل خراسان تطوي المنازل طيّاً حثيثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم، ثمّ يخرج رجل من موالي أهل الكوفة في ضعفاء فيقتله أمير جيش السفياني بين الحيرة والكوفة، ويبعث السفيانيّ بعثاً إلى المدينة فيفرّ المهديّ منها إلى مكّة فيبلغ أمير جيش السفيانيّ أنّ المهديّ قد خرج إلى مكّة فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتّى يدخل مكّة خائفاً يترقّب على سنّة موسى بن عمران عليه السلام».

**(١٧) الإيرانيون ومعركة قرقيسيا**

«إنّ للّه مأدبة بقرقيسيا يطّلع مناد من السماء فينادي يا طير السماء ويا سباع الأرض هلمّي إلى الشبع من لحوم الجبّارين».

أخرجه: الشافعي في عقد الدرر ح ٣٥ ص ٥٧ و١٢٦ و٣٣٥.

«يظهر السفيانيّ على الشام ثمّ تكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتّى تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، ثمّ ينفتق عليهم من خلفهم فتقبل طائفة منهم حتّى يدخلوا أرض خراسان وتقبل خيل السفيانيّ في طلب أهل خراسان فيقتلون شيعة آل محمّد بالكوفة ثمّ يخرج أهل خراسان في طلب المهديّ».

أخرجه: الحنفي في كنز العمال ج ٧ ص ٧٠ وقريباً منه ج ٦ ص ٦٧ والشافعي في عقد الدرر ح ١٣٤.

وروى الحنفي في كنز العمال ج ٦ ص ٦٨ «إذا ظهر السفيانيّ على الأبقع

والمنصور اليماني خرج الروم والترك فيظهر عليهم السفياني».

وروى حديث وقعة قرقيسيا على الكنز إبن ماجة في سننه برقم (٤٠٨٤).

ورواه السيوطي في الحاوي ج٢ ــ ١٢٧ وقال: أخرجه إبن ماجة، والحاكم وصحّحه، وأبو نعيم عن ثوبان.

وصحّحه الصديق الحضرمي في ردّه على إبن خلدون وقال: قال الحافظ البوصيري في زوائده: حديث صحيح.

ورواه القرطبي في التذكرة وقال: رواه إبن كثير في النهاية وقال: «هذا اسناد قوي صحيح».

والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون خروجه من بلاد المشرق».

وأخرج أحاديث الكنز ووقعة قرقيسيا إبن حماد في الفتن ص ٧٦ و٨٢ و٩٢.

وفي بشارة الإسلام ص١٠٣ و ١٧٧ و١٨٨ و ١٩١ و ٢٨٦، والمجلسي في البحار ج٥٢ ص ٢٠٨ و ٢٢٠ و٢٤٥ والطوسي في الغيبة ص ٢٧٩ والنعماني في الغيبة ص ١٤٨. والحاكم في المستدرك ج٤ ص ٤٦٣ و٤٦٤(١٣٠).

## (الصنف الرابع)

## أصحاب الإمام عليه السلام وأنصاره

جاء في خطبة البيان المشهورة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله في وصف الإمام المهدي عليه السلام:

هو صاحب الوجه الأقمر والجبين والأزهر، وصاحب العلامة والشامة العالم الغير معلّم والمخبر بالكائنات قبل أن تعلم معاشر الناس: ألا وان الدين فينا قد قامت حدوده وأخذ علينا عهوده، ألا وان المهدي يطلب القصاص ممّن لا يعرف حقنا وهو الشاهد بالحق وخليفة الله على خلقه، إسمه كإسم جدّه رسول الله ابن الحسن بن علي من ولد فاطمة من ذرّية الحسين ولدي فنحن الكرسي وأصل العلم والعمل فمحبينا هم الأخيار وولايتنا فصل الخطاب، ونحن حجّة الحجاب، ألا وان المهدي أحسن الناس خلقاً وخلقة، ثم إذا قام تجمع إليه على عدة أهل بدر

وأصحاب طالوت وهم ثلاثمائة [وثلاثة] عشر رجلاً كلهم ليوث قد خرجوا من غاباتهم مثل زبر الحديد لو أنهم همّوا بإزالة الرواسي لأزالوها عن مواضعها فهم الذين وحّدوا الله تعالى حق توحيده، لهم بالليل أصوات كأصوات الثواكل حزناً من خشية الله تعالى قوام الليل صوام كأنما آباءهم أب واحد وامّ واحدة قلوبهم مجتمعة بالمحبة والنصيحة، ألا واني لأعرف أسماءهم وأمصارهم.

فقاموا إليه جماعة من أصحابه وقالوا: يا أمير المؤمنين نسألك بالله وبابن عمك رسول الله أن تسمهم بأسمائهم وأمصارهم فلقد ذابت من كلامك فقال عليه السلام:

إسمعوا ابيّن لكم أسماء أنصار القائم ان أولهم من أهل البصرة وآخرهم من الأبدال فالذين من أهل البصرة رجلان: إسم أحدهما علي والآخر محارب، ورجلان من قاشان: عبد الله و عبيد الله، وثلاثة رجال من المهجة محمد وعمر ومالك، ورجل من السند عبد الرحمن، ورجلان من حجز موسى وعباس، ورجل من كورة إبراهيم، ورجل من شيراز عبد الوهّاب، وثلاثة رجال من ساوة: أحمد ويحيى وفلاح، وثلاثة من زين: محمد وحسن وفهد، ورجلان من حمير مالك وناصر، وأربعة رجال من شبروان، وهم: عبد الله وصالح وجعفر وإبراهيم، ورجل من عقر أحمد، ورجلان من المنصورية عبد الرحمن وملاعب، وأربعة من سيراف: خالد ومالك وحوقل وإبراهيم، ورجلان من خوي: محزوز ونوح، ورجل من المشقفة: هارون، ورجلان من الصين: مقداد، وهود، وثلاثة رجال من الهويقين: عبدالسلام وفارس وكليب.

ورجل من الزط: جعفر، وستّة رجال من عمان: محمد وصالح وداود وهواسب وكوس، ورجل ويونس من المغارة مالك ورجلان من صنعاء يحيى وأحمد ورجل من كرمان عبد الله، وأربعة رجال من الصفا: جبرائيل وحمزة ويحيى وسميع. ورجلان من عدن: محمد وموسى ورجل من [لنجة]: كوثر، ورجلان من صمد علي وصالح، وثلاثة رجال من الطائف علي وسبا وزكري، ورجل من هجر عبد القدوس، ورجلان من الخط عزيز ومبارك، وخمسة رجال من جزيرة أوال وهي البحرين عامر وجعفر ونصير وبكير، وليث، ورجل من الكبش محمد وفهد، ورجل من المجد إبراهيم وأربعة رجال من مكة عمر وإبراهيم ومحمد وعبد الله وعشرة من

المدينة على أسماء أهل البيت: علي وحمزة وعباس وطاهر وحسن وحسين وقاسم وإبراهيم ومحمد وأربعة رجال من الكوفة محمد وغياث وهود وعباب، ورجل من مرو: حذيفة، ورجلان من نيسابور: علي ومهاجر، ورجلان من سمرقند: علي ومجاهد، وثلاثة رجال من كازرون: عمر ومعمر ويونس، ورجلان من الأسوس: شيبان وعبد الوهّاب، ورجلان من تستر: أحمد وهلال، ورجلان من الضيف: عالم وسهيل، ورجل من الطائف اليمن: هلال، ورجلان من مرقون: بشر وشعيب، وثلاثة رجال من زرعة: يوسف وداود وعبد الله ورجلان من عسكر مكرم الطيّب وميمون، ورجل من واسط: عقيل.

وثلاثة رجال من الزوراء: عبد المطلب وأحمد وعبد الله، ورجلان من سر من راي عادل وعامر [و] من المسهم جعفر وثلاثة رجال من سيلان: نوح وحسن وجعفر، ورجل من كرخات بغداد: قاسم، ورجلان من النوبة: واصل وفاضل، وثمانية من قزوين: هارون وعبد الله وجعفر وصالح وعمر وليث وعلي ومحمد، ورجل من بلخ: حسن، ورجل من مراغة: صدقة، ورجل من قم: يعقوب، وأربعة وعشرون من الطالقان: وهم الذين ذكرهم رسول الله (ص) فقال: اني أجد بالطالقان كنزاً ليس من ذهب ولا فضّة فهم هؤلاء كنزهم الله فيها وهم صالح وجعفر ويحيى وهود وفالح وداود وجميل وفضيل وعيسى وجابر وخالد وعلوان وأيوب وملاعب وعمر وعبد العزيز ولقمان وسعد وقبضة ومهاجر وعبدون وعبد الله وعبد الرحمن وعلي.

ورجلان من سحار أبان [و...] ، ورجلان من سرخس: ناجية وحفص، ورجل من القادسية: حصين، ورجل من الدزوق: عبد الغفور، وستّة رجال من الحبشة: إبراهيم وعيسى ومحمد وحمدان وسالم.

ورجلان من الموصل: هارون وفهد، ورجل من البلقان: صادق، ورجلان من نصيبين: أحمد وعلي، ورجل من سنجار: محمد، ورجلان من خراسان: نكية ومسنون، ورجلان من أرمينية أحمد وحسين ورجل من اصفهان يونس ورجل من ماهان حسين ورجل من الري مجمع ورجل من دينا شعيب، ورجل من سلماس: هارون، ورجل من بليس: محمد، ورجل من الكرد: عون، ورجل من الحبش: كثير، ورجلان من الخلاط: محمد وجعفر، ورجل من النوايا عمير، ورجلان من

البيضاء سعد وسعيد وثلاثة رجال من الضيعة زيد وعلي وموسى ورجل من الأوس محمد، ورجل من انطاكية: عبد الرحمن، ورجلان من حلب: صبيح ومحمد ورجل من حمص: جعفر، ورجلان من دمشق: داود وعبد الرحمن، ورجلان من الرملة: طليق وموسى.

## عددهم ومواطن نشأتهم

قال الثقة الثبت السيّد رضي الدين بن طاووس في كتاب الملاحم والفتن:

فصل فيما رأيت من عدّة أصحاب القائم عليه السلام وتعيين مواضعهم من كتاب يعقوب بن نعيم قرقارة الكاتب لأبي يوسف قال النجاشي الذي زكاه محمد بن النجار ان يعقوب بن نعيم المذكور روى عن الرضا عليه السلام وكان جليلاً في أصحابنا ثقة، ورأينا ما ننقله في نسخة عتيقة لعلها كتبت في حياته وعليه خط السعيد فضل الله الراوندي قدس الله روحه فقال ما هذا لفظه: حدثني أحمد بن محمد الأسدي عن سعيد بن جناح عن مسعدة ان أبا بصير قال لجعفر بن محمد عليهما السلام: هل كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم مواضع أصحاب القائم عليه السلام كما كان يعلم عدتهم؟ فقال جعفر بن محمد عليه السلام: إي والله يعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم رجلاً فرجلاً، ومواضع منازلهم؛ فقال: جعلت فداك فكلما عرفه أمير المؤمنين عليه السلام عرفه الحسن عليه السلام، وكلما عرفه الحسن فقد صار علمه إلى الحسين، وكلما عرفه الحسين فقد صار علمه إليكم فأخبرني جعلت فداك؟

فقال جعفر عليه السلام: إذا كان يوم الجمعة بعد الصلاة فأتني، فأتيته فقال: أين صاحبك الذي يكتب لك؟ فقلت: شغله شاغل وكرهت أن أتأخّر عن وقت حاجتي، فقال عليه السلام لرجل: اكتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أملاه رسول الله صلّى الله عليه وآله على أمير المؤمنين عليه السلام وأودعه إياه من تسمية أصحاب القائم عليه السلام وعدة من يوافيه من المفقودين عن فرشهم والسائرين إلى مكة في ليلة واحدة، وذلك عند استماع الصوت في السنة التي يظهر فيها أمر الله عزّوجل وهم: النجباء والفقهاء والحكام على الناس، المرابط السياح من طواس الشرقي رجل، ومن أهل الشام رجلان، ومن فرغانة رجل، ومن مرو الروذ رجلان،

ومن الترمذ رجلان، ومن الصامغان رجلان، ومن النيزبان أربعة رجال، ومن أفنون تسعة رجال، ومن طوس خمسة رجال، ومن فاراب رجلان، ومن الطالقان أربعة وعشرون رجلاً، ومن مرو إثنا عشررجلاً، ومن جبال الغور ثمانية رجال؛ ومن نيسابور سبعة عشر رجلاً، ومن سجستان ثلاثة رجال، ومن بوشنج أربعة رجال، ومن الري سبعة رجال، ومن هراة اثنا عشر رجلاً، ومن طبرستان أربعة رجال، ومن تل مورن رجلان، ومن الرها رجل واحد، ومن قم ثمانية عشر رجلاً، ومن قوميس رجلان، ومن جرجان إثنا عشر رجلاً، ومن فلسطين رجلاً، ومن. . . ثلاثة رجال، ومن الطبرية رجل، ومن همدان أربعة رجال، ومن بابل رجل واحد، ومن كيدر رجلان، ومن سبزوار ثلاثة رجال، ومن كشمير رجل، ومن سنجار أربعة رجال، ومن قالي قلا رجل، ومن شمشاط رجل، ومن حران رجل، ومن الرقة ثلاثة رجال، ومن الرافقة رجلان، ومن حلب أربعة رجال، ومن قبرص رجلان، ومن بتليس رجل، ومن دمياط رجل، ومن أسوان رجل، ومن سلمية خمسة رجال، ومن دمشق ثلاثة رجال، ومن بعلبك رجل، ومن تل شيزر رجل؛ ومن الفسطاط أربعة رجال، ومن القلزم رجلان، ومن تستر رجل، ومن برذعة رجل، ومن فارس رجل، ومن تفليس رجل، ومن صنعاء رجلان، ومن مأزن رجل.

ومن طرابلس رجل ، ومن القيروان رجلان، ومن ايلة رجل، ومن وادي القري رجل، ومن خيبر رجل، ومن بدر رجل، ومن الحان رجل، ومن أهل المدينة رجل، ومن الربذة رجل، ومن الكوفة أربعة عشر رجلاً ، ومن الحيرة رجل، ومن كوثي رجل، ومن طي رجل، ومن برقة رجلان، ومن الأهواز رجلان، ومن اصطخر رجلان، ومن بيداميل رجل، ومن الليان رجل، ومن••• رجل، ومن واسط رجل، ومن حلوان رجل، ومن البصرة ثلاثة رجال، ومن أصحاب الكهف سبعة رجال، والتاجران الخارجان من عانة الي انطاكية، والمستأمنة الى الروم وهم أحد عشر رجلاً، والنازلون بسر انديب، ومن السمندر أربعة رجال، والمفقود من مركبه بسلاهط رجل، ومن هرب من الشعب الى سندانية رجلان، والمتخلي بسقلية والطوّاف لطلب الحق من يخشب رجل، والهارب من عشيرته من بلخ رجل، والمحتج بالكتاب من سرخس على النصاب، فهؤلاء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، يجمعهم الله عزوجل بمكة في ليلة واحدة، وهي ليلة الجمعة فيصبحون بمكة في

بيت الله الحرام لا يتخلف منهم رجل واحد فينتشرون بمكة في أزقتها ويطلبون منازل يسكنونها، فينكرهم أهل مكة، وذلك لم يعلموا بقافلة قد دخلت من بلدة من البلدان لحج ولا لعمرة ولا تجارة، فيقول من يقول من أهل مكة بعضهم لبعض: ما ترون قوماً من الغرباء في يومنا هذا لم يكونوا قبل هذا ليس هم من أهل بلدة ولا هم من قبيلة واحدة ولا معهم أهل ولا دواب، فبيناهم كذلك إذ أقبل رجل من بني مخزوم فيتخطى رقاب الناس ،يقول: رأيت في ليلتي هذه رؤيا عجيبة وأنا لها خائف وقلبي منها وجل، فيقولون سر بنا إلى فلان الثقفي فاقصص عليه رؤياك، فيأتون الثقفي فيقول المخزومي: رأيت سحابة انقضت من عنان السماء فلم تزل حتي انقضت على الكعبة ما شاء الله، وإذا فيها جراد ذو أجنحة خضر، ثم تطايرت يميناً وشمالاً لا تمر ببلد إلا أحرقته ولا بحصن إلا حطمته، فيقول الثقفي :لقد طرقكم في هذه الليلة جند من جنود الله جلّ وعزّ لا قوّة لكم به، فيقولون: أما والله لقد رأينا عجباً ويحدثونه بأمر القوم، ثم ينهضون من عنده فيهتمّون بالوثوب بالقوم وقد ملأ الله قلوبهم رعباً وخوفاً، فيقول بعضهم لبعض وهم يأتمرون بذلك، يا قوم لا تعجلوا على القوم، ولم يأتوكم بمنكر ولا شهروا السلاح ولا أظهروا الخلاف، ولعله أن يكون في القوم رجل من قبيلتكم فإن بدا لكم من القوم أمر تنكرونه فأخرجوهم، أما القوم فمتنسكون سيماهم حسنة وهم في حرم الله جلّ وعزّ الذي لا يفزع من دخله حتى يحدثوا فيه حادثة ولم يحدث القوم ما يجب محاربتهم، فيقول المخزومي وهو عميد القوم: أنا لا آمن أن يكون وراءهم مادة وإن أتت إليهم انكشف أمرهم وعظم شأنهم فأحصوهم وهم في قلة من العدد وعزة بالبلد قبل أن تأتيهم المادة، فإنّ هؤلاء لم يأتوكم إلا وسيكون لهم شأن، وما أحسب تأويل رؤيا صاحبكم إلا حقاً، فيقول بعض لبعض: إن كان من يأتيكم مثلهم فإنه لا خوف عليكم منهم لأنه لا سلاح معهم ولا حصن يلجأون إليه، وإن أتاكم جيش نهضتم بهؤلاء فيكونون كشربة ظمآن، فلا يزالون في هذا الكلام ونحوه حتى يحجز الليل بين الناس فيضرب على آذانهم بالنوم فلا يجتمعون بعد إنصرافهم أن يقوم القائم فيلقي أصحاب القائم عليه السلام بعضهم بعضاً كبني أب وأم افترقوا غدوة واجتمعوا عشية.

فقال أبو بصير: جعلت فداك ليس على ظهرها مؤمن غير هؤلاء قال: بلى

ولكن هذه العدة التي يخرج فيها القائم عليه السلام وهم النجباء والفقهاء وهم الحكام وهم القضاة الذين يمسح بطونهم وظهورهم فلا يشكل عليكم حكم.

قال: وحدثنا أحمد بن محمد الأسدي عن محمد بن مروان عن عبد الله بن حماد، عن سماعة ابن مهران قال: قال أبو بصير: سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن أصحاب القائم عليه السلام فأخبرني بمواضعهم وعدتهم، فلما كان العام الثاني عدت إليه فقلت: جعلت فداك ما قصة المرابط والسيّاح؟ قال: هو رجل من أهل أصبهان من أبناء الدجالين له عودة فيه سبعة أشياء ولا يعلمه غيره يخرج من بلده يسيح في البلاد ويطلب الحق فلا يلحق المخالف إلا أرواح منه، ثم ينتهي إلى طرابوزون، وهي الحاجز بين الإسلام والروم فيصيب بها رجل من النصارى كان يتناول أمير المؤمنين عليه السلام فيقيم بها ويشرى به، وأما الطوّاف لطلب الحق فهو رجل من أهل يخشب قد كتب الأحاديث وعرف الإختلاف فلا يزال يطلب العلم حتى يعرف صاحب الأمر عليه السلام ولا يزال كذلك حتى يأتيه صاحب الأمر والهارب من عشيرته حتى يهرب إلى الأهواز فيقيم في بعض قراها حتى يأتيه أمر الله جلّ وعزّ، ولا يلقى أحداً من المخالفين إلا حاجّه من كتاب الله وأثبت أمرنا.

أما المتخلي بقلبه فإنه رجل من أبناء الروم من أهل قرية يقال لها قونية ويسلم إلى مقالته حتى إذا منّ الله عليه بمعرفة الأمر الذي أسلم له وأتقنه دخل سقلية فأقام بها يعبد الله حتى يسمع الصوت فيجيب، وأما الهاربان إلى سندانية ومن الشعب فرجلان: أحدهما من الكدر والآخر من أهل حبابا يخرجان إلى مكة فلا يزالان بها يتجران حتى يصلح متجرهما بقرية يقال لها الشعب، فيصيران إليها ويقيمان حيناً من الدهر، فإذا عرفوهما أهل الشعب آذوهما وأفسدوا كثيراً من أمرهما فيقول أحدهما لصاحبه: يا أخي قد آذونا في بلدنا حتى فارقناه وهربنا إلى مكة، ثم خرجنا إلى الشعب ونحن نظن ان أهلها أقل نايرة من أهل مكة فقد بلغوا بنا ما ترى، فلا صرنا إلى البلاد حتى يأتي الله جل وعز بعدل مليح أو موت يريح فيتجهزان ويخرجان إلى برقة ثم يتجهان منها إلى سندانية فلا يزالان بها إلى الليلة التي يكون فيها ما يكون.

وأما التاجران الخارجان إلى انطاكية فإنهما رجلان يقال لأحدهما: سليم والآخر سلم، ولهما غلام أعجمي يقال له مسلم خرجوا جميعاً في رفقة مع قوم تجّار

يريدون انطاكية، فلا يزالون يسيرون حتى إذا كان بينهم وبين انطاكية أميال سمعوا الصوت فيمضون نحوه كأنهم لم يطلبوا سواه، فساروا إليه ويذهلون عن تجارتهم ويصبح القوم الذين كانوا معهم من أهل رفقتهم قد دخلوا أنطاكية فيتفقدونهم فلا يقفون لهم على أثر ولا يعلمون لهم خبراً، فيقول بعض القوم لبعض: هل تعرفون منازلهم؟ فيقول بعضهم: نعم نحن نعرف منازلهم، ثم يبيعون ما كان لهم من التجارة ويحملون إلى أهاليهم، فإذا أتوا إلى أهليهم ودفعوا إليهم أمتعتهم فلا يلبثون إلا ستّة أشهر حتى يوافوا أهاليهم مع مقدمة القائم عليه السلام.

وأما المستأمنة من المسلمين إلى الروم فهم قوم ينالهم أذي من جيرانهم وأهاليهم والسلطان فلا يزال ذلك بهم حتى يأتوا ملك الروم فيقصون عليه قصتهم ويخبرونه بما هم فيه من أذى قومهم وأهل ملتهم، فيؤمّنهم ويقطع لهم من أرض قسطنطينية فلا يزالون بها، فإذا كانت الليل التي يسري بهم يصبح جيرانهم وأهل الأرض التي كانوا بها قد فقدوهم وسألوا عنهم من يليهم فلا يجدون لهم أثراً ولا يسمعون لهم خبراً فيخبرون ملك الروم بأمرهم وأنهم قد فُقدوا، فيوجه في طلبهم ويضع عليهم العيون على الدروب، فلا يأتي أحدهم بخبرهم، فيغتم لذلك حتى جيرانهم ويقول: أنتم قوم أعطيتموهم الأمان، وأنتم تعديتم عليهم لأقتلنّ من كان بقربهم أو يأتوا بهم أو بخبرهم وأين صاروا بالأمر الواضح لا شك فيه، فلا يزال أهل مملكته معذّبين ما بين محبوس وخائف ومضروب أو قتيل، حتى يبلغ الملك خبر راهب قد قرأ الكتب فقال لبعض جلسائه :انه ما بقي في الأرض أحد يعلم هذه الكتب غيري وغير رجل من اليهود بأرض بابل، فيأمر به الملك فيحمل من صومعته فإذا دخل على الملك قال له الملك: أيها الرجل قد بلغني ما تقول وترى ما أنا فيه فأصدقني فإنهم إن كانوا قُتلوا قتلتُ بهم مَن كان في جوارهم شرقاً وغرباً ولو كان فيهم وزرائي وبطانتي، فيقول الراهب: لا تعجل أيها الملك ولا تجر على القوم فإنهم لم يُقتلوا ولم يموتوا ولا حدث بهم حدث يكرهونه، هؤلاء اختطفوا من أرض الملك إلى مكة لموافاة ملك الأمم الأعظم الذي لم تزل الأنبياء تبشّر به وتخبر عنه، فيقول له الملك: ويحك ومن أين لك هذا العلم وكيف أعلم بأنك صادق؟

فقال: أيها الملك إني لم أقل إلاّ حقاً وإن عندي ما يتوارثه عالم عن عالم آخر من خمسمائة عام، فيقول له الملك: إن كان ما تقول حقاً فأحضر الكتاب فيوجّه

الملك ثقة من ثقاته فيأتيه بالكتاب فيقرؤنه فإذا فيه صفات القائم عليه السلام وأصحابه وإسمه وإسم صاحبه ومخرجهم، ثم يقول له: إنهم يظهرون على بلادك فيقول: ويحك لم يخبرني أحد بهذا الخبر إلى اليوم، فيقول الراهب: لو لا ما تخوّفت بكتمان ذلك من الإثم في قتل قوم براء ما أخبرته هذا الخبر حتى يراه بعينه فيقول له الملك: وترى اني أراه؟ فيقول: نعم لا يحول الحول حتى تطأ خيله وسط بلادك ويكون القوم أدلائه إلى بلادك، فيقول الملك: أفلا أوجه بمن يأتيني بخبره واكتب إليه، كتاباً، فيقول الراهب: أنت صاحبه الذي يسلم إليه طلبه ولابدّ أن تتبعه وتموت ويصلّي عليك رجل من أصحابه.

وأما النازلون بسرانديب ومن سمندار أربعة رجال من أهل فارس يجولون تجارتهم فيتّخذون سرانديب وسمندار قَطَناً حتى يسمعوا الصوت وينهضوا إليه.

وأما المفقود من مركبه بسلاهط، رجل من أهل يهودية أصبهان يخرج من سلاهط يريد إيلة فبينا هو يسير في البحر في جوف الليل إذ نودي فيخرج من المركب وينزل من البحر على أرض أصلب من الحديد وأوطأ من الحرير، فينادي أهل مكة: إركبوا هذا صاحبكم، فيعود فينادي الرجل انه لابأس عليَّ والقوم جميعاً بمكة ولا يتخلّف منهم واحد، قال جعفر بن محمد عليه السلام: فإذا قام القائم عليه السلام وليَ هؤلاء القوم ويكونون حكام الأرض.

أقول: وفي آخر هذا ما لفظه تمّ الكتاب والحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين(١٣١).

## الصنف الخامس
## خلفاؤه عليه السلام

وهم على قسمين:

(الأول منهما) ما يتأطّر بحدود الرجعة وما ينتج عنها من عناصر فاعلة لإدارة دفة الحكم من بين الأئمة المعصومين من أهل بيت النبوّة.

و(الثاني منهما) يتناول الفترة التي تعقب حياة الإمام المهدي عليه السلام وملكه وملك من عيّنته مسألة الرجعة.

### (القسم الأول)
### والكلام فيه عن الرجعة

اعلم انه قد أجمعت الشيعة الإماميّة على الرجعة في الجملة كإجماع الفريقين في المهدي وقيامه عليه السلام وللعلماء فيها تصانيف مليئة بالأدلة الصحيحة الصريحة المتظافرة المستفيضة فمن ذلك ما قاله السيّد الجليل والمحدّث النبيل السيّد نعمة الله الجزائري قدّس سرّه في شرح التهذيب : قد وفقني الله للوقوف على ستمائة وعشرين حديثاً في الرجعة دالّة على المطلوب .وقال (ره) في الأنوار النعمانيّة : انّ الأخبار الدالّة على رجوع الحسين عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام متواترة ورجوع سائر الأئمة عليهم السلام قريبة التواتر فلذا نقل منها بعض مشايخنا تقريباً من مأتي حديث عن أربعين رجلاً من ثقات المحدّثين من خمسين أصلاً من الأصول المعتبرة. إنتهى كلامه.

ويؤيّده ما رواه في الطرايف عن مسلم في صحيحه في أوائل الجزء الأول بإسناده إلى الجراح بن مليح قال: سمعت جابراً يقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر عليه السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله كلّها في الرجعة ثم ذكر مسلم في صحيحه بإسناده إلى محمد بن عمر الرازي قال: سمعت حريزاً يقول: لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه لأنه كان يؤمن بالرجعة وكذلك روى مسلم في الجزء المذكور بإسناده إلى عبد الله بن المبارك انّه يقول على رؤوس الأشهاد : دعوا حديث عمر بن ثابت فإنّه كان يسبّ السلف.

قال عبد المحمود : انظروا رحمكم الله كيف حرّموا أنفسهم الإنتفاع برواية سبعين ألف حديث عن نبيّهم برواية أبي جعفر عليه السلام الّذي هو من أعيان أهل بيته الّذين أمرهم بالتمسک بهم ثم وأكثر المسلمين أو كلّهم قد رووا حياة الأموات في الدنيا وتقدّمت روايتهم من أصحاب الكهف وهذا كتابهم يتضمّن ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم والسبعون الذين أصابهم الصاعقة مع موسى.

وحديث عزير ومن أحياه عيسى وحديث جريح أجمع على صحّته أيضاً، وحديث الذين يحييهم الله تعالى في القبور للمسائلة فأيّ فرق بين هؤلاء الأربعة وبين ما رواه أهل البيت وشيعتهم من الرجعة فأيّ ذنب كان لجابر في ذلک حتّى يسقط حديثه وهلاّ كان له ولعمرو بن ثابت اسوة بمن رووا عنهم فلنرجع إلى تواتر أحاديث الرجعة وانّها بالمعنى المذكور مما انعقد عليه اجماع

أصحابنا ومن مذهبنا الإماميّة قال بعض الأعلام كما في محكي الشيخ المحدث الجليل الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني وهو من أجلّة تلامذة المولى المحقّق العلاّمة المجلسي(ره) بعد كلام له في هذا المقام : وكيف يشكّ مؤمن بحقيقة رجعة الأئمّة الأطهار فيما تواتر عنهم في قريب من مأتي حديث رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلّفاتهم، كثقة الإسلام الكليني، والصدوق محمد بن بابويه القمي، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والمرتضى، والنجاشي، والكشي، والنجاشي، والعياشي، وعليّ بن إبراهيم القمي، وسليم بن قيس الهلالي، والشيخ المفيد، والكراجكي، والنعماني، والصفّار، وسعد بن عبد الله، وابن قولويه، وعليّ بن عبد الحميد، والسيّد عليّ بن طاوس، وولده صاحب كتاب زوايد الفرايد، ومحمد بن عليّ بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلّف كتاب التنزيل والتحريف، وأبي الفضل الطبرسي وأبي طالب الطبرسي وإبراهيم بن محمد الثقفي ومحمد بن العباس بن مروان والبرقي وإبن شهرآشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراوندي، والعلاّمة الحلّي، والسيّد بهاء الدين عليّ بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن عليّ بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشيخ الشهيد محمد بن مكّي، والحسن بن حمدان، والحسن بن محمد بن جمهور القمي مؤلّف كتاب المؤاخذة، والحسن بن محبوب، وجعفر بن محمّد بن مالك الكوفي، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرئيل القمّي، وصاحب كتاب الفضائل، ومؤلّف كتاب العتيق، ومؤلّف كتاب الخطب وغيرهم من مؤلّفي الكتب الّتي عندنا ولم نعرف مؤلّفيها على التعيين، ولذا لم ننسب إليهم الأخبار وإن كانت موجودة فيها وإذا لم يكن مثل هذا متواترا ففي أيّ شيء يمكن التواتر مع ما روته كافّة الشيعة خلفاً عن سلف.

ومما لاريب فيه أنّ من يشكّ في أمثال هذا فهو شاكّ في أئمّة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك بين المؤمنين فيحتال في تخريب الملّة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين والبسطاء السذج من إستبعاد المتفلسفين وتشكيكات الملحدين وتمويهات المتجددين ولنذكر لمزيد التشييد والتأكيد أسماء بعض من تعرّض لإثبات هذا الأمر وصنّف فيه أو احتجّ على المنكرين أو خاصم المخالفين زيادة على ما قدمنا في ضمن الأخبار فمنهم: أحمد بن داود بن سعيد الجرجاني قال الشيخ في

الفهرست: له كتاب المتعة والرجعة. ومنهم: الفضل بن شاذان النيسابوري ذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي انّ له كتاباً في إثبات الرجعة ومنهم الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه فإنّه قد عدّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرجعة. ومنهم: محمّد بن مسعود العيّاشي ذكر النجاشي والشيخ في الفهرست كتابه في الرجعة. ومنهم: الحسن بن سليمان على ما روينا عنه في الأخبار، وأمّا ساير الأصحاب فانّهم ذكروها فيما صنّفوا في الغيبة ولم يفردوا لها رسالة وأكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفردوا له كتاباً في الغيبة.

وقد عرفت سابقاً من روى ذلك من عظماء الأصحاب وأكابر المحدّثين الّذين ليس في جلالتهم شكّ ولا ارتياب.

قال العلاّمة(ره) في خلاصة الرجال في ترجمة ميسر بن عبد العزيز قال العقيقي: أثنى عليه آل محمّد عليهم السلام وهو ممّن يجاهد في الرجعة، إنتهى كلام المحدّث البحراني.

وقريب من هذا ما ذكره شيخه واستاذه العلاّمة المجلسي قدس سره في كتاب الأربعين عند شرحه للحديث الثامن والعشرين، ثمّ قال: وتفصيل القول في ذلك انّ رجعة بعض المؤمنين وبعض المخالفين والمشركين ممّا لا شكّ فيه، فأمّا رجوع أمير المؤمنين فهو أيضاً ممّا لا ينبغي الشكّ فيه لما عرفت من كثرة الأخبار الواردة فيه وكذا رجعة النبيّ والحسين عليهم السلام الأخبار فيهما أيضاً كثيرة.

وأمّا رجوع ساير الأئمّة فمع وفور أخباره ليست بمرتبة تلك الرجعات، لكن ردّ الأخبار الواردة مع عدم مناف صريح ممّا لا يجتري عليه من يسلك مسالك المتّقين، والتسليم لما ورد عنهم طريقة المتديّنين، وأخبار التسليم في كتب الحديث مشهورة والتهديد على تركه فيها مذكورة لا نطيل الكلام بإيرادها.

وأمّا زمان الرجعة وعددها وخصوصيّاتها فقد اختلف الأخبار في بعضها والإيمان بذلك مجملاً أولى، ومن يظهر له من الأخبار بعض الخصوصيّات فلابدّ له من الإيمان بها، ولا نتكلّم في ذلك لطولها واحتمال بعض المفاسد في ذكرها، ولا نتعرّض أيضاً لردّ الشبهات الّتي يلقيها الشياطين في قلوب المنافقين، إذ ليس شيء من أصول الدين إلاّ وللشيطان وأعوانه فيه شكوك وشبه كثيرة لا يصغى إليها من نوّر اللّه قلبه بنور اليقين، إنتهى كلامه.

وقال الشيخ المفيد ــ قدس سرّه ــ فيما حكى عنه في البحار في جواب المسائل السروية انّه سئل الشيخ ــ قدّس الله روحه ــ عمّا يروى عن مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام في الرجعة وما معنى قوله عليه السلام: ليس منّا من لم يقل بمتُعَتنا ويؤمن برجعتنا أهي حشر في الدنيا مخصوص بالمؤمن أو لغيره من الظلمة الجبّارين قبل يوم القيامة فكتب الشيخ(ره) بعد الجواب عن المتعة:

وأمّا قوله عليه السلام: من لم يقل برجعتنا فليس منّا، فإنّما أراد بذلك ما نختصّه من القول به انّ الله تعالى يحشر قوماً من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله بعد موتهم قبل يوم القيامة وهذا مذهب يختصّ به آل محمد صلّى الله عليه وآله والقرآن شاهد به، قال الله عزّوجل في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة: وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً، وقال سبحانه في حشر الرجعة قبل يوم القيامة: ويوم نحشر منْ كلّ امّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون، فأخبر انّ الحشر حشران عامّ وخاصّ. وقالّ سبحانه مخبراً عمّن يحشر من الظالمين انّه يقول يوم الحشر الأكبر ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل، وللعامّة في هذا الآية تأويل مردود وهو أن قالوا انّ المعنى بقوله ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين انّه خلقهم أمواتاً ثمّ أماتهم بعد الحياة، وهذا باطل لا يستمرّ على لسان العرب، لأنّ الفعل لا يدخل إلاّ على من كان بغير الصفة الّتي انطوى اللّفظ على معناها خلقه الله أمواتاً لا يقال أماته، وإنّما يقال: ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة كذلك لا يقال أحيا الله ميتاً إلاّ أن يكون قد كان بعد إحيائه ميتاً، وهذا بينٌ تأمّله.

وقد زعم بعضهم انّ المراد بقوله ربّنا أمتّنا اثنتين الموتة الّتي تكون بعد حياتهم في القبور للمسائلة فتكون الأولى قبل الإقبار والثانية بعده، وهذا أيضاً باطل من وجه آخر، وهو انّ الحياة للمسائلة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله وندم القوم على ما فاتهم في حياتهم المرّتين يدلّ على انّ لم يرد حياة المسائلة لكنّه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم الندم على تفريطهم فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك، إنتهى كلامه ــ قدّه ــ.

وقال ــ ره ــ في الإرشاد عند ذكره علامات ظهور القائم وأموات ينشرون من القبور حتّى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

وسيأتي بعض كلام له ــ قدّه ــ في جوابه عن مسائل الكعبريّات، وفي جواب

من سأله عن الرجعة وعمّن يرجع فيها كما حكى عنه الشيخ الحرّ فقال: والّذي يرجع فيها محمّد وأهل بيته والّذين محّضوا الإيمان والكفر دون من سلف من الأمم الخالية والقرون البالية، إنتهى كلامه.

وقال السيّد المرتضى علم الهدى في جواب المسائل الّتي وردت من الواء فيما حكى عنه في البحار والأربعين حين سئلوه عن حقيقة الرجعة لأنّ شذاذ الأمّة يدّعون إلى انّ الرجعة رجوع دولتهم في أيّام القائم من دون رجوع أجسامهم فقال ـ ره ـ: إعلم انّ الّذي تذهب إليه الشيعة الإماميّة انّ اللّه يعيد أقواماً عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من الذل والخزي بما يشاهدون من ظهور الحق وعلوّ كلمة أهله والدلالة على صحّة هذا المذهب انّ الذي ذهبوا إليه ممّا لا شبهة على عاقل في انّه مقدور للّه غير مستحيل في نفسه فإنّا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيله غير مقدورة وإذا ثبت جواز الرجعة ودخولها تحت القدرة فالطريق إلى إثباتها إجماع الإماميّة على وقوعها فإنهم لا يختلفون في ذلك بإجماع قد بيّنا في مواضع من كتبنا انّه حجّة لدخول قول الإمام المعصوم فيه وما يشتمل عليه قول المعصوم من الأقوال لابدّ وأن يكون صواباً وقد بيّنا انّ الرجعة لا تنافي التكليف لأنّ الدواعي متردّدة معها حين لا يظنّ ظانّ انّ التكليف من يعاد باطل، وذكرنا انّ التكليف كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة فكذلك مع الرجعة لأنّه ليس في جميع ذلك يلجأ إلى فعل الواجب والإمتناع من فعل القبيح.

فأمّا من تأوّل الرجعة في أصحابنا على انّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات فإنّ قوماً من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرجعة وبيان جوازها وانّها تنافي التكليف عوّلوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة وهذا منهم غير صحيح لأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيطرق عليها التأويلات فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحّته بأخبار الآحاد التي لا توجب العلم، وإنّما المعوّل في إثبات الرجعة على إجماع الإماميّة على معناها بأنّ اللّه يحيي أمواتاً عند قيام القائم من أوليائه وأعدائه على ما بيّنّا فكيف يطرق التأويل على ما هو معلوم المعنى غير محتمل، إنتهى كلامه رفع اللّه مقامه.

وقال الصدوق ـ ره ـ في رسالته الإعتقادية: اعتقادنا في الرجعة انّها حقّ ثمّ ساق الكلام في الإستدلال عليها بقوله: ومن نطق القرآن برجوعهم في الدنيا من الأمم السالفة فأكلوا وشربوا ونكحوا النساء وولد لهم الأولاد حتّى ماتوا بآجالهم إلى قوله: فقد صحّ انّ الرجعة كانت في الأمم السالفة.

وقال النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: يكون في هذه الأمّة ما يكون في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة فيجب على هذا الأصل أن يكون في هذه الأمّة رجعة، وقد نقل مخالفونا أنّه إذا خرج المهدي نزل عيسى بن مريم من السماء فصلّى خلفه ونزوله إلى الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته لأنّ اللّه عزّوجلّ قال: إنّي متوفّيك ورافعك إليّ، وقال: وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً، وقال: ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فاليوم الّذي يحشر فيه الجميع غير اليوم والّذي يحشر فيه الفوج وقال تعالى: وأقسموا باللّه جهد أيْمانهم لا يبعث اللّه من يموت بلى وعداً عليه حقّاً، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون، يعني ذلك في الرجعة وذلك انّه يقول ليبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه والتبيين يكون في الدنيا لا في الآخرة وسأجرّد كتاباً في الرجعة أبيّن فيها كيفيّتها والدلالة على صحّة كونها إن شاء اللّه تعالى والقول بالتناسخ باطل، ومن دان بالتناسخ فهو كافر لأنّ في التناسخ إبطال الجنّة والنار، إنتهى كلامه.

وروي في كتابه صفات الشيعة كما حكى عنه في الأربعين عن البرقي بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: من أقرّ بسبعة أشياء فهو مؤمن وعدّ منها الإيمان بالرجعة.

وروى فيه عن إبن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام قال: من أقرّ للّه بتوحيد اللّه وساق إلى قوله عليه السلام: وأقرّ بالرجعة والمتعتين وآمن بالمعراج والمسائلة والقبر والحوض والشفاعة وخلق الجنّة والنار والصراط والميزان والبعث والنشور والجزاء والحساب فهو مؤمن حقّاً وهو من شيعتنا أهل البيت.

وقال أمين الدين الطبرسي ـ قده ـ عند قوله تعالى: ويوم نحشر من كلّ أُمّة فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآياتنا فهم يوزعون أي يدفعون، عن إبن عبّاس وقيل: يحبس أولهم على آخرهم واستدلّ بهذه الآية على صحّة الرجعة من ذهب إلى ذلك من

الإماميّة بأن قال: إنّ دخول من في الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على انّ اليوم المشار إليه يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الّذي قال اللّه تعالى فيه سبحانه: وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً، وقد تظاهرت الأخبار عن الأئمّة الأطهار من آل محمد صلّى اللّه عليه وآله في ان اللّه سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهّجوا بظهور دولته ويعيد قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من العقاب والقتل على أيدي شيعته أو الذلّ والخزي بما يشاهدون من علوّ كلمته ولا يمتري عاقل على انّ هذا مقدور للّه تعالى غير مستحيل أتى نفسه، وقد فعل اللّه ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدّة مواضع مثل قصّة غور وغير ذلك على ما فسّرناه في موضعه، وصحّ عن النبي صلّى اللّه عليه وآله قوله: سيكون في امّتي كلّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، الخبر على انّ جماعة من العلماء تأوّلوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص لما ظنّوا انّ الرجعة تنافي التكليف وليس كذلك لأنّه ليس فيها ما يلجي إلى فعل الواجب والإمتناع من القبح والمكلّف يصحّ معها كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا، وما أشبه ذلك، ولأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة.

وقال ــ ره ــ في سورة النور عند قوله تعالى: وَعَدَ اللّهُ الّذين آمَنُوا وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم، الآية، إلى قوله: فعلى هذا يكون المراد من قوله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات النبي والأئمّة صلوات الرحمن عليهم وتضمّنت الآية الإشارة لهم بالإستخلاف والتمكّن في البلاد ارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي ويكون المراد بقوله كما استخلف الّذين من قبلهم هو أن جعل الصالح للخلافة خليفة مثل آدم وداود وسليمان، ويدلّ على ذلك قوله انّي جاعل في الأرض خليفة ويا داود إنّا جعلناك في الأرض خليفة وقوله: فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً، وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة وإجماعهم حجّة لقول النبيّ صلّى اللّه عليه وآله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، وأيضاً فإنّ التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتّفق فيما مضى فهو منتظر لأمر اللّه تعالى لا

يخلف وعده، إنتهى.

قال الشيخ الحرّ في هذا المقام: هذا واضح تصريحاً في نقل الإجماع على رجعة النبي والأئمة صلوات الله عليهم يظهر ذلك من ملاحظة ضماير الجمع في الآية.

وفي كلام الطبرسي ومن لفظ الإستخلاف والتمكين وزوال الخوف والعادة ووجوب الحمل على الحقيقة ولوحملناه على مجرّد خروج المهدي لزم الحمل على المجاز والتأويل والتعبّد من غير ضرورة ولا قرينة ولما صدقت المشابهة بين الإستخلافين وكيف يشبه تلك الميّت الّذي ملك واحداً من أولاد أولاده بملك سليمان على انّه لو كان المراد تمكين أهل البيت مجازاً يعنى خروج المهدي من غير رجعتهم لما كان لتخصيص الإجماع بالعترة وجه لأنّ ذلك إجماع من جميع الأمّة وهو ظاهر والأحاديث الصريحة فلا يبقى معه شكّ، إنتهى كلامه.

وقال العلاّمة المجلسي ـ ره ـ في رسالته الإعتقاديّة ويجب أن يؤمن بالرجعة فإنّها من خصائص الشيعة واشتهر ثبوتها بين الأئمة من الخاصة والعامّة.

وقد ورد عنهم عليهم السلام ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا ويستحلّ متعتنا، والّذي يظهر من الأخبار هو انه يحشر الله في زمن القائم أو قبله جماعة من المؤمنين لتقرّ أعينهم برؤية أئمّتهم وجماعة من الكافرين والمخالفين للإنتقام عاجلاً في الدنيا.

وأمّا المستضعفون من الفريقين فلا يرجعون، وأمّا رجوع الأئمّة فقد دلّت الأخبار الكثيرة على رجعة أمير المؤمنين وكثير منها على رجعة الحسين ودلّ بعض الأخبار على رجوع النبيّ وساير الأئمّة وأمّا كون رجوعهم في زمان القائم أو قبله أو بعده فالأخبار فيه مختلفة فيجب أن نقرّ برجعة بعض الناس، والأئمّة عليهم السلام مجملاً، ونرد علم ما ورد من تفصيل ذلك إليهم.

وقريب منه ما ذكره ـ ره ـ في مرآة العقول عند شرحه للحديث الخامس من باب انّ الأئمّة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلاّ بعهد من الله وأمر منه من كتاب الإمامة من الكافي.

وقال في آخر رسالته في الرجعة: تذييل: إعلم يا أخي انّي لا أظنك ترتاب بعد ما مهّدت وأوضحت لك في القول بالرجعة الّتي أجمعت الشيعة عليها في جميع

الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رائعة النهار حتّى نظموها في أشعارهم واحتجّوا بها على المخالفين في جميع أعصارهم وشنّع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما وقد مرّ كلام إبن أبي الحديد حيث أوضح مذهب الإماميّة في ذلك ولو لا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيراً من كلماتهم في ذلك إلى آخر ما أفاده في هذا المقام.

وقال المحقّق العلاّمة: أفقه المحدّثين المولى أبي الحسن الشريف في مقدّمة تفسيره مرآة الأنوار: إعلم انّ ثبوت الرجعة في الجملة أي خروج بعض الناس من قبورهم إلى هذه الدنيا وتعيّشهم فيها مدّة بعد قيام القائم ورجعة النبيّ والأئمة عليهم السلام كلّهم أو بعضهم ولا سيّما أمير المؤمنين عليه السلام والحسين عليه السلام وتمكّنهم من الملك والإنتقام من أعدائهم ممّا لا شكّ فيه عندنا ومن ضروريّات هذا المذهب والأحاديث الدالّة على تحقّقها في الجملة متواترة وإن كانت مختلفة في تفصيلها ولقد وقفت على أزيد من مأتي حديث فيها، وقد دلّت الأخبار على تأويل أكثر ما ورد في يوم القيامة بها إلى قوله: وقد أنكرها المخالفون بل صرّح بعضهم بامتناعها نظير ما قاله المشركون في إنكار الآخرة وتكذيبهم الآيات التي تدلّ على إحياء اللّه بعض أموات الأمم السالفة كعزير وغيره.

وفي بعض الأخبار انّ تلك القدرة لا ينكرها إلاّ القدريّة إلى آخر كلماته.

وقال الشيخ حسن بن سليمان صاحب كتاب المختصر: الرجعة ممّا أجمع عليه علمائنا بل جميع الإماميّة وقد نقل الإجماع منهم على هذه المسألة الشيخ المفيد والسيّد المرتضى وغيرهما.

وقال الشيخ الحرّ العاملي صاحب الوسائل ـ قدّه ـ في كتابه إيقاظ الهجعة بالبرهان على الرجعة الرابع: إجماع الشيعة الإماميّة وإطباق الطائفة الإثنى عشريّة على اعتقاد صحّة الرجعة، فلا يظهر فيهم مخالف يعتدّ به من العلماء السابقين، ولا اللاحقين وقد علم دخول المعصوم في هذا الإجماع بورود الأحاديث المتواتر عن النبي أو الأئمة صلوات اللّه عليهم الدالّة على اعتقادهم لصحّة الرجعة حتّى انّه قد ورد ذلك عن صاحب الزمان محمّد بن الحسن المهدي في التوقيعات الواردة عنه وغيرها مع قلّة ما ورد عنه عليه السلام في مثل ذلك بالنسبة إلى ما ورد عن آبائه وساق الكلام إلى قوله: الخامس الضرورة فإنّ ثبوت الرجعة من ضروريّات مذهب الإماميّة

عند جميع العلماء المعروفين والمصنّفين المشهورين بل يعلم العامة انّ ذلك من مذهب الشيعة فلا ترى أحد يعرف اسمه أو يعلم له تصنيف من الإماميّة يصرّح بإنكار الرجعة ولا تأويلها.

ومعلوم انّ الضروري والنظري يختلف عند الناظرين فقد يكون الحكم ضرورياً عند قوم نظرياً عند آخرين والّذي يعلم بالتتبّع انّ صحّة الرجعة أمر محقّق معلوم مفروغ عنه مقطوع به ضروريّ عند أكثر العلماء الإماميّة أو الجميع حتّى لقد صنّفت الإماميّة كتباً كثيرة في إثبات الرجعة كما صنّفوا في إثبات المتعة وإثبات الإمامة وغير ذلك، إنتهى كلامه إلى غير ذلك ممّن نقل الإجماع والضرورة من مذهبنا الإماميّة على الرجعة في جميع الأعصار إلى عصرنا هذا.

نعم الرجعة عندنا إنّما تختصّ بمن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً كما تدلّ عليه قوله تعالى: ويوم نحشر من كلّ أمّة فوجاً، وقوله تعالى وحرام على أهل قرية أهلكناها إنّهم لا يرجعون.

وفي كتاب المختصر للشيخ حسن بن سليمان الثقة ما رواه عن أحمد بن محمّد بن عيسى ومحمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حمّاد بن عثمان عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين وأبا الخطّاب يحدّثان جميعاً قبل أن يحدث أبو الخطّاب انّهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوّل من تنشقّ الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي وانّ الرجعة ليست بعامّة وهي خاصّة لا يرجع إلاّ من محض الإيمان محضاً أو محض الشرك محضاً وفيه. وفي الكافي بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يسئل في القبر إلاّ من محض الإيمان محضاً، قلت: ساير الناس؟ فقال: يلهى عنه.

وقال المفيد ـ ره ـ: ممّا قدّمنا من كلامه في الجواب عن المسائل السرويّة والرجعة عندنا تختصّ بمن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً دون من سوى هذين الفريقين فإذا أراد الله ذلك على ما ذكرناهم أو هم الشياطين أعداء الله إنّما ردّوا إلى الدنيا لطغيانهم على الله فيزدادوا عتوّاً فينتقم الله منهم بأوليائه ويجعل لهم الكرّة عليهم فلا يبقى منهم إلاّ وهو مغموم بالعذاب والنقمة والعقاب ونصفوا الأرض من الطغاة ويكون الدين كلّه لله والرجعة إنّما هي لما حضى الإيمان من أهل

الملّة وتمحض النفاق منهم دون من سلف من الأمم الخالية، إنتهى كلامه، وبه قال ـ ره ـ في الجواب عن عذاب القبر أيضاً وسؤاله كما في أجوبة للمسائل السرويّة على ما حكى عنه في مرآة العقول قال: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل وقد ورد عن أئمّة الهدى عليهم السلام انهم قالوا :ليس يعذّب في القبر كل ميت وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر محضاً ولا ينعم كل ماض لسبيله وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً فأمّا ما سوى هذين الصنفين فإنّه يلهى عنهم، إنتهى كلامه.

وفي الكافي آخر كتاب الجنايز باب الروح في هذا المعنى حديثان وما رواه في أول جزء من كتاب مقتضب الأثر بالنص على الأئمّة الإثنى عشر من بعده إلى قوله: قلت: يا رسول اللّه يكون إيمان بهم بغير معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم؟ قال: لا يا سلمان، فقلت: يا رسول اللّه فأنّى لي بهم؟ قال: قد عرفت إلى الحسين ثمّ سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام ثمّ ابنه محمّد بن عليّ باقر علوم الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسلين ثمّ ابنه جعفر لسان اللّه الصادق عليه السلام ثمّ ابنه موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في اللّه ثمّ عليّ بن موسى الرضا عليه السلام لأمر اللّه ثمّ محمد بن علي الجواد المختار من خلق اللّه ثمّ عليّ بن محمد الهادي إلى اللّه ثم الحسن بن علي الصامت الأمين العسكري عليه السلام ثمّ ابنه الحجّة بن الحسن المهدي الناطق القائم باللّه، قال سلمان: فسكت صلّى اللّه عليه وآله ثمّ قلت: تولاّهم يا رسول اللّه فأنّى لسلمان إدراكهم؟ قال: يا سلمان انّك مدركهم وأمثالك ومن تولاّهم بحقيقة المعرفة، قال سلمان: فشكرت اللّه كثيراً، ثمّ قلت: يا رسول اللّه انّي مؤجّل إلى عهدهم؟ قال: يا سلمان إقرأ: «فإذا جاء وعد أوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً، ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً».

قال سلمان: فاشتدّ بكائي وشوقي وقلت: يا رسول اللّه بعهد منك؟ قال: إي والّذي أرسل محمداً انّه لبعهد منّي ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وتسعة أئمّة وكلّ من هو منّا ومظلوم فينا اي واللّه يا سلمان وليحضرنّ إبليس وجنوده وكلّ من محّض الإيمان محضاً ومحّض الكفر محضاً حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربك أحداً ونحن تأويل هذه الآية «ونريد أنْ نمنّ على الّذين

استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين»، قال سلمان: فقمت من بين يديه وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه هو.

ويؤيّد ما رواه من تأويل هذه الآية من سورة بني إسرائيل ما أورده عليّ بن إبراهيم القمي في تفسيره عن مسعدة بن صدقة في بعض خطب عليّ عليه السلام وما رواه ثقة الرسلام محمد بن يعقوب الكليني في روضة الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين» قال: قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وطعن الحسن عليه السلام ولتعلنّ علوّاً كبيراً قال: قتل الحسين عليه السلام فإذا جاء وعد أوليهما فإذا جاء نصر دم الحسين بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون لآل محمد عليهم السلام وترا الاّ قتلوه وكان وعداً مفعولاً خروج القائم ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة لكلّ بيضة وجهان المؤدّون إلى الناس انّ هذا هو الحسين قد خرج حتّى لا يشكّ المؤمنون فيه وانّه ليس بدجّال ولا شيطان والحجّة القائم بين أظهرهم فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين انّ الحسين عليه السلام جاء الحجّة الموت فيكون الّذي يغسّله ويكفّنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين عليه السلام ولا يلي الوصيّ إلاّ الوصيّ.

بيان: هذا بناء على ما سيأتي من قوله تعالى: ولن تجد لسنّة الله تبديلاً حيث بيّن الرسول صلّى الله عليه وآله انّ كلّما وقع في بني إسرائيل يقع مثله في هذه الإمّة طابق النعل بالنعل فكلّما ذكر في القرآن من أحوال بني إسرائيل فظاهره فيهم وباطنه في هذه الأمّة والقمّي بعد قوله تعالى: وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب أي: أعلمناهم قال: انقطعت مخاطبة بني إسرائيل وخاطب امّة محمد صلّى الله عليه وآله وساق إلى قوله تعالى: فإذا جاء وعد الآخرة يعني القائم وأصحابه ليسوء وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة يعني رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وأمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وليتبّروا ما علوا تتبيراً، أي: يعلوا عليكم فيقتلوكم إلى قوله ثم خاطب بني امية فقال: وإن عدتم عدنا يعني إن عدتم بالسفياني عدنا بالقائم من آل محمّد.

وبالجملة: فلم يبق بعد ما قدّمنا شبهة في إجماع الطائفة الإماميّة على

الرجعة(١٣٢).

## خلفاء الإمام المهدي عليه السلام من غير المعصومين

وهذه المسألة لتداخلها بالمسألة المتقدمة المعنونة بالرجعة بحاجة ماسّة إلى بحث واسع وتحليل جديد يكشف عن جميع ملابساتها ونحن في هذه العجالة لا يسعنا إلاّ الإشارة إليها بما يتأدّى به الغرض المطلوب على أمل أن نوفق في المستقبل لإنجاز هذا العمل في دراسة مستوعبة مستقلة نكشف فيها زيف ترهات بعض المشككين من كتاب الشيعة المتأخرين وما حاكوه حول هذا الموضوع من الشكوك والشبهات التي نطقوا بها كألدّ الخصوم والمعاندين وأرسلوها إرسال المسلّمات وضحكوا بها على عقول الكثير من شبابنا المثقّف حتى انطلت على عقولهم.

وعلى كل حال فما نحن فيه ينقسم الكلام فيه إلى موضعين: الأول منهما يتعلق بالحديث عن خلفاء الإمام المهدي عليه السلام من غير المعصومين كما عنونّا له ههنا والثاني يتعلق بدولتهم وما قيل فيها.

## الموضع الأول

وقد خصّص العلاّمة المجلسي «قدس سره» الباب الثلاثين من أبواب تاريخ الإمام الثاني عشر في البحار لذكرهم، وقد أورد فيه طائفة من الروايات هذا نصّها:

١ ـ ك: الدقّاق، عن الأسدي [عن النخعيّ، عن النوفليّ] عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام: يابن رسول الله صلّى الله عليه وآله سمعت من أبيك عليه السلام أنّه قال: يكون بعد القائم اثنى عشر مهدياً فقال: إنما قال: اثنى عشر مهدياً ولم يقل إثنا عشر إماماً، ولكنّهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقّنا.

٢ ـ غط: محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن محمد بن عبد الحميد، ومحمّد بن عيسى عن محمّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: يا أبا حمزة إنّ منّا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام.

٣ ـ غط: الفضل، عن إبن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنّ منّا أهل البيت رجل

بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً، قلت: متى يكون ذلك؟ قال: بعد القائم، قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: تسع عشرة سنة، ثمّ يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتّى يخرج السفّاح.

٤ ـ شا: ليس بعد دولة القائم لأحد دولة إلاّ ما جاءت به الرواية من قيام ولده إن شاء اللّه ذلك، ولم يرد على القطع والثبات وأكثر الروايات أنّه لن يمضي مهديّ الأمّة إلاّ قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج، وعلامة خروج الأموات، وقيام الساعة للحساب والجزاء، واللّه أعلم.

٥ ـ شي: عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: واللّه ليملكنّ رجل منّا أهل البيت الأرض بعد موته ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً قال: قلت: فمتى ذلك؟ قال: بعد موت القائم، قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتّى يموت؟ قال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى موته قال: قلت: فيكون بعد موته هرج؟ قال: نعم خمسين سنة.

قال: ثمّ يخرج المنصور إلى الدنيا فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتّى يقال لو كان هذا من ذرّية الأنبياء، ما قتل الناس كلّ هذا القتل، فيجتمع الناس عليه أبيضهم وأسودهم، فيكثرون عليه حتّى يلجؤونه إلى حرم اللّه فإذا اشتدّ البلاء عليه، مات المنتصر، وخرج السفّاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كلّ عدوّ لنا جائر، ويملك الأرض كلّها، ويصلح اللّه له أمره، ويعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر وهل تدري من المنتصر والسفّاح؟ يا جابر المنتصر الحسين، والسفّاح أمير المؤمنين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

٦ ـ غط: جماعة، عن البزوفريّ، عن عليّ بن سنان الموصليّ، عن عليّ بن الحسين، عن أحمد بن محمّد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصريّ، عن عمّه الحسين بن عليّ، عن أبيه، عن أبي عبد اللّه الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله في اللّيلة الّتي كانت فيها وفاته لعليّ عليه السلام يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة فأملى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وصيّته حتّى إنتهى [إلى] هذا الموضع فقال: يا عليّ إنّه سيكون بعدي إثنا عشر إماماً ومن بعدهم إثنى عشر مهدياً فأنت يا عليّ أوّل الإثني عشر الإمام.

وساق الحديث إلى أن قال: وليسلّمها الحسن عليه السلام إلى إبنه م ح م د

المستحفظ من آل محمّد صلّى اللّه عليه وعليهم، فذلك إثنى عشر إماماً ثمّ يكون من بعده إثنا عشر مهدياً فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى إبنه أوّل المهديّين له ثلاثة أسامي إسم كإسمي وإسم أبي وهو عبد اللّه وأحمد والإسم الثالث المهديّ وهو أوّل المؤمنين.

٧ ـ خص: ممّا رواه السيّد عليّ بن عبد الحميد بإسناده عن الصادق عليه السلام: أنّ منّا بعد القائم عليه السلام إثنا عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام.

٨ ـ مل: أبي، عن سعد، عن الجاموراني، عن الحسين بن سيف، عن أبيه عن الحضرمي، عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه عليهما السلام قالا في ذكر الكوفة: فيها مسجد سهيل الّذي لم يبعث اللّه نبياً إلاّ وقد صلّى فيه، ومنها يظهر عدل اللّه، وفيها يكون قائمه والقوّام من بعده، وهي منازل النبيّين والأوصياء والصالحين.

ثم أردفها بقوله: بيان: هذه الأخبار مخالفة للمشهور، وطريق التأويل أحد وجهين:

الأوّل: أن يكون المراد بالإثني عشر مهدياً النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسائر الأئمّة سوى القائم عليه السلام بأن يكون ملكهم بعد القائم عليه السلام وقد سبق أنّ الحسن بن سليمان أوّلها بجميع الأئمّة وقال برجعة القائم عليه السلام بعد موته وبه أيضاً يمكن الجمع بين بعض الأخبار المختلفة الّتي وردت في مدّة ملكه عليه السلام

والثاني: أن يكون هؤلاء المهديّون من أوصياء القائم هادين للخلق في زمن سائر الأئمّة الّذين رجعوا لئلاّ يخلو الزمان من حجّة، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمّة أيضاً حججاً واللّه تعالى يعلم(١٣٣).

وقد حكى المحقق الحدائقي في كشكوله عن المحدّث الكاشاني انه قال بعد ذكر الروايات ونقل كلام الشيخ المفيد: لا منافاة بين ما ذكره وبين الروايات، ولأن الأخير من الإثني عشر مهدياً أيضاً مع ان قيامهم بالدعوة لا يستلزم دولة والعلم عند اللّه، إنتهى ثم تنظر هو الآخرفيه بقوله:

وكيف كان فيشكل المقام بما رواه الشيخ قدس اللّه سره في المصباح في الدعاء لصاحب الأمر عليه السلام عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام انه كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر عليه السلام به: «اللّهمّ ادفع عن وليك» إلى أن

قال في آخره: «اللّهمّ صلّ على ولاة عهده والأئمّة من بعده وبلّغهم آمالهم وزد في آجالهم» إلى آخره، فإنه يدل بظاهره كما ترى على كون أولئك الذين يكونون بعده أئمة، مع استفاضة الأخبار بل تواترها بانحصار الأئمة في الإثني عشر الذي هو عليه السلام آخرهم فليتأمّل(١٣٤).

ويمكن أن يجاب عنه بما ورد في أجوبة مسائل متفرقة لعلم الهدى السيّد المرتضى ــ قدس سره ــ حيث جاء ما نصه:

وسئل (رضي الله عنه) عن الحال بعد إمام الزمان عليه السلام في الإمامة فقال: إذا كان من المذهب المعلوم أن كل زمان لا يجوز أن يخلو من إمام يقوم بإصلاح الدين ومصالح المسلمين، ولم يكن لنا بالدليل الصحيح أن خروج القائم يطابق زوال التكليف، فلا يخلو الزمان بعده عليه السلام من أن يكون فيه إمام مفترض الطاعة، أو ليس يكون.

فإن قلنا: بوجود إمام بعده خرجنا من القول بالإثني عشرية، وإن لم نقل بوجود إمام بعده، أبطلنا الأصل الذي هو عماد المذهب، وهو قبح خلوّ الزمان من الإمام.

فأجاب (رضي الله عنه) وقال: إنا لا نقطع على مصادفة خروج صاحب الزمان محمد بن الحسن عليهما السلام زوال التكليف، بل يجوز أن يبقى العالم بعده زماناً كبيراً، ولا يجوز خلوّ الزمان بعده من الأئمة.

ويجوز أن يكون بعده عدة أئمة يقومون بحفظ الدين ومصالح أهله، وليس يضرنا ذلك فيما سلكناه من طرق الإمامة، لأن الذي كلفنا إياه وتعبدنا منه أن نعلم إمامة هؤلاء الإثني عشر، ونبينه بياناً شافياً، إذ هو موضع الخلاف والحاجة.

ولا يخرجنا هذا القول عن التسمي بالإثني عشرية، لأن هذا الإسم عندنا يطلق على من يثبت إمامة إثني عشر إماماً. وقد أثبتنا نحن ولا موافق لنا في هذا المذهب، فانفردنا نحن بهذا الإسم دون غيرنا(١٣٥).

## القسم الثاني

ونذكر فيه ما يتعلّق بدولة أولئك الخلفاء من غير الأئمة المعصومين فقد عقد له المحدّث الخبير والمتتبّع النحرير الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي قدس الله نفسه الزكيّة في كتاب الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة الباب

الحادي عشر منه لخصوص تناول ذلك وعنونه بقوله:

في أنه هل بعد دولة المهدي عليه السلام دولة أم لا؟ثم أردفه بقوله:

روى الشيخ الأجل أبو جعفر الكليني في باب تسمية من رآه عليه السلام بإسناده الصحيح عن عبد الله بن جعفر الحميري انه سأل العمري رحمه الله فقال له: اني أريد أن أسألك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه؛ فإن اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجة إلاّ إذا كان قبل القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رفعت الحجّة وأغلق باب التوبة فلم يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، فأولئك شرار من خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة، ولكني أحببت أن ازداد يقيناً، الحديث.

أقول: وقد روى هذا المعنى الشيخ وابن بابويه وغيرهما بطرق كثيرة.

وروى الشيخ في كتاب الغيبة في جملة الأحاديث التي رواها من طرق العامة في النص على الأئمة عليهم السلام قال: أخبرنا جماعة عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري عن علي بن سنان الموصلي العدل عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمّد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد البصري، عن عمه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله انه قال: في الليلة التي كان فيها وفاته: يا أبا الحسن أحضر دواة وصحيفة، فأملى رسول الله صلّى الله عليه وآله وصية حتى انتهى إلى هذا الموضع فقال: يا أبا الحسن انه يكون بعدي إثني عشر إماماً ومن بعدهم إثني عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الإثني عشر إماماً، وذكر النص عليه السلام فقال: إذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه محمّد المستحفظ من آل محمّد فذلك اثني عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنى عشر مهدياً فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي، إسم كإسمي، وإسم كإسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والثالث المهدي هو أول المؤمنين.

وروى الشيخ في كتاب الغيبة في آخره عن محمّد بن عبد الله الحميري عن أبيه عن محمّد بن عبد الحميد ومحمّد بن عيسى عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال: يا أبا حمزة ان منّا بعد القائم إثني عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام.

وروى الشيخ أيضاً في المصباح الكبير حيث أورد دعاءاً ذكر انه مروي عن صاحب الزمان خرج إلى أبي الحسن الضراب الإصفهاني بمكة بإسناد لم نذكره اختصاراً ثم أورد الدعاء بطوله إلى أن قال: اللّهمّ صلّ على محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن الرضا والحسين المصطفى وجميع الأوصياء مصابيح الدجى إلى أن قال: وصلّ على وليك وولاة أمرك والأئمة من ولده، ومدّ في أعمارهم وزد في آجالهم وبلّغهم أقصى آمالهم دنياً وآخرة، انك على كل شيء قدير.

وروى أيضاً في المصباح بعده بغير فصل دعاء مروياً عن الرضا عليه السلام فقال: روى عن يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام انه كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر عليه السلام بهذا الدعاء: اللّهمّ ادفع عن وليك وخليفتك إلى أن قال: اللّهمّ وصلّ على ولاة عهده والائمّة من بعده، وزد في آجالهم وبلغهم آمالهم «الدعاء» وهو يشتمل على أوصاف وألقاب لا تكاد تستعمل في غير المهدي عليه السلام.

وروى إبن بابويه في كتاب الخصال في باب الإثني عشر عن عبد الله بن محمد عن محمد بن سعيد عن الحسن بن علي عن أبي اسامة عن إبن مبارك عن معمر، عن سمع وهب بن منبه يقول: يكون بعدي إثني عشر خليفة ثم يكون الهرج، ثم يكون كذا وكذا.

وبالإسناد عن الحسن بن علي عن وليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد، عن عمر والبكابي عن كعب الأحبار قال في الخلفاء: هم اثنى عشر، فإذا كان عند انقضائهم وأتى طائفة صالحة مدّ الله لهم في العمر، كذلك وعد الله هذه الأمّة، ثم قرأ: «وعد الله الذين آمنوا ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم» وكذلك فعل الله ببني إسرائيل وليس بعزيز أن يجمع الله هذه الأمّة يوماً أو نصف يوم، «وإن يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدّون».

وفي باب اتصال الوصية من لدن آدم من كتاب كمال الدين لإبن بابويه حدثنا أبي قال: حدثنا سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر، عن أيوب بن نوح عن الربيع ابن محمد عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما زالت الأرض إلا ولله تعالى فيها حجة يعرف الحلال من الحرام، ويدعو إلى سبيل

اللّه، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل القيامة، وإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة، فلا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ـ أو كسبت في إيمانها خيراً أولئك شرار خلق اللّه وهم الذين يقوم عليهم القيامة.

ورواه البرقي في المحاسن، عن علي بن الحكم عن الربيع بن محمّد مثله.

وقال الطبرسي في كتاب اعلام الورى في آخر الباب الرابع: قد جاءت الرواية الصحيحة انه ليس بعد دولة المهدي عليه السلام دولة إلا ما ورد من قيام ولده مقامه إلا ما شاء اللّه ولم ترد على القطع والبت، وأكثر الروايات انه لن يمضي من الدنيا إلا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج، وعلامة خروج الأموات وقيام الساعة واللّه أعلم «إنتهى».

وقال المفيد في الإرشاد: ليس بعد دولة القائم لأحد دولة ثم ذكر مثل كلام الطبرسي.

وقال صاحب كتاب صراط المستقيم وهو الشيخ زين الدين علي بن يونس العاملي ليس بعد المهدي عليه السلام دولة واردة إلا في رواية شاذة من قيام أولاده من بعده، وهي ما روي عن ابن عباس من قول النبي صلّى اللّه عليه وآله لن تهلك امة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدي في وسطها.

ومثله روي عن أنس وهاتان تدلان على دولة بعد دولته، وأكثر الروايات انه لا يمضي إلا قبل القيامة بأربعين يوماً وهو زمان الهرج، وعلامة خروج الأموات للحساب «إنتهى».

**أقول**: أما حديث وفاة المهدي عليه السلام قبل القيامة بأربعين يوماً فقد ورد من طرق متعددة لا تحضرني الآن، والأحاديث في انّ الأرض لا تخلو من حجة كثيرة، والأدلة العقلية على ذلك قائمة، وأحاديث حصر الأئمة في الإثني عشر أيضاً كثيرة جداً ويحتمل هنا وجوه:

**احدها**: أن يكون خلوّ الأرض من إمام على ظاهره في هذه الأربعين، ويكون موت الناس وجميع المكلفين قبل الإمام، وتكون في تلك المدة اليسيرة خالية من المكلفين ومن الإمام، ولا ينافي ذلك ما روي من خروج المهدي عليه السلام من الدنيا شهيداً، لإمكان أن يسقيه أحد السم أو يضربه بالسيف ونحوه، ثم يموت القاتل وساير المكلفين قبل الإمام، ويكون الرجعة بعد المدة المذكورة أو قبلها،

ولا يبعد كون أهل الرجعة غير مكلفين، ويكون إغلاق باب التوبة لانقطاع التكليف وموت المكلفين، فلا ينفع نفساً إيمانها لانتقال النفوس من الدنيا التي هي دار التكليف إلى البرزخ أو القيامة، ويكون المشار إليه بأولئك هم الذين لم يؤمنوا أو لم يكسبوا في إيمانهم خيراً، وذلك غير بعيد لقرب المشار إليهم في الذكر، ويكون قيام القيامة عليهم إشارة إلى انها عليهم لا لهم، بخلاف غيرهم فإنها لهم أو عليهم أو لهم ونحوه: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» والحاصل انه لا يلزم حمله على بقاء المحجوج بعد فناء الحجة.

**وثانيها**: أن يكون إشارة إلى قوم لا يموتون عند موت صاحب الزمان، بل يصيرون في حكم الأموات وبمنزلة المعدومين لارتفاع التكليف عنهم لفقدهم العقل أو غير ذلك، كاقتضاء الحكمة الإلهية انقضاء مدة التكليف وقيام الساعة ولعل هؤلاء الجماعة المشار إليهم بقوله تعالى: «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلاّ من شاء» وحينئذ تخصيص الأحاديث المعارضة المشار إليها بزمان التكليف أو يحمل الحجة فيها على ما هو أعم من الإمام والعقل، مما رواه الكليني وغيره عنهم عليهم السلام انّ لله على الناس حجّتين ظاهرة وباطنة، والظاهرة الأنبياء والأئمة، والباطنة العقل.

**وثالثها**: أن يكون المراد بالأربعين يوماً مدة الرجعة ويكون ذلك إشارة إلى قلتها، فإنه يعبر بالسبعين عن الكثرة، وبما دونها عن القلة، أو إشارة إلى ما مرّ في هذه الأحاديث من قوله في هذا المقام «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون» ويكون وفاة جميع المكلّفين قبل المهدي عليه السلام، ويكون أهل الرجعة غير مكلّفين، ويأتي إن شاء الله تمام الكلام.

**ورابعها**: أن يكون القيامة التي أخبر بوقوعها بعد الأربعين يوماً هي قيام الأموات وحياتهم بعد الموت، ويكون المراد الرجعة التي هي القيامة الصغرى، ثم القيامة الكبرى، ولا ريب في جواز استعمال القيامة فيما يشمل القيامة الصغرى والكبرى بل قد تقدم إطلاق الآخرة في القرآن على الرجعة، وورد الحديث بذلك.

**وخامسها**: أن يكون المراد ليس بعد دولة المهدي عليه السلام دولة مبتدءة فلا ينافي الرجعة لأنها دولة ثانية، والأربعون يوماً يحتمل كونها فاصلة بين الدولتين.

**وسادسها:** أن يكون المراد بموت المهدي عليه السلام الذي لا يتأخر القيامة عنه إلا أربعين يوماً الموت الثاني بعد رجعته عليه السلام، وذكر انه نقلها من كتب المتقدمين، والله أعلم، وأما أحاديث الإثنى عشر فلا يخفى انها غير موجبة للقطع أواليقين لندورها وقلتها وكثرة معارضتها كما أشرنا إلى بعضه، وقد تواترت الأحاديث بأن الأئمة اثنى عشر، وانّ دولتهم ممتدّة إلى يوم القيامة، وانّ الثاني عشر خاتم الأوصياء والأئمة والخلف؛ وان الأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيامة، ونحو ذلك من العبارات، فلو كان يجب علينا الإقرار بإمامة اثنى عشر بعدهم لوصل إلينا نصوص متواترة تقاوم تلك النصوص، لينظر في الجمع بينهما.

وقد نقل عن السيّد المرتضى انه جوز ذلك على وجه الإمكان والإحتمال، وقال: لا نقطع بزوال التكليف عند موت المهدي عليه السلام، بل يجوز أن يبقى بعده أئمة يقومون بحفظ الدين ومصالح أهله؛ ولا يخرجنا ذلك عن التسمية بالإثنى عشرية؛ لأنا كلفنا أن نعلم إمامتهم وقد بيّنا ذلك بياناً شافياً، فانفردنا بذلك عن غيرنا «إنتهى».

ويؤيّده عدم الدليل العقلي القطعي على النفي، وقبول الأدلة النقلية للتقييد والتخصيص ونحوهما لو حصل ما يقاومهما، ولا يخفى ان الحديث المنقول أولاً من كتاب الغيبة من طرق العامة، فلا حجّة فيه في هذا المعنى، وإنما هو حجة في النص على الإثنى عشر؛ لموافقته لروايات الخاصة، وقد ذكر الشيخ بعده وبعد عدة أحاديث انه من روايات العامة، والباقي ليس بصريح، وقد تقدم في الحديث السادس والتسعين من الباب السابق ما هو صريح في ان المهدي عليه السلام له عقب، وهيهنا احتمالات:

**(أولها)** أن يكون البعدية غير زمانية بل هي مثل قوله تعالي: «فمن يهديه من بعد الله» فيجوز كون المذكورين في زمن المهدي عليه السلام، ويكونوا نوّاباً له، كل واحد نايب في جهة، أو في مدّة.

**(وثانيها)** ان قوله: من بعده، لابدّ فيه من تقدير مضاف، فيمكن من بعد ولادته أو من بعد غيبته ويكون إشارة إلى السفر أو الوكالة له على الإنس والجن أو إلى أعيان علماء شيعته في مدة غيبته؛ ويمكن أن يقدر من بعد خروجه؛ فيكونون نواباً له كما مرّ.

وقد روى الصدوق في كتاب كمال الدين وتمام النعمة عن علي بن أحمد بن موسى الدقاق عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي عن علي بن أبي حمزة عن أبيه قال: قلت للصادق عليه السلام: سمعت من أبيک انه قال: يكون من بعد القائم اثنى عشر مهدياً؟ فقال: قد قال: اثني عشر مهدياً ولم يقل اثنى عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى ولايتنا ومعرفة فضلنا.

أقول: فهذا الحديث يناسب الوجوه المذكورة؛ ويوافق ما يأتي أيضاً على وجه، على أنه يحتمل الحمل على التقية على تقدير أن يراد منه نفي الرجعة، كما حمله بعض المحقّقين.

**(وثالثها)** أن يكون ذلک محمولاً على الرجعة، فقد عرفت جملة من الأحاديث الواردة في الأخبار برجعتهم عليهم السلام على وجه الخصوص، وعرفت جملة من الأحاديث الواردة في صحة الرجعة على وجه العموم في كل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وكل واحد من القسمين قد تجاوز حد التواتر المعنوي بمراتب، كما رأيت في الأبواب السابقة، وعلى هذا فالأئمة من بعده هم الأئمة من قبله قد رجعوا بعد موتهم، فلا ينافي ما ثبت من أن الأئمة اثنى عشر؛ لأن العدد لا يزيد بالرجعة، وهذا الوجه يحصل به الجمع بين رواية اثنى عشر ورواية أحد عشر، فإن الأولى محمول على دخول المهدي أو النبي عليهما السلام والثانية لم يلاحظ فيها دخول أحد منهما لحكمة أخرى، ومثل هذا في المحاورات كثير، والتخصيص بالذكر لا يدل على التخصيص بالحكم، وليس بصريح في الحصر وما تضمنه الحديث المروي في كتاب الغيبة أو على تقدير تسليمه في خصوص الإثني عشر بعد المهدي عليه السلام لا ينافي هذا الوجه، لاحتمال أن يكون لفظ إبنه تصحيفاً وأصله أبيه بالياء آخر الحرف، ويراد به الحسين عليه السلام لما روى سابقاً في أحاديث كثيرة من رجعة الحسين عليه السلام عند وفاة المهدي عليه السلام ليغسله، ولا ينافي ذلک الأسماء الثلاثة لاحتمال تعدّد الأسماء والألقاب لک واحد منهم عليهم السلام، وإن ظهر بعضها ولم يظهر الباقي ولاحتمال تجدد وضع الأسماء في ذلک الزمان له عليه السلام، لأجل اقتضاء الحكمة الإلهية، وقوله عليه السلام في حديث أبي حمزة، اثنى عشر مهدياً من ولد الحسين لا يبعد تقدير

شيء له يتم به الكلام بأن يقال أكثرهم من ولد الحسين ولا يخفى انه قد يبني المتكلم كلامه على الأكثر الأغلب عند ظهور الأمر، أو إرادة الإجمال، ومما يقرّب ذلك ويزيل استبعاد ما ورد في أحاديث النص على الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام انهم من ولد علي وفاطمة، والحديث موجود في أصول الكليني، ولابدّ من حمله على ما قلناه لخروج أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا الحكم، ودخوله في الإثنى عشر عليهم السلام والضماير في الدعائين يحتمل عودها إلى الرسول وإلى الحسين عليهما السلام، ويحتمل الوجه على الرجعة كما مرّ، لكن في الدعاء الثاني لا في الأول بوجود لفظ ولده فيه، وحديث كعب ووهب يحتملان بعض ما مر، وهما إلى الرجعة أقرب على ان قولهما ليس بحجة، لكن الظاهر انهما راويان لهذا المعنى عن بعض أهل العصمة عليهم السلام(١٣٦).

## الأقطاب والأوتاد والأبدال ورجال الغيب

حكى الشيخ عباس القمي في سفينة البحار عن الشيخ الكفعمي انه أورد في حاشيته عن كتابه المعروف بالمصباح ما لفظه:

«قيل: ان الأرض لا تخلو من القطب وأربعة أوتاد وأربعين نجيباً وثلاثمائة وستين صالحاً فالقطب هو المهدي صلوات الله عليه ولا تكون الأوتاد أقل من أربعة لأن الدنيا كالخيمة والمهدي عليه السلام كالعمود وتلك الأربعة أطناب، وقد تكون الأوتاد أكثر من أربعة والأبدال أكثر من أربعين والنجباء أكثر من سبعين والصالحون أكثر من ثلاثمائة وستين، والظاهر أن الخضر والياس عليهما السلام من الأوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب، وأما صفة الأوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفة عين ولا يجمعون من الدنيا إلا البلاغ ولا تصدر منهم هفوات البشر ولا يشترط فيهم العصمة وشرط ذلك في القطب.

وأما الأبدال فدون هؤلاء في المرتبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكّر ولا يتعمدون ذنباً.

وأما النجباء فهم دون الأبدال.

وأما الصالحون فهم المتّقون الموصوفون بالعدالة وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالإستغفار والندم، قال الله تعالى: ﴿إن الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون﴾.

ثم ذكر انه إذا نقص واحد من أحد المراتب المذكورة وضع بدله من المرتبة الأدنى، وإذا نقص من الصالحين وضع بدله من سائر الناس، والله العالم».

أقول: ولعدم استقامة هذا الكلام فإنه يرد عليه أمور:

**(الأول)** ان مجرّد وجود هذا الكلام في حاشية كتاب مصباح الكفعمي في ضمن حواشي المؤلف لا يدل على انه من وضع المؤلف إذ كثير من الحواشي قد يضيفها من يقع في حيازته نسخ ذلك الكتاب وغيره من المعلومين والمجهولين.

**(الثاني)** ان نسبة هذه الحاشية إلى عالم كالكفعمي بحاجة إلى أدلة للإثبات وما لم يكن دليل ثمة كوجودها في نسخة الأصل بخطه المعهود وتذييلها بإمضائه وإسمه ورمزه أو بشهادة من يوثق به بانتسابه إليه فلا عبرة به بحال من الأحوال.

**(الثالث)** ان الشيخ تقي الدين بن إبراهيم بن علي بن الحَسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي صاحب ذلك الكتاب أجلّ من أن تستهويه أمثال هذه العبارات فينقلها على غفلة أو سذاجة من دون تأمّل فيها ولو كان حاله بمثل هذه المثابة لم يكن لمصنفاته أدنى أهمية تذكر أو إعتبار عند علمائنا كافة.

**(الرابع)** إنّ كتاب سفينة البحار للمحدث الجليل الشيخ عباس القمي كتاب روائي في الجملة لا تحقيقي ناهيك في ذلك مجرد حكايته له دون تناوله بالنقد والتحليل وهذا ما يظهر لك عند ما ترجع إلى هذا الكتاب (ج١ ص ٦٤) وكذلك الأمر بالنسبة إلى المحدث المحقق السيد نعمة الله الجزائري في كتاب الأنوار النعمانية (ج١ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤) طبع تبريز وأما المحدث النوري في كشف الأستار فقد حكاه عن إبن العربي الصوفي.

**(الخامس)** انه لا يوجد مستند لهذا القول بتعداد أولئك الأبدال ولو في مصدر يسوغ التعويل عليه بقرينة من القرائن المصحّحة وذلك بعد التحرّي والإستقصاء التام، وكذا لفظ القطب لم يؤثر في الإصطلاحات الدائرة في كلمات المعصومين ولم يشتهر إلاّ عن الصوفية العمياء، مضافاً إلى مخالفته للعدد الذي سنأتي على ذكره عما قريب.

**(السادس)** انه لا يوجد في أصول المذهب ما يتّفق معه أو يحاكيه مضافاً إلى استشمام رائحة الوضع منه خصوصاً إذا علمنا كما سيأتي أن الراوي الوحيد المنسوب إليه هذا القول هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفيه التركيز

على أهل الشام بضرب من الأولوية والأهمية الخاصة لهم على من سواهم ولو دقّقنا النظر لألفينا أصابع الإتهام تتوجه في وضع هذا الحديث إلى أجهزة الإعلام الأموية حيث المحاولات المتعددة التي ألقت بكل ثقلها على مسألة تشويه سمعة أمير المؤمنين عليه السلام وبشتى الوسائل والطرق ولو عن طريق التقوّل والإفتراء والكذب عليه.

فإذا كان في أهل الشام من الأبدال أربعون شخصاً كما سنأتي في ذكره فلماذا قاتلهم تلك المقاتلة وحاربهم تلك الحروب الطاحنة ألا يخشى أن يقتل واحداً منهم في هذه المعارك فيبوء بإثم قتله أو قاتله، يضاف إلى ذلك انه اعتراف صريح بوجود من هو أفضل منه رتبة وبعدد كبير مثل ذلك العدد فلا ميزة له يختص بها ويمتاز من الإتصاف بها على من سواه.

(السابع) انه بغضّ النظر عن كل ما أوردناه عليه من وجوه الطعن وعلى فرض نسبته إلى الشيخ الكفعمي نجد انه لم ينسبه إلى جهة معلومة وأنه قد أورده مُصَدّراً بلفظ قيل وذلك يدل لما هو المتعارف والمعهود من استعمال ذلك اللفظ على الإستضعاف وعدم بلوغه مرتبة صلاحية التعويل عليه.

(الثامن) اشتهار تلك الحكاية عن وجوه من علماء أهل السنة سوى المحكى عن شذاذ منهم وهذا يدل على انهم الأصل في هذه المقولة والعمدة في نقل تلك الحكاية، وهذا ما نلاحظه من تصفّح كلمات مشاهيرهم بالنحو التالي:

قال الفيروز آبادي في القاموس: الأبدال قوم يقيم الله بهم الأرض وهم سبعون، أربعون في الشام وثلاثون بغيرها لا يموت أحدهم إلا قام مقامه آخر من سائر الناس.

وقال ابن منظور في لسان العرب: الأبدال قوم من الصالحين بهم يُقيم الله الأرض أربعون في الشام وثلاثون في سائرالبلاد لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر فلذلك سمّوا أبدالاً وواحد الأبدال العبّاد بدْل وبَدَل، وقال ابن دريد: الواحد بَديل. وروى ابن شميل بسنده حديثاً عن عليٍ كرم الله وجهه انه قال: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق قال ابن شميل: الأبدال خيارٌ بَدَل من خيار، والعصائب عصبة وعصائب يجتمعون فيكون بينهم حرب. قال ابن السكيت: سمي المُبرِّزون في الصلاح أبدالاً لأنهم أُبدِلوا من السلف الصالح، قال: والأبدال

جمع بَدَل وبِدْل، وجمع بَدِيْل بَدَلَى، والأبدال: الأولياء والعُبَّاد سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أُبدل بآخر.

وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث علي رضي الله عنه «الأبدال بالشام» هم الأولياء والعُبَّاد الواحد بِدْل كحِمْل وأحمال وبَدَل كجمل سُمّوا بذلك لأنهم كلما مات واحد منهم أُبدل بآخر(١٣٧).

وقال الزمخشري في الفائق: عليٌّ عليه السلام: «الأبدال بالشام والنُّجَباء بمصر والعصائب بالعراق» هم خيارٌ بدل من خيار جمع بَدَل وبِدْل، العصائب: جمع عصابة، يريد طوائف يجتمعون فيكون بينهم حَرْب(١٣٨).

وقال الزبيدي في تاج العروس في محكيه عن ابن دريد في الجمهرة انه قال في شأنهم: وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل اقليم فيه ولايته منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول والثاني على قدم الكليم والثالث على قدم هارون والرابع على قدم إدريس والخامس على قدم يوسف والسادس على قدم عيسى والسابع على قدم آدم عليهم السلام على ترتيب الأقاليم وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب السيّارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها ولهم من الأسماء أسماء الصفات وكل واحد بحسب ما يعطيه حقيقة ذلك الإسم الإلهي من الشمول والإحاطة ومنه يكون تلقيه، إنتهى.

ثم أضاف الزبيدي بعده بقوله: وقال شيخنا: علامتهم أن لا يولد لهم قالوا: كان منهم حمّاد بن سلمة بن دينار تزوّج سبعين امرأة فلم يولد له كما في الكواكب الدراري قلت: وفي شرح الدلائل للفاسي في ترجمة مؤلفها ما نصه وجدت بخط بعضهم انه لم يترك ولداً ذكراً، إنتهى. وأفاد بعض المقيّدين أن هذا إشارة إلى انه كان من الأبدال ثم قال شيخنا: وقد أفردهم بالتصنيف جماعة منهم السخاوي والجلال السيوطي وغير واحد، قلت: وصنّف العز بن عبد السلام رسالة في الرد على من يقول بوجودهم وأقام النكير على قولهم: «بهم يحفظ الله الأرض» فليتنبه لذلك(١٣٩).

(التاسع) ان ما أورده الكاتب المصري أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام (ج٣ ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦) بهذا الصدد من اتهام الشيعة الإمامية باستقاء مذهبهم من المتصوّفة في غاية الحماقة والصلافة خصوصاً بعد الوقوف على ما نقلناه لك عنهم

في شأن أولئك الأبدال، بل تغافل متعمد وتعامٍ عن كونه موجوداً مشهوراً عندهم كما يتبادر للوهلة الأولى للناظر إلى المروي فيهم من طرقهم وذلك في قوله:

وشيء آخر تولّد من فكرة المهدي المنتظر؛ ذلك أن الصوفية اتصلت بالتشيّع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة وسمّته «قُطباً» وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع، والقطب هو الذي يدبّر الأمر في كل عصر وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض»، ويلي القطب النقباء، قال ابن عربي في الفتوحات المكية: «وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، ولا يزيدون ولا ينقصون، على عدد بروج الفلك الإثني عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات...

واعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها، وإبليس مكشوف عندهم، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه، وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل العلماء بالآثار والقيافة الخ».

وقال ابن تيمية في بعض فتاويه: «وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة، مثل الغوث الذي بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهي ليست موجودة في كتاب الله ولا هي مأثورة عن النبي صلّى الله عليه وآله لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال، فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن عليّ كرّم الله وجهه مرفوعاً إلى النبي (ص) أنه قال: إن فيهم (يعني أهل الشام) الأبدال أربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً، ولا توجد أيضاً في كلام السلف».

وهكذا كوّن الصوفية مملكة باطنية وراء المملكة الظاهرية، إتّخذوا فيها فكرة المهدي، وغيروا ألفاظها، وكمّلوا نظامها، وكلها سبح في الخيال وجَرْيٌ وراء أوهام كلها شعر، ولكنه ليس شعراً لذيذاً، بل هو شعر أفسد على الناس عقائدهم وأعمالهم، وأبعدهم عن المنطق في التصرّف في شؤون الحياة، وقعد بهم عن المطالبة بإصلاح الحكم وتحقيق العدل، فكانوا يهيمون في أودية الخيال، والحكام

يهيمون في أودية الفساد. وكأنهم تواضعوا على ذلك، فالحاكم يُفسد، والشعب يحلم، وحالة الأمّة تسوء، إنتهى كلامه.

أقول: فانظر إلى هذا المكابر كيف يجرؤ على تسطير تلك الإفتراءات ويكيل تلك التهم بلا روية ويستهجن لا بما ثبت من طرق الإمامية وحدهم بل الأمّة جمعاء، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على خبث الباطن ودناءة السريرة وقبح المعتقد الذي يحتضنه بين جنبيه وقد أثبت بمقولته تلك تأثّر مذهبه ومن يلف لفه بالصوفية لا نحن معاشر الشيعة كما سنبيّنه بمزيد من التوضيح في الفقرة التالية.

(العاشر) يضاف إلى ما تقدّم ان في المحكي عن حاشية الكفعمي على مصباحه تهافت ظاهر واضطراب فاحش وذلك في مواضع جلية منه فمن ذلك ما ورد من أن الأرض لا تخلو من القطب وأربعة أوتاد ثم يفسر القطب بالإمام المهدي عليه السلام على الرغم من إجماع المسلمين قاطبة على ان الأرض لم تخلُ من الإمام عليه السلام فقط بل كانت خالية من جميع آبائه إلى النبي صلّى اللّه عليه وآله فكانت قبل أن يكونوا.

وكذا ما ورد في شأن الأوتاد ووصفتهم بأنهم لا تصدر منهم هفوات البشر ثم تعقيبه بما يناقضه في قوله: ولا يشترط فيهم العصمة فإذا كان الأمر كذلك فما الإمتياز الذي يرجحهم على غيرهم إذا انحطوا عن مرتبتهم تلك وما معنى لا تصدر منهم هفوات البشر وهل هذا إلا خرط القتاد وتدافع لا ينجبر بحال من الأحوال.

وملخص القول فيه انه كلام شعري حاكه قصاصي الصوفية الضالّة المضلة ولا معنى له سوى تكثير العبارات وتنميق الكلمات بمعاني جوفاء مصطنعة مرتبكة مهافتة صيغت للضحك بها على عقول البسطاء السذج وإنما استسلقها من استسلقها من علمائنا على غفلة غير متوقعة وزلة غير مرتقبة لكن الذي يهوّن الخطب انهم ما أوردوها إلا استرسالاً وحكاية مجردة دون الإشادة بها والتهويل بأمرها.

(الحادي عشر) إن الذي عثرت عليه بعد الفحص من طرق الشيعة الإمامية هو جملة معدودة من النصوص أسردها كالآتي:

(الأول) ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين:

الأبدال قوم يقيم اللّه بهم الدّين ويُنَزِّلُ الرزق أربعون بالشام وثلاثون في سائر البلدان إذا مات واحد منهم يقوم مقامه مثله ولا يُؤَبّه لهم ويقال واحد منهم بعقبة

حُلْوَان رُبِّيَ بها، اسمه ذُؤَيب بن برتملي ويقال قرأ القرآن وأبدال الشام(١٤٠).

**(الثاني)** ما صرح به الميرزا محمد علي الشيرازي في معيار اللغة: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم بهم يقيم الله عزوجلّ الأرض إذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر(١٤١).

**(الثالث)** ما ذكره فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين:

في الحديث: «إن جامعت ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنه يرجى أن يكون الولد من الأبدال:

الأبدال: قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد أبدلهم الله مكانه آخر.

**(الرابع)** ما قاله الشيخ عباس القمي في سفينة البحار:

باب نادر في أن الأبدال هم الأئمة عليهم السلام، روي عن الخالد بن الهيثم الفارسي قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: ان الناس يزعمون ان في الأرض أبدالاً فمن هؤلاء الأبدال؟ قال: صدقوا الأبدال الأوصياء جعلهم الله عزّوجل في الأرض بدل الأنبياء إذ رفع الأنبياء وختمهم بمحمد صلّى الله عليه وآله (بيان): ظاهر الدعاء المروي عن ام داود عن الصادق عليه السلام في النصف من رجب يدل على مغايرة الأبدال للأئمة عليهم السلام لكن ليس بصريح فيها فيمكن حمله على التأكيد ويحتمل أن يكون المراد به في الدعاء خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام(١٤٢).

أقول: أما كلام الخليل فإنه يشير إلى عدة نقاط:

**(الأولى)** في قوله: «لا يؤبه لهم» أي: خاملون الذكر بعيدون عن الأنظار وعن الشهرة والجاة والمكانة الإجتماعية التي يشار إليها بالبنان ولرثّة معيشتهم وضعة منزلتهم وتجنبهم مظاهر الترف والنعيم لا أحد يصل إلى كنه حقيقتهم وما هم عليه من منزلة روحية عالية تكمن تحت قناعهم الظاهري.

**(الثانية)** في قوله: «قوم يقيم الله بهم الدين وينزل الرزق» هذه المقولة محتملة لعدّة معاني (منها) ان المراد بهم سائر عباد الله المخلصين كما ورد في الحديث القدسي «لو لا شيوخ ركّع وأطفال رضّع وبهائم رتّع لصببتُ عليكم العذاب صبّاً» وما ورد في الكافي بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ان الله تعالى

ليدفع بالمؤمن الواحد عن القرية الفناء وقال: لا يصيب قرية عذاب وفيها سبعة مؤمنين.

و(منها) ان المراد بهم علماء الأمّة كما ورد في بعض التعبيرات في وصفهم بـ «علمائنا الأبدال» ويؤيّده الحديث المروي في شأنهم: «إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلاّ عالم مثله».

و(منها) ان المراد هو خصوص طائفة خاصة وأفراد معدودة لا تتجاوز إلى غيرهم ويدل عليه ما رواه الكشي في رجاله عن الإمام الباقر عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبوذر وعمّار وحذيفة وكان علي عليه السلام يقول: وانا امامهم وهم الّذين صلّوا على فاطمة عليها السلام.

و(منها) ان المراد بهم هو خصوص النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم والأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام، ويدل عليه ما رواه العلامة المجلسي في محكى سفينة البحار والذي تقدمت الإشارة إليه، ويؤيده أدلة انحصار الأئمة في الإثنى عشر بعد عصر الصادع بالرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام وما ورد من الوصية لكل واحد من المتقدم منهم للمتأخّر وكذا أدلة عدم جواز خلوّ الأرض من حجّة وان الأرض لو خليت منه لساخت بأهلها فما يتوفى منهم واحد إلا ويخلفه واحد آخر منهم عليهم السلام على ما هو مشهور من أمرهم وقرينة أخرى تتبادر من حديث الإمام الرضا عليه السلام في قوله: «صدقوا الأبدال الأوصياء. . .» حيث فيه إشعار بتخصيصهم بمن يوصى إليه لتحمل أعباء مهام خاصة وهو أيضاً مما ينطبق على هؤلاء الأئمة تمام الإنطباق فتدبّر.

وأمّا ما ذكره الخليل من عددهم وموافقته فيه لما اشتهر بين العامة فيمكن أن يكون ذلك منه مجاراة للجمهور منهم خصوصاً إذا علمنا انه عاش في ظروف قاسية ومحن مؤلمة وتقيّة شديدة فرضت عليه أن يبالغ في التكتّم على معتقده إلا لمن أمِنَ منه عدم الإفشاء بسره.

يضاف إلى ذلك ان الشيخ عباس القمي روى رواية في مادة «إلياس» في سفينة البحار عن الثعلبي انه روى عن رجل من أهل عسقلان انه كان يمشي بالأردن عند نصف النهار فرأى إلياس النبي فكان فيما سأله: كم الأبدال؟ فقال: ستّون رجلاً

خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلاد كلّما أذهب الله تعالى بواحد منهم جاء سبحانه بآخر بهم يدفع الله عن الناس وبهم يمطرون(١٤٣).

وروى أيضاً شيخ الطائفة بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: اني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا».

وظاهرها الحصر في خصوص الأئمة الإثني عشر على الحقيقة كما يستفاد أيضاً من النص الأول في قوله «معادن دينه» إذ لا معادن للعلم والتأويل والمعرفة سواهم صلوات الله وسلامه عليهم.

## رجال الغيب:

وحكى الشيخ محمد حسين الأعلمي في دائرة معارفه (ج٢ ص٢٧٦) عن العلاّمة المجلسي انه عقد في اختياراته فصلاً في ذكر رجال الغيب وذكرهم في جنّات الخلود ثم أردف كلامه هذا بقوله: «ولم أقف على مستند معتبر في ذلك» فدفعه هذا إلى العزوف عن ذكرهم والإكتفاء بالإشارة إليهم على نحو ما تلوناه لك إلاّ أنه في معرض حديثه عن الأبدال قبل كلامه هذا قد حكى أنّ المراد بالأبدال هم من أصحاب الحجّة ثم قال: وفي عددهم اختلاف ويظهر من حديث انهم ثلاثون رجلاً وفي كل يوم من أيام الشهور العربيّة يسيرون في طرف من العالم ويصلون الفيض إليهم فإذا أراد أحد الشروع في عمل أو سفر فليتوجّه إلى الجهة التي هم فيها ويطلب المدد منهم ويقول بعد البسملة: «السلام عليكم يا رجال الغيب السلام عليكم أيتها الأرواح المقدّسة أغيثوني بغوثة وانظروا إليّ بنظرة يا رُقَباء يا نُقَباء يا نُجَباء يا أبدال يا أوتاد يا غوث يا قطب» ويذكر مطلبه بأيّ لسان شاء ويشرع في العمل أو السفر تُقضى حاجته ثم أورد جدولاً يبيّن الجهات التي يكونون فيها في كل يوم من أيام الشهر في جهات الأرض ففي اليوم الأول والتاسع والسابع عشر والخامس والعشرين في طرف مشرق الأرض وفي اليوم الثاني والعاشر والثامن عشر والسادس والعشرين بين جهتي الشمال والمشرق وفي اليوم الثالث والحادي عشر والتاسع

عشر والسابع والعشرين في جهة الشمال وفي اليوم الرابع والثاني عشر والعشرين والثامن والعشرين ما بين جهتي المغرب والشمال وفي اليوم الخامس والثالث عشر والحادي والعشرين والتاسع والعشرين في جهة المغرب وفي اليوم السادس والرابع عشر والثاني والعشرين والثلاثين ما بين جهتي المغرب والجنوب وفي اليوم السابع والخامس عشر والثالث والعشرين في جهة الجنوب وفي اليوم الثامن والسادس عشر والرابع والعشرين بين جهتي الجنوب والمغرب.

أقول: لا يخفى ما فيه من البعد عن أصول المذهب ومخالفته الصريحة لما هم عليه ومما لا شك فيه انه من عقائد الصوفية العمياء وأذكار تلك الفرقة الضالّة النكراء لعنهم الله أنّى يؤفكون، ولا يبعد أن يكون العلاّمة المجلسي قد ذكر ذلك في اختياراته في بادئ أمره مع الصوفيّة في مدينة اصفهان حيث كان مذهبهم متفشّياً فيها فجهد هو وأبوه الشيخ محمد تقي على كسر شوكتهم وإطفاء نائرتهم وإخماد أنفاسهم بما أوتيا من براعة وحنكة بدءاً بمصانعتهم ومماشاتهم حتى استئصالهم عن بكرة أبيهم وتمّ لهما النجاح المظفّر عليهم وقد أشار إلى ذلك العلاّمة المجلسي نفسه في بعض مصنفاته كرسالة الإعتقادات كما وقفت عليه.

## ظاهرة دعوى السفارة عن الحجة المهدي عليه السلام

قد أشرنا في صدرالكتاب إلى أن الغرض الذي نهدف إلى الوصول إليه من خلال مطالب كتابنا هذا هو دحض وإبطال ظاهرة دعوى السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام والمنع من إمكان وقوعها في عصر الغيبة الكبرى، وبما أنّ هذه الظاهرة متأخّرة عن ظاهرة الغيبة عقائدياً وتاريخياً وزمنياً كرّسنا جهودنا في القسم الأول من الكتاب لبيانها ورفع كل ما يحيط بها من ملابسات وشبهات وما يستدل على إثباتها وصحة وقوعها وإمكانها بالأدلة الشافية المبسوطة فكان ما أسلفنا ذكره فيه مقدمة تمهيدية لما نحن بصدد تناوله واستعراضه في هذا القسم الذي ألمحنا سابقاً إلى تخصيصه لتناول بحوث تلك الظاهرة وها نحن نفي بما وعدنا وننجز ما ذكرنا ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لبلوغ نهايته وإحكام حججه وأدلته والإيفاء بمطالبه ويثيبنا بحسن عائدته وأجر من انتفع به من سائر المؤمنين انه أكرم مقصود وأحق محمود، ونعم المولى والنصير وهو على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

## عدد المدعين للسفارة قبيل الظهور

روى النعماني في كتاب الغيبة: بسنده عن مالك بن ضمرة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا مالك بن ضمرة كيف أنت إذا اختلفت الشيعة هكذا وشبك أصابعه وأدخل بعضها في بعض، فقلت: يا أمير المؤمنين ما عند ذلك من خير؟ قال: الخير كله عند ذلك يا مالك عند ذلك يقوم قائمنا فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله وعلى رسوله فيقتلهم ثم يجمعهم الله على أمر واحد(١٤٤).

أقول: المستفاد من هذا الحديث أنّ ظاهرة دعوى السفارة ستكون السلاح الوحيد الذي سيستفيد منه أعداء الإسلام في الشرق والغرب لابتزاز وتفتيت وحدة صف أبناء مذهب الشيعة الإمامية وأن الحال سيبلغ بهم إلى تجنيد مثل هذا العدد الهائل قبيل الظهور كآخر ورقة يلعبون بها في حربهم ضد الإسلام والمسلمين.

وذلك لأنهم لم يجدوا سلاحاً أمضى وأدق من هذا السلاح فيُقدمون على ذلك لكنهم سيصابون بالفشل الذريع وسيمنون بالهزيمة الساحقة وسيقتل أولئك العملاء عن بكرة أبيهم وستكون الخاتمة للصالح العام كما يومئ إليه قوله عليه السلام: «ثم يجمعهم الله على أمر واحد» أي يجمع من تبعهم على غفلة من أمرهم بعد وضوح الدلائل وثبوت البراهين لديهم على انحراف أولئك المدَّعين وضلالتهم واستئصال الإمام عليه السلام لهم فيذعن على أثر ذلك الجميع وينضوون تحت لواء الإمام عليه السلام ككيان واحد وكتلة متراصة مترابطة متلاحمة.

## الكذابون على الأئمة عليهم السلام

روى الشيخ الكشي في رجاله (ص ٢٥٨ ط النجف) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذّب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق البريّة لهجةً وكان مسيلمة يكذّب عليه وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله وكان الذي يكذبه عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلى بالمختار ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي وبنان فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين عليهما السلام ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسرى وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي

وصائد النهدي فقال: لعنهم الله إنا لا نخلو من كذّاب يكذب علينا أو عاجز الرأي كفانا الله مؤنة كلّ كذّاب وأذاقهم الله حرّ الحديد.

وروى أيضاً في (ص ٢٥٦) بسنده عن أبي يحيى الواسطي قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: كان بنانا يكذب على عليّ بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان مغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان أبو الخطّاب يكذب على أبي عبد الله عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد، والّذي يكذب على محمد بن فرات.

قال أبو يحيى: وكان محمد بن فرات من الكتّاب فقتله إبراهيم بن شكلة.

وفي (ص ٢٥٣) روى عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو قام قائمنا بدأ بكذّابي الشيعة فقتلهم.

## المخططات العملية التي يتبناها المدّعون للسفارة

من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على حقيقة الباطن القذر والقبيح الذي يحتضنه مدعي السفارة بين جنبيه والكشف عن النوايا التي يبيتها في قرارة نفسه ويضمرها ضد المؤمنين الآمنين في سبيل الوصول لأهدافه المشؤومة وتحقيق آماله الخبيثة.

ويمكن إيجاز مجموع تلك المخططات المومأ إليها بما يلي:

١ ـ إثارة الفرقة والشقاق بين الناس وتأليب القلوب على بعضها البعض وإشعال فتيل الفتن والمآسي والسعي في الوقيعة بين جميع الطبقات والفئات لصرف أنظار الرأي العام عن أطروحته في مهدها فلا تحبط ولا يتوجّه إليها احتمال الفشل والإضمحلال من وهلتها الأولى.

وهذا الأمر بمثابة بناء الأرضية الصالحة لاستقبال دعوته وتأصيل جذورها في بعض الأوساط التي يبدر منها حالة الإستساغة والتقبّل لأطروحته بعناوينها العامّة.

٢ ـ اللجوء إلى عوامل الإغراء لاستقطاب الأنصار واستمالة القلوب وبناء القاعدة الجماهيرية للإنطلاق على مستوى الأمّة في حرف العقائد والمفاهيم والمبادئ والقيم السامية العليا ومن أمثلة تلك العوامل اغداق الأموال على ذوي العقول الضعيفة والإيمان المتزلزل لشراء ضمائرهم وتسخير طاقاتهم في سبيل

إنجاح تلك الدعوة الهدّامة.

٣ــ بذل المساعي الحثيثة لإستئصال وجود خصومه الذين يتهدّدون دعوته ويشكّلون خطراً عليه وعلى مساعيه التضليليّة وذلك عن طريق الوقيعة بهم عند الحكام والسلاطين أو دس السم في أطعمتهم أو عن طريق حياكة المؤامرات وتدبير الدسائس لاغتيالهم.

٤ ــ ضبط بعض العلوم الغريبة كتعلّم فنون السحر والشعوذة بما يتأدّى به الغرض الذي يرمى إليه ويسيطر به على ضعاف العقول ويوهمهم بأنها كرامات ومعاجز وهبات ربانية اختصها به سبحانه وتعالى تشريفاً وتكريماً لإعزاز دعوته وإنجاح اطروحته.

٥ ــ ضبط وإتقان ما وسعته طاقته واحتملته مكنته من العلوم الشرعية ومقدماتها من العلوم اللغوية بالقدر الذي يضفي به على اطروحته الهدّامة سمات القداسة وملامح الأصالة ريثما تسنح له الفرصة للإنقضاض بكل قواه على الشريعة نفسها.

٦ ــ اغتصاب الألقاب الدينية المقدّسة ونسبتها إلى نفسه والإيحاء بقداسته وكرامته وسموّ درجته وعلوّ كعبه والتدرّج قدر المستطاع في طرحها لئلا يصاب بنكسة المفاجأة الغير مترقّبة من قبل الناس.

٧ ــ الإتصال بالأحزاب والتكتّلات المعادية للإسلام بقصد إسناده وإسعافه وإبرام العهود والمواثيق معهم على ذلك لعلمه بحقيقة نفسه وفشل دعوته لولا مددهم وتأييدهم وإسعافهم.

٨ ــ التلوّن في العقيدة والمداينة والمصانعة مع الناس فيما يدينون به فكلّما شعر بعزّة وسطوة ونفوذ أبرز عقائده واطروحاته وكلّما حسّ بضعف وخوار في القدرة لوجود معارضة ما تراه يبرز على النقيض من أمره حتى تسمح له الفرص مرّة أخرى لبث سمومه وأفكاره الضالّة.

٩ ــ الإختصاص بثلّة من الحواريين والأخلاء للإشراف على بناء قواعده وخلاياه في ربوع المجتمع لتركيز العمل وتدعيم ميادين نشاطه الفكري بصورة مركزة وفاعلة.

١٠ ــ خلق جوّ خاص له ولحوارييه محاط بهالة من القداسة المصطنعة

الجوفاء للتغطية على باطنهم القذر القبيح وللضحك على أتباعهم البسطاء السذج.

١١ ـ إنتهاك حريم الشريعة المقدّسة وإباحة المحرمات إرضاءاً لنزوات اللقطاء والمرتزقة المحتفّين حوله.

١٢ ـ مسخ القيَم الإسلامية ونسخ الأحكام الشرعية الإسلامية والعبث بها كنتيجة حتمية استهدف الوصول إليها من مجمل أهداف دعوته.

## الدوافع الأساسية وراء دعوى السفارة

ليس من المتصوّر في الحسبان أن تكون تلك الدعوى دعوةً إعتباطية ليس هناك ما يقومها ويسهم في تحقيقها وإنجاحها والإيعاز إلى انتهاجها والثبات عليها.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى القائمين عليها فإنه ليس من المتصوّر أن تكون دوافعهم نحو إنجاحها وبذل المساعي الحثيثة لإشاعتها وتوطيد جذورها وأركانها مجرّد انجراف أعمى وانسياق أجوف لا يرتبط بدوافع خاصة دنيوية من قريب أو بعيد.

وهذا ما سنحاول استكشافه وتسليط المزيد من الأضواء عليه لنقف عن كثب على طبيعة تلك العوامل التي تسهم في إضفاء الحياة على مثل تلك المبادئ الهدّامة.

## الدافع النفسي:

وليس من شك في أن النفس بما تحتله من سهم وافر في التأثير على كيان الفرد بإمكانها أن تقلب المعادلات الخاصة به رأساً على عقب، وهذا ما يمكن إدراكه بجلاء عند ما نقارن بين شخصيتين تمتاز إحداهما بالنفسية المتزنة المهذبة التي تعيش في أجواء تقومها المبادئ السامية والمثل العليا والقيم السمحاء في أعلى مراتبها أو تعيش الإستقرار والإنضباط والثبات ووضوح الرؤيا في أدنى مراتبها وبين شخصية يخيم عليها القلق والإضطراب والخلط والخبط في تحديد الرؤيا الواقعية للحياة وتسبح في عالم بحر الظلمات في مسيرتها الحياتية وتحلّق في عالم الأوهام والخيالات وتغط في أوحال التيه والضياع في آمالها وطموحاتها.

لوجدنا الشخصية الأولى محصنة ومحاطة بمنعة ذاتية عن الإنحراف والإنجراف وراء التيارات الفكرية الهوجاء والتيه، في خضم الأعاصير الإلحادية

العاصفة بين الفينة والأخرى بالمجتمع المنفتح على غيره من المجتمعات.

بينما يمكننا القطع بتهافت الشخصية الثانية وتسابقها على العمل بكل ما تفرزه تلك الخطوط الإنحرافية والإنسياق وراء أهدافها الخبيثة على اتساع رقعه لؤمها وشؤمها وبلائها وخرابها فلا تفوّت فرصة في سلوك سبل الغواية تلك ولا تأل جهداً في الترويج لها وتوطيد جذورها في أنحاء المجتمع.

ودعوى السفارة حالة طبيعية متصوّرة فيمن هذا شأنه وهذا مسلكه وديدنه ومنهجه ـ فلا يستغرب منها ـ والحال هذه الإعلان عن تسنم تلك المرتبة وتقمّص ألقابها والعبث بقداستها والحط من أهدافها المتعالية فهذه نتيجة حتمية لا في خصوص هذا الموضع بل في اغتصاب كل مرتبة ومقام والتصنّع بكل لون والظهور بكل سمة اشتاقت إليها أوهامه وخيالاته فتطبعها على سلوكه وحركاته وسكناته.

## الدافع الخلقي

مهما تعدد تفسير المفهوم الخلقي اللغوي ودورانه بين جملة من الألفاظ مثل السجيّة أو الطبع أو العادة أو الدين أو المروءة أو تفسير المفهوم الخلقي الإصطلاحي ودورانه بين قول القائل بأنه:

ملكة من ملكات النفس تبعث على صدور الأفعال عن الإنسان من دون إمعان فكر أو إعمال رويّة وقول القائل بأنه صورة الإرادة أو غير ذلك.

فإنه يمكننا أن نوجز المفهوم الخلقي بما يتفق مع ذينك المفهومين وبما يشمل شقّيه المحمود منه والمذموم بقولنا: بأن الأخلاق عبارة عن مجموع المفاهيم ونسق الطبائع المبدئية (الإيديولوجيات) التي تفرزها الإنبعاثات الإرادية بشقوقها العقلية والنفسية والروحية فإن كانت تستمد وجودها من أصول كماليّة وأسس مثالية سميت الأخلاق الصادرة عنها بالأخلاق الحميدة الحسنة الجميلة.

وأما إذا كانت تستند في برمجتها إلى أصول مناهضة للفضيلة وتستقي وجودها من مبادئ الرذيلة فإنه تسمى الأخلاق الصادرة عنها بالأخلاق الذميمة أو البذيئة أو القبيحة.

فالأخلاق في صورتها الأخيرة يمكن أن يتصوّر الإنسان معها أشبه شيء بأتون تتقاذف حمم النيران في أحشائه تحاول أن تنفذ إلى خارجه لتحرق كل شيء وذلك لأن الإنسان عند ما تستولي عليه تلك الحالة نجد أنه لا رادع يحجمه ولا وازع

يحجبه عن ارتكاب أيّ رذيلة ومنكر ومحرم ولا يتورع عن البهتان والفرية والزور والكذب ولا حاجز له يحول بينه وبين كافة أنماط التسيّب السلوكي والإنحراف الخلقي.

وموضع استشهادنا من هذا الكلام هو صاحب الشق الثاني المومأ إليه حيث نجد انه من الطبيعي للغاية على أقل التقديرات والإحتمالات أن يدعي زوراً وبهتاناً انه بلغ مرتبة خاصة من المراتب المقدّسة المعروفة التي لا يحق لأحد ادعاءها غير من ثبت النص باختصاصه بها.

## الدافع الإقتصادي (المادي)

روى الشيخ الصدوق (رض) في عقاب الأعمال بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث له انه قال:

كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها فطلبها من حرام فلم يقدر عليها فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا انک قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلک على شيء يكثير به مالک ودنياك ويكثر به تبعک؟ قال: بلى، قال: تبتدع ديناً وتدعو الناس إليه ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه وأصاب من الدنيا ثم انه فكر فقال: بئس ما صنعت، ابتدعت ديناً ودعوث الناس إليه وما أرى لي توبة إلا أن آتى من دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: ان الذي دعوتكم إليه باطل وإنما ابتدعته فجعلوا يقولون كذبت هو الحق ولكنک شككت في دينک فرجعت عنه فلما رأى ذلک عمد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثم جعلها في عنقه وقال: لا أحلها حتى يتوب الله عزّوجل عليّ فأوحى الله إلى نبي من الأنبياء: قل لفلان: وعزّتي لو دعوتني حتى ينقطع أوصالک ما استجبت لک حتى تردّ من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه(١٤٥).

فنجد في هذا النص الروائي كيف أن الحاجة المادية قد ألحت على ذلک الفرد وألجأته إلى ارتكاب تلک الجريمة بحق الإنسانية وتنكر لنفسه وذاته ومسخ من وجوده وكيانه كل شعور ينبض بالخير والمحبة للآخرين في سبيل إشباع نهم نزواته المتعطّشة للإنغماس في الملاذ المادية على حساب التضحية بعقائد الآخرين والعبث بإرادتهم وتسييرها إلى ما فيه تحقيق مصلحته الشخصيّة.

ويمكننا أن نستنتج من هذه الحكاية أنّ عامل الفقر بشكل خاص أو الإقتصادي بنحوٍ عام يمثّل أحد الدوافع المهمّة لابتداع المذاهب والمبادئ المنحرفة الهدّامة في المجتمعات البشرية كافة.

## الدافع العقائدي

من أكبر المسائل التي أولاها الإسلام العناية الفائقة محاربة الجهل بكافة أشكاله وألوانه وأنماطه والسعي الحثيث لاجتناب كل مظاهره من ساحة الفكر ومحيط الفرد وإطارالمجتمع وحدود الدولة ومبلغ ذلك يمكن استقراؤه من خلال تصفّح ما ورد من طريق الشرع بهذا الصدد.

ويكفينا التمثيل بما ورد من النص على حرمة التعرّب بعد الهجرة كشاهد هام على ما نحن فيه قال المحقق الفاضل الشيخ فخر الدين الطريحي: وفيه ـ أي في حديث ـ: «لا تَعَرّب بعد الهجرة» يُرْوى بالعين المهملة يعني الإلتحاق ببلاد الكفر والإقامة بها بعد المهاجرة عنها إلى بلاد الإسلام، وكأنّ من رجع من الهجرة إلى موضعه من غيرعذر يعدّونه كالمرتد.

وفي كلام بعض علمائنا: المتعرّب بعد الهجرة في زماننا هذا أن يشتغل الإنسان بتحصل العلم ثم يتركه ويصير منه غريباً.

ورُوي: «المتعرّب بعد الهجرة التارك لهذا الأمر بعد معرفته» وفي الخبر: «من الكفر التعرّب بعد الهجرة»(١٤٦).

أقول: وهذا التصريح يستفاد منه أمران:

**(أولهما)** أن المراد بالتعرب هو سكنى المواطن التي لا يوجد فيها رافد علمي من كتاب في المعرفة بما يجب عليه الإحاطة به أو استاذ ومعلم يأخذ عنه علمه وما يهمه في أمور دنياه وآخرته أو من يستطرقها ممن يؤخذ منه ذلك والغاية المأخوذة كضابطة في هذا الحكم ناظرة إلى أن سكان الصحاري والجبال والرساتيق والأرياف والقرى التي لا يستطرقها ولا يرتادها أهل العلم وروّاد الفضيلة والمعرفة ولا يوجد اتصال بينها وبين المدن المحتوية عليهم تعاني غالباً من تفشي البدع وغلبة الأهواء والتيارات المنحرفة ونشأة المذاهب الضالّة والعادات والآداب والرسوم والأعراف المستهجنة بل تشكل الأرضية الخصبة لكل من أراد أن يدلو بدلوه في هذا المجال.

**(وثانيهما)** أنّ هذه الحالة قد تتجسّد في وسط المدن الكبيرة والحواضر

المأهولة بأهل العلم وطلاب المعارف الإسلامية وذلك عن طريق فرض العزلة التامة عنهم والتقوقع في دائرة لا تمت إليهم بصلة والعيش في حياة مفرغة بكل معنى الكلمة من أعيانهم وأشخاصهم ووجودهم وآثارهم والتعامي عن التفكير بجميع وجملة ما يرتبط بتحصيل علوم الشريعة من قريب أو بعيد.

فينتج لدينا انه متى وجدت حالة من إحدى هاتين الحالتين كانت الأرضية خصبة للغاية لنشأة تلك الظاهرة المذكورة آنفاً ومهيأة تمام التهيئة لاحتضان كل النوايا الشريرة والأغراض الدنيئة التي يرمي إليها أولئك الضالّون المضلّون من وراء طرح وإعلان دعواتهم الهدّامة المدمرة.

## الدافع السياسي

كان الإسلام ومنذ انبثاق دعوته الإصلاحية العالمية محط سهام قوى معادية مختلفة ومصدر تهديد يقظ مضاجعها ويتوعدها بالويل والثبور بحكم أهدافه الإصلاحية وطبيعة قيمه السامية ومبادئه الكونية ومثله العليا وقد نجم في خاتمة المطاف عن مجمل الصراع المرير بين الإيمان القويم وقوى الإلحاد والشرك السقيم ائتلاف بغيظ ثلاثي بين التكتل الكنيسي المسيحي والتكتل اليهودي والجبهة الإستعمارية القوة الضارية العسكرية فتمكنت بعد جهود مشتركة مكثفة وفي أوائل العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي من إسقاط الإمبراطورية العثمانية وبعثرة العالم الإسلامي إلى اشلاء واقتطاع أجزائه الواسعة وإخضاعها لسلطانها والسيطرة على كل ثرواته وخيراته ومنافعه وسعياً وراء تحكيم جذورها وتوطيد دعائمها وتثبيت وجودها أعقبت هذه المرحلة بتسليط أضواء العمل الموجّه والمنظّم على مراكز الثقل الفكري والتربوي في العالم الإسلامي بدءاً بالحوزات الدينية ومروراً بالمدارس الحكومية ووسائل الإعلام وانتهاءاً بالجامعات العلمية والثقافية والصناعية يضاف إلى ذلك تسخير وسائل الإعلام لتمرير كافة مخططاته المعادية وتبرير خطواته المرحلية وعلى رأسها إثارة الشبهات حول أصالة القيم الإسلامية والتآمر على لغة قرآنه وبعث روح الإستهانة به في نفوس معتنقيه خصوصاً طبقة الشباب المراهق منهم وحرفه عن مساره الإسلامي العقائدي عن طريق إلهائه وإشغال أوقاته في الإنغماس في الملذّات والمعاصي واقتراف الكبائر وفي المقابل إعلاء وتمجيد الفكر المسيحي واليهودي على السواء وقيمهما إلى غير ذلك من

الأمور التي يطول بذكرها الإملاء، لكن نكتفي ههنا بذكر سرد خاطف لأهم الجبهات المعادية التي وقفت ضد الإسلام في وهلته الأولى إلى يومنا هذا.

## الجبهة الماسونية

وتعتبر أعرق ظاهرة إرهابية بشعة لا إنسانية عرفها التاريخ البشري منذ أقدم العهود على الإطلاق وعانى منها أفدح المصائب وقاسى بسببها محن الدمار والإنحطاط العقائدي والتسيب الخلقي والإنحلال الفكري والروحي وقد أنشأها اليهود بادئ بدء للقضاء على الدين المسيحي ومحاربته في الخفاء فلما بزغ نجم الإسلام أضافته إلى قائمة أهدافها ومن أسلحتها التي بدأت بها المال ثم أضافت إليه المرأة ثم الخمر وأنواع القمار ثم المخدرات واللواط وإثارة كافة الرذائل والفواحش كل ذلك بشكل منظّم ومدروس تحت أسماء أندية عالمية مثل نادي الروتاري وجمعية (بناي برث) وغيرهما ثم أضافت إليها حرب التكنولوجيا الغذائية ضد شعوب العالم عن طريق إنشاء مصانع أغذية عالمية تحتوي منتوجاتها على مواد خاصة لتسبيب أمراض مزمنة فتاكة كأمراض التخلف العقلي والتسيّب الخلقي والسكري والسرطان وغيرها.

## الجبهة القيصرية

وكانت تتمثل في شخص الإمبراطورية الروسية القيصرية التي كانت تتبع التكتل المسيحي والعالمي وتشاركه الروحية العدائية ضد الإسلام والمسلمين، وهذه الجبهة وإن كانت قد قضت عليها الثورة الشيوعية بحكم الوجود السياسي الحزبي إلا ان الأخيرة قامت بإثارة خطوط إلحادية في ربوع العالم الإسلامي فزادت في الطين بلة وفي الطنبور نغمة.

ويتمثل المخطط المعادي للإسلام الذي انتهجته روسيا القيصرية في خلق تيارات فكرية وعقائدية منحرفة في أكناف بقاع العالم الإسلامي فبدأت التنفيذ بإرسال جاسوس روسي يدعى (كنياز دالكوركي) إلى طهران سنة ١٨٣٤م وانتهت بنشأة الكشفية ثم البابية ثم القرتية والبهائية.

## الجبهة الشيوعية

جاء في كتاب بروتوكول حكماء صهيون ص ١١٧ ما نصه:

«ان المحفل الماسوني الامريكي الذي يدير الماسونية في العالم وكل أعضائه من اليهود عقد مؤتمراً قرر فيه خمسة أشخاص من أثرياء اليهود تخريب روسيا القيصرية والقضاء عليها وعلى حكمها ثم انشأ حكومة شيوعية بلشفية فيها وقد تبرّع هؤلاء الخمسة بمبلغ مليار دولار وقرروا تضحية مليون يهودي لهذا الغرض».

فأصل الجذور التي نشأ على أعتابها تلك الحركة الشيوعية هي جذور يهودية ماسونية صهيونية، وقد أجهز هذا التكتل الإلحادي البغيض على كل تراث للمسلمين في روسيا، وقد أراق من دمائهم العدد الهائل يضاف إلى ذلك هدم واحتلال مئات بل آلاف الكنائس والمساجد فعلى سبيل المثال كان في روسيا ما يقارب من خمس وعشرين ألف مسجد انخفض هذا العدد الى خمس مائة مسجد بعد هدم أو تبديل الكثير من الأثرية منها إلى حانات للخمور والرقص ومنازل لكوادر الحزب الشيوعي أو إلى مخازن للأسلحة أو دور للبغاء ونحو ذلك بعد إدخال تغييرات عليها.

يضاف إلى ذلك بث روح الإلحاد بكل قيم الإنسانية والمثل العليا النفسية والروحية للبشرية في ربوع العالم الإسلامي وإنشاء حركات سياسية تخريبية هدامة للإستيلاء على الحكم في دول العالم بما فيها الدول الإسلامية تحت شعارات خاوية باسم الدفاع عن حقوق العمّال والطبقة المستضعفة وربما اضطرت معها للتدخل العسكري كما حدث في افغانستان حيث اخمدت روح ما يزيد على المليون مسلم وخلفت أكثر من مليونين معوق وجريح خلال حربها ضد مسلمي ذلك البلد بغرض الدفاع عن الحزب الشيوعي الحاكم هناك.

إلى غير ذلك من الجرائم البشعة التي ارتكبها ذلك الحزب في تاريخه الأسود ضد البشرية والإنسانية وقوانينها وقيمها وأصولها.

## الجبهة الهندوكية

يزعم الهندوكيون بأن بلاد الهند بلادهم وبلاد أجدادهم تماماً كما يدعي اليهود بملكيتهم لفلسطين أرض الأنبياء والديانات السماوية على امتداد تاريخ الإنسان، واستدلوا على ذلك باسم البلاد الذي تحمله وهو (هندوستان) أي: بلاد الهنادكة وينقسمون إلى أربع طبقات رئيسية هي:

البراهمة والكشتريين والويش والشودر ولا يدين أيّ واحد منها بأحد أصول الديانات السماوية وتعتبر عقيدتهم من أقدم الديانات الوضعية البشرية الموجودة

في العالم اليوم ويعتقد الهنادكة كما يعتقد اليهود انهم شعب الآلهة المختار، وان (برماتما) هو رب الأرباب وله ثلاثة أعوان يديرون ملكه وهم برهما وشنو ومهيش وأول كتبهم الدينية كتاب (الركويد) أي العلم الأقدس ثم كتبوا ثلاث كتب اخرى تعرف باسم (ويد) وهي: يجرويد وسام ويد واتهرويد ثم أضافوا إليها كتاباً خامساً أسموه بالويد الخامس أو (بران) وكتبوا تفاسير للويد تعرف باسم اينشدوعنها انبثقت البوذية ثم الجينية ثم الهكسيكية أو السيخية.

والحديث عن جزئيات هذه الديانة وخرافاتها وخزعبلاتها وسخافاتها يخرج بنا عن الغرض الأصلي لهذا الكتاب لكننا نوجزها بعبارة لكاتبة امريكية تدعى (أرثرميلز) حيث كتبت كتاباً بهذا الصدد قالت فيه:

«لا يمكن أن تكون الهند امةً قط حتى تكنس منها الهندوكية مع خرافاتها وطقوسها الحيوانية».

وأما الحديث عن مبلغ عداء هذه الديانة للمسلمين فيتضح من الممارسات التي ارتكبتها الحكومة الهندية منذ أول يوم تم الإعلان فيه عن إستقلال الدولة الهندية من الإستعمار البريطاني سنة ١٩٧٤ م إذ ظن الهنادكة ان معنى الإستقلال هو إفناء المسلمين فارتكبوا المذابح التي يشيب لهولها الأطفال، واقترفوا أعمالاً مخزية تسود أنصع صفحات التاريخ وكانت هذه البادرة العدائية تنبع من حقد دفين لما جره الإسلام للهند من مبادئ مغايرة لعقيدتهم وتمكنه من استقطاب الملايين من بني جنسهم وإخضاع الهند على امتداد رقعتها الشاسعة لحكم المسلمين طيلة فترة متمادية من تاريخ الهند المتأخر، ثم تكررت الحادثة بشن الجيش الهندي حربه على بنغلادش (باكستان الغربية) سنة ١٩٧١ م وأثر انتصاره على الجيش الباكستاني قتل قرابة المائة ألف من طلبة المعاهد الإسلامية وموظفي الدولة، وسجن خمسون ألفاً من العلماء وأساتذة الجامعات وقتل ربع مليون مسلم هندي كانوا قد هاجروا من الهند إلى باكستان قبل الحرب وسلب الجيش الهندي ما قيمته ثلاثون مليار روبية من باكستان من أموال وممتلكات الشعب والدولة. وخلال الفتر المتأخمة لهذين الحدثين حدثت مآسي ومصائب كثيرة تجرع المسلمون الكثير من آلامها وويلاتها.

وإلى يومنا هذا تزداد الغطرسة الهندوكية وجرائمها ضد المسلمين بشكل رهيب في داخل وخارج البلاد وتمارس حالياً بالتعاون مع التنظيمات الهندوكية

الدينية المتطرفة الأدوار العدائية ضد المسلمين ويبلغ بها الحد إلى مصادرة المساجد والجوامع الضخمة للمسلمين في الآونة الأخيرة وتحويلها إلى معابد للهندوك ومجابهة مظاهر الرفض التي يبديها المسلمون جراء ذلك بالقوّات المسلحة وشرط مكافحة الشغب.

## الجبهة المسيحية

كان المسيحيون شأنهم كشأن سائر الديانات الأخرى في التضرر من مجيء الإسلام، ولذا فانهم لم يبقوا مكتوفي الأيدي حيال الإسلام ودعوته ولم يألوا جهداً في مجابهته وشن الحرب عليه وعلى أتباعه ومعتنقيه وقد غطت روح الصراع ومظاهر المجابهة والغارة من قبلهم على العالم الإسلامي بدءاً من الإمبراطورية الرويمة والدولة البيزنطينية ومروراً بالحرب الصليبية وانتهاءاً بالإستعمار الحديث بقوته الرهيبة البشعة شطراً وافراً ورقعة شاسعةً على امتداد التاريخ الإسلامي لحد تصل فيه إلى أيامنا هذه من دون انقطاع يضاف إلى ذلك الحرب الخفية الباردة التي لا زالت تمارسها بإتقان وحنكة فائقة وعلى رأس قائمتها:

١ ــ الإرساليت الخيرية وهي عبارة عن واجهة إنسانية لضمير قذر ولحقد مكين وقلب قاسي وتآمر دفين.

٢ ــ التبشير وهو مظهر للحرب الدينية العلنية ضد الإسلام.

٣ ــ الإستشراق وهو ظاهرة نفاق للتغلغل إلى أعماق جسد الأمّة الإسلامية ومحاولة استكشافية جريئة لكل مقومات الحياة فيها بغرض الوقوف على مواطن الضعف فيها لخلخلة كيانها وبلبلته وجعله فريسةً سهلة يسهل الإنقضاض عليها متى اقتضت الضرورة.

٤ ــ الإستعمار الفكري بكافة ميادينه وشتى صوره وأنماطه.

٥ ــ إحياء الفكر القومي وكان أمضى الأسلحة التي استطاع الإستعمار الغربي والشرقي عن طريق إثارته من إنجاز ما لم تجزه مؤامراته الأخرى.

وكان من أبرز المذاهب التي ركزت على إثارتها وتمكينها في ربوع العالم الإسلامي تلك الجبهة العدائية البغيضة الحركة القاديانية والأحمدية والمهدوية يضاف إليها عدد هائل هنا وهناك من المذاهب الوافدة الدخيلة الهدّامة في زوايا التاريخ الإسلامي العقائدي الحديث.

# (النتيجة)

فالنتيجة التي نستخلصها من خلال العرض المتقدم تؤكد لنا تمام التأكيد على أن تلك الحالة الشاذة إنما هي قائمة على ظاهرة مرضية متأصلة في وجود ذلك الفرد وكاشفة عن سيطرة وغلبة أوبئة مزمنة تجعل الفرد الواقع تحت تأثيرها ينطلق في أنحاء مجتمعه ليجعل من تلك المأساة التي يعيش فيها وحده مأساة عامة ويشاركه فيها الجميع وإذا كان ولابد أن تحرقه بنيرانها فلتحرق الجميع على حساب نزواته وشهواته التي لا تقف عند حد.

وهذه الدوافع إذا حصلت مجتمعة في شخص واحد فإن دعوته تلك تكون في أعلى مراتبها من الخطورة، وأما إذا اجتمع بعضها فإنها تكون في أوسط مراتبها، وأما إذا كان العنصر الفاعل فيها واحداً منها فإنها تكون في أدنى مراتبهاكما لا يخفى.

# الفترات الزمنية

التي نشأت فيها ظاهرة دعوى السفارة وأصحاب تلك الدعوات الضالّة

بالإمكان تصنيف الفترات الزمنية لنشأة ظاهرة دعوى السفارة إلى ثلاث فترات رئيسية:

١ ـــ الفترة الزمنية الأولى (فترة نشأة الظاهرة).

٢ ـــ الفترة الزمنية الثانية (فترة اضمحلال الظاهرة).

٣ ـــ الفترة الزمنية الثالثة (فترة معاودة الظاهرة).

# الفترة الزمنية الأولى

## فترة نشأة الظاهرة وتنامي حركتها في المجتمع الشيعي:

المستفاد من المرويات التي تعرضت لهذه الظاهرة أن المدعين للسفارة زوراً وافتراء قد بدأت عناصرهم تظهر في عهد السفير الثاني محمد بن عثمان العمري رضي الله تعالى عنه الذي استمرت سفارته أكثر من عشرين عاماً، وادعاها في عهده الحسين أبو محمد الشريعي وهو أول من ادعاها من المفترين الكذّابين ثم محمد بن نصير النميري وأحمد بن هلال الكرخي، وأبو طاهر محمد بن بلال البلالي وإبن أخي العمري محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي وإسحاق الأحمر ورجل

يُعْرَف بالباقطاني.

وقد كان بعضهم من الصالحين في مبدأ أمرهم، ومن أصحاب الإمامَيْن الهادي والعسكري عليهما السلام، فانحرفوا وسلكوا مسلك التزوير. فجابههم العمري رضي الله عنه بكل قوّة وانتصر عليهم، وخرجت من المهدي عليه السلام التواقيع والبيانات بلعنهم والبراءة منهم، والتأكيد على كذب سفارتهم وسوء سريرتهم.

وأما الشيخ الحسين بن روح السفير الثالث، فقد ابتلى بأشدّهم تأثيراً وأوسعهم أصحاباً: محمد بن علي الشلمغاني العزاقري. وكان في مبدأ أمره مؤمناً مستقيماً، بل وكيلاً لإبن روح. ثم ظهر انحرافه وسقم عقيدته على ما سيأتي تفصيله.

وآخرهم في دعوى السفارة الكاذبة ــ على ما يظهر من عبارة الشيخ الطوسي ــ: أبو دلف الكاتب، حيث كان على ذلك الى ما بعد وفاة السمري السفير الرابع. قال الراوي: فلعنّاه وبرئنا منه، لأن عندنا كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضال مضلّ.

بقي شخص ممن نسبت إليه دعوى السفارة، هو الحسين بن منصور الحلاج، المعروف بمذهبه الصوفي. وله في هذه الدعوى مكاتبة مع أبي سهل بن إسماعيل بن علي النوبختي.. كشفه فيها أبو سهل وأفحمه، ولم يعيّن تاريخ هذه المكاتبة، إلا انها كانت ــ على المظنون في زمن الحسين بن روح.

فهؤلاء هم الذين قامت حركة التزوير على أيديهم، فلابدّ من التعرض إليهم، في حدود ما دل عليه تاريخنا.. معتمدين نفس الترتيب الذي ذكرناه في تعدادهم، فإنه يرجع إلى ناحية تسلسلهم في تاريخ دعوى السفارة، في الجملة.

**اولهم: أبو محمد الشريعي: قال الراوي:** أظن إسمه كان الحسن، وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام، ثم أصبح من أصحاب الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

ثم انحرف بعد ذلك ، وكان أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلاً له، وكذب على الله تعالى وعلى حججه عليهم السلام، ونسب إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء. فلعنته الشيعة وتبرأت منه. وخرج توقيع الإمام عليه السلام

بلعنه والبراءة منه . ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد .

**ثانيهم: محمد بن نصير النميري الفهري**، كان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، فانحرف وافتتن، وأصبح يتذرع بسابق صحبته للإمام العسكري عليه السلام، في تحصيل الربح المادي والمنفعة الشخصيةبالضحك على عقول العوام.

فكتب الإمام العسكري عليه السلام كتاباً شديد اللهجة ضده وضد شخص آخر يدعى بابن بابا القمي ويسمى الحسن بن محمد. . يكشف فيه انحرافهما ويظهر البراءة منهما، ويقول مخاطباً أحد أصحابه: أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي. فأبرأ منهما، فاني محذرك وجميع موالي، واني ألعنهما، عليهما لعنة الله، مستأكلين، يأكلان بنا الناس، فتانين مؤذيين، آذاهما الله، أرسلهما في اللعنة وأركسهما في الفتنة ركساً، إلى آخر بيانه عليه السلام.

وكان يدعي انه رسول نبي، وان علي بن محمد الهادي عليه السلام أرسله وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن ـــ الهادي عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم ان ذلك من التواضع والإخبات والتذلل في المفعول به وانه من الفاعل إحدى الشهوات والطيّبات، وان الله لا يحرم شيئاً من ذلك، ورآه بعض الناس وغلام له على ظهره، قال الراوي: فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: ان هذا من اللذّات، وهو من التواضع لله وترك التجبّر.

وتبعه في أقواله جماعة، سموا بالنميرية، ذكروا ان منهم: محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، وهو لا محالة، والد علي بن محمد بن موسى بن الفرات الذي وزر بعد ذلك للمقتدر المعاصر لسفارة ابن روح استوزره عام ٢٩٩هـ. وبقي ما يزيد على الثلاث سنين في الوزارة، فمن هذا يظهر كيف تؤيد السلطات خط الإنحراف الداخلي عن الأئمة عليهم السلام، بنحو خفي لا يكاد يلتفت إليه.

وعلى أيّ حال، فإنه حين اعتل محمد بن نصير النميري العلة التي توفي فيها، قيل له ـــ وهو مثقل اللسان ـــ: لمن الأمر من بعدك؟! فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدروا من هو، فافترقوا بعده ثلاث فرق: قالت فرقة: انه أحمد إبنه، وفرقة قالت: هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات ؛وهو أخو علي بن محمد بن

موسى وزير المقتدر» وفرقة قالت: انه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء.

**ثالثهم: احمد بن هلال الكرخي العبرتائي**، ولد عام ١٨٠ للهجرة وتوفي عام ٢٦٧ هـ أي أنه عاصر الإمام الرضا عليه السلام ومن بعده حتى الإمام العسكري عليه السلام الذي توفى عام ٢٦٠هـ كما عرفنا وعاصر الغيبة الصغرى لمدة سبع سنوات، ادعى خلالها الوكالة عن المهدي زوراً وبهتاناً.

له كتاب يوم وليلة، كتاب نوادر، يرويه النجاشي في رجاله عنه بسنده إليه، اتخذ مسلك التصوّف، وحج أربعاً وخمسين حجة عشرون منها على قدميه، لقيه محدثوا الشيعة في العراق وكتبوا عنه، ذمّه الإمام العسكري عليه السلام، على ما روي عنه وبعده تولى الامام المهدي عليه السلام التحذير منه، فكتب إلى قوامه بالعراق: احذروا الصوفي المتصنّع، وورد على القاسم بن العلا، نسخة ما كان خرج من لعن إبن هلال.

فأنكر رواة أصحابنا بالعراق ذلك، لما كانوا قد كتبوا من رواياته فحملوا القاسم بن العلا على أن يراجع في أمره، فخرج إليه من الإمام المهدي عليه السلام بيان مفصّل، نصّه:

«قد كان أمرنا نفذ إليك في المتصنّع إبن هلال ـ لا رحمه الله ـ بما قد علمت، ولم يزل ـ لا غفر الله ذنبه ولا أقال عثرته ـ يداخلنا في أمرنا بلا إذن منا ولا رضى، يستبد برأيه فيتحامى ديوننا، لا يمضي من أمرنا إياه إلا بما يهواه ويريده، أرداه الله في ذلك في نار جهنم فصبرنا عليه حتى بتر الله بدعوتنا عمره، وكنا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه ـ لا رحمه الله ـ وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاص من موالينا، ونحن نبرأ إلى الله من إبن هلال، لا رحمه الله ولا ممّن لا يبرأ منه، واعلم الإسحاقي سلمه الله وأهل بيته بما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه من أهل بلده والخارجين ومن كان يستحق أن يطلع على ذلك. فإنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما روي عنا ثقاتنا. قد عرفوا بأننا نفاوضهم بسرنا ونحمله إياه إليهم، وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى.

وواضح من هذا البيان انه صادر بعد موت إبن هلال، ولعله مات بعد التوقيع السابق وقبل هذا البيان، كما انه يتضح منه ان ابن هلال كان يتلقى الأوامر من الإمام

المهدي عليه السلام ــ ولو بالواسطة ــ إلا انه كان يستبدّ برأيه فيها، ولا يطبق منها إلا ما يريد وكيف يريد فدعا عليه الإمام المهدي عليه السلام فبترالله عمره..

وعلى أي حال، فقد ثبت قوم على إنكار ما خرج فيه، ولم يفد فيهم هذا القول البليغ، فعاودوا القاسم بن العلا على أن يراجع فيه، فخرج إليهم من الإمام المهدي عليه السلام.

«لا شكر الله قدره، لم يدع المرزءة بأن لا يزيغ قلبه بعد أن هداه، وأن يجعل ما من به عليه مستقراً ولا يجعله مستودعاً. وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان ــ لعنه الله ــ وخدمته وطول صحبته فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولم يمهله، والحمد لله لا شريك له وصلى الله على محمد وآله وسلم».

والذي يظهر من تاريخنا ان ابن هلال بقي مؤمناً صالحاً، خلال سفارة السفير الأول، ولكنه بمجرد أن ذهب السفير الأول إلى ربه بدأ بالتشكيك بسفارة السفير الثاني، بحجة إنكار النص عليه من قبل الإمام العسكري عليه السلام، ويقول: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه ــ يعني عثمان بن سعيد ــ فأما ان أقطع ان أبا جعفر وكيل صاحب الزمان، فلا أجسر عليه، فقالوا قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرءوا منه.

وترتب على تشكيكه هذا في أبي جعفر رضي الله عنه، عدم دفعه أموال الإمام عليه السلام إليه وعصيانه للأوامر الصادرة منه عن المهدي عليه السلام، مما أدى به إلى منزلق الكفر والجحود.

**رابعهم: محمد بن علي بن بلال، أبو طاهر، البلالي.** كان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وعدّه إبن طاووس من الأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي عليه السلام فيهم، إلا ان الشيخ الطوسي ذكره في المذمومين الذين ادعوا البابية، وتوقف العلامة الحلي فيما يرويه من أجل ذلك أيضاً.

قال الشيخ: وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ــ نضر الله وجهه ــ وتمسكه بالأموال التي كانت عنده للإمام عليه السلام، وامتناعه من تسليمها وادعاؤه انه هو الوكيل، حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان ما هو معروف.

وقد كان له جماعة من الأصحاب والمؤيّدين، منهم أخوه أبو الطيب وابن حرز ورجل من أصحابنا، وقد انفصل منه هذا الأخير، لما نذكره فيما يلي.

وقد جاهد أبو جعفر العمري رضي الله عنه، واستعمل الأساليب لردعه وتقويم انحرافه، وأخذ الأموال منه لإيصالها إلى الإمام عليه السلام، فلم يفلح وبقي إبن بلال على انحرافه وتمسكه بالأموال والأصحاب.

فمن ذلك: ان أبا جعفر قصد ابن بلال في داره، وكان عنده جماعة، فيهم أخوه أبو الطيب وابن حرز، فدخل الغلام فقال: أبو جعفر العمري على الباب. ففزعت الجماعة لذلك وأنكرته للحال التي كانت جرت، ولم يستطع ابن بلال أن يحجبه، فقال: يدخل.

فدخل أبو جعفر رضي الله عنه. فقام له أبو طاهر والجماعة وجلس في صدر المجلس، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه، فأمهلهم إلى أن سكتوا. ثم قال العمري: يا أبا طاهر أنشدتك بالله ألم يأمرك صاحب الزمان بحمل ما عندك من المال إلي فقال إبن بلال: اللهم نعم، فنهض أبو جعفر رضي الله عنه منصرفاً ووقعت على القوم سكتة، فلما تجلت عنهم قال له أخوه أبو الطيب: من أين رأيت صاحب الزمان؟ فقال أبو طاهر: أدخلني أبو جعفر إلى بعض دوره، فأشرف علي ـ يعني صاحب الزمان ـ من علوّ داره فأمرني بحمل ما عند من المال إليه ـ يعني إلى العمري ـ. فقال له أبو الطيب: ومن أين علمت انه صاحب الزمان: قال: قد وقع علي من الهيبة له، ودخلني من الرعب منه، ما علمت انه صاحب الزمان عليه السلام، قال ذلك الرجل من أصحابنا: فكان هذا سبب انقطاعي عنه.

**خامسهم: محمد بن أحمد بن عثمان أبوبكر المعروف بالبغدادي،** إبن أخي أبي جعفر العمري السفير الثاني رضي الله عنه. وحفيد عثمان بن سعيد السفير الأول رضي الله عنه.

وأمره في قلة العلم والمروة أشهر من أن يذكر، كان معروفاً لدى عمه أبي جعفر العمري بالإنحراف.

ادعى السفارة، وكان له أصحاب، منهم أبو دلف محمد بن المظفر الكاتب، وقد كان في ابتداء أمره مخمساً مشهوراً بذلك، لأنه كان تربية الكرخيين وتلميذهم وصنيعتهم، وكان الكرخيون مخمسة، لا يشك في ذلك أحد من الشيعة، وقد كان

أبو دلف يقول ذلك ويعترف به، ويقول: نقلني سيدنا الشيخ الصالح، قدس الله روحه ونوّر ضريحه، عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح، يعني أبابكر البغدادي، وسيأتي الكلام على أبي دلف مستقلاً فيما يلي.

ثم أن أبابكر البغدادي، حين أرسل عليه وجوه الخاصة وعلمائهم وسألوه عن دعواه السفارة، أنكر ذلك وحلف عليه، وقال: ليس إليّ من هذا الأمر شيء، وعرض عليه مال، لكي يأخذه بالوكالة عن الإمام المهدي عليه السلام، امتحاناً، فأبى وقال: محرم عليّ أخذ شيء منه، فإنه ليس إليّ من هذا الأمر شيء، ولا ادعيت شيئاً من هذا.

قال الراوي: فلما دخل بغداد، مال إليه ـ أبو دلف الكاتب ـ وعدل عن الطائفة وأوصى إليه، لم نشك أنه على مذهبه، فلعناه وبرئنا منه، لأن عندنا ان كل من ادعى الأمر بعد السمري، فهو كافر منمس ضال مضلّ.

وكان أبو دلف هذا، يدافع عن أبي بكر البغدادي ويفضله على أبي القاسم الحسين بن روح وعلى غيره، فلما قيل له في وجه ذلك قال: لأن أبا جعفر محمد بن عثمان قدم اسمه على إسمه في وصيته فقلت له: فالمنصور أفضل من مولانا أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: وكيف؟ قلت: لأن الصادق عليه السلام قدم اسمه على اسمه في الوصية فقال لي: أنت تتعصب على سيدنا ومولانا وتعاديه، فقلت: والخلق كلهم تعادي أبابكر البغدادي وتتعصب عليه غيرك وحدك وكدنا نتقاتل ونأخذ بالأزياق.

وحكي انه توكل لليزيدي بالبصرة، فبقي في خدمته مدة طويلة وجمع مالاً عظيماً، فسعي به إلى اليزيدي، فقبض عليه وصادره، وضربه على امّ رأسه حتى نزل الماء من عينيه، فمات أبوبكر ضريراً.

ولم يذكر التاريخ عام وفاته، إلا اننا يمكن أن نستنتج من بعض ما سبق، أنه كان موجوداً خلال سفارة الحسين بن روح، فإنه أوصى إلى أبي دلف الكاتب بعده، فأصبح أبو دلف مدعياً للسفارة بعد السمري فيكون أبوبكر البغدادي قد مات في زمان مناسب مع هذه الوصية والله العالم.

**سادسهم وسابعهم: إسحاق الأحمر والباقطاني:** روى في البحار بسنده عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده مرفوعاً إلى أحمد الدينوري، انه حمل من

أموال الشعب الموالي في الدينور ستة عشر ألف دينار، إلى بغداد. ويحث عمن أشير إليه بالنيابة، وآخر: يعرف بإسحاق الأحمر يدعي النيابة، وآخر يعرف بأبي جعفر العمري يدعي النيابة.

قال: فبدأت بالباقطاني، وصرت إليه فوجدته شيخاً مهيباً له مروة ظاهرة وفرس عربي وغلمان كثير، ويجتمع الناس يتناظرون قال: فدخلت إليه، وسلّمت عليه، فرحّب وقرب وسرّ وبر، وقال: فأطلت القعود إلى أن خرج أكثر الناس، قال: فسألني عن ديني فعرفته اني رجل من أهل الدينور وافيت ومعي شيء من المال، أحتاج أن أسلمه، فقلت: أريد حجة ـ يعني برهاناً على صحة سفارته التي يدعيها، فلما اعوزه ذلك ـ قال: تعود إليّ في غد. قال: فعدت إليه من الغد، فلم يأت بحجة، وعدت إليه في اليوم الثالث، فلم يأت بحجة قال: فصرت إلى إسحاق الأحمر، فوجدته شاباً نظيفاً، منزله أكثر من منزل الباقطاني، وفرسه ولباسه ومروته أسرى وغلمانه أكثر من غلمانه، ويجتمع عنده من الناس أكثر مما يجتمع عند الباقطاني، قال: فدخلت وسلمت، فرحب وقرب، قال: فصبرت إلى أن خف الناس قال: فسألني عن حاجتي، فقلت له كما قلت للباقطاني، وعدت إليه بعد ثلاثة أيام، فلم يأت بحجة.

قال: فصرت إلى أبي جعفر العمري، فوجدته شيخاً متواضعاً عليه مبطنة بيضاء، قاعل على لبد في بيت صغير ليس له غلمان ولا له من المروة والفرس ما وجدت لغيره قال: فسلمت فردّ الجواب وأدناني وبسط مني ثم سألني عن حالي فعرفته انّي وافيت من الجبل وحملت مالاً قال: فقال: إن أحببت أن يصل هذا الشيء إلى من يجب أن يصل إليه تخرج إلى سرّ من رأى وتسأل عن فلان بن فلان الوكيل وكانت دار ابن الرضا عامرة بأهلها فإنك تجد هناك ما تريد، قال: فخرجت من عنده ومضيت نحو سرّ من رأى وصرت إلى دار إبن الرضا وسألت عن الوكيل فذكر البوّاب انّه مشتغل في الدار وانه يخرج آنفاً فقعدت على الباب أنتظر خروجه فخرج بعد ساعة فقمت وسلمت عليه وأخذ بيدي إلى بيت كان له وسألني عن حالي وما وردت له فعرفته اني حملت شيئاً من المال من ناحية الجبل وأحتاج أن أسلّمه بحجّة قال: فقال: نعم ثم قدم إليّ طعاماً وقال: تغدّ بهذا واسترح فانك تعبت فإنّ بيننا وبين صلاة الأولى ساعة فإني أحمل إليك ما تريد، قال: فأكلت ونمت، فلمّا

كان وقت الصلاة نهضت وصلّيت وذهبت إلى المشرعة فاغتسلت وانصرفت إلى بيت الرجل وسكت إلى أن مضى من الليل ربعه ومعه درج فيه بسم الله الرحمن الرحيم وافى أحمد بن محمّد الدينوري حمل ستّة عشر ألف دينار في كذا وكذا صرّة فيها صرّة فلان بن فلان كذا وكذا ديناراً إلى انّ عدد الصرر كلها وصرّة فلان بن فلان الذراع ستة عشر ديناراً، قال: فوسوس إليَّ الشيطان فقلت: ان سيّدي أعلم بهذا منّي فما زلت أقرأ ذكره صرّة صرّة وذكر صاحبها حتى أتيت عليها عند آخرها ثم ذكر قد حمل من قرميسين من عند أحمد بن الحسن المادرائي أخي الصوّاف كيس فيه ألف دينار وكذا وكذا تختاً من الثياب منها ثوب فلان وثوب لونه كذا حتى نسب الثياب إلى آخرها بأنسابها وألوانها، قال: فحمدت الله وشكرته على ما منّ به عليَّ من أزالة الشكّ عن قلبي فأمر بتسليم جميع ما حملت إلى حيث يأمرك أبو جعفر العمري قال: فانصرفت إلى بغداد وصرت إلى أبي جعفر العمري قال: وكان خروجي وانصرافي في ثلاثة أيام قال: فلما بصر بي أبو جعفر قال: لِمَ لَمْ تخرج؟ فقلت: يا سيّدي من سرّ من رأى انصرفت قال: فأنا احدث أبا جعفر بهذا إذ وردت ترفعه على أبي جعفر العمري من مولانا صاحب الأمر صلوات الله عليه ومعها درج مثل الدرج الذي كان معي فيه ذكر المال والثياب وأمر أن يسلم جميع ذلك إلى أبي جعفر محمد بن أحمد القطان القمي فليس أبو جعفر العمري ثيابه وقال لي: احمل ما معك إلى منزل محمد بن أحمد بن جعفر القطّان القمي قال: فحملت المال والثياب إلى منزل محمّد بن أحمد بن جعفر القطّان وسلّمتها إليه وخرجت إلى الحجّ فلما رجعت إلى دينور اجتمع عندي الناس فأخرجت الدرج الذي أخرجه وكيل مولانا صلوات الله عليه إليّ وقرأته على القوم فلما سمع بذكر الصرّة باسم الذراع سقط مغشياً عليه وما زلنا نعلّله حتى أفاق فلما أفاق سجد شكراً لله عزّوجل وقال: الحمد لله الذي منَّ علينا بالهداية الآن علمت ان الأرض لا تخلو من حجة هذه الصرّة دفعها والله إليَّ هذا الذراع لم يقف على ذلك إلا الله عزّوجل قال: فخرجت ولقيت بعد ذلك أبا الحسن المادرائي وعرفته الخبر وقرأت عليه الدرج فقال: يا سبحان الله ما شككت في شيء فلا تشكّ في ان الله عزّوجل لا يخلي أرضه من حجته اعلم انّه لما غزا اذكوتكين يزيد بن عبد الله بشهر زور وظفر ببلاده واحتوى على خزائنه صار إلى رجل وذكر انّ يزيد بن عبد الله جعل الفرس الفلاني والسيف

الفلاني في باب مولانا عليه السلام قال: فجعلت أنقل خزاين يزيد بن عبد الله إلى اذكوتكين أولا فأولا وكنت ادافع بالفرس والسيف إلى أن لم يبق شيء غيرهما وكنت أرجو أن اخلّص ذلك لمولانا عليه السلام فلمّا اشتدّت مطالبة اذكوتكين إيّاي ولم يمكني مدافعته جعلت في السيف والفرس في نفسي ألف دينار ووزنتها ودفعتها إلى الخازن وقلت له ارفع هذه الدنانير في أوثق مكان ولا تخرجنّ إليّ في حال من الأحوال ولو اشتدّت الحاجة إليها وسلمت الفرس والسيف قال: فأنا قاعد في مجلسي بالذي أبرم الأمور وأوفى القصص وأمر وأنهى إذ دخل أبو الحسن الأسدي وكان يتعاهدني الوقت بعد الوقت وكنت أقصي حوايجه فلما طال جلوسه وعلى بؤس كثير قلت له: ما حاجتك؟ قال: أحتاج منك إلى خلوة فأمرت الخازن أن يهيّىء لنا مكاناً من الخزانة فدخلنا الخزانة فأخرج إليّ رقعة صغيرة من مولانا عليه السلام فيها: يا أحمد بن الحسن الألف دينار الّتي لنا عندك ثمن الفرس والسيف سلّمها إلى أبي الحسن الأسدي قال: فخررت للّه ساجداً شكراً لما منّ به عليّ وعرفت انه حجة اللّه حقاً لأنه لم يكن وقف على هذا أحد غيري فأضفت إلى ذلك المال ثلاثة آلاف دينار أخرى سروراً بما منّ اللّه عليّ بهذا الأمر.

**ثامنهم: محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقري. ابو جعفر.** نسبته إلى شلمغان، وهي قرية بنواحي واسط.

كان شيخاً مستقيم العقيدة والسلوك صالحاً متقدماً في اصحابنا حتى ان الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح نصبه وكيلاً عنه عند استتاره من المقتدر. وكان الناس يقصدونه ويلقونه في حوائجهم ومهماتهم. وكانت تخرج على يده التوقيعات من الامام المهدي عليه السلام عن طريق إبن روح.

له من الكتب التي عملها في حال الاستقامة: كتاب التكليف. قال الشيخ الطوسي: اخبرنا به جماعة من أبي جعفر إبن بابويه عن أبيه عنه الا حديثاً واحداً منه في باب الشهادات انه يجوز للرجل ان يشهد لاخيه إذا كان له شاهد واحد من غير علم. كان الشلمغاني يكتب باباً باباً من هذا الكتاب، ويعرضه على الشيخ ابي القاسم رضي اللّه عنه فيحككه، فإذا صح الباب خرج فنقله وأمرنا بنسخه. يعني أمرهم إبن روح فكثرت نسخه عند الأصحاب.

وفي رواية اخرى: أنه لما إنتهى من الكتاب طلبه إبن روح لينظر فيه. فجاؤا به

فقرأه من أوله إلى آخره، فقال: ما فيه شيء إلا وقد روى الائمة عليهم السلام إلا موضعين أو ثلاثة، فإنه كذب عليهم في روايتهما لعنه الله.

وله كتاب «التأديب» أخذه الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه منه، وأنفذ الكتاب إلى قم، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها، وقال لهم: انظروا في هذا الكتاب وانظروا أفيه شيء يخالفكم، فكتبوا إليه: انه كله صحيح، وما فيه شيء يخالف، إلا قوله: الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام، والطعام عندنا مثل الشعير كل واحد صاع.

فمن هنا نجد ان في كل من هذين الكتابين، قد دس الشلمغاني فرعاً فقهياً مخالفاً لما عليه مذهب الأصحاب، ويمكن أن نفهم وضوح ذلك لإبن روح رضي الله عنه، حين كان يتوجس من كتب الشلمغاني، فيحاول أن يشرف عليها أو يعرضها على الموثوقين من أصحابه وعلماء مذهبه.

وللشلمغاني أيضاً كتاب الغيبة، روى عنه الشيخ الطوسي في الغيبة، وله كتاب الأوصياء، روى عنه الشيخ أيضاً في الغيبة. وله عدّة كتب أخرى رواها النجاشي في رجاله، ولم يعلم ان هذه الكتب، مما كتبه في حال إستقامته أو بعد إنحرافه.

ثم انه حمله الحسد لأبي القاسم بن روح، على ترك المذهب، والدخول في المذاهب الرديّة وظهر منه مقالات منكرة وأصبح غالياً يعتقد بالتناسخ وحلول الألوهية فيه.

وكان من عقائده انه يعتقد القول بحمل الضد، ومعناه انه لا يتهيأ إظهار فضيلة للولي إلا بطعن الضد فيه، لأنه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته، فإذا هو أفضل من الولي، إذ لا يتهيأ إظهار الفضل إلا به، وساقوا المذهب من وقت آدم الأول إلى آدم السابع، لأنهم قالوا: سبع عوالم وسبع أوادم، ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمد وعلي مع أبي بكر ومعاوية.

قال أبوعلي بن همام: سمعت محمد بن علي العزاقري الشلمغاني يقول: الحق واحد، وإنما تختلف قمصه، فيوم يكون في أبيض ويوم يكون في أحمر ويوم يكون في أزرق، قال ابن همام: فهذا أول ما أنكرته من قوله، لأنه قول أصحاب الحلول.

وكان يقول لأصحابه وتابعيه: ان روح رسول الله صلّى الله عليه وآله انتقلت إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه، وروح أمير المؤمنين علي عليه السلام انتقلت إلى بدن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه، وروح فاطمة الزهراء عليها السلام انتقلت إلى ام كلثوم بنت أبي جعفر العمري رضي الله عنهما، وكان يزعم لهم ان هذا سر عظيم ويأخذ عليهم أن لا يكشفوه لأحد، إلى معتقدات غريبة أخرى لا حاجة إلى الإسهاب فيها.

وكان خروج التوقيع ضده عام اثنى عشر وثلاثمائة، يقول الإمام المهدي عليه السلام فيه: «ان محمد بن علي المعروف بالشلمغاني، وهو ممن عجل الله له النقمة، ولا أمهله، قد ارتد عن الإسلام وفارق، وألحد في دين الله، وادعى ما كفر معه بالخالق جل وعلا وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً.

واننا قد برئنا إلى الله تعالى وإلى رسوله وآله صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليهم منه، ولعناه عليه لعائن الله تترى من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال، وعلى من شايعه وتابعه أو بلغه هذا القول منا وأقام على توليه بعده.

وأعلمهم اننا من التوقي والمحاذرة منه على ما كنا عليه ممن تقدمه من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم، وعادة الله عندنا جميلة، وبه نثق، وإياه نستعين وهو حسبنا في كل أمورنا ونعم الوكيل».

وقد صدر هذا التوقيع حين القي القبض على الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه، وأنفذه من السجن في دار المقتدر إلى أحد أصحابه: شيخنا أبو علي بن همام، فوزعه أبو علي توزيعاً عاماً، ولم يدع أحداً من الشيوخ إلا أقرأه إياه وكتب بنسخته إلى سائر الأمصار، فاشتهر ذلك في الطائفة، فاجتمعت على لعنه والبراءة منه.

قال الراوي: وجدت بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه، على ظهر كتاب فيه جوابات ومسائل أنفذت إلى قم، يسأل عنها: هل هي جوابات الفقيه عليه السلام ـــ يعني الإمام المهدي عليه السلام ـــ أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني لأنه حكي عنه انه قال: هذه المسائل

أنا أجبت عنها، فكتب إليهم على ظهر كتابهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمنته فجميعه جوابنا، ولا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري ــ لعنه الله ــ في حرف منه، وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن بلال وغيره من نظرائه، وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنة الله».

وأراد الراوي أن يتأكد، عما إذا كان ما خرج من هؤلاء المنحرفين قبل إنحرافهم عن الإمام المهدي عليه السلام، هل هو صحيح أو مزور أيضاً؟

قال الراوي: فاستثبت قديماً من ذلك، فخرج الجواب: «على من استثبت، فإنه لا ضرر من خروج ما خرج على أيديهم، وان ذلك صحيح» أي بمعنى انه لا تنافي بين الإنحراف المتأخّر وصحة القول والنقل المتقدم حال إيمان الفرد واستقامته.

ومثل هذا التثبت، ما سئل الشيخ ابن روح رضي الله عنه، عن كتب إبن أبي العزاقر بعد ما ذم وخرجت فيه اللعنة، فقيل له: فكيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملاء، فقال: أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد سئل عن كتب بني فضال فقالوا: كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء، فقال صلوات الله عليه خذوا بما رووا وذروا ما رأوا.

فنرى ضرورة إبن روح يعقد أن المقارنة ما بين كتب العزاقري وكتب بني فضال، حيث يفهم من كلام الإمام العسكري عليه السلام قاعدة عامة، وهي: إن الإنحراف في العقيدة لا ينافي إمكان صحة الرواية.

فما على الفرد إلا أن يأخذ بما رووا من أخبار ويدع ما رأوا واعتقدوا من العقائد المنحرفة والطرق الضالّة، لا يفرق في ذلك بين بني فضال وابن أبي العزاقر.

وحين أحس الشلمغاني بالتحدي والمجابهة من قبل الشيخ ابن روح والمجتمع الموالي له، أراد أن يباهل ابن روح حتى يضع المجتمع أمام حد الواقع، وذلك: انه بعد أن اشتهر أمره وتبرأ منه ابن روح، اجتمع الشلمغاني بجماعة من رؤساء الشيعة في مجلس الوزير ابن مقله ــ وزير الراضي عام ٣٢٢ هـ ــ فوجد ان كل فرد منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه، فقال: أجمعوا بيني وبينه

حتى آخذ بيده وبأخذ بيدي فإن لم تنزل عليه نار من السماء تحرقه، وإلا فجميع ما قاله في حق.

فبلغ ذلك إلى الراضي، فأمر بالقبض عليه، وقتله فقتل وصلب ثم أحرق بالنار واستراحت الشيعة منه وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

**تاسعهم: الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المشهور،** وقد كان من أمر ادعائه انه لما قدم بغداد أراد أن يغري أبا سهل بن إسماعيل بن علي النوبختي، وهو من علمائنا الإجلاء في تلك الفترة، ويمت إلى الشيخ ابن روح النوبختي رضي الله عنه برابطة النسب. وتخيل انه ممن تنطلي عليه حيله وخدعه، فكاتبه وادعى له انه وكيل الإمام المهدي عليه السلام، وقد أخرج الخطيب البغدادي شيئاً من ذلك، كما أخرج الشيخ في غيبته بعض التفاصيل حوله.

قال الخطيب البغدادي: أخبرنا علي بن أبي علي عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، ان الحسين بن منصور الحلاج لما قدم بغداد يدعو، استغوى كثيراً من الناس والرؤساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله من طريقهم، فراسل أبا سهل بن نوبخت يستغويه، وكان أبو سهل من بينهم مثقفاً فهما فطناً، فقال أبو سهل لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل، ولكن أنا رجل غزل ولا لذّة لي أكبر من النساء وخلوتي بهن، وأنا مبتلي بالصلع، حتى اني أطول قحفي وآخذ به إلى جبيني وأشده بالعمامة، وأحتال فيه بحيل، ومبتلى بالخضاب لستر المشيب، فان يصل لي شعراً ورد لحيتي سوداء بلا خضاب، أمنت بما يدعوني إليه كائناً ما كان، إن شاء قلت: انه باب الإمام، وإن شاء قلت: انه الإمام، وإن شاء قلت: انه النبي، وإن شاء قلت انه الله.

وبعد أن كشفه أبو سهل وأفحمه وأظهر عجزه أمسك الحلاج عنه ولم يرد إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولاً، وصيره أبو سهل أحدوثة وضحكة، ويطنز ــ أي يسخر ــ به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة منه.

وحين ذهب الحلاج إلى قم كاتب علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، وهو من أجلاّء علمائنا، أبو الشيخ الصدوق قدس الله سرهما وادعى له الحلاج: انه رسول الإمام ووكيله.

فلما وصل خطابه إلى إبن بابويه، مزقه، وقال لرسول الحلاج: ما أفرغك للجهالات!، فقال له الرجل: فإن الرجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته؟ وضحكوا منه وهزؤا به.

ثم نهض إلى دكانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه، وعند ما وصل نهض لإحترامه كل من كان هناك غير رجل رآه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه إبن بابويه.

فلما جلس وأخرج حسابه ودواته، كما يكون التجار، أقبل على بعض من كان حاضراً فسأله عنه، فأخبره، فسمعه الرجل يسأل عنه فأقبل عليه، وقال له: تسأل عني وأنا حاضر؟! فقال له إبن بابويه أكبرتك أيها الرجل وأعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتي، وأنا أشاهدك تخرقها، فقال له: فأنت الرجل إذن، ثم قال: خذ يا غلام برجله وبقفاه، وسحبوه من الدار سحباً، ثم قال له: أتدعي المعجزات، عليك لعنة الله، فأخرج بقفاه، قال الراوي: فما رأيناه بعدها بقم.

**عاشرهم: محمد بن المظفر أبو دلف، الكاتب**، وقد سمعنا عند الحديث عن أبي بكر البغدادي ان أبا دلف هذا كان مخمساً مشهوراً، ثم انه آمن بأبي بكر البغدادي واعتبر مذهبه هو الصحيح وكان يدافع عنه بحرارة، ويقدمه على الحسين بن روح رضي الله عنه حتى أوصى له أبوبكر البغدادي بعد وفاته، وأصبح بذلك مدعياً للسفارة بعد السمري، وكان هذا علامة كذبه لدى الأصحاب، على ما سبق.

وكان أبو دلف معروفاً بالإلحاد ثم أظهر الغلو ثم جن وسلسل ثم صار مفوضاً، قال الراوي: وما عرفناه قط، إذا حضر في مشهد ـ يعني مجتمعاً على الناس ـ إلا استخف به، ولا عرفته الشيعة إلا مدة يسيرة، والجماعة تتبرأ منه وممن يومي إليه وينمس به، وأمره في الجنون أكثر من أن يحصى.

## الفترة الزمنية الثانية

## (فترة اضمحلال الظاهرة)

وتبدأ هذه الفترة من حين وفاة أبي دلف والحسين بن منصور الحلاج كآخر عنصرين فاسدين في المجتمع الشيعي تقمّصا دور السفارة.

ومع إطلالة القرن الخامس الهجري خيم الهدوء وجو الثبات العقائدي فيما يخص تلك المسألة على جميع المجتمعات الشيعيّة ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى تنامي الصحوة العقائدية بفضل الجهود التي بذلها علماء الإمامية في كل عصر وجيل أعقب الغيبة الصغرى تجاه هذه المسألة البالغة الأهمية وكان أول تصنيف دوّن لبحث تلك المسألة في ضوء ما وصل إلينا كتاب الغيبة لإبن أبي زينب الشيخ محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني المتوفي بعد زمن الغيبة الصغرى كما يظهر جلياً لمن يتصفحه ثم تلاه رئيس المحدثين الشيخ الصدوق ــ رض ــ المتوفى سنة ٣٨١هـ فصنّف كتاب كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة ثم أعقبه شيخ الطائفة الطوسي «قده» المتوفي سنة ٤٦٠هـ بكتاب الغيبة ثم توالت التصنيفات في ذلك إلا أن هذه الكتب الثلاثة دون غيرها قد حازت على أولوية خاصة إلى يومنا هذا.

وكيف كان فقد استمر على هذا الوضع طيلة القرون التي أعقبته إلى القرن الثاني عشر الهجري أي إلى ما يقارب من ثمانية قرون متصلة وكل ما حكى من رؤية الإمام المهدي عليه السلام نجده لا يتجاوز الرؤية ولا يتعدى أبداً إلى دعوى التمثيل النيابي عنه قط وقد أشرنا فيما سبق في كلٍّ من الصفحتين رقم ١٤٢ ــ ١٤٣ المتقدمتين إلى جملة من المصادر التي تناولت ذكر من رأى الإمام المهدي عليه أفضل الصلاة والسلام في عصر الغيبة الكبرى، فراجع.

## الفترة الزمنية الثالثة

## (فترة معاودة ظهور تلك الظاهرة)

وقد تركزت تلك المعاودة في بقاع شاسعة من بلاد عالمنا الإسلامي وهذا ما سنلحظه من خلال هذا العرض التاريخي:

ايران والعراق والشام

ونشأة الكشفية والبابية والبهائية والقرتية

أرسلت الحكومة الروسية القيصرية جاسوساً يدعي (كنياز دالكوركي) إلى طهران عاصمة ايران في أواخر القرن التاسع عشر للقيام بمهمّة تخريبية ودراسة التركيبة العقائدية وأصولها ومنابعها والعلائق الإجتماعية ومنافذ تغذيتها ودعامات

تأصيلها ومقوماتها عن كثب والعمل بقدر الإمكان على تفريق شمل المسلمين وتفتيت وحدتهم وضعضعة أسسهم وأصولهم العقائدية وبناء قواعد ممهدة لإخضاعهم للإمبراطورية القيصرية الروسية.

قال في مذكراته:

وصلت طهران سنة ١٨٣٤م بصفة مترجم في السفارة الروسية بطهران، ثم دخلت معهد الفنون وبعد ذلك التحقت بكلية الحقوق والسياسة التابعة لوزارة الخارجية الإيرانية وتمكّنت بعد جهود أن أوثق الصداقة مع بعض شخصيات البلاط الإيراني وحيث اني كنت توّاقاً لمعرفة اللغة العربية وقواعد أصول الدين الإسلامي لتسهيل عملي فقد حصلت على معلم من رجال الدين المعروفين اسمه الشيخ محمد وهو أحد طلاّب المجتهد المعروف الشيخ أحمد الگيلاني كبير علماء ايران للقيام بتدريسي مقابل تومانين في الشهر وأسلمت على يديه إسلاماً ظاهرياً وطلبت منه كتمان الأمر وإعفائي عن عملية الختان وارتديت العمامة والعباءة وصرت واحداً من رجال الدين من الطراز الأوّل وكنت أتردد على دار الشيخ أحمد الگيلاني وأحضر مجالس درسه وكان مجلسه في ليالي الجمعة يضم عدداً من كبار شخصيات وزعماء البلد وكنت أحصل منهم على معلومات سياسية كثيرة أثناء حديثهم وأبعث بها إلى السفارة الروسية فوراً.

وفي ذلك المجلس عقدت الصداقة مع بعض طلاّب الدين كالشيخ حسين علي النوري(١٤٨) والشيخ يحيى علي النوري(١٤٩) وغيرهم وكان هؤلاء يظهرون لي المودّة ويطلعاني على بعض الأسرار السياسية مقابل ما أقدمه لهم من المعونات المادية. وبدستور من وزارة الخارجية الروسية كنت أعارض كلّ تجديد وكلّ فكرة تدعو إلى تقدّم البلاد بلباقتي الخاصّة وحينما كنت في مجالس الدرس كنت أفكر عن أفضل طريقة تساعدني على تفريق كلمة المسلمين وإذلالهم.

وفي ذات يوم قدّم لي الشيخ حسين علي النوري تقريراً يحتوي على الحديث الذي دار بين المجتهد الشيخ أحمد الگيلاني وبين الصدر الأعظم ـ رئيس الوزراء ـ حول سياسة الشاه وانتقادهم له ورغبتهم في عزله، إذ قال الصدر الأعظم للگيلاني:

«ان هذا الشابّ المراهق ـ يقصد الشاه ـ الّذي يخدم الأجنبي سيلقي مصير

والده ويختفي من الوجود».

وحينما اطّلعت على ذلك التقرير توجّهت فوراً إلى قصر الشاه وطلبت من رئيس الديوان أن يأخذني لمقابلته لأمور خاصّة فوصلت إلى الشاه وأخبرته عن المؤامرة المبيّتة له وطلبت منه ضرورة التخلّص من الصدر الأعظم والشيخ الگيلاني، فقال لي الشاه:

«انّ الصدر الأعظم سيلاقي جزاءه على يدي، ولكن الشيخ الگيلاني أمره صعب لمكانته ومنزلته لدى الشعب».

فقلت للشاه: بأني سوف أتولّى القضاء على الشيخ ففرح الشاه بذلك وقبّلني وأهدى لي خاتمين ثمينين أحدهما من ألماس والآخر من الزمرّد.

عدتُ إلى داري فوراً وأحضرت شيئاً من السم القاتل وأرسلت في طلب الشيخ ميرزا حسين علي النوري وأمرته أن يسقي ذلك السمّ المجتهد أحمد الگيلاني بأسرع وقت وفي يوم ٨٢ صفر نفذ ما طلبته منه بأحسن وجه وقضى على المجتهد المذكور بعد يومين أحضر الشاه وزيره الأعظم من منزله في بستان لاله زار وقتله في القصر الملكي.

وهكذا استطعتُ بالتدريج أن أقضي على الوطنيّين وعلى عملاء بريطانيا لفسح المجال لحكومتي الروسية وذات يوم استدعتني الحكومة الروسية لاستجوابي في بعض الأمور، فحضرت إلى روسيا وقدّمت تقاريري الخاصة إلى وزارة الخارجية التي شكرتني على خدماتي ثمّ صدرت الأوامر بنقلي إلى العتبات المقدسة في العراق فشددت رحالي وتوجّهت إلى مدينة كربلاء باسم مستعار هو الشيخ عيسى اللنگراني وكان ذلك في عام (١٨٤٠م ـ ١٢٥٦هجرية) التحقت فور وصولي بمدرسة السيّد كاظم الرشتي.

## (أ)

## الكشفية

كان السيّد كاظم الرشتي من الجواسيس القدامى لروسيا القيصرية قال عنه الشيخ محمد الخالصي: «انه قسيس روسي جاء من مدينة (فيلادفستک) موفداً سرّاً من قبل قيصر الروس لإلقاء الفتن في البلاد الإسلامية فانتسب إلى مدينة رشت».

وكانت هجرة الجاسوس الروسي (كنياز دالكوركي) إلى كربلاء تعتبر من المثابة كضوء أخضر للرشتي لتنفيذ المؤامرة التي طالما أعد لها خلال السنوات الماضية بصورة أكبر وأوقع في المجتمع الإسلامي هناك وكعملية اسناد وتقوية لتسير الأمور على أحسن ما يرام.

لقد قضى الرشتي فترة طويلة من الزمن منخرطاً في سلك التلمذة في الحوزة الكربلائية حتّى نال بغيته منها وملأ جرّته بالقدر الذي يمكّنه من إعلان إجتهاده وبناء مدرسة تابعة له باسمه وتصدّيه فيها لإلقاء الدروس العالية في علم الفقه والأصول بدعواه والوصول عن طريق ذلك كلّه إلى حياكة مؤامراته وإعلان دعوته الهدّامة وأفكاره المدمّرة.

كانت البداية في سنة (١٨٤٠ ـ ١٢٥٦ هـ) حيث ادّعى الإجتهاد وتصدّى للتدريس في مدرسته الخاصة به والتي أنشأت على حساب روسيا القيصرية وسرعان ما أعلن مخالفته الصريحة لجميع علماء الشيعة آنذاك في كثير من المسائل الفقهية والمعتقدات المذهبية بما لديه من آراء ومعتقدات شاذّة ومخالفة للضرورات في أصل الدين والمذهب.

فقد كان يرى في ظواهر الدين خلافاً لبواطنه فالتجأ إلى التفسير والتأويل وقسم الشريعة إلى أقسام: ومن أشهر عقائده التي أفتى وجهر بها علانية على رؤوس الملأ والأشهاد وبين طلاّب درسه المصطنعين هو تصريحه بقرب ظهور الإمام الغائب المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام إذ كان يدّعي بأن الإمام الموعود سوف يظهر قريباً فيما بينهم ومن المحتمل أن يكون الإمام واحداً من طلاّبه وكان يشيع بين الناس بأنّ الإمام الغائب سوف يظهر عن طريق الولادة والنموّ وذلك خلافاً لما يقول به الشيعة الإمامية من ان الإمام حيّ يُرزق بلحمه ودمه لكنه غائب عن الأنظار بأمر الله سبحانه وتعالى لاقتضاء حكمته كما قدمنا تفصيله.

وكان يقول: ان من بين كلّ مليون نطفة تتكوّن نطفة كاملة التكوين أما النطف الأخرى الّتي خلقت منها البشرية فهي نطف ناقصة وكان يدّعي بأنه خُلِق من تلك النطف الكاملة.

وممّا ادّعاه أيضاً قوله: بأن غيبة الإمام المهدي عليه السلام حسبما يعتقده الشيعة تعتبر غيبة ميتة وان الإمام الغائب لا يختلف عن الرسول الميّت إذ لا نفع فيه

ولا فائدة، وهي تشكيكات قديمة أجاب عنها جلّ علماء الطائفة المحقة وقد حكينا لك طائفة جمة من أقوالهم فيما مضى.

وتحت ستار هذه الخزعبلات والشبهات المستهجنة كان يطمح إلى تحقيق المخطط الأكبر وكان يهيئ النفوس لتقبّله واستيعاب دعوته وهذا ما يعكسه مذهبه القائل بأنّ الذات الإلهية تدخل في أجسام بعض البشر وقد دخلت هذه الذات المقدسة وتركزت في نفوس وأجسام محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وان هؤلاء الخمسة شيئاً واحداً ونفساً واحدةً وانهم بمستوى الآلهة قادرين وخالقين ورازقين ومن بعدهم تدخل هذه الذات الإلهية المقدّسة في بعض النفوس الخيّرة والتي أطلقَ عليها الركن الرابع، ثم أعلن بعد ذلك بأنه هو الركن الرابع الذي حلّت وتجلّت فيه الذات الربّانية المقدسة فقال في كتابه دليل المتحيّرين:

«لقد انكشف لي ملكوت السماوات والأرض!! ومشاهدة الأيّام وملاحظة الأسماء والصفات بأنحاء التجليّات في نقطة البداء وانّ الأكوان كلها مجتمعة في البسملة وكل ما في البسملة في بائها وكلّ ما في باء البسملة مجتمعة في نقطة الباء وأنا نقطة الباء، وعليه فمن لم تكن في قلبه محبّة الركن الرابع ونقطة الباء لا تنفعه حسنة وإن صام الدهر وقام ليالي عمره وأفنى حياته في العبادة وفعل الخير، وان المسلمين اليوم كلهّم كفّار وعبّاد أوثان فالصوفية نحتوا الأقطاب وعبدوا المرشدين والشيعة الإمامية عبدوا المجتهدين إلا الكشفية أصحابي فإنهم عبدوا الله الواحد الذي يتجلّى في صور مختلفة وان الله قد كشف عنّا غطاء الجهل والبصيرة فالكشفية هم الذين كشفت عن أبصارهم الغشاوة وعن قلوبهم الشرك» إنتهى كلامه زيد في دركات الجحيم مقامه.

وبناءً على هذا الكفر العلني والتناقض العقائدي ثار في وجهه علماء كربلاء وأشبعوه تقريعاً وتجريحاً وتصدّى لقتله جمع من الأحرار الشرفاء مراراً لكن كثرة الجواسيس والمرتزقة الذين كانوا يحيطون به حالوا دون ذلك وقد جاء على لسان أحد أقطاب الكشفية في ذلك ما نصه:

ضرب السيّد كاظم الرشتي برصاصة ولم تصبه ببركة سيّد الشهداء عصر يوم الجمعة ٢١ ذي القعدة سنة ١٢٥٨ هـ في الصحن المقدّس.

ولعظم ذهاء ومكر الرشتي كان يعمل مضافاً لحكومته الروسية للحكومة الإنجليزية وتمكن أن يعقد روابط متينة مع الولاة العثمانيين الأتراك على الرغم من تباعدهم وتنافرهم وتضارب مصالحهم وكان يظهر التفاني بالدرجة الأولى والحبّ والإحترام للحكومة العثمانية الّتي كانت تحكم العراق يومذاك لتمرير مؤامراته وضمان تمتّعه بالحماية الكافية من قبلها له ضد الأخطار التي تحدق به وتتربّص به الدوائر من قبل المؤمنين.

وقد دلّت على جميع ذلك وثائق تاريخية ورسائل سرّية كان يبعث بها إلى بقية الجواسيس الروس والإنجليز وبالخصوص الرسائل التي عثر عليها المختصون فيما بعد في السفارة الروسية بطهران.

وكان مجلس درسه يضمّ عدداً كبيراً من أولئك الأجانب في لباس طلبة العلوم الدينيّة.

ومن أفظع جرائمه الّتي ارتكبها في حق المسملين الخيانة العظمى التي أبداها حينما ثارت جماهير كربلاء على سياسة الحكومة العثمانية الجائرة آنذاك وتوجّه الوالي التركي الجلاّد محمد نجيب باشا إليها على رأس جيش جرّار لضرب الحركة الشعبية وحاصر المدينة من جميع الجهات مما دفع بالكربلائيّين إلى الدفاع عن مدينتهم ببسالة منقطعة النظير وتحصنوا بسورهم المحيط بالمدينة فلما أعيت نجيب باشا الحِيَل لاختراقه لم يجد بدأ من الإستعانة بالرشتي العميل المعتمد في الأزمات وحين النَكبات للإنتقام منهم.

وفي مساء السابع من ذي الحجّة عام ١٢٥٨هـ والمصادف لعام ١٨٤٢م توجّه الرشتي إلى الصحن الحسيني الشريف وصعد على المنبر محاطاً بمئات من أنصاره وأخذ يحثّ الناس ويطالبهم على الإنقياد التام والمباشر لأوامر الحكومة العثمانية والإنصياغ لنجيب باشا ويدعوهم للكف عن مظاهر السخط وإبداء صور المعارضة وأنهى خطبته بقوله:

«عليكم أن ترضخوا لإرادة وليّ الأمر ــ يريد به نجيب باشا ــ فستكونون في مأمن وأنتم على ما أنتم عليه الآن...».

فتصدّى له أحد الكربلائيين المجاهدين وألقى على مسامعه كلاماً جارحاً مبطناً بالوعد والوعيد له ولأسياده.

فما كان جواب الرشتي إلاّ هذه العبارة:

«إنّ موعدكم الصبح . . أليس الصبح بقريب»؟

وفي صبيحة اليوم التالي وهو اليوم الثامن من ذي الحجّة بعث الرشتي بعدد من أتباعه الّذين قاموا بالهجوم على الحرّاس خلسة ومباغتة وفتحوا إحدى بوابات سور المدينة المهمة وقد كان نجيب باشا على اهبة الإستعداد حينها للدخول فهجم الجيش العثماني على المدينة الآمنة ووقع في الناس قتلاً وهتكاً وتعذيباً، وأعلن بعد سيطرته على منافذ المدينة وطرقها بأن كلّ من دخل دار السيّد الرشتي فهو آمن فتوجهت جموع الكشفية إلى دار زعيمهم الواسعة جداً والّتي شيّدها العميل نظام الدولة الأفشاري قائد قوّات الحكومة الإيرانية عند قدومه إلى العراق بغية الإستيطان عام ١٢٥٠هـ ـ ١٨٣٤م وأخذوا يرقصون فيها ويترنحون وهم يهتفون (دار السيّد مأمونة) في الوقت الذي كانت حمامات الدم تسيل في شوارع وأزقة وبيوت كربلاء.

ولقد بلغت الجرأة بنجيب باشا حداً جاوز التصوّرات فدخل إلى مرقد سيّدنا أبي الفضل العبّاس مع عدد من الجنود المسلّحين وهو راكب صهوة جواده فقام هذا الجزار بقتل جميع اللاجئين في الحرم المطهّر ثم توجّهوا بعدها نحو السرداب الأرضي الواقع تحت الرواق المقدس فوجدوا فيه من الأفراد قرابة الثلاثمائة فقتلوهم عن بكرة أبيهم وقد سمى المؤرّخون هذه الحادثة بحادثة غدير الدم.

وأما الإحصائيات التي نجمت عن هذه المجزرة الرهيبة فقد حكاها السيد حسن آل طعمة في كتاب مدينة الحسين عن كتاب الدرّ المنثور بقوله:

سلب جيش نجيب باشا من الأموال والأطعمة من مخازن الكربلائيين في هذه الواقعة التي سميت غدير الدم حسب إحصاء دفاتر التجّار سبعة عشر ألف طغار ـ ٣٤ ألف طن ـ من الحنطة والرز عدى غيرها من الحبوب، وأحصى عدد القتلى بما يقارب ٢٤ ألف شخص بين رجل وامرأة وطفل ومنهم سحقاً بالأرجل لازدحامهم في الهرب.

وهكذا انقلبت أيام عيد الأضحى إلى مآس وكآبة وأحزان وفجائع مؤلمة تهزّ كل ضمير حرّ أبي ببركات السيّد كاظم الرشتي.

واستمرّ الرشتي بعد هذه المجزرة وبعناية الحكومة العثمانية ورعايتها يدسّ الفتن في كربلاء وغيرها من الأصقاع ويبث أساطيره الخرافية حتّى وافته المنيّة عن عمر يناهز الثالثة والأربعين سنة ١٢٥٩هـ ـ ١٨٣٤م.

وفي تلك الأثناء وبعد فترة وجيزة تنفّست همم أصحاب الفضيلة من العلماء ووجوه المدينة فشنوا حرباً شعواء على أتباعه وأنصاره ومريديه وضيّقوا عليهم الخناق وسدوا عليهم الأبواب حتى سنة ١٩١٤م أيام الحرب العالمية الأولى فقامت ثورة بكربلاء بقيادة الشيخ فخري كمونة قضى فيها على الكشفيين عن بكرة أبيهم ووقع بهم قتلاً وتشريداً ونبش قبر الرشتي وأعفى أثره وأحرق ما فيه.

ومن أعجب العجب ما وقفت عليه في كتاب روضات الجنّات للخوانساري عند ترجمته للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، حيث تعرض فيها لذكر الرشتي الذي تقدم ذكره وأطنب في الثناء عليه بما يبعث على الإستغراب والدهشة حيث قال:

«وقد يحكى أيضاً ان الحكيم المتألّه المحقّق النوري المعاصر أيضاً كان ينكر فضله بل كونه في عداد الفضلاء إلا ان تلميذه العزيز وقدوة أرباب الفهم والتميز بل قرّة عينه الزاهرة وقوّة قلبه الباهرة الفاخرة بل حليفه في شدائده ومحنه ومن كان بمنزلة القميص على بدنه أعني السيّد الفاضل الجامع البارع الجليل الحازم سليل الأجلّة السادة القادة الأفاخم الأعاظم ابن الأمير سيد قاسم الحسيني الجيلاني الرشتي الحاج سيد كاظم النائب في الأمور منابه وإمام أصحابه المقتدين به بالحائر المطهّر الشريف إلى زماننا هذا صاحب اللوامع الحسينية والحجة البالغة والمحجّة الدامغة ومقامات العارفين وأسرار الشهادة وكتاب أسرار العبادات وشرح دعاء السمات وشرح القصيدة البائية من شذور الذهب واللامية في مدح الكاظم عليه السلام ورسالة في وجود الجن وحقيقتهم وما يتعلّق بهم وكتاب شرح الكلمات المنسوبة إلى فخر الدين الرازي في التوحيد وكتاب علم الأخلاق والسلوك والرسالة في أجوبة المسائل التي أتت إليه من بعض العلماء في مراتب التوحيد إلى غير ذلك من الرسائل في أجوبة المسائل وغيرها التي تقرب من مائة وخمسين رسالة منفردة كما استفيد من فهرست نفسه لها في آخر كتابه المسمّى بدليل المتحيّرين وإرشاد

المسترشدين.

لقد أطرى وأفرط في الثناء على هذا الشيخ وتفضيله على من كان في عصره من الأفاضل المشهورين وادعائه الإجماع منهم على ثقته وفضله وجلالة قدره ونبله تعريضاً على من أنكر طريقته من القوم وإلحاقاً له بالمعدوم الخ».

## ك ـ البابية

كانت الحكومة القيصرية في روسيا تطمح إلى تحقيق حلم بطرس الكبير أحد حكامها المتمثّل بالوصول إلى المياه الدافئة في الخليج الفارسي ولذلك لم تألوا جهداً في أحكام مؤامراتها ومواصلة سعيها الرامي لتقويض كل سلطة إسلامية وتكتل إسلامي يحيل دون ذلك الهدف ومن أجل ذلك كانت تعد عدّتها إلى مرحلة ما بعد الرشتي وفرقته التي أسّسها وعلى وجه السرعة ثم الإعداد لمذهب وعقيدة جديدة قبل رحيل الرشتي وكان هذه المرة على يد الجاسوس المشار إليه سابقاً «كنياز دالكوركي» فقد صادف عند حضوره لحلقة تدريس الرشتي شاباً ايرانياً في مقتبل العمر قدم إلى كربلاء من مدينة شيراز يُدعى السيد علي محمد الشيرازي لدراسة العلوم الإسلامية وعند ما عقد صداقة متينة معه وخبره عن قرب وجده شخصاً فيه شذوذ فكري وعدم اتزان نفسي مكبّاً على تتبع الخرافات والأساطير وبثها عاشقاً للسحر والشعوذة وباختصار وجده أرضية خصبة لبذر المخطط الجديد والّذي سيحتل مرحلة ما بعد الرشتي والّذي قد فارق الحياة في تلك الأثناء.

واستطاع كنياز أن يصطاده بحبائله واتّفق معه أن يسكنا معاً في غرفة واحدة وبدأ الجاسوس الروسي يخطط ويمهد الطريق لإدخاله في عصب المؤامرة الجديدة وصار يردد على مسامعه بأنه هو الإمام الغائب المنتظر الذي بشّر السيد الرشتي بقرب ظهوره لأنّ جميع الأوصاف والشروط متوفّرة فيك وليس هناك أيّ شكّ أو شبهة في كونك الإمام المهدي المنتظر.

وكان السيّد محمد علي الشيرازي يعارض هذه الفكرة قائلاً: انّ الإمام المهدي عليه السلام هو إبن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وأنا ابن بزّاز الشيرازي اسمه محمد رضا وان امه نرجس خاتون وامّي فاطمة ولقبها السيّدة الصغيرة.

الا ان الجاسوس الروسي كان يقنعه ويشرح له بأن المرجع الأعلى السيّد كاظم الرشتي قال: ان الإمام الموعود سوف يولد من جديد وينمو كسائر الناس وهذا هو أنت لا غيرك.

يقول كنياز في مذكّراته:

ولكي أشجّع السيد على قبول الأمر ليعلن عن نفسه بأنه صاحب الزمان كنت أهيّئ له الحشيش ليدخنه في غليونه كذلك ذهبت إلى بغداد وأحضرت عدّة زجاجات من الشراب المعتق وقدّمت له منها في كلّ ليلة وكنت أقرأ في أذنيه وهو في حالة السكر والتخدير وأخبره بأنه هو الإمام الثاني عشر المهدي الموعود، وكلّما كان يعارض الفكرة كنت أصرّ عليه وأؤكّد على قولي قائلاً له:

«سيّدي ومولاي!؟ أنت تعالم بأنّ البشر لا يعيش ألف سنة أبداً وهذه موهبة نوعيّة وأنت سيّد ومن صلب أمير المؤمنين، ومن المحقّق لديّ والثابت عندي أنك أنت باب العلم وصاحب الأمر».

ثم قال:

كان السيّد أحسن آلة لهذا العمل شاء ذلك أم لم يشأ فقد تمكنت أن أحركه وأروضه وأوجّهه نحو الهدف المنشود.

قال عبد الأمير الأرشدي في كتاب الإسلام ودسائس الإستعمار:

يخيل لي ان كنياز دالكوركي كان متوماً مغناطيسياً إضافة إلى عمله الجاسوسي فاستطاع أن يوحي للسيّد الشيرازي عن طريق التنويم بأنه الإمام المهدي المنتظر فنحن نجد ان السيّد كان يعارض هذه الفكرة في بادئ الأمر ويستنكر إعلان نفسه مكان الإمام الغائب ثم وجدناه بعد ذلك يعلن عن ذلك الأمر وبإصرار شديد حتّى كلّفه حياته واستمرّ على إصراره حتّى ساعة إعدامه، وهذا يؤكّد لي بأنّ الجاسوس الروسي استعمل مع السيّد الشيرازي طريقة الإيحاء ما بعد التنويم، وقد ثبت علمياً بأن التنويم قادر على القيام بخوارق الأمور وان الطريقة المذكورة تفعل مثل هذه الأمور وذلك ان المنوّم يطلب من أحد الأشخاص بعد تنويمه أن يقوم بإجراء عمل معيّن بعد استيقاظه وفي الوقت والمكان الذي يعيّنه المنوّم وحينما يستيقظ النائم يقوم بإجراء ما طلبه منه المنوّم سواء في نفس اليوم أو في وقت آخر دون زيادة أو

نقصان، ومهما كانت الظروف والأحوال فقد ظهرت حوادث عديدة اقترف فيها بعض الأشخاص أعمالاً مخالفة للقانون أو العرف الإجتماعي دون أن يشعروا بما يفعلون يقول البروفسور لويس استاذ علم النفس:

«ان المنوّم المغناطيسي قادر على أن يجعل من الذين يقعون تحت تأثير التنويم آلات بيده يحركهم كما يشاء».

ثم قال: ولهذا فليس من المستبعد أن يسلك الإستعمار هذا الطريق ويوعز إلى جاسوسه المدرّب أن يقوم بتطبيقه إضافة إلى الرشوة والدسائس الأخرى، إذ من العجب أن نجد إنساناً طبيعياً واعياً وهو يندفع في عمل اندفاعاً لا شعورياً ويعيش مشرداً وبالتالي يفدي حياته لذلك الأمر دون أن يعرف السبب ــ إنتهى.

أقول: لا حاجة لهذا التكلّف والإحتمال البعيد لما سيأتي ذكره من إعلانه التوبة عما أعلنه من عقائد ثم معاودته لها هذا من جهة، ومن جهة أخرى لو كان الأمر كما احتمله واستقربه لماذا لم يفصح به كنياز نفسه لأنه أولى بذكره من غيره ولعدّه مفخرة في سجلّ مذكّراته ومن جهة ثالثة طبيعة السيّد علي محمد المضطربة والمريضة والّتي يسهل التأثير فيها وتلقينها ما يراد أن تعتقد به من تلقاء نفسها وكم أولئك الذين ساروا في ركب مذاهب الضلال وقدموا أرواحهم قرابين رخيصة.

وعلى كل حال فقد صمم السيد علي محمد الشيرازي أن يعلن بأنه الإمام الغائب الذي بشّر الرشتي بقرب ظهوره ولكنه وجد الظرف لا يساعده على الإفصاح بذلك على النحو العلني في كربلاء لذلك قرّر الرحيل إلى ايران ليعلن دعوته من هناك بعد أن أعطاه كنياز دالكوركي وعداً بإرسال الأموال والأعوان معه أينما حلّ.

وفي ذلك يقول دالكوركي:

لقد بذلتُ جهوداً مضنيةً وأموالاً طائلةً وأقنعتُ السيد علي محمد بأن يتوجّه إلى ايران ليبدأ بنشر دعوته من هناك، وفي شهر آذار من سنة ١٨٤٤م وردتني منه رسالة يقول فيها بأنه في مدينة بوشهر وقد أعلن دعوته من هناك وأطلق على نفسه إسم باب الله وصاحب الأمر فقمتُ أنا بدوري بنشر الخبر في مدينة كربلاء وإعلام الناس بظهور صاحب الزمان.

بدأ نشاطه في مدينة بوشهر بممارسة السحر وقراءة الكف والرموز الكاذبة

وتسخير الجن والأفلاك من أماكن بعيدة فعلى سبيل المثال صعد في أحد الأيام أحد سطوح المدينة المعروفة بمناخها الحار من أجل تسخير الشمس واستمرّ لساعات طويلة في أداء حركات غريبة وقراءة الكلمات السحرية.

واشتغل مدة بعد ذلك في كتابة الأدعية والأحراز الموهومة للأفراد البسطاء في هذه المدينة كما كان يزعم في البداية بأنه نائب الإمام المهدي (عج) وبعدها ادّعى بأنه هو الإمام المهدي، ومن ثمّ ادّعى النبوّة والإتيان بدين جديد وقرآن جديد، سمّاه البيان، ملأه بالخرافات الشنيعة والعبارات السخيفة أثبت فيه ضلاله وكفره وجهله بأساليب العربيّة وفنونها وقواعدها.

قال خذله الله تعالى في أوله مفترياً على إمام العصر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء:

«الحمد لله الّذي لا إله إلاّ هو العلي، يا أيّها الحبيب اكتب من أيدي مولاك العجيب حجة الله الأكبر محمد بن الحسن صاحب الزمان سلام الله عليهما لشيعتك انّ هذه الصحيفة العظيمة في سبل الزيارة لأهل العصمة سلام الله عليهم قد خرجت من عندي ليعلم الموحّدين سبيل المعرفة في حقّ آل الله مولاهم الحقّ تالله الحقّ لو اجتمع أهل الأرض والسماوات على أن يأتوا حرفاً بمثل بعض من أحرف هذه الصحيفة الكريمة لن يستطيعوا ولن يقدرون ولو كنّا نمدّهم على سبعة آلاف بمثلهم على الحقّ الخالص وان هو الله مولى العالمين قد كان على كلّ شيء شهيداً وانّ تلك الصحيفة الجليّة قد كانت حجّة الله الأكبر من عند عبدنا هذا الفتى العربي القصيح الّذي لا يعلمه أحد في المقام إلاّ الله ونحن آل الله الأطهار وكفى بحجّته بالله وبنا على الحقّ بالحقّ شهيداً وما من نفس قد ردّ حرفاً من تلك الصحيفة الأكبر أو يأوّل على غير قصد منشأه فتالله الحقّ لأقيمنّه على الصراط في يوم الفصل حتّى أقرّ بالتقصير الأعظم هنالك أمزّقنّه بكلّ الممزّق بالعدل الخالص وانّ الله ربكم الرحمن قد كان عادلاً في الحكم وهو الله قد كان على كلّ شيء قديراً ولكل شيء محيطاً وعن العالمين غنياًولقد فصّلته بإذن الله على أربعة عشرة أبواب، ولقد كتب الله بأيديه على كلّ باب في يوم الإنشاء باسم نفسه بسم الله الرحمن الرحيم ولذلك قد فرض الله على الكاتبين طاعته وما من نفس قد تخطر بباله بالحقّ الخالص من أحرف هذه

الصحيفة القديمة حرفاً إلاّ وقد كتب الله له ورود الجنّة والأمن عن الفزع في يوم المفزع، وانّ وعد الله قد كان في تلك الصحيفة المعظمة على الحقّ بالحقّ مقضياً يا ملاء الأنوار خذوا حظكم بالاستكتاب بماء الصفراء من الذهب الحمراء أو المداد الحمراء على لوح البيضاء من هذه الصحيفة مستتر الأسرار وآيات الطور على هذا الجبل السينا المستقرّة على نقطة وصف من وصف هذا الباب الأعظم المُدّني منتهى مبلغ الثنا والهاء وهو الله قد كان بما تفعلون خبيراً».

وقال لعنه الله في سورة سمّاها بسورة الأمر:

«إنّا نحن نعطي ملكنا بإذن الله على من نشاء من عبادنا وانّ الله قد كان واسعاً عليماً انّ آية الملك من عند الله ذلك الكتاب وهذا في كتاب الله سكينة التابوت ممّا قد ترك آل الله تحمله الملائكة إلى ذكرنا الأكبر هذا وهو الله كان على كلّ شيء شهيداً».

وقال في موضع آخر منها:

«إنّا قد فضّلناك على الأبواب بكلمتنا وانّك صراط عليّ في كتاب الله قد كنت حول النار مسطوراً وأنّا أشهدناك عند خلق الأشياء أجمعهم وانّك قد كنت بعين الله ناظراً ومنظوراً، انّا جعلنا لكلّ وجهة وقد قدّرنا للسابقين وجهتك أين ما تكونوا يأت بكم الله على ذلك الباب جميعاً».

وممّا جاء فيها أيضاً:

«انّ في بدع السماوات والأرض والجبال والبحار والفلك المسخّر على الماء آيات لذكر الله البديع وكان الله عزيزاً قديماً».

وجاء في سورة أخرى سمّاها بزعمه سورة الحزن:

«يا أهل الأرض لو اجتمعتم على أن تعملوا حرفاً بمثل حرف من عملي لن تستطيعوا بمثله وانّ الله على كلّ شيء شهيداً».

وجاء في سورة ثالثة سمّاها سورة الأفئدة:

«يا أهل الأرض تالله الحقّ انّ هذا الكتاب قد ملأ الأرض والسماوات وبالكلمة الأكبر للحجّة القائم المنتظر بالحقّ الأكبر وانّ الله قد كان على كل شيء شهيداً هذا كتاب من عند الله قد أحكمت حجّته لمن في المشرق والمغرب ألاّ

تقولوا على الله الحقّ إلاّ الحقّ فوربكم الرحمن انّ حجتّي هذا (يقصد به نفسه) قد كان على كلّ شيء شهيداً أوحى الله إليك إقامة الأمر في الكلمة الأكبر وادعُ الناس إلى الحقّ الخالص فإنّ الله قد كان عليك شهيداً وانّا نحن قد أوحينا إلى داود وسليمان على حرفين من ذلك الكلمة ولذلك الحرفين قد كانا على الملك أميناً وانّ ذا النون وإدريس وإسماعيل وذا الكفل قد أدخلناهم في الظلمات حتّى شهدوا في نقطة الباب لله الحقّ أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّا كنّا على الكلمة الأكبر حول الماء وقّافاً».

وقال لعنه الله وضاعف في جهنّم عليه سوء العذاب: في سورة سمّاها بسورة الذكر:

«يا أهل العرش تالله الحقّ قد جاءكم الذكر بالأمر البديع من عند الله ربكم الّذي لا إله إلاّ هو العليّ وهو الله كان عزيزاً حكيماً، وانّ كلّ الأمّة نقطة حول الباب لأنّه هو الغنيّ وأنا العليّ، قد كنت بالحقّ قديماً وانّ يومكم هذا قد طوى السماء في أيدي الباب ما بدعناكم على الحقّ بديعاً نعيدكم بإذن الله على الأمر بديعاً ولقد كتبنا في كلّ الألواح ملك الأرض للذكر الأكبر وانّ أمر الله قد كان ف امّ الكتاب مقضياً يا عباد الله اسمعوا نداء الحجّة من حول الباب انّ الله ربّي قد أوحى إلى ربّي انّا قد أنزلنا هذا الكتاب على عبدك ليكون على العالمين على الحقّ بالحقّ نذيراً وبشيرا».

وقال في سورة سمّاها بسورة الجبن:

«تالله الحقّ انّ الذكر ليجمعنكم على الصراط بالحكم ومن أعرض عن الباطل واتّبع الذكر بالحقّ فقد فاز فوزاً كبيراً، يا أهل السماء لقد ناديكم الله من شجرة السينا إنّي أنا الله الّذي لا إله إلاّ هو من زار الذكر بالحقّ الأكبر فقد زارني على العرش، ومن أعرض عن كتابه ونداءه فقد ضلّ عن الصراط ودخل النار انّ المشركين يريدون أن يفرّقوا بين الله وذكره وانّ الله قد أراد لذكره أن يتمّ نوره وأنّا قد رفعناك فوق الطور لتأخذ عن ما في السماوات والأرض عهد الله الأكبر ولئلاّ يدخل الناس باب المدينة إلاّ سجّداً لله وانّا قد أشهدناك بالميثاق في الحقّ العليّ على الحقّ القويّ غليظاً فبنقضهم عهد الله وكفرهم بالذكر لنطبع على أفئدتهم بالشبه».

ولا حاجة بنا لسرد المزيد من خزعبلاته أو التعليق والردّ والدحض والتفنيد، وما عليك إلاّ أن تقرأها وتنفجر من الضحك والإستهزاء بأمثال هذه العقول الّتي ضاعت وحاكت أمثال هذه العبارات.

ونظراً لضعف عقيدته فقد أعلن توبته وادّعى البراءة من عقيدته أمام الناس في أحد مساجد شيراز، وذلك بعد مجلس بحث ونقاش بينه وبين الحاضرين اللذين أوثقوا رجليه لضربه.

وقد تكررت هذه الحالة في مدينة تبريز وفي هذه المرّة أرسل رسالة إلى شاه ايران آنذاك يعلن فيها توبته.

إلاّ أنّ علماء تبريز رفضوا توبته وحكموا بإعدامه ثم تنازلوا عن الحكم لاعتقادهم باحتمال جنونه.

وانتشرت دعوة الباب في بعض أنحاء العراق وايران وواصل العلماء مجابهتهم لهذه العقيدة الباطلة العاطلة وهب الجواسيس في المقابل وأعداء الإسلام يدافعون عنها لما فيها من تنفيذ لمآربهم.

وكان في تلك الأثناء كنياز دالكوركي في كربلاء يتابع الأحداث ويتولّى إدارة المؤامرة قال في مذكّراته:

«كنتُ أقوم بإرسال تقاريري الشهرية إلى روسيا بواسطة أحد الأرامنة الساكنين في بغداد وذات يوم علمت بوجود جواسيس انكليز ضمن طلاّب مدرسة الرشتي وكانوا يرتدون ملابس رجال الدين برئاسة الجنرال الإنكليزي جعيفر علي خان وقد علم الإنكليز بأني جاسوس روسي فأرادوا الوقيعة بي وإيذائي مما اضطررني إلى الفرار من كربلاء والتوجّه إلى روسيا، وحين وصولي إلى بلادي شكرتني حكومتي على ما قمتُ به في سبيل تمزيق الوحدة الإسلامية وأصدر القيصر أوامره بتنصيبي سفيراً لروسيا في ايران».

ولمّا وصل إلى طهران ثانياً وقد خلع البزة الدينيّة وعاد إلى صورته الأصلية وحالته السابقة كانت الأمور على أشدّها وكان الباب قد وقع في الشراك الّتي احتفرها لنفسه حيث ثار الرأي العام الايراني على الباب وأنصاره الّذين عاثوا في الأرض فساداً وأثاروا القلاقل في أنحاء مختلفة من ايران مثل قزوين ومازندرا ويزد

وتبريز وزنجان للمطالبة بإطلاق سراح الباب والّتي أريق فيها الكثير من الدماء.

وقد وقع ذلك بالحكومة الايرانية إلى أن تتدخّل لحسم الموقف وأصدرت أمراً بإعدامه فتدخل حاكم اصفهان المدعو منوچهر خان گرجي العميل لروسيا وعاضدته السفارة الروسية وكذلك السفارة الانكليزية ممّا دفع بالحكومة إلى تخفيف الحكم إلى النفي من مدينة إلى أخرى ومن سجن إلى سجن، وقد حاول السيّد علي محمد الشيرازي أن يرتدّ عن رأيه ثانياً لسنوح الفرصة خوفاً على حياته، لكنّه فشل في ذلك فآثر أن يختتم حياته بدعواه بأنه باب اللّه.

يقول كنياز دالكوركي عن تلك الفترة:

«ولمّا علمت بإلقاء القبض على الباب خفتُ أن يفضحني لذا طلبتُ من الشاه أن يتخلّص منه فوراً بإعدامه فأوعز الشاه إلى ولي عهده ناصر الدين أن ينفذ إعدامه فساقه ولي العهد إلى قلعة ماكو حيث سجنه هناك وفي تلك الأثناء رفع السفير البريطاني تقريراً إلى حكومته جاء فيه:

«إنّ عقائد هذا الواعظ علي محمد الشيرازي الّتي لا تخلو من شيء جديد ستذهب هباءً إذا ما تركت وشأنها وإذا ما أريد الحفاظ على هذه العقائد فإنّ الحالة تستدعي استخدام التعذيب والعقوبات ضد من يعترض طريقها.

فعاودت الحكومة الانكليزية تدخلها للحيلولة دون إعدام الباب الا ان الميرزا تقي خان الملقّب بأمير كبير أحبط مساعيهم وصدّر قراراً قاطعاً في شأنه بوجوب الإعدام فوراً فأعدم شنقاً في ذلك السجن بواسطة سليمان خان الأفشاري رئيس أركان الجيش الإيراني، وكان ذلك سنة ١٨٥٠م.

## ٣ ـ القرّتية

شاركت الباب في تزعم حركة التمرّد والردّة عن الإسلام امرأة تدعى زرّين تاج وتكنّى بأمّ سلمة تنتمي هذه المرأة إلى عائلة دينية عريقة فوالدها الشيخ محمد صالح البرغاني القزويني من علماء ومجتهدي ايران المعروفين وعلى الرغم من انها قد حظيت باهتمام واعتناء بالغين من والدها الّذي كان يتعهّد تربيتها وتثقيفها ويكنّ لها حبّاً شديداً إلاّ انّها قد اتّصفت بسلوك منحرف منذ أيّامها الأولى وشذوذ فكري وعقائدي، وهذا ما حذى بها لأنْ تعشق أحد المسيحيّين يدعى رافائيل وتتّصل به

سراً وقد اتّفق أن كان جاسوساً يعمل لحساب الدولة القيصريّة في روسيا فنمّى في نفسها روح الإنحراف والمروق حتّى آل بها الأمر إلى أن تعلن عصيانها لأبيها وتخرج عن مجتمعها ومحيطها وبيتها الّذي ضمّها واكتنفها منذ نشأتها الأولى لتلتحق كلياً به وتسكن معه في بيته بصورة دائمة من دون حياء وخجل وخوف لمّا بلغ بها الحال من طغيان وانحراف وبغي وفساد خلقي وادّعت الزواج به، ولمّا علم أبوها بخبرها انصدم وتأثر أثراً بالغاً وتبرأ منها إلاّ إنّ عمها الشيخ محمّد تقي البرغاني أخرجها من دار رفائيل بالقوّة وتكفّلها لكي لا يصيبها سوء من أقربائها، وبعد فترة زوّجها بإبنه لكي يحفظ شرف العائلة وينهي حالة شذوذها وتمرّدها وانحرافها لما ستحظى به من استقرار نفسيّ وجوّ عائليّ ومسؤوليّة اجتماعيّة.

وفي تلك الأثناء كانت الحكومة القيصريّة تتابع أخبارها بشغف وولع شديدين عبر عميلها رافائيل واعتماداً على ما أفادها في تقاريره عنها من تحلّيها بالمقدرة العلميّة والثقافة الدينيّة واتّصافها بالإنحراف الفكري بما يتّفق مع أهدافها ومخطّطاتها...

وما يدعم ذلك كلّه من الجمال الفائق الّذي امتازت به والقدرة البيانيّة والشخصيّة الجذّابة ولذلك اضطرّت لأنْ توعز إلى رافائيل محاولة تهريبها إلى العراق لتتعاضد مع كاظم الرشتي في كربلاء وتدعمه بوجودها وتؤدّي دورها المترقّب والمؤمّل.

وهكذا هجرت ابن عمّها الّذي تزوّجته أخيراً وفرّتْ إلى كربلاء متناسية عظمة حنو وعاطفة عمّها وسعيه الحثيث لضمان سعادتها ومصلحتها.

وقبل وصولها إلى كربلاء انهالت التقارير على الرشتي من روسيا في وصفها وبيان خصائصها فاستبشر بها كثيراً وترقّب قدومها بفارغ الصبر وأطلق عليها لقب قرّة العين الاّ أنّ المنية قد عاجلته قبل وصولها فحطّت رحالها في مضيف الرشتي ومجلسه واتّصلت بعدها بأقطاب المدرسة الرشتيّة وتعرّفت على فضلاء حوزتها العلميّة من أمثال الجاسوس الروسي المتقدّم ذكره كنياز دالكوركي أو الشيخ عيسى اللنكراني والجنرال البريطاني جعيفر علي خان والسيّد علي محمّد الشيرازي وشيخ البهائية حسين علي النوري وخليفة الباب يحيى علي النوري وجمع من العملاء

والمأجورين الآخرين.

كان علي محمد الشيرازي يتهيأ لإعلان دعوته الجديدة في تلك الأثناء فأعطيت الأوامر لها بالإنضمام إليه ومؤازرته وبعد رحيله إلى ايران قامت بتأدية أدوارها الموكّلة إليها فصارت بالتدريج تلقي دروساً خاصّة على طلاّب الحوزة العلميّة في مدرسة الرشتي خلف ستار نصب لها واستحوذت على عقول وقلوب الطلبة بلباقتها وعذب بيانها وجمال صوتها حتّى فاقت حلقة درسها جميع الحلقات الدراسيّة الأخرى في مدينة كربلاء.

وفي تلك الأوقات تردّدت الأنباء من ايران لتقرع مسامع الناس بدعوة الباب وأفكاره الهدّامة.

استغلّت قرّة العين تلك الأجواء الشاعريّة الّتي خلقتها وحالة الهيام لتعلن على مسامعهم هذا البيان:

«إنّ هذا اليوم يوم عيد وسرور عام.. انّ أحكام الشريعة المحمّديّة قد نسخت بظهور الباب».

فأحدثت به هزّة عنيفة فانبرى لها جمع بصورة خصوم يغلي في قلوبهم الحنق وثائرة الإنتقام في الوقت الّذي تصدّى جمع آخر من العملاء والأجَراء للوقوف في وجه أولئك وتولّي الدفاع عنها بكلّ وسيلة وحيلة.

ونتيجة لذلك انقطع عن درسها كلّ مغرّر به وغافل بينما لازمها آخرون، ولمّا علمت بذلك أمرت برفع الستار الّذي كان حائلاً بينها وبين طلاّبها وأخذت تلقي دروسها وقد أسدلت خماراً على وجهها، ولم تمض مدّة على ذلك حتّى دخلت في أحد الأيّام على طلاّبها مكشوفة الوجه وبكامل زينتها ممّا أثار دهشة الطلاّب بجمالها الصارخ، فصعدت على المنبر وبدأت بمدح الباب فقالت:

«لقد ظهر الموعود.. لقد ظهر الربّ الودود.. وانّكم لميّتون أيّها الغافلون».

لقد رفعته هذا المرّة إلى مقام الربوبيّة مرّة واحدة ووقف إلى جانبها وصرف أنظار الناس عن التفكير بالتصدّي لها حسين علي النوري مستفيداً من نظرتهم لبزة علماء الدين الّتي كان يرتديها والوقار والهيبة المستشعرة في نفوسهم تجاهها.

وقد تجرأت ذات يوم فنسخت حكم الحجاب إذ دخلت على حاشيتها وطلابها وهي سافرة تماماً وبكامل زينتها مما أثار عملها وجمالها دهشة الحاضرين بصورة أكبر من الأولى ووقف الجميع حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر ولم يكن عملها هذا جزافاً فقد كانت تهدف لإعلان أمر خطير لا يمكن التصريح به وتقبله في حالة غير هذه الحالة التي ظهرت عليها في هذه المرة، وقد انقطع الدرس إلى حيث لا رجعة وأصبح للظرف صورة كلامية أخرى فقد ألقت خطاباً طالبت فيه بتحرير المرأة من كل قيد وعرف شرعي واجتماعي وبالغت في ذلك لتنهي حديثها بإعلان الكفر والإلحاد بقولها:

«انّ اللّه ليس له وجود بالمعنى الصحيح وليست له صفات وإنّما يتمثّل في بعض الأشخاص كما حلّت ذاته المقدّسة في نفسي ولذا فأنا طاهرة وعلى الجميع إطاعتي».

ونتيجة لذلك وما سبق انحصر الحضور لدرسها في الشباب والمراهقين والمتسكعين في الشوارع الّذين أخذوا يحومون حولها ويدعونها بشمس الضّحى وبدر الدّجى وما إلى ذلك من الألقاب المزركشة وكانت تنتقد الأحكام الإسلاميّة على الدوام وتأتي بالآراء المخالفة لها، وقد سألتها أحد النساء الكربلائيّات السذج ذات يوم عن الحكمة الّتي اعتمدها الشارع المقدّس حين سمح للرجل بالزواج من أربع بينما لم يسمح للمرأة بذلك فأجابتها بقولها:

«إنّي لا أرى مانعاً شرعياً للمرأة أنْ تختار لنفسها تسعة أزواج في وقت واحد».

وبلغت بها الجرأة ذات يوم وهي تخطب أمام طلابها وعشّاقها أن كشفتْ عن صدرها وأبدت ثدييها وخاطبتهم بقولها:

«لماذا تذهبون إلى الكعبة لتقبيل الحجر الأسود، تعالوا وقبّلوا هذا الصدر الأبيض».

فتبعها جمع غفير من الشباب الطائش والمنحط الّذين كانوا يتفانون في حبّها حتّى عرفوا «بالقُرّتيّة».

وصارت تحت حماية الكشفيّة والبابيّة والعملاء من مبعوثي الدوائر

الإستعمارية ترتقي المنبر في الحائر الحسيني الشريف وهي سافرة فجنّ جنون العلماء والغيارى المخلصون الملتزمون فأبدوا ردود فعل عنيفة ومحاولات مستميتة لطردها من كربلاء وكادت تحدث ثورة شعبيّة ضدّها فاضطرّت لهجرة كربلاء لاستحالة الصمود مع تلك الأجواء الرافضة والإقامة في بغداد في بيت أحد المأجورين يدعي الآلوسي لمدّة عدّة أشهر.

وقد نقل عنها أن كانت تقول بحلّ الفروج ورفع التكاليف، ويظهر من كلامه هذا انه كان من أعظم الدوافع التي أدّت به إلى استضافتها هذه المدّة الطويلة وفي أعقاب إجبار الحكومة العثمانيّة لها على مغادرة بغداد تلافياً لأحداث العنف والسخط توجّهت إلى قزوين مسقط رأسها مع حاشيتها ولمّا استقرّ بها المقام أخذت تعزف بنغمتها القديمة بعد أن تنازلت عن ادّعاء مقام الربوبيّة وتدعو إلى الباب وانّه صاحب الزمان، فاختنق عمّها بعبرته وجاش في قلبه ألم مرير لما ترتكبه من جرائم وتصلف ومكابرة وعتو وعناد على الضلال والتمسك بالباطل رغم محاولاته الحثيثة لإصلاحها وهدايتها، ولم يجد بداً هذه المرّة من مقاومتها ومناهضتها وإشهار السلاح في وجهها بعد اليأس الذي دبّ في قلبه من احتمال عودتها إلى رشدها واستقامتها فصار يحرض الناس عليها في كلّ مناسبة وبعد كلّ صلاة ويلعنها ويلعن من وقف معها وأيّدها وجرأها على إضلال العباد وإفساد البلاد.

ولمّا رأت قرّة العين تنامي مظاهر السخط ضدّها بسبب عمّها الّذي كان من أبرز علماء قزوين دبّرت مؤامرة لإغتياله بالإتّفاق مع حاشيتها لتخمد أنفاسه وتستريح من شرّه، وبينما كان عمّها يؤدّي صلاة الصبح في مسجده إذ هجم عليه المتآمرون تتصدّرهم قرّة العين الّتي بدأته بضربها ثمّ انهال عليه بقيّة الأزلام الخونة بالطعن والتجريح بالسكاكين فخرّ صريعاً مضرجاً بدمائه.

ولمّا علم الناس بالخبر المفجع ثارت ثائرتهم وعظم حنقهم وسخطهم وحدث هياجاً عارماً ضدّها وضدّ أتباعها من الكشفيّة والبابيّة ممّا دفع الحكومة إلى إلقاء القبض عليها وعدد من حاشيتها وأودعتهم رهن الإعتقال بعد انكشاف خيوط المؤامرة وملابساتها ولم تلبث في سجنها طويلاً فقد أرسل إليها حسين علي النوري بعدد من أنصاره وأعوانه ساعدوها على الفرار والهرب حيث توجّهت مع كبار

الكشفيّة والبابيّة إلى قرية «بدشت» على نهر شاهرود وعقدت أكبر مؤتمراً للبابيّة هناك ضمّ إليه عدداً كبيراً من أبناء تلك المنطقة، وكان ذلك في عام ١٨٤٨م وألقت خطاباً أعلنت فيه نسخ جميع الأحكام الإسلاميّة بقولها:

«انّ أحكام الشريعة المحمّدية قد نسخت جميعها وانّ أحكام الشريعة الجديدة لم تصل لحدّ الآن وان اشتغالكم بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما جاء به محمّد كلّه عمل لغو وفعل باطل ولا يعمل به الآن إلاّ كلّ جاهل ومغفل».

ثمّ تطرّقت في تتمّة حديثها إلى عظمة الباب وشريعته الجديدة الّتي سوف تنسخ الشرائع جميعها لملائمتها لظروف العصر وأعلنت عن تلك الفترة بأنّها فترة النسخ.

فلا توجد فريضة خاصّة لحين وصول وتعميم فرائض الباب فعلى هذا لا توجد محرّمات ممنوعة مطلقاً وكلّ عمل جائز مشروع ثمّ أضافت قائلة:

«... لا أمر اليوم ولا تكليف ولا نهي ولا تعنيف فإنّنا اليوم في زمن الفترة فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ومزّقوا الحاجز بينكم وبين نسائكم فما هنّ إلاّ زهرة الحياة الدّنيا والزّهرة خلقت للضمّ والشمّ».

وما كادت تنهي حدثها حتّى انتشر خبرها بين الناس وعلموا دخائل نفسها وثاروا عليها كما ثاروا على الباب من قبلها فألقت الحكومة الايرانية القبض عليها وأودعتها السجن ثانياً وكان الباب في ذلك الوقت لا زال على قيد الحياة في سجن (ماكو) في محافظة تبريز ولمّا أرسل خبرها اليه في السجن وسئل عن صحّة ما أخبرت به عنه أقرّها وأيّد دعواها فأصدر الشاه في حينها الحكم بإعدامه فوراً.

أمّا قرّة العين فإنّه بعد اعتقالها صدرت الأوامر إلى محمود خان كلانتر محافظ طهران بأن يكون مسئولاً عنها ريثما يتّم التحقق من جرائمها وحاول الشاه في تلك الأثناء تقويمها وإعادتها إلى حضيرة الإسلام بواسطة بعض علماء الدين لكنّها جابهتهم بقولها:

«إلى متى تسيرون وراء هذه الأكاذيب والخرافات الجنونيّة»؟ فلم يجدوا مناصاً من اعلان كفرها وردتّها ووجوب قتلها للتخلص من بلائها ووبائها.

واختلفت الأقوال في طريقة اعدامها على ثلاثة أقوال:

(الأول): انّها وضعت في فوهة مدفع وأطلقت عليها قنبلة مزّقتها تمزيقاً.

(الثاني): انّها ربطت من شعرها بذيل بغل فسحبت إلى المحكمة وأحرقت هناك بعد خنقها.

(الثالث): بأنها قتلت خنقاً في دار المحافظ ثم القيت في بئر كانت هناك وهيل عليها التراب.

وبهذا انتهت مرحلة مروّعة على يد هذه المرأة التي باعت نفسها ووجودها للشيطان وسخّرت نفسها كمعول هدم للدين وأداة طيّعة في يد أعدائه لمحق وجوده وسحق كيانه.

## ٤ ـ صبح الأزل

بعد اعدام علي محمد الشيرازي خلفه علي النوري الآنف والملقب بصبح الأزل حيث ادّعى لأتباع الشيرازي أنّه قد حصل على وصيّة خطيّة من علي محمد الشيرازي بعث بها اليه قبل اعدامه تأمره بتولّي زعامة البابيّة من بعده.

واتّخذ البابيّة بعد اعدام الشيرازي السريّة والتكتّم على أفرادهم وتجمّعاتهم سمةً بارزةً لحياتهم ونشاطاتهم تلافياً للفتك بهم وابادتهم وخاصّةً بعد افتضاح أمرهم وذيوع أنباء انحرافهم وتآمرهم على الدين والعقيدة الإسلامية.

وقد تمكّنوا من إفتعال بعض الحوادث خلال السنتين التي تلت اعدام الباب أعدم على أثرها عدد من الأفراد بتهمة تدبير مؤامرة لاغتيال شاه ايران آنذاك، وبعض أعضاء الحكومة ولمّا انكشف زيف الأدّعاءات وبطلان دعاوي الإتهام والوشاية بالضحايا ازداد ضغط الحكومة القاجارية على أتباع البابيّة فقتلت الكثير منهم وبعثت العيون للبحث عنهم ورصدهم واعشاء آثارهم فاضطر يحيى علي النوري صبح الأزل للهروب متنكراً بملابس الدراويش خوفاً على نفسه بينما لجأ أخوه حسين علي النوري إلى السفارة الروسيّة في طهران وتحصّن بها بعد أن انسدت عليه جميع المنافذ للهرب من بطش الشعب والحكومة ونظراً لإصرار الحكومة آنذاك على استرداده وإرسال الشاه كتاباً رسمياً يطلب فيه تسليم حسين علي النوري فقد وافق السفير الروسي على تسليمه شريطة الحفاظ على حياته فأودع السجن نتيجةً للضغوط التي مارسها السفير الروسي وتدخل الحكومة القيصريّة في

الأمر ثمّ سفّر إلى بغداد فبعث حسين علي النوري برسالة ثناء وتبجيل للإمبراطور الروسي ذكر فيها خدماته لأسياده الروس كما أبلغ شكره وإمتنانه للعناية الدائمة التي يحيطها البلاط الإمبراطوري القيصري به لضمان راحته وسلامته.

وبفضل الجهود التي بذلتها الحكومة الروسية والمساعدات التي قدمها والي بغداد بالإيعاز من الروس فقد أصبح البابيون من أتباع الدولة العثمانية ونظراً لإزدهار حالتهم المعيشية والرفاه المادّي فقد بدأ الصراع والإقتتال بين زعماء هذه الفئة للسيطرة على زمام أمور أعضائها فكل من كان عنده رسالة خطية أو مزورة من الباب كان يدعي بأنّه خليفته.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ فتن البابية وفسادهم وعمليات السرقة والسطو التي كانوا يمارسونها بحقّ المسلمين دفعت علماء الدّين في العراق للتّصدي لهم بقوة وشراسة فحدثت مشاحنات دمويّة بين الطّرفين.

وللدعم الذي كان يوليه الوالي البغدادي لهم فقد أضطر الناس إلى تقديم شكواهم إلى الحكومة الإيرانية لأنها كانت تمثل التكتل الشيعي فمارست صلاحياتها وموقعها للتأثير على الحكومة العثمانية من أجل إبعاد البابيين من بغداد فاستجابت لها الدولة وأبعدتهم إلى الآستانة في بادي الأمر ثم إلى أدرنة.

وفي ادرنة ادّعى حسين علي النوري بعد تزويره مجموعة من الوثائق بأنّه الممثّل الشرعي للباب وأخذ يعادي أخاه يحيى علي النوري فإنشقّ البابيون إلى تكتلين بينهما وحدثت مشاجرات وإضطرابات بين مؤيديهما، وقد دفعت بكلا الطرفين لفضح الآخر والوشاية به عند الحكومة العثمانية وقد كشفت هذه المنازعات الكثير من الإرتباطات المشكوكة بين البابية والسفارات الأجنبية للدّول المعادية للدولة العثمانية وقد دفع ذلك بالدولة العثمانية إلى القيام بمحاكمتهم ثم ابعادهم إلى خارج قلب الإمبراطورية فأبعدت يحيى علي النوري وأنصاره إلى قبرص وحسين علي النوري إلى عكّا في فلسطين.

وبعد أن شعرت روسيا بإضطراب يدب في دسائسها ومؤامراتها جرّاء ذلك الإنشقاق والإنقسام سحبت تأييدها من يحيى علي النوري وفرّقت شمل أتباعه ومعاونيه وركّزت ثقلها على تأييد حسين علي النوري ودعمه وتقويته لينهض من

جديد بمؤامرة أخرى.

## ٥ـ البهائية

بعد أن صفا الجوّ لحسين علي النوري لقّب نفسه بهاء اللّه، وادّعى بأنّ الباب (علي محمد الشيرازي) كان الممهّد لمجيئه وأطلق عليه لقب القائم لتهيئة الأرضيّة لدعوته ريثما لقّب نفسه بالقيّوم ثم ادّعى الألوهية وذلك بادّعاء حلول اللّه في شخصه كما فعل من كان قبله ولقّب نفسه ببهاء اللّه وأعلن انّه مظهر أو منظر اللّه الّذي يتجلّى في طلعته جمال الذات الإلهية.

وادّعى نسخ الإسلام من جديد لأنه شغل أسياده القياصرة وأصبح شغلهم الشاغل وجاء بقرآن آخر أسماه (الأقدس) على غرار قرآن الباب المتقدّم.

ومن الضروري أن نعرف أنّ الحكومة القيصريّة الروسية كانت تقف وبقوّة إلى جانبه وتمدّه بالأموال والاتباع حتى استفحل شأنه وعظم خطره فوجدت الحكومة العثمانيّة ذات الصبغة الإسلامية نفسها في مأزق حرج للضغوط التي تمارسها الإمبراطوريّة القيصرية عليها فانتهجت سياسة المراقبة والمضايقة له ولأتباعه حتى اضطرّته لطلب الرحيل والعودة إلى ايران فكتب رسالة يتضرّع فيها إلى شاه ايران آنذاك ليسمح له ولأتباعه البهائيين بالعودة إلى ايران الاّ ان عدم اكتراث الحكومة القاجاريّة بالرسالة دفع حسين علي النوري إلى أن يكتب رسالة تملّق واستجداء وتأييد إلى الحكومة العثمانيّة ووافاه الأجل في هذه الأثناء فخلفه ابنه عبّاس حسين علي النوري.

## عبد البهاء

أطلق إبنه على نفسه اسم عبّاس أفندي ولقّب نفسه بعبد البهاء وكتم أمره في الظاهر لتظاهره بالإسلام وتأييد الحكومة العثمانية بصورة مستمرّة ليتحاشى قرار ابعاده وطرده وسياسة التضييق والمراقبة التي قامت بها الحكومة العثمانية زمن والده.

قال الشيخ أبو زهرة:

والجدير بالذكر انّ فكرة الحلول الإلهي عدلت من ابن البهاء الذي ورث أباه وهو عباس افندي الذي لقّب نفسه عبد البهاء وقصد من هذا التعديل التخفيف من

نفور الناس من البهائيّة كما عدل فكرة نسخ الأديان وسمّى البهائية رسالة إصلاحية اجتماعية، وذلك ظاهراً وهو المتأثّر بالغرب الأوربي والأمريكي حيث زارهما وأدخل مجموعة تعاليم سياسيّة تناسب المكان الذي ازداد انتشار البهائية فيه وهو شيكاغو المركز العالمي الحالي للبهائية.

## عبادات البهائيين

كانت الصلاة زمن الباب ركعتين فقط في الصباح ثم أصبحت زمن البهاء تسع ركعات وكانت القبلة زمن الباب مسجد شيراز ثم تحوّلت في زمن البهاء إلى مدينة عكّا حيث عاش ومات فأصبح قبر البهاء قبلة البهائيّين وفي هذا يقول: «إذا أردتم الصلاة فولّوا وجوهكم شطري الأقدس» كما أوصى أتباعه بهدم المسجد الحرام والكعبة في مكّة المكرّمة.

وأمّا بالنسبة للصوم فهو عند البهائيّين تسعة عشر يوماً ويكون في شهر آذار يبدأ من اليوم الثاني وينتهي في اليوم العشرين منه.

## تخضرم البهائية

بعد ثورة اكتوبر وتسلّم البلاشفة زمام الأمور في روسيا قطعت الحكومة الجديدة مساعداتها عن الفرقة البهائية بحجّة أنّها كانت تتعاون مع الحكومة القيصريّة السابقة فقبل سقوط حكومة القياصرة كان حجم المساعدات الروسية للفرقة البهائية قد انخفض بشكل حاد نتيجة للأزمة الإقتصادية الخانقة التي كانت تمرّ بها الدولة فاتّجه عبد البهاء إلى الانجليز ومدّ يد التعاون لهم وأخذت الفرقة البهائيّة تتجسّس لصالح بريطانيا ضدّ مصالح الدولة العثمانية وقد كان للبهائيين الفضل العظيم على بريطانيا في الحرب العالمية الأولى بتمهيد السبل والطرق لدخول الجيش الانجليزي إلى فلسطين وتقديم الأسرار والمعلومات الضروريّة له.

وبعد أن اطّلعت الدولة العثمانية على حقيقة الدور الذي لعبه عباس افندي من التجسّس لصالح بريطانيا وضلوعه في مؤامرة الإجتياح والإحتلال لفلسطين أوعزت إلى (جمال باشا) قائد القوّات العثمانية: بإعدام عبّاس أفندي غير انّ المخابرات البريطانية (انتجلنت سرويس) أحسّت بذلك فقامت بحمايته والمحافظة عليه وأرسل بلفور وزير خارجية بريطانيا برقيّة إلى الجنرال (اللنبي) قائد القوّات

الإنجليزية في فلسطين يؤكّد فيه ضرورة الحفاظ على حياة وسلامة عباس افندي وأفراد الفرقة البهائية.

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى منحت الحكومة البريطانية نوط الشجاعة المسمّى (نايت هود) لعباس افندي وذلك في حفلة رسميّة كما منحته لقب (سير) وقد قابل عبد البهاء بدوره الكرم الانجليزي ببرقيّة إلى الملك البريطاني أشبعها بالتبجيل والثناء على سيادته.

وبعد موت عبد البهاء أرسلت السفارات والقنصليّات البريطانيّة في الشرق الأوسط برقيّات ورسائل تعزية وتضامن لزعماء البهائيّة كما أمر (ونستون تشرشل) وزير المستعمرات آنذاك الجنرال (اللنبي) لكي يعرب نيابة عن الحكومة البريطانية عن أحرى تعازيها إلى البهائيين، وقد شارك (سرهربرت صموئيل) المندوب السامي لبريطانيا و(سر دونالد هربرت) المندوب السياسي للحكومة البريطانية في الشرق الأوسط وجمع كبير من المسؤولين الإنجليز في تشييع جنازة عبد البهاء.

ومما تجدر الإشارة إليه ان (سر هربرت صموئيل) كان أحد مؤسسي دولة إسرائيل.

وطبقاً لوصيّة عباس افندي (عبد البهاء) أصبح حفيده شوقي أفندي المصاب بالشذوذ الجنسي رئيساً لهذه الفرقة التي تحوّلت في عهده إلى جهاز خطر يخدم السياسة الإستعمارية البريطانية بصورة فعّالة فقام شوقي افندي بتأسيس المحافل البهائية بالتعاون مع المخابرات البريطانية في (كمبالا) أبان سيطرة الانجليز على اوغندا كما قام أيضاً بتأسيس محافل أخرى في امريكا ومختلف أرجاء العالم بالتعاون الوثيق مع المحافل الماسونية حيث ذاب معها في أهدافها ونواياها ومخطّطاتها.

ولما لم يكن هناك ابن يخلف شوقي افندي فقد عيّن هذا الشخص تسعة أفراد يمثّلون المجلس العالمي للبهائية كما قام قبل موته بتشكيل نواة بيت العدل الأعظم أو ما يسمّى بدائرة شؤون البهائية في العالم وأوصى أن يترأس دائرة بيت العدل هذه (تشارلز ميسن ديمي) وهو عضو في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

وهكذا كانت النهاية التي صارت إليها هذه الفرقة الهدامة في يومنا هذا

وخاتمة سلسلة التآمر القيصري البغيض على عالمنا الإسلامي بعد أن جرعته الآلام والغصص وأودت بحياة المئات وعقائد الألوف من أبنائه وعاثت بكرامته وقداسة عقيدته واستقامة أوده!

# الهند وباكستان وشباك الأحمدية والقاديانية

## الهند وحركة أحمد خان التمهيدية

تذكر مجلّة العروة الوثقى للسيّد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في أحد أعدادها وصفاً لهدف هذه الحركة التخريبية التي قام بها السيد أحمد خان في الهند فتقول:

«. . . لما استقرت أقدامهم ــ أي الانجليز ــ وألقوا بها عصاهم ومحيت آثار السلطنة التيمورية نظروا إلى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليوناً من المسلمين، كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم، وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأحسّوا أن المسلمين ما داموا على دينهم، وما دام القرآن يتلى بينهم، فمحال أن يخلصوا في الخضوع لسلطة أجنبي عنهم، خصوصاً ان كان ذلك الأجنبي خطف الملك منهم بالخديعة أو المكر تحت ستار المحبة والصداقة! فطفقوا يفتشون بكل وسيلة للحط من قيم المعتقدات الإسلامية، وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل، محشوة بالطعن في الديانة الإسلامية، مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة ــ برّأه الله ممّا قالوا، فأتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه الطباع، ولا يمكن معه لذي غيرة أن يقيم على أرض تنتشر فيها تلك الكتب، وأن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبي ذلك الإفك العظيم!».

**«وما قصدهم بذلك إلاّ توهين عقائد المسلمين: وحملهم على التديّن بمذهب الانكليز! هذا من جهة، ومن جهة أخرى أخذوا في تضييق سبل المعيشة على المسلمين وتشديد الوطأة عليهم والإضرار بهم من كل وجه: فضربوا على أيديهم في الأعمال العامة، وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس، ونفوا علماءهم وعظماءهم إلى جزيرة «اندومان» على أمل أن يفلحوا في ارتكاب ذلك، ــ إن لم تفدهم الأولى ــ في ردّ المسلمين عن دينهم بإسقاطهم في أغوار الجهل بعقائدهم**

حتّى يذهلوا عمّا فرضه الله عليهم!».

«فلمّا خاب أمل أولئك الحكام الجائرين في الوسيلة الأولى، وطال عليهم الأمد في الإستفادة من الثانية، نزعوا إلى تدبير آخر في إزالة الدين الإسلامي من أرض الهند أو أضعافه، لأنهم لا يخافون إلاّ من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب والحق المسلوب! فاتفق أن رجلاً اسمه «أحمد خان بهادور» ـ لقب تعظيم في الهند ـ، كان يحوم حولا الانكليز لينال منحة وعطيّة منهم، فعرض نفسه عليهم وخطا بعض خطوات لخلع دينه، والتديّن بالمذهب الانجليزي!! وبدأ الأمر بكتابة كتاب(١٥٠) يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرّفين ولا مبدّلين لينال بذلك الزلفى عندهم! ثم راجع نفسه فرأى أن الانجليز لن يرضوا عنه حتى يقول: انّي نصراني، وأنّ هذا العمل الحقير لا يؤتى عليه أجراً جزيلاً، خصوصاً وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة، وما أمكنهم أن يحوّلوا من المسلمين عن الدين أشخاصاً محدودة! فأخذ طريقاً آخر في خدمة حكامه الانكليز: بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم، فظهر بمظهر الطبيعيّين الدهريّين ونادى بأن لا وجود إلاّ للطبيعة العمياء، وليس لهذا الكون إله حكيم «إن هذا إلاّ الضَّلالُ المُبِيْنُ. . .!»، وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيّين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت به الشرائع «نعوذ بالله!» ولقب نفسه بالطبيعي، وأخذ يغري أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين، فمال إليه أشخاص منهم، تملصاً من الشرع الشريف وسعياً خلف الشهوات البهيميّة! فراق الحكام الانجليز مشربه، ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين فأخذوا في تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في «عليكره» وسموها مدرسة «المحمديّين» لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل «أحمد خان بهادور»!».

«وكتب «أحمد خان» تفسيراً على القرآن الكريم، فحرف الكلم عن مواضعه وبدّل ما أنزل الله!».

«وأنشأ جريدة باسم «تهذيب الأخلاق» لا ينشر فيها إلاّ ما يضلّ عقول المسلمين، ويوقع الشقاق بينهم، ويلقي العداوة بين مسلمي الهند وغيرهم خصوصاً بينهم وبين العثمانيين، وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة، لكن لا يدعو إلاّ للمسلمين!!، ونادى: الطبيعة الطبيعة، ليبث وساوسه في عقول وقلوب الناس بأن

اوربا ما تقدمت في المدنيّة، وما ارتفعت في العلم والصنعة، وما فاقت في القوّة والإقتدار، إلاّ برفض الأديان، والرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين ــ على زعمه ــ وهو: بيان مسالك الطبيعة . . . قد افترى على الله كذباً!».

«ولما كنا بحيال الدين في الهند ــ في سنة ١٨٧٩ ــ أحسسنا من بعض ضعاف العقول اغتراراً بترهات الرجل وتلامذته، فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد وما ينشأ عنه من المفاسد، وأثبتنا أنّ الدين أساس المدنيّة وقوام العمران، وطبعت رسالتنا باللغتين الهندية والفارسية (إسمها: الرد على الدهريّين).».

«هؤلاء الدهريّون ليسوا كالدهريّين في اوربا، فإنّ من ترك الدين في البلاد الغربية تبقى عنده محبّة أوطانه، ولا تنقص حميّته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب، ويفدي مصلحتها بروحه، أما أحمد خان وأصحابه، فإنهم كانوا يدعون الناس لنبذ الدين، يهونون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكم الأجنبي فيها، ويجتهدون في محو آثار الغيرة الدينية والجنسية . . . لا لأجر جزيل ولا شرف رفيع، ولكن لعيش دنيء ونفع زهيد، وهكذا يمتاز دهري الشرق عن دهري الغرب: بالخسّة والدناءة، بعد الكفر والزندقة»!(١٥١).

ويقول السيد جمال الدين الأفغاني في عدد آخر من أعداد هذه المجلّة:

«. . . من هذا ــ من أسباب السياسة الأوربية ــ ما سلك الانجليز في الهند لما أحسّوا بخيال السلطة يطوف على أفكار المسلمين منهم، لقرب عهدها بهم، وفي دينهم ما يبعثهم على الحركة إلى استرداد ما سلب منهم، وأرشدهم البحث في طبائع الملل إلى أنّ حياة المسلمين قائمة على الوصلة الدينية، وما دام الإعتقاد المحمّدي والعصبيّة المليّة سائدة فيهم فلا تؤمن بعثتهم إلى طلب حقوقهم.

فاستهووا طائفة ممّن يتسمّون بسمة الإسلام ويلبسون لباس المسلمين، وفي صدورهم غل ونفاق وفي قلوبهم زيغ وزندقة، وهم المعروفون في البلاد الهندية «بالدهريين والطبيعيين»! فاتّخذهم الانجليز أعواناً له على إفساد عقائد المسلمين، وتوهين علائق التعصّب الديني ليطفؤوا بذلك نار حميتهم ويبددوا جمعهم ويمزّقوا شملهم وساعدوا تلك الطائفة على إنشاء مدرسة في عليگرة ونشر جريدة لبث هذه الأباطيل بين الهنديين حتى يعم الضعف في العقائد وتهن الصلات بين المسلمين فيستريح الانجليز في التسلّط عليهم، إنتهى كلامه.

# القاديانية

اغتنمت الحكومة البريطانية الأجواء التي أشاعتها حركة أحمد خان التشكيكية ومقدار ما ضمته إلى صفها من كوادر وفئات وعقول متذبذبة وانطلت عليها الشعارات الجوفاء البرّاقة المعسولة لتوعز إلى عميل آخر من عملائها يدعى ميرزا غلام أحمد القادياني لينتهج السياسة القاضية باستمرارية حلقات التآمر والهدم للإسلام على غرار ما قدمناه لك في جرائم الروس في العالم الإسلامي.

فأسّس المذهب القادياني نسبة إلى مسقط رأسه مدينة قاديان إحدى أعمال اقليم البنجاب.

وتمّ تسجيل هذا المذهب كمذهب رسمي معترف به في سنة ١٩٠٠م.

وفي سنة ١٩٠٢م قام بإصدار مجلّة شهريّة إسمها مجلة الأديان باللغة الانجليزية.

وتعد هذه المجلّة لسان حال هذه العقيدة المنحرفة وتتّخذ من مدينة قاديان مركزاً رئيسياً لها منذ عهدها الأول إلى يومنا هذا حيث تقوم بالتغذية الفكريّة لأتباعها المتواجدين في اقليم البنجاب وافغانستان وايران.

وقد أحيط بهالة من القداسة والتكريم والحفاوة طيلة فترة حياته وبعد مماته كلّ ذلك لضمان سلامة مخطّطه التآمري.

يقول «صدر الدين أحمدي» مترجم كتاب «البراهين الأحمدية»:

«ولد سيدنا الميرزا غلام أحمد في الثالث عشر من شهر شباط عام ١٨٣٥م، الموافق للرابع عشر من شهر شوّال عام ١٢٥٠هـ ـ ق، في منطقة البنجاب... وفي سنة ١٨٧٦ أوحى إلى سيّدنا ـــ من خلال الرؤيا ـــ بأنّ عليه أن يجاهد نفسه وروحه ويصوم لكي يحصل على الفيض الإلهي، وبعد هذه الرؤيا بدأ صيامه الّذي استمرّ ستّة أشهر متوالية، وفي الثالث والعشرين من شهر آذار عام ١٨٨٢م منحته الربوبيّة لقب «المجدّد».

ويقول المترجم في مقدّمة الكتاب:

رغم انّ الناس كانوا ـــ قبل هذا التاريخ ـــ يطلقون عليه لقب «المجدّد» إلاّ أنّه أعلن ـــ وبشكل رسمي ـــ بأنّه المجدّد في القرن الرابع عشر الهجري عند نشره كتاب «البراهين الأحمديّة» على شكل اعلانات (يوجد نموذج منها في الكتاب المذكور)

وكان يستند ــ في ذلك ــ إلى حديث نقله أبو هريرة عن الرسول صلّى اللّه عليه وآله، والحديث هو:

«إنّ اللّه يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مائة سنة من يجدّد لها دينها». (سنن أبي داود، المجلّد الثاني، كتاب الملاحم).

وبعد أن أحكم موقعه من خلال الحديث المذكور، بدأ يدّعي بأنّه المسيح الموعود! والمهدي المنتظر!! وقد أعلن بعد ذلك ــ وبصورة رسميّة ــ عن ادّعائه الجديد، وسنشرح سبب تدرّجه في ادّعاءاته ومطامعه الدنيئة التي كان يصبو إلى تحقيقها.

ويضيف صدر الدين أحمدي بقوله:

(في عام ١٨٨٤م ــ وحسب البشارة الإلهيّة ــ اختار الميرزا غلام أحمد زوجته الثانية وهي السيّدة نصرت جهان بيگم، وكانت هذه المرأة تنتمي إلى عائلة من سادات مدينة دلهي تنسب إلى عائلة ميرورد).

والملاحظة الملفتة للنظر هي مدى دهاء رئيس فرقة الأحمديّة (القاديانيّة) في تنفيذ خططه الشيطانية وتمرير خدعه على الناس.

فهو يستند إلى حديث أبي داود في ادّعائه بأنه المجدّد، ويستخدمه كوسيلة للتوصّل إلى المراحل الأخرى من ادّعاءاته كإدّعائه بأنّه المهدي الموعود! والمسيح المنتظر! بينما يشير الحديث إلى أنّ شخصاً يظهر كلّ قرن يحيي التعاليم الإسلاميّة ويعيد زعامة الإسلام ويوصل الأمّة (التي وقعت أسيرة بيد الإستعمار نتيجة اللامبالاة وعدم التوجّه إلى التعاليم الإسلاميّ الراقية) إلى ساحل النجاة.

كما أنّ الحديث المذكور يعني بأنّ شخصاً قائداً أو مجتهداً واعياً يقود هذه المسيرة، وهذا لا يعني أن يصبح الحديث المذكور وسيلة للوصول إلى المراحل الأخري من الإدّعاءات الجديدة كإدّعاء الوصول إلى المهدويّة وتمثيل المسيح.

انّ كلّ مسلم واع يدرك ــ من خلال إلقائه نظرة عابرة على كتاب «البراهين الأحمديّة» بأنّ كل آية أو رواية أو حديث يستند إليها مؤلّف الكتاب، يفسّرها حسب ميوله وأهوائه الشخصيّة، أو يقوم بتطبيقها على نفسه.

كيف يمكن لفرد يدّعي حبّ خاتم المرسلين صلّى اللّه عليه وآله وإيمانه بالقرآن الكريم، لكنّه يدّعي ــ في نفس الوقت ــ النبوّة، أي: يعمل خلاف نصّ

وحكم القرآن الذي يعلن بأنّ المصطفى محمداً صلّى الله عليه وآله كان خاتم الأنبياء كما سبق الإشارة إليه؟

لقد استخدم «الميرزا غلام أحمد» الآيات والأحاديث لأغراضه الشخصيّة، وخطا خطوة أوسع من خطوته الأولى إلى درجة أنّ الإستعمار البريطاني العجوز اعترف بالأساليب الشيطانيّة والغاوية التي استخدمها الميرزا غلام.

فقد كتبت مجلة «تايمز» الصادرة في لندن تقول: «انّ الميرزا غلام أحمد الذي اتّخذ لقب الميرزا صاحب فيما بعد يعتبر رجلاً داهية، كما وظهر بين أتباعه علماء عظام متمسكون بالقانون، ويعتبر هذا الأمر فخراً كبيراً لمؤسّس هذه الفرقة».

ممّا لا شكّ فيه انّ المتمعن البصير يمكنه من خلال هذه السطور ـ الّتي كتبتها الصحيفة المذكورة في مدح هذا الشخص ـ أن يتيقّن بأنّ بريطانيا لا تعتبره داهية فحسب، بل وتعتبره مع أتباعه أناساً يؤيّدون القوانين الّتي يضعها الإستعمار، كما وانّهم أصبحوا حجر عثرة أمام المسلمين المجاهدين، ولذلك فانّها تمنح زعيمهم وساماً فخريّاً! وتشير الصحيفة إلى إغفاله للناس قائلة: (إنّنا نؤيّد رأي الدكتور كرسفولد القائل بأنّ سيادة الميرزا صاحب، كان منخدعاً، ولم يكن مخادعاً في ادّعاءاته أبداً).

هذه الصحيفة لا تريد أن تعترف بأنّ الميرزا صاحب، قد أسّس فرقته الضالّة بأمر ودعم من بريطانيا، حيث تصر على انّ هذا الشخص كان منخدعاً لا مخادعاً، فهي تعتبره شخصاً غير مخادع لأنها تريد إبقاء أتباعه عبيداً لبريطانيا، كما ولا ترغب في زرع أدنى شك بين أتباعه، إلاّ أنّ هناك ملاحظة يجب أن لا نغضّ الطرف عنها، وهي: كيف خدع الميرزا صاحب، ومن الّذي خدعه؟ هل خدع من قبل أسياده الانجليز، أم من قبل أشخاص آخرين؟ لماذا يقرّ بأنّه كان منخدعاً؟

انّ السياسة الإستعماريّة تقتضي إثارة الفرقة وإيجاد خلافات واسعة بين المسلمين ومجتمعاتهم، لذلك يلزم علينا أن نعطي إيضاحات أكثر تبيّن تبعيّة مؤسّس فرقة الأحمدية (القاديانية) الّذي أفنى عمره في خدمة الانجليز، وسنبدأ أولاً ببيان تبعيّة والد مؤسّس هذه الفرقة للانجليز.

يقول «الميرزا صاحب غلام أحمد» عن والده في إحدى كتبه:

كان والدي «ميرزا صاحب غلام مرتضى» من الأصدقاء المخلصين للحكومة البريطانيّة، وقد اشترك مع خمسين فارساً إلى جانب الانجليز في الحرب الّتي وقعت عام ١٨٥٧ بين الانجليز والسكان المحلّيين الّذين ينتمي إليهم، انّ مساعدته لبريطانيا كانت إيثاراً عظيماً، أكبر من طاقته.

ويعترف الميرزا غلام في الصفحة العاشرة من كتاب «ملحق شهادة القرآن» بالخدمات الّتي أسداها للإنجليز، حيث يقول:

«لقد قضيت عمري كلّه في تأييد الحكومة البريطانية، ولأجل ترسيخ الأهداف الإستعمارية لبريطانيا ألّفت عدّة كتب، نهيت الناس فيها عن جهاد الانجليز، وبيّنت لهم بأنّ عليهم أن يعتبروا الحكومة البريطانية وليّة أمرهم، وقد نشرت هذه الكتب في مصر والشام وأفغانستان وبلدان أخرى».

ويقول في نفس الصفحة: «لقد أفنيت شبابي في خدمة بريطانيا، والآن وقد أصبحت في الستّين من عمري أدعو المسلمين بقلمي ولساني إلى التوجّه نحو الحكومة البريطانيّة والإخلاص لها، كما وأرفع صوتي منادياً بإلغاء فكرة الجهاد، وأدعو المسلمين إلى نبذ الجهاد ضدّ الانجليز وأمنعهم من ذلك».

هذه نماذج من الخدمات الّتي أسدتها هذه العائلة وهذا الإبن وأبوه إلى الحكومة الإنجليزية المستكبرة، ذكرناها كبراهين دامغة على طوية هؤلاء الأشخاص العملاء الخونة، كما سنبيّن لك أيضاً سبب انتخاب الحكومة البريطانية الظالمة للميرزا غلام أحمد ليقوم بخدمتها، وسبب حمايتها له حتّى بالغت في تعريفه بحيث أنّ صحيفة «الخريف» البريطانيّة كتبت تقول عنه في أحد أعدادها:

«وإذا ما عاد أحد أنبياء بني إسرائيل من عالم الملكوت، وأراد التبليغ في هذا العصر، فمن المؤكّد ان وجوده في القرن العشرين لن يكون أكثر أهمّية من وجود الميرزا صاحب» (نقلاً عن مقدّمة كتاب البراهين الأحمدية).

انّ بريطانيا التي كانت ـ آنذاك ـ تستعمر القارّة الهنديّة، وترغب في إرساء جذور سلطتها في هذه المستعمرة، لم يكن أمامها سبيل سوى استخدام عملائها الذين كانت قد تعرّفت عليهم سابقاً والّذين استمرّوا في خدمتهم وولائهم للتاج البريطاني وكانوا اناساً معروفين أو محبوبين من قبل الناس لكي تتمكّن من نيل مآربها المشؤومة وكانت تعلم بأنّ أغلبية المسلمين (إن لم نقل جميعهم) سيثورون على

سلطتها الظالمة الأمر الّذي سيهدّدها أكثر من غيرها، ولذلك كان لابدّ لها من اختلاق شخص يتقبّل هذا المقام الإلهي المزيف، وقد اختارت بريطانيا الميرزا غلام أحمد (الميرزا صاحب) ليكون الأداة في تنفيذ مآربها. . . لقد اختارته لأنها كانت تعرفه وتعرف أباه من خلال اللقاءات التي كانت تجري بين الطرفين في منزل الميرزا.

وفي نفس الفترة التي أوجد فيها الروس فرقة «البهائية» في ايران وتركوها تعبث بمسلمي ايران والعالم، أوجد الإنجليز فرقةً بإسم «القاديانية» تحت زعامة الميرزا غلام أحمد، وقد وجدت هذه الفرقة وبشّرت بأفكارها بحماية انجليزية، ولقد أدى وسيؤدي تناحر الفرق دائماً إلى انحطاط المسلمين، كما أنّ ايجاد مثل هذه الفرق المعادية للأفكار الإلهية على يد المستعمرين والقوى العظمى يأتي ـــ في الواقع ـــ لتحقيق أغراض شتى منها:

١ـــ اختراق الأمة الإسلامية، وتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى.

٢ـــ زرع الخلافات في الصفوف المتلاحمة للأمة الإسلامية بغية اضعافها، وقد استفادوا من هاتين النقطتين كثيراً، وهذا ما شوهد خلال الحرب العالمية، فقد كتب الخبراء العسكريون في شؤون الحرب العالمية التي أشعل الإستعمار فتيلها بأنّ أغلب الضحايا في الجيش البريطاني كانوا من الهنود حيث راح الشعب الهندي ضحيةً لمصالح الحكومة البريطانية الظالمة التي استغلت ذلك أبشع استغلال.

إنّ ذنب هؤلاء الذين راحوا ضحيةً لسياسة القوى العظمى وجرائمها يقع على عاتق الذين يظهرون أنفسهم بمظهر الهي ومقدس كالميرزا غلام أحمد وما شاكله ممّن حرّفوا الآيات الإلهية ومسخوا الأحكام السماوية وخدعوا الأفراد البسطاء.

ولكن كيف ولماذا يحاول الإستعمار الاختراق بهذه الوسيلة ويقوم بخداع الناس؟

الجواب: انّه يقوم بهذا الأمر لسببين:

**الأول:** انّ التجارب التي اكتسبها في الماضي أثبتت له ان الإسلام يعمل على تنمية روح الحركةوالثورة بين أتباعه بصورة دائمة، ويحثهم على الوقوف كالحديد بوجه الباطل، حتى انّ القاء نظرة سريعة على جهاد المسلمين تظهر بجلاء ان رسالة

الإسلام رسالة تعمل على تقوية عزيمة المسلمين ومعنوياتهم بحيث تجعلهم يقفون أمام العدو وكأنهم صفوف من الملائكة ليس لهم أغراض مادية ويسطرون الملاحم ويدافعون عن الإسلام بعقيدتهم وأيديهم المؤيدة من الله، كما ويعلم الجميع انّ المسلمين تمكنوا في بعض الحروب التي كانوا يفتقرون فيها للعدّة والعدد من دحر الأعداء، خاصّة وان تشريع حكم الجهاد من جانب الشريعة الإسلاميّة المقدّسة الّذي يعتبر واجباً إلهيّاً يشكل تهديداً للإستكبار العالمي.

وبديهيّ أنّ أعداء الإسلام لا يمكنهم الوقوف بوجه هذه القوّة العالميّة العظيمة إلاّ بتفريق صفوف المسلمين، وإيجاد الفرق الّتي تقدم لها الخدمات بشتّى صورها.

ثانياً: انّ الّذين يعملون باسم الدين يحظون أكثر من غيرهم بثقة الشعوب والقدرة على استمالة القلوب، ولذلك نجد كيف أنّ مثل هؤلاء الأفراد يمكنهم التأثير على شعوبهم بالنحو الذي ذكرناه لك.

ومن هنا يستطيع الميرزا غلام ومن شاكله ــ ممّن يتستّرون بثوب الدين في أعمالهم ويحظون بثقة الناس ــ التأثير على الناس وزرع بذور الخلافات بينهم.

انّ مؤسّسي مثل هذه الفرق كانوا مضطرّين (نتيجة نفوذهم وتعميقه) بضغوط من أسيادهم أن يعلنوا أنفسهم رسلاً من قبل الله لكي يتمكّنوا بهذا الأسلوب من نسخ الأحكام والأصول الّتي حافظت على حياة الشعوب الإسلاميّة وذلك لتحويل أبنائها إلى عناصر جامدة خامدة لا روح فيها ولا شعور، وعلى هذا الأساس حرّم الميرزا غلام الجهاد، وأعلن انّ إطاعة الإنجليز تعني إطاعة الله!!

## إدّعاؤه بانّه المسيح

تعتقد بعض الفرق الإسلامية بأنّ السيّد المسيح عليه السلام سيكون إلى جانب الإمام المهدي عليه السلام عند ظهوره، وانّ الله تعالى قد رفعه إلى السماء، وسينزل عليه السلام في اليوم الموعود عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام يأخذ بأيدي الناس نحو الكمال والتوحيد.

ولكي يتمكّن الميرزا غلام من إغراء الأفراد البُسطاء، فقد ادّعى انّه المسيح الموعود مع انّ هذا الإدّعاء يعتبر ادّعاءاً فارغاً، ذلك ان عيسى عليه السلام ولد قبل ميلاد الرسول صلّى الله عليه وآله بأكثر من ستمائة سنة، كما انّ القرآن الكريم يرد على الذين يقولون بأنّ عيسى عليه السلام هو ابن الله، قائلاً: «انّ مثل عيسى عند

الله كمثل آدم خلقه من تراب. . .» إلاّ انّنا نلاحظ انّ ميرزا غلام أحمد القادياني قد نسي في ادّعائه حتّى أبده بديهيات القرآن، ولعلّ الله سبحانه وتعالى أراد فضحه ذلك انّ عيسى عليه السلام وكما جاء في القرآن لم يكن له أب، وقد ولد بواسطة نفخ الروح في مريم عليها السلام مع انّ (الميرزا صاحب) يقرّ بأنّه ولد بعد أربعة عشر قرناً على هجرة الرسول صلّى الله عليه وآله.

والّذين يعتقدون بأنّ المسيح سيظهر يقصدون بذلك المسيح الذي ذكر في القرآن، والّذي رفعه الله إلى السماء والذي يتّفق عليه أكثر العلماء.

وفي قوله عزّوجلّ:

«بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً» (النساء/ ١٥٨).

بيان جلي صريح على أنّ عيسى عليه السلام قد رفع إلى السماء، فكيف يدّعي الميرزا غلام أحمد وبعد عشرين قرناً بأنّه هو المسيح الموعود والحال أنّه لم ينزل من السماء ولا يمتلك علائم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام؟!

وحول ادّعائه بأنّه الإمام المهدي، فلابدّ من القول أنّ الإمام المهدي عليه السلام هو من نسل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الّذي لم ينزل عليه ــ ولا على أولاده من الأئمة بعده ــ الوحي أبداً، بل كان وصيّ الرسول صلّى الله عليه وآله وإماماً للمسلمين، فإنّ الوحي هو من اختصاص الأنبياء فقط، فكيف تجرّأ الميرزا غلام وادّعى المهدويّة وبأنّ الوحي نزل عليه بينما لا يصرح أيّ عالم بنزول الوحي على الإمام المهدي أبداً؟ وهذا أمر واضح وبديهيّ بالنسبة للمسلمين.

## إدّعاؤه النبوّة

لقد أعلن الميرزا غلام أحمد (الميرزا صاحب) في المرحلة النهائية من ادّعاءاته بأنّه رسول من قبل الله! (سفينة نوح / ص٤٨ وتذكره الشهادتين).

وفيما يلي بعض عباراته:

(يا أحمدي أنت مرادي، ومعي، سرّك سري، وشأنك عجيب، وأجرك قريب، انّي أمرتك واخترتك، ويقولون لست مرسلاً، قل عندي شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون، انّي معين من أراد إعانتك)!!

ولمزيد من الإطّلاع يراجع كتاب تذكرة الشهادتين (ص٣ــ٧) للتعرّف على مدى تحريف هذا الشخص للآيات القرآنيّة وخلطها بعبارات وضعها بنفسه وادّعى

بأنّها وحي من عند الله.

وقد قال فيما استدل به على انه نبي مرسل بأنّه هو أحمد الذي ذكر في الآية القرآنية.

﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل انّي رسول الله إليكم ومصدّق لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...﴾ (الصف / ٦).

كيف يمكن جمع هذه الإدّعاءات المتناقضة؟! لابدّ انّه قد منح نفسه بنفسه لقب المسيح، ثمّ الرسول أحمد!!.

انّ أدنى قدر من الدقّة يظهر لنا بوضوح أنّ الرسول أحمد الذي بشّر به عيسى عليه السلام كان رسول الإسلام العظيم محمداً صلّى الله عليه وآله وبالإضافة إلى ذلك ادّعى الميرزا غلام أحمد بأنّ روح رسول الله محمد صلّى الله عليه وآله قد حلّت في جسمه، بينما تعتبر مسألة «الحلولية» مسألة مرفوضة في الإسلام، وإذا ما كانت روح الرسول محمد صلّى الله عليه وآله تحلّ في جسم إنسان ما بعد أربعة عشر قرناً، فلابدّ وأن يكون الرسول صلّى الله عليه وآله قد أخبر من قبل الله بذلك، وانّه أعلن عن ذلك للمسلمين بعده، ذلك أنّ مقام النبوّة مقام تعييني، وله قيمة عالميّة ودرجة كبيرة من الخطورة والحساسية.

انّ العقل يحكم بأن يقوم الرسول بذلك الأمر لكي يتقبّله الناس، وليس هناك أيّ دليل قرآني أو رواية وحديث ـ قط ـ يؤيّد حلول روح رسول الله محمد صلّى الله عليه وآله في جسم إنساني آخر، فهذا الإدّعاء يشبه ادّعاء عبدة الأصنام بحلوليّة الله في الأصنام.

## إدّعاء آخر

لأجل إثبات نبوّته المزيّفة، يقول الميرزا غلام بأنّ الزمن الفاصل بين موسى وعيسى عليهما السلام كان أربعة عشر قرناً، لذلك فإنّ الزمن الفاصل بينه وبين محمد صلّى الله عليه وآله هو أربعة عشر قرناً، حيث انّ ظهور رسول كلّ أربعة عشر قرناً أمر ضروريّ.

واستناداً إلى مقولة الميرزا غلام فإنّ رسالة سيّدنا محمد صلّى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ مشكوك في أمرها، إذ انّ الزمن الفاصل بين عيسى عليه السلام ورسول الله صلّى الله عليه وآله هو ستّة قرون، فكيف يمكن للميرزا غلام أن يقبل

بذلك، كما يدّعي في نفس الوقت بأنّه يقبل برسالة الرسول محمد صلّى اللّه عليه وآله وبأنّ روح محمد صلّى اللّه عليه وآله قد حلّت فيه مع أن الفاصل الزمني بين الرسول الأكرم والمسيح عليه السلام، يقلّ عن أربعة عشر قرناً؟!

ما أسخف الدليل الّذي استند إليه الميرزا غلام أحمد.

ومن هنا يتّضح لک هنات ادعاءاته وسخافاتها.

دليل آخر على خاتمية الرسول صلّى اللّه عليه وآله: انّ حديث المنزلة الذي أشرنا إليه سابقاً والذي تضمّن ما نصّه:

«يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ من بعدي».

يبيّن انّ الفرق بين رسول اللّه محمد صلّى اللّه عليه وآله وموسى عليه السلام هو انّ سلسلة الأنبياء لم تنته بعد موسى، الاّ أنها اختتمت بنبيّنا محمد صلّى اللّه عليه وآله، وهذا الحديث الذي يحظى بقبول العامّة والخاصّة وروته الشيعة والسنّة، يبيّن ــ وبشكل صريح ــ مسألة خاتميّة رسول الإسلام.

كيف ادّعى الميرزا غلام أحمد النبوّة رغم وجود هذا الحديث الواضح الذي يعلن إنتهاء سلسلة الأنبياء؟

إلى هنا يتّضح لنا مدى تناقض أقوال وادّعاءات الميرزا غلام أحمد، فتارة يدّعي حلول روح نبيّ الإسلام في جسمه وهو ما يناقض الأصول والفلسفة الإسلاميّة ولم يكن أيّ من علماء وفلاسفة الإسلام يقبل مسألة الحلول، كما وليس هناك أيّ دليل نقلي من القرآن والأحاديث يدلّ على صحّة هذه المسألة.

انّ مسألة حلول روح إنسان في إنسان آخر موجودة في العقائد الهندوسيّة، كما تقدّم في الجبهة الهندوكية، وتعتبر جزءاً من معتقداتهم الدينيّة، وقد يكون الميرزا غلام قد أخذ هذه الفكرة استناداً إلى الفلسفة الهندوسيّة، وفي مثل هذه الحالة فإنّ استدلاله يعتبر أجنبيّاً عن الإسلام.

قال عزّوجل:

«إنّ الدين عند اللّه الإسلام... ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران /١٩ــ٨٥).

فالنظرة البديهية المستوحاة من هذه الآية تقول: إذا كان من المقرّر أن يأتي بعد الإسلام دين ونبيّ جديد، فما كان داع في أن تقول هذه الآية: بأنّ أيّ فرد يريد

ديناً غير الإسلام فلن يقبل منه ويعتبر في الآخرة من الخاسرين، علاوة على ذلك فإنّ في هذه الآية حصر يبيّن انّ الدين عند الله الإسلام فقط.

وأخيراً لابدّ من القول وبشكل صريح بأنّ كلّ ألاعيب وادّعاءات الميرزا غلام أحمد جاءت تنفيذاً لأوامر أسياده الإنجليز، ومن الملفت للنظر انّ فرقتي: البهائيّة والقاديانية قد ظهرتا في ايران والهند في آن واحد كما ويعتبر مؤسّسوا هاتين الفرقتين انّ إطاعة الحكومة الانجليزيّة أمر واجب، مثلاً الميرزا غلام أحمد يعتبر إطاعة الحكومة الانجليزيّة إطاعة لله ويقول: (في اعتقادي انّ الإسلام يضمّ جانبين: الأول إطاعة الله، والآخر إطاعة ـ هذه ـ الحكومة الانجليزية التي أقامت الأمن في العالم وأظلّت المظلومين بظلّها، وأخرجتهم من أيدي الظالمين، فإذا ما تمرّدنا على الحكومة البريطانية فإنّ ذلك يعتبر تمرّداً على الله والإسلام ورسول الله) هذا ما جاء نقلاً عن كتاب «الإرشاد» للميرزا غلام أحمد القادياني في رسالة تحت عنوان «جدير بالحكومة أن تنتبه لميرزا غلام أحمد القادياني».

## تحريم الجهاد

انّ تاريخ الحقب السالفة والأمم السابقة المدوّن في كتب التأريخ يبيّن بأنّ هناك أناساً وشعوباً وقفوا بوجه ظلم الحكّام الجائرين لكي يثبتوا للأجيال القادمة انّه ليس من شأن الإنسان أن يكون إنساناً ويخضع في نفس الوقت للذلّ، خاصّة وانّ حياة الأئمّة والقادة الصالحين كانت مفعمة بالثورات والوقوف بوجه الظالمين.

ولا يهمّنا مدى نجاح أو فشل المجاهدين والثوريّين في مساعيهم خلال المراحل السابقة، كما ولسنا بصدد إثبات ذلك، إلاّ انّ الأمر الواضح هو صمود ومقاومة أغلب الأقوام والشعوب السالفة أمام الظلم، كما ونلاحظ في هذه البرهة من الزمن الشعوب المظلومة التي تحمل الأهداف الصحيحة والّتي تقف بوجه الفراعنة والمتجبّرين وتتحمّل الآلام والمشقّات والتعذيب والعيش في الصحارى والغابات لسنين طويلة، نلاحظها لا تتخلّى عن حرّيتها وحقوقها وهذا ما نشاهده في آسيا وفي أفريقيا، وكثيراً ما نشاهد أنّ المناضلين والأحرار رغم سعيهم الحثيث لتحقيق الأهداف المنشودة، وفناء عمرهم في هذا الطريق إلاّ انّهم قد لا يتوصّلون إلى تحقيقها وإنجاحها، وبذلك يدفعون بثورتهم إلى الأجيال الأخرى لتتحمّل أعباء القيام بذلك.

والظاهر انّ سلوك هذا الطريق أمر لابدّ منه بالنسبة للإنسان، أي: أنّ عقل الإنسان وإنسانيته وفطرته تحكم عليه أن يدافع عن حقّه وحقّ المجتمع وكرامته وحريّته.

وأمّا إذا ما أطلقنا على هذه السيرة والسنّة إسم العقلية والفطريّة، فلم نبتعد عن الحقيقة، إذن فلو سكت الفرد أو المجتمع عن الظلم، وترك الظالم والحكومة الباغية يعبثان دون اعتراض فإنّ هذا الفرد أو المجتمع يعتبر ميّتاً ومنحرفاً عن فطرته.

انّ قليلاً من المطالعة في باب الجهاد ــ من وجهة نظر الفقه الإسلامي ــ تظهر بوضوح انّ الإسلام يعتبر الجهاد والدفاع دستوراً وتكليفاً، كما ويعتبر المعرضين عن الجهاد إذا كان بحكم المعصوم مرتدّين، ذلك ان الله قد خلق العالم على أساس الحق والنظام، وقد جعل الجهاد ضماناً لهذين الأساسين.

وسنشير في هذا المجال إلى بعض الآيات القرآنية كنماذج للدلالة على قولنا:

١ــ «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» (البقرة/٢١٦).

هذه الآية الكريمة تدعو المسلمين إلى الجهاد وتعتبر ذلك مبعث خير وسعادة، وليس هناك شكّ في أنّ الخير والسعادة يعنيان حفظ الإسلام والمسلمين من شرّ الأعداء وغلبتهم عليهم، كما أنّ جزاء الآخرة يعتبر من ضمن الخير الذي وعد الله بمنحه لمجاهدي طريق الحق.

٢ــ «وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج» (الحج/٧٨).

هذه الآية ــ كسابقتها ــ تدلّ على وجوب الجهاد، وقد جاء سياقها على شكل أمر يدلّ على الوجوب.

٣ــ «وقاتلوا في سبيل الله الّذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين» (البقرة/١٩٠).

٤ ــ «واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتّى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم

فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين» (البقرة/١٩١).

يقال: إنّ هذه الآية قد نزلت حول صحابي كان قد قتل أحد الكفّار في أحد الأشهر الحرم وكان المسلمون يعترضون عليه لأنّه قتل فرداً في ذلك الشهر، وقد ذكرت الآية ان الفتنة أشدّ من القتل، وانّ المقتول كان يبتغي الفتنة، وعلى أيّة حال فإنّ هذه الآية تدلّ على وجوب الجهاد وتعتبر إخراج المشركين من مكّة أمراً واجباً على المسلمين.

ويظهر من خلال هذه النماذج من الآيات ان الجهاد يعتبر أمراً واجباً، فبدونه يقوم المستكبرون والبغاة باستعباد الدنيا والمستضعفين من أهلها دون مواجهة أيّة ردود فعل ولقد كان الجهاد ـ دائماً ـ يدخل الرعب والخوف في نفوس المستكبرين.

ولذلك سعى الأعداء إلى إزالة الجهاد من بين المسلمين، واعتبار هذا الحكم منسوخاً.

ويعتبر الميرزا غلام أحمد القادياني أحد اللّذين حرموا الجهاد بالسيف (كان السيف أداة الجهاد في ذلك الوقت) فقد كتب في كتاب «حاشية الأربعين» ج٤، ص١٥ يقول: «انّ الجهاد قد أوقف في عهدي إلى الأبد».

كما ذكر في الصفحة ٤٨ من كتاب «سفينة نوح» بعد ادّعائه النبوّة بشكل صريح بأنّ الله قد أرسل رسوله الصادق إلى قاديان، وهو يحرّم الجهاد عليكم سواء أكان جهاداً في سبيل الدين أو في سبيل الناس.

وتبيّن لنا بوضوح من خلال أقوال الميرزا غلام سبب تحريمه هذا الحكم الإلهي الواجب وطبيعي فإن من يقرأ أقوال الميرزا غلام المدرجة في الصفحة (٩٩) من كتاب «إزالة الأوهام» سوف لا يساوره أدنى شك في إعراضه عن الجهاد، إذ انّه يعتبر طاعة الحكومة البريطانية والخضوع لها جزءاً من الإيمان والإسلام، كما يذكر في «حاشية الأربعين» بأنّ التحريم والنهي والنسخ الذي يدّعيه يرتبط بشريعته الكاذبة الّتي كان يطرحها على بسطاء المسلمين باسم الإسلام.

واليوم فليس هناك أدنى شكّ في عمالة هذا الخائن والملحد، وإذا ما ادّعى أحد بأن الجهاد كان في عهد الرسول والأئمّة الأطهار أمراً واجباً، لكنه يفقد هذه الخاصية في زمن الغيبة، فإنّنا نجيب عليه بأنّ الدفاع في زمن الغيبة إنّما هو أمر

واجب وضروريّ، ـ عقلاً ونقلاً ـ لكن الميرزا غلام الذي يرى في إطاعة بريطانيا أمراً واجباً، هذا الشخص يحرم الدفاع كذلك!!

والسؤال هو: كيف انّ شخصاً يدّعي النبوّة، يسمح لنفسه السكوت أمام الظلم والإستعمار وناهبي ثروات المسلمين وحقوقهم؟ ثمّ انّ الذي يحثّ الناس على السكوت أمام الظلم والرضوخ له، إنّما يقوم بعمله هذا بإفساد الأمّة، لا إصلاحها كما يزعم!

ومن الضرورة بمكان أن نورد هنا عبارة أخرى من عبارات الميرزا غلام أحمد، تناقض ما ذهب إليه فيما بعد، ففي الصفحة(٧) من كتاب «فلسفة الأصول» (المترجم إلى اللغة العربيّة من اللغة الأردية من قبل السيّد زين العابدين وليّ الله شاه) يقول تحت عنوان «حقيقة الغزوات الإسلاميّة»:

«نعم، حقّ على الله أن لا يترك الظالمين دون عقاب، وحق عليه كذلك أن يعذّب الذين أوصلوا الظلم إلى أعلى مراتبه ويحاولون القضاء على الإسلام، إذ ان ترك الظالمين دون عقاب يعني ذبح الصالحين تحت أقدام هؤلاء، كما انّ غزوات سيّد الأنبياء جاءت في الواقع للسبب التالي وهو انّ هؤلاء الظالمين كانوا يخرجون المسلمين من ديارهم ويقتلون الكثير منهم ظلماً وعدواناً ويمنعون نموّ الإسلام وانتشاره، ولذلك يقتضي القانون الإلهي حماية المظلومين بالسيف وخلاصة القول انّ حرب رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت من أجل إنهاء الفتن، وإعلان الثورة ضدّ الشرك والإلحاد وإنقاذ الإسلام من الأخطار التي كانت تهدّده، ولو لم يجاهد الرسول ولم يدافع، لكان ذلك يؤدّي إلى فناء الإسلام».

هذا هو تعليل القاديانية لغزوات الإسلام والرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله.

والسؤال المطروح هو: بأيّ دليل نقلي، بل وعقلي تمكّن الميرزا غلام من تحريم الجهاد والدفاع، والقضاء على الكرامة الإنسانيّة لأتباعه؟ هل يعتبر الأحكام القرآنية منسوخة؟ أم انّ كتاباً نزل عليه من قبل الله سبحانه وتعالى نسخ أحكام القرآن؟

وهذا غير ممكن، لأنّ الميرزا غلام أحمد القادياني يستند في أكثر بحوثه على الآيات القرآنية، ويربط جميع الآيات القرآنية بالوحي الذي ينزل عليه كما يزعم

هو، ولا يعتبر الكتاب الذي جاء به الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله منسوخاً، ويدّعي بأنّ روح محمد صلّى الله عليه وآله قد حلّت فيه «في حين أنّ مسألة الحلول في الفلسفة الإسلامية تعدّ من البحوث الفلسفيّة الباطلة المنبوذة، خاصة فيما يتعلق بالتعليل الذي جاء به ذلك الشخص لغزوات الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله انه يعلّل غزوات النبي بصورة استدلال عقلي (يراجع كتاب فلسفة الأصول الإسلاميّة ـ تأليف الميرزا غلام)، فهل يعتبر استدلاله العقلي غير صحيح بحيث يعتبر الجهاد مطابقاً لحكم الشرع والعقل أحياناً، وينهي عنه في أحيان أخرى؟!

وخلاصة الكلام: انّ فرقة (القاديانية) تأسّست بأمر من (الحكومة البريطانية) وبمباركتها وجهودها ومساعيها وتخطيطها وانّ مؤسّسها الميرزا غلام القادياني استطاع من خلال الإدّعاء بالنبوّة أن يقدّم خدمة كبيرة للحكومة البريطانية، وفي نفس الوقت يوجّه ضربة قويّة للمسلمين(١٥٢).

## الأحمدية

انشقّ عن القاديانيّة بعد نشأتها بقليل وتفرّع عنها ما يعرف باسم الأحمديّة أو جماعة لاهور وتزعم هذا الشق شخصان:

**١ـ خواجه كمال الدين.**

**٢ـ مولاي محمد علي.**

وجوهر الإفتراق بين هذه الطائفة وبين القاديانية الأم انّها تنظر إلى ميرزا غلام أحمد مؤسّس المذهب القادياني على انّه مصلح ديني فقط بينما تنظر إليه القاديانية على انه نبيّ مرسل وهذا ما يظهر جلياً من خلال تصريح لميرزا بشير أحمد الخليفة القادياني الثاني في كتاب حقيقة النبوّة حيث قال فيه:

انّ (غلام) أفضل من بعض أولي العزم من الرسل (ص٢٥٧).

وفي صحيفة الفضل المجلّد الرابع عشر ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧م انّه كان أفضل بكثير من الأنبياء، ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء وفي صحيفة الفضل المجلّد الرابع عشر ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧م انه كان أفضل بكثير من الأنبياء ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء وفي صحيفة الفضل (المجلّد الخامس): لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وتلاميذ ميرزا غلام أحمد، إلاّ انّ أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية.

وفي عدد ٩٢ بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩١٨م من الفضل (المجلد الثالث) ميرزا هو محمد (ص) وهو مصدق القرآن الكريم اسمه أحمد.

وعلى كلّ حال فالزعيم الثاني لهذه الطائفة ـ أعني الأحمديّة ـ مولاي محمد علي انتهى من ترجمة القرآن الكريم إلى الانجليزية في سنة ١٩٢٠م وألف كتابه الإسلام في سنة ١٩٣٦م ويبلغ عدد الأحمديّة اليوم أكثر من نصف مليون منهم ستّون ألفاً في الهند.

## ظاهرة القفزات النوعية

## في الأطروحات العشوائية للمدعين للسفارة

يلاحظ مما قدمنا ذكره عند سرد أسماء أصحاب السفارات المزيفة انه سرعان ما يدعي الواحد منهم أكثر من زعمه في بادئ أمره حيث يدعي انه الإمام المهدي عليه السلام نفسه وأخرى النبوّة وأخيرة الربوبية بزعمه ان الروح الإلهية قد حلّت في شخصه إلى غير ذلك من الترهات الخاوية والسخافات الواهية.

ويرجع السبب الأصلي في منشأ هذه الظاهرة كما ألمحنا إليه سابقاً إلى تلك العوامل الفاعلة في سوق المدعي لإظهار مزاعمه الباطلة ومما لا ريب فيه ما يظهر منه من حالة الإنفلات هذه إذا كان قوام أمره على ما قدمنا تفصيله لأن هذه الحالة المرضية الشاذة شأنها كشأن سائر الأمراض البدنية الأخرى كلما توفرت الدواعي لاستفحال الداء تمادي البلاء في غيّه إلى درجة الفتك بالإنسان في أغلب حالاته.

ومن أجل ذلك سنتناول في هذا الموضع المراتب المتصـوّرة في تلك الإدعاءات من خلال استعراض أربع عناوين رئيسية زيادة على ما قدمنا ذكره في خصوص الأخيرة منها:

**١ ـ دعوى الألوهية**

**٢ ـ دعوى النبوّة**

**٣ ـ دعوى الإمامة**

**٤ ـ دعوى السفارة**

وقبل البدء في استعراضها نقدم أمام حديثنا عنها إشارة إلى مطلبين هامين كمقدمة للشروع (أولهما) يتناول تاريخ الدعوات المنحرفة والخطوط الهدامة

البارزة في تاريخ البشرية. و(ثانيهما) نستعرض فيه معاني الألقاب المقدسة لمفاهيم النبوّة والإمامة والولاية وما يتصل بها بسبب وذلك لإعطاء دقة أكبر في تحديد المسار الذي نتوخاه من خلال التسلسل الموضوعي الذي ننتهجه في دراستنا هذه.

## المطلب الأول

ونقتصر في الإشارة إليه على ما ذكره أبو ريحان البيروني في كتابه ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٣١ ـ ٣٩) حيث أورد فائدة جليلة حول اختلاف البشرية من لدم آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام إلى مسألة أولئك الذين ادّعوا السفارة في زمن الغيبة الصغرى كالحلاج وابن العزاقر وذلك بقوله:

منهم من أقر بحدوث العالَم وزعم أنّ مدّته ألف ألف سنة مقسومة بأربعة أقسام أولها أربع مائة ألف وهو زمان الصلاح والخير والثاني ثلاثمائة ألف وهو أقل خيراً من الأول، والثالث مائتا ألف وهو أقلّ خيراً من القسمين الأولين والرابع مائة ألف وهو زمان الشر والفساد، ونحن في هذا القسم الأخير منها.

وذكر في الكتب المؤلّفة بالقرب من سنة ثلاثمائة للهجرة أن الماضي من هذا القسم اثنا عشر ألف ومائتان وأربعون سنة.

ومنهم من أقرّ بأبوّة آدم ومنهم من أنكر ونسب إلى كل فرقة أباً على حدة وقالوا: لو كان الأب واحداً في المبدأ لتشابهت الأجسام والهيئات ولاتفقت الألسنة واللغات، ولا أدري أيّ استدلال هذا فإنّ اختلاف الأجسام في ألوانها وصورها وطبائعها وأخلاقها ليس من اختلاف الأنساب فقط، بل لاختلاف التراب والمياه والأهوية والمساكن من الأرض أيضاً، واختلاف اللغات انما هو لتمايز الناس فرقاً وتباعد بعضهم عن بعض واحتياج كل واحد منهم إلى مواضعات يعبّرون بها عن صنوف إرادتهم وامتداد الزمان عليهم إلى أن كثرت تلك العبارات وحُفظت وتركبت بتكرارها المواضعات فانتظمت.

وللشمنية والهند في أخبار البُدّ الأوّل والبدّ الذي جاء بعده من ذهاب النور في جهاته الخمس ومشيه في الهواء مرتفعاً عن الأرض قدر شبر وعجائب أخباره وكيفية نيل الرجل البوذسفية والبُدّية التي بها ينجو من الولادة والموت ـ يَعنُون التناسخ ـ ما يبهت لها السامع.

واليونانيون زعموا انّ واضع النواميس والشرائع هو زاوس الذي ينتهي إليه النسب، فمن أقرّ منهم بحدوث العالم زعم انه أب البشر، ومن قال بقدمه وأنكر حدوثه زعم ان الناس كلّما كثروا في الأرض فاجأهم طوفان فأفناهم ثم تلاه النشو فابتدؤا متحابّين متآنسين حتى يكثروا بالتناسل فيبدو فيهم مع الكثرة التباغض والتحاسد والتنافس حتى يكون سبباً للفتن والحروب وسائر الشرور والمكاره فيعود الطوفان إذا بلغ الأمر مبلغه ومنتهاه، قالوا: وزاوس الذي نسبوا إليه وضع السنين هو أبو البشر بعد الطوفان الأدنى المتقدم لهذا الدور، وفي كتاب النواميس لأفلاطون ما يشبه هذا ويطابقه.

ثم أتى زرادشت بن سفيذنومان الآذربيجاني من نسل منوشجهر الملك وأهل بيوتات موقان وأغنيائها وأشرافها وذلك عند مضي ثلاثين سنة من ملك بشتاسف في مدرعة مشققه الجانبين عن اليمين وعن الشمال مزنّر بزنّار من ليف مقدَّم بفدام من لبد معه طرس بال قد حمله بيده إلى صدره فيزعم المجوس انه نزل من السماء على سقف الإيوا ببلخ عند انتصاف النهار فتشقّق له السقف وانتبه بشتاسف من قيلولة فدعاه إلى المجوسية وإلى انها الإيمان بالله وتسبيحه وتقديسه والكفر بعبادة الشيطان وطاعة الملوك وإصلاح الطبيعة ونكاح أقرب الأنساب، فأما نكاح الأمّهات فقد سمعتُ الصفهبذ مرزبان بن رستم يحكي انه لم يسنّ ذلك لهم وانما أفتى به حين جمع له بشتاسف نظراء أهل زمانه وعلمائهم فسألوه في خلال مسائلهم عمّن انفرد عن الناس مع امّه وخشي انقطاع نسله ولم يجد سبيلاً إلى الظفر بالأناث غير امّه، فأجابهم بجواز وطئ الأمّ له، وجاء بكتاب يسمّونه ابستا وهو على لغة مخالفة للغات جميع الأمم بل هو مبني بُنْيةً مفردةً بحروف زائدة العدد على عدد حروف جميع اللغات كيلا يختصّ بعلمه أهل لسان دون لسان، ووضعه بين يدي بشتاسف وقد حضر عظماء أهل مملكته فاجتمع الخلق منهم وأمر بإذابة النحاس فأذيب وقال: اللّهمّ إن كان هذا كتابك الذي أرسلتني به إلى هذا الملك فامنع مضرّة النحاس عني! ثم أمر بصبّه عليه فأفرغ على صدره وبطنه فجرى فوقه وتحبّب وتعلّق بكلّ شعرة من شعوره بندقة مستديرة من نحاس، وسمعتُ ان تلك البنادق كانت محفوظة في خزائنهم أيام ملكهم، فأجابه بشتاسف وزعم ان ملائكة من عند الله جاءته فأمرته أن يؤمن بزرادشت حين أبى قبول ما جاء به، ومكث بعد ذلك يدعو إلى دينه سبعين سنة

وقيل بل سبعة وأربعين.

وقد زعم العبرانيون ان زرادشت كان من تلامذة الياس النبي.

وذكر هو في كتاب المواليد انه كان يقتبس العلم بحران في صباه من البوس الحكيم.

وزعم الروم انه كان من الموصل ولعلهم أضافوا في هذا القول حدود آذربيجان في حدود الموصل.

وزعمت اليونانية وحكى ذلك امونيوس في كتابه الذي عمله في آراء الفلاسفة انه كان لفيثاغورس تلميذان يقال لأحدهما قلايوس وللآخر فيلكوس فأما قلايوس فإنه صار إلى بلاد الهند وتملذ له برخمش [الذي] تُنسب إليه البراهمة سبع سنين ولقن عنه رأي فيثاغورس. فلما مات قلايوس أحدث برخمش آراءاً زادها على مذهب فيثاغورس، وأما فيلكوس فإنه صار إلى بابل فلفيه وارطوش المعروف بزرادشت بن بورشاسب المشهور بسفيذتومان وأخذ عنه المذهب، فلما مات فيلكوس دخل زرادشت جبل سبلان ومكث فيه سنين حتى لفّق كتابه وأحدث ما أحدث، والصحيح انه كان من آذربيجان ولعلّ هذا هو ما حكيناه عنه انه ذكر في كتابه في المواليد انه كان يختلف مع أبيه إلى حرّان ويلقى اليوس الحكيم فيستفيد منه.

وقد ذُكر في كتب التواريخ ان في آخر ملك سابور ذي الأكتاف ظهرت امّة مخالفة للمجوسية فحاجّهم أذرباذ بن مارسفند من شعب دوسر بن منوشجهر وغلبهم ثم أراهم آية بأن أمر بصبّ نحاس مُذاب على صدره فصُبّ عليه وجمد ولم يضرّه فحينئذ صيّر سابور أولاده مع أولاد زرادشت في الموبذان موبذية وليس يطلق علم ما في الأبستا الذي جاء به إلا لرجل منهم يوثّق بدينه وتُحمد طريقته عند أصحاب دينهم ولا يوسّع له في ذلك إلاّ بعد أن يُكتب له سجلّ يحتجّ به في إطلاق أرباب الدين ذلك له، وكانت له نسخة في خزانة دارا بن دارا الملك مكتوبة بالذهب في إثني عشر ألف جلد من جلود البقر، فأحرقه الإسكندر حين هدم بيوت النيران وقتل الهرابذة، ولذلك ضاع من حينئذ منه قدر ثلاثة أخماسه فإنه كان ثلاثين نسكا، والباقي في أيديهم الآن قدر اثنى عشر نسكا ونَسك اسم قطعة من قطاعه كما نسمّيها نحن للقرآن أسباعاً.

ومن أصحاب النجوم من يستدلّ على بطلان نبوّة زرادشت وبعض من خرج بعده بأنْ قال: ان الخارج فيما زاد عرضه من البقاع على ثلاث وثلاثين درجة لا يكون محقاً إن ادّعى النبوّة لعدم مسامتة الكواكب السيّارة موضعه لأنّ هذا العدد هو مجموع الميل الأعظم إلى عرض الزُهَرة إذ هي أكثرها عرضاً، وهو استدلال ضعيف وإن طابق الحق ولم يعده.

وكان لبشتاسف حينئذ وزير يسمّى جاماسب مآمن به واتّبعه، وله كتاب ذكر فيه ان الملك يعود إليهم عند مضي ألف وخمس مائة سنة من لدن ظهور زرادشت، وقد انقضت هذه المدّة على قول محصّلي التواريخ عند تمام ألف ومائتين وإثنتين وأربعين سنة من قيام الإسكندر ولم يظهر فيه إلا ما سنذكره فيما بعد، ولكنها لم تنقض على قول المجوس لإضطرابهم في مدّة ملوك الطوائف كما قدّمنا ذكره، ويجب أن يكون تمام هذه المدّة على قولهم عند تمام خمس مائة سنة لزوال ملكهم ومقتل يزدجرد ابن شهريار آخر ملوكهم، وكلّ واحد من الأنبياء رمز على ظهور مَن بعده، وقد ذكرنا طرفاً من رموز موسى والمسيح عليهما السلام ومن بينهما من الأنبياء وأن تأويلها الحقي راجع إلى نبيّنا محمد عليه السلام ثم تشبّه بهم من تنبأ من الكذّابين فبعضهم وَعَدَ عَوْدَهُ وبعضهم وعد ظهور من يقوّى أمره بعده، بل قلّ ما يوجد قوم إلاّ ولهم تخريجات يعلّلون بها أنفسهم ويمنّونها عود الدولة إليهم كما يرتجيه أيضا حميَر بقولهم: إنّا وجدنا على باب مدينة ظَفار مكتوباً:

لمَن مُلك ظفار؟ لحمير الأخيار

لمن ملك ظفار؟ لحبشة الأشرار

لمن ملك ظفار؟ لفارس الأحرار

لمن ملك ظفار؟ لقريش التجّار

لمن ملك ظفار؟ لحمير بَحار

أي: يرجع إليهم.

وقوم من المكايدين لما لم تمكنهم المجاهرة بالإلحاد والمكاشفة أظهروا تصديق الأنبياء وأسرّوا حسواً في ارتغاء فعادوا من حيث والوا وأفسدوا حين أصلحوا كأحمد بن الطيّب السرخسي فكان أشهر أهل زمانه بالإلحاد وألّف كتاباً في قِران النحسين في برج انتحاسهما وهو السرطان ومثّل قرانهما في آخر الساعة

الخامسة من يوم الأحد لثلاث خلون من رمضان قبل الهجرة بستّة أشهر واستشهد بالدلائل الأحكامية على ابتزازية الزهرة بالدولة المنقولة إلى العرب، وكانت بحسابه في ثماني عشرة درجة وسبع وعشرين دقيقة من برج الحوت، والذي بقي لها إلى آخر البرج إحدى عشرة درجة وثلاثون دقيقة تكون جملتها إذا حسبت ستمائة وثلاثة وتسعين، فحكم بأن دولة الإسلام تكون بقدر هذه الدقائق سنين، واستشهد على ذلك من القرآن بأنّ جميع الحروف المقطّعة التي في مبادئ السور مثل الم والمص والر وأسقط منها ما كان مكرّراً فيها وحسب الباقي بالجُمل فكان ستمائة وثلاث وتسعين، فتعلّق بذلك من يرجو انتقال دولة العرب وتبدّل ملّة الإسلام وهجس في قلوب ضعاف المسلمين هواجس باطلة ولم ينظروا حقّ نظر حتى يعرفوا انّ ذلك أولاً عند المنجّمين غير صحيح، ولو صحّ عندهم لتركوا إرصادهم ورجعوا إلى رمز الأنبياء حتى يعرفوا منها مواضع الكواكب بدرجها ودقائقها، وعلى أن النبي عليه السلام لم ينذر إلاّ بالسعة ولم يخبر إلاّ بظهور دينه على الأديان كلّها واتّصال ملك العرب إلى يوم القيامة واختتام الأنبياء به، ولو كان المقصود من تلك الحروف هذا الحساب لكان تكريرها ضرباً من اللغو ولكان النبي عليه السلام أحقّ بمعرفته والمحاجّة به حين جاءته أحبار اليهود وكهنتهم مثل كعب بن الأشرف وحُيّي بن أخطب وابن ياسر وابن أبي الحقيق كنانة بن الربيع ورفاعة بن يزيد بن التابوت وابن صوريا فاستعلموه ما أُنزل عليه فتلا الم فقالوا: انّ ملكك إحدى وسبعون سنة، فقال رسول الله: انه قد أنزل عليّ مع هذا غيره، وعدّد سائر المقطّعات فقاموا من عنده وقالوا: قد أشكل علينا أمرك، فما كان عليه السلام يحذف الحروف المكرّرة وليت شعري متى صار السرخسي يستشهد بآي القرآن وقد سبق له كتب ومقالات في تكشيف أسرار المموّهين عنى بهم الأنبياء فاتخذهم فيه سخرياً وذكرهم بما يجلّون عن مثله ولا يحيق المكر السيّئ إلاّ بأهله، ولئن اعتلّ بعض ناصريه والذابّين عنه بأنه عنى إتيان الساعة بعدها لكان مدّعياً ما يشهد القرآن بخلافه، قال الله تعالى: «يسألونك عن الساعة أيّان مرسيها فيم أنت من ذكراها قل إنما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو ثقلت في السماوات والأرض لا يأتيكم إلاّ بغتة يسألونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون» فقال عليه السلام: «ما المسؤول بأعلم بها من السائل» فأيّ قطع لأطماع الباحثين عنها اقطع وأيّ نصّ

الخامسة من يوم الأحد لثلاث خلون من رمضان قبل الهجرة بستّة أشهر واستشهد بالدلائل الأحكامية على ابتزازية الزهرة بالدولة المنقولة إلى العرب، وكانت بحسابه في ثماني عشرة درجة وسبع وعشرين دقيقة من برج الحوت، والذي بقى لها إلى آخر البرج إحدى عشرة درجة وثلاثون دقيقة تكون جملتها إذا حسبت ستمائة وثلاثة وتسعين، فحكم بأن دولة الإسلام تكون بقدر هذه الدقائق سنين، واستشهد على ذلك من القرآن بأنّ جميع الحروف المقطّعة التي في مبادئ السور مثل الم والمص والر وأسقط منها ما كان مكرّراً فيها وحسب الباقي بالجُمل فكان ستمائة وثلاث وتسعين، فتعلّق بذلك من يرجو انتقال دولة العرب وتبدّل ملّة الإسلام وهجس في قلوب ضعاف المسلمين هواجس باطلة ولم ينظروا حقّ نظر حتى يعرفوا أنّ ذلك أولاً عند المنجّمين غير صحيح، ولو صحّ عندهم لتركوا إرصادهم ورجعوا إلى رمز الأنبياء حتى يعرفوا منها مواضع الكواكب بدرجها ودقائقها، وعلى أن النبي عليه السلام لم ينذر إلاّ بالسعة ولم يخبر إلاّ بظهور دينه على الأديان كلّها واتّصال ملك العرب إلى يوم القيامة واختتام الأنبياء به، ولو كان المقصود من تلك الحروف هذا الحساب لكان تكريرها ضرباً من اللغو ولكان النبي عليه السلام أحقّ بمعرفته والمحاجّة به حين جاءته أحبار اليهود وكهنتهم مثل كعب بن الأشرف وحُيي بن أخطب وابن ياسر وابن أبي الحقيق كنانة بن الربيع ورفاعة بن يزيد بن التابوت وابن صوريا فاستعلموه ما أُنزل عليه فتلا الم فقالوا: انّ ملكك إحدى وسبعون سنة، فقال رسول الله: انه قد أنزل عليّ مع هذا غيره، وعدّد سائر المقطّعات فقاموا من عنده وقالوا: قد أشكل علينا أمرك، فما كان عليه السلام يحذف الحروف المكرّرة وليت شعري متى صار السرخسي يستشهد بآي القرآن وقد سبق له كتب ومقالات في تكشيف أسرار المموّهين عنى بهم الأنبياء فاتخذهم فيه سخرياً وذكرهم بما يجلّون عن مثله ولا يحيق المكر السيّئ إلاّ بأهله، ولئن اعتلّ بعض ناصريه والذابّين عنه بأنه عنى إتيان الساعة بعدها لكان مدّعياً ما يشهد القرآن بخلافه، قال الله تعالى: «يسألونك عن الساعة أيّان مرسيها فيم أنت من ذكراها قل إنما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو ثقلت في السماوات والأرض لا يأتيكم إلاّ بغتة يسألونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون» فقال عليه السلام: «ما المسؤول بأعلم بها من السائل» فأيّ قطع لأطماع الباحثين عنها اقطع وأيّ نصّ

وذلك كاليهود فقد قيل انهم سمّوا بذلك لقولهم «انّا هُدنا إليك» أي اتبعنا هداك وصرفوا ذلك في اللغة، وقالوا ان قول الله تعالى: «كونوا هوداً» دليل على انه من هاد يهود فهو هائد وهود، وليس ذلك بشيء إنما هو نسبة إلى يهوذا بن يعقوب عليه السلام لكون ملكهم في بيته وقُلبت الذال غير معجمة، وكالنصارى فقد قيل أيضا انه من النصر على معنى قوله تعالى «من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله» وليس ذلك بشيء بل هو نسبة إلى ناصرة أعني إلى القرية التي نزلها المسيح عليه السلام وكان يُنسب إليها فيقال: ايشوع النصارى، وكالمجوس فقد قيل أيضاً انه من النجاسة كأنهم [نجوس] فأبدلت النون ميماً لتبادلُها في الحروف كالغيم والغين والايم والابن، وقد أنكر هذا حمزة بن الحسن الاصفهاني وزعم ان المجوسي إسم معرب عن اسم سرياني وهو مكوشي لأن النبط كانوا يسمّون ملك الفرس مكوشي، ومعنى هذه اللفظة انهم باحثون عن أمر ممالكهم وكاكوشي بالسريانية الجاسوس، وكالفُرس سمّوا بذلك نسبة إلى فارس بن يهوذا بن يعقوب، وقيل بل ذلك لنزولهم بلاد فارس، وكالسريانيين يُنسبون إلى سورستان وهو سواد العراق وبلاد الشام، وقيل انه بلد من خوزستان، وليس ذلك ببعيد غير ان قول هرقل ملك الروم حين هرب من انطاكية إلى قسطنطينية والتفت إلى الشام وقال: «عليك السلام يا سورية» سلام مودّع لا يُرى انه يرجع إليها أبداً دليل على ان سورستان هي بلاد الشام. وكالعبرانيين يُنسبون إلى شطّ بحر يقال له العبر وكذلك جميع الأسماء التي اشتهرت بها الفرق المختلفة.

وعند المزدكية ان الزمان لا يخلو من نبيّ مبعوث وأن الأنبياء يُبعثون على التوالي ثم نجم في آخر سنة عشر للهجرة مسيلمة بن حبيب باليمامة وتنبأ في بني حنيفة وتكلّم بحماقات زعم انه يوحى إليه بها، وكتب إلى نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله كتاباً هذه نسخته:

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله.

ثم ظهر بعد هؤلاء رجل يُعرف بإبن أبي العزاقر وهو محمد بن علي الشلمغاني فادّعى حلول روح القدس فيه ووضع كتاباً سمّاه بالحاسة السادسة في رفض الشرائع وإيلاج الفاضل نوره في المفضول بالفجور به، فأتبعه أناس من أغمار الخلق وأباحوه حرمهم وطيّبوا أنفسهم بإيلاجه النور فيهنّ. وجدّ أمير

المؤمنين الراضي بالله في طلبه في سنة إثنتين وعشرين وثلاثمائة حتى ظفر به وبالحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وأبي عون إبراهيم بن محمد ابن أحمد ابن أبي النجم وكانا من وجوه العزاقرية، ووجد كتبهما إليه يخاطبونه بالربّ والمولى ويصفونه بالقدرة على ما يشاء ويدعونه لأنفسهم بالرحمة والإصلاح، وقد سمّى الحسين بمروزق الثلاج وأبا عون ببُشرى، وقُرّروا فاعترفوا بها وبصحّتها، وادّعى ابن أبي العزاقر انه كان ينهاهم عن دعائهم إياه بذلك وكلّف الحسين بن القاسم التبرّؤ منه وتناوله بما يصغر به قدره فوُجد متسارعاً إلى ذلك وصفقه مرّات، وأمر أبا عون بمثل ذلك فأبى وحاد عنه واستعصى إلى أن لم يجد من ذلك بُدّاً فمدّ يده إلى لحيته على سبيل توقير وتعظيم وصرف قذى واماطة أذى وارتعدت يده فأعلن بقوله «مولاي مولاي» وإبن أبي العزاقر يتبرّأ منه ويكذّب أقاويله ثم انه أبداً يباهل فإن لم تنزل النقمة إلى ثلاث فهو بعدها حلال الدم، فاستفتى الراضي بالله الفقهاء والقضاة حينئذ فأفتوا بقتله وتطهير وجه الأرض من رجسه، فصُلب وأبو عون في أحد جانبي مدينة السلام ثم قتلا ونصب رؤوسهما وأُحرق أجسامهما وافتضحت دعاويها بحمد الله ومنّه.

وهذا الطيلسان يتضمّن أبعاد ما بين تواريخهم من السنين الشمسية بالطريق المصحّح من كتاب الشابورقان وغيره، وإذا عُرف واحد منهم عرف الجميع، وقد تقدّم ذكرهم بالتفصيل فلم يُذكر منهم إلا من كان اشتهر وظهرت له آثار وبقيت له امّة ينتمون إليه ويؤرّخون به، واستوفينا ذكر ذلك وبلغنا منه مبلغاً يكتفي به إن شاء الله

## طيلسان المتنبئين

| | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| بوذاسف | | | | | | | | | | | |
| ٢٨٤٢ | زرادشت | | | | | | | | | | |
| ٣٦٣٦ | ٧٩٤ | ماني | | | | | | | | | |
| ٣٩٢٤ | ١٠٨٢ | ٢٨٨ | مزدك | | | | | | | | |
| ٤٠٤٠ | ١١٩٨ | ٤٠٤ | ١١٦ | مسيلمة | | | | | | | |
| ٤١٥٦ | ١٣١٤ | ٥٢٠ | ٢٣٢ | ١١٦ | بهافريذ | | | | | | |
| ٤١٩٣ | ١٣٥١ | ٥٥٧ | ٢٦٩ | ١٥٣ | ٣٧ | المقنع | | | | | |
| ٤٣٢٢ | ١٤٨٠ | ٦٨٦ | ٣٩٨ | ٢٨٢ | ١٦٦ | ١٢٩ | الحلاج | | | | |
| ٤٣٤٠ | ١٤٩٨ | ٧٠٤ | ٤١٦ | ٣٠٠ | ١٨٤ | ١٤٧ | ١٨ | ابن ابي زكريا الطمامي | | | |
| (٤٣٤٣) ٤٣٤٢ | ١٥٠٠ | ٧٠٦ | ٤١٨ | ٣٠٢ | ١٨٦ | ١٤٩ | ٢٠ | ٢ | ابن أبي العزاقر | | |
| ٤٤٣٥ | ١٥٩٣ | ٧٩٩ | ٥١١ | ٣٩٥ | ٢٧٩ | ٢٤٢ | ١١٣ | ٩٥ | ٩٣ | مسيح اليهود المنتظر | |
| ٤٥٠٧ | ١٦٦٥ | ٨٧١ | ٥٨٣ | ٤٦٧ | (٣٥٠) ٣٥١ | (٣١٣) ٣١٤ | (١٨٤) ١٨٥ | (١٦٦) ١٦٧ | (١٦٤) ١٦٥ | ٧٣ | الدجال |

## (المطلب الثاني)

ونتناول فيه كما أشرنا النصوص الواردة حول تحديد الصياغة المفهومية لمصطلحت النبوّة والإمامة والولاية وذلك بالنحو التالي:

### ١ ــ (مصطلح النبي في اللغة والقرآن والسنّة):

**مصطلح النبي في اللغة:**

وصف النبي عليه السلام بأنه نبيّ يحتمل أمرين فإن كان مهموزاً من الأنباء الذي هو الأخبار وإن كان مشدّداً غير مهموز فهو مشتق من النباوة التي هي الإرتفاع ويفيد فيه الرفعة وعلوّ المنزلة فمتى قصد بهذه اللفظة الرفعة لا يجوز أن يقال إلا بغير همز ولا يلزم على ذلك أن يقال في كل رفيع المنزلة أنه نبي لأن الإشتقاق وإن اقتضى ذلك فإن بالعرف صارت هذه اللفظة مختصة بمن علت منزلته لقيامه بأعباء الرسالة والعزم على أدائها إذا كان من البشر ولأجل ذلك لا توصف الملائكة بأنهم أنبياء وإن كان فيهم من هو رسول من قبل الله تعالى مؤد عنه.

هذا ما أفاده شيخ الطائفة في كتاب تمهيد الأصول وزاد الفاضل السيوري في إرشاد الطالبين بقوله وقيل: النبي هو الطريق ويقال للرسل أنبياء عن الله لكونهم طرق هداية إليه، إنتهى كلامه زيد إكرامه، وقال أبو هلال العسكري في الفروق: ان النبي لا يكون إلا صاحب معجزة والأنباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ والنبوة يغلب عليها الإضافة إلى النبي فيقال نبوّه النبي لأنه يستحق منها الصفة التي هي على طريقه الفاعل والنبوّة تكليف القيام بالرسالة فيجوز إبلاغ الرسالات ولا يجوز إبلاغ النبوّات.

**مصطلح النبي في القرآن:**

يطلق النبي في القرآن ويراد به الإنسان المخبر عن االله عزّوجل بغير واسطة بشر أعم من أن يكون له شريعة كمحمد صلّى الله عليه وآله أو ليس شريعة كيحيى عليه السلام. وإذا ورد فيه معرفاً بأل فالمراد به الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وإذا أورد منكّراً أو معرّفاً بالإضافة فالمراد غيره.

**مصطلح النبي في السنّة:**

ويتّضح لك من خلال سرد هذه الروايات المعصومية التي ذكرها ثقة الإسلام

وعلم الأعلام الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه في كتابه الشريف الكافي:

**(الأولى)** ما عن الباقر عليه السلام قال: النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك.

**(الثانية)** ما عنه أيضاً قال: النبي هو الذي يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله من أسباب النبوّة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة وكان محمد صلّى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل عليه السلام ويكلّمه بها قبلاً ومن الأنبياء من جمع له النبوّة ويرى في منامه يأتيه الروح فيكلّمه ويحدثه من غير أن يكون رآه في اليقظة.

**(الثالثة)** ما عن الرضا عليه السلام قال: النبي ربما يسمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع.

**(الرابعة)** ما عن الصادق عليه السلام قال: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبيّ منبأ في نفسه لا يعدو غيره ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السلام ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا كيونس قال الله ليونس: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) (الصافات/١٤٧) قال: يزيدون ثلاثين ألفاً، وعليه إمام والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله إنّي جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذرّيتي؟ فقال الله: لا ينال عهدي الظالمين من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً، الخبر.

## مصطلح الرسول في اللغة والقرآن والسنّة

### مصطلح الرسول في اللغة:

الرسول واحد الرسل تقول: أرسلت رسولاً إذا بعثته برسالة يؤدّيها فهو فعول بمعنى مفعول يجوز إستعماله بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث والمثنى والمجموع ويجوز التثنية والجمع فيجمع على رسل بضمّتين وإسكان السين لغة.

قال شيخ الطائفة في تمهيد الأصول: أما قولنا رسول فهو في أصل اللغة يفيد أن مُرْسِلاً أرسله بشرط أن يكون المرسل قبل ذلك لأنهم لايسمون من لا يعلمون منه

القبول رسولاً غير ان هذا وإن كان مطلق اللغة فالعرف قد خصص هذه اللفظة بمن كان رسولاً من قبل الله ولأجل هذا إذا قالوا قال الرسول كذا لا يفهم منه إلا رسول الله كما انهم إذا قالوا عاص لا يفهم من ذلك إلاّ من كان عاصياً لله تعالى دون من كان عاصياً لغيره وإن كانت اللفظة تقتضي ذلك لكن يخصص بالعرف إنتهى كلامه قدس سره.

وأضاف أبو هلال العسكري فائدة أخرى في كتابه الفروق بقوله: قد لا يكون الرسول مرسلاً لغير الله فلا يكون صاحب معجزة والإرسال لا يكون بتحميل النبأ والرسالة تضاف إلى الله لأنه المرسل بهذا ولهذا قال: برسالتي ولم يقل بنبوّتي والرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤدّيها إلى غيره.

وقال في موضع يقرب منه الفرق بين المرسل والرسول ان المرسل يقتضي إطلاق غيره له والرسول يقتضي إطلاق لسانه بالرسالة، إنتهى.

**مصطلح الرسول في القرآن:**

قال الدامغاني في قاموس القرآن: ر س ل على سبعة أوجه:

**(فوجه منها)** أرسلنا سلطنا فذلك قوله تعالى في سورة مريم: «ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين» يعني سلطاناً مثله في سورة التطفيف «وما أرسلوا عليهم حافظين» وكقوله تعالى في سورة القمر: «إنّا أرسلنا عليهم (ريحاً ــ صيحة ــ حاصبا)» أي: سلطاناً.

**(الثاني)** أرسل أي بعث فذلك قوله تعالى في سورة النساء: «وأرسلناك للناس رسولاً» أي: بعثناك للناس رسولاً» أي بعثناك للناس رسولاً مبعوثاً كقوله تعالى في كثير من النظائر «ولقد أرسلنا».

**(الثالث)** أرسل فتح قوله في سورة الملائكة «وما يمسك فلا مرسل له من بعده» أي: لا فاتح له من بعده.

**(الرابع)** أرسل بمعنى أخرج وأظهر قوله تعالى: «إنا مرسلو الناقة فتنة لهم» يعني مخرجوا الناقة كقوله تعالى في سورة الإسراء «وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً».

**(الخامس)** أرسل أي: وجّه قوله تعالى في سورة الشعراء «فأرسل فرعون في المدائن حاشرين» يعني وجه كقوله تعالى في سورة يوسف «فأرسلوا واردهم أي

وجّهوا».

(السادس) أرسل أي أطلق من العذاب كقوله تعالى في سورة الشعراء «أن أرسل معي بني إسرائيل» أي أطلقهم من العذاب مثلها في سورة طه «فأرسل معنا بني إسرائيل» وكقوله تعالى في سورة الأعراف «ولنرسلنّ معك بني إسرائيل» أي لنطلقنّ.

(السابع) الإرسال الإنزال من المطر وغيره قوله تعالى في سورة نوح «يرسل السماء عليكم مدراراً» أي: ينزل المطر كقوله تعالى في سورة الفيل «وأرسل عليهم طيراً أبابيل» ونحوه كثير.

وقال الراغب في مفرداته: ورسل الله تارة يراد بها الملائكة وتارة يراد بها الأنبياء فمن الملائكة قوله تعالى: «انه لقول رسول كريم» وقوله: «إنّا رسل ربك لن يصلوا إليك» وقوله: «ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم» وقال: «ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى» وقال: «والمرسلات عرفاً ـ بلى ورسلنا لديهم يكتبون».

ومن الأنبياء قوله: «وما محمد إلاّ رسول ـ يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك» وقوله: «وما نرسل المرسلين إلاّ مبشّرين ومنذرين» فمحمول على رسله من الملائكة والإنس وقوله: «يا أيّها الرسل كلوا من الطيّبات واعملوا صالحاً» قيل عنى به الرسول وصفوه أصحابه فسمّاهم رسلاً لضمّهم إليه كتسميتهم المهلب وأولاده المهالبة، والإرسال يقال في الإنسان وفي الأشياء المحبوبة والمكروهة وقد يكون ذلك بالتسخير كإرسال الريح والمطر نحو «وأرسلنا السماء عليهم مدراراً» وقد يكون يبعث من له اختيار نحو إرسال الرسل قال تعالى: «ويرسل عليكم حفظة ـ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين» وقد يكون ذلك بالتخلية وترك المنع نحو قوله: «ألم ترأنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزّاً» والإرسال يقابل الإمساك قال تعالى: «وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده».

## مصطلح الرسول في السنة:

ورد في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: الرسول الذي يرى في المنام ويسمع الصوت ويعاين الملك.

وفيه عن الرضا عليه السلام قال: الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل فيراه

ويسمع كلماته وينزل عليه الوحي وربما يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام وفيه أيضاً عن الباقر عليه السلام قال: هو الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلّمه.

## مصطلح الإمام في اللغة والقرآن والسنّة

### مصطلح الإمام في اللغة

الإمام بالكسر على فعال للذي يؤتم به ويُقْتَدى إنساناً كأن يقتدى بقوله أو فعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو مبطلاً والإمام الخليفة والإمام العالم المقتدى به والإمام من يؤتم به في الصلاة ويطلق على الذكر والأنثى وجمعه أئمة.

### مصطلح الإمام في القرآن:

يطلق لفظ الإمام في القرآن ويراد به خمسة أوجه كما صرح بذلك الدامغاني في قاموس القرآن:

**(فوجه منها)** إمام يعني القائد في الخير فذلك قوله تعالى في سورة البقرة لإبراهيم «إنّي جاعلك للناس إماماً» يعني قائداً في الخير يقتدى بمثالك وسنتك كقوله تعالى في سورة الفرقان «واجعلنا للمتّقين إماماً» يعني قادة في الخير يقتدى بنا.

**(الثاني)** إمام يعني كتاب بني آدم كقوله تعالى في سورة الأسراء «يوم ندعو كل أُناس بإمامهم» يعني بكتابهم الذي عملوا في الدنيا.

**(الثالث)** إمام يعني اللوح المحفوظ قوله تعالى في سورة يس «وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» يعني في كتاب وهو اللوح المحفوظ.

**(الرابع)** إمام يعني التوراة قوله تعالى في سورة هود: «ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً» يعني التوراة إماماً يقتدى به ورحمة لمن آمن به نظيرها في سورة الأحقاف «ومن قبله كتاب موسى إماماً» يعني التوراة.

**(الخامس)** إمام يعني الطريق الواضح فذلك قوله تعالى في سورة الحجر لقرية لوط وشعيب «وإنهما لبإمامٍ مبين» يعني بالطريق الواضح.

### مصطلح الإمام في السنّة:

جاء في الكافي عن الباقر عليه السلام انه قال: الإمام هو الذي يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية: «وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبيّ ولا مُحدث».

وفيه أيضاً عن الرضا عليه السلام قال: الإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

وفي معاني الأخبار سمي الإمام إماماً لأنه قدوة للناس منصوب من قبل الله تعالى مفترض الطاعة على العباد.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام قال: الذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم وقد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتى قال الله إنّي جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريّتي فقال الله: «لا ينال عهدي الظالمين» مَنْ عبد صنماً أو وثناً ولا يكون إماماً، الخبر.

وممّا يناسب ذكره في المقام قول الشيخ الطريحي في المجمع في تعريف الإمامة حيث قال: هي الرئاسة العامة على جميع الناس، فإذا أخذت لا بشرط شيء تجامع النبوّة والرسالة وإذا أخذت بشرط لا شيء لا تجامعهما، إنتهى.

وكذلك قول صاحب الميزان في كتاب الشيعة في الإسلام الذي جاء فيه: ان الإمام أو القائد الديني في الإسلام يمكن أن يكون مورد إهتمام من جهات ثلاث:

(الأولى) من جهة الحكومة الإسلامية.

(الثانية) من جهة بيان المعارف والأحكام الإسلامية ونشرها.

(الثالثة) من جهة القيادة والإرشاد في الحياة المعنوية.

تعتقد الشيعة بأن المجتمع الإسلامي يحتاج إلى الجهات الثلاث التي سبق ذكرها احتياجاً مبرماً والذي يتصدى لقيادة الجهات الثلاث بما فيها قيادة المجتمع يجب أن يعيّن من قبل الله والرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله علماً بأن النبي صلّى الله عليه وآله أيضاً يعيّن الإمام بأمر من الله تعالى، إنتهى كلامه طاب ثراه.

## مصطلح الولي في اللغة والقرآن والسنّة:

### مصطلح الولي في اللغة:

قال إبن الأثير في نهايته: في أسماء الله تعالى الولي وهو الناصر وقيل: المتولّي لأمور العالم والخلائق القائم بها، وكل من ولى أمراً أو قام به فهو مولاه ووليّه وقد تختلف مصادر هذه الأسماء، فالولاية بالفتح في النسب والنصرة والمعتق والولاية بالكسر في الامارة والولاء المعتق والموالاة والي القوم ومنه الحديث من كنتُ مولاه فعليّ مولاه على أكثر الأسماء المذكورة، إنتهى.

وقال الرازي في المختصر: الولاية بالكسر السلطان والولاية بالفتح والكسر النصرة ثم قال: وقال سيبويه: الولاية بالفتح المصدر وبالكسر الإسم، وقال الراغب في مفرداته: الولاية النصرة والولاية تولّي الأمر وقيل: الولاية نحو الدلالة والدلالة وحقيقته تولّي الأمر والولي والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل أي الموالي وفي معنى المفعول أي المولى يقال للمؤمن هو ولي الله عزّوجل ولم يرد مولاه وقد يقال الله تعالى وليّ المؤمنين ومولاهم.

**مصطلح الولي في القرآن:**

فعن الدامغاني انه على عشرة أوجه:

**(فوجه منها)** الولي الولد قوله تعالى في سورة مريم «فهب لي من لدنك وليّاً» يعني ولداً.

**(الثاني)** الصاحب من غير قرابة قوله سبحانه في سورة الأسراء «ولم يكن له وليّ من الذلّ» يعني لم يكن له صاحب منتصر به في العمل نظيرها في سورة الكهف «ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً» مثلها في سورة الكهف.

**(الثالث)** المولى القريب قوله تعالى في سورة الدخان «يوم لا يغني عن مولى شيء شيئاً» يعني لا ينفع قريب عن قريب من الكفار شيئاً من المنفعة كقوله تعالى في سورة حم عسق «وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله» يعني من أقرباء متفعة وقال تعالى في سورة العنكبوت «وما لكم من دون الله من وليّ» يعني من قريب.

**(الرابع)** الولي الرب تعالى قوله سبحانه في سورة الأنعام «قل أغير الله أتّخذ وليّاً» أي: ربّاً كقوله تعالى في سورة الأعراف «انهم اتّخذوا الشياطين أولياء من دون الله يعني أرباباً نظيرها في سورة الأنعام «ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ» أي: ربّهم نظيرها في سورة يونس «ثمّ ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ».

**(الخامس)** الولي المولى قوله سبحانه في سورة محمد (ص) «ذلك بأنّ الله مولى الذين آمنوا» مثلها في سورة التحريم «فإنّ الله هو مولاه» يعني وليّه في العون.

**(السادس)** الأولياء الآلهة قوله سبحانه في سورة الزمر «والّذين اتّخذوا من دون الله أولياء» يعني آلهة كقوله تعالى في سورة حم عسق مثلها في العنكبوت «مثل الّذين اتّخذوا من دو الله أولياء» كقوله سبحانه في سورة الجاثية «ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتّخذوا من دون الله أولياء».

(السابع) الموالي العصبات قوله تعالى في سورة مريم «وإنّي خفت الموالي من ورائي» كقوله تعالى في سورة النساء «ولكلّ جعلنا موالي» يعني عصبات.

(الثامن) المولى من الولاية في الدين قوله تعالى في سورة المائدة «إنّما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا» وقال تعالى في سورة التوبة «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض» يعني في الدين.

(التاسع) المولى المعتق قوله تعالى في سورة الأحزاب «فإن لم تعلموا أباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم» يعني المولى الذي اعتقه من الرقّ.

(العاشر) المولى في المناصحة قوله تعالى في سورة الممتحنة: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودّة» كقوله تعالى في سورة النساء «يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين» يعني في المناصحة، إنتهى.

**مصطلح الولي في السنّة:**

ورد بأكثر من معنى:

(فمنها) الولي الحاكم كما في الحديث «من ترك الحجّ كان على الوالي جبره» أراد به الحاكم المتأمر عليهم.

قال الطريحي في مجمعه: الولاية بالفتح تشعر بالتدبير والقدرة والفعل وما لم يجتمع فيها ذلك لم يطلق عليها اسم الوالي، إنتهى.

(الثاني) الولي الصديق كما في الدعاء «اللّهمّ اغفر لأوليائنا» أي: لأصدقائنا.

(الثالث) الولي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام كما في الحديث المشهور عن النبي صلّى الله عليه وآله: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه» قيل في معناه: أي من أحبّني وتولاّني فليحبّه وليتولّه وقيل: أراد ولاء الإسلام كقوله تعالى: «ذلك بأنّ الله مولى الّذين آمنوا» وقول عمر لعلي عليه السلام: «أصبحتَ مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة».

(الرابع) الولي الحالف كقولك والي اليا إذا حلف فهو مولى.

والي يولي ايلاء: إذا حلف مطلقاً وشرعاً، هو الحلف على ترك وطي الزوجة الدائمة المدخول بها أبداً أو مطلقاً.

وفي الحديث «الولاء لحمه كلحمة النسب» وروي «كلحمة الثوب» قيل في معناه المخالطة في الولاء وإنهاء تجري النسب في الميراث كما تخالط اللحمة سدى الثوب حتى تصير كالشيء الواحد لما بينهما من المداخلة الشديدة.

وفي الحديث «الزكاة لأهل الولاية» فُسّرت بالذين يتولّون الأئمّة الإثنى عشر.

ومما جاء من الحديث أيضاً قوله: «بُني الإسلام على خمس» منها: الولاية والمراد منها محبّة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم في الدين وامتثال أوامرهم ونواهيهم والتأسّي بهم في الأعمال والأخلاق، وأمّا معرفة حقّهم واعتقاد الإماميّة فيهم فذلك من أصول الدين لا من الفروع العمليّة.

## استدراك

وللفيض الكاشاني(ره) بحث شريف ذكره في علم اليقين له علاقة بالمقام أحببنا إثباته ههنا إتماماً للفائدة وتوخّياً للنفع:

قال قدس سره تحت عنوان الباب الرابع في الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام والولي ما نصّه:

**النبيّ:** من أوحى إليه بالعمل.

**والرسول:** من أوحي إليه بالعمل والتبليغ.

**والولي:** من حدّثه الملك أو ألهم إلهاماً بالعمل.

**والإمام:** من حدّثه الملك بالعمل والتبليغ.

فكلّ رسول نبيّ ــ ولا عكس ــ وكل رسول أو نبي أو إمام فهو وليّ ومحدّث ــ ولا عكس ــ وكلّ رسول إمام ولا عكس.

ولا نبيّ إلاّ وولايته أقدم على نبوته ولا رسول إلاّ ونبوّته أقدم على رسالته ولا إمام إلاّ وولايته أقدم على إمامته.

والولاية باطن النبوّة والإمامة والنبوّة باطن الرسالة وباطن كلّ شيء أشرف وأعظم من ظاهره، لأنّ الظاهر محتاج إلى الباطن والباطن مستغن عن الظاهر، ولأنّ الباطن أقرب إلى الحق فكل مرتبة من المراتب المذكورة أعظم من لاحقته وأشرف.

وأيضاً: كلّ من الرسالة والإمامة متعلّق بمصلحة الوقت والنبوّة والولاية لا تعلّق لهما بوقت دون وقت.

وقيل: بل الأخيران أفضل لأنّ نفعهما متعدٍ ونفع الأولين مقصور على صاحبيهما ــ وله وجه إلاّ أنّ التحقيق هو الأول.

وكيف كان: فليس يجب أن يكون الولي أعظم من النبيّ ولا من الرسول ولا من الإمام ولا النبي أعظم من الرسول بل الأمر في الكلّ بالعكس في وليّ يتّبع نبياً أو رسولاً أو إماماً أو نبي يتبع رسولاً، لأنّ لكلّ من النبيّ والإمام مرتبتان وللرسول ثلاث مراتب وللوليّ الواحدة.

فمن قال: ان الوليّ فوق النبيّ فإنّما يعني بذلك في شخص واحد يعني ان النبيّ من حيث هو انه وليّ أشرف منه من حيث انه نبيّ ورسول (١٥٣) وكذا الإمام من حيث انه ولي أشرف منه من حيث انّه إمام.

كيف يكون الولي أفضل من النبي مطلقاً ولا وليّ إلاّ وهو تابع للنبيّ أو الإمام والتابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعاً.

نعم قد يكون وليّ أفضل من نبيّ إذا لم يكن تابعاً له كما كان أمير المؤمنين عليه السلام أعظم من جميع الأنبياء والأولياء بعد نبيّنا صلّى الله عليه وآله وكذا أولاده المعصومين عليهم السلام، إنتهى كلامه.

## محك الصراع

ويمكن محك الصراع في تاريخ الإدعاءات المزوّرة والسفارات المزيّفة في تقمّص أفرادها ــ أصحاب الأغراض الدنيئة وذوي الأهداف الشريرة والطموحات المنحرفة ــ لألقاب المناصب المقدسة كالنبوّة والإمامة والولاية وادعاء نسبتها لأنفسهم زوراً وبهتاناً وتزييف جملة من الإدعاءات والنصوص المختلقة لتوطيد جذور مؤامراتهم ومساعيهم المشؤومة المضادّة للحق وأهل وتأتي خطورة أدوارهم تلك عند ما يتمكّنون من السيطرة والإستحواذ على عقول طائفة من الناس وتوجيهها نحو اهدافهم المغرضة فيحاربون بها الحق باسم الحق وتذبح بها الإنسانية باسم الدفاع عنها وتنتقص الحقوق والكرامات باسم المطالبة بإقرار أسسها وتنقلب أمثال هذه الحركات إلى معاول هدم لكل ما سعى الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام إلى إقراره وبثّه وتوطيده وبنائه من القيم والمثل والمبادئ المثالية السامية في الحياة ودعوة الناس كافة للإعتقاد والعمل بها بشتّى طرق الإقناع والترغيب والترهيب.

أما في الطرف المقابل فإننا لا يمكننا أن نتصوّر قيام أحد الأنبياء أو الرسل أو

الأئمة بتقمّص أدوار أحد الأدعياء والأشقياء على العكس مما قدمناه بشأن أولئك لمقام العصمة الذي يحجبهم عن مثل ذلك ويحجمهم عن التفكير فيه بأدنى تصوّر فضلاً عن إرتكابه والوقوع في شراكه مضافاً إلى أصول الكمالات النفسية والمعارف الربّانية التي تسيطر على كل وجودهم وكيانهم وجعلت منهم أفراداً متميّزين ومتفوّقين بكل ما للكلمة من معنى.

وعلى أثر هذا العرض سنحاول إلقاء الضوء على أهم الخطوط العريضة والعناوين البارزة لمثل تلك الحركات الشيطانية والتيارات الضالّة المنحرفة وذلك من خلال العناوين التالية حسبما أشرنا إليه سابقاً.

## دعوى الربوبيّة والألوهيّة

ومن أبرز الوجوه التي أشار إليها التاريخ العقائدي القديم بهذا الصدد فرعون ونمرود ونكتفي بالإشارة هنا إلى ما ورد فيهما من آي الذكر الحكيم حيث يقول عزّ شأنه:

«هل أتاك حديث موسى* إذ ناداه ربّه بالواد المقدّس طوى* إذهب إلى فرعون إنّه طغى* فقل هل لك إلى أن تزكّى* وأهديك إلى ربك فتخشى* فأراه الآية الكبرى* فكذّب وعصى* ثمّ أدبَر يسعى* فحشر فنادى* فقال أنا ربكم الأعلى* فأخذه الله نكال الآخرة والأولى* إنّ في ذلك لعبرة لمن يخشى» (النازعات/١٥ ــ ٢٦).

«وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتّى إذا أدركه الغرق قال أمنت انه لا إله إلاّ الذي آمنَتْ به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين* الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين* فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون» (يونس/٩٠ ــ ٩٢).

«ألم ترَ إلى الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه أنْ آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربّيَ الّذي يُحْيي ويُميتُ قال أنا أُحْيي وأُميت قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس من المغرب فبُهِت الّذي كفر والله لا يهدي القوم الظّالمين» (البقرة ــ ٢٥٨).

## الدجّال ودعوى الربوبيّة

ومن خلال هذا العنوان سنشير إلى شخصية تاريخية ثالثة لها حظّ وافر بهذا

الصدد إلا انها لم توجد بعد وستكون من الشخصيّات المشهودة في عصر الظهور حيث صف التكتل المعادي للإمام المهدي عليه السلام وهذا ما أوضحته طائفة من النصوص حيث أشارت فيما تضمّنته إلى ان هناك شخصية ذات أهمية خاصة في علامات الظهور وانها ستشكل محوراً رئيسياً في تقويم بنية التكتّل المعادي للحق ولصاحب راية الحق ولرسالات السماء كافة وانها ستعدّ من الأقيسة التي ستكون محنة يمتحن بها الناس في إثبات مدى انضوائهم تحت لواء الإمامة الراشدة وثباتهم على هدى الحق والصراط السويّ ومفاداتهم لها وتمسكهم بعروتها الوثقى وبين انجرافهم في الخطوط الإلحادية التي سيثيرها والشبهات التي سيلقيها إلى أذهان الناس وعلى رأسها دعواه الربوبيّة واحتياله لها بالسحر والشعوذة والبطش والإرهاب بنحو يخرق فيه ما جرت عليه العادة واقتضته قوانين الطبيعة في ظاهر حالها وسنوجز الحديث عنه بنقل جملة من الأحاديث الواردة في تناول شخصيته كما يلي:

روى رئيس المحدّثين الصدوق ــ رض ــ في الإكمال بسنده عن النزال بن سبرة انه قال:

خطبنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فحمد الله عزّوجلّ وأثنى عليه وصلّى على محمد وآله، ثمّ قال: سلوني أيّها الناس قبل أنْ تفقدوني ــ ثلاثاً ــ فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجّال؟ فقال له عليّ عليه السلام: اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل، وإن شئت أنبأتك بها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: احفظ فإنّ علامة ذلك: إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادة الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان، والإثم والطغيان، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنارات، وأكرمت الأشرار، وازدحمت الصفوف،

واختلفت القلوب، ونقضت العهود، واقترب الموعود، وشارك النساء أزواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت أصوات الفسّاق واستمع منهم. وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقِيَ الفاجر مخافة شرّه، وصُدِّق الكاذب، واؤتُمِنَ الخائن، واتُّخذَت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركب ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرجال، والرّجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير أن يُستشهد، وشهد الآخر قضاءاً للذمام بغير حقّ عرفه وتُفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمرّ من الصبر، فعند ذلك ألوحا ألوحا، ثمّ العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدّس، وليأتينّ على الناس زمانٌ يتمنّى أحدهم أنّه من سكّانه.

فقام إليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين مَن الدجّال؟ فقال: ألا إنّ الدجّال صائد بن الصيد، فالشقيّ من صدّقه، والسعيد من كذّبه، يخرج من بلدة يقال لها إصفهان، من قرية تعرف باليهوديّة، عينه اليمنى ممسوحة، والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنّها كوكب الصبح، فيها علقة كأنّها ممزوجة بالدّم، بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كلّ كاتب وأُمّي، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يُري الناس أنّه طعام، يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميلٌ، تطوي له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمرّ بماء إلاّ غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجنّ والإنس والشياطين يقول: إليّ أوليائي «أنا الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى، أنا ربكم الأعلى» وكذب عدوّ الله، إنّه أعور يَطعم الطعام، ويمشي في الأسواق، وإنّ ربكم عزّوجلّ ليس بأعور، ولا يَطعم ولا يمشي ولا يزول، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ألا وإنّ أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا، وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عزّوجلّ بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد مَن يصلّي المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام خلفه ألا إنّ بعد ذلك الطامّة الكبرى، إلى آخر الحديث(١٥٤).

وروى ابن طاووس في الملاحم والفتن عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: ان لنا بالبصرة وقعة عظيمة وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكر ما جرى حديث علي بن محمد صاحب الزنج وغيره ثم قال: ويعود دار

الملك إلى الزوراء وتصير الأمور شورى من غلب على شيء فعله، فعند ذلك خروج السفياني فيركب في الأرض تسعة أشهر يسومهم سوء العذاب فويل لمصر وويل للزوراء وويل للكوفة والويل لواسط كأني أنظر إلى واسط وما فيها مخبر بخبر وعند ذلك خروج السفياني ويقل الطعام ويقحط الناس ويقل المطر فلا أرض تنبت ولا سماء تنزل، ثم يخرج المهدي الهادي المهتدي الذي يأخذ الراية من يد عيسى بن مريم ثم خروج الدجّال من بعد ذلك يخرج الدجّال من ميسان نواحي البصرة فيأتي سفوان ويأتي سنام فيسحرهما ويسحر الناس فيكونان كالثريد وما هما بثريد من الجوع والقحط ان ذلك لشديد، ثم طلوع الشمس من مغربها إلى قيام الساعة أربعين عاماً، والله أعلم ما وراء ذلك(١٥٥).

وأورد كامل سليمان في كتابه يوم الخلاص طائفة أخرى من النصوص نوردها لك بالنحو الذي أورده؛ مع حذف تفسيراته الخاطئة لها والبعيدة عن جوهر معانيها ورموزها وإشاراتها وإبدالها بتفسيرات أخرى أقرب إلى منطوق النصوص ومفادها.

**ما روي عن النبي صلّى الله عليه و آله :**

من المأثور عنه صلّى الله عليه وآله في أكثر الكتُب التي تحدثّت عن الدجّال في آخر الزمان قوله :

١ ــ «من قاتَلَني في الأولى، وقاتَلَ أهل بيتي في الثانية، حشره الله في الثالثة مع الدجّال» فقتاله في الأولى كان على التنزيل والرسالة، وقتال أهل بيته في الثانية كان على التأويل وإرجاع الحق إلى نصابه وإعادة الحُكم إلى القرآن والسنّة، والثالثة هي قتال الإمام المهدي عليه السلام، ثم جاء عنه صلّى الله عليه وآله قوله:

٢ ــ يخرج الدجّال من سجستان(١٥٦) وجاء أيضاً:

٣ ــ إنه يخرج من المشرق من قرية يقال لها يهوداء وهي قرية من قرى اصفهان وبلدة من بلدان الأكاسرة، تحته حمار أقمر، وهو مطموس العين مكسور الظفر والنظر، ويخرج منه الحيّات (وقيل: الحَباب) وهو محدَودب الظهر، قد صورًّ كل سلاح في يَديه حتى الرمح والقوس، يخوض البحار إلى الكعب. وهو قصير القامة، كهل، مكتوب بين عينَيه: كافر(١٥٧).

٤ ــ يمكث أبو الدجّال ثلاثين عاماً لا يولد له ولزوجته ولَد، ثم يولَد لهما غلام أعور أخرس، تنام عيناه ولا ينام قلبه، أبوه طويل كثير اللحم، كأن أنفه منقار،

وأمه امرأة فرضاخية طويلة اليدَين (والفرضاخية: العريضة) وورد أنه قال صلّى الله عليه وآله مشيراً لعلامة من علامات خروجه:

٥ ـ بين يدَيه ثلاث سنوات: سنة تُمسك السماء فيها ثُلث قطرها، والأرض ثُلث نباتها (وذلك لزيادة المخصّصات المالية للمجهود الحربي زيادة على مشاريع التنمية الغذائية والزراعية)، وسنة تُمسك فيها السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، وسنة تُمسك فيها السماء قطرها كلّه، والأرض نباتها كلّه (حيث سيجند الناس كافة في العالم كله للحرب تحت لوائه أو ضده فيكون شغلهم الشاغل عن كل أمورهم الخاصة)، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات خرس من البهائم إلاّ هلك، وإن من أشد فتنه أن يأتيَ الأعرابيّ (من سكانّ البوادي والأرياف والجبال لأنهم أكثر قابلية للإيمان بدعوته) يقول: أرأيت إن أحييتُ لك إبلك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيمثّل له نحو إبله (أي مثل جماله) كأحسن ما يكون ضُروعاً (أي أثداءاً) وأعظمه أسْنمة يمكن انه سيستخدم العقاقير الخاصة بالتسمين ذات الأثر السريع والمفعول الكبير في سبيل ذلك وهي عند أهل المدن غير غريبة وأمّا عند سكان البادية النائية عن المدنية والحضارة من الخوارق لا محالة)، ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول: أرأيتَ إن أحييْتُ أباك وأخاك ألستَ تعلم أنّي ربك؟ فيقول: بلى، فيمثّل الشياطين نحو أبيه أو أخيه! (وهذا يدل على ان جميع شياطين الجن ستسخر له نفسها في سبيل انجاح إيهاماته وايحاءاته الكاذبة وانها ستجند كل طاقاتها وقدراتها وقابلياتها لنصرة دعوته).

وورد عنه صلّى الله عليه وآله في وصفه:

٦ ـ الدجّال يبصر بإحدي عينيه ولا يبصر بالأخرى، طويل القامة، أزرق العينين، أعمش، بوجهه أثر الجدري، أبخر الفم كبير الأسنان، مقلَّب الأظافر، أجذر الجسم لا شعر في جسده، متقمِّع الرأس، طويل العنق، شانيء (سيء الخلق) أصابعه تصل حدّ كفّه، كلامه له دويّ، عالي الأكتاف، طارح الجبهة، في إحدى عينيه عيب، لحيته بشاخَين تصل سرته، عبوس، شروس، تحته حمار أحمر، أزرق الأطراف، بين أذنيه مقدار عشرين ميلاً، (ويمكننا أن تحلل أمثال تلك النصوص ان قوله تحته ولم يقل راكب على حمار إشارة إلى أن المراد تحت إمرته وسيطرته ونفوذه والحمار لا يراد به معناه الحقيقي بل المراد به تلك الجيوش الجرارة التي

تلزمها قوانينها العسكرية بالانصياع التام لأوامر قادتها العسكريين من دون مخالفة فمتابعتها لأمرها في الواقع كمتابعة الحمار لصاحبه لا يملك من أمره شيئاً.

وأما بالنسبة إلى قدر ما بين اذنيه وانه عشرين ميلاً فإذا علمنا ان المراد بالحمار هو الجيش الجرار فلا غرابة أن يكون الطول العرضي لزحف أفراده بأعتدته ومهماته يبلغ هذا المقدار وكم حدثت من الحروب في عصورنا هذه زادت عدتها وعددها عن ذلك فتأمّل). رأسه كالجبل العظيم، ظهره يناسب رأسه، خطوته عشرون ميلاً، (يمكن أن يفسّر ذلك أيضاً بالطائرات النفاثة التي تفوق سرعتها سرعة الصوت)، على جبينه سطران مكتوبان يقرأهما كل مؤمن، ويجحدهما كل كافر، الأول مكتوب فيه: الشقيّ من تَبِعك، والسطر الثاني: السعيد من فارقك، وأكثر عسكره اليهود وأولاد الزنا، عن يمينه جبل أخضر، وعلى شماله جبل أسود، (وفيه إشارة إلى المهمات والأعتدة)، يسيران ويقفان بوقوفه، ويقول: هذه جنّتي، (أي نعيم الدنيا من المأكولات الشهية والأشربة الكحولية والمومسات الداعرات للترفيه عن جنده كما هو متعارف عليه الآن في أنظمة جيوش العالم الغربي والشرقي)، وهذه ناري، (أسلحتي الفتاكة وأدوات الدمار والابادة الشاملة)، من أطاعني أدخله جنّتي، (متّعته بما معي من لذائذ ومشتهيات) ومن عصاني أذّبته بسيف نقمتي!

ثم رُوي عنه صلّى الله عليه وآله فيه:

٧ ــ ألا أحدّثكم حديثاً عن الدجّال ما حدّث به نبيّ قومه؟ انه أعور، وإنه يجيء معه بمثل الجنّة والنار، وإني أُنذركم كما أنذر به نوح قومه، إني لأنذركموه، وما من نبيّ إلاّ أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه: تعلمون أنه أعور، وإن الله ليس بأعور(أي لا يمكن ظهوره بالنقص في قدرته وآثاره فضلاً عن أن يوصف بصفات المخلوقين) يجيء الدجّال حتى ينزل بناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق، لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجّال، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان.. أعور، عينه اليمنى كأنها عنبة طافية(١٥٨).

ثم رُوي أنه كان صلّى الله عليه وآله يستعيذ في صلاته من فتنة الدجّال ويقول لأصحابه:

٨ ــ إنّ معه ناراً (إشارة إلى أسلحة الفتك والدمار) ونوراً (إشارة إلى استعماله

للطاقة الكهربائية)، فناره ماء بارد، (فيه إشارة إلى أن أسلحة الدمار التي سيعدها لحروبه الكبرى ويتبجج بها سيبطل مفعولها وستصبح هياكل مصمتة لا أثر لها وذلك بقدرة الله عزّوجل)، وماؤه نار، (إشارة إلى السوائل الحارقة فإنها ستكون باقية المفعول كالسلاح الوحيد في يده). فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار، فإنه عذب بارد (أي ليكون في مداها وبينها ولا يخاف منها لأنها مصمتة وهياكل جوفاء لا أثر لها كما سيتّضح بعد حين من مغبة أمرها.

ثم أوردوا عنه صلّى الله عليه وآله قوله:

٩ ـ الدجّال رجل ضخم عريض، ليس ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر منه (يحتمل أن يكون المراد من كبره في الخطر والضرر الذي سيلحقه بالبشرية من عظيم ما يظهر من الإبتلاءات والمحن على يديه وبسببه) وهذا ما يفسّره هذا الحديث الذي روى عنه صلّى الله عليه وآله أيضاً حيث يقول):

١٠ ـ إنه لم تكن فتنة في الأرض، منذ ذرأ الله ذرّية آدم، أعظم من فتنة الدجّال! .. وإن الله لم يبعث نبياً إلاّ حذّر أمّته الدجّال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة! (١٦١) (وجاء عنه صلّى الله عليه وآله بنفس المعنى):

١١ ـ ما من نبيّ إلاّ وأنذر قومه الدجّال الأعور.

١٢ ـ أيها الناس، ما بعث الله نبياً إلاّ وقد أنذر قومه الدجّال (أي خطره في آخر الزمان)، وإن الله قد أخّره إلى يومكم هذا (أي فترة عهد الإسلام) فمهما تشابه عليكم في أمره (أي من السحر والخوارق المموّهة وادعائه عن طريقها مقام الربوبيّة) فإن ربكم ليس بأعور (وكأن العور داء ابتلاه الله عزّوجل به ليكون حجة داحضة لافتراءاته الجوفاء وانه يمكن أن يحتج بها المؤمنون عليه بأنه إن كان كما يدعي من القدرة والعظمة والجبروت فليصلح عينه التي هي مصابة بالعور كدليل على قدرته المطلقة التي يدعيها فلا يقوى على ذلك فيبطل زيفه من أيسر طريق وأقربه) إنه يخرج على حمار عَرْض ما بين أذنيه ميل! يخرج ومعه جنّة ونار، وجبل من خبز ونهر من ماء! أكثرُ أتباعه اليهود والنساء والأعراب، يدخل آفاق الأرض كلها إلاّ مكة ولابتيها (واللابة: الأرض الحرّة التي حجارتها سوداء نَخرة كأنها أُحرقت بالنار) والمدينة ولابيّتها فإنهما محرّمتان عليه (يحتمل أن يكون الحرمة هنا

عبارة عن المنعة والحصانة أي ممتنعان عليه لأنها مركز العالم الإسلامي وانه لو هجم عليهما فإنه سيؤلب عليه حشود المسلمين كافة وهو في غنى عن الوقوع في مثل ذلك أو الحيلولة القدرة الإلهية دون بلوغ آماله في الوصول إليهما كما يفسّره النصوص التالية).

١٣ ـــ من المحرَّم على الدجّال أن يدخل نقاب المدينة (أي طرقاتها الجبلية) لأنها تنفي الخَبَث كما ينفي الكير خَبَث الحديد (والكير نار الحدّاد) ولأنها لا يقربها الطاعون ولا الدجّال (وقد سبق أن يثرب ترتجف بأهلها حين يحاول دخولها، فيخرج منها المنافقون، وهذا ما رمز إليه حديث نَفْي الخَبَث.. ثم ورد عنه صلّى الله عليه وآله:

١٤ ـــ على نقاب المدينة (أي مداخلها) ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجّال(١٦٢).

١٥ ـــ يأتي، وهو محرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تليها، فيخرج إليه يومئذ رجل هو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجّال. فيقول الدجّال: أرأيتم إنّ أنا قتلت هذا الرجل ثم أحييته، أتشكّون في الأمر؟. فيقولون: لا، فيقتله ثم يُحييه!، فيقول الرجل حين يُحييه: والله ما كنتُ قط أشدّ بصيرة منّي الآن، فيريد الدجّال أن يقتله ثانياً فلا يُسلّط عليه(١٦٣).

(وقيل إن الرجل هو الخضر عليه السلام كما رُوي أن الخضر هو الذي يقتله ويُسمّى ذلك اليوم: يومَ الخلاص فيتصدى لإبطال حجته ودعوته وينتقم منه بحسب متضمن هذا النص).

١٦ ـــ وليهبطنّ الدجّال حول كرمان، في قوم يلبسون الطيالسة (لباس اليهود الأخضر) وينتعلون الشعر(١٦٤).

١٧ ـــ يهبط الدجّال كل قرية عامرة في الدنيا أثناء المدّة التي يسيحها في الأرض (وقيل إنه صلّى الله عليه وآله قال عنه لأصحابه:

١٨ ـــ يَتبعه سبعون ألفاً من الأتراك واليهود وأولاد الزنا، والمدمنون على الخمر والمغنّون وأصحاب اللّهو والأعراب، والنساء (وتكرر دور النساء في جملة من الروايات في ضمن جنوده يؤكد على طبيعة عوامل الإغراء التي سيملك بزمهامها لإغواء السذج والبسطاء للإنضمام إليه كما روي عنه صلّى الله عليه وآله انه قال في

ذكر ذلك:

«فيبيح الزنا واللواط وسائر المناهي حتى يباشر الرجال النساء والغلمان في أطراف الشوارع عرياناً وعلانية ويفرط أصحابه في أكل لحم الخنزير وشرب الخمور وارتكاب أنواع الفسق والفجور...». وهو يمرّ بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها! (بفعل شياطين الجن لأنهم أجسام غير مرئية بحسب طبيعتها الأولية قابلة للتجسّم والتصوّر بالأشكال المادية المختلفة فيتوهّم الناس ان الأمر كما يتراءى لأعينهم).

١٩ ــ الدجّال رجل عريض، عينه اليمنى مطموسة، واليسرى كأنها كوكب، بين عينيه مكتوب: كافر بالله وبرسول الله، يخرج ويدّعي أنه الربّ ولا يسمعه أحد إلاّ تبعه (لكثرة ما يحتال عليهم بوجوه التمويهات والخداع والحيل والمكائد) إلاّ من عصمه الله عزّوجل، تكون له جنّة ونار، (سبق ذكر معناهما) فيقول: هذه جنّتي لمن سجد لي، ومن أبى أدخلته النار(١٦٧).

٢٠ ــ عند خروج الدجّال تهبّ ريح عاد، وتسمع صيحة قوم صالح، ويكون مسخ كمسخ أصحاب الرسّ، وهو يخرج من ناحية المشرق من قرية يقال لها: دارس، يخرج على حمار، مطموس العين، مكسور الظفر، يخوض البحار إلى كعبه، يدخل كل بلد إلاّ أربع مدن: مكة والمدينة والقدس وطرسوس، وينزل عيسى عليه السلام ويكون قتله على يده بحربة يُنزلها معه، ويكون تجوله في الدنيا أربعين يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس، ويقتله عيسى بن مريم بباب لدّ (أي فلسطين) وقيل: ان الذي يقتله هو الذي يصلّي عيسى خلفه، أي صاحب الأمر عليه السلام.. وقد يطعنه عيسى عليه السلام بحربة بعد أن يقتله الإمام، ليُجهز عليه.. وقد يقتله عيسى نفسه بأمر الإمام في باب اللد أو في القدس أو في عقبة أفيق بأمر صاحب الأمر عليه السلام ولفظة اليد في الأخبار قد تعني السلطة والتصرّف، فهو يُقتل بيد الإمام وبأمره).

٢١ ــ يخرج ولست فيكم، فامرؤ حَجيج نفسه! والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط (مجعّد الشعر) عينه قائمة، (بارزة) يخرج ما بين الشام والعراق (أي يتجوّل بينهما) فيعيث يميناً وشمالاً، لبثه في الأرض أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، سرعته في الأرض كالغَيْث، (إشارة

إلى استخدامه وسائل النقل التي تفوق سرعتها الصوت)، تستدبره الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذّبونه ويردّون عليه، فينصرف عنهم، فتتبعه أموالهم (أي بقوّة السحر والشعوذة أو بفعل شياطين الجن كما تقدم من مفاداتهم له وتسخيرهم أنفسهم لنصرة دعوته)) ويصبحون ليس بأيديهم شيء (فيلتبس الأمر عليهم)، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه، فيأمر السماء أن تُمطر فتُمطر، قد أثبت العلم الحديث إمكانية إنزال المطر بالوسائل الصناعية وذلك عن طريق رش بعض المساحيق الخاصة تحتوي على ذرّات صغيرة للغاية يبلغ قطر الواحدة منها ما يقارب من اثنين على مائتين من السانتيمتر بواسطة طائرة تحلق فوق الغيوم فلا غرابة في ذلك، ويأمر الأرض أن تُنبت، فتنبت، فتروح سارحتهم (أي ماشيتهم ودوابّهم) أطولَ ما كانت وأمدّه خواصرَ وأدرَّه ضُروعاً، ثم يأتي الخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فينصرف عنها فتتبعه كيعاسيب النحل (أي: بفعل قدرة شياطين الجن كما ذكرنا سابقاً، والتي يخيل الناس انها تسعى لوحدها بينما الفاعل لها في الواقع أولئك الشياطين الذين لا يُرَوْن ولا يُشاهَدون) ثم يدعو شاباً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جَزلَتين (أي نصفين) ثم يدعوه فيُقبل يتهلَّل وجهه ويضحك(١٦٨) (ويحتمل أن يكون ذلك الشاب شيطان من شياطين الجن لأنهم يرتكبون ما ليس للإنسان قدرة على ارتكابه وفعله.

## ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

١ ـ يخرج الدجّال الأكبر، الأعور الممسوح العين اليُمنى، والأخرى كأنها ممزوجة بالدم، لكأنها في الحمرة علقة، تأتي الحدقة كهيئة حبّة العنب الطافية على الماء، (وروي أنه قال:)

٢ ـ يخرج من بلدة بأصفهان يقال لها: اليهودية، عينه اليمنى ممسوحة، والأخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح، فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب: كافر، يقرأه كل كاتب واميّ، يخوض البحار، ويسير بين يديه جبلان من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج في قحط شديد، تحته حمار أحمر طوله سبعون ذراعاً، خطوته ميل، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمرّ بماء إلاّ غار إلى يوم القيامة: ينادي بصوت عال يسمع بين الخافقَين ويبلغ ما شاء الله ويقول: إليَّ إليَّ يا أوليائي، أنا الّذي خلَقَ فسوّى، وقدَّر فهدى، أنا ربكم الأعلى!

هذه جنّة لمن سجد لي، ومن أبى أدخلته النار! كذب عدوّ الله، إنه أعور، وربكم ليس بأعور(١٧٠)!!! (وقد روي عن الصادق عليه السلام مثله وأنه يخرج في العَشر الأول من شهر رجب، وتعالى الله عن الشبيه.. لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، فهو لا يخلو منه مكان ولا يشغل حيّزاً محدوداً من المكان، جلّ عن التجسيم وسما عن المادّة.. يبطش بلا يَد، ويعلم بلا حواسّ. يُدرك الأبصار ولا تُدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير.. وصفه الزنادقة بغير صفاته، وشبّهوه بمخلوقاته، فضلّوا عنه وأضلّوا.. ثم رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن محمد بن الحنفية ــ رض ــ قولهما:)

٣ ــ أنّى يكون ذلك (أي خروج المهدي عليه السلام) ولم يعضّ الزمان، أنّى يكون ذلك ولم يجف الإخوان، أنّى يكون ذلك ولم يظلم السلطان، أنّى يكون ذلك ولم يقم الزنديق في قزوين، فيهتك ستورها، ويكفّر صدورها ــ أي سادتها ــ ويغيّر سورَها، ويذهب بهجتها؟! مَن فرّ منه أدركه، ومن حاربه قتله، ومن اعتزله افتخَر، ومن تابعه كفر، حتى يقوم باكيان: باكٍ يبك على دينه، وباكٍ يبكي على دُنياه.

٤ ــ ألا وإنّ أكثر أشياعه يومئذٍ أولاد الزنى وأصحابُ الطيالسة الخضر ــ أي اليهود ــ يقتله الله عزّوجل على عقبةِ أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة، على يَدَي من يصلّي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه(١٧٢).

(وعقبة أفيق قرية بين حوران وغور بيسان في فلسطين قرب مدينة اللّد.. وجاء عنه عليه السلام:

٥ ــ يبرز الدجّال ومعه سبعون ألف يهودي كلّهم ذو سلاح محلاّة، فإذا نظر الدجّال إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص في النار ــ أي تضاءل وتعرّى من عنجهيّته وبدا على حقيقته بعد أن كان يدّعي الربوبيّة ــ ثم يولّي هارباً، فيقول عيسى: إنّ لي فيك ضربةً لن تفوتني بها، فيدركه فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهوديّ إلاّ أنطقه الله عزّوجل، ولا حجر ولا دابّة إلاّ قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهوديّ فاقتله، إلاّ الغرقد فإنها من شجرهم فلا تنطق(١٧٣).

## ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام:

١ ــ الدجّال يخرج من قبل المشرق من مدينة خراسان(؟) ثم يهبط حدر كرمان في ثمانين ألفاً، وأتباعه كأن وجوههم المجانّ المطرّقة(١٧٤) (وروي مثله عن أمير

المؤمنين عليه السلام وبحسب هذه الرواية يخرج معه قوم من سكان الشرق الأقصى والصين الذين تصدق على وجوههم مثل هذه الصفة.. وقيل إنه دخل على الباقر عليه السلام خراسانيّ فقال له:)

٢ ــ يا خراسانيّ، تعرف وادي كذا؟ قال: نعم، قال: تعرف صَدْعاً في الوادي من صفته كذا وكذا؟ قال: نعم. قال: من ذلك يخرج الدجّال(١٧٥).. (ثم روي عنه قوله:)

٣ ــ يخرج بعد جفاف ماء بحيرة طبريّة(١٧٦).. (وإذا صدق هذا كان من أعلام نبوّة محمد صلّى الله عليه وآله وأعلام معرفة آله بعض الغَيْب مما علّمهم، لأن اليهود اليوم يأخذون ماء البحيرة بكامله ليستخرجوا منه البوتاس والكبريت وغيرهما من المعادن التي تكثر فيها، وستجف يوماً ما، إذا منع عنها الماء الذي يأتيها من الشمال والشرق).

## ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

(جاء عنه عليه السلام في حديث مشابه لما سبق عن الدجّال:)

١ ــ يصرخ بصوت يسمعّ الإنس والجن: هذه جنّتي لمن سجد لي، ومن أبى أدخلته النار! (وقد مرّ معنا أن كل إنسان يقف اليوم وراء آلة البث ومكبر الصوت فيسمع الدنيا صوته، فليس ذلك وقفاً على الدجّال بعد أن أصبح يمارسه أحقر الرجال.

٢ ــ ... وهو يعطي من يقرّ له بالربوبية، فيتبعه من اصفهان سبعون ألفاً، ويتبعه أسوأ الناس!(١٧٧) (ثم جاء عنه عليه السلام قوله:)

٣ ــ القائم يقتل الدجّال، ويصلبه على كناسة الكوفة (وهذا يعني أنه يقتله في العراق!، وقد ورد عنه أيضاً):

٤ ــ يوم النيروز هو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت وولاة الأمر، ويظفره الله تعالى بالدجّال فيصلبه على كناسة الكوفة!(١٧٨) (ثم جاء عنه مكرّراً):

٥ ــ يقتله صاحب الأمر لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة..

قال جابر بن عبد الله الأنصاري:

من كذّب بالدجّال فقد كفر، ومن كذّب بالمهدي فقد كفر(١٧٩)..

ويمكن حمله على أنّ من كذّب النبي صلّى الله عليه وآله وكذا الأئمة عليهم

السلام وأنكر ما ورد عنهم في شأن الدجّال وشخصه وما يتعلّق بأمره وكذا الحال بالنسبة إلى الإمام المهدي عليه السلام فهو كافر.

## دعوى النبوّة

قال عزّوجل:

«اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً» (المائدة/٣).

«وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين» (آل عمران/١٤٤).

«الّذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلاّ الله وكفى بالله حسيباً، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين» (الأحزاب/٣٩ ـ ٤٠).

أجمع المسلمون كافة على خاتمية الرسالة المحمدية للرسالات السماوية وتظافر النقل لديهم على ذلك فضلاً عن الأدلة العقلية التي أقاموها والشواهد الحكمية التي رصفوها ولطول الكلام على ذلك نكتفي بالإشارة إلى طائفة من الروايات من الفريقين ونعقبها بما يناسبها من الكلمات وجملة من حكايات المتنبّئين فنقول:

أما ما روي من طريق الخاصة فعدة روايات نسردها لك كما يلي:

١ ـ ما عن الكافي: بإسناده عن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله عزّ ذكره ختم بنبيكم النبيّين فلا نبيّ بعده أبداً، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً، وأنزل فيه تبيان كل شيء وخلقكم وخلق السماوات والأرض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم، وأمر الجنّة والنار، وما أنتم صائرون إليه.

٢ ـ وفيه: بإسناده عن عليّ السائي عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال: قال: مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبيّنا.

قوله عليه السلام: «غابر»: آت، و«فمزبور»: فمكتوب و«نقر في الأسماع» يعني من طريق الإلهام، وتحديث الملك ولما كان هذا القول منه عليه السلام يوهم إدعاء النبوّة ردّ ذلک بقوله عليه السلام: لا نبيّ بعد نبيّنا.

٣ ــ وفيه: بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: الأئمة بمنزلة رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ أنّهم ليسوا بأنبياء ولا يحلّ لهم من النساء ما يحلّ للنبيّ صلّى الله عليه وآله فأما ما خلا ذلک فهم فيه بمنزلة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٤ ــ وفيه: بإسناده عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: روينا عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: ان علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب ونقر في الأسماع، فقال: أما الغابر فما تقدم من علمنا، وأما المزبور فما يأتينا، وأما النكت في القلوب فإلهام وأما النقر في الأسماع فأمر الملک.

٥ ــ وفيه: بإسناده عن بريد عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله عزّوجل: «وما أرسلنا من قبلک من رسول ولا نبيّ (ولا محدّث)» قلت: جعلتُ فداك ليست هذه قراءتنا الرسول والنبي والمحدث؟ قال: الرسول الذي يظهر له الملک فيكلّمه والنبي هو الذي يرى في منامه، وربما اجتمعت النبوّة والرسالة، والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة، قال: قلت: أصلحک الله كيف يعلم ان الذي رأى في النوم حق، وانه من الملک؟ قال: يوفّق لذلک حتى يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبيكم الأنبياء.

٦ ــ وفيه بإسناده صالح بن سهيل عن أبي عبد الله عليه السلام: ان بعض قريش قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: اني كنت أول من آمن بربّي وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم، فكنت أنا أول نبي قال: بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله عزّوجل.

قوله: «بأيّ شيء سبقت الأنبياء» أي: فضلاً ورتبة.

٧ ــ وفيه: بإسناده عن أبان بن عثمان عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلّى الله عليه وآله شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام: التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفية

السمحة، ولا رهبانية ولا سياحة، أحلّ فيها الطيّبات وحرّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله، وزاده الوضوء وفضّله بفاتحة الكتاب، وبخواتيم سورة البقرة والمفصل، وأحلّ له المغنم والفيء ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله إلى كافة الأبيض والأسود والجن والإنس، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم، ثم كلّف ما لم يكلّف أحد من الأنبياء وأنزل عليه سيف من السماء في غير غمد وقيل له: «قاتل في سبيل الله لا تكلف إلاّ نفسك».

قوله عليه السلام: «والمفصل» قيل: أي من سورة محمد صلّى الله عليه وآله إلى آخر القرآن. ومن المحتمل أن يكون المراد منه السور الطويلة.

٨ ـــ وفيه: بإسناده عن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عزّوجل: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل» فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلّى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا إولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه؛ حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف، وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به، فكل نبيّ بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه، وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه، وبعزيمة ترك الصحف وكل نبيّ جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالإنجيل، وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكل نبيّ جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه، حتى جاء محمد صلّى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وبشريعته ومنهاجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولوا العزم من الرسل عليهم السلام.

٩ ـــ وفي الصحيفة السجادية: قال الإمام سيّد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام: «والحمد لله الّذي منّ علينا بمحمد نبيّه صلّى الله عليه وآله دون الإمم الماضية والقرون السالفة بقدرته التي لا تعجز عن شيء وإن عظم، ولا يفوتها شيء وإن لطف فختم بنا على جميع من ذرأ وجعلنا شهداء على من جحد، وكثّرنا

بمنّه على من قلّ».

١٠ ــ وفي أمالي المفيد رحمه الله تعالى بإسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما حضر النبي صلّى الله عليه وآله الوفاة نزل جبرئيل، فقال له جبرئيل: يا رسول الله هل لک في الرجوع؟ قال: لا قد بلغت رسالات ربّي، ثم قال له: أتريد الرجوع إلى الدنيا؟ قال: لا بل الرفيق الأعلى ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للمسلمين وهم مجتمعون حوله: أيها الناس؟ لا نبيّ بعدي ولا سنة بعد سنّتي، فمن ادعى ذلک فدعواه وبدعته في النار، ومن ادعى ذلک فاقتلوه ومن اتبعه فإنهم في النار، أيها الناس، أحيوا القصاص وأحيوا الحق، ولا تفرقوا وأسلموا تسلموا «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ان الله قويّ عزيز».

١١ ــ ما رواه الصدوق في الفقيه بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال في حديث له: قال النبي صلّى الله عليه وآله: أيها الناس انه لا نبيّ بعدي ولا سنّة بعد سنّتي فمن ادّعى ذلک فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه، ومن تبعه فإنه في النار، أيها الناس أحيوا القصاص وأحيوا الحقّ لصاحب الحقّ ولا تفرقوا وأسلموا وسلّموا تسلموا: «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ان الله قويّ عزيز»(١٨٠).

١٢ ــ ما رواه في العيون بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث له قال: وشريعة محمد صلّى الله عليه وآله لا تنسخ إلى يوم القيامة ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة فمن ادّعى نبياً أو أتى بعده بكتاب فدمه مباح لكلّ من سمع منه(١٨١).

١٣ ــ ما صرح به في المقنع في قوله:

واعلم ان كل مسلم ابن مسلم إذا ارتدّ عن الإسلام وجحد محمداً صلّى الله عليه وآله نبوّته وكذّبه فإنّ دمه مباح لكل من سمع ذلک منه وامرأته بائنة منه يوم ارتدّ فلا تقربه ويقسم ماله على ورثته وتعتد امرأته عدّة المتوفى عنها زوجها وعلى الإمام أن يقتله إن أتوا به ولا يستتيبه(١٨٢).

١٤ ــ ما رواه الثقة الكليني أيضاً في الكافي بسنده عن إبن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ بزيعاً يزعم انه نبي فقال: إن سمعته يقول ذلک فاقتله قال: فجلست إلى جنبه غير مرّة فلم يمكنّي ذلک(١٨٣).

وأما ما روي من طرق العامة فأهمه حديث المنزلة المروي بعدّة طرق أن النبي صلّى الله عليه وآله لما خرج إلى تبوک استخلف علياً في المدينة وعلى أهله فقال

عليّ: ما كنت أؤثر أن تخرج في وجه إلاّ وأنا معك فقال: صلّى اللّه عليه وآله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لا نبيّ بعدي.

ومن المصادر التي روته صحيح مسلم ج٤ ص ١٠٨ كتاب الفضائل، صحيح الترمذي ج٢ ص ٢٦٦ و٣٠٠، مسند أحمد ج١ ص ١٨٥، تفسير الطبري ج٣ ص ٢١٢ ـ ٢١٣، شواهد التنزيل ج١ ص ١٢١، التاج الجامع للأصول ج٤ ص٨٤، مستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٠.

وفي الدرّ المنثور: عن جابر قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابتنى داراً فأكملها وأحسنها إلاّ موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلاّ موضع اللبنة، فأنا موضع اللبنة فختم بي الأنبياء.

وفيه: أخرج مسلم والترمذي وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: فضلت على الأنبياء بستّ: اعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيّون.

وفي رواية: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: مثلي في النبيّين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تمّ موضع هذه اللبنة؟ فأنا في النبيّين موضع هذه اللبنة.

وفي رواية: عن أنس بن مالك عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله قال: «ان الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيّ بعدي».

وفي رواية: عن جبير بن مطعم قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: إنّ لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو اللّه تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبيّ.

قال علم الهدى السيّد المرتضى في المسألة الخامسة عشر من مسائل (جوابات المسائل الطرابلسيات الثالثة):

أن المعوّل في ان شريعة نبيّنا صلّى اللّه عليه وآله مؤبدة لا تنسخ إلى قيام الساعة، على أنه قد علم مخالف وموافق ضرورة من دينه أنه كان يدعي ذلك ويقضي به ويجعل شريعته عليه السلام بذلك المزية على الشرائع المتقدمة.

فإن الملحد الدهري والثنوي المانوي واليهودي والنصراني، يعلمون هذا من حاله، وأنه عليه السلام كان يدعيه، كما يعلم ذلك المسلمون المتبعون، وإذا دل المعجز على صدقه وصحّة نبوّته، ثبت بهذين الأمرين أن شرعه مؤبّد.

وليس يمكن اليهود أن تدعي أن العلم بتأبيد شرعها، وأن نبيّها موسى عليه السلام، معلوم من دينه ذلك، كما ادّعاه المسلمون، لأن العلم الضروري يجب الإشتراك فيه، وما يشارك اليهود في هذا العلم إذا دعوه أحد من مخالفيهم، لأن النصارى يخالفهم في ذلك، كما يخالفهم المسلمون فيه، ويتقوّل عن نفوسهم العلم بما ادعوا العلم به، وكذلك الملحدون والبرهميون النافون للنبوات.

وكل هؤلاء مشاركون للمسلمين في العلم بأنّ نبيهم عليه السلام أبد شرعه وادعى أنه لا ينسخ، فبطل أن يكونوا متساوين للمسلمين في الحكم الذي ذكرناه.

وإذا قيل لنا: فمن أين علمتم كذبهم في هذه الدعوى ــ أعني أنّ شريعتهم لا تنسخ ــ إذا لم تعلموا صحّتها، فليس كل شيء لم يعلم صحّته قطع على كذب راويه.

قلنا: من حيث كذّبهم نبيّنا عليه السلام ودعاهم إلى شريعة هي ناسخة لكل شرع تقدم، وقد علمنا صدقه بالمعجزات الباهرة.

فلم يبق آخر المسألة من أنا إذا كنا نعلم كذب اليهود فيما يدعونه من تأبيد شرعهم بقول نبيّنا صلّى الله عليه وآله، فقيل بعينه، ثم بأيّ شيء كان يعرف ذلك.

والجواب أن طريق معرفة ذلك نبوّة كل نبي بعد موسى عليه السلام دعى إلى نسخ شريعته، كعيسى عليه السلام وما يجري مجراه(١٨٤).

وقال أمين الإسلام الطبرسي في المجمع: في قوله تعالى: ﴿وخاتم النبيّين﴾: أي وآخر النبيّين ختمت النبوّة به، فشريعته باقية إلى يوم الدين، وهذا فضيلة له صلّى الله عليه وآله اختصّ بها من بين سائر المرسلين، فإن قيل: ان اليهود يدّعون في موسى مثل ذلك؟ فالجواب: ان بعض اليهود يدّعون ان شريعته لا تنسخ وهم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء ونحن إذا أثبتنا نبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك، إنتهى كلامه.

وقال الشيخ المفيد قدس سره الشريف في مقدمة كتابه (المقنعة): ويجب أن يعتقد... أنّ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلّى الله عليه وآله خاتمهم وسيّدهم وأفضلهم وأنّ شريعته ناسخة لما تقدّمها من الشرائع

المخالفة لها وأنّه لا نبيّ بعده ولا شريعة بعد شريعته وكلّ من ادّعى النبوّة بعده فهو كاذب على الله ومن يغيّر شريعته فهو ضالّ كافر من أهل النار إلاّ أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفّر الله تعالى حينئذ عنه بالتوبة ما كان مقترفاً من الآثام(١٨٥).

وقال الفيض الكاشاني في كتاب علم اليقين:

قيل: والفرق بين النبيّ والمتنبّي، والمحق والمبطل ـ إذا صدر منهما الخوارق ـ أنّ صدورها عن الأنبياء والأولياء إنّما هو لاتّصالهم التامّ بالملأ الأعلى، بل بالمبدأ ـ تعالى شأنه ـ وهذا الإرتباط التامّ لا يحصل إلاّ بعد أن كانت النفس منسلخة عن الرذايل، منطبعة على الفضائل، فمن تحققته على أنّه مرّن على الصدق والصفا، والوفاء بالعهد والإجتهاد في العبادة والورع عن المحارم، وغوث الملهوف ونصرة المظلوم، وإجابة المضطرّ، وحبّ المساكين إلى غير ذلك من صفات الملائكة المقرّبين ـ ثم ظهر منه خارق عادة: تحقّقت أنّه صدر منه ذلك لقُربه من الله وملائكته.

ومن عرفته على ضدّ تلك الصفات عرفت أنّ صدور الخوادق منه لقُربه من الشيطان وأوليائه.

ومن هنا يظهر فرق آخر: وهو أنّ ما يصدر من غير المؤمن من خوارق العادات لا يتجاوز عن مقدورات إلشياطين بخلاف المؤمن(١٨٦).

## عدد المتنبّئين بعد عصر الرسالة:

فممّا ورد من طرق الخاصّة ما رواه شيخ الطائفة في كتاب الغيبة بسنده عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج نحو من ستّين كذّاباً كلهم يقول: أنا نبيّ(١٨٧).

وأمّا ما ورد من طرق العامّة فقد رواه السيوطي في الدرّ المنثور عن ثوبان قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «انه سيكون في امّتي كذّابون ثلاثون كلّهم يزعم أنّه نبيّ وأنا خاتم النبيّين لا نبيّ بعدي» وفي رواية: «أربعة منهم نسوة».

وما رواه ابن هشام في سيرته: عن أبي هريرة أنّه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجّالاً كلهم يدّعون النبوّة.

# نبذة من أخبار المتنبّئين

جاء في التفسير الكاشف للمرحوم الأديب الشيخ محمّد جواد مغنية قوله: إنّ أهل السير والتاريخ قالوا: إنّ ثلاثة إرتدّوا وادّعوا النبوّة على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد أن آمنوا به:

**الأول:** الأسود العنسي تنبأ في اليمن، وأخرج عمّال رسول الله صلّى الله عليه وآله منها، ولكنّه قتل قبل وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله بيوم واحد.

**الثاني:** مسيلمة الكذّاب إدّعى النبوّة وكتب إلى محمّد صلّى الله عليه وآله: «من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله أمّا بعد فإنّي شريك في الأمر، والأرض بيننا مناصفة» وقتل في عهد أبي بكر.

**الثالث:** طلحة بن خويلد إدّعى النبوّة ثمّ عاد و أسلم، وأمّا سجاح، فقد إدّعت النبوّة في عهد أبي بكر وتزوّجها مسيلمة ، وقال أبو العلاء المعري في هذا الزواج:

أمست سجاح ووالاها مسيلمة  كذابة في بني الدنيا كذاب

وحكى العلامة المجلسي في البحار عن كتاب المنتقى في مولد المصطفى أنّه ورد فيه في الباب الحادي عشر فيما كان سنة إحدى عشرة من الهجرة، فلمّا كان هلال ربيع الآخر سنة إحدى عشرة خرج أسامة فسار إلى أهل أبني عشرين ليلة فشنّ عليهم الغارة، فقتل من أشرف له، و سبى من قدر عليه، وقتل قاتل أبيه، ورجع إلى المدينة، فخرج أبوبكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقّونهم سروراً لسلامتهم، وفي مدّة مرضه صلّى الله عليه وآله جاء الخبر بظهور مسيلمة والعنسي، وكانا يستغويان أهل بلادهما إلاّ أنه لم يظهر أمرهما إلاّ في حال مرض رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وكان صلّى الله عليه وآله قد لحقه مرض بعيد عوده من الحجّ ثمّ عاد فمرض مرض الموت، قال أبو مويهبة: لمّا رجع رسول اللهّ صلّى الله عليه وآله من حجةّ طارت الأخبار بأنّه قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة فأمّا الأسود العنسي فاسمه عهيلة بن كعب، وكان كاهنا يشعبذويريهم الأعاجيب ويسبي منطقه قلب من يسمعه، وكان أوّل خروجه بعد حجّة رسول الله صلّى الله عليه وآله فسار إلى صنعاء، فأخذها، فكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بخبره وكان عامل رسول الله صلّى الله عليه وآله على مراد، وخرج معاذ بن جبل هاربا حتّى مرّ بأبي موسى الأشعريّ وهو بمارت فاقتحما حضرموت، ورجع عمرو

بن خالد إلى المدينة، وقتل شهربن باذام وتزوّج امرأته، وكانت ابنة عمّ فيروز، فأرسل رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى نفر من الأبناء رسولا، وكتب إليهم أن يحاولوا الأسود إمّا غيلة، وإما مصادمة، وأمرهم أن يستنجدوا رجالا سمّاهم لهم ممّن حولهم من حمير وهمدان، وأرسل إلى اولئك النفر أن ينجدوهم، فدخلوا على زوجته فقالوا: هذا قد قتل أباك وزوجك فما عندك، قالت: هو أبغض خلق الله إليّ، وهو مجرّد، والحرس محيطون بقصره إلّا هذا البيت ، فانقبوا عليه، فنقبوا ، ودخل فيروز الديلميّ فخالطه فأخذ برأسه فقتله، فخار خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا: ما هذا؟ فقالت: النبيّ يوحى إليه ثمّ خمد، وقد كان يجيء إليه شيطان فيوسوس له فيغطّ ويعمل بما قاله، فلمّا طلع الفجر نادوا بشعارهم الّذي بينهم ثمّ بالأذان وقالوا فيه: أشهد أنّ محمداً رسول الله، وأنّ عهيله كذّاب، وشنّوها غارة، وتراجع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أعمالهم، وكتبوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بالخبر فسبق خبر السماء إليه فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل موته بيوم أبو بليلة فأخبر الناس بذلك، فقال: قتل الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن هو؟ قال: فيروز، فاز فيروز، ووصل الكتاب و رسول اللّ صلّى الله عليه وآله قدمات إلى أبي بكر، وكان من أوّل خروجه إلى أن قتل نحو أربعة أشهر و فيروز قيل: إنّه ابن اخت النجاشي وقيل: هو من أبناء فارس.

وأمّا مسيلمة بن حبيب الكذّاب فكان يقال له: رحمن اليمام، لأنه كان يقول: الّذي يأتيني اسمه رحمن، وقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله فيمن أسلم، ثمّ ارتدّ لمّا رجع إلى بلده، وكتب إلى رسول الله: «من مسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، أمّا الأرض لنا نصف، ولقريش نصف، ولكن قريش قوم يعتدون» وبعث الكتاب مع رجلين، فقال لهما رسول الله صلّى الله عليه وآله: أتشهدان أنّي رسول الله ؟ قالا: نعم قال: أتشهدان أنّ مسيلمة رسول الله، قالا: إنّه قد اشرك معك، فقال: لولا أنّ الرسول لا يقتل لضربت أعناقكما ثمّ كتب إليه: «من محمّد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب، أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين، وقد أهلكت أهل حجر أبادك الله ومن صوب معك».

وادّعى مسيلمة أنه قد اشترك مع محمد صلّى الله عليه وآله في النبوّة، فأتته

امرأة فقالت: ادع الله لنخلنا ولمائنا فإن محمداً دعا لقومه فجاشت آبارهم، قال: وكيف صنع؟ قالت: دعا بسجل فدعا لهم فيه، ثمّ تمضمض ومجّه فيه فأفرغوه في تلك الآبار ففعل هو كذلك فغارت تلك المياه، وقال رجل: برّك على ولدي، فإنّ محمداً يبرّك على أولاد أصحابه، فلم يؤت بصبيّ مسح رأسه إلاّ قرع وتوضأ مسيلمة في حائط فصبّ وضوءه فيه فلم ينبت، ووضع في الآخر عنهم الصلاة، وأحلّ لهم الخمر والزنا ونحو ذلك، فاتّفقت معه بنو حنيفة إلاّ القليل، وغلب على حجر اليمامة، وأخرج ثمامة بن اثال، وكتب ثمامة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بخبره، وكان عامل رسول الله صلّى الله عليه وآله على اليمامة، فلمّا مات رسول الله صلّى الله عليه وآله أرسل أبوبكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلمّا بلغ اليمامة تقاتلوا، وكان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل، فقتل من المسلمين ألف ومائتان، ومن المشركين نحو عشرين ألفاً، وكانت بنو حنيفة حين رأت خذلانها تقول لمسيلمة: أين ما كنت تعدنا؟ فيقول: قاتلوا عن أحسابكم، وقتل الله عزّوجلّ مسيلمة، اشترك في قتله وحشيّ وأبو دجانة فكان وحشيّ يقول: قتلت خير الناس وشرّ الناس: حمزة ومسيلمة(١٨٨).

وفي لباب التأويل: ان مسيلمة الكذاب ادعى النبوّة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرنجات، فاغترّ قومه بذلك، وقتل مسيلمة في عهد أبي بكر بيد وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب، وكان وحشي يقول: قتلت خير الناس وهو حمزة، وقتلت شر الناس وهو مسيلمة.

وفيه: ان الأسود العنسي ــ بالنون ــ هو عبهلة بن كعب وكان يقال له: ذو الحمار ادعى النبوّة باليمن في آخر عهد النبي صلّى الله عليه وآله وقتل، والنبي صلّى الله عليه وآله كان حياً وكان ذلك قبل موته صلّى الله عليه وآله بيومين، وأخبر أصحابه بقتله، وقتله فيروز الديلمي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فاز فيروز يعني بقتله الأسود العنسي.

وفي السيرة لإبن هشام: قال ابن إسحاق: وقد كان تكلّم في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله الكذّابان: مسيلمة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

وفيه: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله

امرأة فقالت: ادع الله لنخلنا ولمائنا فإن محمداً دعا لقومه فجاشت آبارهم، قال: وكيف صنع؟ قالت: دعا بسجل فدعا لهم فيه، ثمّ تمضمض ومجّه فيه فأفرغوه في تلك الآبار ففعل هو كذلك فغارت تلك المياه، وقال رجل: برّك على ولدي، فإنّ محمداً يبرّك على أولاد أصحابه، فلم يؤت بصبيّ مسح رأسه إلاّ قرع وتوضّأ مسيلمة في حائط فصبّ وضوءه فيه فلم ينبت، ووضع في الآخر عنهم الصلاة، وأحلّ لهم الخمر والزنا ونحو ذلك، فاتّفقت معه بنو حنيفة إلاّ القليل، وغلب على حجر اليمامة، وأخرج ثمامة بن اثال، وكتب ثمامة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بخبره، وكان عامل رسول الله صلّى الله عليه وآله على اليمامة، فلمّا مات رسول الله صلّى الله عليه وآله أرسل أبوبكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة، فلمّا بلغ اليمامة تقاتلوا، وكان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل، فقتل من المسلمين ألف ومائتان، ومن المشركين نحو عشرين ألفاً، وكانت بنو حنيفة حين رأت خذلانها تقول لمسيلمة: أين ما كنت تعدنا؟ فيقول: قاتلوا عن أحسابكم، وقتل الله عزّوجلّ مسيلمة، اشترك في قتله وحشيّ وأبو دجانة فكان وحشيّ يقول: قتلت خير الناس وشرّ الناس: حمزة ومسيلمة(١٨٨).

وفي لباب التأويل: ان مسيلمة الكذاب ادعى النبوّة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرنجات، فاغترّ قومه بذلك، وقتل مسيلمة في عهد أبي بكر بيد وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب، وكان وحشي يقول: قتلت خير الناس وهو حمزة، وقتلت شر الناس وهو مسيلمة.

وفيه: ان الأسود العنسي ـ بالنون ـ هو عبهلة بن كعب وكان يقال له: ذو الحمار ادعى النبوّة باليمن في آخر عهد النبي صلّى الله عليه وآله وقتل، والنبي صلّى الله عليه وآله كان حياً وكان ذلك قبل موته صلّى الله عليه وآله بيومين، وأخبر أصحابه بقتله، وقتله فيروز الديلمي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فاز فيروز يعني بقتله الأسود العنسي.

وفي السيرة لإبن هشام: قال ابن إسحاق: وقد كان تكلّم في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله الكذّابان: مسيلمة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

وفيه: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله

على الحبلى إذا خرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى» وقوله: «الفيل وما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل» وقوله: «والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً واللاقمات لقماً اهالة وسمناً».

وقال مسيلمة لعمرو بن العاص: لقد سمعت أصحاب محمد يقرؤو سورة عظيمة وقصيرة؟ قال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: «والعصر إنّ الإنسان لفي خسر» إلى آخر السورة، ففكر مسيلمة ساعة ثم قال: وأنا قد أنزل عليّ مثله، فقال: وما هو؟ فقال: «يا وبر يا وبر إنما أنت اذنان وصدر وسائرك حفر نقر» كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: واللّه انک تعلم اني أعلم انک تكذب.

فإذا كان هذا (عمرو بن العاص) من مشرك في حال شركه لم يشتبه عليه حال محمد صلّى اللّه عليه وآله وصدقه، وحال مسيلمة لعنه اللّه وكذبه فكيف بأولي البصائر والنهى، ثم قال ابن كثير: كان عمرو بن العاص في تلك الحال مشركاً.

وحكى المحقق البحراني في كشكوله عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني قوله: كان من خبر سجاح وادعائها النبوّة، وتزويج مسيلمة بها: أن سجاح التميمية ادّعت النبوّة بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله واجتمع عليها بنو تميم، وكان فيما ادعته أنه أنزل عليها (يا أيها المؤمنون المتّقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يبغون) فاجتمعت بنو تميم كلها وكان مؤذنهم شبث بن ربعي الرياحي، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب وهو باليمامة، وقالت: يا معشر تميم أقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة حتى تتركوها سوداء كالحمامة، وقالت: يا بني تميم ان اللّه لم يجعل هذا الأمر في ربيعة وإنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه عكرتم على قريش، فسارت في قومها وهم الدهم الداهم.

وبلغ مسيلمة خبرها فضاق ذرعا وتحصن في حجر حصن اليمامة، وجاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه وقال: ما ترون؟ قالوا: نرى أن تسلم هذا الأمر إليها وتدعها، فإن لم تفعل فهو البوار، وكان مسيلمة داهياً فقال: انظروا في هذا الأمر ثم بعث إليها: ان اللّه عزّوجل أنزل عليك وحياً وأنزل عليّ فهلمي نجتمع فنتدارس ما أُنزل علينا، فمن عرف الحق تبعه الآخر واجتمعنا، فأكلنا العرب أكلاً بقومي وقومک فبعثت إليه افعل فأمر بقبة آدم، فضربت وأمر بالعزيمة والعود

المندلي يسجر فيها، وقال: أكثروا من الطيب فإن المرأة إذا شمّت رائحة الطيب تذكرت المياه ففعلوا ذلك وجاءها رسوله يخبرها بأمر القبة المضروبة لاجتماعهما فأتته، فقالت: هات ما أنزل إليك، فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى من بين ذكر وأنثى وامرأه وأحيا. ثم إلى ربك المنتهى، قالت: وماذا؟ قال: (ألم تر ان الله خلقنا أفواجاً وجعل النساء لنا أزواجاً فنولج فيهنّ قعساً إيلاجاً ونخرجه منهنّ إذا شئنا إخراجا) قالت: بأيّ شيء أمرك؟ قال:

ألا قومي إلى المخدع | فقد هيئ لك المضجع
فإن شئت ففي البيت | وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت شلقناك | وإن شئت به أجمع
وإن شئت بثلثيه | وإن شئت به أجمع

فقالت: لا إلا به أجمع، قال: فقال: كذلك أوحي إليّ، فواقعها، فلما قام عنها قالت: إنّ مثلي لا يجري أمرها هكذا، فتكون رخنة عليّ وعلى قومي، ولكني مسلمة إليك النبوّة فاخطبني من أوليائي ليزوّجوك ثم أقود تميماً معك.، وخرج وخرجت معه وخرج الحيّان من حنيفة وتميم، فقالت لهم سجاح: انه قرأ عليّ ما أنزل عليه، فوجدته حقاً فأتبعته، ثم خطبها فتزوّجها فزوّجوه إياها وسألوه المهر، فأسقط عنهم صلاة العشاء الآخرة ونادى مناديه بذلك. قال: فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا ومهر كريمتنا لا نرده، قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سجاح في كلمة له:

أضحت نبيّتنا أنثى نطوف بها | وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله و الأقوام كلهم | على سجاح ومن بالإفك أغرانا
أعني مسيلمة الكذّاب لا سقيت | أصداؤه ماء مزن حيثما كانا

قال: وسمع الزبرقان بن بدر الأحنف يومئذ وقد ذكر مسيلمة وما تلا عليهم فقال الأحنف: تالله ما رأيت أحمق من هذه الأنبياء قط، قال الزبرقان: والله لأخبرنّ بذلك مسيلمة فقال: إذاً والله إنك كذبت فيصدّقني ويكذّبك قال: فأمسك الزبرقان وعلم انه قد صدق وأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة، إنتهى.

ثم عقّبه بقوله: يقول جامع الكشكول وناظم هذه النقول: من مزخرفات

مسيلمة في قرآنه قوله: «والزارعات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات ذرواً والطاحنات طحناً والآكلات أكلاً» قال بعض الظرفاء: وينبغي إتمام الآية: «والخاريات خرواً» ومن مصحفه أيضاً: «إنّ الذين يغسلون ثيابهم ولا يجدون ما يلبسون أولئك هم المفلسون» ومنه أيضاً «وقال الذين أقرضوا للذين استقرضوا لئن لم توفون حقّنا لنذيقنكم مرارة الإفلاس بما كنتم تزلقون» ومنه أيضاً: «وضرب بينهم بسنور له ناب»(١٩٣).

وفي الأثر: أنّ مسيلمة الكذّاب أتى النبيّ صلّى الله عليه وآله فأسلم ثم ارتد ورجع إلى اليمامة فأفسد بها وادعى النبوّة، فكتب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله (أما بعد فإن الأرض لي ولك نصفان فلا تعتد علينا) ولما انتشر موت النبي صلّى الله عليه وآله أعلن مسيلمة نبوّته وتابعه أهل اليمامة، فأرسل إليه أبوبكر خالد بن الوليد في جيش كثير في أمره وتفرّد بقتله أبو دجانة ووحشي.

وكان أهل اليمامة يأتون مسيلمة بأولادهم ويقولون: إنّ محمداً يمسح يده على رأس صبيان المدينة يتبركون به فامسح أنت على رؤوس صبياننا، فكان كل من يمسح على رأسه يصير أقرعاً، وأتاه بعض من في عينيه رمد يدعو له، فدعى له فصار أعمى، وأتوه أهل الآبار يشكون قلة مائها وقالوا: إنّ رسول المدينة يمج الماء من فيه في الآبار فيطغو ماؤها ففعل مسيلمة فيبست الآبار، فقالوا: كيف هذا؟ فقال: ان المعجزة خرق العادة، فإما أن يكون من هذا الطرف أو من هذا الطرف، لبعضهم وقد أجاد:

سلوا غير طرفي إن سألتم عن الكرى فما لجفون العاشقين منام

وفي تفسير الطنطاوي: نقلاً عن كتاب (المختار في كشف الأسرار) على طريق الإختصار: «ظهر في آخر خلافة السفّاح سنة باصفهان رجل يعرف بإسحاق الأخرس، فادعى النبوّة وتبعه خلق كثير وملك البصرة وعمان، وفرض على الناس فرائض، وفسّر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل وكان حديثه انه نشأ بالمغرب، فتعلّم القرآن ثم تلا الإنجيل والتوراة والزبور، وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حلّ الرموز والأقلام، ولم يترك علماً حتى أتقنه.

ثم ادعى انه أخرس وسافر، فنزل باصفهان وخدم قيماً في مدرسة وأقام بها

عشر سنين، وعرف جميع أهلها وكبرائها، ثم بعد ذلك أراد الدعوة، فعمل له أدهاناً ودهن بها وجهه حتى لا يمكن أحد النظر إليه من شدّة الأنوار. . . ثم نام في المدرسة وأغلق عليه الأبواب. . . فلما نام الناس وهدأت الحواس قام، فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السرج، ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم اتبعها ثانية وثالثة ثم انتصب في المحراب يصلّي، ويقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون وبنغمة أرق من النسيم.

فلما سمع الفقهاء تواثبوا وأشرفوا عليه، وهو على تلك الحالة فحارت أفكارهم من ذلك، ثم اعلموا المدرس بذلك، فأشرف عليه وهو على تلك الحال فلما رآه خرّ مغشياً عليه، فلما أفاق عمد إلى باب المدرسة ليفتحه فلم يقدر على ذلك فخرج من المدرسة، وتبعه الفقهاء حتى انتهى إلى دار القاضي والأخبار قد شاعت في المدينة، فأخبر القاضي بذلك، فخرج القاضي واتصل الخبر بالوزير، واجتمع الناس على باب المدرسة، وهو قد فتح الأقفال وترك الأبواب غير مفتحة، فلما صار القاضي والوزير وكبراء البلد إلى الباب اطلع عليه الفقهاء وقالوا له بالذي أعطاك هذه الدرجة: إفتح لنا الباب، فأشار بيده إلى الأبواب، وقال: تفتحي أيتها الأقفال، فسمعوا وقع الأقفال إلى الأرض، فدخل الناس إليه وسأله القاضي عن ذلك، فقال: انه منذ أربعين يوماً رأى في المكان أثر دليل، واطلع على أسرار الخلق ورآها عياناً، فلما كان في هذه الليلة أتاني ملكان فأيقظاني وغسلاني.

ثم سلّما عليّ بالنبوّة، فقالا: السلام عليك يا نبيّ الله فخفت من ذلك وطلبت أن أرد عليهم السلام فلم أطق، وجعلت أتململ لردّ الجواب فلم أقدر على ذلك، فقال أحدهما: إفتح فاك بسم الله الأزلي، ففتحت فمي، وأنا أقول في قلبي: بسم الله الأزلي، فجعل في فمي شيئاً أبيض لا أعلم ما هو أبرد من الثلج، وأحلى من الشهد، وأذكى من المسك، فلما حصل في أمعائي نطق لساني، فكان أول ما قلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله. فقالا: وأنت رسول الله حقاً، فقلت: ما هذا الكلام أيها السادة؟ فقالا: ان الله قد بعثك نبياً، فقلت: وكيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيّدنا محمد انه خاتم النبيّين؟ فقالا: صدقت ولكن الله أراد بذلك انه خاتم النبيّين الذين هم على غير ملته وشريعته، فقلت: اني لا أدعي بذلك ولا أصدق ولا لي معجزات، فقالا: يوقع في قلوب الناس تصديقك الذي

أنطقك بعد أن كنت أخرس منذ خلقت.

وأمّا المعجزات التي أعطاك الله عزّوجل فهي معرفة كتبه المنزلة على أنبيائه ومعرفة شرائعه ومعرفة الألسن والأقدام، ثم قالا: اقرأ القرآن فقرأته كما أنزل، ثم قالا: إقرأ الإنجيل فقرأته، ثم قالا: إقرأ التوراة والزبوروالصحف، فقرأت الجميع كما أنزل، ثم قالا: قم فأنذر الناس ثم انصرفا عني، وقمت أنا أصلي، وهذا آخر خبري فمن آمن بالله وبمحمد ثم بي فقد فاز ومن كذب فقد عطل شريعة محمد وهو كافر، والسلام.

فعند ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وعمان وغيرهما، واستفحل أمره ولم يزل كذلك حتى قتل، وله أتباع بعمان إلى يومنا هذا قبحهم الله تعالى، إنتهى كلامه.

وفي بعض التفاسير: تنبأ رجل فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا: رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت، فقالوا: هذه حيلة، ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب قال: لستم أجلّ من فرعون ولا أنا أكرم من موسى عليه السلام ان فرعون لم يقل لموسى عليه السلام: لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعباناً.

وفيه: ادعى رجل النبوّة في زمن (خالد بن عبد الله القسري) فأتى به إلى خالد، فقال له: ما تقول؟ فقال: عارضت القرآن قال: بماذا؟ قال: قال الله «إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر» وقلت: «إنّا أعطيناك الجماهر فصلّ لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر» فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمرّ به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال: «إنّا أعطيناك العود فصلّ لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود».

وفيه: ان امرأة ادّعت النبوّة أيام المتوكل فقال لها: أنت نبيّة؟ قالت: نعم، قال: أتؤمنين بمحمد؟ قالت: نعم، قال: فإنه صلّى الله عليه وآله قال: لا نبيّ بعدي، قالت: نعم ولكنه لم يقل: لا نبيّة بعدي.

وفيه: تنبأ رجل في زمن المأمون فأحضره، فقال له: ألك المعجزة لنبوّتك؟ قال: نعم، قال: ما هي؟ قال: كلما شئت، قال له المأمون: إفتح هذا القفل بلا مفتاح، قال: إني نبي ولست بحدّاد.

وفيه: ادعى رجل النبوّة، فأحضره المأمون، فقال له: من أنت؟ قال: نبي الله ورسوله، فقال له: أيوحى إليك من السماء؟ قال: نعم، نزل إليّ جبرئيل بالوحي قبل إحضارك إيّاي بساعة، وينزل إليّ الوحي في كل اسبوع، فظن المأمون بصحة دعواه، فأمر المأمون طبّاخه أن يحترموه في مطبخه في اسبوع حتى يحين وقت الوحي، فلما مضى الأسبوع أحضره المأمون، فامتنع الرجل فقال: لابدّ للامير أن يزور النبي، فجاءه المأمون فقال له: أنزل عليك الوحي؟ قال: نعم، فقال المأمون: متى؟ قال: قبل زيارتك إيّاي، ولو سعيت إلي زيارتي لكنت تسمع ما يوحى إليّ، فقال المأمون: فماذا نزل إليك؟ قال: نزل إليَّ جبرئيل، وقال: لا تخرج أيها النبيّ من هذا المطبخ لأنك لا تجد موضعاً أحسن منه قط، فعلم المأمون ان الموجب لادّعائه النبوّة هو الجوع.

ومن المتنبّين: أبو الطيب المتنبي الشاعر اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، وإنما سمي المتنبي لادعائه النبوة في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرّق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه، وكان قد قرأ على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن أنزل عليه:

ومن كلامه: «والنجم السيّار، والفلك الدوّار، والليل والنهار، ان الكافر لفي أخطار، امض على سنتك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيغ من ألحد في الدين وضلّ عن السبيل».

وكان إذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام أنكره وجحده ولما أطلق من السجن إلتحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومدح كافور الأخشيدي وأنوجور بن الأخشيد، وكان يقف بين يدي كافور، وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة يركب بحاجبين من مماليكه، وهما بالسيوف والمناطق، ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة، فوجّه كافور خلفه عدة رواحل، فلم تلحقه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي، فأجزل صلته ولما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في عدة من أصحابه فقاتله فقتل المتنبئ وابنه محمد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له: الصافية من

الجانب الغربي من سواد بغداد.

ويقال: انه قال شيئاً في عضد الدولة فدسّ عليه من قتله لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة وثياب فاخرة، ثم دسّ عليه من سأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل إلاّ أنه عطاء متكلّف، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً، فغضب عضد الدولة، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بني ضبّة فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك؟:

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال: قتلتني قتلك الله، ثم قاتل فقتل.

ويقال: ان الحفزاء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه، فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع، وكان قتله يوم الأربعاء لستّ بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، ومولده كان في سنة ثلاثمائة بالكوفة في محلة تسمّى كندة، وليس هو من كندة وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي.

وكان أبوه سقاء بالكوفة وكان يلقّب بعبدان ثم انتقل إلى الشام بولده(١٩٤).

## دعوى الإمامة

يعتقد الشيعة الإمامية بإمامة اثني عشر إماماً بعد خاتم المرسلين أبي القاسم محمد صلّى الله عليه وآله أولهم أمير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن أبي طالب وآخرهم الحجة المنتظر الإمام المهدي على نحو ما هو معروف ومشهور عنهم ومن أبرز الوجوه التي نسب إليها إدعاء الإمامة من غير المنصوصين والمعروفين بها في حياة الأئمة عليهم السلام وظهورهم اثنان زيد ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام إسماعيل ابن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، وقد تبعهما جموع غفيرة ممن وهم في أمرهما إلى يومنا هذا حيث يدين اتباعهما بمذهبين معروفين هما مذهب الزيدية ومذهب الإسماعيلية في الوقت الذي نجد فيه نصوصاً تبرئ ساحتي هاتين الشخصيتين مما نسب إليهما وتزيّف مادان به أولئك بشأنهما وتصفهما بالجلالة والتقوى وعظم المنزلة والولاء لما كان عليه آباؤهما عليهم السلام فمن ذلك ما ذكره الشيخ المفيد «رض» في كتاب الإرشاد في شأن زيد

في باب ذكر أخوة الإمام الباقر عليه السلام وطرف من أخبارهم بقوله: وكان زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام عين اخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السلام، واعتقد كثير من الشيعة فيه الإمامة وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام، فظنوه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريدها به لمعرفته باستحقاق أخيه للإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله عليه السلام ولما قتل بلغ ذلك من أبي عبد الله الصادق عليه السلام كل مبلغ وحزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرق من ماله على عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار، وكان مقتله يوم الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة وكان سنه يومئذ اثنين وأربعين، إنتهى.

وحكى أمين الإسلام الطبرسي في أعلام الورى عن إبن قتيبة بإسناده في كتاب عيون الأخبار ان هشاماً قال لزيد بن علي لما دخل عليه: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال: سماه رسول الله صلّى الله عليه وآله باقر العلم وأنت تسمّيه بقرة؟ لقد اختلفتما إذا قال: فلمّا وصل الكوفة اجتمع عليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب ثم نقضوا بيعته وأسلموه فقتل وصلب بينهم أربع سنين لا ينكره أحد منهم ولم يعيره بيد ولا لسان(١٩٥).

وأما بالنسبة إلى إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام فقد عدّه شيخ الطائفة الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقال أمين الإسلام الطبرسي في إعلام الورى: أما إسماعيل فكان أكبر إخوته وكان أبوه شديد المحبّة له والبرّ به لميل أبيه إليه وإكرامه له، ولأنه أكبر إخوته سناً فمات في حياة أبيه الصادق عليه السلام بالعريض وحمل على رقاب الناس إلى أبيه بالمدينة فجزع عليه جزعاً شديداً وتقدّم سريره بغير حذاء ولا رداء وكان يأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة ويكشف عن وجهه وينظر إليه يريد عليه السلام إزالة الشبهة عن الدين ظنّوا خلافته له من بعده وتحقيق أمر وفاته عندهم ودفن رحمه الله بالبقيع ولما مات إسماعيل رجع عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك وأقام على حياته طائفة لم تكن من خواص أبيه بل كانوا من الأباعد(١٩٦).

وأضاف السيد محمد صادق آل بحر العلوم في حاشيته على فرق الشيعة

للنوبختي كان رجلاً صالحاً. . . فمات في حياة أبيه بالعريض. . . دفن بالبقيع سنة ١٣٣هـ. . . وفي سنة ٥٤٦هـ وصل المدينة الحسين بن أبي الهيجاء وزير العبيدلي فبنى على مشهده قبّة(١٩٧).

وأضاف الشيخ محمد حسين الأعلمي في دائرة معارفه هو الآخر بقوله: زرته من وراء الشبّاك خارج من القبّة في سنة ١٣٥٨هـ لأن بابه كان مسدوداً بأمر الطائفة الوهابية. . . ومن ولده جماعة من ملوك مصر المشهورين بالعبيديين لأنهم كانوا من وُلد عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ومن ولده السيد علي الفلاح ابن علي بن سليمان بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام أول من ملك البصرة. . . الخ(١٩٨).

وهناك أفراد أخر ثبت انحرافهم وضلالهم علانية نوجز الكلام عنهم بالنحو التالي:

١ ــ محمد بن إسماعيل بن الإمام الصادق عليه السلام: إدّعى الإمامة لنفسه بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام فجمع حوله جماعة ممّن زعمت إمامة أبيه إسماعيل وأنه ابنه والإبن أحق بمقام الإمامة من الأخ يعني الإمام موسى الكاظم عليه السلام فلما لم ينل ما أمّل من جباية الأموال والحقوق إليه عزم على الإنتقام من الإمام الكاظم عليه السلام فسأله أن يأذن له في الخروج إلى العراق وكان مقيماً معه بالمدينة وأن يرضى عنه ويوصيه بوصيّة فأذن له الإمام وكان ممّا أوصاه به أن قال له: «أوصيك أن تتقي الله في دمي» أوصاه بذلك مرتين ودفع له ثلاث صرر كل صرة فيها مائة وخمسون ديناراً ثم أعطاه ألفاً وخمسمائة درهم، فلما وصل إلى العراق دخل على هارون الرشيد فقال له: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج وأنت بالعراق يجبى لك الخراج، فقال: والله، فقال: والله، فأمر الخليفة له بمائة ألف درهم فلما قبضها وحملت إلى منزله أخذته الريح في جوف ليلته فمات وحوّل من الغد المال الذي حمل إليه إلى خزانة الخليفة(١٩٩).

٢ ــ عبد الله بن الإمام الصادق عليه السلام الذي كان أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم تكن منزلته عند أبيه منزلة غيره من الأولاد، وكان متّهماً بالخلاف على أبيه في الإعتقاد وادعى الإمامة بعد وفاة أبيه عليه السلام وتابعه قوم ثم رجع أكثرهم

بعد ذلك إلى القول بإمامة الإمام الكاظم عليه السلام لما ظهر عندهم براهين إمامته ولم يبق على القول بإمامة عبد الله إلا طائفة يسيرة تسمى بالفطحية وإنما لزمهم هذا اللقب لأنه كان أفطح الرجلين أي وسيعهما ويقال: لأن داعيهم إلى ذلك رجل إسمه عبد الله بن الأفطح(٢٠٠).

٣ ـ جعفر الكذّاب ابن الإمام علي الهادي عليه السلام وقد أشرنا إليه فيما سبق فراجع.

وورد ما يدل على ان هناك جمع من ذرّية بني هاشم سيدعون الإمامة قبل قيام القائم وظهور دولته وسيكونون من العلامات التي تنبئ عن قرب زمانه وبسطة يده فمن ذلك ما رواه شيخ الطائفة في كتاب الغيبة عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه»(٢٠١).

ومن أجل ذلك كان المائز بين أولئك الأئمة الحقيقيين وهؤلاء المزيّفين العصمة فضلاً عن بقية المميّزات الأخرى التي لا يصح اتصافها بغيرهم كما لا يخفى على من راجع الكتب الكلامية وتصفح المصادر الروائية الباحثة عن خصوصياتهم عليهم السلام.

## النصوص الروائية الواردة في شأن مدعي الإمامة من غيرهم عليهم السلام

روى الصدوق في الفقيه بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: الأئمة بعدي إثنا عشر أولهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم القائم، إلى أن قال: المقرّ بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر(٢٠٢).

وروى المحدث علي بن محمد الخزاز في كفايته بسنده عن أبي خالد الكابلي عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: قلت له: كم الأئمة بعدك؟ قال: ثمانية لأن الأئمة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إثنا عشر إلى أن قال: ومن أبغضنا وردّنا أو ردّ واحداً منّا فهو كافر بالله وبآياته(٢٠٣).

وروى المحدث النبيل النعماني في غيبته بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام يقول: ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب

أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له ومن جحد إماماً من الله ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً(٢٠٤).

وبسنده عن عمران الأشعري عن جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال: ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من زعم ان إماماً من ليس بإمام ومن زعم في إمام حق انه ليس بإمام، ومن زعم ان لهما في الإسلام نصيباً(٢٠٥).

وروى الصدوق في الإكمال بسنده عن مروان بن مسلم قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: الإمام علم فيما بين الله عزّوجلّ وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً(٢٠٦).

وروى أيضاً في عقاب الأعمال بسنده عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: منّا الإمام المفروض طاعته من جحده مات يهودياً أو نصرانياً(٢٠٧).

وروى النعماني في غيبته بسنده عن الفضيل قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من ادّعى مقاماً يعني الإمامة فهو كافر أو قال: مشرك(٢٠٨).

وعنه بسنده عن الفضيل أيضاً قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أعلم منه فهو ضالٌ مبتدع ومن ادعى الإمامة وليس بإمام فهو كافر(٢٠٩).

وروى الصدوق في عقاب الأعمال عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر(٢١٠).

وتناصر الخبر عن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام من طرق مختلفة انهم قالوا: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من زعم انه إمام وليس بإمام ومن جحد إمامة إمام من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً(٢١١).

وروى الشيخ المفيد ـ رض ـ في اختصاصه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: الأئمة بعد نبيّنا اثنا عشر نجباء مفهمون من نقص منهم واحداً أو زاد فيهم واحداً خرج من دين الله ولم يكن من ولايتنا على شيء(٢١٢).

وفيه عنه عليه السلام أيضاً قال: ان الله تبارك وتعالى جعلنا حججه على خلقه وأمناءه على علمه فمن جحدنا كان بمنزلة إبليس في تعنته على الله حين أمره بالسجود لآدم ومن عرفنا واتبعنا كان بمنزلة الملائكة الذين أمرهم الله بالسجود لآدم

فأطاعوه(٢١٣).

وقد أفرد العلامة المجلسي في البحار الباب الثالث من أبواب كتاب الإمامة في بيان النصوص الواردة في (عقاب من ادعى الإمامة بغير حق أو رفع راية جور أو أطاع إماماً جائراً).

نسوق إليك ما تضمنه لما فيه من النصوص الزائدة على ما قدمنا ذكره لك:

١ ـ (ثواب الأعمال): ابن المتوكل عن الحميري عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عزّوجلّ: «لأعذّبنّ كلّ رعية في الإسلام أطاعت إماماً جائراً ليس من الله عزّوجلّ وإن كانت الرعيّة في أعمالها برّة تقيّة، ولأعفونّ عن كلّ رعية في الإسلام أطاعت إماماً هادياً من الله عزّوجلّ وإن كانت الرعيّة في أعمالها ظالمة مسيئة».

٢ ـ (المحاسن) محمد بن عليّ عن ابن محبوب عن العلاء بن محمّد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله والحقّ، قد ضلّوا بأعمالهم الّتي يعملونها، كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون على شيء ممّا كسبوا ذلك هو الضلال البعيد.

٣ ـ (المحاسن) ابن عيسى عن البزنطي عن ابن بكير عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أربع من قواصم الظهر، منها إمام يعصي الله ويطاع أمره.

٤ ـ (تفسير العياشي): عن الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من جحد إماماً من الله، أو ادّعى إماماً من غير الله، أو زعم أنّ لفلان وفلان في الإسلام نصيباً.

٥ ـ (معاني الأخبار): ماجيلويه عن عمّه عن محمّد بن عليّ الكوفي عن عثمان بن عيسى عن فرات بن أحنف قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إنّ من قبلنا يقولون: نعوذ بالله من شرّ الشيطان وشرّ السلطان وشرّ النبطي إذا استعرب، فقال: نعم ألا أزيدك منه؟ قال: بلى، قال: ومن شرّ العربيّ إذا استنبط، فقلت: وكيف ذاك؟ فقال: من دخل في الإسلام فادّعى مولى غيرنا فقد تعرّب بعد هجرته

فهذا النبطيّ إذا استعرب، وأمّا العربي إذا استنبط فمن أقرّ بولاية من دخل به في الإسلام فادّعاه دوننا فهذا قد استنبط.

بيان: فادّعاه أي الولاء يعني ادّعى الخلافة بعد ما بايع الخليفة وأقرّ به كعمر (أو المعنى أقرّ بالنبيّ صلّى الله عليه وآله أو بأمير المؤمنين الّذي دخل بسببه في الإسلام وأنكر إمامة سائر الأئمّة عليهم السلام، والأوّل أظهر) وإطلاق النبطي على من دخل في الإسلام لأنه استنبط العلم كما ورد في الخبر، أو لأنه يخرج عن كونه أعرابياً، والمراد بالعربي هنا الأعرابي العاري عن العلم والدين.

٦ ــ (تفسير القمي): أبي عن ابن أبي عمير، عن أبي المغرا عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة» قال: من ادّعى أنّه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان علوياً فاطمياً؟ قال: وإن كان علوياً فاطمياً.

(ثواب الأعمال): أبي عن سعد عن ابن أبي الخطّاب عن ابن فضّال عن معاوية بن وهب عن أبي سلام عن سورة بن كليب عن أبي جعفر عليه الصلاة والسلام مثله، وفيه: من زعم أنّه إمام.

٧ ــ (ثواب الأعمال): ابن المتوكّل عن الحميري عن ابن أبي الخطّاب عن ابن محبوب عن أبان عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ادّعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر.

٨ ــ (ثواب الأعمال): أبي عن سعد عن ابن أبي الخطّاب عن عبد الرحمان بن أبي هاشم عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من ادّعى الإمامة وليس بإمام فقد افترى على الله وعلى رسوله وعلينا.

٩ ــ (ثواب الأعمال) أبي عن سعد عن ابن أبي الخطّاب عن ابن سنان بن يحيى أخي أديم عن الوليد بن صبيح قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ هذا الأمر لا يدّعيه غير صاحبه إلاّ بتر الله عمره.

١٠ ــ (تفسير العياشي): عن عليّ بن ميمون الصائغ عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن قال: إنّ لفلان وفلان في الإسلام نصيباً.

١١ ــ (غيبة النعماني): ابن عقدة عن محمّد بن المفضّل بن إبراهيم عن محمد بن عبد الله بن زرارة عن مرزبان القمي عن عمران الأشعري عن جعفر بن محمد عليهما السلام مثله.

١٢ ــ (تفسير العياشي): عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام: «ومن أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو قال: أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله» قال: من ادّعى الإمامة دون الإمام عليه السلام.

١٣ ــ (غيبة النعماني): ابن عقدة عن محمد بن زياد، عن جعفر بن إسماعيل عن الحسين بن أحمد المقري عن ابن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزّوجل: «ويوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين» قال: من زعم أنّه إمام وليس بإمام.

١٤ ــ (غيبة النعماني): عبد الواحد بن عبد الله عن محمّد بن جعفر الرزّاز عن إبن أبي الخطّاب عن محمد بن سنان عن أبي سلام عن سورة بن كليب عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: «يوم القيامة ترى الّذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين» قال: من قال: إنّي إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان علوياً فاطمياً؟ قال: وإن كان علوياً فاطمياً قلت: وإن كان من ولد عليّ بن أبي طالب؟ قال: وإن كان من ولد عليّ بن أبي طالب.

١٥ ــ (غيبة النعماني): عبد الواحد بن عبد الله عن أحمد بن محمّد بن رباح عن محمد بن العبّاس عن الحسن ابن أبي حمزة عن أبيه عن مالك بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: كلّ راية ترفع قبل راية القائم عليه السلام صاحبها طاغوت.

١٦ ــ (غيبة النعماني): عبد الواحد عن ابن رباح عن أحمد بن عليّ الحميريّ عن الحسن بن أيّوب عن عبدالكريم الخثعمي عن أبان عن أبي الفضل قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من ادّعى مقامنا يعني الإمامة فهو كافر، أو قال: مشرك.

١٧ ــ (غيبة النعماني): عليّ بن الحسين عن محمد العطّار عن محمّد بن الحسن الرازي عن محمد بن عليّ الكوفيّ عن عليّ بن الحسين عن إبن مسكان عن مالك الجهني عن أبي جعفر عليه السلام قال: كلّ راية ترفع قبل قيام القائم صاحبها طاغوت.

١٨ ـ (غيبة النعماني): عليّ بن عبد الله البرقي، عن عليّ بن الحكم، عن أبان عن الفضيل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أفضل منه فهو ضالّ مبتدع(٢١٤).

## دعوى إمامة الإمام المهدي عليه السلام

مما يتفرّع على موضوع دعوى الإمامة دعوى إمامة المهدي المنتظر عليه السلام وذلك لأن الزمان زمانه والأوان أوانه وأنه يترقّب ظهوره في كل لحظة ويتوقّع خروجه للملأ في كل آن من زماننا هذا.

وفي ذلك قال السيّد محمد تقي الموسوي الاصفهاني في كتاب مكيال المكارم: قد يوجب العجلة في ذلك الأمر وعدم التحمّل والصبر اتباع المضلّين والملحدين الذين ادعوا الظهور وأضلوا الغارين الغافلين عن أخبار الأئمة الصدوق فقد موّهوا بتسويلاتهم ودعوا العوام إلى خرافاتهم وضلالاتهم فبعثتهم العجلة في هذا الأمر إلى متابعتهم بلا بيّنة ولا برهان مع أنّ أئمّتنا عليهم السلام ذكروا وبيّنوا لنا علامات صاحب الزمان والعلائم الحتميّة التي تقع وتظهر عند ظهوره بأوضح بيان وأمرونا بالتمسك بالأمر الأول والثبات عليه وترك النهوض إلى إجابة من يدعي النيابة أو الظهور قبل ظهور تلك العلامات، نسأل الله العصمة من تسويلات الشيطان»(٢١٥).

وقال أيضاً في موضع آخر من كتابه:

لو ادّعى مدعٍ في هذا الزمان انني صاحب الزمان لم يعرف صدقه وكذبه إلا بأمرين: أحدهما ظهور المعجزة على يده والثاني ظهور العلامات التي بيّنها الأئمة الطاهرون للإمام المنتظر القائم فيه فإذا عرف المؤمن تلك العلائم وفهم تلك المكارم لم يصغَ إلى كل ناعق وميز بين الكاذب والصادق(٢١٦).

## المسائل المهمة المتعلقة بساعة الظهور:

ويمكننا أن نشير إليها من خلال هذه النقاط الرئيسية:

١ ـ العلامات الواردة في الروايات لمعرفة شخصه واستعلام حقيقة أمره.

٢ ـ السبل والطرق التي يسلكها الإمام المهدي عليه السلام لإقناع الناس بأنه هو الإمام الموعود وانّ يومه هذا هو اليوم المترقّب فيه ظهوره.

٣ ـ حالة الإنكار التي يبديها المؤمنون عند ظهور شخصه ومطالبتهم له بوجوه الأدلة والمعاجز هل تستوجب كفرهم وردتهم أم لا؟

## علائمه وصفاته

أما النقطة الأولى فقد أوردنا طرفاً منها في بعض مطاوي ما تقدّم منّا في هذا الكتاب وللتوسّع نحيل القارئ الكريم إلى مراجعة كتاب مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام ج١ من ص ٤١ إلى ص ٢٩٧، وكتاب تاريخ ما بعد الظهور للسيد محمد الصدر ص ٥١٠، ونكتفي في هذه العجالة بسرد جملة من النصوص المروية في ذلك:

روى الفاضل الأربلي «قدس سره» في كشف الغمّة عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يخرج القائم عليه السلام إلاّ في وِتر من السنين ـ سنة إحدى، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع ـ .

وعنه عليه السلام قال: ينادي باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء ـ وهو اليوم الّذي قتل فيه الحسين عليه السلام ـ لكأنّي به في يوم السبت العاشر من المحرّم، قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل عليه السلام على يده ينادي البيعة لله، فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، يطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وعن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: كأنّي بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة قد سار إليها من مكّة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في البلاد.

وفي رواية مفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا قام قائم آل محمد عليه السلام بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتّصل بيوت أهل الكوفة بنهر كربلاء.

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله: يخرج المهدي من قرية يقال لها: «كرعة».

وعن حذيفة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهدي رجل من ولدي لونه لون عربيّ، وجسمه جسم إسرائيلي على خدّه الأيمن خال كأنّه كوكب درّيّ،

يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجوّ.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهديّ منّا أجلى الجبين أقنى الأنف.

وفي رواية أخرى: المهدي منّا أهل البيت رجل من امّتي أشمّ الأنف يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وعن أبي امامة الباهلي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: المهدي من ولدي ابن أربعين سنة، كأنّ وجهه كوكب درّي في خدّه الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطريّتان [قطوانيتان خ ل) كأنّه من رجال بني إسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك.

أقول: والأصح «عباءتان قطريتان» لما أورد السيوطي في كتاب الخمائل (ص٨٢) عنوان (ما جاء في اتكاء رسول الله ـ ص ـ): «فخرج يتوكأ على أسامة وعليه ثوب قطريّ قد توشح به» حيث قال: ثوب قطري قال في النهاية هو ضرب من البُرود فيه حمرة وفيه أعلام، فيه بعض الخشونة. وقيل: هي حلل جياد تحمل من قبل البحرين وقال الأزهري: في أعراض البحرين قرية يقال لها: قطر، واحسب الثياب القطرية نسبت إليها فكسروا القاف للنسبة وخففوا. . إنتهى.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها مناد ينادي: هذا المهدي خليفة [الله] فاتّبعوه.

وفي رواية أُخرى: وعلى رأسه ملك ينادي هذا المهديّ فاتّبعوه.

وعن الزياد بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: صاحب هذا الأمر، ولكنّي لست بالذي أملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف بدني؟ وإنّ القائم هو الذي إذا خرج، [خرج] في سنّ الشيوخ ومنظر الشباب وكان قوياً في بدنه، حتّى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان، ذاك الرابع من ولدي يغيّبه الله في ستره ما شاء، ثمّ يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، كأنّي بهم آنس ما كانوا إذ نودوا نداء يُسْمع من بُعْد كما يُسْمَع من قُرْب يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين.

وعن المفضّل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إذا أذن الله ـ جلّ اسمه ـ للقائم الخروج صعد المنبر فدعا الناس إلى نفسه وناشدهم الله ودعاهم إلى حقّه وأن يسير فيهم بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله. فيبعث الله ـ تعالى ـ جبرئيل حتّى يأتيه فينزل على الحطيم، يقول له إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل عليه السلام: أنا أوّل من يبايعك أبسط يدك، فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيبايعونه ويقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف، ثمّ يسير منها إلى المدينة.

وعن محمّد بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر، فضلّ عنه الجمهور. وإنّما سمّي القائم «مهديّاً» لأنّه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسمّي بـ «القائم» لقيامه بالحقّ.

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبة وعلّقها بالكعبة، وكتب عليها: سُرّاق الكعبة.

وعن عبد الله بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثمّ أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثمّ خمسمائة أخرى ـ حتّى يفعل ذلك ستّ مرّات ـ. قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم.

وعن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يخرج مع القائم من ظَهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً.

وعن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنوره واستغنى العباد عن ضوء الشمس وذهبت الظّلمة، ويعمّر الرجل في ملكه حتّى يولد له ألف ولد ذكر ـ لا يولد له فيهم أنثى ـ تظهر الأرض كنوزها حتّى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم مَن يصله ويأخذ

منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل ذلك منه، استغنى الناس بما رزقهم اللّه من فضله.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلّى اللّه عليه وآله انّه قال: يكون المهدي من أُمّتي إن قصر عمره فسبع سنين، وإلاّ فثمان، وإلاّ فتسع، يتنعّم أُمّتي في زمانه نعيماً لم يتنعّموا مثله قطّ ـ البرّ والفاجر ـ يُرسل السماء عليهم مدراراً ولا تدّخر الأرض شيئاً من نباتها.

وروى عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟ قال: سبع سنين، تطول له الأيام والليالي حتى يكون السنة من سنيه مقدار عشر سنين من سنيكم، فتكون سنو ملكه سبعين سَنة من سنيكم هذه، وإذا آنَ قيامه مطر الناس جمادى الآخرة، وعشرة أيّام من رجب مطراً لم تر الخلايق مثله، فينبت اللّه به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأنّي أنظر إليهم مقبلين من جهته ينفضون شعورهم من التراب.

وروى الثقة النعماني بسنده عن أبي عبد اللّه عليه السلام انه قال: [إذا] قام القائم عليه السلام لا تكرهه الناس لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً لا يثبت عليه إلا مؤمن قد أخذ اللّه ميثاقه في الذر الأول.

ثم أردفه بقوله: في هذا الحديث عبرة لمعتبر وذكرى لمتذكر متبصّر وهو قوله: «يخرج إليهم شاباً موفقاً لا يثبت عليه إلا مؤمن قد أخذ اللّه ميثاقه في الذر الأول» فهل يدل هذا إلا على ان الناس يبعدون هذه مدة العمر ويستطيلون المدى في ظهوره وينكرون تأخره ويائسون منه فيطيرون يميناً وشمالاً كما قالوا عليهم السلام تتفرّق بهم المذاهب وتنشعب لهم طرق الفتن ويغترّون بلمع السراب من كلام المفتونين فإذا ظهر لهم بعد السن التي يوجب مثلها فيمن بلغه الشيخوخة والكبر وحنو الظهر وضعف القوى شاباً موفقاً أنكره من كان في قلبه مرض وثبت عليه من سبقت له من اللّه الحسنى بما وفقه عليه وقدمه إليه من العلم بحاله وأوصله إلى هذه الروايات من قول الصادقين عليهم السلام فصدّقها وأعمل بها وتقدم علمه بما يأتي من أمر اللّه وتدبيره فارتقبه غير شاك ولا مرتاب ولا متحيّر ولا مغترّ بزخارف إبليس وأشياعه، والحمد للّه الذي جعلنا ممّن أحسن إليه وأنعم عليه وأوصله من العلم إلى ما لا يوصل إليه غيره إيجاباً للمنّة واختصاصاً بالموهبة حمداً يكون لنعمه كفاء ولحقّه أداء(٢١٧).

# طريق معرفته عليه السلام حال ظهوره

وهي النقطة الثانية التي ألمحنا إليها سابقاً ولتوضيح المراد منها نقول: انه إذا ثبت لدينا من خلال ما قدمنا ان هناك كثير ممن يدعون الربوبية والنبوّة والإمامة والسفارة قبيل الظهور وعلى وجه الخصوص المهدوية وقد سجل لنا التاريخ طائفة بأعيانهم وأسمائهم فما هو السبيل الواجب على الإمام المهدي عليه السلام إذا ظهر لرفع ما قد يتوهّم في شخصه من كونه واحداً من أولئك المدعين المزيّفين إذ ممّا لا شك فيه ان الناس سيقابلونه في وهلته الأولى حين ظهوره بالإنكار الشديد والرفض المستميت لظنهم به انه مدلس ومحتال وما هو الحل المنطقي لإثبات انه هو المراد وانه الشخص الحقيقي بعينه؟

وللجواب عن ذلك بنحو مقتضب ننقل عن بعض الأعلام مضافاً لما سبق حكايته عن السيّد محمد تقي الاصفهاني قبل برهة فمن ذلك ما أفاده الشيخ تقي الدين أبي الصلاح الحلبي في كتاب تقريب المعارف حيث قال: فإن قيل: فهب أنكم تعلمون تخصيص حجّة الإمامة في هذا الزمان بابن الحسن عليه السلام، فكيف لمن ظهر له من خاصّته في زمان الغيبة بمعرفته ولجميع شيعته وغيرهم حين الظهور العامّ.

قيل: لابدّ في حال ظهوره الخاصّ والعام من معجز يقترن به ليعلم الخاصّ والعامّ من شيعته وغيرهم عند تأمّله كونه الحجّة تعييناً، إذ كان النصّ المتقدّم من الكتاب والسنّة والإعتبار العقلي دلالة على إمامته وتخصيص الحجّة على الجملة، ولا طريق لأحد من المكلّفين منها إلى تعيينه، وكذلك وجب ظهور المعجز مقترناً بظهوره عليه السلام(٢١٨).

ومنه ما أفاده أيضاً المحقّق الشيخ علي اليزدي الحائري في كتاب إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب عليه السلام بقوله:

فإن قيل: بأيّ شيء يعلم زوال الخوف وقت ظهوره بالوحي من الله؟ فالإمام لا يوحى إليه أو بعلم ضروري فذلك ينافي التكليف أو بأمارة توجب غلبة الظن ففي ذلك تقرير بالنفس.

قلنا عن ذلك جوابان:

(أحدهما): ان الله أعلمه على لسان نبيّه وأوقفه عليه من جهة آبائه زمان غيبته

المخوفة وزمان زوال الخوف عنه فهو يتبع في ذلك ما شرع له وأوقف عليه وإنما أخفى ذلك عنا لما فيه من المصلحة فأما هو فعالم به لا يرجع إلى الظن.

(والثاني) انه لا يمتنع أن يغلب على ظنه بقوّة الامارات بحسب العادة قوة سلطانه فيظهر عند ذلك ويكون قد أعلم انه متى غلب في ظنه كذلك وجب عليه ويكون الظن شرطاً والعمل عنده معلوماً كما تقوله في تنفيذ الحكم عند شهادة الشهود والعمل على جهات القبلة بحسب الامارات والظنون وإن كان وجوب التنفيذ للحكم والتوجّه إلى القبلة معلومين، وهذا واضح بحمد الله.

وأما ما روي من الأخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة وصعوبة الأمر عليهم واختبارهم للصبر عليه فالوجه فيها الأخبار عما يتّفق من ذلك من الصعوبة والمشاق لا ان الله تعالى غيّب الإمام ليكون ذلك وكيف يريد الله ذلك وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم لهم ومعصية والله لا يريد ذلك بل سبب الغيبة هو الخوف على ما قلناه وأخبروا بما يتّفق في هذه الحال وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك والتمسك إلى أن يفرّج الله عنهم(٢١٩).

## حكم الإنكار عليه ووجهه وحدّه

وهي النقطة الثالثة والمشار اليها سابقاً وأوسع من تناولها بحثاً شيخ الطائفة الطوسي في كتاب تلخيص الشافي حيث قال: الشكّ في المعجز الذي يقدح في أن ما علم على طريق الجملة وصحت معرفته له: هل هو هذا الشخص أم لا؟ والشكّ في هذا ليس بكفر، لأنّه لو كان كفراً لوجب أن يكون كفراً وإن لم يظهر المعجز، فإنّه لا محالة قبل ظهور هذا المعجز على يده شاكّ فيه ومجوّز كونه إماماً وكون غيره كذلك.

وإنّما يقدح في العلم الحاصل له على طريق الجملة لو شكّ في المستقبل في إمامته على طريق الجملة وذلك ممّا يمنع من وقوعه منه مستقبلاً.

وقد ذكر في الزيارات في الغيبة جواباً آخر ذكرناه فيما تقدّم صريحاً(٢٢٠).

أقول: كلامه هذا في المجلّد الرابع من كتابه وما أحال إليه يقع في المجلّد الأول منه وذلك في قوله:

وإنّما يعرفه بظهور العلم المعجز على يده و بينونته به ممّن عداه، والمعجز لا يعلم كونه معجزاً بالضرورة، وإنّما كونه كذلك بالنظر والإستدلال، فلا يمتنع أن

تدخل عليهم الشبهة في ذلك... فإن قيل: لو كان الأمر على ماقلتم لوجب أن لا يعلم شيئاً من المعجزات في الحال، وهذا يؤدي الى أن لا يعلم النبوّة وصدق الرسول، وذلك يخرجه عن الإسلام فضلاً عن الإيمان..

قيل: لا يلزم ماذكرتموه، لأنّه لايمتنع أن تدخل الشبهة في نوع من المعجزات دون نوع، وليس إذا دخلت في بعضها دخلت في سائرها، ولا يمتنع أن يكون المعجز الدالّ على النبوّة لم تدخل عليه الشبهة، فحصل له العلم بكونه معجزاً وعلم ــ عند ذلك ــ نبوّة النبيّ عليه وآله السلام، والمعجز الذي يظهر على يد الإمام إذا ظهر يكون أمراً آخر، يجوز أن تدخل عليه الشبهة في كونه معجزاً فشكّ ــ حينئذ ــ في إمامته، وإن كان عالماً بالنبوّة. وهذا كما يقول: ان من علم نبوّة موسى عليه السلام بالمعجزات الدالّة على نبوّته عليه السلام إذا لم ينعم النظر في المعجزات الظاهرة على عيسى ونبيّنا محمّد عليهما السلام، لا يجب أن يقطع على أنّه ماعرف تلك، لأنّه لايمتنع أن يكون عارفاً بها وبوجه دلالتها، وان لم يعلم هذه المعجزات، واشتبه عليه وجه دلالتها.

فإن قيل: فيجب ــ على هذا ــ أن يكون كلّ ولي لم يظهر له الإمام يقطع على أنّه على كبيرة يلحق بالكفر، لأنّه مقصّر على مافرضتموه فيما يوجب غيبة الإمام عنه، ويقتضي تفويته ما فيه مصلحته، فقد لحق الولي ــ على هذا ــ بالعدو..؟

قلنا: ليس يجب التقصير الذي أشرنا إليه أن يكون كفراً ولا ذنباً عظيماً، لأنّه ــ في هذه الحال ــ مااعتقد في الإمام أنّه ليس بإمام، ولا أخافه على نفسه، وإنّما قصّر في بعض المعلوم تقصيراً كان كالسبب في أن علم من حاله أن ذلك الشكّ في الإمامة يقع منه مستقبلاً، والآن فليس بواقع، فغير لازم في هذا التقصير أن يكون بمنزلة مايفضي إليه ممّا المعلوم أنّه سيكون غير أنّه، وان لم يلزم أن يكون كفراً ولا جارياً مجرى تكذيب الإمام والشكّ في صدقه، فهو ذنب وخطأ لا ينافيان الإيمان واستحقاق الثواب وأن يلحق الولي بالعدو على هذا التقدير، لأنّ العدو في الحال معتقد في الإمام ما هو كفر وكبيرة، والولي بخلاف ذلك.

والذي يبيّن ماذكرناه في أن ماهو كالسبب في الكفر لا يلزم أن يكون في الحال كفراً: أنّه لو اعتقد معتقد في القادر منّا بقدرة أنّه يصحّ أن يفعل في غيره من الأجسام من غير مماسّة، وهذا خطأ وجهل ليس بكفر، ولا يمتنع أن يكون المعلوم

من حال هذا المعتقد أنّه لو ظهر نبي يدعو إلى نبوّته، وجعل معجزة أن يفعل اللّه تعالى على يديه فعلاً بحيث لاتصل إليه أسباب البشرة، وهذا ــ لامحالة ــ علم معجز: أنّه كان يكذّبه ولا يؤمن به ويجوز أن نقدّر أنّه كان يقبله، وماسبق من إعتقاده في مقدور العبد، وكان كالسبب في هذا، ولم يلزم أن يجري مجراه في الكفر.

وهذه الجملة ذكرها (أراد به استاذه علم الهدى السيّد المرتضى) في المسألة التي في الغيبة جمعنا أطرافها وأوردنا بعض ألفاظها ومعانيها.

فان قيل: إنّ هذا الجواب ــ أيضاً ــ لا يستمرّ على أصولكم، لأن الصحيح من مذهبكم أن من عرف اللّه تعالى بصفاته، وعرف النبوّة، والإمامة وحصل مؤمناً، لا يجوز أن يقع منه كفر أصلاً، فإذا ثبت هذا فكيف يمكنكم أن تجعلوا علّة الإستتار عن الولي: أن من المعلوم من حاله أنّه إذا ظهر الإمام وظهر على يده علم معجز، شكّ فيه ولا يعرفه إماماً، فان الشكّ في ذلك كفر وذلك ينقض أصلكم الذي صححتموه..؟

قيل: هذا الذي ذكرتموه ليس بصحيح، لأنّ الشكّ في المعجز الذي يظهر على يد الإمام ليس بقادح في معرفته لغير الإمام على طريق الجملة، وانّما يقدح في أن ماعلم على طريق الجملة وصحّت معرفته به هل هو هذا الشخص أم لا؟(٢٢١) والشك في هذا ليس بكفر، لأنّه لو حصل ــ كفراً ــ لوجب أن يكون كفراً، وإن لم يظهر المعجز، فإنّه ــ لا محالة ــ قبل ظهور هذا المعجز على يده شاكّ فيه، ويجوّز كونه إماماً وكون غيره كذلك.

وانّما يقدح في العلم الحاصل له على طريق الجملة لو شكّ ــ في المستقبل ــ في إمامته على طريق الجملة، وذلك ممّا يمتنع من وقوعه منه مستقبلاً.

وقد ذكر في الزيارات في الغيبة جواباً آخر ذكرناه فيما تقدّم صريحاً بأنّه لا انتفاع للشيعة الإماميّة بلقاء أئمّتها من لدن وفاة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أيّام الحسن بن عليّ أبي القائم عليهم السلام لهذه العلّة، ويوجب ــ أيضاً ــ أن يكون أولياء أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته لم يكن لهم بلقائه انتفاع قبل انتقال الأمر إلى تدبيره وحصوله في يده.

وهذا بلوغ من قائله إلى حدّ لايبلغه متأمّل، على أنّه إذا سلم لهم ماذكروه من أن الإنتفاع بالإمام لا يكون إلاّ مع ظهوره لجميع الرعيّة، ونفوذ أمرهم فيهم، بطل

قوله من وجه آخر: وهو أنّه يؤدّي إلى سقوط التكليف ــ الذي الإمام لطف فيه ــ عن شيعته لأنّه إذا لم يُظهر لهم العلّة لا ترجع إليهم ولا كان في قدرتهم وامكانهم إزالة مايمنعه من الظهور، فلابدّ من سقوط التكليف عنهم، لأنّه لو جاز أن يمنع قوم من المكلّفين غيرهم من لطفهم، ويكون التكليف الذي ذلك اللطف لطف فيه ــ مستمراً عليهم لجاز أن يمنع بعض المكلّفين غيره بقيد أو شبهه من المشي على وجه لا يتمكّن من إزالته، ويكون تكليف المشي ــ مع ذلك ــ مستمراً على المقيّد، وليس لهم أن يفرّقوا بين القيد وبين اللطف من حيث كان القيد يتعذّر معه الفعل ولا يتوهّم وقوعه، وليس كذلك فقد اللطف، لأنّ أكثر أهل العدل: على أن فقد اللطف كفقد القدرة والآلة ووجود الموانع، وان لم يفعل به اللطف ممّن له لطف معلوم غير متمكّن من الفعل، كما أن الممنوع غير متمكّن.

وقد بيّنا ــ فيما تقدّم ــ أنّ الذي يجب أن يجاب به عن السؤال الذي ذكرناه في علّة الإستتار من أوليائه، أن يقال: أنّه لا يجب القطع على استتاره عن جميع أوليائه، غير أن من يقطع على استتاره عنه أقرب مايقال فيه ماتقدّم ذكره: من أنّ هذا الباب لايجب العلم به على سبيل التفصيل، وأنّ العلم على وجه الجملة فيه كاف، ولابدّ أن تكون علّة الغيبة عن الأولياء مضاهية لعلّة الغيبة عن الأعداء في أنّها لا تقتضي سقوط التكليف عنهم ولاتلحق الأئمّة بمكلّفهم، ولابدّ أن يكونوا متمكّنين من رفعها وأزالتها، فيظهر لهم وعلى هذا التقدير: أولى ما علّل به: أنّ الإمام إذا ظهر ولايعلم شخصه وعينه من حيث المشاهدة فلابدّ من أن يظهر عليه علم معجزيدلّ على صدقه والمعجز وكونه دلالة، طريقه الدليل، ويجوز أن تعترض فيه الشبهة ولايمتنع أن يكون المعلوم من حال من لم يظهر له أنّه متى ظهر له وأظهر المعجز لم ينعم النظر، فتدخل ــ عليه ــ فيه الشبهة، فيعتقد أنّه كذّاب، ويشيع خبره، فيؤدّي إلى ماتقدّم القول فيه.

فان قيل: أي تقصير وقع من الولي الذي لم يظهر له الإمام لأجل هذا المعلوم من حاله، وأيّ قدرة له على النظر فيما يظهر له الإمام معه، وإلى أيّ شيء يفزع في تلافي مايوجب غيبته..؟

قلنا: ماأحلنا في سبب الغيبة عن الأولياء إلاّ على معلوم، يظهر موضع التقصير فيه، وامكان تلافيه، لأنّه غير ممتنع أن يكون المعلوم من حاله أنّه متى ظهر

له الإمام قصّر في النظر في معجزه، إنّما أتى في ذلك لتقصير الحاضر في العلم بالفرق بين المعجز، والممكن، والدليل من ذلك، وماليس بدليل ولوكان من ذلك على قاعدة صحيحة لم يجز أن يشتبه عليه معجز الإمام عند ظهوره له، فيجب عليه تلافي هذا التقصير واستدراكه.

وليس لأحد أن يقول: هذا تكليف لما لايطاق(٢٢٢) وحوالة على غيب، لأنّ هذا الوليّ ليس يعرف ماقصّر فيه بعينه من النظر والإستدلال، فيستدركه حتّى يتمهّد في نفسه ويتقدّر، ونراكم تلزمونه مالايلزم، وذلك ان أوّل مايلزم في التكليف قد يتميّز: تارةً، ويشتبه أخرى بغيره، وإن كان التمكّن من الأمرين حاصلاً ثابتاً، فالولي ـ على هذا ـ إذا حاسب نفسه ورأى الإمام لايظهر له، وأفسد أن يكون السبب في الغيبة ماذكرناه من الوجوه الباطلة وأجناسها، علم أنّه لابدّ من سبب يرجع إليه، وإذا رأى أنّ أقوى الأسباب ماذكرناه علم أن تقصيراً واقعاً من جهته في صفات المعجز وشروطه، فعليه ـ حينئذ ـ معاودة النظر في ذلك وتخليصه من الشوائب وما يوجب الإلتباس، فإنّه متى اجتهد في ذلك حقّ الإجتهاد ووفي النظر نصيبه فلابدّ من وقوع العلم بالفرق بين الحقّ والباطل، وهذه المواضع، الإنسان فيها على نفسه بصيرة، وليس يمكن أن يؤمر فيها بأكثر من التناهي في الإجتهاد والبحث والفحص والإستسلام للحقّ، وقد قلنا: انّ هذا نظير ما نقوله لمن خالفنا في توليد النظر العلم بأن يقول: أنا نظرت كما نظرتم ولم يحصل لي العلم، فإنّا نقول له: لانصدّقك في ذلك، لأنك لو كنت استوفيت جميع شرائط النظر لحصل لك العلم، ومتى لم يحصل لك العلم علمنا أنّك أخللت بشيء، وان لم يمكننا الإشارة إلى ما أخللت فيه بعينه، فكذلك القول ههنا حرفاً بحرف(٢٢٣).

## دعوى السفارة

سبق وأن نقلنا تحت عنوان (التصريح الأوّل ببدء الغيبة الكبرى وخاتمة الصغرى) رواية أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب المتضمّنة للتوقيع الصادر من الناحية المقدّسة إلى السفير الرابع علي بن محمّد السمري بما صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمّد السمري أعظم الله أجر اخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك و بين ستّة أيّام فاجمع أمرك ولاتوص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلاّ بعد أن يأذن الله تعالى ذكره،

وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن يدّعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم»(٢٢٤).

وقد واعدنا هناك بالعودة إليه في مبحث دعوى السفارة وقد آن وقت الوفاء بذلك.

إعلم أنّ أفضل من تناول هذا الحديث من أعلام الإماميّة وأشبعه بحثاً وتحقيقاً هو العلامة المحقّق السيّد محمّد تقي الإصفهاني «قدّس سرّه» في كتابه الموسوم بمكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم لذا فنحن نقتصر على ما أورده في ذلك الكتاب لجودة منطوقة وكثرة محصولة حيث يقول «قدّس سرّه»:

أقول الكلام هنا في مقامين:

أحدهما في سند الحديث الشريف المذكور.

والثاني في دلالته على المقصد المزبور.

أمّا الأوّل فاعلم أنّ هذا الحديث صحيح عال اصطلاحاً لأنّه مرويّ عن مولانا صاحب الزمان(عج) بتوسّط ثلاثة أشخاص:

الأوّل: الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن محمّد السمريّ، وهو لجلالته واشتهاره غنى عن البيان.

والثاني: الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي، وهو أيضاً لاشتهاره واشتهار كتابه وجلالة قدره لايحتاج الى التوضيح.

والثالث: أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب، وهو كما ذكره الفاضل الألمعي المولى عناية الله في مجمع الرجال، أبو محمّد الحسن بن الحسين بن ابراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، ويروي عنه الصدوق مكرراً مترضيا مترحماً وهذا(٢٢٥) من امارات الصحّة والوثاقة، كما نبه على ذلك المولى المزبور في مجمعه، وذكر له شواهد عديدة، ليس هنا موضع ذكرها والمكتب بكسر التاء المشدّدة من يعلم الكتابة.

## تنبيه

قد وقع هنا سهوان في كتابين من كتب علمائنا رحمهم الله تعالى، ينبغي التنبيه عليهما:

الأول: في كتاب الغيبة(٢٢٦) للشيخ الأجل أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي(ره) ففيه في النسخة التي عندي، هكذا أخبرنا جماعة عن أبي جعفر، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدّثني أبو محمّد أحمد بن الحسن المكتب، قال كنت بمدينة السلام، وساق الحديث مثل مانقلناه عن كمال الدين(٢٢٧) لابن بابويه(ره) وقد عرفت أنّ الذي روي عنه ابن بابويه حسن بن أحمد، والظاهر أنّ السهو في كتاب الشيخ الطوسي وقع من النساخ ويؤيّد وقوع السهو فيه من بعض النساخ أنّ الحاج ميرزا حسين النوري(ره) نقل هذا الحديث في جنّة المأوى(٢٢٨) من غيبة الشيخ عن الحسن بن أحمد المكتب والله تعالى هو العالم.

والثاني: في كتاب مستدرك الوسائل للعالم المحدّث المتتبع الحاج ميرزا حسين النوري(ره) فانّه مع سعة باعه، وكثرة إطلاعه، واهتمامه في استقصاء أسماءمشايخ الصدوق، غفل عن ذكر هذا الشخص الجليل، الذي روى عنه الصدوق مكرراً مترضياً مترحماً وأمثال هذه الأمور ممّا يبعث العالم على الفحص والتتبع: ويوجب له الظفر بما غفل عنه من قبله، فعليكم يا اخواني بالسعي، والإجتهاد، فانّ الله لايخيّب كلّ طالب مرتاد.

وممّا يدلّ أيضاً على وقوع السهو والإشتباه في كتاب الشيخ وعلي غفلة صاحب المستدرك عن ذكر ذلك الشيخ(ره) انّ المولى عناية الله المذكور، نقل الحديث المسطور، عن كتاب ربيع الشيعة لابن طاوس، حاكياً عن الحسن بن أحمد المكتب، فتبيّن بحمد الله تعالى وعونه، انّ الراوي عن أبي الحسن السمري(ره) هو الحسن بن أحمد الذي روى عنه ابن بابويه(ره).

وممّا يدلّ على صحّة هذا الحديث وصدوره عن الإمام أيضاً، انّ الشيخ الطبرسي(ره) صاحب كتاب الإحتجاج(٢٢٩) ذكره مرسلاً، من دون ذكر السند، والتزم في أوّل الكتاب وصرّح بأنّه لايذكر فيه سند الأحاديث التي لم يذكر أسانيدها، إمّا بسبب موافقتها للإجماع، أو إشتهارها بين المخالف والمؤلّف، أو موافقتها لحكم العقل.

فظهر انّ الحديث المذكور أيضاً كان غنياً عن ذكر السند، امّا لموافقة الإجماع أو لإشتهاره، أو لكليهما جميعاً.

وممّا يدلّ أيضاً على صحته، انّ علمائنا من زمن الصدوق(ره) إلى زماننا هذا استندوا إليه، واعتمدوا عليه ولم يناقش ولم يتأمّل أحد منهم في اعتباره كما لا يخفى على من له انس وتتبع في كلماتهم ومصنّفاتهم فتبيّن من جميع ماذكرناه انّ الحديث المذكور من الروايات القطعيّة، التي لا ريب فيها، ولاشبهة تعتريها، وهو ممّا قال فيه الإمام عليه السلام فانّ المجمع عليه لا ريب فيه.

## المقام الثاني

في دلالة الحديث المذكور على المطلب المزبور وتقرير ذلك أنّ قوله عليه السلام: فقد وقعت الغيبة الثانية تعليل لقوله: ولا توص إلى أحد يقوم مقامك فيدلّ على أنّ الغيبة الكبرى هي التي انقطعت الوكالة والنيابة الخاصّة فيها ثمّ أكّد ذلك بقوله عليه السلام وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة...الخ ولاشبهة بقرينة صدر الكلام في أنّ المراد بدعوى المشاهدة هي المشاهدة على نحو ماوقع للسفراء الأربعة، المحمودين المعروفين في زمان الغيبة الاولى، وقد صرّح بأن من إدّعاها في الغيبة الكبرى فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم.

والحاصل أنّ المراد بالمشاهدة هي المشاهدة المقيّدة بكونها بعنوان البابية والنيابة الخاصّة مثل ما كان للسفراء الأربعة، الموجودين في زمان الغيبة الصغرى، لامطلق المشاهدة فهو من باب ذكر المطلق، وارادة المقيّد أو ذكر العام وارادة الخاصّ وهذا النحو من الإستعمال كثير شايع في العرف واللغة كما تقول اشتريت اللحم أو اشتر اللحم وتريد لحم الغنم بخصوصه لا مطلق اللحم والقرينة في الكلام موجودة كما ذكرنا ومن هذا القبيل قوله عزّوجلّ(٢٣٠) «قل آمنّا بالله وما انزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط» فانّ الأسباط لفظ عام أريد به الخاصّ، لأنّ جميع الاسباط لم ينزل عليهم كتاب، ولاوحي، ولا حكم، وإنّما نزل على بعض منهم وكذلك في التوقيع الشريف أريد بالمشاهدة نحو خاصّ، كما بيّنا لك بعون الله تعالى.

وبهذا الوجه يتبيّن أنّه لاتنافي بين هذا التوقيع الشريف وبين الوقايع الكثيرة، المذكورة في كتب عديدة كالبحار والنجم الثاقب ودار السلام للشيخ العراقي،

وغيرها الدالّة على وقوع المشاهدة في زمان الغيبة الكبرى لكثير من المؤمنين، الذين فازوا بشرف لقائه«عج» ورزقنا اللّه تعالى الفوز بلقائه وشفاعته، إنّه قريب مجيب.

هذا وقد قيل في الجمع بينهما وجوه بعيدة، لاحاجة لنا في التعرّض لها، وردّها وان ماذكرناه واضح لأهله كالنور على شاهق الطور، واللّه الموفّق.

وممّا يدلّ على انقطاع البابية والنيابة الخاصّة في الغيبة الثانية، انّ هذه المسألة مع عموم الإبتلاء بها لجميع أهل الإيمان، والإهتمام بشأنها، لم ينقل أحد من علمائنا من زمان الأئمّة عليهم السلام إلى هذا الزمان خبراً واحداً يدلّ تصريحاً أو تلويحاً أو إشعاراً على وقوع النيابة الخاصّة في زمان الغيبة الثانية، مع كثرة تتبّع العلماء وحفظة الحديث، واهتمامهم بنقل الأحاديث، وتدوينها حتّى ضبطوا الأخبار المشتملة على المطالب الجزئيّة، والآداب التي قلّ مايتّفق ابتلاء الشخص بها مدّة عمره، والأخبار المشتملة على القصص والحكايات وغيرها، وحتّى ضبطوا الأخبار الضعيفة والمشتملة على المجاهيل، إلى غير ذلك ما لايخفي على المتتبع في كتب الأحاديث والآثار وبملاحظة ذلك كله يحصل الإطمينان بعدم وقوع الوكالة والنيابة الخاصّة في زمان الغيبة الكبرى بحيث لو لم يكن لنا دليل على هذا المدّعى جاز لنا التعويل على هذا الوجه، وكفى.

والحاصل أنّ عدم الدليل فيما تعمّ به البلوى دليل على العدم، وهذا قاعدة شريفة متينة، استند اليها وعول عليها جمع من الفحول من العلماء الأصول وعليها بناء العقلاء في جميع أمورهم، ممّا يتعلّق بدنياهم وعقباهم ومعايشهم ومعاشراتهم في تمام الأزمنة والأعصار فانّهم يحكمون في كلّ شيء يشكّون فيه بعدمه عند عدم الدليل عليه بعد الفحص والتفتيش عنه.

وبالجملة لايبقى لذى مسكة بعد الفحص والتتبع التام في أمر تعمّ به البلوى لجميع الأنام، وعدم الظفر بشيء يدلّ على المرام تأمّل وترديد في الحكم بالعدم خصوصاً مع اهتمام الأئمّة عليهم السلام ببيان مايحتاج اليه الأمّة واجتهاد العلماء واهتمامهم بنقل ماوصل اليهم من أئمّتهم سلام اللّه عليهم أجمعين.

وبالتأمّل في هذا المطلب، والتدبير في ذلك الأصل يظهر لك فساد مايدعيه الصوفية من وجوب البيعة مع الشيخ والدخول في طاعة ذلك الشخص بالخصوص

كما دللنا عليه سابقاً.

وكذا فساد مايدعيه الشيخيّة من وجوب اتباع شخص خاص في كلّ زمان، يسمونه بالشيعة الخالص ويزعمون أنّه مرآة صفات الإمام، وانّ معرفة ذلك الشخص هو الركن الرابع للإيمان إذ لا دليل على هذه الأقاويل بل الدليل قائم على بطلانها كما تبيّن في محلّه نسأل الله تعالى أن يثبتنا على حقيقة الإيمان ويحفظنا من هواجس الشيطان.

هذا، ويمكن الإستدلال والتأييد لما مرّ براوايات أخر:

منها ما رواه الشيخ الثقة الجليل محمّد بن ابراهيم النعماني(ره) في كتاب(٢٣١) الغيبة بسند(٢٣٢) صحيح عال عن عبد الله بن سنان، قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام فقال كيف أنتم إذا صرتم في حال لاترون فيها إمام هدى ولا علماً يرى؟ فلا ينجوا من تلك الحيرة إلاّ من دعا بدعاءالغريق(٢٣٣) فقال أبي هذا والله البلاء فكيف نصنع جعلت فداك حينئذ؟ قال عليه السلام: اذا كان ذلك ولم تدركه فتمسكوا بما في أيديكم حتّى يصحّ لكم الأمر.

ورواه الشيخ الصدوق في كمال الدين(٢٣٣) وتمام النعمة أيضاً وفيه حتّى يتّضح لكم الأمر.

أقول: تأمّل في هذا الحديث الشريف، وفي أخبار الصادق عليه السلام بغيبة الإمام وانقطاع السفير بينه وبين الأنام في الغيبة الكبرى وأمر المؤمنين بالتمسک بما في أيديهم الى حين ظهور الإمام عجّل الله تعالى فرجه.

والمراد بما في أيديهم: هو ما أمروا به من الأصول والفروع، والسنن، ومتابعة العلماء العاملين، وحفظة أخبار الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

وقد نبّه على هذا المرام الشيخ النعماني(ره) فقال بعد(٢٣٤) كلام له في ذلک المقام وفي حديث عبد الله بن سنان: كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ولاعلماً يرى، دلالة على ماجرى، وشهادة بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام عليه السلام وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم، وانقطاع نظامهم، لأنّ السفير بين الإمام في حال الغيبة وبين شيعته هو العلم فلمّا تمّت المحنة على الخلق، ارتفعت الأعلام ولا ترى حتّى يظهر صاحب الحقّ عليه السلام ووقعت الحيرة التي ذكرت، وآذننا بها، وصحّ أمر الغيبة التي يأتي شرحها وتأويلها فيما يأتي من

الأحاديث بعد هذا الفصل نسأل الله أن يزيدنا بصيرة وهدى ويوفقنا لما يرضيه برحمته انتهى كلامه، ورفع في الخلد مقامه.

ومن الأحاديث الدالّة على المرام ماروّاه الصدوق في كمال الدين(٢٣٥) بسند صحيح(٢٣٦) عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، قلت له: مايصنع الناس في ذلك الزمان؟ قال: يتمسكون بالأمر الذي هم عليه، حتّى يتبيّن لهم.

أقول: الضمير المستتر في قوله عليه السلام حتّى يتبيّن لهم راجع إلى الإمام، يعني أنّ تكليف الخلق في زمان الغيبة أن يكونوا على ما هم عليه ولايصدّقوا من يدّعي النيابة الخاصّة، والوكالة عنه، حتّى يظهر إمامهم ومن هذا يعلم انّ المراد بقوله في الحديث السابق: حتّى يصحّ لكم الأمر هو أمر ظهور الإمام فالواجب على الناس أن لا يتّبعوا من يدّعي الإمامة أو النيابة الخاصّة عنه في زمان الغيبة الثانية إلى زمان يصحّ ويتبيّن أمر ظهوره بالدلائل والعلامات المرويّة عن آبائه عليهم السلام وبالآثار والمعجزات المشهودة منه مثل ما كان يظهر من آبائه الكرام.

ويدلّ على ماذكرناه أيضاً ما رواه(٢٣٧) الشيخ الصدوق(ره) بإسناده عن ابان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يأتي على الناس زمان تصيبهم فيه سبطة إلى أن قال: قلت: فما السبطة؟ قال عليه السلام: الفترة والغيبة لإمامكم، قال: قلت: فكيف نصنع في ما بين ذلك؟ فقال: كونوا على ماأنتم عليه حتّى يطلع الله لكم نجمكم.

أقول: المراد بطلوع النجم ظهور الإمام عليه السلام. والدليل على هذا المرام ماروّاه الشيخ النعماني(٢٣٨) (ره) بإسناده عن ابان بن تغلب عن الصادق عليه السلام أنّه قال: يا ابان يصيب الناس(العالم ــ خ ل) سبطة إلى أن قال: قلت: جعلت فداك فكيف نصنع، وكيف يكون مابين ذلك؟ قال: فقال عليه السلام لي: إلى ما أنتم عليه حتّى يأتيكم الله بصاحبها.

وماروّاه(٢٣٩) ثقة الإسلام محمّد بن يعقوب الكليني(ره) بسند صحيح عن مولانا أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: إنّما نحن كنجوم السماء كلّما غاب نجم طلع نجم حتّى إذا أشرتم بأصابعكم وملتم بأعناقكم غيب الله عنكم نجمكم فاستوت بنو عبد المطّلب فلم يعرف أيّ من أيّ فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم.

وروراه النعماني(٢٤٠) هكذا: إنّما نحن كنجوم السماء، كلمّا غاب نجم طلع نجم، حتّى إذا أشرتم بأصابعكم، وملتم بحواجبكم غيّب الله عنكم نجمكم واستوت بنو عبد المطّلب فلم تعرف أيّا من أيّ فاذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم.

وروى النعماني(٢٤١) أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مثل أهل بيتي مثل نجوم السماء، كلّما غاب نجم طلع نجم حتّى إذا نجم منها طلع، فرمقتموه بالأعين وأشرتم إليه بالأصابع، أتاه ملك الموت فذهب به، ثمّ لبثتم في ذلك سبتاً من دهركم، واستوت بنو عبد المطّلب، ولم تدرِ أيّ من أيّ، فعند ذلك يبدو نجمكم فاحمدوا الله واقبلوه انتهى.

وقد ظهر بعون الله وببركة أوليائه من هذه الروايات الصحيحة المعتبرة أنّه لا يجوز لأحد تصديق من يدّعي النيابة الخاصّة في زمان الغيبة الكبرى.

ويشهد لذلك أيضاً ماوراه الشيخ الأجلّ الكليني(٢٤٢) (ره) بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال: للقائم عليه السلام غيبتان، أحدهما قصيرة، والأخرى طويلة الغيبة الأولى لايعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة شيعته والأخرى لايعلم بمكانه إلاّ خاصّة مواليه.

قال صاحب الوافي بعد نقل هذا الحديث كأنّه يريد بخاصّة الموالي، الذين يخدمونه، لأنّ ساير الشيعة ليس لهم فيها إليه سبيل وامّا الغيبة الأولى فكان له فيها سفراء تخرج إلى شيعته بأيديهم توقيعات، وكان أوّلهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه فلمّا مات عثمان، أوصى إلى إبنه أبي جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري(رض) فلمّا حضرت السمري(رض) الوفاة، سئل أن يوصي، فقال لله أمر هو بالغه فالغيبة الكبرى هي التي وقعت بعد مضيّ السمري(رض) (انتهى).

ويدلّ على المقصود أيضاً ماوراه الصدوق(٢٤٣) بإسناده، عن عمر بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إذا أصبحت وأمسيت لا ترى إماماً تأتمّ به، فأحب من كنت تحب، وابغض من كنت تبغض، حتّى يظهره الله عزّوجلّ.

وروى الكليني(ره) في أصول الكافي(٢٤٤) بإسناده عن منصور عمّن ذكره عن

أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: إذا أصبحت و أمسيت لا أرى إماماً أءتمّ به ما أصنع؟ قال عليه السلام: فأحب من كنت تحبّ، وابغض من كنت تبغض حتّى يظهره الله عزّوجلّ.

وروى(٢٤٥) النعماني بإسناده عن محمّد بن منصور الصيقل، عن أبيه منصور، قال: قال أبو عبد الله: إذا أصبحت و أمسيت يوماً لاترى فيه إماماً من آل محمّد فأحببّ من كنت تحبّ، وأبغض من كنت تبغض ووال من كنت توالي، وانتظر الفرج صباحاً ومساء.

أقول: هذه الروايات تأمرنا بأن لانتبّع في زمان الغيبة أحدا يدّعي الإمامة أو البابية، والنيابة الخاصّة أن يظهر الله تعالى وليّه المنتظرعجل الله تعالى فرجه فانّ قوله عليه السلام فأحب من كنت تحب إلى آخره كناية عن وجوب ترك المحبّة، والمتابعة لمن يدّعي لنفسه مرتبة خاصّة من الإمامة، والنيابة الخاصّة، في زمن الغيبة التامّة يعني إن إدّعى مدّعٍ لنفسه مقاماً خاصاً فلاتواله ولا تجبه إلى شيء ومعنى هذا تكذيب دعواه كما لا يخفى على ذوي الأفهام العارفين بأساليب الكلام.

ومن الأحاديث التي فيها دلالة وإشارة إلى انقطاع السفارة في الغيبة التامّة ماروواه النعماني(٢٤٦)(ره) باسناده عن المفضّل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين، أحدهما تطول حتّى يقول بعضهم مات وبعضهم يقول قتل وبعضهم يقول ذهب فلا يبقى على أمره من أصحابه إلاّ نفر يسير لايطّلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلاّ المولى الذي يلي أمره.

قال النعماني رحمه الله تعالى: ولو لم يكن يروى في الغيبة الاّ هذا الحديث لكان فيه كفاية لمن تأمّله انتهى.

## تتميم نفعه عميم

قد عرفت ان الأشخاص الأربعة المذكورين رضي الله تعالى عنهم كانوا نوّاباً بالخصوص عن الصاحب عجل الله تعالى فرجه في الغيبة الأولى، وكانت الشيعة يرجعون إليهم في امورهم لما ثبت عندهم من نيابتهم بالخصوص عنه ووكالتهم وقد ثبت ذلك بنص الإمام عليهم كما وقع لعثمان(٢٤٧) بن سعيد وابنه محمد من نص العسكريين عليهما، وبنص محمد علي أبي القاسم حسين بن روح بأمر الإمام عليه السلام ونص الحسين على أبي الحسن علي بن محمد السمري بأمر الإمام، وقد

ظهر المعجزات من هؤلاء النوّاب، رحمهم الله تعالى كثيراً وهي مذكورة في كتب الغيبة(٢٤٨).

وقد صرح ابن طاووس في كتاب ربيع الشيعة على ما حكى عنه المولى عناية الله في مجمعه بظهور المعجزات منهم، وكذا غيره من علمائنا الأخيار رحمهم الله تعالى ولا ريب ان الوكالة والنيابة الخاصة، لا تثبت إلاّ بأحد من هذه الطرق الثلاثة، أعني نص الإمام، أو نائبه الخاص، أو ظهور المعجزة على يد من يدعي النيابة الخاصة ولو لم يكن كذلك لادعى ذلك المقام كثير من عبدة الدنيا كما اتفق لجماعة ظهر كذبهم، وخرج التوقيع عن الإمام بلعنهم، والبراءة منهم، كالنصيري، والنميري، وغيرهما وأسماؤهم مذكورة في كتب الغيبة من أرادها فليرجع إليها.

وأما الغيبة الكبرى فقد انسد فيها باب الوكالة، والنيابة الخاصة، ولكن ثبت النيابة العامة بنصوص النبي والأئمة عليهم السلام، والإجماع، والسيرة المتصلة القطعية للعلماء العاملين، والفقهاء الراشدين، حماة الدين، ورواة أحاديث الأئمة الطاهرين فيجب على كافة المؤمنين الرجوع إليهم فيما يحتاجون إليه من أمر دينهم.

وأما الروايات الواردة في حقهم فهي مذكورة في كتب الفقه والحديث، كقول النبي صلّى الله عليه وآله: اللّهم ارحم خلفائي، ثلاثاً فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ فقال صلّى الله عليه وآله الذين يأتون من بعدي، ويروون حديثي وسنّتي.

وفي التوقيع الشريف(٢٤٩) وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فانهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله، إلى غير ذلك من الأخبار المضبوطة في مظانها.

## وههنا أمران ينبغي التنبيه عليهما:

**الأول:** ذهب قوم من أصحابنا إلى ثبوت الولاية العامة للفقهاء في زمان الغيبة، بمعنى ان لهم ما للإمام من المناصب والتصرفات، إلا ما خرج بالدليل، فالأصل عند هؤلاء ثبوت النيابة العامة، عدا ما استثني بالأدلة، ونفاه آخرون، وقالوا بثبوت النيابة لهم فيما دلّ عليه دليل خاص كالإفتاء، والحكم بين الناس في الترافع، وغيرها مما ذكر في محله، وهو الحق لضعف ما تمسك به الأولون، كما بيّناه في الفقه.

**الثاني:** لو ادعى أحد من أهل مذهبنا لنفسه أو لغيره النيابة الخاصة عن

الحجة عجل الله تعالى فرجه في زمان غيبته الثانية، فإن علم بانقطاع النيابة الخاصة في الغيبة الكبرى من ضروريات المذهب، ومع ذلك ادعى النيابة الخاصة حكم بكفره، وارتداده لاستلزامه تكذيب الشارع في بعض أحكامه، وهو كفر بغير خلاف، واشكال.

وكذا إن علم بذلك دليل خاص، كالإجماع والأخبار ومع كونه عالماً به ادعى النيابة الخاصة في هذه الغيبة، لاستلزامه أيضاً تكذيب النبي، وأما إذا لم يعلم بكونه من ضروريات المذهب، ولم يقطع به بسائر الأدلة، وحصلت له شبهة، فأنكر انقطاع النيابة الخاصة في تلك الغيبة وادعاها لنفسه، أو لغيره، فلا ريب في ضلالته وغوايته، كساير أهل الضلال، لكن في ثبوت ارتداده وخروجه بمحض ذلك عن الإسلام إشكال، إذ لم يثبت من الأدلة الشرعية كون انكار الضروري عند أهل الإسلام سبباً مستقلاً للكفر والإرتداد فضلاً عن انكار ضروري المذهب بل إنكار الضروري يكون سبباً للكفر، إن استلزم عدم تصديق النبي صلّى الله عليه وآله في بعض ما جاء به ولذلك يحكم بإسلام أهل السنّة مع إنكارهم ما هو ضروري عندنا، من كون أمير المؤمنين عليه السلام خليفة سيد المرسلين بلا فصل.

وقد ذهب إلى هذا التفصيل الفقيه الكبير والمحقّق الجليل، مولانا المقدّس الأردبيلي على ما حكي عنه وتبعه جمع من الفقهاء، وذهب قوم إلى أن إنكار ضروري الإسلام سبب مستقل للكفر، مثل إنكار إحدى الشهادتين، مستندين إلى أخبار قاصرة الدلالة على مدّعاهم وتفصيل الكلام في هذا المقام موكول إلى محلّه، والله تعالى هو العالم وهو الموفّق والعاصم(٢٥٠).

## انقطاع السفارة بحلول الغيبة الكبرى من ضروريات المذهب

بما أن دعوى السفارة شأنها كشأن سائر المسائل الأخرى بحاجة إلى مصحّح شرعي فالحكم عليها صحةً ونفياً يرجع فيه إلى حكم الشرع فما نطق به أُخِذَ وعمل به وما نهي عنه أغفل ذكره وعزف عنه.

وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المسألة في ص ٤٤ ــ ٤٥ وقد أحلنا الكلام فيها إلى موضع أليق وسنأتي على ذكره في مسألة حكم دعوى السفارة إن شاء الله تعالى

زيادة على ما قدّمنا لك، أمّا ما نحاول إستعراضه فعلاً في هذا الموضع فهو الإشارة إلى كلمات العلماء والمؤلّفين من الشيعة الإمامية حول هذه المسألة وما سطّروه بشأنها على حسب تسلسل المراحل الزمنية لعودهم وأزمنتهم التاريخية وذلك بالنحو التالي:

## (القرن الثالث والرابع)

قد صرح فيه المحدث الفقيه الشيخ محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في كتاب الغيبة بعد روايته لأحاديث الغيبة بما صورته:

ـ هذه الأحاديث التي يذكر فيها ان للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام وأظهر برهان صدقهم فيها فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم الشفاء من العلم وعويص الحكم والأجوبة عن كلما كان يسئل عنه من المعضلات والمشكلات وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدّتها.

والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله والتدبير الذي يمضيه في الخلق وبوقوع التمحيص والإمتحان والبلبلة والغربلة والتصفية على من يدعي هذا الأمر كما قال الله عزّوجل: «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب» وهذا زمان ذلك قد حضر جعلنا الله فيه من الثابتين على الحق وممّن لا يخرج في غربال الفتنة فهذا معنى قولنا له غيبتان، ونحن في الآخرة نسأل الله أن يقرب فرج أوليائه منها، ويجعلنا في حيّز خيرَته وجملة التابعين لصفوته ومن خيار من ارتضاه وانتجبه لنصرة وليّه وخليفته، فإنه وليّ الإحسان جواد منّان(٢٥١).

وحكى المحدث الأجل الثقة الصدوق الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي في كتاب كمال النعمة وتمام الدين في الباب الثاني والأربعين المعقود لأخبار ميلاد القائم عليه السلام عن غياث بن أسيد انه قال: كان مولده عليه السلام لثمان خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين ووكيله عثمان بن سعيد فلما مات عثمان أوصى إلى إبنه أبي جعفر محمد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي

الله عنهم.

قال: فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمري رضي الله عنه.

## (القرن الرابع والخامس)

وفيه صرّح فخر الطائفة الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العُكْبَري البغدادي (قدس سره) في كتاب الإرشاد بما لفظه: وله قبل قيامه غيبتان إحديهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار، فأما القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، وأما الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف قال الله عزّوجل: «ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»، وقال جلّ اسمه: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون»، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من إهل بيتي يواطىء اسمه إسمي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً(٢٥٢).

### (القرن الخامس)

وفيه صرح شيخ الطائفة أبو جعفر الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي (قدس سره) في كتاب الغيبة بقوله: فأما السفراء الممدوحون في زمان الغيبة فأولهم من نصبه أبو الحسن علي بن محمد العسكري وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد ابنه عليهم السلام وهو الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رحمه الله. . . فلما مضى أبو عمر وعثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه بنص أبي محمد عليه السلام عليه ونص أبيه عثمان عليه بأمر القائم عليه السلام. . . ذكر إقامة أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري أبا القاسم الحسين بن روح رضي الله عنهما مقامه بعده بأمر الإمام صلوات الله عليه. . . ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري بعد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ وانقطاع الإعلام به وهم الأبواب. . . (٢٥٣).

وأضاف أيضاً الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في

كتاب الإحتجاج بقوله: وأما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون في زمان الغيبة فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري نصّبه أولاً أبو الحسن عليّ بن محمد العسكري ثم ابنه أبو محمد الحسن فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما عليهما السلام ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام وكان توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه فلما مضى لسبيله قام إبنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك فلما مضى هو قام أبو القاسم حسين بن روح من بني نوبخت فلما مضى هو قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري.

ولم يقم أحد منهم بذلك إلاّ بنص عليه من قبل صاحب الأمر عليه السلام ونصب صاحبه الذي تقدّم عليه ولم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة علي يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالتهم وصحّة نيابتهم فلما حان سفر أبي الحسن السمري وقرب أجله قيل له إلى من توصي؟ فأخرج إليهم توقيعاً نسخته. . . الخ(٢٥٤).

## (القرن الخامس والسادس)

وفيه صرح العلامة الشيخ محمد بن الفتّال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) في كتاب روضة الواعظين بقوله:

وبابه [أي الإمام المهدي عليه السلام] عثمان بن سعيد فلما مات عثمان أوصى إلى ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال: إن الله بالغ أمره وقد انتظر عليه السلام لدولة الحق.

## (القرن السادس)

وفيه صرح أمين الإسلام أبو الفضل صاحب مجمع البيان في كتاب إعلام الورى بأعلام الهدي بقوله: «كان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري باباً لأبيه(٢٥٥) وجدّه(٢٥٦) من قبل وثقة لهما، ثم تولّى الباقية من قبلهّ(٢٥٧) وظهرت المعجزات على يده، ولما مضى لسبيله قام ابنه أبو محمد مقامه رحمهما الله بنصّه عليه ومضى على منهاج أبيه في آخر جمادي الآخرة من سنة أربع أو خمس وثلاثمائة، وقام مقامه

أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت بنص أبي جعفر محمد بن عثمان عليه، وأقامه مقام نفسه، ومات في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري بنص أبي القاسم عليه، وتوفّي لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة»(٢٥٨).

## (القرن السابع)

قال فيه فخر الملّة العلامة الحلّي الحسن بن يوسف بن مطهر (قدس سرّه) في رجاله عند ذكره للسفير الأوّل في (ص ١٢٦ط النجف): عثمان بن سعيد بفتح السين يكنّى أبا عمرو السمان يقال له: الزيات الأسدي من أصحاب أبي جعفر محمّد بن علي الثاني عليه السلام، خدمه وله إحدى عشرة سنة وله إليه عهد معروف وهو ثقة جليل القدر وكيل أبي محمّد عليه السلام.

وقال في (ص ١٤٩) عند ذكره للسفير الثاني: محمّد بن عثمان بن سعيد العمري بفتح العين الأسدي يكنّى أبا جعفر وأبوه يكنّى أبا عمرو جميعاً وكيلان في خدمة صاحب الزمان عليه السلام ولهما منزلة جليلة عند هذه الطائفة وكان محمّد قد حفر لنفسه قبراً سوّاه بالساج فسئل عن ذلك؟ فقال: للناس أسباب ثمّ سئل بعد ذلك؟ فقال: قد أمرت أن أجمع أمري فمات بعد شهرين من ذلك في جمادي الأولى سنة خمس وثلاثمائة وقيل سنة أربع وثلاثمائة وكان يتولّى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة وقال عند موته: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى إليه، وأوصى أبو القاسم بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري.

فلمّا حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي؟ فقال: لله أمر هو بالغه والغيبة الثانية هي التي وقعت بعد مضيّ السمري.

## القرن التاسع

قال فيه المحدّث النسّابة الفقيه السيّد علي بن عبد الكريم النيلي النجفي في كتاب (منتخب الأنوار الوضيّة ص ١١٠ ط قم دار الذخائر الإسلاميّة).

(الفصل الثامن في رواته عليه السلام ووكلائه) وقد توكّل له عليه السلام عدّة أقوام من عدّة بلاد ورووا عنه الروايات وأوصلوا إليه المطالعات فممّا صحّ لي روايته عن الشيخ الصدوق محمّد بن علي بن بابويه يرفعه إلى محمّد بن أبي عبد الله

الكوفي أنّه ذكر عدّة من إنتهى إليه ممّن وقف على معجزات صاحب الزمان صلوات الله عليه من الوكلاء والرواة فمن بغداد العمري وابنه وحاجز والبلالي والعطّار ومن الكوفة العاصمي ومن الأهواز محمّد بن إبراهيم بن مهزيار ومن أهل قم أحمد بن إسحق ومن همدان محمّد بن صالح ومن الريّ الشامي والأسدي يعني نفسه ومن اذربيجان القاسم بن العلا ومن نيشابور محمّد بن شاذان ومنهم أبو القاسم بن روح.

وقال في (ص ١١٧): وله صلّى الله عليه وآله وكلاء آخرون لم نذكرهم لئلاّ يطول بذكرهم الكتاب وهم مذكورون في الكتب المطولة المرسومة في هذا الباب.

ثمّ أورد في الفصل التاسع الذي عقده لذكر توقيعاته على يد رسله وأصحابه وعلى يد سفرائه إلى وكلائه في (ص ١٣٠) منه ذكراً للسفير الرابع بقوله:

وبالطريق المذكور يرفعه إلى أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفّي فيها الشيخ علي بن محمّد السمري فحضرته قبل وفاته بأيّام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته بسم الله... إلى آخره ماورد في التوقيع المتقدّم ذكره ثمّ قال بعده: وكان وفاة الشيخ علي السمري المذكور في النصف من شعبان سنة ٣٢٨هـ.

## (القرن العاشر)

وفيه ذكر فخر المحقّقين الشهيد الثاني الشيخ زين الدّين بن علي بن أحمد العاملي طاب ثراه في كتاب الإقتصاد والإرشاد إلى طريقه الإجتهاد (ص ١٩٣ ط قم ـ مكتبة السيّد المرعشي العامّة) مالفظه: إنّ الشريعة لابدّ لها من حافظ وناصر في تبليغ الأحكام إلى المكلّفين وكذلك نصب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أئمة عليهم الصلاة والسلام لتبليغ الأحكام وحفظ الإسلام إلى أن إنتهى الأمر إلى صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه وعجّل الله فرجه واقتضت المصلحة الإلهيّة والحكمة الخفيّة إختفاءه فنصب نائباً بعد نائب للتوسّط بينه وبين الرعايا في تبليغ الحكم ثمّ انقرضوا بانقراض آخرهم وهو علي بن محمّد السمري فانقطعت الواسطة وتعذّر الوصول إليه عليه السلام فلابدّ من عارف عادل ظاهر يرجع النّاس إليه في الأحكام الشرعيّة في زمن الغيبة والاّ إختلفت الأحكام الشرعيّة وتعطّلت الحكمة الإلهيّة.

## (القرن الحادي عشر)

وفيه صرّح الفقيه المتكلّم الجامع بين رتبتي المنقول والمعقول الفيض الكاشاني في كتابه علم اليقين بقوله:

«وكان الخبر بغيبته ثابتاً قبل وجوده وبدولته مستفيضاً قبل غيبته وهو صاحب السيف من أئمّة الهدى عليهم السلام والقائم الحقّ المنتظر لدولة الإيمان وله قبل قيامه غيبتان أحدهما أطول من الأخرى كما جاءت بذلك الأخبار فأمّا القصرى فمنذ وقت ولادته إلى إنقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة وأمّا الطولى فهي بعد الأولى وفي آخرها يقوم بالسيف(٢٥٩)...

وكان مولده صلوات الله عليه لثمان ليال خلون من شعبان سنة ست وخمسين ومائتين ووكيله عثمان بن سعيد رضي الله عنه فلمّا مات عثمان أوصى إلى إبنه أبي جعفر محمّد بن عثمان وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري رضي الله عنهم، فلمّا حضرت السمري رضي الله عنه الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه فالغيبة التامّة هي التي وقعت بعد مضيّ السمري رضي الله عنه»(٢٦٠).

وفيه أيضاً صرّح العلامة محمّد باقر المجلسي (قدّس سرّه) في كتاب مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول صلّى الله عليه وآله وهو شرح على كتاب الكافي للثقة الكليني رضوان الله تعالى عليه بقوله:

«أمّا سفراؤه عليه السلام فأوّلهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري فلمّا توفّي رضي الله عنه نصّ على إبنه أبي جعفر محمّد بن عثمان فقام مقامه وهو الثاني من السفراء وتوفّي رضي الله عنه سنة أربع وثلاثمائة وقيل خمس وثلاثمائة.

وكان يتولّى هذا الأمر نحو من خمسين سنة فلمّا دنت وفاته أقام أبا القاسم الحسين بن روح النوبختي مقامه وتوفّي أبو القاسم (قدّس الله روحه) في شعبان سنة ستة وعشرين وثلاثمائة فلمّا دنت وفاته نصّ على أبي الحسن علي بن محمّد السمري فلمّا حضرت السمري رضي الله عنه الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه ومات روّح الله روحه في النصف من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة كل ذلك ذكره الشيخ رحمه الله».

## (القرن الثاني عشر)

وفيه صرّح المحقّق البحراني فقيه أهل البيت عليهم السلام الشيخ يوسف في حدائقه (ج ٧ ص ١٧ ــ ١٨ ط النجف) بقوله:

وكان له عليه السلام غيبتان صغرى وهي التي كان فيها السفراء رضي الله عنهم وتقرب من خمس وسبعين سنة وكان أولّهم عثمان بن سعيد أوصى إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري رحمه الله، فلمّا حضرت السمري الوفاة، إجتمعت عنده الشيعة وسألوه أن يوصي إلى أحدٍ فقال: لله أمر هو بالغه فوقعت الغيبة الكبرى.

## (القرن الثالث عشر)

وفيه صرّح السيّد عبد الله شبّر صاحب التصانيف المعروفة والمتوفّي سنة ١٢٤٢ هـ في كتابه جلاء العيون (ج ٣ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ ط قم) وكذا العلاّمة المحقّق السيّد حيدر الحسني الكاظمي من أعلام هذا القرن في كتابه عمدة الزائر في الأدعية والزيارات (ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥) بما قدّمنا نقله عن الثقة الطبرسي في كتاب الإحتجاج حيث اكتفيا في كتابيهما المشار إليهما بمحكيه اعتقاداً بما تضمنه وتسليما لما أورده وأفاده بهذا الشأن.

## (القرن الرابع عشر)

وهو أكثر القرون تصنيفاً في شأن الإمام المهدي عليه السلام ولذا فنحن موردون ماعثرنا عليه من أقوالهم بالنحو التالي:

١ ــ ماقاله المحقّق الشيخ علي اليزدي الحائري في كتاب الزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب (ج١ ص ٤٢٤): الفرع السابع في بيان نوابه وسفرائه الممدوحين الذين كانوا في زمان غيبته الصغرى وسائط بين الشيعة وبينه عليه الصلاة والسلام، أولّهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري وكان من نوّاب أبي الحسن وأبي محمّد الأوّل وكانت توقيعات إمام العصر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وإبنه أبي جعفر محمّد بن عثمان إلى شيعته وخواصّ أبيه أبي محمّد بالأمر والنهي عنه والأجوبة عمّا تسأل عنه الشيعة...

... الثاني من السفراء إبنه أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري قام مقام أبيه بنصّ أبيه عثمان بأمر القائم عليه السلام وخرج التوقيع إليه في التعزية بأبيه رضي اللّه عنه... الثالث من السفراء أبو القاسم حسين بن روح النوبختي أقامه محمّد بن عثمان بعده مقامه بأمر الإمام (عج) وهو من أعقل الناس عند الموافق والمخالف وكان يستعمل التقيّة... الرابع من السفراء أبو الحسن علي بن محمّد السمري(ره) أوصى أبو القاسم الحسين بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري(ره) فلمّا حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي قال: للّه أمر هو بالغه فالغيبة التامّة هي التي وقعت بعد مضيّ السمري...

٢ ــ ماقاله المحدّث الكبير الشيخ عباس القمّي في كتاب (منتهى الآمال ج ٢ ص ٥٠٣) (بما مُعَرّبه):

الفصل السادس في ذكر النواب الأربعة للإمام صاحب الزمان عليه السلام ونحن نكتفي هنا بالإشارة إلى ماورد في كتاب كفاية الموحّدين في قوله:

(أولّهم) عثمان بن سعيد العمروي وكان من أهل الكمال في نهاية مراتب الوثوق ومن المعتمدين عند الإمام علي النقيّ ومن بعده الإمام الحسن العسكريّ عليهما السّلام... و(الثاني) من وكلائه وسفرائه عليه السلام إبنه محمّد بن عثمان بن سعيد العمروي... و(الثالث) الحسين بن روح النوبختي«ره»... و(الرابع) أبو الحسن علي بن محمّد السمري... وفي رواية... عن الشيخ الصدوق«ره» جاء فيها: لمّا قربت وفاة علي بن محمّد السمري اجتمع عنده الشيعة وسألوه عن الوكيل من بعده والقائم مقامه؟ فأجابهم بقوله: لم أؤمر بالوصيّة لأحد في ذلك.

وجاء له أيضاً في كتاب مفاتيح الجنانّ (ص ٩١٤ ط بيروت مؤسّسة الوفاء). المطلب الثالث (في زيارة النوّاب الأربعة) وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد الأسدي، وأبو جعفر محمّد بن عثمان، والشيخ أبو القاسم حسين بن روح النوبختي، والشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمّد السمري (رضي اللّه عنهم).

٣ ــ ماقاله البحّاثة الكبير والمحقّق النحرير الشيخ آغابزرگ الطهراني الرازي في كتاب نوابغ الرواة في رابعة المئات من موسوعته الرجاليّة طبقات أعلام الشيعة (في ص ٢٨٢): محمّد بن عثمان بن سعيد أبو جعفر العمري ثاني النوّاب الأربعة إستقل بالسفارة بعد والده إلى أن توفّي سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ.

(وفي ص ١١٣) الحسين بن روح بن أبي بحر أبو القاسم النوبختي ثالث النوّاب الخاصّة الأربعة قام بالسفارة في جمادي الأولى ٣٠٥ بعد وفاة أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد إلى أن حضرته الوفاة فأوصى إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمري وتوفّي في شعبان ٣٢٦ هـ.

(وفي ص ٢٠٠): علي بن محمّد السمري آخر النوّاب الأربعة وبموته إبتدأت الغيبة الكبرى في النصف من شعبان سنة ٣٢٩ والسَّمَر بالتحريك من أعمال البصرة بين البصرة وواسط.

٤ ــ ماقاله البحّاثة المتتبّع الشيخ محمّد حسين المظفّري في كتاب تاريخ الشيعة (ص ٦٤ ــ ٦٥ ط النجف سنة ١٣٦٤ هـ).

وبعد أبيه العسكري عليهما السلام جعل بينه وبين الشيعة سفراء أربعة وهم عثمان بن سعيد العمري كان من وكلاء جدّه وأبيه، وإبنه محمّد وكان من وكلاء أبيه أيضاً، والحسين بن ورح، وعلي بن محمّد السمري وتنتقل السفارة لأحدهم بعد موت الآخر فكانت لمحمّد بعد أبيه ثمّ للحسين بعد محمّد ثمّ لعليّ السمري بعد الحسين، وبعد موت السمري عام ٣٢٩ هـ إنقطعت السفارة وكان مسكنهم جميعاً ببغداد وبها مواضع قبورهم، وهي اليوم معروفة وتزار، وكان هؤلاء السفراء وسطاء بين الشيعة والإمام لحمل أسئلتهم إليه وأخذ الجواب منه بتوقيعه إليهم، والسفير هو أستاذ التدريس في وقته يحمل إلى روّاد العلم علوم الإمام الغائب، ومن بعدهم إنقطع الوصول إليه والأخذ عنه رأساً، وانحصر أخذ الأحكام بالإجتهاد.

وكان للإمام عليه السلام في هذه الغيبة الصغرى وكلاء كثيرون في بغداد وغيرها غير أنّ السفارة مختصّة بهؤلاء الأربعة المعروفين بالنوّاب كما ادّعى جماعة الوكالة والنيابة عنه جاء التوقيع منه بتكذيبهم والبراءة منهم.

وقال أيضاً في حاشية له على تلك الصفحة من كتابه المذكور: كان عثمان بن سعيد من قوّام العسكريين ووكلائهما ويلقّب بالسمان كما يلقّب بالعمري وخرج التوقيع من الحجّة بسفارته ولم تطل أيّامه، ثمّ خرج التوقيع بسفارة إبنه محمّد وكان من قبل وكيلاً لأبي محمّد العسكري وكانت وفاته في أواخر جمادي الأولى عام ٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ ثمّ خرج التوقيع أيّام حياة محمّد بسفارة الحسين من بعده وهو من بني نوبخت وكانت وفاته في شعبان عام ٣٢٦ هـ وفي أيام الحسين خرج التوقيع بسفارة

السمري من بعده ولمّا توفّي السمري عام ٣٢٩ هـ لم يخرج التوقيع بسفارة أحد بل ذكر الشيخ في كتاب الغيبة ص ٢٥٧ أنّ توقيعاً خرج على يد السمري يعزّي فيه الشيعة بموته ويذكر فيه انقطاع السفارة بعده ووقوع الغيبة الكبرى.

وممّا قاله أيضاً في كتابه هذا ماورد في حاشية ص ٤٤ عند تطرقه لذكر ثقة الإسلام الكليني حيث ذكر مانصّه: قبض محمد بن يعقوب الكليني عام ٣٢٨ أو ٣٢٩ في شعبان عام تناثر النجوم وهي سنة وفاة علي بن محمّد السمري رضي الله عنه الذي انقطعت السفارة بموته ووقعت الغيبة الكبرى وكتابه الكافي من أهمّ كتب الشيعة.

٥ ــ ماقاله العلامة السيد محسن الأمين في موسوعته أعيان الشيعة (ج ٢ ص ٤٦ ــ ٤٨ ط بيروت دار التعارف).

أمّا السفراء في زمن الغيبة الصغرى بينه و بين شيعته فهم أربعة:

(الأوّل) أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري بفتح العين وسكون الميم...

(الثاني) أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري...

(الثالث) أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي...

(الرابع) أبو الحسن علي بن محمّد السمري...

وقال في موضع آخر في جوابه على الشبهة الثامنة من الشبهات اتي أثيرت حول غيبة الامام المهدي عليه السلام ووجوده: إنّ الأخبار قد جاءت بظهوره لأوليائه وثقاته في الغيبة الصغرى مدّة أربع وسبعين سنة كما مرّ أمّا بعدها فقد تقدّم بعض الأخبار الدالّة على عدم إمكان رؤيته وتكذيب من يدّعي ذلك وسواء قلنا بذلك أو قلنا بإمكان الرؤية في الغيبة الكبرى وحملنا مايدلّ على العدم على بعض الوجوه مثل إرادة نفي الرؤية التي يعرفه فيها بعينه وشخصه يمكن أن نقول أنّ سبب عدم ظهوره لأوليائه هو بعض الوجوه المتقدّمة والله أعلم.

وممّا قاله أيضاً في موضع آخر بصدد ذلك:

للمهديّ عجّل الله فرجه غيبتان صغرى وكبرى كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ويقال قصرى وطولى أما الغيبة الصغرى فمن مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم وهي أربعون

وسبعون سنة.

٦ ـ ما قاله السيّد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في كتاب الشيعة في الإسلام (ص ١٩٤):

عين الإمام المهدي عليه السلام عثمان بن سعيد العُمَري نائباً خاصاً له... وبعد عثمان بن سعيد استخلف ابنه محمد بن عثمان، وبعد وفاة محمد بن عثمان العمري استناب أبو القاسم حسين بن روح النوبختي وبعد وفاة حسين بن روح النوبختي أصبح علي بن محمد السمري نائباً خاصاً للإمام المهدي وفي أخريات حياة علي بن محمد السمري... سنة (٣٢٩هـ) صدر توقيع من الناحية المقدسة فيه إبلاغ لعلي بن محمد السمري بأنه سيموت ويودع هذه الحياة بعد ستة أيام وبعدها تنتهي النيابة الخاصة وتقع الغيبة الكبرى وستستمر حتى يأذن الله تعالى بالظهور.

٧ ـ ما قاله الشيخ محمد رضا الطبسي النجفي في الدرّ الثمين (ص١٣٤): أما سفراؤه ووكلاؤه فالخلّص من أهل الإيمان من شيعته، فهم في الغيبة الصغرى أربعة: الحسين بن روح النوبختي ومحمد بن عثمان وعثمان بن سعيد ومحمد بن علي السمّري، هؤلاء كانوا في الغيبة الصغرى واسطة بين الإمام عليه السلام وبين شيعته في أخذ المسائل ورفع حوائج الخلق إليه عليه السلام؛ هؤلاء الأربعة نوّابه الخاصون على المشهور.

٨ ـ ما قاله السيد محمد باقر الصدر في كتاب بحث حول المهدي عليه السلام: ان الغيبة الصغرى تعبّر عن المرحلة الأولى من إمامة القائد المنتظر عليه الصلاة والسلام فقد قدر لهذا الإمام منذ تسلمه للإمامة أن يستتر عن المسرح العام ويظل بعيداً باسمه عن الأحداث وإن كان قريباً منها بقلبه وعقله، وقد لوحظ أنّ هذه الغيبة إذا جاءت مفاجأة حققت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للإمامة في الأمة الإسلامية لأن هذه القواعد كانت معتادة على الإتصال بالإمام في كل عصر والتفاعل معه والرجوع إليه في حل المشاكل المتنوعة فإذا غاب الإمام عن شيعته فجأة وشعروا بالإنقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية سببت هذه الغيبة المفاجأة الإحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كله ويشتت شمله، فكان لابد من تمهيد لهذه الغيبة لكي تألفها هذه القواعد بالتدريج وتكيف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها، وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الإمام المهدي عن

المسرح العام غير انه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طريق وكلائه ونوّابه والثقات من أصحابه الذين يشكلون همزة الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الامامي. وقد أشغل مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها وهم كما يلي:

١ ــ عثمان بن سعيد العمري.

٢ ــ محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ ــ أبو القاسم الحسين بن روح.

٤ ــ أبو الحسن علي بن محمد السمري.

وقد مارس هؤلاء الأربعة مهام النيابة بالترتيب المذكور وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الإمام المهدي عليه السلام.

وكان النائب يتّصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام، ويعرض مشاكلهم عليه ويحمل إليهم أجوبته شفهية أحياناً وتحريرية في كثير من الأحيان، وقد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية إمامها العزاء والسلوة في هذه المراسلات والإتصالات غير المباشرة، ولاحظت ان كل التوقيعات والرسائل كانت ترد من الإمام المهدي عليه السلام بخط واحد وسليقة واحدة طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً، وكان السمري هو آخر النواب فقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميّز بنوّاب معيّنين، وابتداء الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها أشخاص معيّنون بالذات للوساطة بين الإمام القائد والشيعة، وقد عبر التحوّل من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها لأنها حصنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكيف وضع الشيعة على أساس الغيبة وتعدهم بالتدريج لتقبل فكرة النيابة العامة عن الإمام وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خط عام وهو خط المجتهد العادل البصير بأمور الدنيا والدين تبعاً لتحوّل الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى.

٩ ــ ما قاله الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب الشيعة والتشيّع (ص٢٧٢ ــ ٢٧٣):

للإمام المهدي غيبتان: صغرى، وكبرى، ومعنى الصغرى ان الإمام كان

يحتجب عن الناس إلا عن الخاصة، وان اتصاله بشيعته كان عن طريق السفراء، فكان الشيعة يعطون الأسئلة إلى السفير، وهو بدوره يوصلها إلى الإمام، وبعد الجواب عنها والتوقيع عليها يرجعها إلى السائلين على يد سفيره، ومن هنا سميت الغيبة الصغرى، أي انها ليست بغيبة كاملة، بحيث انقطع فيها عن جميع الناس، وكانت مدّتها ٧٤ سنة.

وكان السفير الأول بين الإمام الغائب وشيعته رجل، يدعى عثمان بن عمر والعمري الأسدي، وكان عثمان هذا وكيلاً للإمام علي الهادي جد الإمام الغائب، ثم وكيلاً لأبيه الإمام حسن العسكري، ثم صار سفيراً للمهدي. ولما توفي عثمان تولى السفارة بعده ولده محمد بأمر المهدي، ثم تولاها بعده الحسين بن روح النوبختي، ثم علي بن محمد السمري، وبعد هؤلاء السفراء الأربعة انتهت الغيبة الصغرى.

أما الغيبة الكبرى فتبتدئ بمنتصف شعبان ٣٢٨هـ، وفيها انقطعت الإتصالات والسفارة بين الإمام وشيعته، والله سبحانه أعلم بحكمتها، فإنها سر من أسراره عزوجل، والشک في أسرار الله جحود، والجهل ليس عذراً يسوغ الإنكار، إذ ليس كل ما هو كائن يجب أن نعلمه بالتفصيل، فنحن المسلمين جميعاً نؤمن بالقرآن الكريم كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، ومع ذلک نجهل بعض معاني ألفاظه، كفواتح السور التي قيل ان علمها عند الله وحده، وقال آخرون: ان علمها عند الله ونبيّه لا غيره، وقلنا نحن عندهما وعند الأئمة الآل الأطهار فقط سلام الله وصلواته على جدهم وعليهم أجمعين.

١٠ ــ ما قاله السيد هاشم معروف الحسني في كتاب سيرة الأئمة الإثني عشر (ج٢ ص ٥٣٩ ــ ٥٤٠): منذ أن انتقلت الإمامة إليه بعد وفاة أبيه لم يكن من الميسور لأيّ كائن من الناس أن يتصل به ويجتمع إليه خلال سبعين عاماً تقريباً إلا من خلال سفرائه الأربعة: عثمان بن سعيد العمري ومحمد بن عثمان العمري والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري الذين كانوا حلقة الإتصال بينه وبين شيعته في مختلف الأقطار بواسطة الرسائل التي يحملونها إليه ويأخذون منه أجوبتها لأهلها كما فوّضهم بقبض الأخماس التي كانت تجبى إليه والتصرف بها حسبما تقتضيه المصلحة... وقبيل وفاته (أي وفاة الحسين بن روح) عهد إلى علي بن محمد

السمري بأمر من الإمام عليه السلام فقام بالمهمة التي كان أسلافه يقومون بها ولم تطل مدّته في السفارة أكثر من ثلاث سنوات ختمت بها الغيبة الصغرى التي كان الإتصال بالإمام لمهدي ميسوراً بواسطة سفرائه الأربعة.

١١ ــ ما قاله السيد أبو القاسم الخوئي في معجم رجال الحديث عند ترجمته للسفير الأول في (ج١١ ص١١١): «عثمان بن سعيد وكيل من جهة صاحب الزمان عليه السلام وله منزلة جليلة عند الطائفة وتقدم له مدح بليغ في رواية الكشي في ترجمة إبراهيم بن عبدة النيسابوري وذكره الشيخ في السفراء الممدوحين وأثنى عليه وروى عدة روايات في مدحه وجلالته. . . ».

وقال عند ترجمته للسفير الثاني في (ج١٦ ص٢٧٤): محمد بن عثمان بن سعيد العمري يكنى أبا جعفر وأبوه يكنى أبا عمرو جميعاً وكيلان من جهة صاحب الزمان عليه السلام ولهما منزلة جليلة عند الطائفة. . والروايات في جلالته وعظمة مقامه متظافرة. . . الخ.

وقال عند ترجمته للسفير الثالث في (ج٥ ص ٢٣٦): الحسين بن روح النوبختي أبو القاسم هو أحد السفراء والنوّاب الخاصة للإمام الثاني عشر عجّل الله تعالى فرجه وشهرة جلالته وعظمته أغنتنا عن الإطالة في شأنه.

وقال عند ترجمته للسفير الرابع في (ج١٢ ص ١٧٠): «علي بن محمد السمري ذكره الشيخ قدس سره في كتاب الغيبة فصل في ذكر طرف من أخبار السفراء الذين كانوا في حال الغيبة في أواخر أحوال السفراء الممدوحين عند ذكر أمر أبي الحسن علي بن محمد السمري قال: وأخبرنا جماعة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه قال: حدثني أبو محمد أحمد بن الحسن المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد السمري قدس سره. . . الخ».

١٢ ــ ما قالها السيد محمد الصدر في كتاب تاريخ الغيبة الصغرى ص٣٩٥: السفراء الأربعة الذين تولّوا الوكالة الخاصة عن الإمام المهدي عليه السلام خلال غيبته الصغرى هم كل من: عثمان بن سعيد العمري وإبنه محمد بن عثمان العمري والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري ووجودهم يشكل في الواقع المزية الرئيسية لهذه الفترة وبانتهائهم انتهى عهد الغيبة الصغرى. وضبط السفراء

بهذا الشكل من ضروريات المذهب لدى المعتقدين بغيبة الإمام المهدي عليه السلام ومن واضحات تاريخهم الخاص فلا حاجة إلى تجشم العناء في إثباته.

١٣ ـ ما قاله السيد محمد كاظم القزويني في كتاب الإمام المهدي من المهد إلى الظهور (ص١٩٦ ط بيروت مؤسسة الوفاء):

النوّاب الأربعة... الأول: اسمه عثمان بن سعيد كنيته أبو عمرو لقبه العمري، السمّان، الزيّات، الأسدي، العسكري... (الثاني) اسمه محمد بن عثمان كنيته أبو جعفر لقبه العمري، العسكري، الزيات... (الثالث) اسمه: علي بن محمد كنيته أبو الحسن لقبه: السمري... وبوفاة السمري انقطعت السفارة وانتهت الغيبة الصغرى، وابتدأت الغيبة الكبرى التي امتدّت إلى يومنا هذا، وسوف تنتهي بظهور الإمام المهدي عليه السلام.

١٤ ـ ما قاله الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتاب التربية الدينية (ص١١٣ ط بيروت دار التعارف):

ابتدأت الغيبة الصغري بولادة الإمام المهدي (عج) عام ٢٥٥ هـ وانتهت بوفاة السفير الرابع من سفراء الإمام المهدي عجّل الله فرجه عام ٣٢٨هـ.

وكان الإمام المهدي عليه السلام خلال الغيبة الصغرى يتّصل باتباعه إتصالاً سرياً ودقيقاً عن طريق سفرائه وهم:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري.

٢ ـ محمد بن عثمان العمري.

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي.

٤ ـ علي بن محمد السمري.

[و].. ابتدأت الغيبة الكبرى بوفاة السفير الرابع عام ٣٢٨هـ وستبقى مستمرة حتى يأذن الله تعالى.

وقال أيضاً في كتابه الآخر في انتظار الإمام (ص ٢٩ ـ ٣٠ ط بيروت دار الأندلس): كان الإمام المهدي المنتظر عليه السلام خلال الفترة المشار إليها يتصل بأتباعه وشيعته اتصالاً سرياً دقيقاً في سريته، وعاماً لجميع حلقات ووسائل الإتصال وعن طريق المخلصين كل الإخلاص من أصحابه والذين يدعون بالسفراء وهم:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري الأسدي المتوفي ببغداد والذي كان قبل سفارته

عن الإمام المنتظر عليه السلام وكيلاً عن جده الإمام علي الهادي عليه السلام ثم عن أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٢ ـ محمد بن عثمان سعيد العمري المتوفي عام ٣٠٥ أو ٣٠٤هـ ببغداد.

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي المتوفي عام ٣٢٠هـ ببغداد.

٤ ـ علي بن محمد السمري المتوفي عام ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ ببغداد.

١٥ ـ ما قاله الفاضل عادل الأديب في كتاب الأئمة الإثنا عشر (ص ٢٥٨ ـ ٢٦٢):

السفراء الأربعة هم الذين تولوا الوكالة الخاصة عن الإمام عليه السلام خلال غيبته الصغرى وهم على التوالي وحسب تسلسلهم التاريخي:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري.

٢ ـ محمد بن عثمان العمري.

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي.

٤ ـ علي بن محمد السمري.

وبانتهائهم ينتهي عهد الغيبة الصغرى عام ٣٢٩هـ ويبدأ بعدها عهد الغيبة الكبرى... وقد دامت السفارة عن الإمام المهدي تسعاً وستين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً ـ وهي نفس فترة الغيبة الصغرى ـ شغل منها السفير الأول عثمان بن سعيد حوالي خمس سنوات، والسفير الثاني محمد بن عثمان حوالي الأربعين عاماً والثالث وهو الحسين بن روح إحدى وعشرين عاماً وخلفه السفير الرابع علي بن محمد السمري حيث بقي في السفارة ثلاث سنين وقد انتهت الغيبة الصغرى عام ٣٢٩هـ وعمر الإمام عليه السلام أربع وسبعون عاماً قضى أربع سنين ونصف منها في حياة أبيه عليه السلام وتسعة وستين عاماً ونصف وخمسة عشر يوماً في الغيبة الصغرى ثم بدأت الغيبة الكبرى حيث يأذن الله تعالى له بالخروج لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

١٦ ـ ما قاله الفاضل محمد الحيدري في كتاب الأمة وقائدها المنتظر (ص ٣٥ ـ ٤٢): اتسمت مرحلة الغيبة الصغرى والتي ابتدأت بوفاة الإمام العسكري عليه السلام وتعيين السفير الأول عثمان بن سعيد وانتهت بوفاة السفير الرابع علي السمري.. بغياب الإمام واحتجابه عن الأمة... فقبل وفاة الإمام العسكري عليه

السلام كان الإمام يُرْجع الناس إلى عثمان بن سعيد العمري الذي كان في بغداد للإتصال به والذي عيّن سفيراً عن الإمام القائد عليه السلام بعد وفاة العسكري عليه السلام. . . وقبل وفاة عثمان بن سعيد صدر بيان من الإمام القائد إلى الأمة ينعى فيه بقرب وفاة سفيره الأول وتعيين سفيره الثاني محمد بن عثمان. . . وانتهت سفارة محمد بن عثمان بوفاته وتعيين الحسين بن روح سفيراً ثالثاً. . . وانتهت سفارة الحسين بن روح بوفاته وتعيين علي بن محمد السمري سفيراً رابعاً. . . وانتهت بالبيان التاريخي الأخير الصادر من الإمام القائد ينعى فيها بقرب وفاة سفيره الرابع علي السمري وبانتهاء الغيبة الصغرى والسفارة وابتداء الغيبة الكبرى وكان ذلك في النصف من شعبان سنة ٣٢٩هـ.

## ارتداد مُدّعي السفارة وكفره

سبق وأن أشار إلى حكم ذلك المحقّق السيدّ محمد تقي الإصفهاني في خاتمة ما حكيناه عنه في تذيليه للتوقيع الصادر من الناحية المقدّسة بشأن اختتام السفارة والغيبة الصغرى وهنا نزيده بالقول: ان المجمع عليه بين إعلام فقهاء الإمامية في إثبات الإرتداد والكفر هو ثبوت واحد من ثلاثة أمور: إما إنكار ما علم ثبوته من الدين ضرورة أو إثبات ما علم نفيه كذلك أو فعل ذلك صريحاً.

وعند ما نُقَيّم ظاهرة دعوى السفارة وغيرها من الدعوات المزيّفة التي أشرنا إليها آنفاً ونمحصها على ضوء هذا المحك نجد أنفسنا أمام حالة من القطع واليقين بثبوت الردة والكفر في أعلى مراتبهما وذلك لأن فيها نتبيّن ثبوت تلك المعايير مجتمعة في شخصه ودعوته فهو ينكر ما علم ثبوته من الدين ضرورة بأصل ادعائه مع غض النظرعن الأشياء الأخرى التي يدعيها والتي لا تخرج عن هذا الإطار، وكذلك هو يثبت وينسب إلى الشريعة ما علم نفيه عنها بالضرورة منتهكاً بذلك قداستها وحريمها وعلاوة على ذلك كله يطبّق وينفذ ما أحدثه في ضمن دائرة الشقّين الأوليّين عملياً ويدعو إلى توسيع دائرة نطاقه مضافاً إلى ممارسته الفعلية لهما.

والكلام في هذه المسألة متشعّب والإحاطة بشقوقه كاملة لا يتسع له كتابنا هذا لذا نسأل الله عزّوجل أن يوفّقنا لإتمام دراستنا المستقلة في هذا المجال والتي أسميناها «دراسة حول البدعة والمبتدعين» فإننا قد أسهبنا الحديث عن ذلك هناك، وأما في هذا المقام فإننا نكتفي بالإشارة إلى عدّة نصوص روائية ونعقبها ببعض

الكلمات التي تتناول صلب المسألة التي نحن بصدد الحديث عنها فنقول:

روى الثقة الكليني في جامعه الكافي بسنده عن عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث انه كتب إليه مع عبد الملك بن أعين: سألت رحمك الله عن الإيمان والإيمان: الإقرار إلى أن قال: والإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو بصغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عنها كان خارجاً من الإيمان ساقطاً عنه اسم الإيمان وثابتاً عليه اسم الإسلام فإن تاب واستغفر عاد إلى الإيمان ولا يخرجه إلى الكفر إلا الجحود والإستحلال أن يقول للحلال هذا حرام وللحرام هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان وداخلاً في الكفر(٢٦١).

وروى المحدث الجليل العياشي عن أبان بن عبد الرحمن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أدنى ما يخرج به الرجل من الإسلام أن يرى الرأي بخلاف الحق فيقيم عليه. الخبر(٢٦٢).

وعن عوالي اللآلي عنه صلّى الله عليه وآله انه قال: «من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد»(٢٦٣).

وعن محمد بن مسلم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام يقول: لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله ولا دين لمن دان بجحود شيء من آيات الله(٢٦٤).

وفي المحكي عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٧٦هـ) «ان عندنا [أي معاشر الشيعة الإمامية] ان كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضالّ مضلّ».

وقال العلاّمة المجلسي في البحار بعد حكاية التوقيع المذكور: لعله محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة على مثال السفراء لئلاً ينافي الأخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه عليه السلام والله يعلم(٢٦٥).

وقال السيد عبد الله شبر في مقدمة الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة:

قد ورد عنهم في التوقيع لعلي بن محمد السمري على ما في الإحتجاج والإكمال:

«وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ لأنا نقول: إن ذلك محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة الأبرار على نحو السفراء والنوّاب وإلا فقد استفاضت الأخبار وتظافرت الآثار عن جمع كثير من الثقات الأبرار من المتقدّمين والمتأخّرين ممّن رأوه وشاهدوه في الغيبة الكبرى وقد عقد لها المحدّثون في كتبهم أبواباً على حدة وسيّما العلاّمة المجلسي رضي الله عنه في البحار وصحّ بحمل هذا الخبر ونحوه على ذلك لئلاّ ينافي سائر الأخبار(٢٦٦).

وقال العلاّمة السيد محمد تقي الموسوي الاصفهاني مضافاً لما قدمنا حكايته عنه في كتابه الموسوم بمكيال المكارم تحت عنوان: (تكذيب من ادعى الوكالة والنيابة الخاصة عنه عليه السلام في زمان الغيبة الكبرى) اعلم انه اتفقت الإمامية على انقطاع الوكالة، واختتام النيابة الخاصة، بوفاة الشيخ الجليل علي بن محمد السمري ــ رض ــ وهو الرابع من النوّاب الأربعة، الذين كانوا مرجعاً للشيعة في زمان الغيبة الصغرى، وانه ليس بعد وفاة السمري إلى زمان ظهور الحجة عليه السلام نايب مخصوص عنه في شيعته، وان المرجع في زمان غيبته الكبرى هم العلماء العاملون، الحافظون لحدود الله وان من ادعى النيابة الخاصة فهو كاذب مردود، بل يعد ذلك من ضروريات مذهب الإمامية التي يعرفون بها، ولم يخالف في ذلك أحد من علمائنا، وكفى بهذا حجة وبرهاناً(٢٦٧).

وقال السيد محمد الصدر في كتاب تاريخ الغيبة الكبرى:

من ادعى السفارة أو الوكالة يجب تكذيبه إلا ان هذا غير ادعاء المشاهدة إذ بالإمكان تصديق الفرد على المشاهدة وتكذيبه على الوكالة، إلا ان الدليل على تكذيب الوكالة ليس هو قوله: فهو كذّاب مفترٍ وانما هو قوله: ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك (أي في توقيعه الأخيرٍ الصادر إلى السمري) فإنه دال على انتفاء السفارة بعد السمري فكل من يدعيها على مدى التاريخ فهو كاذب لا محالة، إلى عصر الظهور، ولذا قال الواعون من معاصري الغيبة الصغرى انه عندنا ان كل من ادعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضالّ مضلّ وبذلك كانوا يستدلّون على كذب دعاوي السفارات بعد السفير الرابع»(٢٦٨).

# علة استغناء الإمام عليه السلام عن السفير في الغيبة الكبرى

علمنا فيما سبق ان السفارة من مختصات الغيبة الصغرى وانها كانت تمثل مخططاً تمهيدياً لعصر الغيبة الكبرى وأن الأمر قد أوكل في هذا الأخير إلى الفقهاء للتصدي لحفظ الشريعة والقيام بوظائف تبليغها وإقرار مبادئها ومثلها وقيمها العليا السامية إلى غير ذلك مما مرّ عليك بقي الحديث عن الوجه في ذلك والعلة الرئيسية الداعية إليه والباعث عليه مضافاً لما سبق، وقد أجاب علماؤنا القدامى عن هذا التعليل بما لا مزيد عليه في مواضع متفرقة من مصنفاتهم ومن أجل الوقوف على ما سطّروه في ذلك نسوق إليك طائفة من كلماتهم لتقف عليها عن كثب:

قال علم الهدى السيد المرتضى في كتاب جمل العلم والعمل: «والشرع محفوظ في زمن الغيبة لأنه لو جرى فيما لا يمكن العلم به لفقد (أي العلم) إذن به (أي بفقد الإمام المعصوم) وانسداد الطرق إليها (أي إلى الشريعة) وجب ظهور الإمام عليه السلام لبيانه واستدراكه»(٢٦٩).

وقال أيضاً في جواب المسألة الخامسة من مسائل كتابه جوابات المسائل الطرابلسيات الثانية:

الفرق بين تشريع استتار نبي بخوف من أُمّته وبين استتار إمام الزمان [هو] أن النبي صلّى الله عليه وآله قد بيّن شريعته وأدّاها وأوضحها ومهدها في النفوس فاستتاره غير قادح في طريق العلم بالحق.

وليس كذلك استتار الإمام عليه السلام، لأن الأمر في الأحكام في حال غيبته مشكل غير متمهد ولا متقرر فغير صحيح والأمر بالعكس منه، لأن إمام الزمان عليه السلام لم يغب إلا وشريعة الرسول عليه السلام قد أديت ومهدت وتقررت، وأدى الرسول من ذلك ما وجب عليه، وبيّن الأئمة بعده من لدن وفاته إلى زمان الإمام الغائب (علي جماعتهم الصلاة والسلام) من شريعته ما وجب بيانه، وأوضحوا المشكل وكشفوا الغامض.

فاستوى الأمران في جواز الغيبة مع الخوف على النص ما روى كثير من المعتزلة [الذين] يذهبون إلى أن الله تعالى لو علم أن النبي عليه السلام الذي بعثه لا

يؤدي الشريعة ما [ما] لا يمكن علمه إلا من جهة يخصه الله على نفسه، ويقتلونه ان أدى إليهم ما حمله، وعلم أنه ليس في المعذور ما يصرفهم عن قتله من لطف وما يجري مجراه مما لا ينافي التكليف.

فإن الله تعالى يسقط عن أُمّته التكليف الذي ذلك الشرع لطف فيه، ويجرون ذلك مجرى أن يعلم تعالى أن النبي المبعوث يكتم الرسالة لا يؤديها، وليس الأمر على ما ظنوه.

وبين الأمرين [فرق] واضح لا يخفى على متأمل، لأن بعثه من لا يؤدي ويعلم من جهته أنه لا يتم الرسالة سد على الأمّة طريق العلم بما هو مصلحة لها في الشرائع.

[و] ليس كذلك إذا أخافوه على نفسه فاستتر وهو مقيم بين أظهرهم، لأنهم والحال هذه يتمكنون من معرفة ما هو لطف لهم من الشرائع، بأن يزيلوا خوفه ويؤمنونه، فيظهر لهم ويؤدي إليهم.

ففوت المعرفة هاهنا من جهتهم، وفي القسم الأول من جهة غيرهم على وجه لا يتمكنون من إزالته، فما النبوّة في هذه المسألة إلا كالإمامة، ومن فرّق بينهما فقد ضلّ عن الصواب، وكيف يذهب عما ذكرناه ذاهب.

وقد علمنا أن النبي صلّى الله عليه وآله إذا حمل الرسالة، ولم ينعم أمته النظر في معجزه، واشتبه عليهم الأمر في صدقه: فكذبوه لا يقول أحد: أن الله تعالى يسقط عن أمّته التكليف فيما كان ما يؤديه لطفاً فيه ويقتلون في إسقاطه غير واجب، بأن اشتباه الحق عليهم في صدقه لا يخرجهم من أن يكونوا متمكنين من العلم بما فيه مصلحتهم من جهته، وانما أتوا من قبل تقصيرهم، ولو شاؤا لأصابوا الحق وعرفوا من جهة المصلحة.

وهذا الإعتلال صحيح، وهو قائم في المسألة التي ذكرناها، لأن الأمّة مع استتار النبي عليه السلام عنهم لخوفه على نفسه، يتمكون من معرفة ما يحتاجون إليه من جهته، بأن يؤمنوه ويزيلوا مخافته، ولهذا يقول أهل الحق: ان اليهود والنصارى مخاطبون بشريعتنا مأمورون بكل شيء أمرنا به منها.

فإذا قيل لنا: كيف يصح من اليهودي والنصراني وهو على ما هو عليه من الكفر الصلاة أو الصيام؟

كان جوابنا: انه يقدر على الإيمان والمعرفة بصدق الرسول، فيعلم مع ذلك صحة الشريعة ووجوبها عليه، فيفعل ما أمر به.

ولأنا نقول: ان تكليف الشريعة سقط عنه مع الكفر، للتمكن الذي أشرنا إليه، وهو قائم في الموضع الذي إختلفنا فيه.

وعلى هذا الذي ذكرناه هاهنا يجب الإعتماد، فهو المحقّق المحصّل(٢٧٠).

وقال شيخ الطائفة الطوسي (قدس سره) في كتاب تلخيص الشافي: أن سبب غيبته إخافة الظالمين له، ومنعهم يده عن التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه، فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره وقد استتر النبي صلّى الله عليه وآله تارة في الشعب، وأخرى في الغار ولا وجه لذلك إلا لخوف من المضار الواصلة إليه.

وليس لأحد أن يقول: ان النبي صلّى الله عليه وآله ما استتر عن قومه إلا بعد أدائه ما وجب أداؤه، ولم تتعلق بهم إليه حاجة، وقولكم في الإمام بخلاف ذلك، ولأن استتار النبي ما تطاول ولاتمادي، واستتار الإمام قد مضت عليه الدهور وانقرضت العصور، (وذلك) أنه ليس الأمر على ما قالوه، لأن النبي صلّى الله عليه وآله إنما استتر في الشعب والغار بمكة وقبل الهجرة، وما كان أدى صلّى الله عليه وآله جميع الشريعة، فإن أكثر الأحكام ومعظم القرآن نزل بالمدينة، فكيف ادّعيتم أنه كان بعد الأداء؟ ولو كان الأمر على ما قالوه من تكامل الأداء قبل الإستتار لما كان ذلك رافعاً للحاجة إلى تدبيره صلّى الله عليه وآله وسياسته وأمره ونهيه، وما هذا الذي يقول: إن النبي صلّى الله عليه وآله بعد أداء الشرع غير محتاج إليه ولا مفتقر إلى تدبيره ـ إلا معاند مكابر، وإذا جاز استتاره صلّى الله عليه وآله مع الحاجة إليه لخوف الضرر ـ وكانت التبعة بذلك لازمة لمخيفيه ومحوجيه إلى الغيبة، وسقطت اللائمة عنه، وتوجهت إلى من أحوجه إلى الإستتار وألجأه إلى التغيب ـ فكذلك القول في غيبة إمام الزمان..

فأما التفرقة بطول الغيبة وقصرها، فغير صحيحة، لأنه لا فرق في ذلك بين القصير المنقطع، والممتد المتمادي، لأنه إذا لم تكن في الإستتار لائمة على المستتر إذا أحوج إليه، جاز أن يتطاول بسبب الإستتار، كما جاز أن يقصر زمانه.

فإن قيل: إن كان الخوف أحوجه إلى الإستتار، فقد كان آباؤه ـ عندكم ـ

على تقية من خوف من أعدائهم، فكيف لم يستتروا؟

قلنا: ما كان على آبائه عليهم السلام خوف من أعدائهم مع لزوم التقية والعدول عن التظاهر بالإمامة ونفيها عن نفوسهم، وإمام الزمان كل الخوف عليه، لأنه يظهر بالسيف ويدعو إلى نفسه ويجاهد من خالف عليه، فأيّ نسبة بين خوفه من الأعداء، وخوف آبائه عليهم السلام لو لا قلّة التأمّل؟ وقد بيّنا ــ فيما تقدّم ــ الفرق بين وجوده غائباً ــ لا يصل إليه أحد أو أكثرهم ــ وبين عدمه، حتى إذا كان المعلوم من حاله التمكن بالأمر يوجده، وكذلك قولهم: ما الفرق بين وجوده حيث لا يصل إليه أحد، وبين وجوده في السماء بما لا مزيد عليه، وفيما تقدم من الجواب كفاية عن التطويل بذكره هاهنا.

على أنّ هذا يقلب عليهم في النبي صلّى الله عليه وآله بأن يقال لهم: أي فرق بين وجوده مستتراً وبين عدمه أو كونه في السماء؟ فأيّ شيء قالوه، قلنا مثله حرفاً بحرف.

وليس لهم أن يفرقوا بين الأمرين: بأن النبي صلّى الله عليه وآله ما استتر من كل أحد وإنما استتر من أعدائه، وإمام الزمان مستتر عن الجميع (لأنا) قد بينا فيما تقدم: أنا لا نقطع على أنه مستتر عن جميع أوليائه، والتجويز في هذا الباب كاف على أن النبي صلّى الله عليه وآله لما استتر في الغار كان مستتراً من أوليائه وأعدائه ولم يكن معه إلا أبوبكر وحده، وقد كان يجوز أن يستتر بحيث لا يكون معه أحد من ولي ولا عدو إذا اقتضت المصلحة ذلك.

فإن قيل: فالحدود ــ في حال الغيبة ــ ما حكمها؟ وان سقطت عن الجاني على ما يوجبها فهذا اعتراف بنسخ الشريعة، وإن كانت ثابتة فمن يقيمها؟

قلنا: الحدود المستحقة ثابتة في جنوب جناة ما يوجبها من الأفعال، فإن ظهر الإمام ــ والمستحق لهذه الحدود باق ــ أقامها عليه بالبيّنة أو الإقرار فإن فات ذلك بموته كان الإثم في تفويت إقامتها على من أخاف الإمام وألجأه إلى الغيبة، وليس هذا بنسخ لإقامة الحدود، لأن الحد إنما يجب إقامته مع التمكّن وزوال الموانع، ويسقط مع الحيلولة، وإنما يكون مع ذلك نسخاً لو سقط فرض إقامة الحد مع التمكن وزوال الأسباب المانعة.

ثم يقلب هذا عليهم، فيقال لهم: كيف قولكم في الحدود التي تستحقها

الجناة في الأحوال التي لا يتمكن فيها أهل الحل والعقد من اختيار الإمام ونصبه؟ فأيّ شيء قالوه في ذلك قلنا مثله.

فإن قيل: كيف السبيل ــ مع غيبة الإمام ــ إلى اصابة الحق؟ فإن قلتم: لا سبيل إليها؟ جعلتم الخلق في حيرة وضلالة، ولا ريب في سائر امورهم، فإن قلتم: يصاب الحق مع أدلته؟ قيل لكم: هذا تصريح بالإستغناء عن الإمام بهذه الأدلة.

قلنا: الحق على ضربين: عقلي، وسمعي، والعقلي يصاب بأدلته، والسمعي عليه أدلة منصوبة: من أقوال النبي صلّى الله عليه وآله ونصوصه وأقوال الأئمة عليهم السلام من ولده، وقد بيّنوا ذلك وأوضحوه ولم يتركوا منه شيئاً لا دليل عليه، غير أن هذا، وإن كان على ما قلناه، فالحاجة إلى الإمام قد بيّنا ثبوتها لأن جهة الحاجة إليه المستمرة في كل زمان: كونه لطفاً لنا ــ على ما تقدم القول فيه ــ ولا يقوم مقامه غيره، والحاجة المتعلقة بالسمع أيضاً ظاهرة لأن النقل، وإن كان وارداً من الرسول ومن آباء الإمام بجميع ما يحتاج إليه في الشريعة، فجائز على الناقلين العدول عنه، إما تعمداً أو لشبهة، فينقطع النقل أو يبقى فيمن لا حجة في نقله. وقد استوفينا هذه الطريقة فيما تقدّم، فلا وجه لإعادته.

فإن قيل: أرأيتم لو كتم الناقلون ــ بعض منهم ــ الشريعة، واحتيج إلى بيان الإمام، ولم يعلم الحق إلا من جهته، وكان خوف القتل من أعدائه مستمراً، كيف يكون الحال؟ فأنتم بين أن تقولوا: إنه يظهر ــ وإن خاف القتل ــ فيجب على هذا أن يكون خوف القتل غير مبيح للغيبة، ويجب ظهوره على كل حال، وإن قلتم: لا يظهر ــ وسقط التكليف في ذلك الشيء المكتوم عن الأمة ــ خرجتم من الإجماع، لأنه منعقد على أن كل شيء شرّعه النبي صلّى الله عليه وآله وأوضحه فهو لازم للأمّة إلى أن تقوم الساعة(٢٧١)، وإن قلتم: إن التكليف لا يسقط صرّحتم بتكليف ما لا يطاق وإيجاب العلم بما لا طريق إليه.

قلنا: قد أجبنا عن هذا السؤال وفرغنا منه فيما تقدم، وجملته: إنّ الله تعالى لو علم أن النقل ببعض الشريعة المفروضة ينقطع في حال تكون تقية الإمام فيها مستمرة، وخوفه من الأعداء باقياً لأسقط ذلك التكليف عمن لا طريق له إليه، فإذا علمنا بالإجماع: أن تكليف الشرائع مستمر ثابت على جميع الأمّة إلى أن تقوم الساعة ينتج لنا هذا العلم: أنه لو اتّفق انقطاع النقل بشيء من الشرع لما كان ذلك

إلا في حال يتمكن فيها الإمام من الظهور والبروز والاعلام والانذار، وقد بيّنا ــ فيما تقدم ــ الجّواب عن سؤالهم: إن الإمام لِمَ لا يظهر لأوليائه ــ وسببه الخوف غير حاصل فيهم ــ؟ بما لا حاجة بنا إلى إعادته، بما فيه كفاية، وقد ذكر في موضع آخر: أنه لا يمتنع أن تكون هاهنا أمور كثيرة غير واصلة إلينا هي مودعة عند الإمام، وإن كان كتمها الناقلون، ولم ينقلوها، ولم يلزم ــ مع ذلك ــ سقوط التكليف عن الخلق، لأنه إذا كان سبب الغيبة خوفه على نفسه من الذين أخافوه، فمن أحوجه إلى الإستتار أتى من قبل نفسه في فوت ما يفوته من الشرع، كما أنه أتى من قبل نفسه فيما يفوته من تأدية الإمام وتصرّفه، حيث أحوجه إلى الإستتار، ولو زال خوفه لظهر، فيحصل له اللطف بتصرفه وتبين له عنده مما انكتم عنه، فإذا لم يفعل ــ وبقي مستتراً ــ أتى في الأمرين من قبل نفسه، وهذا قوي تقتضيه الأصول، وفي جملة ما تقدم ما ذكره بعض أصحابنا: إن علة استتاره عن أوليائه: خوفه من أن يشيعوا خبره، ويتحدثوا سروراً باجتماعهم معه، فيؤدي ذلك إلى الخوف من الأعداء، وإن كان غير مقصود، وهذا الجواب يضعّف، لأنّ عقلاء شيعته لا يجوز أن يخفى عليهم ما في إظهار اجتماعهم معه من الضرر عليه وعليهم فكيف يخبرون بذلك مع العلم بما فيه من المضرة الشاقة، وإن جاز هذا على الواحد والإثنين لا يجوز على جماعة شيعته الذين لا يظهر لهم على أن هذا يلزم عليه أن تكون شيعته قد عدموا الإنتفاع به على وجه لا يتمكنون من تلافيه، وإزالته، لأنه إذا علّق الإستتار بما يعلم من حالهم أنهم يفعلونه، وليس في مقدورهم ــ الآن ــ ما يقتضي ظهور الإمام، وهذا يقتضي سقوط التكليف ــ الذي الإمام لطف فيه ــ عنهم وقد تكلمنا بما يمكن أن يكون نصرة لهذا الجواب بما لا يحتاج إلى إعادته، وقد حكينا أيضاً ما قاله بعض أصحابنا: من أن العلة في استتاره عن الأولياء ما يرجع إلى الأعداء، لأن انتفاع جميع الرعية من عدو وولي بالإمام إنما يكون بأن ينفذ أمره وتنبسط يده، فيكون ظاهراً متصرفاً بلا دافع ولا منازع، وهذا مما المعلوم أن الأعداء قد حالوا دونه ومنعوا منه(٢٧٢).

وقال الشيخ تقي الدين أبو الصلاح الحلبي في كتاب تقريب المعارف: وأمّا حفظه صلوات الله عليه الشريعة وتبليغها في حال الغيبة، فإنّها لم تحصل له إلاّ بعد تبليغ آبائه جميع الشريعة إلى الخلق وإبانتهم عن أحكامها وإيداع شيعتهم من ذلك ما

يزاح به علّة كلّ مكلّف وحفظهم عليهم السلام في حال وجودهم، وحفظه هو عليه السلام بعد فقدهم بكونه من وراء الناقلين وأحد المجمعين من شيعته وشيعة آبائه عليهم السلام فقام والحال هذه إجماع العلماء من شيعته وتواترهم بالأحكام عن آبائه عليهم السلام مع كونه حافظاً من ورائهم مقام مشافهة الحجّة، ووجب على كلّ مكلّف العمل بالشريعة بالرجوع إلى علماء شيعته والناقلين عن آبائه عليهم السلام لكونه أمناً من الخطأ فيما أجمعوا عليه، لكون الحجّة المأمون واحداً من المجمعين وفيما تواتروا به عن الصادقين من آبائه عليهم السلام، لصحّة الحكم المعلوم بالتواترإسناده إلى المعصوم في تبليغه المأمون في أدائه وقطع على بلوغه جملة ما تعبّد به من الشريعة، لوجود الحجّة المعصوم المنصوب لتبليغ الملّة وبيان ما لا يعلم إلاّ من جهته وإمساكه عن النكير فيما أجمعوا عليه وفقد فتياه بخلاف له أو زيادة فيه، فمن أراد الشريعة في حال الغيبة فالطريق إليها ما ذكرناه والحجّة به قائمة، ولا معضل ولا مشكل إلاّ وعند العلماء من شيعته منه تواتر وهم على الصحيح منه برهان من طلب ذلك ظفر به ظفر العلماء من شيعته، ومن عدل عنه ورغب عن الحجّة مع لزومها له بتخويف شيعته، ووضوح الحقّ على جملة الشريعة، وقيام البرهان على جميعها، فالتبعة عليه لتقصيره عمّا وضح برهان لزومه له والمحنة بينهم وبين منكر ذلك وقد استوفينا ما يتعلّق بهذا الفصل في كتاب «العمدة» و «مسألتي الشافية والكافة» وأوضحنا عن ثبوت الحجّة به، وأسقطنا ما يتعلّق به من الشبه، فذكرها هاهنا يخرج عن الغرض ومريده يجده هناك مستوفى(٢٧٣).

## دفع شبهة واعتراض

أورده أبو الفتح الشيخ محمد الكراجكي في كنز الفوائد بقوله: وكثير ما يقول لنا المخالفون عند سماعهم منّا هذا الكلام (وهو ما تقدم القول فيه من علة استغناء الإمام المهدي عن السفير في الغيبة الكبرى) إذا كنتم قد وجدتم السبيل إلى علم ما تحتاجونه من الفتاوى في الأحكام، المحفوظة عن الأئمة المتقدمين عليهم السلا، فقد استغنيتم بذلك عن إمام الزمان.

وهذا قول غير صحيح، لأنّ هذه الآثار والنصوص في الأحكام موجودة مع من لا يستحيل منه الغلط والنسيان، ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان.

وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلاّ بوجود معصوم يكون من

ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكرهم، أو كتموا علم الحق منه دونهم.

وإمام الزمان عليه السلام، وإن كان مستتراً عنهم، بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم، ويعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحق، لما وسعته التقيّة ولأظهره الله سبحانه، ومنع منه إلى أن يبيّن الحق، وتثبت الحجّة على الخلق.

ولو لزمنا القول بالإستغناء عن الإمام فيما وجدنا الطريق إلى علمه من غير جهته، للزم مخالفينا القول بالإستغناء عن النبي صلّى الله عليه وآله في جميع ما أدّاه ممّا عُلم بالعقول قبل أدائه، وفي إطلاق القول بذلك خروج عن الإسلام وأحكامه، وقد ورد في جواب هذا السؤال ما فيه بلاغ للمسترشدين وهداية، والحمد لله(٢٧٤).

# أسلحة الدعوات الضالّة المنحرفة

وقبل الدخول في تفصيل أنواع تلك الأسلحة نقدّم تمهيداً عن القوى الغريبة ننقل فيه كلاماً للشيخ الرئيس ابن سينا حول ذلك فمنه قوله في كتاب الإشارات والتنبيهات:

ليس ببعيد أن يكون لبعض النفوس ملكة يتجاوز تأثيرها عن بدنه إلى سائر الأجسام وتكون تلك النفوس لفرط قوّتها كأنّها نفس مدبّرة لأكثر أجسام العالم، وكلّما يؤثّر في بدنها بكيفيّة مزاجيّة مباينة الذات لها كذلك تؤثّر أيضاً في أجسام العالم بمباديء لجميع مامرّ ذكره في الفصل المتقدّم أعني يحدث عنها في تلك الأجسام كيفيّات هي مباديء تلك الأفعال خصوصاً في جسم صار أولى به لمناسبة تخصّه مع بدنه كملاقاة إيّاه أو إشفاق عليه، فإن توهّم متوهّم أن صدور مثل هذه الأفعال لايجوز أن يصدر عن النفس الناطقة لظنّه أنّ العلّة لاتقتضي شيئاً لايكون موجوداً فيه أو له ولو كان بالأثر فينبغي أن يتذكّر أنّه ليس كلّ مُسخّن بحارّ فإنّ الشعاع مُسَخّن وليس بحارّ ولا كلّ مُبَرّد ببارد فإنّ صورة الماء مبرّدة وليست ببارد إنّما البارد مادّتها القابلة لتأثيرها، فإذن لايستنكر وجود نفس تكون لها هذه القوّة حتّى تفعل في أجرام غير بدنها فعلها في بدنها وتتعلّق بأبدان غير بدنها فتؤثّر في قواها تأثيرها في قوى بدنها خصوصاً إذا شحذت ملكتها بقهر قواها البدنيّة: أي حدّدت يقال: شحذت السكّين: أي حدّدته، والمراد أنّها إذا حصلت لها ملكة تقتدر بها على قهر قوى بدنها كالشهوة والغضب وغيرهما بسهولة فهي تقتدر بحسب تلك الملكة على قهر مثل هذه القوى من بدن غيرها.

هذه القوّة ربّما كانت للنفس بحسب المزاج الأصلي لما يفيده من هيئة نفسانيّة تصير للنفس الشخصيّة تشخصها وقد تحصل لمزاج يحصل وقد تحصل بضرب من الكسب يجعل النفس كالمجردة لشدّة الذكاء كما يحصل لأولياء الله الأبرار.

فالذي يقع له هذا في جبلّة النفس ثمّ يكون خيراً رشيداً مزكياً لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء أو كرامة من الأولياء ومايزيده تزكية لنفسه في هذا المعنى زيادة على مقتضى جبلّته فيبلغ المبلغ الأقصى والذي يقع له هذا ثمّ يكون شريراً ويستعمله

في الشرّ فهو الساحر الخبيث وقد يكسر قدر نفسه من غلوائه في هذا المعنى فلا يلحق شأو الأذكياء فيه».

... إنّ الأمور الغريبة تنبعث في عالم الطبيعة من مبادىء ثلاثة:

**(أحدها)** الهيئة النفسانيّة المذكورة.

و **(ثانيها)** خواصّ الأجسام العنصريّة مثل جذب المغناطيس الحديد بقوّة تخصّه.

و **(ثالثها)** قوى سماويّة بينها وبين أمزجة أجسام أرضيّة مخصوصة بهيئات وضعيّة، أو بينها وبين قوى نفوس أرضية مخصوصة بأحوال فلكيّة فعليّة أو إنفعاليّة مناسبة تستتبع حدوث آثار غريبة والسحر من قبيل القسم الأوّل بل المعجزات والكرامات والنيرنجات من قبيل القسم الثاني والطلسمات من قبيل القسم الثالث»(٢٧٥).

أقول: انّ ما أورده للمناقشة فيه مجال وسيأتي المزيد من التوضيح حول ذلك من خلال ما سنتناوله في المباحث التالية وما نذكره ههنا من كلام ابن سينا انما هو من قبيل التمهيد ولاستيعاب ما سنذكره فيما بعد.

وله أيضاً مقالة مبسوطة في رسالة خاصّة عنونها بقوله (الفعل والإنفعال وأقسامها) ننقلها بتمامها لجودة ماتضمنّته وكثير نفعه قال فيها:

إعلم أنّ الأفعال والإنفعالات تتفاوت بحسب تفاوت الأمور العقليّة النفسانيّة منها والجسمانيّة فمن ذلك أنّه كلّما كان الشيء أقوى وأتمّ من غيره كان التأثير الصادر عنه أبلغ وأظهر وكلّما كان الشيء أتمّ استعداداً و أشدّ تهيّؤاً كان قبوله للأثر الصادر عن غيره فيه أبلغ وأظهر ولما كان كلّ فعل وانفعال فإنّما يكون بحسب القياس والإضافة أعني أنّه تأثير من شيء في آخر أو تأثّر في شيء عن آخر وكان الموجود إمّا نفسانياً أو جسمانياً كان أقسام الفعل والإنفعال ــ إمّا نفسانياً في نفساني ــ أو نفسانياً في جسماني ــ أو جسمانياً في نفساني أو جسمانياً في جسماني امّا مثال الفعل النفساني في النفساني فكتأثير العقول المفارقة بعضها في بعض وتأثّر بعضها عن بعض على ماذكر في علم الإلهيّات وكتأثير هذه العقول في النفوس البشريّة في النوم مرّة وفي اليقظة أخرى.

وأمّا مثال الفعل النفساني في الجسماني فكتأثير القوى النفسانيّة في العناصر

الأربعة من إمتزاج بعضها ببعض لتحدث المركّبات المعدنيّة والنباتيّة والحيوانيّة ثمّ تأثيراتها في تلك المركّبات من تغذيتها وتنميتها وتربيتها وإتمامها إلى غير ذلك ممّا عرف وشرح في موضعه.

وأمّا مثال الفعل الجسماني في النفساني فكتأثير الصور المستحسنة في النفوس البشريّة من إستمالتها إليها مرّة وتنفرّها عنها أخرى.

وأمّا مثال الفعل الجسماني في الجسماني فكتأثير العناصر بعضها في بعض وإحالة بعضها لبعض وإستحالة بعضها عن بعض وذلك كاستحالة الماء إلى الهواء والهواء إلى الماء وإستحالة الماء إلى النار والنار إلى الهواء وإستحالة الماء إلى الأرض وبالعكس.

وأمّا تأثير المركّبات بعضها في بعض فكتأثير الأدوية والسموم في الأبدان الحيوانيّة وغير ذلك ممّا لو شرع في إحصائه لطال الكلام جداً.

واعلم انّه تدخل تحت هذه الأقسام ضروب الوحي والكرامات وصنوف الآيات والمعجزات وفنون الإلهامات والمنامات وأنواع السحر والأعين المؤثّرة وأقسام النيرنجات والطلسمات.

أمّا الوحي والكرامات فإنّها داخلة في تأثير النفساني في النفساني إذ حقيقة الوحي هو الإلقاء الخفيّ من الأمر العقلي بإذن اللّه تعالى في النفوس البشريّة المستعدّة لقبول مثل هذا الإلقاء إمّا في حال اليقظة ويسمّى الوحي وإمّا في حال النوم ويسمّى النفث في الروع كما قال صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (إنّ روح القدس نفث في روعي ان نفساً لن تموت حتّى تستكمل رزقها الا فاتّقوا اللّه واجملوا في الطلب) وقال (إنّ الرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستّة وأربعين جزءاً من النبوّة) وهذا الإلقاء عقلي واطلاع وإظهار كما قال اللّه تعالى (وعلّمناهُ من لدنّا علما) وقال عزّ من قائل (نَزل به الروح الأمين على قلبك) وقال جلّ شأنه (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول) والحال في الكرامات يقرب من ذلك. والفرق بينهما أنّ الوحي مختصّ بمدّعي النبوّة والرسالة وإنذار الخلق والكرامات لاتقترن بذلك.

وأمّا الآيات والمعجزات فإنّ قسمين من أقسامها يدخلان تحت تأثير النفساني في النفساني وقسماً واحداً منها يدخل تحت تأثير النفساني في الجسماني

وذلك أنّ أصناف المعجزات ثلاثة:

صنف يتعلّق بفضيلة العلم وذلك بأن يؤتى المستعدّ لذلك كمال العلم من غير تعليم وتعلّم بشري حتّى يحيط علماً بما شاء اللّه تعالى بقدر الطاقة البشريّة بالاله الحق وطبقات ملائكته وسائر أصناف خلقه وكيفيّة المبدأ والمعاد إلى غير ذلك على مادلّ عليه قوله تعالى (وعلّمك مالم تكن تعلم) وقوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم (أوتيت جوامع الكلم) وماإجتمعت الأمّة عليه من أنّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم قد أوتي علوم الأوّلين والآخرين مع ماإشتهر من إمره أنّه الرسول الأمّي ودلّ عليه قوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان) وفي مثل هذه النفس قال اللّه تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وكأن مثال هذه النفس كبريت والعقل الفعّال نار فيشتعل فيها دفعة واحدة ويحيلها إلى جوهره ــ .

وصنف يتعلّق بفضيلة تخيل القوى وذلك أن يؤتى المستعدّ لذلك مايقوى على تخيّلات الأمور الحاضرة والماضية والإطلاع على مغيبات الأمور المستقبلة فيلقى إليه كثير من الأمور التي تقدّم وقوعها بزمان طويل فيخبر عنها وكثير من الأمور التي تكون في الزمان المستقبل فينذر بها.

وبالجملة يحدث عن الغيب فيشصب بشيراً ونذيراً وخاصيّته الإنذار بالكائنات والدلالة على المغيبات على مادلّ عليه قوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك) وقوله عزّوجلّ (رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم) وقوله تعالى (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) وأخباره صلّى اللّه عليه وآله وسلّم بموت النجاشي وقوله عليه السلام لرسول كسرى (إنّ ربّي قتل ربك البارحة) فكان كما قال إلى غير ذلك ممّا نطق به القرآن العزيز واشتمل عليه الأحاديث الصحيحة وشهدت بصحّته الآثار والأخبار وقد يكون هذا المعنى لكثير من الناس في النوم ويسمّى الرؤيا.

وأمّا الأنبياء عليهم السلام فإنّما تكون لهم في حالتي النوم واليقظة معاً فهذان الصنفان يتعلّقان بالقوّة المدركة من النفس الإنسانيّة وهما داخلان تحت تأثير النفساني في النفساني.

قالت الحكماء وبهذين الصنفين من المعجزات يتعلّق إعجاز القرآن وذلك لما يتضمنّه مع الفصاحة والبلاغة والشأن العجيب والنظم البديع الغريب من الدلالة

على العلوم العقليّة المتعلّقة بمعرفة اللّه تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والعلوم الغيبيّة المتعلّقة بمعرفة صنفي الغيب أعني الأمور الماضية والمستقبلة ـ .

وأمّا الصنف الثالث من أصناف المعجزات فإنّه يتعلّق بفضيلة قوّة النفس المحرّكة التي تبلغ من قوتها إلى القدرة على الإهلاك وقلب الحقائق من تدمير على قوم بريح عاصفة وصاعقة وطوفان وزلزلة وقلب العصاء حيّة.

وتلحق بهذا الصنف أنواع من الكرامات التي شرف اللّه تعالى بها قوماً من عباده المخصوصين فيقدمون على هذه الأشياء بما يستجيب من دعواتهم وتظهر منهم أمور تخرج عن المجرى الطبيعي كما يحكى عن بعضهم انّه اطاق بقوّته فعلا يخرج عن وسع مثله من البشر وعن بعضهم أنّه كان يستسقى للناس فيسقون أو يدعو عليهم فيخسف بهم ويزلزلون أو يدعو لهم فيخلصون عن الوباء والقحط والأمراض الصعبة المزمنة ومن هذا القسم معجزات عيسى عليه السلام وكما يحكى عن بعضهم أنّه تنقاد له السباع ولا تنفرّ عنه الوحوش والطيور وينبغي أن لا تستبعد شيئاً من ذلك وقد أذعن الحكماء والكبار بهذا وأخبروا عن السبب الذي فيها كلّها.

وهذا الصنف من المعجزات يدخل تحت تأثير النفساني في الجسماني ومن استقرى معجزات الأنبياء عليهم السلام وكرامات الأولياء أمكنه أن ينسب كلّ واحدة منها إلى واحد من هذه الأصناف المذكورة واللّه المرشد للصواب.

وأمّا الإلهامات والمنامات فإنّها داخلة تحت تأثير النفساني في النفساني وتكثر هذه الإلهامات وتقل وتصدق هذه المنامات وتكذب بحسب قوّة إستعداد النفوس البشريّة وضعف إستعدادها بموجب صفائها وكدورتها وخلوصها عن المحسوسات وتدنّسها بها إمّا في بدو حدوثها في الأبدان وإمّا بعد ذلك بمقتضى السير والعادات التى يتفق أن يسير بها ويتعوّد بها و قد تصدق المنامات تارة بأن يرى الأمر على ماهو عليه وبصورته من غير حاجة الى تعبير وتأويل وتارة بأن يرى محاكياً للشيء وهذا يتفاوت فربّما كانت بمحاكيات قريبة من الشيء جدّاً وربّما كانت بمحاكيات بعيدة وهذه يحتاج فيها إلى تعبير وتأويل والسبب في هذه الحالة للأنبياء وأصحاب الكرامات أنّ القوّة المتخيّلة خليت محاكية لكلّ مايلقاها من هيئة إدراكيّة أو هيئة مزاجيّة سريعة النقل من الشيء إلى شبهه أو ضدّه فالأثر الروحاني السانح للنفس في حالتي النوم واليقظة قد يكون ضعيفاً فلا يحرك الخيال والذكر فلا يبقى

له أثر وقد يكون أقوى من ذلک فيحرك الخيال إلاّ أنّ الخيال يعين في الإنتقال ويحكى عن الصريح فلا يضبط الذكر بل إنّما يضبط إنتقالات المتخيل ومحاكياته وقد يكون قوياً جداً فترتسم فيه الصورة ارتساماً قوياً ولايتشوّش بالإنتقالات فما كان من الأثر الذي ذكرنا مضبوطاً في الذكر في حالتي النوم واليقظة كان إلهاماً أو وحياً ولا يحتاج إلى تأويل وتعبير وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته فإنّه يحتاج إليهما امّا الوحي الى التأويل وامّا الرؤيا إلى التعبير هذا إذا لم تكن الرؤيا من أضغاث الأحلام التي يكون سببها امزجة الأبدان وغلبة أحد الأخلاط وحديث النفس أو غير ذلک ممّا يخرج الرؤيا عن الحكم بصحّتها إن كانت على وجهها أو لحاجتها إلى تأويل و تعبير إن كانت على سبيل المحاكات في صورة الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس.

وأمّا أنواع السحر والأعين المؤثّرات فإنّ قسماً من السحر يدخل تحت تأثير النفساني في النفساني وقسماً منه يدخل تحت تأثير الجسماني في النفساني.

أمّا الصنف الأوّل فكتأثير النفوس البشريّة القويّة في قوّتي التخيّل والوهم في نفوس بشريّة أخرى ضعيفة في هاتين القوّتين كنفوس البُله والصبيان والذين لم تستول قوّتهم العقليّة على قمع قوّة التخيل وترک عادة الإنقياد فتخيّل إليها وتوهمها أنها موجودة في الخارج أو تخيل إليها وتوهّمها في أمور موجودة حاصلة على ضدّ تلک الأحوال فيخيل إليها في أشياء متحركة انّها ساكنة وفي أشياء ساكنة أنّها متحركة إلى غير ذلک من أحوال بديعة وهذا كما كان شأن سحرة موسى عليه السلام حين ألقوا حبالهم وعصيّهم حتّى صار موسى يخيل إليه من سحرهم أنّها تسعى حتّى أبطل الله تعالى ذلک بما أظهر على رسوله من الصنف الثالث من المعجزات فانقلبت عصاه ثعباناً يلقف مايأفكون وفي هذا الوقت قال الله تعالى (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وذلک لما ارتاضوا به [ونشأوا] على مؤاخذة أنفسهم من القوّة على تصريف الأعين والخيالات من الناس واقتدارهم على نقلهم إيّاها من حال إلى حال ثمّ أنّهم قد يستعينون في تشييد هذا العمل والبلوغ الى الغرض الأقصى منه بأفعال وحركات تعرض منها للحسّ حيرة وللخيال دهشة كابراز شيء شفّاف مرعش للبصر برجرجته أو مدهش إيّاه بشفيفه وأشياء ترقرق وأشياء تمور وجميع ذلک ممّا يشغل الحسّ بضرب من السحر وأكثر ما يؤثر هذا في من هو

بطباعه إلى الدهش أقرب ولقبول الأحاديث المتخيّلة أميل كالبله والنساء والصبيان.

وقد يعين في ذلك الاسهاب في الكلام المختلط والايهام بمسيس الجنّ بكلّ مافيه تحير وتدهيش.

وأمّا الصنف الثاني من أصناف السحر فكتأثير القوّة الوهميّة من النفوس البشريّة التي قويت هذه القوّة منها في الخلقة الأصليّة أو ولعت بتقويتها بالعادة واستعمال الرياضة والتصريف فإنّه قد يبلغ تأثير هذه القوّة إلى أن تزيل الطبائع عن حالها امّا إلى جودة وامّا إلى رداءة وذلك لما في جبلة النفس أو العقل من طاعة المواد العنصريّة لها إلاّ أنّ هذه الإزالة تكون من الساحر لا على سبيل إيثاره الخير وصلاح النظام الطبيعي ولا لأغراض صحيحة كلية متعلّقة بصلاح العالم وبقاء النوع بل على سبيل تحرّي الشرّ وفساد النظام ولأغراض خسيسة جزئيّة متعلّقة بالأشخاص فيسلّط الواحد من أرباب السحر قوّته الوهميّة المرتاضة بذلك على التأثير في انسان آخر بعزيمة قويّة بالغة موجبة على ماعرف في كتاب النفس من تعلّق تمام فعل النفس ووجوب تحريكها بقوّة العزم المؤتلد بقوّة الشوق فاذا صحّت فيها تلك العزيمة وقويت انهكت الشخص المقصود وأثّرت فيه الأثر المطلوب و أكثر ذلك على سبيل العناد وقصد الخلل والإنتشار إلاّ أنّه تقوى هذه القوّة الوهميّة بما يعلّقها به ويقيّد بها بسببه و يسدّدها نحو العمل لأجله من شيء جسماني يعرف همّتها وعزيمتها به فيضمّ أجساماً إلى أجسام ويشدّ البعض بالبعض يقيّد بذلك القوّة الوهميّة ويثبتها بتصوّرها لها ويذكرها على الثبات على ماهمّت به و عزمت عليه من الأمر المقصود كما حكى عنهم من غرز أبر في أجسام ومن دفن بعض الأجسام القابلة للفساد بسرعة في موضع من الأرض تصل إليه النداوة، امّا الخرزات فتوقع القوّة الوهميّة من نفس الساحر بتذكار ماهمّت به من الأمور بتوسّط هذه الأشياء بتذكيرها وحفظها إيّاها في ذاتها فيحملها ذلك على الثبات على العزيمة فتكون هذه الحالة داعية إلى بلوغ كنه الأمر المقصود من التأثير المطلق وقد يوجد مثله بمثل هذا الضبط يتعلّق بقوى أخرى نفسانيّة في أمور تشدّ بها القوى ويستعان به على ثباتها على عزيمتها في مقاصدها ومطالبها وذلك مثل ماكان طائفة من المتقدّمين المتعبّدين يثبتون قوى أنفسهم على عبادة اللّه تعالى وتذكيره واستمداد أصناف المعونة من جهة هياكل رقيقة واتّخاذ أصنام من جواهر نفيسه ويجعلون أنفسهم وقفاً على ملازمتها ومعتكفة على الإقبال

عليها متذكّرة بتوسّطها أمر الله عزوجلّ ومضبوطة عن تغير العزيمة وفترتها عن طاعة الله تعالى واستمداد المعونة والرحمة من جهتها وكانوا يقولون (مانعبدهم إلاّ ليقرّبونا الى الله زلفى) ويتّخذون أموراً مناسبة لذلك من بناء المساجد والبيع والصوامع ونصب المحاريب والقناديل فيها كلّ ذلك يعد النفس ويثبتها على الطاعة واستفراغ الجهد والطاقة في الإنابة والعبادة ومن أجل ذلك تتخذ القبور وتبنى عليها الأبنية تذكاراً للميّت ودعاءاً له بالرحمة والمغفرة وتصدّقاً عنه رجاء خلاصه من عذاب لو كان فيه ولو لا ذلك لنسوه في أقرب مدّة وانقطع عنه الدعاء والصدقة ولو لا مخافة ملال القارىء لهذا الفصل لأوردت من ذلك مايطول به الكلام ويزيد الناظر بصيرة فيه إلاّ أنّ الفطرة تستدلّ باللمعة على ماوراءها ومن يسير الإشارة على كثيرها.

[وقوّة العين] بهذا النمط من التأثير والفرق بينهما أنّ قوّة العين عامّة طبيعيّة في مبدأ الخلقة وأصلها وأمّا الأخرى فمكتسبة بعد الأمر الأصلي ومن هذا القبيل إستدفاع أثر العين التي يخاف مضرّتها تارة بالرق وبالنمط من الكلام المسمّى بالعزائم وتارة يتعلّق بالتعاويذ والتمائم.

وأمّا الصنف الثالث من أصناف السحر وهو داخل تحت تأثير الجسماني في النفساني فكتأثير الصور والألوان والأشكال وضروب التحريكات والتسكينات في الأنفس البشريّة.

أمّا تأثير الصور والأشكال فكتأثير المعشوق في العاشق حتّى يهتمّ به ويصفق قلبه إليه وتحرّكه التحريكات المتنوّعة من القبض مرّة والبسط أخرى ومن الوجد مرّة والشغف الموجب للعناء والنصب أخرى وكتأثير صور الدوابّ واشكال الحيوانات الفاضلة المستحسنة في نفوس أصحابها وأربابها كالفرس والبازي والصقر والحمام وغير ذلك حتّى تولعوا وتشغفوا بالنظر إليها بحيث يفوت بالاشتغال بها كثير من حاجاتهم ومهمّاتهم.

وأمّا التحريكات والتسكينات فكتأثير أصناف الأغاني والمعازف والملاهي والرقص في نفس المشغوفين بها بل تأثير الكلام في نفس السامع كما جاء في الأثر (إنّ من البيان لسحراً) حتّى يكاد يحكم بأنّ هذه الأشياء تسحر الناس وتقلبهم عن أحوالهم بحيث لايوجد مخلص من تأثيراتها ويدخل تحت هذا القسم مايسميه

الحكماء بالسحر الطبيعي وذلك أنّ عندهم أنّ هذه الأمور الطبيعيّة وأصناف الحكم والعجائب في خلقتها سحر من الطبيعة للناظرين فيها والمتأمّلين لها والمعتادين بها تسحرهم وتقلبهم عما هم عليه من إتباع الهوى والقوى البدنيّة الى الشغف بتأمّل العبر والآيات في الأمور السماويّة والأرضيّة كما قال عزّ من قال (سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفُسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق) والكلام في ذلك أيضاً يفضي إلى ملالة القاريء واضجاره وإن كان قرّة عين الفاضل الحكيم وإيثاره.

وأمّا أنواع النيّرنجات والطلسمات فإنّها تدخل تحت تأثير الجسماني في الجسماني وان لم تخلّ الأمور الجسمانيّة من القوى النفسانيّة فيها ولم يخلّ ذلك التأثير من قوى وهميّة عاملة فيها عملها في ملائمها ومنافيها وذلك أنّها تتعلّق بخواصّ الأجسام الأرضيّة العنصريّة منها والمركّبات الطبيعيّة وتأثير بعضها في بعض بخواصّ تخصّ كلّ واحد منها فتتبع حدوث آثار غريبة في غيرها وقد تتمّ بمناسبات وضعيّة من هذه الأجسام السماويّة ومناسبات بين قواها وقوى الأجسام ومضادّات بين قوى الأجسام يوجب جميع ذلك أفعالاً وانفعالات بديعة يكاد يحكم بأنّها خارجة عن المجرى الطبيعي كجذب المغناطيس للحديد وهرب حجر باغض الخل من الخل واجتذاب الكهرباء للتبن إلى غير ذلك ممّا لايحصى كثرة من أقسام النيرنجات وكما تتخذ صور وأشكال في أوقات مخصوصة على أوضاع معلومة من مقابلات آفاق السماء من المشرق والمغرب والجنوب والشمال [فيكسر] بها كثير من أذية الحيوانات المفسدة إلى غير ذلك ممّا اشتهر ذكره عند الجمهور وخفي عنهم سرّه وهذا من علم الطلسمات.

ويلحق بهذا النمط تأثير الأجسام المعدنيّة بعضها في بعض الذاتيّة منها وغير الذاتيّة والمنطرقة منها وغير المنطرقة والمسماة بعضها بالأرواح وبعضها بالأجساد وإحالة بعضها لبعض واستحالة بعضها إلى بعض في ألوانها وقوامها وقواها المشهورة عند الجمهور والمعلوم أكثرها عند أهل الصناعة المسمّاة بالكيميا وتدخل تحت هذا النمط تأثيرات بعض الأجسام في بعض ممّا تركب وتفصل وتتخذ الآلات منها ولها طريقة عجيبة يسمّى ذلك علم الحيل فمنها مايسمّى علم الحيل الهندسيّة.

ولو لا أنّ المقصود من هذه الرسالة إبراز القدر المذكور من جميع هذه الأبواب لحملني فرط العناية بأهل الفضل على إبراز جملة من هذه العلوم بل على

شرح تفاصيلها والإبانة عن كلّ علم بقوانينها الكليّة والمسائل الجزئيّة ولكن العذر في الإمساك عن تفاصيلها واضح ــ وعند هذا نختم الرسالة والحمد لله واهب العقل(٢٧٦).

## (السلاح الأول)

## الرؤيا والأحلام

وقد إتّخذه بعض المتحذلقين من مدّعى السفارة وسيلة لترويج أفكارهم الضالّة ومبادئهم الهدّامة وممّا بلغني من أخبارهم أنّهم يدّعون الإتصال بالحجّة المهدي عليه السلام عن طريق عالم الرؤيا ويتلقون منه الأوامر والتعاليم والإرشاد والنصح والأحكام ومن ثمّ يوجه لهم الأوامر بإيصالها الى شيعته ومواليه ولخفاء الوجه في ذلك على عامّة الناس، فقد انطلت على كثير من البسطاء والسذج منهم ووهموا في ذلك غاية الوهم فضلّوا وأضلوا.

وللجواب عن شبه وتلبيسات هؤلاء يمكن اسهاب الكلام فيه بما يتّسع إلى دراسة واسعة الأكناف، كثيرة الأطراف كما عزمنا عليه فعلاً في كتاب مستقلّ إلاّ أننا في هذه العجالة نوجز الحديث معهم بما يتسع لعرض موازنة بين ماتضمنّته هذه الدعوى وبين ماثبت عند الشيعة واستقرّ عليه العمل عندهم وقبل الدخول في ذلك نورد ماذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون كتمهيد في الشروع حيث قال في تعريف علم تعبير الرؤيا مالفظه: هو علم يتعرّف منه المناسبة بين التخيّلات النفسانيّة والأمور الغيبيّة لينتقل من الأولى إلى الثانية وليستدلّ بذلك على الأحوال النفسانيّة في الخارج أو على الأحوال الخارجيّة في الآفاق ومنفعته البشرى أو الإنذار بما يروه، هذا ماذكره أبو الخير وأورده في فروع العلم الطبيعي وذكر فيه أيضاً ماهيّة الرؤيا وأقسامها وكذا فعل ابن صدر الدين(٢٧٧).

أقول: ونظراً للأهميّة الخاصّة التي تكتسبها ظاهرة الأحلام فقد حفل تاريخ البشريّة على امتداده بنظريّات متعدّدة وتفسيرات جمّة وعقائد كثيرة حول هذه الظاهرة وكما كان للفلاسفة دلو في ذلك كذلك فعل الأطباء وعلماء النفس والأخلاق وعلماء الفقه والشريعة ومن خلال هذا التعدّد نشأ الإختلاف وحدث الإنقسام.

والملاحظ من خلال ذلك كله أنّ عالم الرؤيا والأحلام عالم غيبي بالقياس إلى عالم الطبيعة الذي يبصره الجميع ويعيش في أكنافه بني النوع الإنساني، وماشأنه الغيب يفتقر في تحصيله والإحاطة بمبدئه إلى واسطة لها علائق ووشائج غيبيّة على أقلّ التقادير وممّا يقطع بثبوته إفتقار جميع المذاهب والنحل والأهواء والطوائف التي لاتمت بصلة صحيحة بالسماء وربّ الغيب ودارئه إلى مثل هذه الواسطة وإذا اطلعت على هذا التمهيد يتضح لك هجانة وسفاسف زيف كلّ مايصدر من قبل أصحاب تلك المذاهب والنحل وممّا لاشكّ فيه أنّ أصحاب السفارات المزيّفة لايخرج شأنهم عن شأن أولئك لعدم استقامة مذاهبهم وسلامة تصوّراتهم ومعتقداتهم فهم بمعزل عن الغيب وشؤونه وخصائصه.

وممّا يجدر بنا الإشارة إليه أنّ الوسائط التي يدين بها إتباع مذهب الشيعة الإماميّة هم أئمّتهم المعصومون الإثنا عشر عليهم السلام وقد جاؤا في هذا المجال بما لم يسبقهم إليه سابق وقد أوضحنا ذلك بأسلوب شيق في كتابنا (بلغة الشيعة الكرام في تعبير رؤيا المنام) فمن أراد الوقوف عليه فليراجع إليه.

وسنتناول ههنا زائداً على ماذكرناه في ذلك الكتاب مايرتبط بموضوعنا الذي نحن بصدد الحديث عنه.

## ماورد في تقسيم الأحلام

ونذكر لك قسمين:

(التقسيم الأوّل) ماأفاده الشيخ المفيد بقوله: والرؤيا في المنام تكون من أربع جهات:

(أحدها) حديث النفس بالشيء والفكر فيه، حتّى يحصل كالمنطبع في النفس، فيخيل إلى النائم ذلك بعينه وأشكاله ونتائجه، وهذا معروف بالإعتبار.

(الجهة الثانية) من الطبائع ومايكون من قهر بعضها لبعض، فيضطرب المزاج، ويتخيّل لصاحبه مايلائم ذلك الطبع الغالب، من مأكول ومشروب، ومرئي وملبوس، ومبهج ومزعج.

وقد نرى تأثير الطبع الغالب في اليقظة والشاهد، حتّى أن من غلب عليه الصفراء يصعب عليه الصعود إلى المكان العالي (بما) يتخيّل له من وقوعه، ويناله من الهلع والزمع(٢٧٨) ما لاينال غيره.

ومن غلبت عليه السوداء يتخيل أنّه قد صعد في الهواء وناجته الملائكة، ويظنّ صحّة ذلک، حتّى أنّه ربّما إعتقد في نفسه النبوّة، وأنّ الوحي يأتيه من السماء، وماأشبه ذلک.

(الجهة الثالثة) ألطاف من الله عزوجل لبعض خلقه، من تنبيه وتيسير وأعذار وإنذار، فيلقي في روعه ماينتج له تخيّلات أمور، تدعوه إلى الطاعة والشكر على النعمة، وتزجره عن المعصية، وتخوفه الآخرة، ويحصل له بها مصلحة وزيادة فائدة، وفكر يحدث له معرفة.

(والجهة الرابعة) أسباب من الشيطان ووسوسة يفعلها للإنسان، ويذكره بها، أموراً تحزنه وأسباباً تغمه وتطمعه فيما لا يناله أو يدعوه إلى إرتكاب محظور يكون فيه عطبه، أو تخيل شبهة في دينه، يكون فيها هلاكه، وذلک مختصّ بمن عدم التوفيق، لعصيانه وكثرة تفريطه في طاعات الله سبحانه.

ولن ينجو من باطل المنامات وأحلامها إلاّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، ومن رسخ في العلم من الصالحين.

وقد كان شيخي رضي الله عنه قال لي: إنّ كلّ من كثر علمه واتسع فهمه قلّت مناماته، فإن رأى مع ذلک مناماً وكان جسمه من العوارض سليماً، فلا يكون منامه إلاّ حقّاً، يريد بسلامة الجسم عدم الأمراض المهيّجة وغلبة بعضها على ماتقدّم به البيان.

والسكران أيضاً لايصحّ له منام، وكذلک الممتليء من الطعام، لأنّه كالسكران، ولذلک قيل: إنّ المنامات قلّما تصحّ في ليالي شهر رمضان(٢٧٩).

(التقسيم الثاني) ماذكره العلامة السيّد هبة الدين الشهرستاني بقوله:

للإنسان حال منامه سلسلة خيالات قد تبلغ من القوّة مبلغ التجسّم والتحقّق وهي كخيالاته حال اليقظة منقسمة إلى ثلاثة أنواع:

(النوع الأوّل) تخيّلات صادقة الحكاية عن حقائق راهنة ولو بوجه التأويل وعلمها حاصل من مدارک صحيحة من عالم الغيب أو الشهادة وهذا نادر الوجود جداً وجدير بأن يسمّى (الرؤيا الصادقة) ويفوز به في الغالب أولوا النفوس المهذّبة حال استقامة أفكارهم وصفاء مشاعرهم.

و(النوع الثاني) تخيّلات يتجدّد الشعور بها من أفكار الإنسان حال يقظته مثل

أن يفكّر المرء من زواج وما أشبه فيرى ذلك في منامه وهذا كثير الوجود جداً، وجدير بأن يسمّى طيفاً أو حلماً.

و(النوع الثالث) تخيّلات مختلطة يحصل قسم منها بتأثير الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة فيمتزج بالقسم الحاصل من تفكّرات المرء حال يقظته مثل أن يفكّر النائم في حرب قائمة فيقترن ذلك بصوت قويّ فيخيّل للنائم مدفع ثائر ويعرف هذا النوع بأضغاث الأحلام لأنّ ضغثاً منه مأخوذ من الحسّ والخارج وضغثاً منه مأخوذ من الفكر.

وهذا التقسيم الثلاثي المعقول مستفاد من المنقول أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث رواه أبو جعفر الإيلاقي من شيوخ علمائنا في القرن الرابع الهجري بسنده المذكور في باب الراء من (جامعه:) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الرؤيا على ثلاثة: بشرى من الله تعالى وتحريز من الشيطان والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه» وقال صلى الله عليه وآله: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» فإذا عرفتم أن الأطياف هي في الغالب سلسلة خيالات ممّا يفكّر الإنسان بها حال يقظته ويحدث بها نفسه في خلواته ظهر لكم سرّ مايحلم به النائمون من معانقة الخرد الحسان أو معاتبة الاخوان أو منازعة الخصوم أو غير ذلك ممّا يهمّهم شأنه(٢٨٠)..

## أهميّة رؤى الأحلام

قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه:

إنّ الكلام في باب رؤيا المنامات عزيز، وتهاون أهل النظر به شديد والبليّة بذلك عظيمة وصدق القول فيه أصل جليل(٢٨١).

وزاد الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء هو الآخر بقوله:

امّا صحّة الأحلام في الجملة واصابة كثير منها للواقع فأمر لايقبل الإنكار ويشهد به الوجدان قبل الشريعة والقرآن واتّفقت عليه حكماء الهند واليونان، أمّا علماء الغرب وأهل العلم الحديث فال أحسبهم متّفقين على إنكاره وان وجد فيهم من ينكره فهم الماديّون المنكرون للأرواح المجرّدة والجواهر المفارقة أمّا المثبتون للأرواح والذاهبون إلى صحّة التنويم المغناطيسي واستحضار أرواح الأموات والأحياء فهو محقّق عندهم وبالجملة فصحّة بعض الأحلام ممّا لا يرتاب فيها ذووا

الأحلام(٢٨٢).

## الفوارق الجوهريّة بين عالمي اليقظة والرؤيا

يمكننا أن نوجزها في النقاط التالية:

(الأولى)

أ ــ إنّ علم اليقظة مادّي في وجوده ومعالمه وآثاره يعايشه الإنسان بمداركه وحواسّه التي فطر عليها.

ب ــ بينما نجد أن عالم الرؤيا روحاني معنوي يعايشه الإنسان بمشاعره الروحيّة والنفسيّة والوهميّة والخياليّة.

(الثانية)

أ ــ إنّ عالم اليقظة تحكمه قوانين الطبيعة التي فطرها الله عزوجل عليها.

ب ــ بينما نجد أنّ عالم الرؤيا تحكمه الضوابط الروحيّة والمعنويّة الصرفة.

(الثالثة)

أ ــ إنّ الإنسان في عالم اليقظة يتمتّع بكمال قدرته العقليّة فيتولّد من إعمالها الإعتقادات اليقينيّة والمعارف القطعيّة.

ب ــ بينما نجد أنّ الإنسان في عالم الرؤيا غير متمكّن من إعمال تلك القدرة العقليّة على وجهها وذلك بفعل النوم المعطل للحواس الظاهريّة والمجمد للقدرة الفكريّة والتعقّليّة ولذا نجده لا يدرك ولايستطيع الإستفادة الكاملة من علومه الكامنة في عقله وذاكرته كما هو الحال بالنسبة إليه في عالم اليقظة ولذا نجده كثيراً ما يجد نفسه في عالم المنام يعتقد بالإعتقادات الباطلة.

(الرابعة)

أ ــ إنّ الحوادث والتصرّفات واختلاف الحالات التي يكون الإنسان عليها في عالم اليقظة يدركها الإنسان بتمام جزئيّاتها وواقعيّاتها كما هي فعلاً كالمشي والأخذ والأكل والشرب.

ب ــ بينما نجد أنّ الحوادث والتصرّفات والحركات التي تتصوّر للإنسان في عالم الرؤيا ويُتَراءى له أنّه يفعلها ويحدثها كلّها لا أساس لها وأنّما هي سراب ووهم

وخيال فيوهم أنّه يمشي ويأكل وعلى صفات كثيرة، بينما هو في الحقيقة والواقع على خلاف ذلك كلّه لأنّه مستلقي على فراشه بلا إنتقال في الموضع أو في الهيئة.

(الخامسة)

أ ـ إنّ الآثار والمردودات والعوائد الحادثة على الإنسان في عالم اليقظة حقيقيّة كتحصيل مال أو زواج أو إنجاب أو إصابة بجراح أو موت وما شاكل ذلك.

ب ـ بينما نجد في عالم الرؤيا أنّ الأمر على العكس من ذلك تماماً فإنّ الإنسان ربّما يرى فيه أنّ رأسه قد قطع أو مات أو صعد إلى السماء أو سقط من شاهق أو إفترسه أسد أو نحو ذلك ممّا يقطع بمخالفته للواقع حيث لاشيء من ذلك في الحقيقة.

(السادسة)

أ ـ إنّ الرؤية في عالم اليقظة للأشياء المحسوسة والمدركة تحصل من إتّصال شعاع بصر الإنسان بحقيقة المحسوس المادّي.

ب ـ بينما نجد أنّ الرؤية الحاصلة للإنسان في عالم الرؤيا عبارة عن معان تصوّرت في نفسه وتخيّل وجودها في مدى قدرته البصريّة المعطلة بالتلبّس بحالة النوم.

(السابعة)

أ ـ إنّ الرؤية الطبيعيّة المنبعثة من عضو الإبصار إذا كان يصحّ منها الوقوع في الخطأ في عالم اليقظة كرؤية السراب ماءاً ونحو ذلك.

ب ـ فإنّ الخطأ المتوقّع صدوره فيما يجانس تلك الأشياء في عالم الرؤيا لابد وأن يكون أشدّ وأعظم وذلك لأنّ مسانختها للوهم والخيل أقرب وألصق وأحرى.

(الثامنة)

أ ـ إنّ الرؤية في عالم اليقظة يصحّ وصف المرئي فيها عند الإخبار عنه بالصدق والكذب وذلك من خلال حكاية ما هو عليه من حالة التلبّس ومثاله كرؤية الباب مفتوحاً والمنزل مشيّداً والماء نابعاً والشيء موجوداً ونحو ذلك فإذا أخبر المُخبر عمّا شاهد من تلبّسها بالحالة المُخبَر عنها فظهر كونها على تلك الحالة التي وجدتها عليها فعلاً كان الاخبار صادقاً.

ب ــ بينما نجد أنّ الرؤية في عالم الرؤيا غالباً ماتكون مجرّدة عن إمكان وصفها بمثل ذلك لوقوعها في حيّز الوهم والخيال وعلى فرض صدقها فإنّها قد تحتاج إلى تأويل وتفسير وكلّ نائم لايعرف أسرار ذلك فيشكل القول بصحّة إمكان وصف المخبر به ممّا شاهده في هذا العالم بالصدق.

(التاسعة)

أ ــ إنّ طرق تحصيل العلم في عالم اليقظة معروفة ومعهودة ولها أسس وضوابط ومقاييس خاصّة متسالم على أكثر بين بني الإنسان.

ب ــ أمّا طرق تحصيل العلم مع غضّ النظر عن ندرتها في عالم الرؤيا لايعرف لها ضابطة خاصّة يمكن إستكشاف المعلوم من خلالها بنحو القطع واليقين ويؤمن معها اللبس والتلبيس سوى ماورد من المقاييس المرويّة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام والتي ذكرنا الشطرالوافر منها في كتابنا (في تفسير الأحلام).

(العاشرة)

أ ــ إنّ تلقّي العلوم الشرعيّة وغير الشرعيّة وتداولها وروايتها ودرايتها منحصر في حكايتها عن معادنها ومصادرها بالدلالات المعهودة من اللفظ والخطّ وماشاكلهما.

ب ــ بينما لا نجد لعالم الرؤيا حظّاً ولا نصيباً في ذلك إلاّ بالنحو الذي سنُنبّه عليه فيما بعد فعلى سبيل المثال لو نقل شخص أنّه رأى العالم الفلاني في عالم الرؤيا وأخبره بنظرية في المسألة الفلانيّة نجد أنّ الناس لا تتلقّاها بالقبول ما لم يثبت العثور عليها في كتاب دوّن بخطّه أو قلمه أو بنقل عنه وكذا لو حكى عنه مايكذب ماعرف عنه وهذه سنّة بديهيّة يقطع بها كلّ من له رويّة وسلامة إدراك وأكّد عليها الشرع في أصول الإثبات التي إعتمدها في جملة أحكامه واشترط عليها القطع واليقين والتثبت وجرت أيضاً عليها سيرة علمائنا في تصنيفاتهم وروايتهم ودرايتهم وكذا العرف السائد في عصرنا هذا خصوصاً في إعداد الدراسات الأكاديميّة في الميادين العلميّة والأدبيّة والتاريخيّة المختلفة حيث يشترط فيها ذكر المأخذ والمصدر والسلامة من التحريف والتشويش في المصادر النقول عنها إلى غير ذلك.

وإذا كان هذا الحال على ماوصفناه في العلوم والفنون والحكاية عن جملة المخلوقين على إختلاف رتبهم ومقاماتهم فكيف بك بأحكام الشرع المقدّس وما

هي عليه من القداسة والأهميّة البالغة في تسيير دفة الحياة بأسرها وكون مصدرها المبدأ الأعلى وربّ الكون؟!

(الحادية عشرة)

أ ـ إنّ العلم الحاصل في عالم اليقظة يمكن لكلّ شخص صحّ إدراكه وسلم فهمه وحسن حسّه أن يتوصّل إليه.

ب ـ بينما نجد أنّ الإعتقاد الحاصل في عالم الرؤيا لايتحصّل إدّعاؤه إلاّ إلى الشخص المحصّل له وواجده وفي حدود اطار عالم الرؤيا.

(الثانية عشرة)

أ ـ إنّ العلم الحاصل في عالم اليقظة حجّته وبرهانه تعمّ العالم وتشمل الخليقة كافّة وعلى مرّ العصور وكرّ الدهور.

ب ـ بينما نجد أنّ العلم الحاصل عن طريق عالم الرؤيا لايصغى إليه أحد بتلك النسبة ولايمكن التصديق به لكافّة الناس لأنّه لاسبيل لتحصيله إلاّ بمجرّد التصديق والتسليم لقول المدّعي له.

(الثالثة عشر)

أ ـ إنّ المؤاخذة والمعاتبة والمقاصة تثبت في عالم اليقظة بالأصول المقرّرة في جملة الآداب والسنن والأحكام الشرعيّة والوضعيّة.

ب ـ بينما لايصحّ مثل ذلك في مثل عالم الرؤيا فلو رأى أنّ شخصاً ما قتل إبنه أو انتهك عرضه أو سرق ماله أو هدم داره أو نحو ذلك فإنّه لا يصحّ للرائي إذا استيقظ من نومه أن يقتصّ من فاعل ذلك حسبما شاهده في عالم الرؤيا بوجه من الوجوه.

وفي ذلك قال المحقّق البحراني في درره النجفيّة:

«إنّ الأحكام الشرعيّة إنّما بنيت على العلوم الظاهرة لا على العلم بأيّ وجه إتّفق ألاترى إنّهم عليهم السلام إنّما يحكمون في الدعاوي بالبيّنات والإيمان وربّما عرفوا المحقّ من المبطل واقعاً وربّما عرفوا كفر المنافقين وفسق الفاسقين ونجاسة الأشياء بعلومهم المختصّة بهم الاّ أنّ الظاهر أنّهم ليسوا مأمورين بالعمل بتلك العلوم في الأحكام الشرعيّة بل إنّما يعملون على ظاهر علوم الشريعة وقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّا نحكم بالظاهر والله المتولّي للسرائر وروى عنه صلى الله

عليه وآله أنّه قال: إنّما أنا بشرٌ وإنّكم تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم ألحن بحجّته من بعض فأقضي له نحو ما أسمع فمن قضيت له حقّ أخيه شيئاً فلا يأخذ فإنّما أقطع له قطعة من نار».

## إذا عرفت ذلك فتتمة الحديث في هذا المقام تقع في أمور:

## (الأمر الأول)

في بيان الأقوال في حقيقة الرؤيا على إختلاف المشارب والمذاهب:

إعلم أنّ الأقوال في ذلك ثلاثة:

(أولها) ماصرّح به الحكماء: فإنّهم قد بنوا ذلك على ما أسسوه من إنطباع صور الجزئيّات في النفوس المنطبعة الفلكيّة وصور الكليّات في العقول المجرّدة وقالوا إنّ النفس في حال النوم قد تتصل بتلك المباديء العالية فيحصل لها بعض العلوم الحقّة الواقعة فهذه هي الرؤيا الصادقة عندهم وقد تركّب المتخيّلة بعض الصور المخزونة في الخيال ببعض وهذه هي الرؤيا الكاذبة عندهم ورُدَ عليهم بأنّ هذا القول رجم بالغيب ويقول بالظنّ والريب ولم يستند إلى دليل وبرهان ولا إلى مشاهدة وعيان ولا إلى وحي إلهيّ مع إبتنائه على إثبات العقول المجرّدة والنفوس الفلكيّة المنطبقة وهما ممّا نفته الشريعة المقدّسة كما تقرّر في محلّه في علم الكلام.

(وثانيها) ماصرّح به المتكلّمون في المحكي عنهم:

قال في المواقف وشرحه وأمّا الرؤيا فخيال باطل عند المتكلّمين وجمهورهم أمّا عند المعتزلة فلفقد شرائط الإدراك حالة النوم من المقابلة وإثبات الشعاع وتوسّط الهواء الشفاف والبنية المخصوصة وإنتفاء الحجاب إلى غير ذلك من الشرائط في الإدراكات فما يراه النائم ليس من الإدراكات في شيء بل هو من قبيل الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة وأمّا عند الأصحاب إذ لم يشترطوا في الإدراك شيئاً من ذلك فلأنّه خلاف العادة أي لم تجر عادته تعالى بخلق الإدراك في الشخص وهو نائم ولأنّ النوم ضدّ الإدراك فلا يجامعه فلاتكون الرّؤيا إدراكاً حقيقة بل هو من قبيل الخيال الباطل إنتهى.

أقول: وهو على إطلاقه ممنوع لما عرفت وسيأتي.

(وثالثها) ماصرّحت به أخبار أهل الذكر صلوات الله وسلامه عليهم: إعلم أنّه

قد صرّحت الأخبار المعصوميّة المتكاثرة ان للروح قبل حلولها فيه عروجاً إلى الملكوت في عالم المنام وهو عالم آخركما بيّناه في المقام الأوّل من الفصل الثالث من كتابنا في تفسير الأحلام غير هذا العالم العنصريّ على هيئة جسم لطيف شفاف على صفة من أوصاف الجسمانيّات أو في قالب مثالي على حسب الإختلاف في دلالة الأخبار فالرّوح إذا صعدت إلى عالم الملكوت الذي هو عالمها الأصلي فربّما اطلعت ثمة على بعض الأمور الغيبيّة التي تقع في هذا العالم إطلاعاً حقيقياً وذلك بعد أن إطّلعت على الألواح السماويّة المشتملة على الأقضية والأقدار والدّفاتر الإلهيّة فيقع كما رآه في اليقظة من غير أن يحتاج إلى تعبير أو تأويل وربّما قد إطّلعت عليه بوجه ما لأسباب وعوارض إقتضت ذلك فهذه الرؤيا المحتاجة إلى تعبير وتأويل والعارف بعلّته يعرف أنّ تلك الصورة شبيهة بأيّ شيء فيعبّرها على ما سيأتي تفصيله ويكون كما قال ويمكن أيضاً أن يظهر اللّه عليه الأشياء في تلك الحالة بصورة تناسبها لمصالح كثيرة كما أنّ الإنسان قد يرى المال في نومه بصورة حيّة وقد يرى الدراهم بصورة عذرة وكلا الأمرين من قسم الرؤيا الصادقة.

وربّما يتخيّل لتلك الألواح أشياء ولا حقائق لها لأسباب معيّنة وهذه هي الرؤيا الكاذبة المعبّر عنها بأضغاث الأحلام.

## (الأمر الثاني)

في بيان ما ورد في رؤية النبيّ صلى اللّه عليه وآله في عالم الرؤيا أو أحد الأئمّة عليهم السلام ونروي فيه عدّة أخبار:

(الأوّل) مارواه الشيخ أبو طالب ابن شيخ الطائفة في مجالسه بسنده عن أبي بكر بن عيّاش في حديث طويل في رؤياه زيارة أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام إلى أن قال له: انّ أبا حصين حدّثني أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قال: من رآني في المنام فإيّاي رأى فإنّ الشيطان لا يتشبّه بي.

(الثاني) ما في جامع الأخبار عن كتاب التعبير عن بعض الأئمّة عليهم السلام قال عليه السلام ولقد حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيطان لايتمثّل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم.

(الثالث) مارواه رئيس المحدثين في العيون والمجالس بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام قال: حدثني أبي عن جدي عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني لأنّ الشيطان لا يتمثّل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم وانّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة.

(الرابع) ماروراه سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن عبد الرحمن بن غنم الأزدي في قصّة وفاة معاذ بن جبل [وأبو بكر] إلى أن قال: دعا بالويل والثبور وقال: هذا محمّد وعليّ يبشّراني بالنّار بيده الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة وهو يقول: لقد وفيت بها فظاهرت عليّ وليّ الله وأصحابك فابشر بالنّار في أسفل السافلين قال سليم: فقلت لمحمّد بن أبي بكر: فمن ترى حدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء الخمسة بما قالوا قال: رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه كلّ ليلة وحديثه إيّاه في المنام مثل حديثه إيّاه في اليقظة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في المنام فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي في النوم ولا اليقظة ولا بأحد من أوصيائي إلى يوم القيامة.

قال سليم فقلت لمحمّد بن أبي بكر: من حدّثك بهذا؟ قال: علي عليه السلام فقلت: سمعت أنا أيضاً كما سمعت أنت قلت لمحمّد فلعلّ ملكاً من الملائكة حدّثه قال: أو ذاك.

وساق الحديث إلى أن قال سليم: فلمّا قتل محمّد بن أبي بكر بمصر وعزّينا أمير المؤمنين عليه السلام حدّثته بما حدّثني به محمّد وخبّرته بماخبّرني به عبد الرحمن بن غنم قال عليه السلام: صدق محمّداً أما أنّه شهيد يرزق.

(الخامس) مافيه أيضاً قال سليم قال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن [عمر] ما قال لك أبوك حين دعانا رجلاً رجلاً؟ فقال أمّا أدنى شهادتي فإنّه قال أن بايعوا أصلح بني هاشم حملهم على المحجّة البيضاء وأقامهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم؟ ثمّ قال: يا إبن عمر فما قلت أنت عند ذلك؟ قال قلت له: فما يمنعك أن تستخلفه؟ قال فما ردّ عليك؟ قال: وردّ عليّ شيئاً أكتمه قال عليّ عليه السلام فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد رآه في اليقظة الخبر.

وأضاف العلامة المجلسي «قده» بقوله بعد رواية الخبر الثالث:

تبيان: يدلّ الخبر على عدم تمثّل الشيطان في المنام بصورة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة، بل بصورة شيعتهم أيضاً، ولعلّه محمول على خلّص شيعتهم كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وأضرابهم وقد روى المخالفون أيضاً مثله بأسانيد عن ابن عمر وأبي هريرة وابن مسعود وجابر وأبي سعيد وأبي قتادة عن النبيّ صلى الله عليه وآله برواية أبي داود والبخاري ومسلم والترمذي بألفاظ مختلفة، منها: من رآني في المنام فكأنّما رآني في اليقظة، ولا يتمثّل الشيطان بي، ومنها: من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثّل بي، ومنها: من رآني في النوم فقد رآني فإنّه لاينبغي للشيطان أن يتمثّل في صورتي، وفي رواية: أن يتشبّه بي، ومنها: من رآني فقد رأى الحقّ فإنّ الشيطان لايتراءى بي.

وقال في النهاية: الحقّ ضدّ الباطل، ومنه الحديث «من رآني فقد رأى الحقّ» أي رؤيا صادقة ليست من أضغاث الأحلام، وقيل: فقد رآني حقيقة غير مشتبه (انتهى).

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في أنّ المراد رؤيتهم عليهم السلام في صورهم الأصليّة، او بأيّ صورة كانت، ولا يخفى أنّ ظاهر حديث الرضا عليه السلام التعميم، لأنّ الرائي لم يكن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يسأله عليه السلام: في أيّ صورة رأيته؟ وحمله على أنّه عليه السلام علم أنّه رآه بصورته الأصليّة بعيد عن السياق، فإنّ من رأى أحداً من الأئمّة عليهم السلام في المنام لم يحصل له علم في المنام بأنّه رآه، ويقال في العرف واللغة أنّه رآهم، وإن رأى الشخص الواحد بصور مختلفة، فيقال: رآه بصورة فلان، ولا يعدّون هذا الكلام من المتناقض.

والعامّة أيضاً اختلفوا في ذلك، فمنهم من قال: المراد رؤيته صلى الله عليه وآله بصورته الأصليّة وأيّدوه عن ابن سيرين أنّه إذا قصّ عليه رجل أنّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لايعرفها قال: لم تره، وبعضهم قال بالتعميم وأيّده بما رووه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رآني في المنام فقد رآني، فإنّي أُرَى في كلّ صورة.

وقال القرطبيّ: اختلف في معنى الحديث، فقال قوم: هو على ظاهره، فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء قال: وهذا قول يدرك فساده

بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلاّ على صورته التي مات عليها، وأن لايراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيى الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس ويخاطبونه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره عن جسده، فلا يبقى فيه منه شيء ويزار مجرّد القبر ويسلّم على غائب، لأنّه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتّصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لايلتزمها من له أدنى مسكة من العقل.

وقالت طائفة: معناه أنّ من رآه على صورته التي كان عليها، ويلزم منه أنّ من رآه على غير صفته أن يكون رؤياه من الأضغاث، ومن المعلوم أنّه يرى في النوم على حالة تخالف حاله في الدنيا من الأحوال اللائقة، وتقع تلك الرؤيا حقّاً، كما لو رأى امتلاء داراه بجسمه مثلاً، فإنّه يدلّ على امتلاء تلك الدار بالخير، ولو تمكّن الشيطان من التمثّل بشيء ممّا كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله «فإنّ الشيطان لايتمثّل بي» فالأولى تنزّه رؤياه، وكذا رؤيا شيء منه أو ممّا ينسب إليه عن ذلك، فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة كما عصم من الشيطان في يقظته، قال: والصحيح في تأويل هذا الحديث أنّ مقصوده أنّ رؤيته في كلّ حالة ليست باطلة، ولا أضغاث أحلام، بل هي حقّ في نفسها، ولو رأى على غير صورته، فتصوّر تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو من قبل الله، قال: وهذا قول القاضي أبي بكر وغيره، ويؤيّده قوله «فقد رأى الحقّ» أي رأى الحقّ الذي قصد إعلام الرائي فيه، فان كانت على ظاهرها وإلاّ سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها، لأنّها إمّا بشرى بخير أو إنذار من شرّ، وإمّا تنبيه على حكم ينفع له في دينه أو دنياه.

وقال الغزالي: لايريد أنّه رأى، بل رأى مثالاً صار آلة يتأدّى بها معنى في نفسي إليه وصار واسطة بيني وبينه في تعريف الحقّ إيّاه، بل البدن في اليقظة أيضاً ليس إلاّ آلة النفس، والحقّ أنّ مايراه حقيقة روحه المقدّس صلى الله عليه وآله ويعلم الرائي كونه صلى الله عليه وآله بخلق علم لا غير.

وقال الكرماني في شرح البخاري: «فقد رآني» أي رؤيته ليست أضغاث أحلام ولا تخييلات الشيطان، كما روي: فقد رأى الحقّ، ثمّ الرؤية بخلق الله لايشترط فيها مواجهة ولامقابلة، فإن قيل: كثيراً مايرى على خلاف صفته، ويراه شخصان في حالة في مكانين، قلت: ذلك ظنّ الرائي أنّه كذلك، وقد يظنّ الظانّ

بعض الخيالات مرئياً لكونه مرتبطاً بما يراه عادةً، فذاته الشريفة هي مرئيّة قطعاً لا خيال فيه ولا ظنّ فإن قلت: الجزاء هو الشرط، قلت: أراد لازمه، أي فليستبشر فانّه رآني، وقال الطيّبي: اتّحاد الشرط والجزاء يدلّ على المبالغة، أي رأي حقيقتي على كمالها، قال: وقال القاضي: لعلّه مقيّد بما رآه على صفته، فإن خالف كان رؤيا تأويل رؤيا حقيقة، وهو ضعيف انتهى كلماتهم الواهية.

والظاهر أنّها ليست رؤية بالحقيقة، وإنّما هو بحصول الصورة في الحسّ المشترك أو غيره بقدرة الله تعالى، والغرض من هذه العبارة بيان حقيقة الرؤيا وأنّها من الله لا من الشيطان، وهذا المعنى هو الشائع في مثل هذه العبارة، كأن يقول رجل: من أراد أن يراني فلير فلاناً، أو من رأى فلاناً فقد رآني، أو من وصل فلاناً فقد وصلني فإنّ كلّ هذه محمولة على التجوّز والمبالغة، ولم يرد بها معناها حقيقة(٢٨٣).

## (الأمر الثالث)

في الإشارة إلى أنّ من الآثار الصادرة عنهم عليهم السلام في عالم الرؤيا ما يمكن أن يتّصف بالإعجاز والخوارق فمن ذلك ما رواه المحدّث النوري في الباب الأوّل من كتابه دار السلام حيث ذكر طائفة جمّة من الأخبار المتواترة في منامات جماعة رأوهم عليهم السلام فيها معاجز غريبة وخوارق عجيبة كقتل انسان وفكّ أسير وإعطاء مال وأمثال ذلك ممّا ظهر أثره في الخارج ولم يقدر عليه غيرهم عليهم السلام ومثله العلامة المجلسي في البحار ذكر مثل ذلك أيضاً في أبواب معجزات الأئمّة ومعجزات ضرائحهم المقدّسة فإن أردت الوقوف عليها فراجع.

ومن ذلك مارواه الحميري في قرب الأسناد عن الحسن بن علي بن بنت الياس عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال لي إبتداءاً إنّ أبي كان عندي البارحة، قلت: أبوك؟ قال: أبي، قلت: أبوك؟! قال: في المنام إنّ جعفراً كان يجيء إلى أبي فيقول: يا بني إفعل كذا يا بني إفعل كذا، قال: فدخلت عليه بعد ذلك فقال لي: ياحسن إنّ منامنا ويقظتنا واحدة(٢٨٤).

ومارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّي رأيت في المنام أنّي قلت لك: إنّ القتال مع غير الإمام المفترض الطاعة حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، فقلت لي: نعم هو كذلك، فقال أبو

عبد الله عليه السلام: هو كذلك هو كذلك(٢٨٥).

## (الأمر الرابع)

فيما ورد من المنع من جواز العمل بالمرئي عن طريق الرؤيا في المنام:

اعلم انه قد ورد في ذلك من طرقنا ثلاثة نصوص:

(النصّ الأول) ما رواه الثقة الكليني في الكافي بسنده عن ابن ا ذينة عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال: ما تروي هذه الناصبة؟ فقلت: جعلتُ فداك فيماذا؟ فقال: في أذانهم وركوعهم وسجودهم فقلت: انهم يقولون: إنّ أُبيّ بن كعب رآه في النوم فقال: كذبوا فإن دين الله عزّوجلّ أعزّ من أن يرى في النوم... الخ(٢٨٦).

(النص الثاني) ما رواه المحدث النعمان في دعائم الإسلام عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام انه سئل عن قول الناس في الأذان إن السبب كان فيه رؤيا رآها عبد الله بن زيد فأخبر بها النبي صلّى الله عليه وآله فأمر بالأذان فقال الإمام الحسين عليه السلام: الوحي يتزل على نبيكم وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد والأذان وجه دينكم وغضب عليه السلام وقال: بل سمعت أبي علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: اهبط الله عزّوجل ملكاً حتى عرج برسول الله صلّى الله عليه وآله ــ وساق حديث المعراج بطوله إلى أن قال: ــ فبعث الله ملكاً لم يُرَ في السماء قبل ذلك الوقت ولا بعده فأذّن مثنى مثنى وأقام مثنى وذكر كيفية الأذان ثم قال: قال جبرئيل للنبي صلّى الله عليه وآله: يا محمد هكذا أذّن للصلاة(٢٨٧).

(النص الثالث) ما رواه رئيس المحدثين الشيخ الصدوق ــ رض ــ في علل الشرائع بأسانيد متعدّدة صحيحة عن الصباح المزني وسدير الصيرفي ومحمد بن النعمان الأحول وعمربن اذينة عن أبي عبد الله عليه السلام انهم حضروه فقال: يا عمر بن اذينة ما ترى هذه الناصبة في أذانهم وصلاتهم؟ فقلت: جعلت فداك انهم يقولون إنّ أبي بن كعب الأنصاري رآه في النوم فقال: كذبوا والله إن الله تبارك وتعالى أعزّ من أن يرى في النوم(٢٨٨).

قال العلاّمة المجلسي طاب ثراه في مرآة العقول عند شرحه للخبر الأول: قوله عليه السلام: قوله: «ان أُبي بن كعب رآه في النوم». أقول: لا خلاف بين علمائنا في انّ شرعيّة الأذان كان بالوحي لا بالنوم.

قال في المعتبر والمنتهى: الأذان عند أهل البيت عليهم السلام وحي على لسان جبرئيل علّمه رسول الله علياً عليه السلام، وأطبق الجمهور على خلافه ورووا انّه برؤيا عبد الله بن زيد وعمر.

أقول: وفي روايات المخالفين انّ المسلمين حين قدموا المدينة كانوا يجتمعون ويتحيّنون الصلوات وكان لا ينادى بها أحد فشاوروا بينهم، أو مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في ذلك، فقال: بعضهم اتخذوا ناقوساً كالنصارى، وقال: بعضهم قرناً مثل قرن اليهود، وعن أنس: تنوّروا ناراً، وقال: آخرون النار والبوق شعار اليهود والناقوس شعار النصارى فيلتبس أوقاتنا بأوقاتهم فقال عبد الله بن زيد انّي رأيت الأذان في المنام، وقيل: انّ أبيّاً قال: رأيته في النوم وقيل: ان عمر قال مثل ذلك، فقال: عمر عند ذلك أو لا تبعثون رجلاً ينادي بألفاظ الأذان.

أقول: قاتلهم الله كيف هوّنوا بأحكام الله ليتهيّأ لهم القياس والإستحسان في دين الله، ثمّ ان هذا الخبر يدلّ على انّ بالنوم لا تثبت الأحكام، ويمكن أن يخصّ بابتداء شرعيّتها ورأيت في بعض أجوبة العلامة رحمه الله عمّا سئل عنه تجويز العمل بما يسمع في المنام عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام إذا لم يكن مخالفاً للإجماع، لما روي من انّ الشيطان لا يتمثّل بصورتهم وفيه إشكال(٢٨٩).

وأضاف بقوله في بحار الأنوار بعد إيراده لما ورد في المقام من النصوص وجملة من الأقوال: بقي الكلام في انه هل يكون حجّة في الأحكام الشرعية؟ فيه إشكال فإنه قد ورد بأسانيد صحيحة عن الصادق عليه السلام في حديث الأذان أنّ دين الله تبارك وتعالى أعزّ من أن يرى في النوم، ويمكن أن يقال: المراد أنّه لا يثبت أصل شرعيّة الأحكام بالنوم، بل إنّما هي بالوحي الجليّ، ومع ذلك ينبغي أن يخصّ بنوم غير الأنبياء والأئمة عليهم السلام لما مرّ أنّ نومهم بمنزلة الوحي، لكن هذه الأخبار ليست بصريحة في وجوب العمل به، إذ لعلّه مع العلم بكونه منهم عليهم السلام لم يجب العمل به، إذ مناط الأحكام الشرعيّة العلوم الظاهرة، كما أنّ النبيّ والأئمة عليهم السلام كانوا يعرفون كفر المنافقين وفسق الفاسقين ونجاسة أكثر الأشياء، لكنّ الظاهر أنّهم لم يكونوا مأمورين بالعمل بهذا العلم، بل كانوا يستندون في تلك الأحكام إلى الأمور الظاهرة من المشاهدة وسماع البيّنة، مع أنّ الظاهر أنّ هذا من مسائل الأصول، ولابدّ فيه من العلم، ولا يثبت بأخبار الآحاد المفيدة للظنّ

وأيضاً ما يرى في المنام قد يحتاج إلى تعبير وتأويل، فلعلّ ما رآه ممّا له تعبير وهو لا يعرفه وإن لم يكن من قبيل الأضغاث(٢٩٠).

## (الأمر الخامس)

وفيه ننقل طائفة من كلمات علمائنا الأعلام المصرحين بجواز العمل بما يصل إليهم علمه عن طريق الرؤيا عن النبي صلّى الله عليه وآله أو أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام:

قال السيّد نعمة الله الجزائري (قده) بعد أن أورد قوله صلّى الله عليه وآله من رآني فقد رآني فإنّ الشيطان لا يتخيّل بي.. الخ في كتابه الأنوار النعمانية: إنّ هذا الخبر مروي عن الأئمة عليهم السلام في شأن المنامات والأحلام وهو صريح في أنّ المراد أنّه من رآني في المنام فقد رآني لأن الشيطان لا يتمثّل بصورتي ولا بصورة أحد من أهل بيتي.

وأمّا قوله صلّى الله عليه وآله: إنّ المؤمن والكافر يشاهده فالجواب عنه أنّ الظاهر أنّه خطاب للمؤمنين لأنّهم المنتفعون برؤيته وإن رآه واحد من الكفار للإرتداع عن مذهبه الباطل فهو أيضاً مؤمن في القديم زاغ عن الحق أياماً أمّا بآبائه وأمهاته أو بالشبهات ثم رجع إليه وأمّا أنّ المؤمنين يرونه بالصور المختلفة فهو حق وذلك لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام قد كانوا يظهرون للناس في عالم اليقظة على صفات مختلفة وصور متضادة على قدر ما تحتمله عقولهم وأوهامهم كما تقدّم سابقاً وأمّا انهم يفتون الناس بالأحكام المتضادة فقد كان هذا في عالم اليقظة أيضاً خصوصاً مولانا الصادق عليه السلام فإنّه كان يفتي شيعته بالفتاوي المتضادّة ويخالف بينهم لمصالحهم كما قال عليه السلام: أنا الذي خالفت بينهم ولولاه لأخذ الناس برقابهم فالمصلحة التي تكون في اليقظة تكون في النوم أيضاً وذلك أنّ الناس مرضى والإمام الطبيب الحاذق فهو يصف لكل داء دواءاً.

ومن ثم ترى الأطياف قد اختلفت في الحشيشة التي يسمونها الناس بالتتن فبعضهم نقل أنّه رأى الإمام عليه السلام فنهاه عن شربها واستعمالها وبعضهم نقل أنّه رأى الإمام عليه السلام وقد أمره باستعمالها وذلك أنّ حكمها يختلف باختلاف الطبائع والأمزجة فربما وافقت طبيعة وأثرت بأخرى كبعض الأدوية والعقاقير فكلا من الطيفين حق.

ثم قال: وحيث بلغ بنا الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بإرخاء العنان لتحقيق هذا المرام. فنقول: هذه الحشيشة المذكورة لم يرد بخصوصها نص من الشارع مثل غيرها من سائر النبات فإنّه لم يصل إلينا في كل نبت حديث بخصوصه مع أنّ المنقول تواتراً أنّها لم تكن مستعملةً في قديم الزمان وانما حدثت في هذه المائة وهي المائة الحادية عشر والآن جماعة موجودون يقولون إنّنا لم نرها في أوّل أعمارنا وانّما حدث استعمالها في العشرة بعد الألف إلى هذه الأمصار نعم ربما حفر الناس الآبار والحفائر وأخرجوا من تحت الأرض آلات استعمالها وهذا لا يدل على ان تلك الآلات لهذا بخصوصه إذ ربما كانت آلة لغيره ومن جهة اختلاف الأطياف والمنامات في تلقي الأحكام من المعصوم عليه السلام أشكل الأمر في جعل الرؤيا دليلاً شرعياً يجب العمل به إذ ليس له قاعدةً كلية يجب إطّرادها فيه.

وقد كان بعض المعاصرين يذهب إلى تحريم صلاة الجمعة ويشنع على من يفعلها بل ربما قال بكفره ثم بعد برهة من الزمان مال إلى وجوبها وفعلها فقيل له في ذلك فقال: إني رأيت الإمام عليه السلام بالمنام وأمرني بفعلها فصلاّها مدة ثم تركها ولعله قال: إنّ الإمام نهاني عنها في المنام وليس مثل هذا إلا مفراً إذا أعيت عليه الأحكام.

ثم قال: إذا عرفت هذا فاعلم أنّ جماعة من علماء العصر كالمولى علي نقي وشيخنا الشيخ فخر الدين الطريحي والشيخ التقي الشيخ علي ابن سليمان البحراني وبعض فضلاء البحرين وربما تابعهم بعض المتفقهين ذهبوا إلى تحريمه(٢٩١) حتى انّ المولى علي نقي تغمّده الله برحمته صنّف كتاباً كبيراً في تحريمه وقد أطلعني عليه ولده لما كان يقرأ عليَّ في علم العربية في شيراز وكان مجلداً كبيراً والباقي على التحليل حتى أن التقي المجلسي طاب ثراه كان يشربه في صوم التطوّع ويترك استعماله في الصوم الواجب حذراً من كلام العوام ولهم(٢٩٢) على التحريم دلائل:

ثم سردها إلى أن قال: رابع دلائلها التأويل على الرؤيا والمنامات بأنّ بعض الناس قد رأوا أحد المعصومين عليهم السلام وقد نهى عنه وذمّ شاربيه ثم أتم الدلائل المحتج بها في المقام وأجاب عن كل واحد منها إلى أن وصل إلى ما خصصناه بالذكر منها فقال: وأمّا الجواب عن الدليل الرابع وهو المنامات فقد عرفته سابقاً وانّه يختلف باختلاف الأشخاص فربّما كان نافعاً لبعض الأبدان ضاراً

للبعض الآخر فلا يدخل تحت قاعدة كلية فلا يكون مدركاً للأحكام الشرعية، إنتهى كلامه.

ومثله ما نقله المحدّث النوري في دار السلام عن الشيخ جعفر النجفي في رسالة الحق المبين من أنّه حكى فيها عن بعض العلماء أنّه رأى الإمام عليه السلام في المنام وقد نهاه عن شرب الغليان وعن آخر انّه رآه عليه السلام يشربه فيه فلم ينهه.

وحكى السيد شبر في مصابيحه عن الفاضل الصفدي انّه قال قد تكلّم الفقهاء فيمن رأى النبي صلّى اللّه عليه وآله وأمره بأمر هل يلزم العمل به أم لا؟ قالوا إنّ أمره بما يوافق أمره يقظةً فلا كلام فيه وان أمره بما يخالف أمره يقظةً فإن قلنا أنَّ من رآه على الوجه المنقول في صفته فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بأرجحهما وما ثبت في اليقظة فهو أرجح فلا يلزمنا العمل بما خالف أمره يقظةً.

ثم قال العلاّمة الحلي (ره) يجوز العمل بما يسمع في المنام عن النبي والأئمة إذا لم يكن مخالفاً للإجماع لما روي من أنَّ الشيطان لا يتمثل بصورتهم، ثم قال بعده: ومثل هذه المنامات الحسنة تصلح مؤكدة ومرجّحة إنتهى كلامه.

وقال العلاّمة الشيخ أحمد بن طوق في رسالته التي عقدها في أجوبة مسائل السيد حسين الفردوسي: وتتحقّق رؤية المعصوم في المنام كما تتحقق رؤيته في اليقظة إلا انه في اليقظة يبصره الناظر له بعين جسميّة وفي المنام بعين مثاليّة فإن أمكن رؤيته ومعرفته في اليقظة أمكن رؤيته ومعرفته في المنام وإن لا يمكن ذلك في المنام لا يمكن في اليقظة وقد أمكن في اليقظة فهو في المنام ممكن لاتحاد العلّة والسبب فيهما إيجاباً وسلباً بلا فارق وهو عليه سلام اللّه يُعرفك نفسه إذا أراد في اليقظة والمنام على حد سواء ولقد أراك نفسه في الميثاق فعرفته يقيناً وستراه عند الإحتضار وفي القبر وفي الرجعة وفي القيامة وتعرفه في كل ذلك يقيناً بل معرفته في المنام وفي كل المراتب أشد وأقوى من معرفته في اليقظة لأنك تعرفه في كل مقام بما يناسبه من المعرفة وهو في كل ذلك لا يشبه أحداً ولا يتوقف معرفتك له إذا ظهر لك في مقام على إحاطتك بجميع صور البشر وإلا لم يكن حجّة على بشر إذ لا فرق في ذلك بين اليقظة والمنام بل جميع ما خلق اللّه دونه يعرفه من الثرى إلى العرش ولكن كل أحد من مقامه في الوجود فليس الحجر يعرفه بالصورة البشرية وليس البشر يعرفه بالصورة الملكية ولا الجبروتية لأنه لا تكمل حجّة اللّه إلا إذا ظهر لكل

أحد بما يمكن قبوله منه وما يأنس به من الصور فلو ظهر للبشر بصورة الملك لم يقبلوا منه بكمال الإختيار والله العالم(٢٩٣).

وقال الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه جنّة المأوى: «أما صحّة الحديث فهو من الشهرة والإستفاضة بمكان وقد اتّفق على روايته في الجملة رواة العامة والخاصة وهو وإن وقع الإختلاف في ألفاظه وتراكيبه ولكن القدر المشترك منه وهو عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثّل بصورتي» مستفيض(٢٩٤).

وحكى لي أحد الفضلاء في مدينة قم عن المحقق النائيني ـ ره ـ أنه حكي عنه في مقام تعارض الأدلة في مسألة ما وفقد المرجحات لأحد الطرفين يجوز التعويل على رؤيا رؤيت بتوسط أحد الثقاة في المسألة وتعتبر مرجحاً شرعياً وكذلك بما معناه انه لو رأى الفقيه الإمام المعصوم في عالم الرؤيا وأخبره بحكم ما فإنّ عليه أن يأخذه ويجعله في كفّة أخرى ثم يعرضهما على الكتاب ثم يأخذ بالأقرب منهما إلى ظاهر لفظ القرآن ويذر الآخر وظاهر كلامه ان صح النقل انه لا فرق بين عالم الرؤية والعلم المأثور في عالم اليقظة المتواتر بشأن أخذ الأحكام.

## (الأمر السادس)

في ذكر ما أفاده بعض علمائنا في التوفيق بين أدلة المنع والقول بالجواز.

قال الشيخ المفيد عطّر الله مرقده في محكي كنز الفوائد:

أما رؤية الإنسان للنبي(ص) أو أحد الأئمة(ع) في المنام، فإن ذلك عندي على ثلاثة أقسام: قسم أقطع على صحته، وقسم أقطع على بطلانه، وقسم أجوز فيه الصحة والبطلان، فلا أقطع فيه على حال.

فأما الذي أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبي(ص) أو أحد الأئمة(ع)، وهو فاعل لطاعة أو آمر بها، وناه عن معصية أو مبيّن لقبحها وقائل بالحق أو داع إليه، أو زاجر عن باطل، أو ذام لما هو عليه.

وأما الذي أقطع على بطلانه فهو كل ما كان على ضد ذلك، لعلمنا أن النبي والإمام عليهما السلام صاحبا حق، وصاحب الحق بعيد عن الباطل.

وأما الذي أجوز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذي يرى فيه النبي أو الإمام عليهما السلام، وليس هو آمراً ولا ناهياً، ولا على حال يختص بالديانات، مثل أن

يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً ونحو ذلك.

فأما الخبر الذي يروى عن النبي(ص) من قوله: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتشبه بي».

فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون في حال، ويكون المراد به القسم الأول من الثلاثة الأقسام، لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي(ص) في شيء من الحق والطاعات.

وأما ما روي عنه (ص) من قوله: «من رآني نائماً فكأنما رآني يقظاناً». فإنه يحتمل أحد وجهين:

أحدهما أن يكون المراد به رؤية المنام ويكون خاصاً كالخبر الأول على القسم الذي قدمناه.

والثاني أن يكون أراد به رؤية اليقظة دون المنام، ويكون قوله(نائماً) حالاً للنبي(ص) وليست حالاً لمن رآه، فكأنه قال: من رآني وأنا نائم، فكأنما رآني وأنا منتبه.

والفائدة في هذا المقام أن يعلمهم بأنه يدرك في الحالتين إدراكاً واحداً، فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده وهو نائم أن يفيضوا فيما لا يحسن ذكره بحضرته وهو منتبه.

وقد روي عنه(ص) أنه غفا ثمّ قام يصلي من غير تجديد الوضوء، فسئل عن ذلك؟ فقال: إني لست كأحدكم تنام عيني ولا ينام قلبي.

وجميع هذه الروايات أخبار آحاد، فإن سلّمت فعلى هذا المنهاج.وقد كان شيخي رحمه الله يقول: إذا جاز من بشر أن يدعي في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه، مع قلة حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة، فما المانع من أن يدّعي إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبي، مع تمكن إبليس بما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام.

ومما يوضح لك أن من المنامات التي يتخيل للإنسان أنه قد رأ ى فيها رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم، منها ما هو حق، ومنها ما هو باطل. إنك ترى الشيعي يقول: رأيت في المنام رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يأمرني بالإقتداء به دون غيره، ويعلمني أنه خليفته من

بعده.

ثم ترى الناصبي يقول: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله في النوم، ومعه أبوبكر وعمر وعثمان، وهو يأمرني بمحبتهم، وينهاني عن بغضهم، ويعلمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة، وأنهم معه في الجنة، ونحو ذلك.

فتعلم ــ لا محالة ــ أن أحد المنامين حق والآخر باطل، فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه. والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه.

وليس يمكن للشيعي أن يقول للناصبي: إنك كذبت في قولك: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه. وقد شاهدنا ناصبياً تشيّع، وأخبرنا في حال تشيعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه في حال نصبه. فبان بذلك أن أحد المنامين باطل، وأنه من نتيجة حديث النفس، أو من وسوسة إبليس، ونحو ذلك، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعبده على المعنى المتقدم وصفه.

وقولنا في المنام الصحيح أن الإنسان إذا رأى في نومه النبي صلّى الله عليه وآله إنما معناه أنه كان قد رآه، وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي، وأي بصر يدرك به حال نومه؟ وإنما هي معان تصورت في نفسه، تخيل له فيه أمر لَطَفَ الله تعالى له به، قام مقام العلم. وليس هذا بمناف للخبر الذي روي من قوله (من رآني فقد رآني)، لأن معناه فكأنما رآني. وليس بغلط في هذا المكان إلا عند من ليس له من عقله اعتبار(٢٩٥).

وفي المسائل المهنائية سأل السيد مهنا بن سنان العلامة الحلي قدّس الله روحه بقوله: ما يقول سيدنا فيمن رأى في منامه رسول الله صلّى الله عليه وآله أو بعض الأئمة وهو يأمره بشيء وينهاه عن شيء؟ هل يجب عليه امتثال ما أمره به واجتناب ما نهاه عنه أم لا يجب ذلك مع ما صح عن سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وإنّه قال: «من رآني في منامه فقد رآني فإنّ الشيطان لم يتمثل بي» وغير ذلك من الأحاديث؟ وما قولكم لو كان ما أمر به أو نهى على خلاف ما في أيدي الناس من ظاهر الشريعة؟ هل بين الحالين فرق أم لا؟ إفتنا في ذلك مبيّناً جعل الله كل صعب عليك هيناً.

فأجاب نوّر الله ضريحه بقوله: أمّا ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه وأمّا ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب لأنّ رؤيته عليه السلام لا تعطي وجوب الإتباع في المنام إنتهى كلامه.

وقال المحقق البحراني الشيخ يوسف قدّس سره في الدرر النجفية بعد ما نقل كلام العلامة المتقدم ما نصه: لا يخفى ما في كلام السائل والمسؤول من التأييد لما قدمناه من كون رؤيته صلّى الله عليه وآله في المقام رؤية حقيقية لا أنّها عبارة عن مجرد حصول الصورة في الحس المشترك الذي هو عبارة عن مجرد تخيّله وتصوّره، إذ مجرد التخيّل والتصوّر لا يصح أن يترتب عليه حكم شرعي لا وجوباً ولا استحباباً ثم قال: وحاصل جواب العلاّمة رحمه الله إنّه وإن كان قد رآه في المنام إلاّ إنّه لم يقم دليل على وجوب الإتباع في الرؤية اليومية وهو جيّد.

## (الأمر السابع)

ونذكر فيه ما ورد من امتناع مجيء النبي صلّى الله عليه وآله أو أحدهم عليهم السلام للمنحرف والضالّ والمدعي في عالم الرؤيا:

روى الكشي بسنده عن بريد بن معاوية العجلي قال: كان حمزة بن عمارة الزبيدي لعنه الله يقول لأصحابه: إنّ أبا جعفر [الباقر] عليه السلام يأتيني في كل ليلة [أي في عالم الرؤيا] ولا يزال انسان يزعم انه قد أراه إيّاه فقُدّر لي أني لقيت أبا جعفر عليه السلام فحدثته بما يقول حمزة فقال: كذب عليه لعنة الله ما يقدر الشيطان أن يتمثّل في صورة نبي ولا وصي نبي.

وفيه أيضاً بسنده عن زرارة قال: قال أبو عبد الله [الصادق] عليه السلام: اخبرني عن حمزة أيزعم أن أبي يأتيه؟ قلت: نعم، قال: كذب والله ما يأتيه إلا المتكون إن ابليس سلط شيطاناً يقال له المتكون يأتي الناس في أيّ صورة شاء، إن شاء في صورة كبيرة وإن شاء في صورة صغيرة ولا والله ما يستطيع أن يجيء في صورة أبي عليه السلام(٢٩٦).

## (الأمر الثامن)

وفيه نورد بعض ما ورد بشأن الإتصال بالإمام الحجة عن طريق الرؤيا في زمن الغيبة الكبرى:

قال العلاّمة المولى محمد تقي المجلسي ــ قدس سره ــ والد صاحب البحار في كتاب روضة المتّقين:

أما اليوم وإن كان الولي غائباً فآثار الأئمة المعصومين عليهم السلام ظاهرة والعلماء المؤيّدين عن الله موجودون مع انه اشتهر كثيراً هدايات الصاحب عليه السلام لجماعة من العلماء عن المشكلات والحمد لله رب العالمين على انه كلما تشرفت بخدمته عليه السلام في الرؤيا الصادقة الظاهرة آثارها كما ورد في الأخبار أن غيبته كغيبة الشمس تحت السماء ونفعها ظاهر لا يخفي(٢٩٧).

وذكر ما يقرب منه السيّد رضي الدين بن طاووس في كتاب كشف المحجّة لثمرة المهجة وذلك في خطابه لابنه المصنَّف لأجله الكتاب: إن في يوم ولادتك جعلتك بأمر الله عبد مولانا المهدي عليه السلام ومتعلقاً عليه وقد احتجنا كم مرّة عند حوادث حدثت لك إليه ورأيناه في عدّة منامات وقد تولى قضاء حوائجك بإنعام عظيم في حقّنا وحقك لا يبلغ وصفي إليه(٢٩٨).

أقول: ولا يخفى على من أحاط بما أسلفنا ذكره وبسطنا المقال فيه أنّ مثل هذه الرؤية مما لا يمتنع جوازها وليس فيها ما يمت بدعوى السفارة من قريب أو بعيد وقد سبق أن أوضحنا ذلك في ص ٢٧٣ تحت عنوان الفترات الزمنية التي نشأت فيها ظاهرة دعوى السفارة في الفترة الزمنية الثانية منها فتنبّه.

## (السلاح الثاني)

## ظاهرة أثر العين (الحسد)

قال شيخ الطائفة الطوسي في تفسير التبيان: قد روي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم انه قال: العين حق وانه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال في عوذته: «وأعيذكما من كل عين لامّة» وقد رويت فيه أخبار كثيرة وقد جرت العادة به... وليس يمتنع أن يكون الله تعالى أجرى العادة لضرب من المصلحة أنه متى نظر إنسان إلى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة إهلاكه أو إمراضه أو إتلاف ماله فالمنع من ذلك لا وجه له((٢٩٩).

وحكى العلاّمة المجلسي ــ قدس سره ــ في البحار عن الشريف الرضي ــ ره ــ انه قال في شرح قول النبي صلّى الله عليه وآله: «إنّ العين حق» إنّ الله يفعل المصالح بعباده

على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الأفعال الّتي يفعلها، فغير ممتنع أن يكون تغييره نعمة زيد مصلحةً لعمرو، وإذا كان تعالى يعلم من حال عمرو أنّه لو لم يسلب زيداً نعمته أقبل علىّ الدنيا بوجهه، ونأى عن الآخرة بعطفه، وإذا سلب نعمة زيد للعلّة الّتي ذكرنا عوّضه عنها، وأعطاه بدلاً منها عاجلاً وآجلاً، فيمكن أن يتأوّل قوله عليه السلام «العين الحقّ» على هذا الوجه، على أنّه قد روي عنه عليه السلام ما يدلّ على أنّ الشيء إذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره، وصغّر أمره، وإذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الأشياء عند بعض الناظرين إليه، واستحسانه له، وعظمه في صدره، وفخامته في عينه، كما روي أنّه قال: ــ لمّا سبقت ناقته العضباء، وكانت إذا سوبق لها لم تُسبق ــ: «ما رفع العباد من شيء إلاّ وضع الله منه» ويجوز أن يكون ما أُمر به المستحسن للشيء عند الرؤية من تعويذه بالله والصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله قائماً في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن، فلا تغيير عند ذلك، لأنّ الرائي لذلك قد أظهر الرجوع إلى الله تعالى والإعاذة به فكأنّه غير راكن إلى الدنيا، ولا مغترّ بها ــ إنتهى كلامه رضي الله عنه ــ (٣٠٠).

وقال أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره لحكاية الله عزّوجل عن وصيّة يعقوب لبنيه:

قوله: «لا تدخلوا من باب واحد» خاف عليهم العين، لأنّهم كانوا ذوي جمال، وهيئة وكمال، وهم إخوة، أولاد رجل واحد، عن ابن عبّاس والحسن وقتادة والضحّاك والسدي وأبو مسلم، وقيل: خاف عليهم حسد الناس إيّاهم، وأن يبلغ الملك قوّتهم وبطشهم، فيحبسهم أو يقتلهم خوفاً على ملكه، عن الجبائي، وأنكر العين وذكر أنّه لم يثبت بحجّة، وجوّزه كثير من المحقّقين، ورووا فيه الخبر عن النبي صلّى الله عليه وآله: «إنّ العين حق تستنزل الحالق» والحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل عليه السلام العين كأنها تحط ذروة الجبل، من قوّة أخذها، وشدّة بطشها وورد في الخبر انه صلّى الله عليه وآله كان يعوّذ الحسن والحسين عليهما السلام بأن يقول: «أُعيذكما بكلمات الله التامّة، من كلّ شيطان وهامّة، ومن كلّ عين لامّة» وروي أنّ بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلماناً بيضاً، فقالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إنّ العين إليهم سريعة، أفأسترقي لهم من العين؟ فقال صلّى الله عليه وآله: نعم، وروي أنّ جبرئيل عليه السلام رقى رسول الله صلّى الله عليه وآله وعلّمه الرقية، وهي: «بسم الله أرقيك من كلّ عين

حاسد الله يشفيك» وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين.

ثمّ اختلفوا في وجه تأثير الإصابة بالعين، فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ أنّه قال: لا ينكر أن ينفصل من العين الصائبة إلى الشيء المستحسن أجزاء لطيفة تتّصل به وتؤثّر فيه، ويكون هذا المعنى خاصّة في بعض الأعين كالخواصّ في بعض الأشياء، وقد اعترض على ذلك بأنّه لو كان كذلك لما اختصّ ذلك ببعض الأشياء دون بعض، ولأنّ الأجزاء تكون جواهر، والجواهر متماثلة، ولا يؤثّر بعضها في بعض، وقال أبو هاشم: إنّه فعل الله بالعادة لضرب من المصلحة، وهو قول القاضي.

## ما ورد لإبطال أثر العين:

جاء في المكارم عن معمر بن خلاّد قال: كنت مع الرضا عليه السلام بخراسان على نفقاته فأمرني أن اتّخذ له غالية (اخلاط من الطيب) فلما اتخذتها فأعجب بها فنظر إليها فقال لي: يا معمّر إن العين حق، فاكتب في رقعة: الحمد وقل هو الله أحد والمعوذتين وآية الكرسي واجعلها في غلاف القارورة.

وفيه أيضاً عن زرارة قال: ينفث في المنخر الأيمن أربعاً والأيسر ثلاثاً، ثم يقول: (باسم الله لابأس أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا يكشف البأس إلاّ أنت).

وعن الصادق عليه السلام قال: لو كان شيء يسبق القدر سبقته العين.

ومما روى فيه أيضاً عوذة للعين:

(اللّهمَّ ربّ مطر حابس وحجر يابس وليل دامس ورطب ويابس ردّ عين العين عليه في كبده ونحره وماله، فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير).

وعنه عليه السلام أنّه قال: لا عدوى ولا طيرة ولا هام، والعين حقّ، والفأل حقّ، فإذا نظر أحدكم إلى إنسان أو دابّة أو إلى شيء حسن فأعجبه فليقل «آمنت بالله وصلى الله على محمّد وآله» فإنّه لا يضرّه عينه.

ولمن تصيبه العين قال أيضاً فيما رواه:

يقرأ فاتحة الكتاب ويكتب (باسم الله أعيذ فلان بن فلانة بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ ومن كل عين ناظرة وأذن سامعة ولسان ناطق، إنَّ ربّي على صراط مستقيم، ومن شرّ الشيطان وعمل الشيطان وخيله ورجله، وقال: يا بنيَّ لا تدخلوا من باب

واحد وادخلوا من أبواب متفرّقة).

وزاد إبن طاووس رضوان الله عليه في كتاب المجتنى من الدعا المجتبى بنقله عن كتاب الأدعية المروية عن الحضرة النبوية بإسناده عن الإمام عليّ عليه السلام قال: أتى النبي صلّى الله عليه وآله [جبرئيل] فقال: يا محمد ما هذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال: الحسن والحسين أصابتهما عين، فقال: يا محمّد صَدّق العين فإن العين حق، ثم قال: أفلا عوذتهما بهذه الكلمات؟ قال: وما هي يا جبرئيل؟ فقال: قل: «اللّهمّ ياذا السلطان العظيم والمنّ القديم والوجه الكريم يا ذا الكلمات التامّات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجنّ وأعين الإنس» فقالها النبي صلّى الله عليه وآله فقاما يلعبان بين يديه فقال لأصحابه: عوذوا نساءكم وأولادكم بهذه التعويذ فإنه لا يتعوّذ المتعوذون بمثله.

## السلاح الثالث

## (علم الفراسة)

قال الحاجي خليفة في كشف الظنون:

عده صاحب مفتاح السعادة من فروع العلم الطبيعي وقال: وهو علم يعرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء، وبالجملة الإستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن وموضوعه ومنفعته ظاهران ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب الإمام الرازي خلاصة كتاب ارسطو مع زيادات مهمة ولاقليمون كتاب في الفراسة يختص بالنسوان وكتاب السياسة لمحمد بن الصوفي مختصر مفيد في هذا العلم وكفى بهذا العلم شرفاً قوله تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسّمين وقوله سبحانه: «تعرفهم بسيماهم» وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: اتّقوا فراسة المؤمن، إنتهى(٣٠١).

وقال فخر الدين الطريحي في المجمع: الفِراسَة بالكسر الإسم من قولك: «تفرست فيه خيراً» وهي نوعان: (أحدهما) ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بعض أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحدس والظن وهو ما دلّ عليه ظاهر الحديث «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» (وثانيهما) نوع يعلم بالدلائل وا لتجارب والأخلاق(٣٠٢).

## السلاح الرابع

# علم القيافة

قال حاجي خليفة في كشف الظنون:

القيافة على قسمين قيافة الأثر ويقال لها العيافة وقد مرت وقيافة البشر وهي المرادة ههنا وعلم القيافة علم باحث عن كيفية الإستدلال بهيئات أعضاء الشخصين إلى المشاركة والإتحاد في النسب والولادة وسائر أحوالهما والإستدلال بهذا الوجه مخصوص ببنى مدلج من العرب فلا يمكن تعلمه ولحكمة الإختصاص تؤول إلى صيانة النسبة النبوية كما قال بعض الحكماء وخص بالعرب لعدم حصانة ألسنتهم عما يورث خبث الحسب وشوب النسب من فساد البذر وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين لا بالإستدلال واليقين والله سبحانه وتعالى أعلم، وإنما سمي به أي قيافة البشر لأن صاحبه يتبع بشرة الإنسان وجلده وأعضائه واقدامه وهذا العلم لا يحصل بالدراسة والتعليم ولهذا لم يصنف فيه وذكروا ان اقليمون صاحب الفراسة كان يزعم في زمانه انه يستدل بتركيب الإنسان على أخلاقه فأراد تلامذة بقراط أن يمتحنوه به فصوّروا صورة بقراط ثم نهضوا بها إليه وكانت يونان تحكم الصورة بحيث تحاكي المصوّرة من جميع الوجوه في قليل أمرها وكثيره لأنهم كانوا يعظمون الصورة ويعبدونها فلذلك يحكمونها وكل الأمم تبع لهم في ذلك ولذلك يظهر التقصير من التابعين في التصوير ظهوراً بينا فلما حضروا عند اقليمون ووقف على الصورة وتأملها وأمعن النظر فيها قال: هذا رجل يحب الزنا وهو لايدري من هو فقالوا له كذبت هذه صورة بقراط فقال: لابدّ لعلمي أن يصدق فاسألوه فلما رجعوا إليه وأخبروه بما كان قال: صدق اقليمون أنا احبّ الزنا ولكن أملك نفسي كذا في تاريخ الحكماء(٣٠٣).

وقال فخر الدين الطريحي في المجمع: في الحديث «لا آخذ بقول قائف» هو الذي يعرف الآثار ويُلحق الولَد بالوالد والأخ بأخيه والجمع قافَة من قولهم قَفْتُ أثره إذا تبعته مثل قَفَوْتُ أثره(٣٠٤).

وقال المحقق البحراني في حدائقه بعد ذكره للمسألة:

الدليل من الأخبار على التحريم غير ظاهر وليس إلا ما يدّعى من الإجماع نعم يمكن أن يقال ان الحكم بإلحاق شخص بآخر الموجب لترتّب أحكام كثيرة مثل حل النظر والميراث وتحريم المناكحة ونحو ذلك يحتاج إلى دليل شرعي قاطع(٣٠٥).

أقول: وروى رئيس المحدّثين الصدوق في الخصال بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من تكهّن أوتكهّن له فقد برئ من دين محمد صلّى الله عليه وآله،

قال: قلت: فالقيافة [فالقافة خ] قال: ما أُحبّ أن تأتيهم، وقيل: ما يقولون شيئاً إلاّ كان قريباً مما يقولون فقال: القيافة فضلة من النبوّة ذهبت في الناس حين بعث النبيّ صلّى الله عليه وآله(٣٠٦).

وورد في الجعفريات بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: «من السحت ثمن الميتة ــ إلى أن قال: ــ وأجر الكاهن ــ إلى أن قال: ــ وأجر القافي» الخبر(٣٠٧).

# السلاح الخامس

## علم الزايرجة

قال حاجي خليفة في كشف الظنون:

هو من القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب المنسوبة إلى العالم المعروف بأبي العباس أحمد السبتي وهو من أعلام المتصرفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة بمراكش وبعهد يعقوب ابن منصور من ملوك الموحدين وهي كثيرة الخواص يولعون باستفادة الغيب منها بعملها، وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر وللمكونات والروحانيات إلى غير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة منها مقسومة بانقسام فلكها إلى البروج والعناصر وغيرها وخطوط كل منها مارة إلى المركز ويسمونها الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فمنها برسوم الزمام التي هي من أشكل الأعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب ومنها برسوم قلم الغبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الأكوان وعلى ظهور الدوائر جدول مستكثر للبيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومائة وإحدى وثلاثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب اخر منه خالية البيوت ولا يعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت وجانبي الزايرجة أبيات من عروض بحر الطويل على روي اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب منها إلا انها من قبيل اللغز في عدم الوضوح وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب إلى بعض أكابر أهل الحذاقة بالمغرب وهو مالك بن وهب الذي كان من علماء اشبيلية في الدولة اللمتونية والبيت هذا:

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذا غرائب شك ضبطه الجد مثلا

وفيه استخراج الجواب لما سئل عنه من المسائل على قانونه وذلك انما وقع من مطابقة الجواب للسؤال لأن الغيب لا يدرك بأمر صناعي البتة وانما المطابقة فيها بين الجواب والسؤال من حيث الإفهام ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المجتمعة من السؤال والأوتار غير مستنكر وقد وقع اطلاع بعض الأذكياء على التناسب فحصل به معرفة المجهول منها بالتناسب بين الأشياء وهو سر الحضور وعلى المجهول من المعلوم الحاصل للنفس بطريق حصوله سيما الرياضة فإنها تفيد العقل زيادة ولذلك ينسبون الزايرجة إلى أهل الرياضة في الغالب وزايرجة منسوبة إلى سهل بن عبد الله أيضاً وهي من الأعمال الغريبة في تاريخ ابن خلدون وهي غريبة العمل وصنعته عجيبة وكثير من الخواص يعملون بها بإفادة الغيب وحلها صعب على الجاهل(٣٠٨).

# السلاح السادس

## (علم استنزال الأرواح واستحضارها في قوالب الأشباح)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون:

وهو من فروع علم السحر، واعلم ان تسخير الجن أو الملك من غير تجسدها وحضورها عندك يسمى علم العزائم بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتهما وأما حضور الجن عندك وتجسدها في حسك يسمى علم الإستحضار ولا يشترط تحصيل مقاصدك بها وأما استحضار الملك فإن كان سماوياً فنجده لا يمكن إلا في الأنبياء وإن كان أرضياً ففيه الخلاف كذا في مفتاح السعادة ومن الكتب المصنفة فيه كتاب ذات الدوائر وغيره(٣٠٩).

وقد ورد في حديث الزنديق الذي سأل الإمام الصادق عليه السلام المروي في كتاب الإحتجاج للطبرسي قال الزنديق: فمن أين أصل الكهانة، ومن أين يخبر الناس بما يحدث؟ فأجابه عليه السلام بقوله: ان الكهانة كانت في الجاهلية في كل حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم، فيخبرهم عن أشياء تحدث، وذلك من وجوه شتى، فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس، وفتنة الروح، مع قذف في قلبه، لأن ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلم الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف، وأما

أخبار السماء فإن الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك، وهي لا تحجب، ولا ترجم بالنجوم، وانما منعت من استراق السمع لئلا يقع في الأرض سبب تشاكل الوحي من خبر السماء، فيلبس على أهل الأرض ما جائهم عن الله، لإثبات الحجة، ونفي الشبهة، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها، ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده، فيخلط الحق بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو ما أداه إليه الشيطان لما سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمنذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم انما تؤدي الشياطين إلى كهانها أخباراً للناس بما يتحدثون به، وما يحدثونه، والشياطين تؤدي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث، من سارق سرق ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً، صدوق وكذوب.

قال: وكيف صعدت الشياطين إلى السماء وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليهما السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال: غلظوا لسليمان كما سخروا وهم خلق رقيق، غذائهم النسيم، والدليل على كل ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الإرتقاء إليها بسلم أو بسبب(٣١٠).

وقال الشهيد الثاني في المسالک عند تعداده لما يندرج ضمن السحر: ومنه استخدام الملائكة والجن واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب واستحضارهم وتلبسهم ببدن صبي أو امرأة وكشف الغائب على لسانه فتعلم ذلك وشبهه وعلمه وتعليمه كله حرام والتكسّب به سحت اه.

## السلاح السابع

## (علم الكهانة)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون:

المراد منه مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة أي الجن والشياطين والإستعلام بهم عن الأحوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل وأكثر ما يكون في العرب وقد اشتهر فيهم كاهنان أحدهما شق والآخر سطيح وقصتهما مشهورة في السير ولا سيما في كتاب اعلام النبوة للماوردي لكنهم كانوا

محرومين بعد بعثة نبيّنا صلى الله عليه (وآله) وسلم حتى ورد في بعض الروايات انه لا كهانة بعد النبوة فلا يجوز الآن تصديق الكهنة والإصغاء إليهم بل هو من امارات الكفر لقوله عليه الصلاة والسلام: من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد تكن المفهوم من كتاب السرّ المكتوم للفخر الرازي ان الكهانة على قسمين قسم يكون من خواص بعض النفوس فهو ليس بمكتسب وقسم يكون بالعزائم ودعوة الكواكب والإشتغال بها فبعض طرقه مذكورة فيه، وان السلوك في هذا الطريق محرم في شريعتنا فعلى ذلك وجب الإحتراز عن تحصيله واكتسابه والقسم الأول داخل في علم العرافة وقد تنبّه عليه في محله فلا تغفل(٣١١).

أقول: ومما ورد فيه من النصوص:

ما رواه الفقيه محمد بن إدريس (في آخر السرائر) نقلاً من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب عن الهيثم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: انّ عندنا بالجزيرة رجلاً ربما أخبر من يأتيه يسأله عن الشيء يسرق أو شبه ذلك فنسأله، فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذّاب يصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب.

ومنه ما جاء في دعائم الإسلام عن جعفر بن محمد، عن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: «كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات ليلة، إذ رمي بنجم فاستنار، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله للقوم: ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رأيتم مثل هذا؟ قالوا: كنّا نقول: مات عظيم وولد عظيم، قال: فإنه لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة أحد، ولكن ربّنا إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش وقالوا: قضى ربّنا بكذا، فتسمع ذلك أهل السماء التي تليهم، فيقولون ذلك، حتى يبلغ ذلك إلى السماء الدنيا، فيسرق الشياطين السمع، فربّما اعتقلوا شيئاً فأتوا به الكهنة، فيزيدون وينقصون فتخطئ الكهنة وتصيب، ثم ان الله عزّوجل منع السماء بهذه النجوم فانقطعت الكهانة فلا كهانة، وتلا جعفر بن محمد عليهما السلام: «إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين» وقوله عزّوجلّ: «إنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً»(٣١٢).

وما جاء في كتاب درست بن أبي منصور: عن إبن مسكان وحديد، رفعاه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ان الله أوحى إلى نبيّ في نبوّته: أخبر قومك انهم قد استخفوا بطاعتي وانتهكوا معصيتي ـ إلى أن قال ـ: وخبّر قومك انه ليس منّي من تكهّن أو تكهّن له،

أو سحر أو تسحّر له» الخبر(٣١٣).

ومنه ما جاء في كتاب جعفر بن محمد بن شريح الحضرمي: عن عبد الله بن طلحة، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث ـ انه عدّ من السحت أجر الكاهن... الخبر(٣١٤).

ومنه ما رواه جعفر بن أحمد القمي في كتاب المانعات: عن عطية، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لا يدخل الجنّة عاق، ولا منّان، ولا ديّوث، ولا كاهن، ومن مشى إلى كاهن فصدقه بما يقول، فقد برئ ممّا انزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله» الخبر(٣١٥).

ومنه ما رواه القطب الراوندي في لبّ اللباب: عن النبي صلّى الله عليه وآله، قال: «من صدّق كاهناً، فقد كفر بما انزل على محمد صلّى الله عليه وآله».

قال فخر الدين الطريحي في المجمع: الكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدّعي معرفة الأسرار قيل: وكان في العرب كهنة كشق وسُطَيح وغيرهما فمنهم من كان يزعم انه له تابعاً من الجن يلقي إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم انه يعرف الأمور بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العرّاف كالذي يدّعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

وقال علم الهدى السيد المرتضى في المسألة السادسة عشر من مسائل جوابات المسائل الطرابلسيات الثالثة: إعلم ان الذي يحكى عن الكهان من الأخبار من الغائبات كسطيح الكاهن سخيفة لا توجب علماً ولا ظناً ومايرد هذا المورد لا يلتفت عليه، فضلاً عن أن يصدق به، والكهانة غير مستندة إلى أصل، ولا لها طريق في مثله شبهة.

وشبهة المنجمين فيما يدعونه من العلم بالأحكام، كأنها أقوى وهي باطلة، وقد كشف العلماء عن فضائحهم، ودلوا على بطلان أقوالهم.

وقد كنا أملينا منذ سنوات في جواب مسائل سئلنا عنه مسألة استوفينا فيها الكلام على المنجمين، وبينا من طرق قريبة واضحة بطلان طريقهم الذي يدل على صحة ما ذكرناه.

وأن الإخبار عن الغيوب مما ينفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجوز أن يعلمه كاهن ولا منجم، أنه قد ثبت انه لا خلاف بين المسلمين ان إحدى معجزات نبينا صلّى الله عليه وآله

الإخبار عن الغائبات الماضيات والكائنات، وأنه أدل دليل بانفراده على صحة نبوّته.

ولوكانت الكهانة صحيحة، أما باستراق السمع الذي قيل، أو بغيره من التخمين والترجيم، لما كان الخبر عن الغيوب معجزاً ولا خارقاً للعادة، ولا دالاً على نبوّة، وقد علمنا خلاف ذلك.

فأما القافة الذين يلحقون الأبناء بالإباء والقرابات بقراباتهم، فلهم على ذلك أمارات من الخلق والصور والشمائل، يستدلون بها، فيصيبون على الأكثر والكاهن لا أمارة له ولا طريقة يستند ما يخبر به إليها.

وإنما نسب عليه السلام إلى الكهانة، لإخباره عن الغيوب، وعد ذلك في جملة آياته ومعجزاته، فلما وجدوا أخباره عنها صدقاً نسبوه إلى الكهانة.

فإن قيل: إذا كنتم تقولون في أن الإخبار عن الغائبات من جملة المعجزات على إجماع المسلمين، وإجماع المسلمين انما يكون حجة إذا ثبت أنه عليه السلام نبي صادق، فقد تعلق كل أحد من الأمرين بصاحبه، فإن ادعيتم أن الإخبار عن الغيب إذا كانت صادقة كانت خارقة للعادات، مع ما يدعى للكهنة ذهبوا أن الذي يحكى عن الكهنة لا يقطع عليه، أليس هو مجوزاً على كل حال اما بأن يكون من جهة الحس، والذي يحكى من استراقهم السمع، أو على وجه آخر.

والجواب عن هذا السؤال: إنا إذا علمنا صحة نبوته عليه السلام بالقرآن، وما جرى مجراه من الآيات الباهرات، وعلمنا صحة الإجماع من بعد ذلك، ووجدناهم مجمعين على أن الإخبار عن الغائبات من جملة آياته ومعجزاته وأنه خارق للعادة، علمنا بطلان كل تجويز كل قبل ذلك في كل كاهن أو غيره، وهذا بيّن لمتأمله(٣١٦).

وقال الشيخ علي بن الشيخ عبد الله الجد حفصي البحراني في كتاب حياة القلوب وغاية المطلوب عند عدّه للمعاصي وجملة المحظورات: ومنها الإخبار عن المغيّبات على البت لغير نبي أو وصي نبي سواء كان بالتنجيم أو الكهانة وهي السحر مطلقاً أو عمل يوجب طاعة بعض الجان ويدل على ذلك خبر المناهي وغيره... ومنه استخدام الملائكة والجان واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب واستحضارهم وصرفهم ومنه تلبّسهم ببدن صبي أو امرأة وكشف الغائب على ذلك فتعلم ذلك وأشباهه وتعليمه حرام والتكسّب به سحت يقتل مستحله إلا المتوقي ودفع المتنبي ومما يدل على تحريمه خبر أبي موسى الأشعري وخبر البختري وغيرهما.

# السلاح الثامن

## علم العرافة

قال حاجي خليفة في كشف الظنون:

وهو معرفة الإستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة أو المشابهة الخفية التي تكون بينهما أو الإختلاط أو الإرتباط على أن يكونا معلولي أمر واحد أو يكون ما في الحال علة لما في الإستقبال وشرط كون الإرتباط المذكور خفياً لا يطلع عليه إلا الأفراد وذلك إما بالتجارب أو بالحالة المودوعة في أنفسهم بحيث عبر عنهم النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم بالمحدث أي المصيب في الظن والفراسة والحكايات فيهم كثيرة تجدها في كتب المحاضرات(٣١٧).

أقول: وحكى العلاّمة الشيخ باقر آل عصفور طاب ثراه في حاشيته على كتابه أحسن الحديث بقوله: ظهر في أيام الشيخ محسن الفيض الكاشاني ــ قدس سره ــ نصراني يخبر بالمخبأ فتعجّب الناس من إصابة حسابه وكاد العوام أن يعتنقوا مذهبه، فطلب الشيخ المذكور مواجهته فلما حضر عنده قبض الشيخ على قطعة تربة من حيث لا يشعر النصراني وقال له أحرز ما خبأت فأخذ يحسب ويجيل النظر يمنة ويسرة ويصوب ويصعد إلى أن قال: ان حسابي يدلني على شيء ليس من أمور الدنيا ولا يوجد في هذه النشأة واعتقد انه شيء من تراب الجنة ففتح الشيخ يده وأراه التربة وقال: الآن يلزمك أن تتخلص عن دينك لأن علمك الذي تعتقد انه ما أخطأ قط ولن يخطئ أقام عليك الحجة انّ هذه من الجنّة ولم يخبر عن فضلها وشرفها إلا نبيّنا فهذا دليل صدقه في المغيبات وفيما يخبر وان الله سبحانه أطلعه على الغيب فأسلم النصراني(٣١٨).

وروى رئيس المحدّثين الصدوق في الفقيه بإسناده عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نهى عن إتيان العراف، وقال: من أتاه وصدّقه فقد برئ ممّا أنزل الله عزّوجل على محمد صلّى الله عليه وآله(٣١٩).

وروى المحدث النعمان في دعائم الإسلام: عن أمير المؤمنين ــ صلوات الله عليه ــ انه قال: «من جاء عرافاً فسأله وصدّقه بما قال، فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وآله، وكان يقول: [إن] كثيراً من الرقى وتعليق التمائم شعبة [من الشرك](٣٢٠).

وروى الرضي في نهج البلاغة: عن نوف البكالي قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة، وقد خرج من فراشه فنظر إلى النجوم فقال: «يا نوف، إنّ داود قام في مثل هذه الساعة من الليل، فقال: إنّها ساعة لا يدعو فيها (عبد إلاّ استجيب له)، إلاّ أن يكون عشاراً، أو عريفاً، أو شرطياً»، الخبر.

وروى الصدوق في الخصال: عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن الحسين بن أبي الخطاب، عن المغيرة بن محمد، عن بكير بن خنيس، عن أبي عبد الله الشامي، عن نوف البكالي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا نوف، اقبل وصيّتي: لا تكوننّ نقيباً، ولا عريفاً، ولا عشّاراً، ولا بريداً».

وروى أبو عمرو الكشي في رجاله: عن حمدويه وإبراهيم، عن أيوب بن نوح، عن [حنان، عن] عقبة بن بشير الأسدي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: إنّي في الحسب الضخم من قومي، وإن قومي كان لهم عريف فهلك، فأرادوا أن يعرّفوني عليهم، فما ترى لي؟ فقال: أبو جعفر عليه السلام: «تمنّ علينا بحسبك! أن الله رفع بالإيمان من كان الناس يسمّونه وضيعاً إذا كان مؤمناً، ووضع بالكفر من كان يسمونه شريفاً إذا كان كافراً، وليس لأحد على أحد تفضّل إلاّ بتقوى الله، وأما قولك: إنّ قومي كان لهم عريف فهلك فأرادوا أن يعرّفوني عليهم، فإن كنت تكره الجنّة وتبغضها فتعرّف على قومك، ويأخذ سلطان جائر بامرئ مسلم يسفك دمه، فتشركهم في دمه، وعسى أن تنال من دنياهم شيئاً»(٣٢٢).

## السلاح التاسع

## (علم الإختيارات)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون:

علم الإختيارات وهو من فروع علم النجوم: فهو علم باحث عن أحكام كل وقت وزمان من الخير والشر وأوقات يجب الإحتراز فيها عن ابتداء الأمور وأوقات يستحب فيها مباشرة الأمور وأوقات يكون مباشرة الأمور فيها بين بين ثم كل وقت له نسبة خاصة ببعض الأمور بالخيرية وببعضها بالشرية وذلك بحسب كون الشمس في البروج والقمر في المنازل والأوضاع الواقعة بينهما من المقابلة والتربيع والتسديس وغير ذلك حتى يمكن بسبب ضبط هذه الأحوال اختيار وقت لكل أمر من الأمور التي تقصدها كالسفر والبناء وقطع الثوب إلى غير ذلك من الأمور، ونفع هذا العلم بيّن لا يخفى على أحد، إنتهى ما ذكره

المولى أبو الخير في مفتاح السعادة وفيه كتب كثيرة منها كتب بطلميوس وواليس المصري ودروينوس الإسكندراني وكتاب أبي معشر البلخي وكتاب عمر بن فرخان الطبري وكتاب أحمد بن عبد الجليل السنجري وكتاب محمد بن أيوب الطبري وكتاب يعقوب بن علي القصراني رتب على مقالتين وعشرين باباً وكتاب كوشيار بن لبان الجبلي وكتاب سهل بن نصر وكتاب كنكة الهندي وكتاب ابن علي الخياط وكتاب الفضل بن بشر وكتاب أحمد بن يوسف وكتاب الفضل ن سهل وكتاب نوفل الحمصي وكتاب أبي سهل ماجور وأخويه وكتاب علي بن أحمد الهمداني وكتاب الحسن بن الخطيب وكتاب أبي الغنائم بن هلال وكتاب هبة الله بن شمعون وكتاب أبي نصر بن علي القمي وكتاب أبي نصر القبيصي وكتاب أبي الحسن بن علي بن نصر واختيارات الكاشفي فارسي على مقدمة ومقالتين وخاتمة والإختيارات العلائية المسماة بالأحكام العلائية في الأعلام السماوية وقد سبق واختيارات أبي الشكر يحيى بن محمد المغربي وغير ذلك(٣٢٣).

وقال الشيخ علي بن الشيخ عبد الله الجد حفصي البحراني في حياة القلوب وغاية المطلوب:

في حديث نهج البلاغة: «إياكم وتعلّم النجوم إلا ما تهتدي به في برّ أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار» ونحوه مرسل الفقيه وفي خبر أبي بصير: «من تكهّن أو تُكُهّنَ له فقد برئ من دين محمد صلّى الله عليه وآله والمشهور تحريم تعلّم النجوم مطلقاً واختار ابن طاووس الجواز مطلقاً لخبر جميل وخبر ربيع الأبرار وقوله تعالى: «وبالنجم هم يهتدون» والرضيّ حرّمه إلاّ ما تهتدي به في برّ أو بحرٍ لحديث النهج واختاره شيخنا واستثنى أيضاً ما خرج عن أهل البيت الإذن فيه واحتمل أن يكون التحريم لمن اعتقد تأثيراتها أو قطع بما يخبر به المنجم كما يرشد إليه حديث الإحتجاج وخبر هشام وغيرهما.

وقال المحدث النوري في المستدرك بعد في تذييله لما رواه في الباب:

يحمل ما دلّ على النهي عن النظر بل تكفير المنجم، على من اعتقد قدم الأفلاك والكواكب، أو ان اختلاف حركاتها وأوضاعها علل تامّة لصدور الحوادث، أو انّ لها حياة ونفوساً تصدر عنهما الحوادث بالإرادة والإختيار، وغير ذلك من العقائد الفاسدة، المباينة لأصول الملل وأساس الشرائع، وما دلّ على الجواز، على انّها امارات وعلامات على حدوث الحوادث منه تعالى، أو ما يقرب من ذلك، ممّا ليس فيه ما ينافي الشرع،

ويرتفع شرّها بالبرّ والدعاء والصدقة، والله العالم(٣٢٤).

أقول: وقد جمع بعض أعلام الإمامية ما ورد في سعد الأيام ونحوساتها طيلة أيام الشهر القمري فمن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى بحار الأنوار أو كشكول الشيخ يوسف فانه سيجد بغيته في ذلك على أبلغ ما تنشده الغاية ويقصده السائل.

# السلاح العاشر

## (علم القرانات)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون في تعريفه:

قال صاحب مفتاح السعادة اعلم ان القران هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيّارة في درجة واحدة من برج واحد ويبحث في هذا العلم عن الأحكام الجارية في هذا العالم بسبب قران السبعة كلها أو بعضها في درجة واحدة من برج معيّن إنتهى(٣٢٥).

# السلاح الحادي عشر

## (علم الرمل)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون في تعريفه: وهو علم يعرف به الإستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج وأكثرمسائله هذا الفن امور تخمينية [مبنية] على التجارب فليس بتام الكفاية لأنهم يقولون كل واحد من البروج يقتضي حرفاً معيناً وشكلاً من أشكال الرمل فإذا سئل عن المطلوب فحينئذ يقتضي وقوع أوضاع البروج مشكلاً صميا فيدل بسبب المدلولات وهي البروج على أحكام مخصوصة مناسبة لأوضاع تلك البروج لكن المذكورات امور تقريبية لا يقينية ولذلك قال عليه السلام: كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك قيل هو ادريس عليه السلام وهو معجزة له والمراد التعليق بالمحال وإلا لما بقى الفرق بين المعجزة والصناعة روى عن بعض المشايخ انه سئل عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فقال: من جملة الآثار التي ذكرها الله سبحانه وتعالى حيث قال ائتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين وفي مصباح الرمل: اين علم معجزهٔ شش پيغمبر است عليه السلام الأول آدم الثاني إدريس الثالث لقمان الرابع ارميا الخامس شعيا السادس دانيال عليه السلام، پس اگر خط موافق خط پيغمبران آمد كما ينبغي حلال بود(٣٢٦).

# السلاح الثاني عشر

## (علم الفال)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون في تعريفه: وهو علم يعرف به بعض الحوادث الآتية من جنس الكلام المسموع من الغير أو بفتح المصحف أو كتب المشايخ كديوان الحافظ والمثنوي ونحوهما وقد اشتهر ديوان الحافظ بالتفاؤل حتى صنفوا فيه كما مرّ، وأما التفاؤل بالقرآن فجوزه بعضهم لما روي عن الصحابة وكان عليه الصلاة والسلام يحب الفال وينهى عن الطيرة ومنعه آخرون وقد صرح الإمام العلاّمة أبوبكر بن العربي في كتابه الأحكام في سورة المائدة بعدم الجواز، ونقله القرافي عن الإمام الطرطوشي أيضاً قال الدميري: ومقتضى مذهبنا كراهيته لكن أباحه ابن بطة الحنبلي، وأما الطيرة والزجر وهو عكس الفال فإن المطلوب في الفال طلب الإقدام وفي الطيرة طلب الأحجام وأصل الزجر أن يتشاءم الإنسان من شيء تتأثر النفس من وروده على المسامع والمناظر تأثراً لابالطبع فإن التنفر الطبيعي كالنفرة من صوت صرير الزجاج أو الحديد ليس من هذا القبيل واشتقاق التطيّر من الطير لأن أصل الزجر في العرب كان من الطير كصوت الغراب فألحق به غيره في التعبير وأمثاله من الطيرة في العرب كثيرة وقد تكون في غيرهم فيتكدر به عيشهم وينفتح عليهم أبواب الوسوسة من اعتبارهم إلى المناسبات البعيدة من حيث اللفظ والمعنى كالسفر والجلاء من السفرجل والياس والمين من الياسمين وسوء سنة من السوسنة والمصادفة إلى معلول حين الخروج وأمثال ذلك قال ابن قيم الجوزية في مفتاح دار السعادة: إعلم ان ضرورة التطيّر وتأثيره لمن يخاف به ويتغيّر منه، وأما من لم يكن له مبالاة منه فلا تأثير له أصلاً خصوصاً إذا قال عند المشاهدة أو السماع: اللّهمّ لا طير إلا طيرك ولا خير إلاّ خيرك ولا إله غيرك(٣٢٧).

وقال ابن الأثير في النهاية: فيه أنّه كان يتفأل ولا يتطيّر، الفأل مهموز فيما يسرّ ويسوء، والطيرة لا يكون إلاّ فيما يسوء، وربّما استعملت فيما يسرّ، وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً، وإنّما أحبّ الفأل لأنّ الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كلّ سبب ضعيف أو قويّ فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإنّ الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم أو رجاءهم من الله كان ذلك من الشرّ، وأمّا الطيرة فإنّ فيها سوء الظنّ بالله وتوقّع البلاء، ومعنى التفأل مثل أن يكون رجل مريض فيتفأل بما يسمع من كلام، فيسمع

آخر يقول: «يا سالم» أو يكون طالب ضالّة فيسمع آخر يقول: «يا واجد» فيقع في ظنّه أنّه يبرأ من مرضه، أو يجد ضالّته.

أقول: ورويت أيضاً من طرقنا طائفة جمة من الروايات في الإستخارات وصنفت فيما جمع منها المصنفات الكثيرة وأدرج قسماً منها في أكثر كتب الأدعية المتداولة ولو لا خوف التطويل لسردت بعضاً منها فمن أراد الوقوف عليها فليراجع ما أشرنا إليه فإنها سهلة التناول ميسورة الحصول.

## السلاح الثالث عشر
## (الزجر والخط)

قال المحشي على كتاب ربيع الأبرار للزمخشري: الزجر: العيافة وهو ضرب من التكهّن، والخط: خط الزاجر، وهو أن يخط باصبعه في الرمل ويزجر، وعن ابن الأعرابي انه قال في الطرق: قال ابن عباس هو الخط الذي يخطه الحازي، وهو علم قديم تركه الناس، قال: يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حلواناً فيقول له: أقعد حتى أخط لک، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل له، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلاً يلحقها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، فإن بقي من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح، قال: والحازي يمحو وغلامه يقول للتفاؤل: ابني عيان، اسرعا البيان؛ قال ابن عباس: فإذا محا الحازي الخطوط فبقي منها خط واحد فهي علامة الخيبة في قضاء الحاجة، قال: وكانت العرب تسمّي ذلک الخط من خطوط الحازي الأسحم، وكان هذا الخط عندهم مشؤوماً.

وقال الحربي: الخط هو أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ويقول: يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة.

قال ابن الأثير: «الخط المشار إليه علم معروف، وللناس فيه تصانيف كثيرة وهو معمول به إلى الآن، ولهم فيها أوضاع واصطلاح وأسام، ويستخرجون به الضمير وغيره، وكثيراً ما يصيبون به» (انظر: لسان العرب مادة خط)(٣٢٨).

## السلاح الرابع عشر
## (علم التصرّف بالإسم الأعظم)

قال حاجي خليفة في كشف الظنون: ذكره المولى أبو الخير من فروع علم التفسير

وقال: وهذا العلم قلما وصل إليه أحد من الناس خلا الأنبياء والأولياء ولهذا لم يصنفوا في شأنه تصنيفاً يعين هذا الإسم لأنّ كشفه على آحاد الناس لا يُحَل أصلاً إذ فيه فساد العالم وارتفاع نظام بني آدم إنتهى(٣٢٩).

## السلاح الخامس عشر

## (علم تعلق القلب)

قال حاجي خليفة: هذا علم ربما يظهره بعض المتبتلين لمن في عقله خفة حتى يظنون انه يعرف الإسم الأعظم أو ان الجن تطيعه وربما أداه انفعاله إلى مرض ونحوه أو مطاوعة ذلك المتبتل فيما قصده إنتهى كلام المولى أبي الخير، أورده من جملة العلوم المتفرّعة على السحر وهذا كما ترى شعبة من علم أهل الحيل ولا وجه لإفراده(٣٣٠).

## السلاح السادس عشر

## (علم الجفر والجامعة)

قال حاجي خليفة: وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل وقد ادعى طائفة ان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معيّنة وألفاظ مخصوصة ما في لوح القضاء والقدر وهذا علم توارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان وقيل لا يفقه في هذا الكتاب حقيقة إلا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان، وورد في هذا الكتاب الأنبياء السالفة كما نقل عن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فسيأتيكم به البارقليط الذي سيأتيكم من بعدي نقل ان الخليفة المأمون لما عهد بالخلافة من بعده إلى عليّ بن موسى الرضا وكتب إليه كتاب عهده كتب وهو في آخر ذلك الكتاب نعم ألا ان الجفر والجامعة يدلأن على ان هذا الأمر لا يتم وكان كما قال لأن المأمون استشعر فتنة من بني هاشم فسمه كذا في مفتاح السعادة قال ابن طلحة: الجفر والجامعة كتابان جليلان أحدهما ذكره الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو يخطب بالكوفة على المنبر والآخره أسره إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم وأمره بتدوينه فكتبه علي

رضي الله عنه حروفاً متفرقة على طريق سفر آدم في جفر يعني في رق قد صبغ من جلد البعير فاشتهر بين الناس به لأنه وجد فيه ما جرى للأولين والآخرين والناس مختلفون في وضعه وتكسيره، فمنهم من كسره بالتكسير الصغير وهو جفر الصادق وجعل في حافة الباب الكبير ا ب ت ث إلى آخرها والباب الصغير ابجد إلى قرشت وبعض العلماء قد سمى الباب الكبير بالجفر الكبير والصغير بالجفر الصغير فيخرج من الكبير ألف مصدر ومن الصغير سبعماتة ومنهم من يضعه بالتكسير المتوسّط وهي الطريقة التي توضع بها الأوفاق الحرفية وهو الأولى والأحسن وعليه مدار الحافية القمرية والشمسية ومنهم من يضعه بطريق التكسير الكبير وهو الذي يخرج منه جميع اللغات والأسماء ومنهم من يضعه بطريق التركيب الحرفي وهو مذهب أفلاطون ومنهم من يضعه بطريق التركيب العددي وهو مذهب سائر أهل الهند وكل موصل إلى المطلوب(٣٣١).

# السلاح السابع عشر

## (علم الحروف والأسماء)

قال حاجي خليفة: قال الشيخ داود الأنطاكي وهو علم باحث عن خواص الحروف افراداً وتركيباً وموضوعه الحروف الهجائية ومادته الأوفاق والتراكيب وصورته تقسيمها كمّاً وكيفاً وتأليف الأقسام والعزائم وما ينتج منها وفاعله المتصرّف وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعاً وانتزاعاً ومرتبته بعد الروحانيات والفلك والنجامة إنتهى، وقال ابن خلدون في المقدمة علم أسرار الحروف وهو المسمّى لهذا العهد بالسيميا نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرّف من المتصوّفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم بعد الصدر الأول عند ظهور الغلاة من المتصوّفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرّفات في عالم العناصر وزعموا ان الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب وانّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان وهو من تفاريع علوم السيميا لا يوقف على موضوعه ولا يحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تأليف البوني وابن العربي وغيرهما وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بم هو فمنهم من جعله للمزاج الذي فيه وقسم الحروف

بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر فتنوّعت بقانون صناعي يسمّونه التكسير، ومنهم من جعل هذا السر للنسبة العددية فإن حروف أبجد دالة على أعدادها المتعارفة وضعاً وطبعاً وللأسماء أوفاق كما للأعداد ويختص كل صنف من الحروف بصنف من الأوفاق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لأجل التناسب الذي بينهما فأما سرّ هذا التناسب الذي بينهما يعني بين الحروف وأمزجة الطبائع أو بين الحروف والأعداد فأمر عسر على الفهم، إذ ليس من قبيل العلوم والقياسيات وإنما مستنده عندهم الذوق والكشف قال البوني: ولا تظنن ان سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي وأما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والأسماء وتأثر الأكوان من ذلك فأمر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواتراً وقد يظن ان تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب أسماء الطلسمات واحد، وليس كذلك ثم ذكر الفرق بينهما وأطال وقد ذكرنا طرفاً من التفصيل في كتابنا المسمى بروح الحروف والكتب المصنّفة في هذا العلم كثيرة جداً لكن العمدة ما ذكرنا(٣٣٢).

# السلاح الثامن عشر

## (علم الخواص)

قال حاجي خليفة: وهو علم باحث عن الخواص المترتبة على قراءة أسماء الله سبحانه وتعالى وكتبه المنزلة وعلى قراءة الأدعية ويترتب على كل من تلك الأسماء والدعوات خواص مناسبة لها كذا في مفتاح السعادة لمولانا طاشكبرى قال: واعلم ان النفس بسبب اشتغالها بأسماء الله سبحانه وتعالى والدعوات الواردة في الكتب المنزلة تتوجّه إلى الجناب المقدس وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه فبواسطة ذلك التوجّه والتخلي تفيض عليها آثار وأنوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب الإشتغال ومن هذا القبيل الإستعانة بخواص الأدعية بحيث يعتقد الراقي ان ذلك يفعل السحر، إنتهى.

أقول: خواص الأشياء ثابتة وأسبابها خفيّة لأنا نعلم ان المغناطيس يجذب الحديد ولا نعرف وجهه وسببه وكذلك في جميع الخواص إلا ان علل بعضها معقولة وبعضها غير

معقولة المعنى، ثم ان تلك الخواص تنقسم إلى أقسام كثيرة منها خواص الأسماء المذكورة الداخلة تحت قواعد علم الحروف وكذلك خواص الحروف المركبة عنها الأسماء وخواص الأدعية المستعملة في العزائم وخواص القرآن قال المولى المذكور وغاية ما يذكر في ذلك كان مسنده تجارب الصالحين وورد في ذلك بعض من الأحاديث أوردها السيوطي في الإتقان وقال: «بعضها موقوفات عن الصحابة والتابعين وما لم يرد أثره فقد ذكر الناس من ذلك كثيراً والله سبحانه وتعالى أعلم بصحته» ويقال ان الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله سبحانه وتعالى فلما عزّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني ويشير إلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال وأجاز القرطبي الرقية بأسماء الله سبحانه وتعالى وكلامه قال: فإن كان مأثوراً استحب قال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وربما يعرف من ذكر الله قال الحسن البصري ومجاهد والأوزاعي: لا بأس بكتب القرآن في اناء ثم غسله وسقيه المريض وكرهه النخعي ومنها خواص العدد والوفق والتكسير ومنها خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة كما بين في تذكرة الأحباب في بيان المتحاب وخواص البروج والكواكب وخواص المعدنيات وخواص النباتات وخواص الحيوانات وخواص الأقاليم والبلدان وخواص البر والبحر وغير ذلك (٣٣٣).

## السلاح التاسع عشر

## (علم الطلسمات)

قال حاجي خليفة: ومعنى الطلسم عقد لا ينحل وقيل: مقلوب اسمه أي المسلط لأنه من القهر والبسط وهو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل والتأثير المقصود مع بخورات مقوية جالبة لروحانية الطلسم ليظهر من تلك الأمور في عالم الكون والفساد أفعال غريبة وهو قريب المأخذ بالنسبة إلى السحر لكون مباديه وأسبابه معلومة وأما منفعته فظاهرة لكن طريق تحصيله شديد العناء؛ بسط المجريطي قواعد هذا الفن في كتابه غاية الحكيم فابدع لكنه اختار جانب الإغلاق والدقة لفرط ضنته وكمال بخله في تعليمه(٣٣٤).

## السلاح العشرون

## (علم الكسر والبسط)

قال حاجي خليفة: هو علم بوضع الحروف المقطّعة بأن يقطع الإنسان حروف اسم من أسماء الله ويمزج تلك الحروف مع حروف مطلوبه ويوضع في سطر ثم يعمل على طريقة يعرفها أهلها حتى يغير ترتيب الحروف الموجودة في السطر الأول وفي السطر الثاني وثم إلى أن ينتظم عين السطر الأول فيؤخذ منه أسماء ملائكة ودعوات يشتغل بها حتّى يتم مطلوبه قاله صاحب مفتاح السعادة(٣٣٥).

# السلاح الحادي والعشرون

## (علم الخفاء)

قال حاجي خليفة: وهوعلم يتعرف منه كيفية إخفاء الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم ولا يرونه ذكره أبو الخير من فروع علم السحروقال وله دعوات وعزائم الا ان الغالب على ظني ان ذلك لا يمكن إلا بالولاية بطريق خرق العادة لا بمباشرة أسباب يترتب عليها ذلك عادة وكثيراً ما نسمع هذا لكن لم نر من فعله إلا ان خوارق العادات لا تنكر سيما من أولياء هذه الأمّة انتهى، أقول: كونه علماً من جهة تفرعه على السحر لا من جهة الكرامة فلا وجه لغلبة ظنه في عدم إمكانه، إذ هو بطريق السحر ممكن لا شبهة فيه بل بطريق الدعوة والعزائم أيضاً كما يدعيه أهله وعدم الرؤية لا يدل على عدم الوقوع(٣٣٦).

# السلاح الثاني والعشرون

## (علم الحيل الساسانية)

قال حاجي خليفة: ذكره أبو الخير من فروع علم السحر وقال: علم يعرف به طريق الإحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال والذي باشرها يتزيا في كل بلدة بزي يناسب تلك البلدة بأن يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي فتارة يختارون زيّ الفقهاء وتارة يختارون زيّ الوعاظ وتارة يختارون زيّ الأشراف إلى غير ذلك ثم انهم يحتالون في خداع العوام بأمور تعجز العقول عن ضبطها منها ما حكى واحد انه رأى في جامع البصرة قرداً على مركب مثل ما يركبه أبناء الملوك وعليه ألبسة نفيسة نحو ملبوسات وهو يبكي وينوح وحوله خدم يتبعونه ويبكون ويقولون يا أهل العافية اعتبروا بسيّدنا هذا فإنه كان من أبناء الملوك عشق امرأة ساحرة وبلغ حاله بسحرها إلى أن مسخ إلى صورة القرد وطلبت منه مالاً

عظيماً لتخليصه من هذه الحالة والقرد في هذا الحال يبكي بأنين وحنين والعامة يرقون عليه ويبكون وجمعوا لأجله شيئاً من الأموال ثم فرشوا له في الجامع سجادة فصلّى فيها ركعتين ثم صلى الجمعة مع الناس ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الأموال وأمثال هذه كثيرة قلت ذكر هذه الحكاية أيضاً في تاريخ مير خوند وكتاب المختار في كشف الأستار بالغ في كشف هذه الأسرار(٣٣٧).

## السلاح الثالث والعشرون

## (علم السيمياء)

قال حاجي خليفة: اعلم انه قد يطلق هذا الإسم على ما هو غير الحقيقي من السحر وهو المشهور وحاصله احداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس وقد يطلق على ايجاد صورها في الحس فحينئذ يظهر بعض الصور في جوهر الهواء فتزول سريعة لسرعة تغيّر جوهرالهواء ولا مجال لحفظ ما يقبل من الصورة في زمان طويل لرطوبته فيكون سريع القبول وسريع الزوال وأما كيفية إحداث تلك الصور وعللها فأمر خفي لا اطلاع عليه إلا لأهله وليس المراد وصفه وتحقيقه ههنا بل المقصود هنا الكشف وإزالة الإلتباس عن أمثاله، وحاصله أن يركب الساحر أشياء من الخواص والأدهان والمائعات أو كلمات خاصة توجب بعض تخيّلات خاصة كإدراك الحس ببعض المأكول والمشروب وأمثاله، وفي هذا الباب حكايات كثيرة عن إبن سيناء والسهروردي المقتول(٣٣٨).

## السلاح الرابع والعشرون

## (علم السحر)

قال حاجي خليفة: وهو ما خفي سببه وصعب استنباطه لأكثر العقول وحقيقته كل ما انقادت النفوس إليه بخدعة فتميل إلى إصغاء الأقوال والأفعال الصادرة عن الساحر، فعلى هذا التقدير هو علم باحث عن معرفة الأحوال الفلكية وأوضاع الكواكب وعن ارتباط كل منها مع الأمور الأرضية والمواليد الثلاثة على وجه خاص ليظهر من ذلك الإرتباط والإمتزاج عللها وأسبابها وتركيب الساحر في أوقات المناسبة من الأوضاع الملكية والأنظار الكوكبية بعض المواليد ببعض فيظهر ما جل أثره وخفي سببه من أوضاع عجيبة وأفعال غريبة تحيّرت فيها العقول وعجزت عن حل خفائها أفكار الفحول.

وأما منفعة هذا العلم فالإحتراز عن عمله لأنه محرم شرعاً إلا أن يكون لدفع ساحر

يدعي النبوّة فعند ذلك يفترض وجود شخص قادر لدفعه بالعمل، ولذلك قال بعض العلماء ان تعلم السحر فرض كفاية وأباحه الأكثرون دون عمله إلا إذا تعيّن لدفع المتنبي واختلف الحكماء في طرق السحر فطريق الهند بتصفية النفس وطريق النبط بعمل العزائم في بعض الأوقات للمناسبة وطريق اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب وطريق العبرانيين والقفط والعرب بذكر بعض الأسماء المجهولة المعاني فكأنه قسم من العزائم زعموا انهم سخروا الملائكة القاهرة للجن فمن الكتب المؤلفة في هذا الفن الإيضاح والبساطين لاستخدام الإنس وأرواح الجن والشياطين وبغية الناشد ومطلب المقاصد على طريقة العبرانيين والجمهرة أيضاً ورسائل ارسطو وغاية الحكيم وكتاب طيماوس وكتاب الوقوفات على طريقة اليونانيين وكتاب سحر النبط وكتاب العمى على طريقة العبرانيين ومرآة المعاني في إدراك العالم الإنساني على طريقة الهند(٣٣٩).

ولنتوسّع بعض الشيء في هذا المقام بحكاية طائفة أُخرى من الأقوال فنقول:

قال الشيخ تقي الدين الكفعمي في حاشيته على مصباحه حكاية عن مجمع البيان: السحر والحيلة والكهانة نظائر وقال صاحب العين: السحر عمل يقرب إلى الشيطان ومن السحرة الأخذة التي تأخذ العين يظن أنّ الأمر كما يرى وليس الجمع الأخذ والسحر عمل خفي لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقلبه عن جنسه في الظاهر ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى: يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى.

واختلف في ماهية السحر فقيل انه ضرب من التخييل وصنعة من لطيف الصنائع وقد أمر الله بالتعوذ منه وأنزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد رحمه الله تعالى.

وقيل: انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها ويظن المسحور حقيقتها. وقيل: انه يمكن للساحر أن يقلب الإنسان حماراً أو غيره وينشئ الحيوان على وجه الإختراع وهذا القول لا يجوز ولو جوّزناه لم يأمن أن يكون معجزات الأنبياء عليهم السلام من هذا النوع ولو أن الساحر والمعزم قدرا على نفع أو ضر وعلما الغيب لقدروا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان تقبل الملوك من غير أن ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم أسوأ الناس حالاً علمنا انهم لا يقدرون على شيء من ذلك، وما روي في الأخبار أن النبي صلّى الله عليه وآله سحر فأخبار مفتعلة لا يلتفت إليها ولو كان السحر عمل فيه لكان الكفار صادقون في مقالتهم وقد قال الله تعالى حكاية عن الكفار «إن تتّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً» حاشا النبي صلّى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله

فإنه حجّة الله على خلقه(٣٤٠).

وقال أمين الإسلام الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿يعلّمون الناس السحر﴾ السحر والكهانة والحيلة نظائر، يقال: سحره يسحره سحراً، وقال صاحب العين: السحر عمل يقرّب إلى الشياطين، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتّى تظنّ أنّ الأمر كما ترى وليس الأمر كما ترى، فالسحر عمل خفيّ لخفاء سببه، يصوّر الشيء بخلاف صورته، ويقلبه عن جنسه في الظاهر، ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾(٣٤١).

وقال شيخ الطائفة قدس سره في التبيان:

قيل في معنى السحر أربعة أقوال: أحدها أنّه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها يخيّل إلى المسحور أنّ لها حقيقة. والثاني: أنّه أخذ بالعين على وجه الحيلة، والثالث أنّه قلب الحيوان من صورة إلى صورة، وإنشاء الأجسام على وجه الإختراع، فيمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماراً وينشئ أجساماً، والرابع أنّه ضرب من خدمة الجنّ. وأقرب الأقوال الأوّل لأنّ كلّ شيء خرج عن العادة الجارية فإنّه سحر لا يجوز أن يتأتّى من الساحر، ومن جوّز شيئاً من هذا فقد كفر، لأنّه لا يمكن مع ذلك العلم بصحّة المعجزات الدالّة على النبوّات، لأنّه أجاز مثله على جهة الحيلة والسحر(٣٤٢).

## أصل السحر

روى المحدث الجليل الطبرسي في الإحتجاج فيما رواه في حديث احتجاجات الزنديق مع الإمام الصادق عليه السلام: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فيما سأله فقال: أخبرني عن السحر ما أصله؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه وما يفعل؟ قال: إنّ السحر على وجوه شتّى: وجه منها بمنزلة الطبّ، كما أنّ الأطبّاء وضعوا لكلّ داء دواء فكذلك علم السحر احتالوا لكلّ صحّة آفة، ولكلّ عافية عاهة، ولكلّ معنى حيلة، ونوع آخر منه آخر خطفة وسرعة ومخاريق وخفّة، ونوع آخر منه ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم. قال: فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطبّاء الطبّ، وبعضه تجربة. وبعضه علاج، قال: فما تقول في الملكين: هاروت وماروت، وما يقول الناس بأنّهما يعلّمان [الناس] السحر؟ قال: إنّهما موضع ابتلاء وموقف فتنة، تسبيحهما اليوم لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا، ولو يعالج بكذا وكذا لصار كذا، أصناف السحر، فيتعلّمون منهما ما يخرج عنهما، فيقولان لهم: إنّما نحن فتنة فلا تأخذوا

عنّا ما يضرّكم ولا ينفعكم.

قال: أفيقدر الساحر أن يجعل الإنسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك؟ قال: هو أعجز من ذلك، وأضعف من أن يغيّر خلق الله! إنّ من أبطل ما ركّبه الله وصوّره غيره فهو شريك لله [في خلقه] تعالى عن ذلك علواً كبيراً! لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والآفة والأمراض، ولنفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته.

وإنّ من أكبر السحر النميمة! يفرّق بها بين المتحابّين، ويجلب العداوة على المتصافيين، ويسفك بها الدماء ويهدم بها الدور، ويكشف بها الستور، والنمّام أشر من وطئ على الأرض بقدم! فأقرب أقاويل السحر من الصواب أنّه بمنزلة الطبّ، إنّ الساحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النساء، فجاء الطبيب فعالجه بغير ذلك العلاج فأبرأ(٣٤٣).

وروى العياشي في تفسيره: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لمّا هلك سليمان، وضع إبليس السحر، ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا وكذا فليقل كذا وكذا، ثم دفنه تحت السرير، ثم استثاره لهم، فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلاّ بهذا، وقال المؤمنون: هو عبد الله ونبيّه، فقال الله في كتابه: «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان» أي: السحر»(٣٤٤).

## أقسام السحر:

ونقل لك في ذلك ثلاثة أقوال:

(أولها) ما صرح به شيخنا البهائي «قدس سره» في كشكوله بقوله: والسحر منه حقيقي ومنه غير حقيقي، ويقال له الأخذ بالعيون وسحرة فرعون أتوا بمجموع الأمرين وقدموا غير الحقيقي وإليه الإشارة بقوله تعالى: «سحروا أعين الناس» ثم أردفوه بالحقيقي وإليه الإشارة بقوله تعالى: «واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم» ولما جهلت أسباب السحرلخفائها وتراجمت بها الظنون اختلف الطرق إليها، فطريق الهند تصفية النفس وتجريدها من الشواغل البدنية بقدر الطاقة البشرية لأنهم يرون ان تلك الآثار انما تصدر عن النفس البشرية ومتأخروا الفلاسفة يرون رأي الهند وطائفة من الأتراك تعمل بعملهم أيضاً، وطريق النبط عمل أشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة إلى رقية ودخنة

بعزيمة في وقت مختار، وتلك الأشياء تارة تكون تماثيل ونقوشاً، وتارة تكون عقداً تعقد وينفث عليها، وتارة كتباً تكتب وتدفن في الأرض أو تطرح في الماء أو تعلق في الهواء أو تحرق بالنار، وتلك الرقية تضرع إلى الكواكب الفاعلة للغرض المطلوب وتلك الدخنة عقاقير منسوبة إلى تلك الكواكب لاعتقادهم ان تلك الآثار انما تصدر عن الكواكب، وطريق اليونان تسخير روحانيات الأفلاك والكوكب واستنزال قواها بالوقوف لديها والتضرّع إليها، لاعتقادهم ان هذه الآثار إنما تصدر عن روحانيات الأفلاك والكواكب لا عن أجرمها، وهذا الفرق بينهم وبين الصابئة، وقدماء الفلاسفة تميل إلى هذا الرأي وطريق العبرانية والقبط والعرب الإعتماد على ذكر أسماء مجهولة المعاني كأنها أقسام عزائم بترتيب خاص يخاطبون بها حاضراً لاعتقادهم ان هذه الآثار انما تصدر عن الجن ويدعون ان تلك الأقسام تسخر ملائكة قاهرة للجن، ومن الكتاب المذكور النيرنجات ألحقها بعضهم بالسحر بل ألحق بعضهم به الأفعال العجيبة المرتبة على سرعة الحركة وخفة اليد والحق ان هذا ليس بعلم وانما هو شعبدة لا يليق أن يعدّ في العلوم، وبعضهم ألحق بالسحر أيضاً غرائب الآلات والأعمال الموضوعة على امتناع الخلاء والحق انه من فروع الهندسة(٣٤٥).

(ثانيها) ما حكي عن النيسابوري انه قال في تفسيره:

السحرعلى أقسام: منها سحر الكذّابين الّذين كانوا في قديم الدهر، وهم يعبدون الكواكب ويزعمون أنّها هي المدبّرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة، ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية، وهم الّذين بعث اللّه إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالتهم.

ومنها: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية، بدليل أنّ الجذع الذي يتمكن الإنسان من المشي عليه لو كان موضوعاً على الأرض، لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر، وما ذاك إلاّ لأنّ تخيّل السقوط متى قوي أوجبه، وقد اجتمعت الأطبّاء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القويّة اللمعان والدوران، وما ذلك إلاّ لأنّ النفوس خلقت مطيعة للأوهام، واجتمعت الأمم على أنّ الدعاء مظنّة الإجابة، وأنّ الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الأثر، والإصابة بالعين ممّا اتّفق عليه العقلاء.

ومنها: سحر من يستعين بالأرواح الأرضيّة، وهو المسمّى بالعزائم وتسخير الجنّ.

ومنها: التخييلات الآخذة بالعيون، وتسمّى بالشعبذة.

ومنها: الأعمال العجيبة الّتي تظهر من الآلات المركّبة على النسب الهندسيّة، أو لضرورة الخلاء، ومن هذا الباب صندوق الساعات وعلم جرّ الأثقال، وهذا لا يعدّ من السحر عرفاً، لأنّ لها أسباباً معلومة يقينيّة.

ومنها: الإستعانة بخواصّ الأدوية والأحجار.

ومنها: تعليق القلب، وهو أن يدّعي الساحر أنّه قد عرف الإسم الأعظم وأنّ الجنّ ينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتّفق أن كان السامع ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد أنّه حقّ وتعلّق قلبه بذلك، وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذٍ تضعف القوى الحسّاسة فيتمكّن الساحر من أن يفعل فيه ما شاء.

ومنها: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيّة لطيفة ــ إنتهى ــ.

(ثالثها) ما حكى عن العلامة المجلسي أعلى الله مقامه بما يقرب من النقل الثاني لكن بنحو آخر وذلك بقوله: للسحر ثمانية أنواع:

الأول: استخدام الكواكب والقول بأنها قديمة غير مخلوقة أو مخلوقة بقدم خالقها أو انها حادثة، ولكن الله تعالى فوّض إليها أمور هذا العالم فيستخدمها بعمل كان ينظر إليها طول ثلاثة أشهر وهذا بدعة محرّمة وكفر ويستلزم ترك الواجبات الإلهية وإن لم يكن خرق العادة بنفسه أمراً محرماً إذا تمكن أحد منه.

الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ولا مانع من تحصيله بأعمال شرعية وقد أعطى الله تعالى ذلك لبعض الحيوانات، فإنّ بعض أفراد الأسد على ما يقال إذا نظر إلى حيوان تبعه قهراً والذئب إذا نظر إلى الشاة تبعها قهراً، إذاً لا مانع من أن تكون لبعض النفوس قوة يحصل بواسطتها التأثير في الأشياء وقد ورد في الحديث القدسي: عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي، فينظر صاحب هذه القوة إلى حيوان فيوقفه عن الحركة، وهذا لا مانع منه إذا لم يوجب ضرراً.

الثالث: الإستعانة بالأرواح الأرضية كتسخير الجن ولا حرمة فيه إذا كان بمقدمات مشروعة كما لا مانع من استخدام الحيوانات، فإن الإنسان أشرف من جميعهم فاستخدامه من دونه لا ضير فيه، بل للأولياء أن يستخدموا الملك.

الرابع: التخييلات والأخذ بالعيون فإن الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين نحوه وتتّجه عيونهم إليه، فإذا استغرقهم بهذا عمل شيئاً آخر بسرعة شديدة

فيظهر للناظرين شيء غير ما نظروا إليه فيتعجّبون منه وهذا غير محرم.

الخامس: الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على نسب هندسية كتشكيل فارس على فرس بيده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسّه أحد، ومنه تركيب صندوق الساعات وهذا غير محرم.

السادس: الإستعانة بخواص الأدوية الموجبة للتبلد أو لتقوية أعصاب المعقود ولا إشكال في جوازه إذا لم يكن مضراً لمؤمن كما جاز للأطباء العارفين بخواص العقاقير الرافعة للأمراض.

السابع: تعليق القلب بالدعاوي الباطلة كأن يدعي الرجل معرفته بالإسم الأعظم وان الجن ينقادون له في أكثر الأمور فيعتقد به ضعيف العقل قليل الإدراك فيتعلق قلبه به ويحصل الخوف منه، وحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل ما يشاء، ولا إشكال في حرمة مثله لأنه كذب وإغراء بالجهل وقد ترتب عليه مضار أُخر من تعطيل الناس وتضييع أعمارهم وإهمالهم الإشتغال بما يهمهم وهذا حرام آخر.

الثامن: النميمة ولا ريب في مجازية إطلاق السحرعليها، ولعل العلاقة كون النمّام يخبر عن أُمور واقعية بنحو يؤثر في الشخص تهيج قواه الغضبية فيوجب التفريق بين الناس كالسحر ولا إشكال في حرمة النميمة.

## إستناد بعض الأعمال السحرية إلى حقائق كيميائية

قال أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره في قوله تعالى: «فلمّا ألقوا» أي: فلمّا ألقى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العصيّ والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق، حتّى تحرّكت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وأنواع التمويه والتلبيس، وخيّل إلى الناس أنّها تتحرّك على ما تتحرّك الحيّة، وإنّما سحروا أعين الناس لأنّهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته، وخفي ذلك عليهم لبعده منهم، لأنّهم لم يخلّوا الناس يدخلون فيما بينهم، وفي هذا دلالة على أنّ السحر لا حقيقة له، لأنّه لو صارت حيّات حقيقة لم يقل الله سبحانه «سحروا أعين الناس» بل كان يقول: «فلمّا ألقوا صارت حيّات» ــ إنتهى ــ(٣٤٦).

وأضاف المحقّق البحراني بقوله في ذيل هذه الآية: لا يخفى ان الذي حصل من فعل السحرة يومئذ، هو كون تلك الحبال والعصى التي ألقوها حيات تتحرّك، ومن الظاهر ان الحركة الثابتة لها ناشئة من الزيبق بعد طلوع الشمس عليها، وأما كونها حيّات في نظر

الناظر إليها يومئذ بهذا، هو الذي حصل به السحر في أعين الناس حيث انهم بعد رؤيتها حبالاً وعصيّاً، صارت حيّات في نظرهم ثانياً، وأكد ذلك حركتها، فكونها حيات في نظرهم لابدّ من حمله على مجرد التخيّل والتوهّم، الذي نشأ من سحرهم ولذلك قال سبحانه: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾ ولأنه لو أمكن الساحر أن يقلب حقيقة من الحقايق إلى حقيقة أُخرى، لزم مشاركته لله تعالى في الخلق، وهو باطل عقلاً ونقلاً، ولأمكن أن يعيد نفسه من الهرم إلى الصغر، ويدفع عن نفسه الأسقام والآلام. والكل مما يقطع ببطلانه عند جملة الأنام(٣٤٧).

أقول: ومنه ما رواه المحدث علي بن إبراهيم في تفسيره في حديث هجرة جعفر بن أبي طالب ــ رضي الله تعالى عنه ــ وأصحابه إلى الحبشة: وبعث قريش عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص إلى النجاشي ليردوهم ــ وساق الحديث الطويل ــ إلى أن قال: وكان على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه فنظرت إلى عمارة وكان فتى جميلاً فأحبته، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله، قال لعمارة: لو راسلت جارية الملک، فراسلها فأجابته فقال عمرو: قل لها تبعث إليک من طيب الملک شيئاً، فقال لها، فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلک الطيب وأدخله على النجاشي وهمّ بقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله، لأنه دخل بلادي بأمان، فدعى السحرة وقال: اعملوا به شيئاً أشدّ عليه من القتل، فأخذوه ونفخوا في احليله الزيبق، فصار مع الوحش يغدو ويروح، وكان لا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلک فكمنوا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش، فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات، الخبر(٣٤٨).

## عدم تأثير السحر فيه صلّى الله عليه و آله أو في الأئمة عليهم السلام

قال شيخنا البهائي في مفتاح الفلاح:

إعلم إنا معاشر الإمامية على أن السحر لم يؤثر في النبي صلّى الله عليه وآله وأمْرُهُ في هذه السورة (أراد سورة الفلق) بالإستعاذة من سحرهن لا يدل على تأثير السحر فيه صلّى الله عليه وآله كالدعاء في «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» وأما ما نقلوه من أنَّ السحر أثّر فيه صلّى الله عليه وآله كما رووه من أنّه صلّى الله عليه وآله سُحِرَ حتى انه كان يُخَيَّل إليه انه فعل الشيء ولم يكن فعله فهو من جملة الأكاذيب ولو صحّ ما نقلوه لصحّ قول

الكفار (إنْ تتّبعون إلاّ رجلاً مسحوراً) وأما الإعتذار بأنهم أرادوا أن السحر أثّر فيه جنوناً فهو اعتذار واه إذ الأثر الذي نقلوه لا يقصر عنه(٣٤٩).

وقال العلاّمة المجلسي في البحار: «وأما تأثير السحر في النبي صلّى الله عليه وآله والإمام عليه السلام فالظاهر عدم وقوعه، وإن لم يقم برهان على امتناعه، إذا لم ينته إلى حد يخل بغرض البعثة، كالتخبيط والتخليط، فإذا كان الله تعالى أقدر الكفار لمصالح التكليف، على حبس الأنبياء والأوصياء وضربهم وجرحهم وقتلهم بأشنع الوجوه، فأيّ استحالة على أن يقدروا على فعل يؤثر فيهم هماً أو مرضاً».

«لكن لما عرفت ان السحر يندفع بالعوذة والآيات والتوكل، وهم ـ عليهم السلام ـ معادن جميع ذلك، فتأثيره فيهم ـ عليهم السلام ـ مستبعد، والأخبار الواردة في ذلك أكثرها عامية، أو ضعيفة ومعارضة بمثلها، فيشكل التعويل عليها في إثبات مثل ذلك».

وعقبه المحقق البحراني في حدائقه بعد حكايته بقوله: لا يخفى ان محل الإشكال انما هو باعتبار ما دلت عليه تلك الأخبار، من تأثير السحرفيهم ـ عليهم السلام ـ كغيرهم من الناس، بحيث يوجب ذهاب العقل أو المرض أو نحو ذلك، هذا هو الذي أنكره أصحابنا، ولو صحّ لصدق ما حكى الله سبحانه عن الكفّاربقولهم: «إن تتبّعون إلاّ رجلاً مسحوراً» على ان ما ذكره من القياس على تسليط الله عزّوجل الكفار على إنزال القتل والحبس بهم ـ عليهم السلام ـ لمصالح، مردود، بأن الوجه في ذلك هو أنه عزّوجل أمرهم بالإنقياد لأمراء الجور، مدة هذه الدنيا الدنيئة، ومنعهم من الدعاء عليهم وحثهم على الإنقياد إليهم.

وإليه يشير قوله عزوجل: «قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً»... الآية فقد ورد في تفسيرها ما يدل على ما ذكرناه بخلاف ما ذكره من تأثير السحر فيهم، وإن كان بمجرد الهم أو المرض، فإنه لم يرد دليل على أمرهم بقبول ذلك، مع وجوب دفع الضرر عن النفس مع القدرة والإمكان، ولا ريب في إمكان ذلك بالنسبة إليهم ـ عليهم السلام ـ.

ألا ترى إلى ما ورد في جملة من الأخبار في دفعهم كيد السحرة الفجّار، مثل ما رواه في العيون بسنده عن عليّ بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس، فانتدب له رجل مغرم، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلما رام أبو الحسن عليه السلام تناول

رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفز هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستور، فقال له: يا أسد الله، خذ عدوّ الله، فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترست ذلك المغرم، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوا، فلما أفاقوا من ذلك بعد حين قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: سألتك بحقّي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل، فقال: إن كانت عصا موسى ردّت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيّهم، فإنّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعته من هذا الرجل، فكان ذلك أعمل الأشياء في إماتة نفسه.

ونحو ذلك روى في كتاب الخرائج والجرائح عن الإمام الهادي عليه السلام مع المتوكل لعنه الله تعالى، وفي كتاب الثاقب في المناقب عن الصادق عليه السلام مع المنصور.

وبالجملة فالظاهر ان ما ذكره شيخنا المذكور لا يخلو من استعجال وعدم تأمّل في المقام، والحق هو عدم جوازه عليهم بوجه من الوجوه، والأخبار الواردة من طرقنا في حقّه صلّى الله عليه وآله مع ضعفها وشذوذها، يمكن حملها على التقيّة لاتفاق العامة على جواز ذلك.

وأشار في حاشيته على هذا الموضع إلى ملخص رواية الخرائج والجرائح ورواية كتاب الثاقب بقوله: وملخص الأول: انه وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل فأمره أن يخجل الإمام الهادي عليه السلام، وأحضر على المائدة خبزاً رقاقاً، فكان كلما مدّ الإمام عليه السلام يده إلى قرص من ذلك الخبز طيّرها ذلك المشعبذ، فتضاحك الناس، وكان على مستورة المتوكل صورة أسد، فضرب الإمام عليه السلام يده على تلك الصورة وقال: خذه، فوثبت تلك الصورة من المستورة فابتلعت الرجل، وعادت في المستورة كما كانت، فتحيّر الجميع ونهض الإمام، فقال المتوكل: سألتك بالله إلاّ جلست وردّدته، فقال: والله لا يرى بعدها، أتسلّط أعداء الله على أولياء الله؟ وخرج من عندهم، فلم ير الرجل بعدها (مدينة المعاجز ص ٥٤٨ حديث ٥٢).

وملخص الخبر الثاني: ان المنصور وجّه إلى سبعين رجلاً من أهل بابل، فدعاهم وقال: انكم ورثتم السحر من آبائكم من أيام موسى بن عمران، وانكم لتفرقون بين المرأ وزوجه، وان أبا عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) كاهن ساحر مثلكم، فاعملوا

شيئاً من السحر، فإنكم إن ابهتموه أعطيتكم الجائزة العظيمة فقاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور، فصوّروا سبعين صورة من السباع، وجلس كل واحد منهم جنب صاحبه، وجلس المنصور على سرير ملكه، ووضع التاج على رأسه، وقال لحاجبه إبعث إلى أبي عبد الله عليه السلام واحضره الساعة، قال: فلما أحضره دخل عليه، فلما نظر إلى ما قد استعدله غضب عليه السلام فقال: يا ويلكم، أتعرفوني، أنا حجة الله الذي أبطل سحر آبائكم في أيام موسى بن عمران، ثم نادى برفيع صوته: أيتها الصور الممثلة، ليأخذ كل واحد منكم صاحبه بإذن الله تعالى، فوثب كل سبع إلى صاحبه وافترسه وابتلعه في مكانه ووقع المنصور مغشياً عليه من سريره فلما أفاق قال: الله الله يا عبد الله، أقلني فإني تبت توبة لا أعود إلى مثلها أبداً، فقال عليه السلام: قد عفوتك ثم قال: يا سيّدي قل للسباع أن تردهم إلى ما كانوا فقال: هيهات هيهات إن أعادت عصا موسى سحرة فرعون فستعيد هذه السباع هذه السحرة (مدينة المعاجز ص ٣٦٢ حديث ٢٣)(٣٥٠).

# الآيات الواردة في التفريق مابين المعجزة والسحر

قال عزّ من قائل:

«قالوا ياموسى إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون أوّل من ألقى* قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيّهم يخيّل إليه من سحرهم أنّها تسعى* فأوجس في نفسه خيفةً موسى* قلنا لاتخف إنّك أنت الأعلى* وألق ما في يمينك تلقف ماصنعوا إنّما صنعوا كيد ساحر ولايفلح الساحر حيث أتى* فألقى السحرة سجّداً قالوا آمنّا بربّ هارون وموسى» (طه ــ ٦٥ ــ ٧٠).

«وجاء السحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين* قال نعم وإنّكم لمن المقرّبين* قالوا ياموسى إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون نحن الملقين* قال ألقوا فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحرٍ عظيم* وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف مايأفكون* فوقع الحقّ وبطل ماكانوا يعملون* فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين* وألقي السحرة ساجدين* قالوا آمنّا بربّ العالمين* ربّ موسى وهارون...» (الأعراف ــ ١١٣ ــ ١٢٢).

«ثمّ بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملإيه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين* فلمّا جاءهم الحقّ من عندنا قالوا إنّ هذا لسحرٌ مبين* قال موسى أتقولون للحقّ لمّا جاءكم أسحرٌ هذا ولايفلح الساحرون* قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون

لكما الكبرياء في الأرض ومانحن لكما بمؤمنين* وقال فرعون ائتوني بكلّ ساحرٍ عليم* فلمّا جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون* فلمّا ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر إنّ اللّه سيبطله إنّ اللّه لايصلح عمل المفسدين ويحقّ اللّه الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون* فما آمن لموسى إلاّ ذرّيّة من قومه على خوف من فرعون وملإيهم أن يفتنهم» (يونس ـ ٧٤ ـ ٨٣).

«ولمّا جاءهم رسول من عند اللّه مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب اللّه وراء ظهورهم كأنّهم لايعلمون* واتّبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ومايعلّمان من أحد حتّى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارّين به من أحدٍ إلاّ بإذن اللّه ويتعلّمون مايضرّهم ولا ينفعهم...» (البقرة ـ ١٠١ ـ ١٠٢).

## أقوال أعلام الإماميّة في معنى المعجز والمعجزة

قال الشيخ أبو إسحاق ابراهيم بن نوبخت في كتاب الياقوت: شرائط المعجز أن يكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله والغرض به التصديق.

وقال الشيخ نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) في كتاب تجريد الإعتقاد (ص ٢١٤): هو ثبوت ما ليس بمعتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى.

وقال الحكيم كمال الدين الشيخ ميثم البحراني (ت ٦٩٩ هـ) في كتاب قواعد المرام في علم الكلام (ص ١٢٧):

المعجز هو الأمر الخارق للعادة المطابق لدعوى النبوّة المتعذّر في جنسه أو صفته.

وقلنا «الخارق» لأنّ المعتاد وإن كان قد يكون متعذّراً كطلوع الشمس من المشرق إلاّ أنّه ليس بدليل على النبوّة.

واحترزنا «بالمطابق للدعوى» عمّا لايطابق، كما إذا ادّعى من المعجز أنّه يثير ماء بئر فغاض ماؤها فانّ ذلك خارق للعادة متعذّر لكنّه ليس بدليل لعدم مطابقته للدعوى.

وقلنا «المتعذّر في جنسه أو صفته» لأنّ المعجز من فعل اللّه تعالى ولايقطع بكونه من فعله إلاّ إذا كان متعذّراً من غيره، اما في جنسه كخلق الحياة أو في صفته كالحركة في السماء.

وقال المحقّق الشيخ مقداد بن عبد اللّه السيوري الحلّي (قده) في كتاب النافع يوم

الحشر في شرح الباب الحادي عشر: انّ المعجز هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدّي المتعذّر على الخلق الإتيان بمثله اما اعتبار خرق العادة إذ لو لاه لما كان معجزاً كطلوع الشمس من مشرقها وأمّا مطابقة الدعوى فلدلالته على صدق ما إدّعاه إذ لو خالف ذلك كما في قضيّة مسيلمة الكذّاب لما دلّ على الصدق وأمّا التعذّر على الخلق فلأنّه لو كان كثير الوقوع لما دلّ أيضاً على النبوّة.

وقال في كتابه إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين (ص ٣٠٦). والمعجز هو الإتيان بأمر خارق للعادة مطابق للدعوى مقرون بالتحدّي، يتعذّر على الخلق الإتيان بمثله في جنسه أو صفته، فقد اعتبرنا فيه أموراً:

الأوّل: قولنا «أمر خارق» ولم نقل فعلاً، لأنّ الفعل يختصّ بالإثبات والمعجز أعمّ، فإنّه يكون إثباتاً، كقلب العصا حيّة، وانشقاق القمر، ونبوع الماء، ويكون نفياً كمنع القادر على حمل الكثير عن حمل القليل، وكمنع العرب عن المعارضة، والشامل لهما وهو الأمر.

الثاني: كونه خارقاً للعادة، فإنّه لو لم يكن خارقاً للعادة ــ كطلوع الشمس من المشرق ــ لم يكن معجزاً، لكونه معتاداً وان كان متعذّراً على الخلق.

الثالث: كونه مطابقاً للدعوى، فإنّه لو لم يكن مطابقاً للدعوى لم يكن دليلاً مثل أن يدعو غزارة ماء البئر فيغور ماؤها، وكلاهما خارق للعادة لكنّه غير مطابق كما اتّفق لمسيلمة.

الرابع: كونه مقروناً بالتحدّي، والتحدّي هو المماراة والمنازعة، يقال: تحديت فلاناً إذا ما رأيته ونازعته في الغلبة، والمراد به هنا هو أن يقول لأمته: إن لم تتبعوني فأتوا بمثل ما أتيت به، وذلك يخرج به الارهاص، وهو الإتيان بخارق العادة إنذاراً بقرب بعثة نبي تمهيداً لقاعدته، فإنّه غير مقرون بالتحدّي، وكذلك الكرامات فإنّها غير مقرونة بالتحدّي، وكذا من يدّعي معجزة غيره كاذباً.

الخامس: كونه يتعذّر على الخلق الإتيان بمثله، وذلك لأنّه لو لم يتعذّر عليهم لم يعلم أنّه فعل الله، فلا يكون دالاً على التصديق، وذلك كالشعبذة والسحر.

ثمّ التعذّر: تارة يكون في جنسه، أي في كلّ جزء من جزئيّاته، أذا أخذ لا يكون مقدوراً للبشر، كخلق الحياة فان خلقها لايمكن إلاّ لله سبحانه، وتارة يكون في صفته، كقلع مدينة، فان القلع ممكن بحسب جنسه، إذ من جزئيّاته ماهو مقدور للبشر كقلع شجرة

وخشبة، وأمّا القلع بهذه الصفة وهو كونه قلع مدينة لا يمكن إلاّ لله تعالى، وكذلك الحركة إلى السماء، فان جنس الحركة مقدور أما كونه إلى السماء فغير مقدور.

ثمّ المعجز له شروط:

الأوّل ــ أن يعجز عنه أو عما يقاربه الامة المبعوث إليها.

الثاني ــ أن يكون من قبل الله تعالى أو بأمره.

الثالث ــ أن يكون في زمان التكليف، لأنّ العوائد تنتقض عند إشتراط الساعة.

الرابع ــ أن يحدث عقيب دعوى النبوّة أو جارياً مجرى ذلك، ونعني بالجاري مجراه أن تظهر دعوى النبوّة في زمانه وأنّه لا يدّعي النبوّة غيره، ثمّ يظهر المعجز بعد أن ظهر معجز آخر عقيب دعواه، فيكون [ظهور] الثاني كالمتعقب لدعواه، لأنّه يعلم تعلقه بدعواه فإنّه لإجله ظهر.

وقال في كتابه الثالث الموسوم باللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميّة في مبحث النبوّة (ص ٢١٢).

الفصل الثالث: فيما يجب أن يكون له من الشواهد المقترنة بدعواه لفرض تصديقه وهو المسمّى معجزاً وعرفوه: بأنّه أمر خارق للعادة مطابق للدعوى مقرون بالتحدّي متعذّر على الخلق الإتيان بمثله جنساً وصفة، فالأمر شامل للإثبات كقلب العصا حيّة والمنفي كمنع القادر وبالخارق خرج المعتاد وإن كان متعذّراً كطلوع الشمس من المشرق وبالمطابق خرج ما جاء على العكس كقضيّة مسيلمة في غور ماء البئر وباقترانه بالتحدّي خرج الكرامات والارهاص وبالمتعذّر خرج ما ليس كذلك وإلا لم يكن دليلاً على التصديق وخرج نحو السحر والشعبذة والمراد بالتعذّر جنسه أي كلّ جزئي من جزئيّاته كذلك كخلق الحيّة، وصفته انّ التعذّر يتعلّق بالهيئة القائمة بالماهيّة المقدورة من حيث هي كقلع المدينة جملة وأمّا جزئيّاتها كقلع صخرة فليس بمتعذّر ويكفي تعذّره على تلك الأمة المرسل إليها ويشترط فيه كونه من فعل الله أو جارياً مجراه وأن يكون في زمن التكليف وإلاّ لم يكن دليلاً لإنتقاض العوائد عند إشتراط الساعة وان يظهر عقيب الدعوى أو جارياً مجراها كظهوره في زمان ذلك النبيّ ولم يدع أحد غيره.

وقال العلامة الحلّي في نهج المسترشدين (ص ٥٩):

المعجز هو الإتيان بما يخرق العادة مطابقاً للدعوى. فالإتيان بما يخرق العادة يتناول

الثبوت والعدم. أمّا الثبوت فكقلب العصا حيّة، وانشاق القمر وأمّا العدم: فكمنع القادر من حمل الكثير عن حمل اليسير، وكمنع العرب عن الإتيان بمثل القرآن العزيز.

والفعل الخارق للعادة قد يكون متعذّراً في جنسه كخلق الحياة وقد يكون في صفته كقلع مدينة وكلاهما معجز.

وقال في كتابه أنوار الملكوت (ص ١٨٤):

المعجز أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي فالأمر يتناول فعل غير المعتاد وفعل المعتاد والخارق للعادة فصل يتميّز به عن غيره والإقتران بالتحدّي يتميّز به عن الكرامات وقد يزاد في الحدّ مع عدم المعارضة ليتميّز به عن السحر والشعبذة وليس بشيء إذ ذلك ليس بخارق للعادة وشرط المعجز أن يكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله بأن يكون بأمره أو تمكينه لأنّ المصدق للنبيّ بالمعجز هو الله تعالى فلابدّ وأن يكون المعجز منسوباً إليه وأنّه يظهر في زمان التكليف لأن إشتراط الساعة ينتقض بها عادته تعالى مع أنّها لا تدلّ على نبيّ والغرض من المعجز إنّما هو التصديق.

وقال في كتابه كشف الإعتقاد في شرح تجريد الإعتقاد لنصير الدين الطوسي ماصورته (ص ٣٥٠):

قال: وطريق معرفة صدقه ظهور المعجز على يده وهو ثبوت ماليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى.

أقول: لما ذكر صفات النبيّ وجب عليه ذكر بيان معرفة صدقه وهو شيء واحد وهو ظهور المعجز على يده ونعني بالمعجز ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى لأنّ الثبوت والنفي سواء في الإعجاز فإنّه لا فرق بين قلب العصاء حيّة وبين منع القادر عن رفع أصغر الأشياء وشرطنا خرق العادة لأنّ فعل المعتاد أو نفيه لايدلّ على الصدق وقلنا مع مطابقة الدعوى لأنّ من يدّعي النبوّة ويسند معجزته إلى ابراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم برء العمى لا يكون صادقاً.

ولابدّ في المعجز من شروط:

أحدها: أن يعجز عن مثله أو مايقاربه الامة المبعوث إليها.

الثاني: أن يكون من قبل الله تعالى أو بأمره.

الثالث: أن يكون في زمان التكليف لأن العادة تنتقض عند اشراط الساعة.

الرابع: أن يحدث عقيب دعوى المدّعي للنبوّة أو جارياً مجرى ذلك ونعني

بالجاري مجرى ذلك أن يظهر دعوى النبيّ في زمانه وأنّه لا مدّعى للنبوّة غيره ثمّ يظهر المعجز بعد أن ظهر معجز آخر عقيب دعواه فيكون ظهور الثاني كالمتعقّب لدعواه لأنّه يعلم تعلّقه بدعواه وأنّه لأجله ظهر كالذي ظهر عقيب دعواه.

الخامس: أن يكون خارقاً للعادة.

## أقوال أعلام الإمامية
## في التفريق ما بين المعجزة والسحر

قال شيخ الطائفة الطوسي في كتاب تمهيد الأصول في علم الكلام:

فأمّا معجزاته عليه وآله السلام التي هي سوى القرآن فهي مثل مجيء الشجرة لمّا قال لها اقبلي، فجاءت إليه تخدّ الأرض خداً ثمّ قال لها أدبري فعادت إلى مكانها ومنها خبر الميضاة وأنّه عليه السلام وضع يده فيهافكان يفور الماء من بين أصابعه حتّى شربت الجماعة من ذلك الماء وارتووا ومنها أنّه عليه السلام أطعم الخلق الكثير من طعام يسير في بعض دور الأنصار ومنها أنّه عليه السلام كان يخطب إلى بعض الأجذاع فلمّا عمل المنبر وتحول إليه حنّ إليه كما تحن الناقة إلى ولدها فلمّا جاء إليه والتزامه سكن ومنه تسبيح الحصا في كفّه وكلام الذراع له وقالت لا تأكلني فإنّي مسمومة ومنها أنّه استسقى فلمّا جاء المطر الكثير شكا إليه أهل المدينة من خراب المنازل فقال عليه السلام اللهمّ حوالينا ولا علينا فصار كالاكليل حول المدينة وتمطر والشمس طالعة في نفس المدينة ومنها انشقاق القمر والقرآن ناطق به ومنها إخباره بالغايبات قبل كونها نحو قوله لأمير المؤمنين عليه السلام: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين وقوله: انک تقتل ذا الثدية وقوله في قصّة سهيل بن عمرو: انک تدعى الى مثلها فتجيب وقوله لعمّار بن ياسر رحمه الله تقتلك الفئة الباغية وقوله لعايشة تنبحک كلاب الحوأب فكان مخبرات هذه الأخبار على ما أخبره وليس لأحد أن يقول انّ هذه الأخبار آحاد وذلك أن المسلمين تواتروا بها خلفاً عن سلف وهي بينهم شايعة ذايعة وأكثر هذه المعجزات وقع بحضرة الجمع الكثير ثمّ تواتر النقل به وفيمن قال ان التواتر يوجب العلم الضروري من قال انّ هذه الأخبار مايعلم ضرورة مثل مجيء الشجرة وحنين الجذع وخبر الميضاة والصحيح عندنا في جميع ذلك أنّه معلوم بالإكتساب فان قيل ما الدليل على أنّ أسباب الحيل مفقودة في متضمّن هذه الأخبار حتّى حكمتم بصحّة كونها معجزة قلنا كثير من هذه المعجزات لا يمكن فيها الحيل مثل انشقاق

القمر وحديث الإستسقاء وإطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير وخروج الماء من بين أصابعه واخباره بالغايات قبل كونها ومجيء الشجرة إليه ورجوعها عنه لايتمّ أيضاً فيه الحيلة وإنّما تتمّ الحيلة في الأجسام الخفيفة التي تجلب بالتكلّف والقزّ وغير ذلك ولا يتمّ في الشجرة لأنّه لو كان لوجب أن يشاهد فإن قيل جوزوا أن يكون هاهنا جسم يجذب الشجرة كما أنّ هاهنا حجر يجذب الحديد قيل لو كان الأمر على ذلك لعثر عليه ولظفر به مع تطاول الزمان كما عثر على حجر المغناطيس حتّى علمه كلّ أحد ولو جاز ماقالوه للزم أن يقال هاهنا حجر يجذب الكواكب ويقلع الجبال من أماكنها وإذا قرب من ميت عاش فيؤدّي إلى أن لايثق بشيء أصلاً ويؤدّي ذلك إلى الجهالات وكان ينبغي أن يطعن بذلك أعداء الدين ومخالفوا الإسلام لأنّهم إلى ذلك أحوج وبه أشغف وكذلك القول في خروج الماء من بين أصابعه ان ادّعى طبيعة فيه أو حيلة لزم تجويز ذلك في قلع الجبال وجذب الكواكب وإحياء الموتى وكلّ ذلك فاسد وحنين الجذع لايمكن أنّه كان لتجويف فيه لإنّه لو كان كذلك لعثر عليه مع المشاهدة ولا كان يسكن مع الإلتزام وتسبيح الحصى وتكليم الذراع لا يمكن فيه حيلة البتة وقيل في سماع الكلام من الذراع وجهان أحدهما أنّ اللّه تعالى بنى الذراع بينة حي صغير وجعل له آلة النطق والتمييز فتكلّم بما سمع والآخر أن اللّه تعالى فعل فيه كلاماً يسمع من جهتها واضافه إلى الذراع مجازاً وقول من قال لو انشقّ القمر لرآه جميع الناس لا يلزم لأنّه لا يمتنع أن يكون الناس في تلك الحال مشاغيل فإنّه كان بالليل فلم يتّفق لهم مراعاة ذلك فإنّه بقى ساعة ثمّ إلتأم وأيضاً فإنّه لا يمتنع أن يكون الغيم حال بينه وبين جميع من لم يشاهده فلأجل ذلك لم يراه الكلّ(٣٥١).

وقال الشيخ تقي الدين أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧ هـ) في كتاب تقريب المعارف في الكلام (ص ١٠٤):

يفتقر المعجز إلى شروط ثلاثة: منها أن يكون خارقاً للعادة، من فعله تعالى، مطابقاً لدعواه.

واعتبرنا فيه خرق العادة، لأنّ دعوى التصديق بالمعتاد لا يقف على مدّع من مدّع، ولا يميّز صادقاً من كاذب وإن كان من فعله تعالى كطلوع الشمس من المشرق، ومجيء المطر في الشتاء والحرّ في الصيف، وطريق العلم بذلك اعتبار العادات وما يحدث فيها، وخروج الفعل الظاهر على يد المدّعي عن ذلك.

واعتبرنا كونه من فعله تعالى، لجواز القبيح على كلّ محدث، وجوازه يمنع من

القطع على صدق المدّعي وكون ما أتى به مصلحة، وطريق العلم بذلك أن يختصّ خرق العادة بمقدوراته تعالى كإيجاد الجواهر وفعل الحياة أو يقع الجنس من مقدورات العباد على وجه لا تمكن إضافته إلى غيره، كرجوع الشمس وإنشقاق القمر وأمثال ذلك. واعتبرنا كونه مطابقاً للدعوى، لأنّه متى لم يكن خرق العادة متعلّقاً بدعوى مخصوصة، لم يكن أحد أولى به من أحد.

فإذا تكاملت هذه الشروط، فلابدّ من كونه دلالة على صدق المدّعي لكون هذا التصديق نائباً مناب لو قال تعالى: «صدق هذا فيما يؤدّيه عنّي» كما لا فرق في كون الملك الحكيم مصدّقاً لمدّعي إرساله له بين أن يقول: «صدق عليّ» أو يفعل ماادّعى كونه مصدّقاً له به ممّا لم تجر عادة الملك بفعله، فإن كان ماذكرناه مشاهداً، ففرض المشاهد له النظر فيه، لكونه خائفاً من فوت مصالح وتعلّق مفاسد، وإن كان نائياً عن حدوث المعجز أو موجوداً بعد تقضيه، فلابدّ مع تكليف ما أتى به النبيّ صلى الله عليه وآله من نصب دلالة على صدقه وصحّة ما أتى به، لقبح التكليف من دونهما، وذلك يكون بأحد شيئين: إمّا قول من يعلم صدقه وإن كان واحداً أو تواتر نقل لا يتقدّر في ناقليه الكذب بتواطوء وافتعال أو اتّفاق لبلوغهم حدّاً في الكثرة وتنائي الديار والأغراض أو وقوع نقلهم على صفة يعلم الناظر فيها تعذّر الكذب في مخبرهم من أحد الوجوه بقضيّة العادة وإن قلّوا، وإن كانت هذه الطبقة تنقل عن غيرها وجب ثبوت هذه الصفات في من ينقل عنه ثمّ كذا حتّى يتّصل النقل بجماعة شاهدت المعجز لا يجوز على مثلها الكذب، وذلك لايتمّ إلاّ بتعيّن الأزمنة للناظر في النقل وتميّز الناقلين ذوي الصفة المخصوصة في كلّ زمان، لأنّ الجهل بأعيان الأزمنة يقتضي الجهل بأهلها، وتعيّن الأزمنة مع الجهل بأعيان الناقلين الموصوفين يقتضي تجويز انقطاع النقل وتجويز إفتعاله واستناده إلى معتقدين دون الناقلين، فمتى اختلّ شرط ممّا ذكرناه ارتفع الأمان من كذب الخبر المنقول، ومتى تكاملت الشروط حصلت الثقة بالمنقول.

وقال العلامة الشيخ سديد الدين محمود الحمصي الرازي من أعلام الإماميّة في القرن السادس في كتاب المنقذ من التقليد: القول في الفصل بين المعجز والحيل: قد ذكرنا حقيقة المعجز، فأمّا الحيلة فهي إراءة الغير لغيره أمراً في الظاهر على وجه لايكون عليه مع إخفاء وجه الإلتباس فيه، نحو أن يري صاحب الحيلة ويخيل الى الناظر أنّه ذبح حيواناً بخفّة حركاته ولا يذبحه في الحقيقة، ثمّ يري من بعد أنّه أحياه، وهذا الجنس من

الحيل هو السحر عند المحقّقين، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام ليست من هذا الجنس، بل جميع ما أتوا به كانت على ما أتوا به ولم يكن فيها تلبيس وتمويه، وهذا ظاهر فيما لايدخل جنسه تحت مقدور العباد، كقلب العصا ثعباناً، وفلق البحر بحيث يصير كلّ فرق كالطود العظيم، وإحياء ميّت متقادم العهد وبقائه حيّاً حتّى يولد له، وإبراء الأكمه حتّى يصير مبصراً، إذا لا يتصوّر في مثل هذه الأمور حيلة وتلبيس، ولهذا ذكر شيوخ أهل العدل أنّ العقلاء يعلمون باضطرار أنّ هذه الأمور ليس فيها وجه حيلة، وكذا ليس في القرآن في مثل بلاغته وفصاحته وجه حيلة.

قالوا: هذا أيضاً ممّا يعلم ضرورة وإن علم كونه معجزاً استدلالاً وعلى هذا قال تعالى في قوم فرعون وما عاينوه من معجزات موسى عليه السلام وإنكارهم لها ظاهراً: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً».

فإن قيل: ما أنكرتم أن يكون في الحشايش والعقاقير والأدوية ما إذا شربه الإنسان صار فصيحاً بليغاً، بحيث يتمكّن من مثل فصاحة القرآن وأن يكون فيها ما إذا مسّ به ميّت، صار حيّاً.

قلنا: إن كان في الوجود مثل ذلك لم يخلّ من أحد أمرين: إمّا أن يكون للناس طريق إلى معرفة ذلك الدواء أو لا يكون لهم طريق إلى معرفة ذلك فإن كان لهم طريق إلى معرفته، وجب أن يمكن الظفر به والإطلاع عليه، وإذا اطّلعوا عليه، وجب أن يعارضوا به من ظهر عليه وتمسك به، وإن لم يكن لهم طريق إلى معرفته ولم يمكنهم الظفر به، وجب أن يكون الظفر به والإطلاع عليه معجزاً، لأنّه يعلم أنّه لم يطلع عليه إلاّ بأن أطلعه الله تعالى عليه، وذلك خارق عادةً من جهته تعالى، مطابقاً لدعوى المدّعي، إذ التقدير أنّه تعالى لم يطلع عليه أحداً سوى المدّعي للنبوّة، فيعلم بذلك صدقه في دعواه، ثمّ يعلم بعد ذلك بخبره أنّ ذلك ليس من جهته، بل من قِبَله تعالى، كالقرآن الذي أنزله عليه، وكذلك هذا في الدواء الذي أورده السائل وجوّزه في إحياء الموتى.

واعلم أنّ للسحر والحيل وجوهاً، مهما فتّش عنها من اعتنى لها وقف على تلك الوجوه، ولهذا يصحّ في ذلك التعلّم والتتلمذ، ولا يختصّ به أحد دون غيره، أي كلّ واحد متمكّن من تعلّمه، وإذا تعلّمه أمكنه أن يفعل مثل فعل غيره ممّن يعلم ذلك، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام بخلاف ذلك، لأنّ أعداءهم المعتنون بإبطال أمرهم الساعون في كشف عوارهم إن كانت لهم عوار، يجدّون ويجتهدون في التفتيش عنها ويعتنون بالوقوف

والإطلاع على وجوهها، فلايقفون فيها على وجه حيلة.

ولهذا أقر سحرة فرعون على ماقصّه الله تعالى، وهم أعلم أهل الأرض بالسحر: بأن ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر، فآمنوا وقالوا لفرعون: ﴿وما تنقم منّا إلاّ أن آمنّا بآيات ربّنا لمّا جاءتنا، ربّنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين﴾.

وما ذكره الطاعنون في المعجزات في مقابلتها، فإنما هي أمور يسيرة يتمكّن منه بالمواطاة والحيل، وما يفعله المشعبذون في كلّ زمان فهو أعجب منها.

ذكر ابن زكريّا المتطبّب ماينقل عن زرادشت من صبّ الصفر المذاب على صدره، ومن خدم سدنة بيت الأوثان أنّه كان منحنياً على سيف وقد خرج من ظهره لا يسيل منه دم بل ماء أصفر، وكان يخبرهم بأمور.

قال: ورأيت رجلاً كان يتكلّم من إبطه، ورأيت آخر لم يأكل خمسةً وعشرين يوماً، وهو مع ذلك قويّ خصيف البدن.

وأي نسبة لأمثال هذه التخيّلات والمحالات إلى قلب العصا ثعباناً وفلق البحر، وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وفصاحة القرآن وبلاغته، وانفجار الماء الكثير من الحجر الصغير أو من بين الأصابع حتّى يشرب منه الخلق الكثير.

أمّا ما ذكره ابن زكريّا عن زرادشت، فإنّه تمكّن من طلي الطلق على بدنه، وهو دواء يمنع من الإحراق، وقد كان في زماننا من يدخل التنور المسجور بالغضا.

وأمّا إراءة السيف نافذاً في البطن، فشعبذة معروفة، يقال إنّه يكون مجوّفاً يدخل بعضه في بعض، فيرى المشعبذ أنّه يدخل جوفه.

وأمّا الإمساك عن الطعام فعادة يعتادها كثير من الناس، وفي الصوفيّة من يعوّد نفسه الجوعَ أربعين يوماً، ونقل أنّ عبد الله بن الزبير كان يصوم صوم الوصال خمسة عشر يوماً، ويقال إنّه كان من أقوى أهل زمانه.

وأمّا التكلّم من الإبط فيتصوّر أن يكون ذلك أصواتاً مقطّعة بالإبط قريبة من الحروف ولم تكن أصواتاً متميّزة كأصوات كثير من الطيور، وقد يسمع من صرير الباب مايشبه بعض الحروف ويقرب منها.

وفي الجملة الحاكي غير معتمد في الحكاية، فيجوز أن يخبر أن ذلك كان كلاماً خالصاً، ولا يكون كذلك ويمكن أن يتعمّل ذلك الإنسان له ويصل إلى ذلك بالتجربة والإستعمال.

ويحكى عن الحلاج ما هو أغرب وأعجب من جميع ذلك، وقد وقف العلماء على وجوه الحيل فيها وذكروها في كتبهم.

وقد طعن ابن زكريّا في المعجزات من وجه آخر، فقال: «وقد يوجد في طبايع الأشياء أعاجيب، وذكر حجر المغناطيس المعروف وجذبه الحديد وباغض الخلّ، وهو حجر إذا ألقي في إناء خلّ، فإنّه يتنكّب منه ولا ينزل إلى الخلّ، والزمرّد، فإنّه يسيل عين الأفعى، والسمكة الرعادة يرتعد صائدها مادامت في شبكته وكان آخذاً في شبكته وكان آخذاً بخيط الشبكة، فلا يمنع أيضاً فيما يظهر على المدّعين للنبوّة أن يقال إنّه ليس منهم، بل ببعض الطبايع، إلاّ أن يدّعي مدّع أنّه أحاط علماً بجميع طبايع جواهر العالم، وبطلان ذلك ظاهر بيّن».

وذكر أبو اسحاق بن عيّاش: «أنّ ابن زكريّا أخذ هذا عن ابن الروندي، فإنّه ذكر في كتاب له سمّاه الزمرد راداً على من يحتجّ بصحّة النبوّة بالمعجزات، فقال: «ومن أين لكم أنّ الخلق يعجزون منه؟ هل شاهدتم الخلق طرّاً؟ أو أحطتم علماً بمنتهى قواهم وحيلهم؟ فإن قلتم: نعم، كذبتم، لأنّكم لم تجوبوا الشرق والغرب ولا امتحنتم الناس جميعاً» ثمّ ذكر أفعال الأحجار، كحجر المغناطيس وغيره».

قال الشيخ أبو اسحاق: «فأجابه الشيخ أبو عليّ في نقضه عليه: أن يجوز أن يكون في الطبايع مايجذب به النجوم وما يسير به الخيال في الهواء، ويحيى به الموتى بعد ما صاروا رميماً من حيث أن على علّته هذه لا يمكنه الفصل المميّز بين المعتاد والممكن وبين ماليس بمعتاد، ولا بين ماينفذ فيه حيلة وبين ما لا ينفذ فيه حيلة، إلاّ أن يجوب البلاد شرقاً وغرباً يعرف قوى جميع الخلق، فأمّا إذا سلّم أن يعلم باضطرار المعتاد وغيره وما لا ينفذ فيه حيلة وما ينفذ فيه الحيلة لزمه النظر في المعجزات قبل أن يجوب البلاد شرقاً وغرباً، ولا يحتاج في معرفة كون المعجز معجزاً إلى ما ذكره من معرفة قوى الخلق وطبايع الجواهر، وعلى هذا لو ادّعى واحد النبوّة وجعل معجزه أنّه يجذب الحديد بالتراب وجذب وعلمنا أنّه ليس فيه وجه حيلة، فإنّا نعلم بذلك صدقه قبل أن نجوب البلاد ونعرف جميع الطبايع».

وذكر أبو إسحاق: «أنّ ما يذكر في خصائص بعض هذه الأحجار كذب، وذكر أنّ واحداً أمر فجيء بالأفاعي في سبد وجعل الزمرد الفائق في رأس قبصة ووجّه به أعين الأفاعي، فلم تسلّ، وعلى أنّ جميع ما ذكروه يسقط بما شرطناه، في المعجز بأن يفتّش عنه

أهل البصر، ومن تقوى دواعيه إلى كشف عواره الزمان الطويل، فلا يقف فيه على وجه حيلة، وفيما ذكروه من الحيل والسحر ما هو معتاد ظاهر لأكثر الناس، كحجر المغناطيس أو يوقف فيه على جميع وجوهه إن لم يكن معتاداً ظاهراً(٣٥٢).

وقال العلامة المجلسي «قده»:

الذي ظهر لنا ممّا مضى من الآيات والأخبار والآثار أن للسحر تأثيراً ما في بعض الأشخاص والأبدان، كإحداث حبّ أو بغض أو همّ أو فرح، وأمّا تأثيره في إحياء شخص، أو قلب حقيقة إلى أخرى، كجعل الإنسان بهيمة، فلا ريب في نفيهما، وأنّهما من المعجزات، وكذا في كلّ ما يكون من هذا القبيل، كإبراء الأكمه والأبرص، وإسقاط يد بغير جارحة، أو وصل يد مقطوع، أو إجراء الماء الكثير من بين الأصابع أو من حجر صغير وأشباه ذلك.

والظاهر أنّ الإماتة أيضاً كذلك، فإنّه بعيد أن يقدر الإنسان على أن يقتل رجلاً بغير ضرب وجرح وسمّ وتأثير ظاهر في بدنه، وإن أمكن أن يكون الله تعالى جعل لبعض الأشياء تأثيراً في ذلك ونهى عن فعله، كما أنّه سبحانه جعل الخمر مسكراً ونهى عن شربه، وجعل الحديد قاطعاً ومنع من إستعماله في غير ما أحلّه، وكذا التمريض، لكنّه أقلّ استبعاداً.

فإن قيل: مع تجويز ذلك يبطل كثير من المعجزات، ويحتمل فيه السحر.

قلنا: قد مرّ أنّ المعجزة تحدث عند طلبها بلا آلات وأدوات ومرور زمان يمكن فيه تلك الأعمال، بخلاف السحر، فإنّه لا يحصل إلاّ بعد إستعمال تلك الأمور ومرور زمان، وأيضاً الفرق بين السحر والمعجز[ة] بيّن عند العارف بالسحر وحقيقته ولذا حكم بعض الأصحاب بوجوب تعلّمه كفاية، ويروى عن شيخنا البهائي ــ قدّس الله روحه ــ أنّه لو كان خروج الماء من بين أصابع النبيّ صلى الله عليه وآله مع قبض يده وضمّ أصابعه إلى كفّه كان يحتمل السحر، وأمّا مع بسط الأصابع وتفريجها فلا يحتمل السحر، وذلك واضح عند من له دربة في صناعة السحر.

وأيضاً معجزات الأنبياء لاتقع على وجه تكون فيه شبهة لأحد، إلاّ أن يقول معاند بلسانه ما ليس في قلبه، فإنّ الساحر ربّما يخيّل ويظهر قطرات من الماء من بين أصابعه أو كفّه أو من حجر صغير، وأمّا أن يجري أنهار كبيرة بمحض ضرب العصا أو يروّي الناس والدوابّ بما يجري من بين أصابعه بلا معاناة عمل أو إستعانة بآلة، فهذا ممّا يعرف كلّ عاقل أنّه لا يكون من السحر، وكذا إذا دعا على أحد فمات أو مرض من ساعته، فإنّ مثل

هذا لا يكون سحراً بديهة.

وأمّا جهة تأثيره فما كان من قبيل التخييلات والشعبذة فأسبابها ظاهرة عند العاملين بها تفصيلاً، وعند غيرهم إجمالاً، كما مرّ في سحر سحرة فرعون، واستعانتهم بالزئبق أو إراءتهم أشياء بسرعة اليد لا حقيقة لها.

وأمّا حدوث الحبّ والبغض والهمّ وأمثالها، فالظاهر أنّ الله تعالى جعل لها تأثيراً وحرّمها كما أومأنا إليه، وهذا ممّا لاينكره العقل، ويحتمل أن يكون للشياطين أيضاً مدخلاً في ذلك، ويقلّ أو يبطل تأثيرها بالتوكّل والدعاء والآيات والتعويذات.

ولذا كان شيوع السحر والكهانة وأمثالهما في الفترات بين الرسل وخفاء آثار النبوّة واستيلاء الشياطين أكثر، وتضعف وتخفى تلك الأمور عند نشر آثار الأنبياء وسطوع أنوارهم كأمثال تلك الأزمنة، فإنّه ليس من دار ولا بيت إلاّ وفيه مصاحف كثيرة وكتب جمّة من الأدعية والأحاديث، وليس من أحد إلاّ ومعه مصحف أو عوذة أو سورة شريفة، وقلوبهم وصدورهم مشحونة بذلك، فلذا لانرى منها أثراً بيّناً في تلك البلاد إلاّ نادراً في البلهاء والضعفاء والمنهمكين في المعاصي، وقد نسمع ظهور بعض آثارها في أقاصي البلاد، لظهور آثار الكفر وندور أنوار الإيمان فيها، كأقاصي بلاد الهند والصين والترك.

وأمّا تأثير السحر في النبيّ والإمام ــ صلوات الله عليهما ــ فالظاهر عدم وقوعه وإن لم يقم برهان على إمتناعه إذا لم ينته إلى حدّ يخلّ بغرض البعثة، كالتخبيط والتخليط، فإنّه إذا كان الله سبحانه أقدر الكفّار لمصالح التكليف على حبس الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وضربهم وجرحهم وقتلهم بأشنع الوجوه فأيّ إستحالة على أن يقدروا على فعل يؤثّر فيهم همّاً ومرضاً؟

لكن لمّا عرفت أنّ السحر يندفع بالعوذ والآيات والتوكّل، وهم عليهم السلام معادن جميع ذلك، فتأثيره فيهم مستبعد، والأخبار الواردة في ذلك أكثرها عاميّة أو ضعيفة ومعارضة بمثلها، فيشكل التعويل عليها في إثبات مثل ذلك.

وأمّا ما يذكر من بلاد الترك أنّهم يعملون ما يحدث به السحب والأمطار فتأثير أعمال مثل هؤلاء الكفرة في الآثار العلويّة وما به نظام العالم ممّا يأبى عنه العقول السليمة، والأفهام القويمة، ولم يثبت عندنا بخبر من يوثق بقوله.

وأمّا العين فالظاهر من الآيات والأخبار أنّ لها تحقّقاً أيضاً، إمّا بأن جعل الله تعالى لذلك تأثيراً وجعل علاجه التوكّل والتوسّل بالآيات والأدعية الواردة في ذلك أو بإذن الله

تعالى يفعل في المعين فعلاً عند حدوث ذلک لضرب من المصلحة، وقد إومأنا إلى وجه آخر فيما مرّ.

وبالجملة لايمكن إنكار ذلک رأساً، لمايشاهد من ذلک عيناً، وورود الأخبار به مستفيضاً، والله يعلم وحججه عليهم السلام حقائق الأمور(٣٥٣).

وقال الحكيم الفيلسوف الملا هادي السبزواري في أجوبته على مسائل الملا اسماعيل البجنوردي في السؤال الثالث منها والمتضمن لقوله:

قال السائل «ايده» بيّنوا سلمكم الله: اذا كان انشقاق القمر في صورته المبصرة في الجليدية ومنه يسرى إلى انشقاق القمر المادي في الفلک كما يظهر من عبارة السيد المدقق الداماد«ره» فلا يبقى حينئذ فرق بين المعجزة والسحر لان كليهما تصرف في الحواس.

أقول: هذا ليس من باب السراية فإن السراية فرع الأثنينية، ولا اثنينية هنا لأن شيئية الشيء اذا كانت بصورته وكانت الهوية الواحدة كيف يحكم بسراية الحكم مثلاً اذا كان المؤمن مصدر الطاعة في ساعة ثم مصدراً في ساعة أخرى لخطيئة وصفنا المطيع نفسه وعينه بأنه أخطأ لا انا وصفناه بالخطأ من باب سراية حكم المخطي في الساعة الثانية إلى المطيع في الساعة الأولى.

وذلک لأن الوجود والتشخص في ذلک واحد وهما اعني المطيع والمخطيء طوران لشخص واحد كظهوره تارةً بكونه فرحاناً وتارةً بكونه غضباناً فهذان الطوران لا يجعلان الشخص شخصين والإشتباه انما نشأ من ثينيتهما في صورة الانفكاك في الوجود والحاكم بطور وطور أيضاً هو البرهان والتدقيق ووظيفة العقل ووظيفة الحس ليست الا الاحساس.

وأمّا ان المحسوس بأي وجود موجود وله أية درجة من الصور واين نشأتها وكيف فعليتها وبساطتها ونحو ذلک فهي مفوضة إلى العقل الناقد والعقل أيضاً اذا حكم بالكثرة لا يحكم بأن كثرة كثرة عددية أو اطوارية ودرجاتية بل يحكم بموجب البرهان اذ قد تكون هذه وقد تكون تلک.

وقد قلنا سابقاً: ان كل صورة تحس عين الصورة التي في المادة لأن المحسوس بالذات لابد أن يكون وجوده للحاس بل وجوده في نفسه عين وجوده للحاس وهذا حكم العقل بالبرهان ومع ذلک لا يتوقف الحاس في أنه احس الصورة التي في المادة والموضوع وذلک لأن هذه وتلک واحدة وان كان هناك كثرة فبان ذلک الواحد له درجات سيما والصورة آلة لحاظ ذي الصورة مرآت مشاهدته وبهذا النظر هو المحسوس وهي ما به الاحساس.

وأما قول السائل(ايده): «لا يبقى فرق حينئذ بين المعجزة والسحر» فيعلم انه اذا لم يبق بين الشيئين فرق من بعض الوجوه لم يلزم انتفاء الفرق مطلقاً لأن انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام فالفرق بين المعجزة والسحر في بعض الموارد وان لم يكن من حيث الصورة والمادة لكن الفرق متحقق من حيث الفاعل والغاية بل بالشدة والضعف أيضاً.

فإن الفاعل في المعجزة هو العقل الكلّي وفي السحر النفس الحيوانية الحسية بل النفس الخبيثة الشيطانية.

والغاية في المعجزة هي الدلالة إلى الله والثمرات العقلية المحكمة الكلية والغاية في السحر هي الثمرات الجزئية الداثرة الوهمية والتفاوت بالشدة والضعف معلوم اذ الأثر يشابة صفة مؤثره فأين أثر العقل الكلي بل القوة الربانية كما قال عليّ (عليه السلام): «قلعت باب خيبر بقوة ربانية لا بقوة جسدانية...» من اثر النفس الجزئية الوهمية فنسبة الأثر إلى الأثر في رتبة الوجود نسبة المبدء إلى المبدء بل لولم يكن الفرق الا من وجه لكفى لأن تحقق الطبيعة بتحقق فرد «ما» كما في الفرق بين المعجزة والكرامة لأنه من حيث الفاعل.

لأن فاعل الكرامة هي النفس الولوية وفاعل المعجزة هي النفس النبوية وبالجملة فاعل تلك هو النفس الكليّة وفاعل هذه هو العقل الكلي ثم انه كم من اعجوبة في قدرة «تبدل الأرض غير الأرض» فيبدل الوجود الظلماني في المشاعر ونشئاتها ومنشئاتها التي يستنسخها من نسخة العالم الطبيعي إلى الوجود النوراني في كل ما ذكر بحيث لا يصادم الأوضاع الإلهية الثابتة اذ لم تجد «ولن تجد لسنة الله تبديلا» وتجلب الأوضاع الإلهية الأخرى من الدعوة إلى الله والتمسك بعراه الوثيقة هذا مضافاً إلى المعجزات القولية العقلية التي هي أدوم وأبقى وأنور وأبهى وأهنى وأشهى في مذاق العصابة العليا بحيث لا نسبة.

قال السيد المحقق الداماد «ره» في أواخر القبسات: «وبالجملة تنافس الحكماء في الرغائب العقلية أكثر وعنايتهم بالأمور الروحانية أوفر ولذلك يفضلون معجزة نبينا(ص) اعني: القرآن الحكيم على معجزات الأنبياء إذ المعجزة القولية أعظم وأدوم ومحلها في العقول الصريحة أثبت وأوقع ونفوس الخواص أطوع وقلوبهم لها أخضع»(٣٥٤).

وأضاف في جواب له أيضاً على طائفة أخرى من مسائل الملا اسماعيل المذكور عند سؤاله عن كيفية انشقاق القمر ماصورته: ياقرّة العين يارفاً بأن ليس مني شيء في

البين، سألتني عن مسائل عظيمة كثيرة الفوائد عزيزة العوائد ولكنها متكاثرة المبادي والأصول بل لأجلها كلها وكل الطلب والوغول واني من اسباب الشوق في ضنك المحول وقد خيرتني بين التقرير التفصيلي والإجمالي فأخترت منهما التالي لتشتت بالي وعدم مساعدة حالي وعلى الله تعالى في جميع الأمور اتكالي. فأقول: اما انشقاق القمر فهو حق وصدق ونقتصر في هذا على ما ذكره السيد الداماد(ره) في أواخر القبسات بقوله: مامن معجزة فعلية مأتي بها، الا وفي افاعيل الله تعالى قبلنا من جنسها اكبر وأبهر منها وانق واعجب واحكم واتقن.

فخلق النار مثلاً أعظم من جعلها برداً وسلاماً على ابراهيم وخلق الشمس والقمر والجليدية والحس المشترك أعظم من شق القمر في الحس المشترك (انتهى).

وليس مراده(ره) ان الإنشقاق لم يكن محسوساً مشاهداً للناس حاشاه عن ذلك لأنه من أجل المتصلبين بحفظ الأوضاع الشرعية بل عنده وعند الحكماء المدرك للمحسوسات الظاهرة بالحقيقة هو الحس المشترك وهذه المشاعر الخمسة كروازن إلى عالم الظاهر، أو كأنهار ينصب منها الماء الى حوض واحد فالمدرك اذا وصل اليه، كان محسوساً مشاهداً، سواء وصل اليه من عالم الظاهر أو انشأ اليه من عالم الباطن.

وبعبارة أخرى: سواء ترقى اليه الصور من المواد، أو تنزل اليه رقايق الحقايق وصور المعاني.

ثم إني ازيدك بياناً لحفظ الأوضاع الظاهرة بشرط ان تكون انت أيضاً محافظاً لمراتب المدركات بالذات وبالعرض.

وأقول: يصل حكم الإنشقاق إلى القمر المادي الذي في الفلك لأن شيئية الشيء بصورته وهذيته وفعليته بها، فكل حكم على المدرك بالذات يسري الى المدرك بالعرض كيف ولو لم يعتبر ذلك فالحكم بالإنخساف على القمر مثلاً حين أبصرت انخسافه ينبغي ان لا يسري القمر الطبيعي لأنك حكمت على محسوسات بالإنخساف والمحسوس بالذات لابد ان يكون وجوده للمدرك والصورة الطبيعية للقمر وجودها للمادة لا للمدرك ولذا يسمى بالمدرك بالعرض وليس كذلك فإن الحكم يسري اليه لما مر.

ثم ان هذا الإنشقاق حكم خارجي لا ذهني، لأن كل محسوس خارجي تحكم عليه بحكم خارجي فهو موجود لک كما هو شأن كل مُدْرِك لكل مُدْرَك ووجوده لک وجوده للمادة ومع ذلک تعلم قطعاً إنک حكمت على الموجود الخارجي.

فكل ما تبصره وتسمعه وتشمه وغير ذلک من عالم المواد جميعها في عالمکَ ومن منشآتک على طبق ما في المواد والموضوعات ذاتاً وصفةً بحيث لايعلم المغايرة الرتبية بينهما، الا المطلع على الأوضاع البرهانية.

ولولا العقل لم يعلم الحس الا مافي عالمه ولم يطلع على المرتبة المادية ومع ذلک كلها خارجية وخارجيتها وجدانية لک.(٣٥٥)

## المعجزة و الكرامة

عقد الشيخ محمد جواد مغنية الفصل الثاني عشر من القسم الثاني من كتابه معالم الفلسفة الإسلامية للكلام حول المعجزة والكرامة تحت عنوان (كرامات الأولياء) فقال:

**بين المحال والتعجب:**

فرق بعيد بين ما يحيله العقل ويجزم بعدم وقوعه، وبين الذي يتعجب منه بعد وقوعه ــ مثلاً ــ إذا قال قائل: الأسود أبيض، والموجود معدوم، والواحد أكثر من الإثنين، والعشرة أقل من الواحد، فإن عقلک يرفض هذا بمجرد سماعه، وبدون توقف، لأنه محال في نفسه، ممتنع في ذاته. أما إذا سمعت رجلاً يخبر بالمغيبات، أو يقرأ الأفكار على واقعها فإنک لا تنكر عليه ولكنک تتعجب منه، لأنه أتى بغير المعتاد والمألوف.

**القرآن والمعجزات**

لقد أكبر القرآن العقل، وأجله أي إجلال، واعتبره أساساً للتفكير بخلق الإنسان، والسموات والأرض، ودليلاً للإيمان بالله وكتبه ورسله، وفي الوقت نفسه ذكر للأنبياء معجزات خارقة للعادة، كقصة العزير الذي أحياه الله بعد أن أماته مائة عام، وأبقى طعامه على ما كان لم تغيره السنون، وحكاية ابراهيم الخليل مع الطيور الأربعة، كيف أتت اليه سعياً بعد أن قطعهن وفرق أجزاءهن على الجبال، وكعصا موسى التي انقلبت حيةً تسعى، وكإبراء عيسى الأكمه والأبرص والأعمى، وإحيائه الموتى، وكمحاربة الملائكة مع الرسول الأعظم خاتم النبيين، ورميه الحصى

والتراب في وجوه المشركين، حيث كانت الرمية سبباً لهزيمتهم وانتصار المسلمين عليهم.

وذكر القرآن أيضاً كرامات للأولياء، كحمل السيدة مريم بلا دنس، وقصة أهل الكهف، وقصة آصف بن برخيا مع سليمان في عرش بلقيس، وقوله: أنا آتيک به قبل أن يرتد إليک طرفک، وما إلى هذه من خوارق العادات التي جاء ذكرها في الكتب السماوية، ولو كان محالاً لم يخبر القرآن عن وقوعها، ولم تتقبلها عقول الملايين عبر القرون والأجيال.

بل ان القرآن قد أثبت السحر: «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت ومارت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرق بين المروء وزوجه وما هم بضائرين من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ١٠٢ /البقرة».

وعلى هذا فإن حصول الكرامات على أيدي الأولياء أمر ممكن يقره الدين ولا يأباه العقل، وقد فرق علماء الكلام بين المعجزة والكرامة بأن يشترط فيها التحدي، كأن يقول النبي لمن بعث اليهم: إن لم تقبلوا قولي فافعلوا مثل هذا، أما الثانية، وهي الكرامة فلا يشترط فيها التحدي.

**إعتراض:** وقد يعترض البعض بأن الحوادث المحسوسة لابد أن تخضع لأسباب مادية، وعلل طبيعية، ومعجزات الأنبياءوكرامات الأولياء تتنافى مع قانون الطبيعة ومبدأ العلية القائل: ان لكل حادثة سبباً، وإذا انتقض هذا المبدأ فلا يمكن الإعتماد على أية نظرية فلسفية وقانون علمي، لأن كلاً من الفلسفة والعلوم يرتكز على نظام العلة والمعلول الطبيعيين، وبالتالي يثبت القول بالإتفاق والصدفة التي أبطلها العلم ورفضها العقل، وعليه يكون القول بالمعجزات والكرامات باطل من الأساس.

**الجواب:** ان القول بالصدفة باطل من غير شک، ومبدأ العلية والسببية حق لاريب فيه، ولا يمكن نقضه في حال من الحالات، ولكن الحوادث الطبيعية لا يجب أن تكون عللها وأسبابها أبداً ودائماً طبيعية، كيف وعلة الطبيعة بمجموعها قوة تكمن وراء الطبيعة، وقدرة تتصرف فيها كيف تشاء ومتى تشاء؟ وإرادة الله سبحانه

قد تعلقت بالمعجزة والكرامة ابتداء وبلا توسط سبب طبيعي، وبهذا كانت خارقة للمعتاد.

وقد جاء في الكتاب: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ٨٢ / يس»، «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداعي إذا دعاني ١٨٦ / البقرة».

واستجابة الدعاء قد تكون بتهيئة الأسباب العادية، وقد تكون لمجرد الإرادة القدسية بحيث يكون السبب الأول والأخير هو إرادة الله وحدها، وجاء في الحديث الشريف: «إن لله عباداً متى أرادوا أراد».

وقد شاهدنا أفراداً اصيبوا بداء أجمع الأخصائيون على أنه مميت لا علاج له، ثم برأوا فجأة بدون تطبيب. وسمعنا عمن أصيب بضربات قاتلة، ومع ذلك بقي سالماً معافى! ولا سبب الا مشيئة الله. فكما يوجد الله الأشياء بأسبابها الطبيعية فإنه قد يوجد شيئاً لمجرد الإرادة، وبدون سبب ظاهر لحكمة يعلمها هو، ونجهلها نحن. وحتى السبب الطبيعي لا يؤثر أثره إلا بإرادته تعالى، فالنار سبب للإحراق، والسقوط من شاهق سبب للهلاك، ولكن بشرط ان لا يريد الله عكس ذلك، وبتعبير ثان: ان الأسباب الطبيعية تقضي التأثير إذا أرادها الله كذلك، فإذا انتفت إرادته إنتفى التأثير قهراً.

وبالتالي: فإن كل من يعترف بوجود قوة مدبرة وراء الطبيعة يلزمه حتماً أن يعترف بالمعجزات والكرامات، لأن من أوجد الطبيعة بكاملها بدون سبب طبيعي فأولى أن يوجد بعض أشيائها، كذلك. أما من ينكر الخالق الحكيم فلا كلام لنا معه ــ هنا ــ ونحيله على كتابنا «الله والعقل».

وبعد هذا التمهيد نعترض مجموعة من الكرامات التي نسبت إلى الصالحين وشيوخ الصوفية، نعرضها، ونحن على علم اليقين بأن بعضها نسب إلى رجال لا عهد لهم بها ولا علم، وبعضها الآخر انتحله مدلسون للتمويه على البسطاء والبلهاء.

**السيد البدوي:** جاء في «حاشية الشيخ الباجوري على شرح الغزّي على متن أبي شجاع» باب تغسيل الجنائز: «ان الميت لو غسل نفسه لايحتاج إلى من يغسله ثانية، كما وقع ذلك للسيد أحمد البدوي.، أي ان السيد البدوي بعد أن مات قام فغسل نفسه، وبعد انتهائه من الغسل مات ثانية».

وهذا النوع من الكرامة لم يتفق لأحد، حتى للسيد المسيح، لأن السيد المسيح كان حياً حين أحيا الموتى، أما السيد البدوي فقد أحيا نفسه وهو ميت.

**البطائحي**: في الجزء الأول من «لواحق الأنوار في طبقات الأخيار» للشعراني ص ١٣٢ : «أن أبابكر البطائحي كان نائماً فرأى في نومه ان أبابكر الصديق ألبسه ثوباً وطاقية، فاستيقظ فوجدهما عليه... ونقل صاحب الكتاب المذكور ان البطائحي هذا مات، وان جسمه استحال إلى تراب، وان ترابه استحال إلى نبات، وان الحيوان الذي أكل من هذا النبات لم تؤثر به النار، ولم ينضج أبداً».

وليس من شك ان كل من قرأ هذا لابد أن يتسائل كيف تميز تراب البطائحي عن تراب غيره؟ وعلى افتراض حصول هذا التميز وإمكانه كيف تميزت نبتة ترابه عن غيرها من النباتات؟ وفي حالة إمكان هذه التميز ووقوعه كيف تميز الحيوان الذي أكل هذه النبتة عن غيره؟

**الجيلاني**: وفي الكتاب السابق الذكر ص ١٢٦ ان عبدالقادر الجيلاني كان وهو طفل يمسك عن الرضاع في نهار رمضان لأنه صائم، وصادف ان غم الهلال على الناس في آخر الشهر فسألوا أم عبدالقادر: هل رضع اليوم؟ فقالت: نعم، فعلموا أنه العيد... ومن كراماته أنه بقي سنة يأكل ولا يشرب، وسنة يشرب ولا يأكل، وسنة لايأكل ولا يشرب ولاينام... وإذا اقتضت حكمة الله خلاص انسان ونجاته من التهلكة على الرغم من وجود أسبابها، فأية حكمة في بقاء عبدالقادر سنة كاملة بلا أكل ولا شرب ولانوم؟

**قضيب البان**: قال الشيخ يوسف النبهاني في كتاب «جامع الكرامات» ج١ ص٣٦٠ : «ان رجلاً دخل على الشيخ قضيب البان في بيته فرأى جسده يملأ البيت بكامله، فهاله ما رأى من هذا النمو الخارق، فخرج الرجل ثم عاد، فرآه قد صغر حتى أصبح كالعصفور، فخرج ثم عاد، فرآه كعادته...

وقال عبدالله اليافعي في كتاب «نشر المحاسن في فضل الصوفية أصحاب المقامات العالية»: لقد اشتهر عن الصوفية انهم يقلبون الحصى جوهراً، والحطب ذهباً، ونشارة الخشب دقيقاً، والرمل سكراً، وماء البحر سمناً، ونقل أن صوفياً مات في سفينة فجف ماء البحر، حتى لم يبق منه قطرة، فنزل الركاب من السفينة، وحفروا للصوفي ودفنوه، لما فرغوا من دفنه استوى الماء، وارتفعت السفينة،

فركبوا وساروا...

وقد وضع القدامى العديد من المجلدات الضخمة في أمثال هذه «الكرامات» وأكثرها مطبوع، وكان انتشار هذه «الكرامات» عاملاً قوياً في القضاء على التصوف والمتصوفين، فلقد كان لهم مكانة في القلوب، ووجاهة عند الناس، ثم انتكسوا وضعف أمرهم، حيث انتسب اليهم الأدعياء الذين تجاوزوا كل حد في الكذب والتدليس. فبعد أن كانت الكرامات معقولة مقبولة، كاستجابة الدعاء في شفاء مريض، والنجاة من بعض المخاطر، وما إلى ذاك مما يتفق للصالحين وغيرهم من ذوي النوايا الحسنة، أصبحت من النوع الذي ينفر منه السمع، ويأباه الطبع.

ومن الأسباب التي عجلت بإنقراض الصوفية انغماس المنتمين اليهم في المحرمات والشهوات، وظهور أمثال القلندرية، حتى لم يبق معنى للتصوف عند هؤلاء ومن اليهم إلا التكدي واستعمال البنج والأفيون(٣٥٦).

وقال الحكيم نصير الدين الطوسي في تجريد الإعتقاد (ص ٢١٤) في أمر الكرامة:

قصة مريم وغيرها تعطي جواز ظهورها على الصالحين ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا التنفير ولاعدم التمييز ولا إبطال دلالته ولا العمومية ومعجزاته صلّى اللّه عليه وآله قبل النبوّة تعطي الإرهاص(٣٥٧).

وقال العلامة الحلّي في كتاب أنوار الملكوت (ص١٨٦):

اتّفقت الإماميّة، وجماعة من الأشاعرة على جواز الكرامات، وإظهار المعجزة على يد الأئمّة، والصالحين، خلافاً للمعتزلة.

لنا أنّه غير مستحيل، ولا قبيح فجاز إظهاره، أمّاعدم الإستحالة فضروريّ لأنه ممكن، واللّه تعالى قادر على جميع الممكنات؛ وأمّا عدم قبحه فإنّ جهة القبح هو الكذب وهو منفيّ هنا إذ صاحب الكرامات لا يدّعي النبوّة، فانتفى وجه القبح بل فيه جهة حسن لأنّ خلق المعجز على يد الرسول تصديقاً له ليعرّف الأحكام حسن أيضاً ولأنّه واقع فيكون ممكناً قطعاً، وبيان وقوعه: قصّة آصف، وإتيانه بعرش بلقيس، وقصّة مريم عليها السلام وغير ذلك مما نقلته الإماميّة بالتواتر من ظهور المعجزات على أيدي الأئمّة عليهم السلام.

احتجّت المعتزلة بأنّه لو جاز إظهاره على يد صالح لجاز على يد كلّ فيخرج

عن كونه معجزاً ولأنّ ظهوره على يد غير النبيّ صلّى الله عليه وآله ينفر عن النبي.

والجواب عن الأوّل بالمنع من ذلك بل نجوّزه ما لم يكثر كما في حقّ الأنبياء.
وعن الثاني بالمنع من النفرة كما في حقّ النبيّ أيضاً. . . بل ذلك مما يوجب كمال الرفعة لهم من حيث أنّ أتباعهم مخصوصون بهذه الكرامات نعم لو تحدّى إنسان كاذب وظهرت المعجزة عليه لزم التنفير.

وقال أيضاً في شرحه الموسوم بكشف المراد على تجريد الإعتقاد ما لفظه (ص٣٥١): قال: وقصة مريم وغيرها تُعطي جواز ظهوره على الصالحين.

أقول: اختلف الناس هنا فذهب جماعة من المعتزلة إلى المنع من إظهار المعجز على الصالحين كرامة لهم ومن إظهاره على العكس على الكذابين إظهاراً لكذبهم، وجوّزه أبو الحسين منهم وجماعة أخرى من المعتزلة والأشاعرة وهو الحق واستدل المصنف ــ رحمه الله ــ بقصة مريم فإنها تدل على ظهور معجزات عليها وغيرها مثل قصة آصف وكالأخبار المتواترة المنقولة عن علي عليه السلام وغيره من الأئمة، وحمل المانعون قصة مريم على الإرهاص لعيسى عليه السلام وقصة آصف على أنه معجز لسليمان عليه السلام مع بلقيس كأنه يقول ان بعض اتباعي يقدر على هذا مع عجزكم عنه ولهذا أسلمت بعد الوقوف على معجزاته، وقصّة علي عليه السلام على تكملة معجزات النبي عليه السلام.

قال: ولا يلزم خروجه عن الإعجاز ولا التنفير ولا عدم التميز ولا إبطال دلالته ولا العمومية.

أقول: هذه وجوه استدلّ بها المانعون من المعتزلة:

الأول: قالوا لو جاز ظهور المعجزة على غير الأنبياء إكراماً لهم لجاز ظهورها عليهم وإن لم يعلم بها غيرهم لأن الغرض هو سرورهم وإذا جاز ذلك بلغت في الكثرة إلى خروجها عن الإعجاز، والجواب: المنع من الملازمة لأنّ خروجها عن حد الإعجاز وجه قبح ونحن إنما نجوّز ظهور المعجزة إذا خلا عن جهات القبح فنجوّز ظهورها ما لم تبلغ في الكثرة إلى حد خروجها عن الإعجاز.

الثاني: قالوا لو جاز ظهور المعجزة على غير النبي لزم التنفير عن الأنبياء، إذ علة وجوب طاعتهم ظهور المعجزة عليهم، فإذا شاركهم في ذلك من لا تجب طاعته هان موقعه، ولهذا لو أكرم الرئيس بنوع ما كلّ أحد هان موقع ذلك النوع لمن

يستحق الإكرام، والجواب بمنع انحطاط مرتبة الإعجاز كما لو ظهر على نبي آخر فإنه لو لم يظهر إلا على نبي واحد لكان موقعه أعظم فكما لا تلزم الإهانة مع ظهوره على جماعة من الأنبياء كذا لا تلزم الإهانة مع ظهوره على الصالحين.

الثالث: احتجاج أبي هاشم قال: المعجز يدل بطريق الإبانة والتخصيص وفسّره قاضي القضاة بأنّ المعجز يدل على تميز النبي عن غيره، إذ الأمّة مشاركون له في الإنسانية ولوازمها فلو لا المعجز لما تميّز عنهم فلو شاركه غيره فيه لم يحصل الإمتياز، والجواب ان امتياز النبي يحصل بالمعجز واقتران دعوى النبوّة وهذا شيء يختص به دون غيره ولا يلزم من مشاركة غيره له في المعجزة مشاركته له في كل شيء.

الرابع: لو جاز إظهار المعجز على غير النبي لبطلت دلالته على صدق مدعي النبوّة والتالي باطل فالمقدم مثله، بيان الملازمة ان ثبوت المعجز في غير صورة النبوّة ينفي اختصاصه بها وحينئذ لا يظهر الفرق بين مدعي النبوة وغيرها في المعجز فبطلت دلالته، إذ إظهار المعجزة على يد الكاذب قبيح عقلاً، وإن لم يدع النبوّة لم يحكم بنبوّته والحاصل ان المعجزة لا تدل على النبوّة ابتداءاً، بل تدل على صدق الدعوى، فإن تضمنت الدعوى النبوّة دلّت المعجزة على تصديق المدعي في دعواه ويستلزم ذلك ثبوت النبوّة.

الخامس: قالوا لو جاز إظهار المعجز على صادق ليس بنبي لجاز إظهاره على كل صادق فجاز إظهار المعجز على المخبر بالجوع والشبع وغيرهما، والجواب لا يلزم العمومية أي لا يلزم إظهار المعجز على كل صادق، إذ نحن انما نجوّز إظهاره على مدعي النبوة أو الصلاح إكراماً له وتعظيماً وذلك لا يحصل لك مخبر بصدق.

قال: ومعجزاته عليه السلام قبل النبوّة تُعطي الإرهاص.

أقول: اختلف الناس هنا فالذين منعوا الكرامات منعوا من إظهار المعجزة على سبيل الإرهاص إلا جماعة منهم وجوّزه الباقون واستدل المصنف ـ رحمه الله ـ على تجويزه بوقوع معجزات الرسول صلّى الله عليه وآله قبل النبوّة كما نقل من انشقاق إيوان كسرى، وغور ماء بُحَيرة ساوا، وانطفاء نار فارس وقصة أصحاب الفيل والغمام الذي كان يظلّه عن الشمس وتسليم الأحجار عليه، وغير ذلك مما ثبت له عليه السلام قبل النبوّة.

قال: وقصة مسيلمة وفرعون ابراهيم تُعطي جواز إظهار المعجزة على العكس.

أقول: اختلف الناس هنا فالذين منعوا الكرامات منعوا من إظهار المعجزة على يد الكاذبين على العكس من دعواهم إظهاراً لكذبهم واستدل المصنف ـ رحمه الله ـ بالوقوع على الجواز كما نقل عن مسيلمة الكذّاب لما ادعى النبوّة فقيل له: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا لأعور فرد الله عينه الذاهبة فدعا لأعور فذهبت عينه الصحيحة، وكما نقل ان إبراهيم عليه السلام لما جعل الله تعالى عليه النار برداً وسلاماً قال نمرود عند ذلك: انما صارت كذلك هيبة مني فجائته نار في تلك الحال فأحرقت لحيته.

(لا يقال): يكفي في التكذيب ترك المعجز عقيب دعواهم فيبقى إظهار المعجز على العكس إظهاراً لتكذيبه في الحال بحيث يزول الشك لتجويز أن يقال: تأخير المعجز عقيب الدعوى قد يكون لمصلحة ثم يوجد بعد وقت آخر فلا يحصل الجزم التام بالتكذيب.

وقال الشيخ تقي الدين أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧ هـ) في تقريب المعارف في علم الكلام:

إن قيل: ظهور المعجز على يد المدّعي فرع لجوازه فدلّوا على ذلك.

قيل المعجز للتصديق نائب مناب قوله تعالى: صدق هذا عليّ، وذلك يقتضي جواز ظهوره على من للناظر مصلحة في العلم بصدقه، وقد بيّنا حصول اللطف بوجود الإمام وتعذّر تميّزه من دونه أو ما يستند إليه من النصّ، فيجب ظهوره عليه بحيث لا نصّ ينوب منابه، وهذا يقتضي جوازه مع ثبوته، بل يجوز ظهوره على من يستحقّ التعظيم من الصالحين، ليقطع المكلّف على كونه مستحقاً للتعظيم، فيفعله خالصاً من الإشتراط، ولا يقتضي ذلك التنفير عن النظر في معجزات الأنبياء عليهم السلام ولا يمنع من كونها مثبتةً لهم بالنبوّة لأنّ الباعث على النظر في المعجز هو الخوف من فوت المصالح، وذلك حاصل في مدّعي الإمامة والصلاح كمدعي النبوّة فيجب كون الناظر مدعواً مع الجميع، فأمّا كونه مبيّناً، فإنّما يبيّن الصادق من الكاذب، ثمّ يرجع الناظر إلى قوله المؤيّد به قاطعاً على صدقه آمناً من دعواه النبوّة وليس بنبيّ، أو الإمامة مع كونه صالحاً حسب، لكون المعجز مؤمّناً من ذلك، وأيضاً

فإنّا نعلم ظهور الآيات على من ليس بنبيّ ولا إمام كمريم وأُمّ موسى، أمّا مريم فنطق المسيح عليه السلام حين الوضع وفي المهد عقيب دعواها البراءة ممّا قذفت به ومعاينتها الملك مبشّراً لها عن الله تعالى بما يفتقر معه إلى معجز لتعلم كونه رسولاً لله سبحانه إليها ونزول الرزق عليها من السماء وهي في كفالة زكريّا عليه السلام، وأمّا أُمّ موسى فإخباره سبحانه بالإيحاء إليها، والوحي معجز، ولأنّ إلقائها موسى في اليمّ واثقة برجوعه إليها يقتضي علمها بصحّة الوعد، وذلك لا يمكن إلاّ بالمعجز، وإذا كان ظهور المعجز على من ليس بنبيّ واجباً في حال، وجائزاً في آخر، وحاصلاً في آخر ووجدنا الناقلين من الشيعة جماعة لا يجوز على بعضهم الكذب في المخبر الواحد على ما نبيّنه فيما بعد ينقلون هذه المعجزات خلفاً عن سلف، حتّى يتّصلوا في النقل عن الطبقات التي لا يتقدّر في خبرها الكذب لمن شاهدها ظاهرة على أيدي الحجج المذكورين عليهم السلام، ثبت كونها واقتضى ذلك إمامتهم عليهم السلام(٣٥٨).

وقال في موضع آخر:

وبعد فلوسلّمنا أنّ طول عمر الغائب عليه السلام المدّة التي بلغها أحد من ذكرناه من المعمّرين وأضعافها خارقاً للعادة على ما اقترح علينا وأنّه من قبيل الإعجاز لم يقدح ذلك في شيء ممّا قدّمناه لجواز ظهور المعجز عندنا على الأبرار، فضلاً عن الحجج والصالحين حسب ما دللنا عليه في ماضي كتابنا هذا وأوضحناه(٣٥٩).

وقال جمال الدين الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري الحلي في كتاب اللوامع الإلهية:

وهنا فوائد الأولى: يجوز ظهور هذا المعنى على يد الأولياء خلافاً للمعتزلة لنا: قصة مريم وآصف وما نقل متواتراً عن أئمتنا عليهم السلام.

وحمل الأول: على كونه إرهاصاً لعيسى عليه السلام والثاني: على انه لسليمان عليه السلام والثالث: على انه لنبيّنا عليه السلام خلاف الظاهر.

واحتجاجهم: بأنه لو جاز لجاز على كل ولي فيخرج عن كونه معجزاً لاعتياده وبأنه ينفر عن النبي صلّى الله عليه وآله لوجود مشاركه فيه فلو جاز لغيره لم يحصل الإمتياز وبأنه حينئذٍ لا يكون دليلاً على التصديق في دعوى النبوّة للعلم بعدم

اختصاصه به. باطل للمنع من جوازه حينئذ لأنه وجه قبيح بل إذا لم يضر لذلك والتنفير انما يلزم لو لم يكونوا من اتباع الأنبياء اما على تقديره فلا والتمييز يحصل بمقارنة الدعوى وكذا علم دلالته يحصل بها لما تقرر ان تصديق الكاذب قبيح.

الثانية: الإرهاص جائز وهو ظهور الخارق للعادة إنذاراً بقرب البعثة كانشقاق ايوان كسرى وغور بحر ساوه وخمود نيران الفرس وقصة أصحاب الفيل في رميهم بالحجار الصغار على رؤوسهم فيخرج من أسافلهم وكتظليل الغمامة له صلّى الله عليه وآله وتسليم الأحجار عليه قبل البعثة ومنعه المانعون للكرامات والوقوع يكذبهم.

الثالثة: يجوز خلق المعجزة على العكس إظهاراً لتكذيب المدعي كقضية مسيلمة في دعواه فيض الماء من البئر فغاض وهو خارق وفي ذهاب العين الأخرى لما دعى الأعور وكقصة نمرود وإبراهيم عليه السلام لما صارت النار عليه برداً وسلاماً قال نمرود: إنما صارت كذلك هيبة لي فجاتته في الحال نار فأحرقت لحيته، ومنعه أيضاً الأولون إذ يكفي في التكذيب عدم الخلق عقيب الدعوى، قلنا: ممنوع لجواز أن يقال تأخر لمصلحة فأما ظهوره على العكس فصريح في التكذيب وهو وجه المصلحة(٣٦٠).

## خاتمة

## وفيها نذكر عدة فوائد:

**(الأولى) في وجوب التصدي لردع وصد الضال المتمسك بعلوم السحر.**

قال الشيخ علي الجد حفصي البحراني في حياة القلوب وغاية المطلوب:

«وأما استثناء المتوقي ودفع المتنبي فقال في الدروس بوجوب تعلمه كفاية وكذلك ما يدفع به الضرر لخبر العسكري وخبر علي بن الجهم».

وقال أيضاً «ويجوز حله بالأقسام والقرآن لخبر العلاء ويؤيده ماورد في طب الأئمة «خذ من القرآن ماشئت لما شئت» وخبر أبي الصباح الكناني يدل على جواز أخذ الأجرة على معالجة المصاب من الجان.

**(الثانية) في ذكر أول محاولة في التاريخ لإبطال السحر وحله:**

روى رئيس المحدثين الصدوق في عيون الأخبار عن محمد بن القسم المفسر، عن يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما عن

الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلام في حديث قال في قوله عزوجل: «وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت» قال: كان بعد نوح عليه السلام قد كثرت السحرة المموهون، فبعث الله عزوجل ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويرد به كيدهم فتلقاه النبي عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله عزوجل، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس وهذا كما يدل على السّم ما هو وعلى ما يدفع به غائلة السم «إلى أن قال:» وما يعلمان من أحد ذلك السحر وابطاله حتى يقولا للمتعلم إنما نحن فتنة وامتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلمون من هذا ويبطلوا به كيد السحرة ولا يسحروهم فلا تكفر باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به، ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا أنك به تحيي وتميت وتفعل ما لايقدر عليه الا الله عزوجل. فان ذلك كفر «إلى أن قال:» ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم اذا تعلموا ذلك السحر ليسحروا به ويضروا به فقد تعلموا ما يضرهم في دينهم ولاينفعهم فيه. . . الحديث.

وعن تميم بن عبدالله القرشي، عن أبيه، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن علي بن الجهم، عن الرضا عليه السلام في حديث قال: وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليحترزوا به سحر السحرة، ويبطلوا به كيدهم، وما علّما أحد من ذلك شيئاً حتى قالا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم بإستعمالهم لما امروا بالإحتراز منه، وجعلوا يفرقون بما تعلموه بين المرء وزوجه، قال الله تعالى: «وما هم بضارين به من أحد إلاّ بإذن الله» يعني بعلمه.

**(الثالثة) في ذكر ما ورد بشان إبطال السحر وحله وعقوبة ممتهنيه:**

روى ثقة الإسلام الشيخ محمد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن شيخ من أصحابنا الكوفيّين قال: دخل عيسى بن شقفي، على أبي عبد الله عليه السلام وكان ساحراً يأتيه الناس ويأخذ على ذلك الأجر، فقال له: جعلت فداك أنا رجل كانت صناعتي السحر وكنت آخذ عليه الأجر، .وكان معاشي وقد حججت منه ومنّ الله عليّ بلقائك، وقد تبتُ إلى الله عزّوجلّ، فهل لي في شيء من ذلك مخرج؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: حلّ ولا تعقد.

ورواه الشيخ باسناده عن محمد بن يعقوب، ورواه الصدوق بإسناده عن

عيسى بن السقفي نحوه، ورواه الحميري في (قرب الإسناد) عن الهيثم بن أبي مسروق النهدي عن أبيه، عن عيسى بن السقفي نحوه.

قال المحدث الحر العاملي ــ ره ــ بعد إيراد الخبرين في الوسائل: أقول: خصّه بعض علمائنا بالحلّ بغير السحر كالقرآن والذكر والتعويذ ونحوها، وهو حسن إذ لا تصريح بجواز الحلّ بالسحر.

وروى المحدث النعمان في دعائم الإسلام: عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، أنه نهى عن التمائم والتول، فالتمائم: ما يعلق من الكتب والخرز وغير ذلک، والتول: ما تتحبّب به النساء إلى أزواجهنّ، كالكهانة وأشباهها، ونهى صلّى الله عليه وآله عن السحر(٣٦١).

وجاء في طب الأئمة عن سهل بن محمد بن سهل، عن عبد ربّه بن محمد بن إبراهيم، عن ابن اورمة، عن ابن مسكان، عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النشرة للمسحور، فقال: «ما كان أبي عليه السلام يرى به بأساً»(٣٦٢).

وجاء في الجعفريات عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أقبلت امرأة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، إنّ لي زوجاً به عليّ غلظة، واني صنعت شيئاً لأعطفه عليّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أفّ لک كفرت دينک، لعنتک الملائكة الأخيار، لعنتک ملائكة السماء، لعنتک ملائكة الأرض، فصامت نهارها وقامت ليلها، ولبست المسوح ثم حلقت رأسها، فبلغ ذلک رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: ان حلق الرأس لا يقبل منها.

وروى في الفقيه مثله، وفيه: «كدرت البحار، وكدرت الطين، ولعنتک الملائكة»، إلى آخره.

وروى القطب الراوندي في لبّ اللباب: عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، انه قال: «إن الله يرحم عصاة امّتي في الليلة المباركة، بعدد شعور أغنام بني كلب وربيعة ومضر، فيغفر لهم إلاّ ثمانية نفر: المشرک، والكاهن، والساحر، والعاق، وآكل الربا، ومدمن الخمر، والزاني، والماجن».

وروى أيضاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله انه قال: ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفّار لا يقتل، فقيل: يا رسول الله، ولمَ لا يُقتل ساحر الكفار؟ قال: لأن الشرک أعظم من السحر، لأن الشرک والسحر طيران مقرونان.

وروي: انه يخرج عنق من النار فيقول: أين من كذب على اللّه؟ وأين من ضادّ اللّه؟ وأين من استخفّ باللّه؟ فيقولون: ومن هذه الأصناف الثلاثة؟ فيقول: من سحر فقد كذب على اللّه، ومن صوّر التصاوير فقد ضادّ اللّه، ومن تراءى في عمله فقد استخفّ باللّه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، انه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفّار لا يقتل، قيل: يا رسول اللّه، ولِمَ ذاك؟ قال: لأن الشرك والسحر مقرونان، والذي فيه من الشرك أعظم من السحر.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: فإذا شهد رجلان عدلان على رجل من المسلمين انه سحر قتل، والسحر كفر، وقد ذكر اللّه عزّوجلّ ذلك فقال: «واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمان ــ إلى قوله ــ فلا تكفر» فأخبر جلّ ذكره، ان السحر كفر، فمن سحر فقد كفر، فقتل ساحر المسلمين لأنه كفر، وساحر المشركين لا يقتل لأنه كافر بعد بما جاء عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.

وعنه عليه السلام أيضاً انه قال: «من السحت ثمن الميتة ــ إلى أن قال ــ: وأجر الساحر» الخبر.

وروى أيضاً عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله انه قال: ساحر المسلمين يُقتل وساحر الكفّار لا يقتل، قيل: يا رسول اللّه لمَ لا يقتل ساحر الكفّار؟ قال: لأنّ الشرك أعظم من السحر، لأنّ السحر والشرك مقرونان، وفي (العلل) عن محمّد بن الحسن، عن الصفّار، عن أحمد بن أبي عبد اللّه، عن النوفلي، عن السكوني مثله.

قال: وروي أنّ توبة الساحر أن يحلّ ولا يعقد.

وروى رئيس المحدثين الصدوق في الخصال عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، عن يحيى بن محمّد ابن صاعد، عن إبراهيم بن جميل، عن المعتمر بن سليمان، عن فضيل بن ميسرة، عن أبي جرير، عن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: ثلاثة لا يدخلون الجنّة: مدمن خمر، ومدمن سحر، وقاطع رحم، الحديث.

وروى المحدث عبد اللّه بن جعفر في (قرب الإسناد) بسنده عن جعفر بن محمّد، عن أبيه انّ علياً عليه السلام قال: من تعلّم شيئاً من السحر قليلاً أو كثيراً فقد كفر، وكان آخر عهده بربّه وحدّه أن يقتل إلاّ أن يتوب.

وروى المحدث فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره بسنده عن أبي عبد الله عن آبائه، عن علي عليه السلام في حديث نحن أهل بيت عصمنا الله من أن نكون فتّانين أو كذّابين أو ساحرين أو زنائين، فمن كان فيه شيء من هذه الخصال فليس منّا ولا نحن منه.

وجاء في حديث وصايا النبي صلّى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام المشهور قوله صلّى الله عليه وآله: يا علي لا تجامع أهلك في أوّل ساعة من الليل فإنه إن قضى بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً كاهناً مؤثراً للدنيا على الآخرة.

**(الرابعة) في ذكر جملة من الأدعية والأحراز المروية للوقاية من السحر:**

واعلم انه قد رويت جملة من ذلك في مصادر مختلفة نوجز لك ذكرها كالتالي:

١ ـ ما حكاه المحقّق البارع السيد علي خان المدني الشيرازي في الكلم الطيّب بقوله:

صورة الرقعة الّتي كتبها الشيخ العلاّمة شيخ بهاء الدين العاملي قدس الله سره إلى سلطان العجم الشاه عبّاس الصفوي رحمه الله هذا معناه بالعربيّ ينهى إلى العرض الأشرف انّ الدعاء الذي يكتب لإبطال السحر في الكفّ اليمنى من المسحور بتراب كربلاء وماء مطر نيسان وهو: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ يَا مَنْ أَذَلَّ السِّحْرَ بِإِعْجَازِ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِيْنٌ أَزِلْ عَمَّنْ قَصَدْتُهُ سِحْرَ السَّحَرَةِ وَكَيْدَ الفَجَرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ)، وينبغي انَ يكون المسحورَ عند كتابتهَ على الريق فإذا كتب في كفّه اليمنى فليلحسه بتمامه ويبالغ في لحسه بحيث لا يبقى منه أثر يعمل ذلك ثلاثة أيّام متواليات فإنّ السحر يبطل عنه إنشاء الله.

ولإبطال السحر أيضاً يقرء هذه الأسماء مائة وعشرين مرّة: (يا مُبْطِلَ السحر ويا مُزِيْلَ العُسْر يا فَتَّاحُ يا فَعَّالُ يَا اللهُ ـ بوصل همزه ومدّ اللام ـ ثم يقول: يَا مُبْطِلَ السِّحْرَ أَبطِلْ عَنِّي السِّحْرَ وَيَا مُزِيْلَ العُسْر أَزِلْ عَنِّي عُسْرَهُ وَيَا فَتَّاحُ افْتَحْ عَنِّي عُقْدَهُ يَا فَعَّالُ افْعَلْ بِي مَا يُصْلِحُنِي مِنْهُ) ثمّ يقرء الأربعة الأسماء مائة وعشرين مرّة أيضاً وليصل على النبيّ وآله عليهم السلام أوّلاً وآخراً فإنّ ذلك شرط فيه(٣٦٣).

٢ ــ وأفرد الشيخ تقي الدين الكفعمي في مصباحه الموسوم بجنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية الفصل السابع والعشرين منه لذكر ما عثر عليه في ذلك المعنى بقوله: في الأمن من السحر والشياطين وعتاة السلاطين ومخاوف الخائفين: أمّا السحر فيقرأ الخائف منه: «قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلمّا ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إنّ اللّه سيبطله إنّ اللّه لا يصلح عمل المفسدين ويحقّ اللّه الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنّما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقيَ السحَرة سُجّداً قالوا آمنّا بربّ هارون وموسى».

وفي طبّ الأئمة عليهم السلام عن عليّ عليه السلام لإبطال السحر تكتب في رقّ ظبي ويعلّق «بسم اللّه وباللّه بسم اللّه ما شاء اللّه بسم اللّه ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم قال موسى ما جئتم به السحر إنّ اللّه سيبطله إنّ اللّه لا يصلح عمل المفسدين ويُحقّ اللّهُ الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون فوقع الحقّ وبطل ما كانوا يعملون فَغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين».

وفيه تقول: سبعاً إذا فرغت من صلاة اللّيل في وجه السحر بسم اللّه وباللّه سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيك ونجعل لكما سُلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتّبعكما الغالبون.

وفي أدعية السر القدسية: يا محمد انّ السحر لم يزل قديماً وليس يضر شيئاً إلاّ بإذني فمن أحبّ أن يكون من أهل عافيتي من السحر فليقل: «اللّهمّ ربّ موسى وخاصّة كلامه وهازم من كاده بسحره بعصاه ومعيدها بعد العود ثعباناً ومُلقفها إفكَ أهل الإفك ومُفسدَ عمل الساحرين ومُبطلَ كيدَ أهل الفساد من كادني بسحرٍ أو بضرٍّ عامداً أو غير عامد أعلمه أولا أعلمه أخافه أو لا أخافه فاقطع من أسباب السموات عمله حتّى ترجعه عنّي غير نافذ ولا ضارّ ولا شامت بي إنّي أدرأ بعظمتك في نحور الأعداء فكن لي منهم مدافعاً أحسن مدافعة وأتمّها يا كريم»، فإنّه إذا قال ذلك لم يضرّه سحر ساحر جنّيّ ولا إنسيّ أبداً.

وأمّا الأمن من الشياطين فمن ذلك حرز أبي دجانة مروي عن النبي صلّى اللّه عليه وآله وهو: «بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا كتاب محمّد رسول اللّه ربّ العالمين

إلى من طرق الدار من العُمّار والزوّار إلاّ طارقاً يطرق بخير أمّا بعد: فإنّ لنا ولكم في الحقّ سعة فإنْ تكُ عاشقاً مولَعاً أو فاجراً مقتحماً فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تمكرون أتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الإصنام وإلى من يزعم أنّ مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون حم لا ينصرون حمعسق تفرّقت أعداء الله وبلغت حجّة الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله للأمن من الجن والإنس: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلاّ الله عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أشهد أنّ الله على كلّ شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً، اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ نفسي ومن شرّ كلّ دابّة أنت آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم» قاله السيّد بن طاووس في مهجه وفي العدّة الفهديّة انّه من قرأ آية السخرة عند نومه حفظه الله تعالى من الجنّ والإنس والشياطين [وهي: «إنّ ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، ثمّ استوى على العرش يُغشي اللّيل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين، ادعوا ربكم تضرّعاً وخُفْيَةً إنّه لا يُحبّ المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إنّ رحمة الله قريب من المحسنين»].

وفي أدعية السر القدسية: يا محمد ومن خاف ممّا في الأرض جانّاً أو شيطاناً فليقل حين يدخله الروع «يا الله الإله الأكبر القاهر بقدرته جميع عباده والمطاع لعظمته عند كلّ خليقته والممضي مشيّته لسابق قدره أنت تكلأ ما خلقت باللّيل والنّهار ولا يمتنع من أردت به سوءاً بشيء دونك من ذلك السوء ولا يَحُوْل أحد دونك بين أحد وما تريد به من الخير كُلُّ ما يُرى وما لا يرى في قبضتك وجعلت قبايل الجنّ والشياطين يروننا ولا نراهم وأنا لكيدهم خائف فآمنّي من شرّهم وبأسهم بحقّ سلطانك العزيز يا عزيز» فإنّه إذا قال ذلك لم يصل إليه من الجنّ والشياطين سوء أبداً.

وفي الصحيفة السجادية انه كان من دعاء السجّاد عليه السلام إذا ذكر الشيطان فاستعاذ منه ومن عداوته وكيده: «اللّهمّ إنّا نعوذ بك من نزغات الشيطا الرجيم وكيده

ومكائده ومن الثقة بأمانيّه ومواعيده وغروره ومصائده وأن يطمع نفسه في إضلالنا عن طاعتك وامتهاننا بمعصيتك وأن يحسن عندنا ما حسّن لنا وأن يثقل علينا ما كَرَّهَ إِلَيْنا، اللّهمّ اخسَأْهُ عنّا بعبادتك واكبته بدؤبنا في محبّتك واجعل بيننا وبينه ستراً لا يهتكه وردماً مصمتاً لا يفتقه اللّهمّ صلّ على محمد وآله واشغله عنّا ببعض أعدائك واعصمنا منه بحسن رعايتك واكفنا خَتْرَه وولّنا ظَهره واقطع عنّا أثره، اللّهمّ صلّ على محمّد وآله ومتّعنا من الهدى بمثل ضلالته وزوّدنا من التقوى ضدّ غوايته واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى، اللّهمّ لا تجعل له في قلوبنا مدخلاً ولا توطن له فيما لدينا منزلاً، اللّهمّ وما سوّل لنا من باطل فعرّفناه وإذا عرّفتناه فَقِنَاه وبصّرنا ما نُكَائده به وألهمنا ما نُعدُّه له وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون إليه وأحسن بتوفيقك عونَنا عليه اللّهمّ وأشرِب قلوبنا إنكار عمله والطف لنا في نقض حيله، اللّهمّ صلّ على محمّد وآله وحوّل سلطانه عنّا واقطع رجائه منّا وادرأه عن الولوع بنا، اللّهمّ صلّ على محمّد وآله واجعل آباءنا وامّهاتنا وأولادنا وأهالينا وذوي أرحامنا وقراباتنا وجيراننا من المؤمنين والمؤمنات في حرز حارز وحصن حافظ وكهف مانع وألبسهم منه جننا واقية وأعطهم عليه أسلحة ماضية، اللّهمّ واعمم بذلك من شهد لك بالربوبيّة وأخلص لك بالوحدانيّة وعاداه لك بحقيقة العبوديّة واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربّانيّة، اللّهمّ احلل ما عقد وافتق ما رتق وافسخ ما دبّر وثبّطه إذا عزم وانقض ما أبرم، اللّهمّ واهزم جنده وأبطل كيده واهدم كهفه وارغم أنفه، اللّهمّ اجعلنا في نظم أعدائه واعزلنا عن عداد أوليائه لا نطيع له إذا استهوانا ولا نستجيب له إذا دعانا نأمر بمناواته من أطاع أمرنا ونعظ عن متابعته من اتّبع زجرنا، اللّهمّ صلّ على محمّد خاتم النبيّين وسيّد المرسلين وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين وأعذنا وأهالينا وإخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات ممّا استعذنا منه وأجرنا ممّا استجرنا بك من خوفه واسمع لنا ما دعونا به وأعطنا ما أغفلناه واحفظ لنا ما نسيناه وصيّرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين آمين ربّ العالمين».

عوذة من مردة الجنّ والشياطين وهي: أعوذ بنور وجه الله وكلماته التامّات الّتي لا يجاوزُهُنَّ بَرّ ولا فاجر من شرّ ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ومن شرّ ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شرّ فتن اللّيل والنهار ومن شرّ طوارق اللّيل والنّهار إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن(٣٦٤).

٣ ـ ما رواه الحافظ الثبت الطبرسي في مكارم الأخلاق:

عن محمد بن عيسى قال: سألت الرضا عليه السلام عن السحر؟ فقال: هو حق وهو يضر بإذن الله تعالى، فإذا أصابك ذلك فارفع يدك حذاء وجهك واقرأ عليها (باسم الله العظيم باسم الله العظيم ربّ العرش العظيم إلاّ ذهبت وانقرضت) قال: وسأله رجل عن العين؟ فقال: حق، فإذا أصابك ذلك فارفع كفّيك حذاء وجهك واقرأ (الحمد لله) و(قل هو الله أحد) والمعوذتين، وامسحهما على نواصيك فإنه نافع بإذن الله.

(رقية السحر) يكتب في رق ويعلق عليه: (قال موسى ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين، ويحقّ الله الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون)، (وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنا لك وانقلبوا صاغرين).

(أخرى) يتكلّم به سبع مرّات: (سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتّبعكما الغالبون).

وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قالت له امرأة: إنّ لي زوجاً وبه غلظة وإني صنعت شيئاً لأعطفه عليّ، فقال صلّى الله عليه وآله: أفّ لك كدرت التجارة وكدرت العين ولعنتك الملائكة الأخيار وملائكة السماء والأرض)، فصامت نهارها وقامت ليلها وحلقت رأسها ولبست المسوح، فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وآله فقال: إنّ ذلك لا يقبل منها، فقيل: يا رسول الله لِمَ لا يقبل منها ويقبل ساحر الكفّار؟ فقال: لأنّ الشرك أعظم من الكفر والسحر والشرك مقرونان.

## (في الأحراز)

### (حرز لأمير المؤمنين عليه السلام)

للمسحور والتوابع [جمع تابع وهو الجني يتبع الإنسان حيث ذهب] والمصروع والسمّ والسلطان والشيطان وجميع مايخافه الإنسان، ومن علق عليه هذا الكتاب لا يخاف اللصوص والسارق ولاشيئاً من السباع والحيّات والعقارب وكلّ شيء يؤذّي النّاس، وهذه كتابته: (بسم الله الرحمن الرحيم أي كنوش أي كنوش أرشش عطينطينطح يا ميططرون فريالسنون ما و ماسا ماسو ما يا طيطشالوش خيطوش

خيلاء على كلّ نفس في كلّ مذهب وأعددت لنفسي وذرّيتي منهم حجاباً بما أنزلت في كتابك وأحكمت من وحيك الذي لايؤتى بسورة من مثله وهو الكتاب العدل العزيز الجليل الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم»، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً).

٤ ــ مارواه السيّد علي بن موسى بن طاووس «رض» في كتاب الأمان في أخطار الأسفار والأزمان بقوله:

روينا من كتاب منية الداعي وغنية الواعي تأليف علي بن محمّد بن عبد الصمد التميمي بإسناده قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياعليّ من خاف شيطاناً أو ساحراً فليقرأ: «إنّ ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين»(٣٦٥).

٥ ــ ونذكر جملة ممّا ورد كلّ المربوط وهو المسحور الذي سحر بما لايتمكّن معه من مقاربة أهله ومواقعة زوجته.

قال ابن طاووس في كتاب المجتبى من الدعاء المجتنى: دعاء سمعه مربوط من هاتف فقاله فخلص من كتافه وهو:

«يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تصفه الواصفون ولا تأخذه سنة ولا نوم اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً يا غياث المستغيثين يا أرحم الراحمين».

ثمّ كرّر هذا الدعاء فخلصه الله برحمته وقال بعض رواة الحديث أنّه وقع في مثل ذلك فدعى به فخلص من الكتاف(٣٦٦).

وأورد الكفعمي في مصباحه مالفظه:

لحلّ المربوط ذكره الشيخ أبو العبّاس أحمد بن فهد في عدته يكتب أوّل سورة الفتح إلى مستقيماً وسورة النصر وقوله «ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون، ثمّ ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فإنكم غالبون ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض

ونفخ في الصور فجمعناهم جميعاً كذلك حللت فلان بن فلان عن بنت فلانة لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فإن تولّوا فقل حسبي اللّه لا اله إلاّ هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم».

ثمّ يعلّق أيضاً من كتاب الحايريّة يكتب أوّل الفتح إلى قوله «نصراً عزيزاً وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر وجعلنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم».

ثمّ يكتب «حتّى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها» ثلثاً ثمّ تكتب «اللهمّ إنّي أسئلك بحقّ الإسم المكنون بين الكاف والنون وبحقّ محمّد وإهل بيته الطاهرين أن تحلّ ذكر فلان بن فلانة عن فلانة بنت فلانة بكهيعص بحمعسق بقل هو اللّه أحد وعنت الوجوه للحيّ القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً بألف لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم».

ورأيت في كتب بعض أصحابنا يكتب على ورقتين [من] زيتون يبلع الرجل واحدة والمرأة واحدة يكتب للرجل «والسماء بنيناها بأيد وإنّا لموسعون» وللمرأة «والأرض فرشناها فنعم الماهدون» أيضاً يكتب على ثلاث بيضات بعد أن يسلقوا ويقشروا الأوّل «حتّي إذا ركبا في السفينة خرقها» الثاني «أولم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ إفلا يؤمنون» الثالث: «فاستغلظ فاستوى» ثمّ يأكل الأولى فإن انحل وإلاّ أكلّ الثانية وإلاّ الثالثة(٣٦٧).

وزاد السيّد محمّد الرضي الرضوي في كتاب التحفة الرضويّة في مجربات الإماميّة بقوله:

حدّثني بعض أهل العلم قال: وممّا جرب لحلّ المربوط ان يغسل فرجه بلبن البقر (وهو ما يقال له بالفارسيّة دوغ) قال: وينبغي أن يكون غليظاً حامضا، وأضاف: وقد جرّبته مراراً، وعلمته رجلاً كان قد تزوّج وبقي عشرة أيّام لايستطيع فيها الجماع، وقد ورم فرجه لشدّة انتصابه، فاستعمل ذلك فخاض في بحر امنيته في ليلته.

وذكر العلامة الشيخ حسين البلادي البحراني رحمه اللّه قال: تكتب هذه

الأرقام على شيء من الحديد ويحمى في النار، ويبول عليه المربوط ينفكّ ربطه، وهي ٦٧٢٨٥٦٧٧٨ هـ ١٥٥٦٧٢٨ ع ١٧٥١٣ ع هـ ١ ع هـ ١٧ ع ٣ ع ١ ع ١٥ ع ١ هـ لا ٦٤١٤٣٤١ قال: وقيل أنّه مجرّب(٣٦٨).

## كلمة أخيرة

قال عزوجل:

«إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا» (الحج/ ٣٨).

«ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض» (سورة البقرة/ ٢٥١).

«ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع» (الحج/ ٤٠).

«إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون» (الحجر/ ٩).

فعلى الرغم ممّا نراه من تكالب قوى البغي والفساد والإلحاد والكفر والزندقة والمروق والباطل في زماننا هذا ووقوفها صفّاً واحداً في حرب ضروس فتّاكة ضدّ المسلمين في كلّ بقعة جمعتهم ومحيط ضمّهم في أرجاء العالم المختلفة وعلى الرغم من فظاعة الإرهاب والفتك والتشريد والمطاردة والمصادرة المستمرّة لممتلكاتهم وأموالهم وأراضيهم وتضييق الآفاق عليهم فإنّه لا زال للدين الإسلامي صولته وللحقّ جولته وللمسلمين كلمتهم النافذة ووجودهم المؤثر وكيانهم الصلب الراسخ.

وهذه السنّة الطبيعيّة التي حاكتها القدرة الغيبيّة ونسجتها الإرادة التكوينيّة والحكمة الأزليّة غير قابلة للنقض والمصادرة لما تحتلّه من مقام ورفعة وأولويّة في نظام الإيجاد وعالم التكوين وإجراء السنن الإلهيّة في الحياة.

«يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون».

وقد تمّ بحمد الله وتوفيقه ومنّه وفضله وإكرامه الفراغ من كتابة هذا الكتاب لثلاث خلون من شهر شعبان كسانا الله تعالى فيه حلل العفو والمغفرة والرضوان سنة ١٤١٢هـ في ذكرى مولد أبي الأحرار وإمام الأبرار سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، وذلك في دار هجرتنا مدينة قم صانها الله من طوارق الحدثان وعوادي الزمان بلطفه ومنّه وجوده.

# هوامش الكتاب

قد أشرنا إلى كثير من أرقام صفحات المصادر ومجلداتها في ثنايا الكتاب وأما البقيّة الباقية فقد اضطررنا إلى إرجائها وتخصيص هذا المحل بها بالنحو التالي:

(١) كنا قد كتبنا هذه المقدمة بطلب من المسؤول في دار النشر التابعة لجماعة المدرسين في مدينة قم لكتاب المنقذ من التقليد لسديد الدين الحمصي وذلك في طبعته الجديدة التي قامت بإصدارها مؤخّراً وقد ارتأينا جعلها هنا أيضاً لمناسبتها لما نحن بصدد الحديث عنه.

(٢) الغيبة ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٣) كشف الأستار ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى نقلاً عن إكمال الدين مخطوط ص٢٦٣.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٦) نفس المصدر ص ٢٧٨.

(٧) تاريخ الغيبة الصغرى ص ٢٨٣ نقلاً عن إكمال الدين.

(٨) الأئمة الإثناعشر لعادل الأديب ص ٢٤٩ ـ ٢٥١.

(٩) نفس المصدر السابق ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(١٠) الإرشاد ص ٣٢٣.

(١١) المناقب ج ٣ ص ٥٣٦.

(١٢) نفس المصدر السابق ص ٥٢٧.

(١٣) إثبات الوصية ص ٢٦٢.

(١٤) الإرشاد ص ٣٢٣ وكشف الغمة ج٣ ص ٢٠٧.

(١٥) غيبة الشيخ الطوسي ص٢١٥ ـ ٢١٩.

(١٦) الأئمة الإثنا عشر لعادل الأديب ص ـ ٢٤٦.

(١٧) الغيبة الشيخ الطوسي ص١٤٩ البحار ج١١ ص٨.

(١٨) الخرايج والجرايح ص ٦٧.

(١٩) الأئمة الإثنا عشر لعادل الأديب ص٢٥٤ ـ ٢٥٦.

(٢٠) راجع فرق الشيعة للنوبختي والفصول المختارة لعلم الهدى السيّد المرتضى.

(٢١) إعلام الورى بإعلام الهدى ص٤٤٣.

(٢٢) الدر المنثور ج١ ص٢٥ـ٥٣.

(٢٣) غيبة النعماني ص ١٣.

(٢٤) غيبة النعماني ص ١١٥.

(٢٥) غيبة النعماني ص ١١٤.

(٢٦) غيبة النعماني ص ١١٧.

(٢٧) غيبة النعماني ص ١١٧.

(٢٨) تاريخ الشيعة ص ٦٦.

(٢٩) نهج المسترشدين ص ٧٠.

(٣٠) إرشاد الطالبين ص ٣٧٨.

(٣١) تلخيص الشافي ج ٤ ص٢٠٩.

(٣٢) جنة المأوى ص٢٦٨ ط تبريز.

(٣٣) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب عليه السلام ج١ ص٤٢٧ ـ ٤٣٠.

(٣٤) نهج المسترشدين ص ٧٠.

(٣٥) اللوامع الإلهية ص ٢٨٧.

(٣٦) كنز الفوائد ج٢ ص ٢١٧ ط بيروت.

(٣٧) فلسفة التوحيد والولاية ص٢١٤ ط قم دار التبليغ الإسلامي.

(٣٨) تلخيص الشافي ج١ ص ٩٥.

(٣٩) نفس المصدر السابق ج ٤ ص٢٢٦.

(٤٠) الشيعة والتشيّع ص٩٢ـ٩٥.

(٤١) الصراط المستقيم ج٢ ص٢١٩.

(٤٢) أعيان الشيعة ج٢ ص٤٩ ط بيروت دار التعارف.

(٤٣) المراد به هو الخضر.

(٤٤) هو علي الظاهر تحريف عن ابن هبتني أو هبنته، وهو منجم نصراني عاش في بغداد وألّف كتاباً في التنجيم أسماه المغني بعد سنة ٣٣٠ هـ ـ ٩٤١م، وكان الجزء الثاني منه لا يزال محفوظاً في مكتبة مونيخ، وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون مع اسم ابن هبنتة محرفاً انظر (دائرة المعارف اللبنانية. ج٧ ص١١٧).

(٤٥) هو منجم يهودي واسمه ميشى بن أبرى، كان في زمن المنصور وعاش إلى أيام المأمون، وكان أوحد أهل زمانه في الأخبار بأمور الحدثان وله سهم قوي في سهم الغيب، لقيه سفيان الثوري فقال له: أنت تخاف زحل وأنا أخاف ربّ زحل، وأنت ترجو المشتري وأنا أرجو ربّ المشتري، وأنت تغدو بالإستشارة وأنا أغدو بالإستخارة فكم بيننا. فقال له ماشاء الله: كثير ما بيننا، حالك أرجى وأمرك أنجح وأحجى، له عدة مؤلفات أنظر (أخبار الحكماء ص٢١٤).

(٤٦) كنز الفوائد ج٢ ص١١٤ـ١٢١ ط بيروت دار الأضواء.

(٤٧) النكت الإعتقادية ص٤٠ ـ ٤١ ط بيروت.

(٤٨) فلسفة التوحيد والولاية ص٢١٧ ط قم دار التبليغ الإسلامي.

(٤٩) الفصول العشرة في الغيبة ص٣٣.

(٥٠) قواعد المرام في علم الكلام ص١٩١.

(٥١) رسائل الشريف المرتضى ج٢ ص٢٩٧.

(٥٢) الكافي ج٢ ص٤٦٧ باب فضل الدعاء ذيل ح٧.

(٥٣) الغافر آية ٦٠.

(٥٤) الكافي ج٢ ص٤٧١ ان من دعا استجيب.

(٥٥) الكافي ج٢ ص٤٧٠ باب ان الدعاء يرد البلاء.

(٥٦) البحار ج٩٣ ص٢٩٤ ح٢٣.

(٥٧) البحار ج٩٣ ص٣٠٢ ح٣٩.

(٥٨) البحار ج٩٣ ص٣٠٢.

(٥٩) البحار ج٩٣ ص٣٠٣.

(٦٠) نفس المصدر السابق ج٩٣ ص٢٩٥.

(٦١) الإكمال ص٥١٣.

(٦٢) البحار ج١٢ ص١١١.

(٦٣) أصول الكافي ج١ ص٣٣٦ باب الغيبة.

(٦٤) علي بن إبراهيم بن الحسين عن إبن أبي نجران عن فضالة بن أيوب عن سدير الصيرفي (أقول) رواة الحديث كلهم أجلاّء

وثقات ومحمد بن الحسين هو محمد بن الحسين بن أبي الخطاب وابن أبي نجران هو عبد الرحمن وفضالة قيل انه من أصحاب الإجماع وسدير روى فيه مدح جليل وهو كثير الرواية وقالوا في حقه انه كان مخلصاً.

(٦٥) ص٨٤ و٨٥ باب ان في القائم سنّة من الأنبياء.

(٦٦) ج١٠٢ ص ٩٧ ب٧.

(٦٧) ج١ ص٥٢٥ ح٣٠.

(٦٨) ج١ ص٣٣٢ باب في النهي عن الإسم ح٢.

(٦٩) الكافي ج١ ص٣٤٠ باب الغيبة ح٩.

(٧٠) ص١٧٦.

(٧١) ج٢ ص٣٨٩ فضلها ح٢.

(٧٢) ج ٨٦ ص٦١ باب ٣٨ ح ٦٩.

(٧٣) ج٢ ص٣٣١ في الأدعية المخصوصة بأعقاب الفرائض.

(٧٤) في البحار ج٥٢ ص ٣٢٨ الفائدة الثانية.

(٧٥) أبو المغرا بالميم والغين المعجمة والزاء المهملة اسم حميد بن المثنى كوفي عربي عجلي وهو ثقة جليل له كتاب.

(٧٦) مصباح الكفعمي ص٤٨٢.

(٧٧) ص ٤٨٦ ح ٤٥٤.

(٧٨) أي يعرض على إمامه في خلوة وسر من حوائجه ومطالبه ما يجب أن يعرض على ربه في خلوة (المؤلف).

(٧٩) ج٥٢ ص١.

(٨٠) ص ١٥٤.

(٨١) قال الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله ص ٥١٤: «محمد بن محمد بن النعمان جليل ثقة وقال في الفهرست ص ١٨٦: «محمد بن محمد بن النعمان المفيد يكنى (أبا عبد الله) المعروف بابن المعلم من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، وله قريب من مائتي مصنف كبار وصغار، وفهرست كتبه معروف، ولد سنة (٣٣٨) هـ، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٤١٣) هـ، وكان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء من المخالف والموافق، ثم قال: سمعنا منه هذه الكتب كلها، بعضها قراءة عليه، وبعضها يقرأ عليه غير مرة وهو يسمع...».

وقال النجاشي ص ٣١١ من رجاله: «شيخنا واستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكام والرواية والثقة له كتب، ثم عد له (١٧٤) كتاباً ورسالة ثم قال: مات رحمه الله ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة (٤١٣) وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٣٣٦) وصلّى عليه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بميدان الأشنيان وضاق على الناس مع كبره ودفن في داره سنين، ونقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد أبي جعفر عليه السلام. وقيل: مولده سنة (٣٣٨).

وقال العلاّمة الحلّي - رحمه الله - في القسم الأول من الخلاصة ص ١٤٧: «محمد بن محمد بن النعمان يكنى (أبا عبد الله) يلقّب (بالمفيد)

وله حكاية في سبب تسميته (بالمفيد) ذكرناها في كتابنا الكبير، ويعرف بابن المعلم، من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم، وكل من تأخّر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، أوثق أهل زمانه وأعلمهم، انتهت رياسة الإمامية إليه في وقته، وكان حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، له قريب مائتي مصنف كبار وصغار... إلى أن قال: ثم نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيّد الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام عند الرجلين إلى جانب قبر شيخه الصدوق أبي القاسم جعفر بن محمد ابن قولويه».

(٨٢) الإحتجاج ج٢ ص ٣٢٢ ط النجف.

(٨٣) بحار الأنوار ج٥٣ ص ١٧٤.

(٨٤) اللوثة: الشـر والدنس، وفي بعض النسخ: اللوبة: وهي الحرة من الأرض ذات الحجارة السود كاللابة، وفي بعضها اللزبة، وهي الشدة والقحط.

(٨٥) الإحتجاج ج٢ ص ٣٢٤ ط النجف.

(٨٦) بحار الأنوار ج٥٣ ص ١٧٨.

(٨٧) جنة المأوى.

(٨٨) الكشكول ج١ ص ١٢٩.

(٨٩) كشكول البحراني ج١ ص١١٢.

(٩٠) الكشكول ج١ ص ١٣٢ ـ ١٣٧.

(٩١) الصراط المستقيم ج٢ ص٢٦٤.

(٩٢) مهج الدعوات ص ٣٣٣.

(٩٣) كمال الدين وتمام النعمة ج١ ص٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠.

(٩٤) جنة المأوى ص ٢٨٤ ط تبريز.

(٩٥) وسائل الشيعة ب١٣ من أبواب جهاد العدو ج١١ ص٣٧ ح٧.

(٩٦) بحار الأنوار ج٥٢ ص١٢٢.

(٩٧) الغيبة ص ١٣٤ ط بيروت.

(٩٩) بحار الأنوار ج٥١ ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(١٠٠) إكمال الدين ج٢ ص٦٤٦.

(١٠١) قاموس مصطلحات العلاقات والمؤتمرات الدولية ص١٣.

(١٠٢) معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية ص١٨ ط بيروت.

(١٠٣) الغيبة للشيخ الطوسي ص٢٤٠

(١٠٤) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢١٢

(١٠٥) غيبة الطوسي ٢٤٠، والبحار ج١٣ ص٩٨.

(١٠٦) منتهى المقال ج١ ص٢٤١.

(١٠٧) الأئمة الإثنا عشر عادل الأديب.

(١٠٨) أعيان الشيعة ج٢ ص٤٧ ط بيروت دار التعارف.

(١٠٩) مفاتيح الجنان ص٩١٤ ط بيروت مؤسسة الوفاء.

(١١٠) المقاتل للإصفهاني.

(١١١) الغيبة للشيخ الطوسي ص١٧٩.

(١١٢) عقيدة الشيعة ص٢٥٧ لرونلدسن.

(١١٣) البحار ج١٣ ص٧٩.

(١١٤) الإرشاد ص ٣٣٥.

(١١٥) إعلام الورى ص٤٢١.

(١١٦) غيبة الشيخ الطوسي ص٢٣٩، الإحتجاج ص ٢٨٨.

(١١٧) الأئمة الإثنا عشر عادل الأديب ص٢٥٩ ـ ٢٦١.

(١١٨) نفس المصدر السابق ص٢٦١ .

(١١٩) الغيبة للشيخ الطوسي ص٢٥٧ـ ٢٥٨ .

(١٢٠) تاريخ الغيبة الصغرى ص٦٠٩ـ ٦٢٩ بتصرف.

(١٢١) أصول الكافي : كتاب الحجة باب مولد الصاحب (عج) ج٣٠.

(١٢٢) منتخب الأنوار المضية ص١٣٧ـ١٣٨ .

(١٢٣) الغيبة للشيخ الطوسي ص١٠٢ .

(١٢٤) الغيبة للشيخ النعماني ص١١٤ .

(١٢٥) راجع الكافي ج١ ص٢٤٠، غيبة النعماني ص٩٩، غيبة الطوسي١١١ وقد ذكره العلامة المجلسي(رض) في البحار ج٥٢ ص١٢٥ـ١٥٧ .

(١٢٦) كنز الفوائد ج٢ ص٢١٨ ط بيروت دار الأضواء.

(١٢٧) الدر الثمين ص١٣٤ـ ١٣٥ .

(١٢٨) لؤلؤة البحرين ص٣٩٢

(١٢٩) الكشكول ج٢ ص١٤١ـ ١٤٢ .

(١٣٠) الممهدون للمهدي عليه السلام ص٩٥ـ ١١٤ .

(١٣١) الملاحم والفتن ص٢٠١ .

(١٣٢) دحض البدعة من انكار الرجعة للشيخ محمد علي القاري السنقري ص٧ـ ١٥ ط النجف سنة ١٣٥٤هـ .

(١٣٣) بحار الأنوار ج٥٣ص١٤٥ـ ١٤٩ .

(١٣٤) الكشكول ج٣ ص١٨٩ .

(١٣٥) رسائل الشريف المرتضى ج٣ ص١٤٥ .

(١٣٦) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ص٣٩٢ـ ٤٠٥ .

(١٣٧) النهاية ج١ ص١٠٧ .

(١٣٨) الفائق ج١ ص٨٧ .

(١٣٩) تاج العروس ج٧ ص٣٢٣ ط بيروت دار مكتبة الحياة.

(١٤٠) كتاب العين ج٨ ص٤٥ .

(١٤١) معيار اللغة ج٢ص٣٢٨ .

(١٤٢) سفينة البحار ج١ ص٦٤ .

(١٤٣) سفينة البحار ج١ ص٢٨ .

(١٤٤) كتاب الغيبة ص١٣٨ ط بيروت.

(١٤٥) عقاب الأعمال ص٣٠٧ .

(١٤٦) مجمع البحرين، المهذب ج٢ ص١٤٦ .

(١٤٧) المخمسة من الغلاة يقولون: ان الخمسة سلمان وأبا ذر والمقداد وعمار وعمرو بن أمية الضمري، هم الموكلون بمصالح العالم من قبل الرب، كذا في هامش الغيبة ص٢٥٦ .

(١٤٨) مؤسس البهائية.

(١٤٩) وهو أخ الحسين المتقدم لقب بصبح الأزل، وسيأتي مزيد من الكشف عن حالهما ومؤامراتهما ودسائسهما وعمالتهما.

(١٥٠) عمل في هذا التفسير من سنة ١٨٨٠م إلى سنة ١٨٩٥م، وانتهى فيه إلى سورة الكهف.

(١٥١) العروة الوثقى ص٥٧٢ـ٥٧٥ .

(١٥٢) التوحيد العدد الخامس عشر السنة الثالثة ص١٧٢ـ ١٨١ .

(١٥٣) يعني انهما صفتان شريفتان احداهما أشرف من الأخرى، ولا ينافي هذا عدم انفكاك الأدنى عن الأشرف اذا اجتمعتا

في شخص واحد، وهذا واضح بحمد الله فإن الكلام ليس في النبي والولي، وانما الكلام في النبوة والولاية فليحسن التأمل فيه ـ منه رحمه الله ـ عن حاشية كتابه المذكور.

(١٥٤) كمال الدين وتمام النعمة ج٢ ص٥٢٥ ـ ٥٢٧.

(١٥٥) الملاحم والفتن ص١٣٤.

(١٥٦) منتخب الأثر ص٤٢٥، والبحار ج٥٢ ص٢٢٤، وص٢٧٨، والزام الناصب ص٦٤، وبشارة الأسلام ص٥، والأمام المهدي عليه السلام ص٢١٧.

(١٥٧) إلزام الناصب ص٢٠٢ أوله، وصحيح مسلم ج٨ ص١٩٣ آخره، وفي غيرهما من المصادر.

(١٥٨) إلزام الناصب ص٧٣.

(١٥٩) إلزام الناصب ص١٨١.

(١٦٠) أنظر هذه الأخبار في الحاوي للفتاوي ج٢ ص١٧١ (عرض ما بين أذني حمار الدجال أربعون ذراعاً ـ كأنه يصف عرض ما بين طرفي جناحي الطائرة). وصحيح البخاري ج٩ ص٦٠ وغيرها وصحيح مسلم ج٨ ص١٩٥ وما قبلها وما بعدها، وإلزام الناصب ص٧٤ وبشارة الأسلام ص٢٧٤ وغير هذه المصادر من الكتب التي عرضت لذكر الدجال.

(١٦١) أنظر المهدي عليه السلام ص١٩٢ وإلزام الناصب ص٧٤وص٢٠٢ وصحيح البخاري ج٩ص٦٠.

(١٦٢) بشارة الإسلام ص١٥ وص٢٩٥، والزام الناصب ص٧٤ وص١٨١وص٢٠٢وص٢٦١وكشف الغمة ج٣ ص٢٦٠ وص٢٧٧ وص٢٧٩، والبحار ج٥٢ ص١٩٤، ومنتخب الأثر ص٤٦٠ والبيان ص١٠٤ وصحيح مسلم ج٤ ص١٢٠، والملاحم والفتن ص١٤٦ وينابيع المودة ج٣ ص١٦٥ وصحيح البخاري ج٩ ص٦١.

(١٦٣) منتخب الأثر ص٤٦١ وصحيح مسلم ج٨ ص١٩٩ وإلزام الناصب ص٨٥ وص١٨٥ وص٢٢٨ وص٢٦٠ ونور الأبصار ص١٦٩ وصحيح البخاري ج٩ ص٦٠ ـ ٦١.

(١٦٤) الملاحم والفتن ص٦٩ وص١٢٦ وإلزام الناصب ص٢٦١ وبشارة الإسلام ص٤٥.

(١٦٥) الملاحم الوفتن ص٦٩ وص١٢٦ وإلزام الناصب ص٢٦١ وبشارة الإسلام ص٤٥ بلفظ قريب.

(١٦٦) الزام الناصب ص٢٠٢ وص٢٦١ والبحار ج٥٢ ص١٩٤ والملاحم والفتن ص٦٦ وغيرها من المصادر.

(١٦٧) بشارة الإسلام ص٢٧٤ وإلزام الناصب ص٢٢٨ وصحيح البخاري ج٩ ص٦٠ وينابيع المودة ج٣ ص٦٦ وغيرها.

(١٦٨) انظر كشف الغمة ج٣ ص٢٧٤ والزام الناصب ص٢٢٨ وصحيح مسلم ج٨ ص١٩٧ وص١٩٨ وينابيع المودة ج٣ ص٦٦ وص١٣٦ نقلاً عن إسعاف الراغبين ص٩٢ وبشارة الإسلام ص١٩٢ وص٢٧٤ وص٢٧٥.

(١٦٩) إلزام الناصب ص٢٠٢ وصحيح مسلم ج١ ص١٠٧ وبشارة الإسلام ص٤٤ وغيرها.

(١٧٠) البحار ج٥٢ ص١٩٣ـ١٩٤ والزام الناصب ص١٨٠ وص١٩٠ وص٢٠٢ وبشارة الإسلام ص٤٤ ـ ٤٥ والملاحم والفتن ص٧٧

وص١٠٩ والصواعق المحرقة ص١٦٥ .

(١٧١) الغيبة للطوسي ص٢٦٩ ومنتخب الأثر ص٤٤١ والبحار ج٥٢ ص٢١٢ وبشارة الإسلام ص٦٥ وص١٨٠ والإمام المهدي عليه السلام ص٢٣١ وينابيع المودة ج٣ ص٦٦ أوله.

(١٧٢) إلزام الناصب ص ١٨٠ وص١٨١ وبشارة الإسلام ص٤٥ ومنتخب الأثر ص٤٢٨ والبحار ج٥٢ ص١٩٤ .

(١٧٣) كشف الغمة ج٣ ص٢٧٣ وبشارة الإسلام ص٢٧٥ ما عدا آخره، وإلزام الناصب ص٢٠٢ باختصار وص٢٢٩ بلفظ آخر وبتفصيل وصحيح مسلم ج٨ ص٢٩٦ شيء منه، والملاحم والفتن ص٦٦ وص٧٧ شيء منه وص١٢٥ .

(١٧٤) الملاحم والفتن ص١٢٦ .

(١٧٥) البحار ج٥٢ ص١٩٠ .

(١٧٦) إلزام الناصب ص٢٦١ وغيره من المصادر.

(١٧٧) أنظر ينابيع المودة ج٣ ص٣٠٨ ومنتخب الأثر ص٤٨٠ وغيرهما من المصادر.

(١٧٨) البحار ج٥٢ ج٣٠٨ وبشارة الإسلام ص١٩٣ .

(١٧٩) الحاوي للفتاوي ج٢ ص١٦١ .

(١٨٠) وسائل الشيعة: باب ٧ من أبواب حد المرتد من كتاب الحدود ح٣ ج١٨ ص٥٥٥ .

(١٨١) المصدر السابق ح٤ .

(١٨٢) المصدر السابق ج١٨ ص١٧٢ ح٤ .

(١٨٣) المصدر السابق ج١٨ ص٥٥٥ ح٢ .

(١٨٤) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤١٤ .

(١٨٥) المقنعة ص٣٠ ط قم جامعة المدرسين.

(١٨٦) علم اليقين ج١ ص٣٥٢ـ ٣٥٣ .

(١٨٧) الغيبة ص٢٦٦ .

(١٨٨) بحار الأنوار ج٢١ ص١١ـ٤١٣ .

(١٨٩) الأبُلّة: بلدة كانت على شاطيء دجلة البصرة.

(١٩٠) بقّة: موضع قريب من الحيرة.

(١٩١) الحيرة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة في موضع يقال له النجف.

(١٩٢) ربيع الأبرار ج٣ ص٤٤٧ .

(١٩٣) الكشكول ج١ص٣٢ـ ٣٤ .

(١٩٤) تفسير البصائر ج٣٢ ص٦١٨ .

(١٩٥) إعلام الورى بإعلام الهدى ص٢٦٣ .

(١٩٦) نفس المصدر السابق ص٢٩٢ .

(١٩٧) فرق الشيعة بالهامش ص٦٧ ط النجف.

(١٩٨) دائرة المعارف للأعلمي ج٤ ص٣٠٧ـ ٣٠٨ .

(١٩٩) فرق الشيعة بالهامش ص٦٨، إعلام الورى ص٢٩٢ .

(٢٠٠) إعلام الورى ص٢٩٢٠ـ ٢٩٣ .

(٢٠١) كتاب الغيبة ص٢٦٧ .

(٢٠٢) وسائل الشيعة باب ١٠ من أبواب حد المرتد من كتاب الحدود ج١٨ ص٥٦٢ ح٥٦٢ .

(٢٠٣) المصدر السابق ص٥٦٣ ح٢٩ .

(٢٠٤) المصدر السابق ص٥٦٤ ح٣٤ .

(٢٠٥) المصدر السابق ح٣٣ .

(٢٠٦) المصدر السابق ص٥٦٠ ح١٨ .

(٢٠٧) المصدر السابق ص٥٥٩ ح١٨ .

(٢٠٨) المصدر السابق ص٥٦٤ ح٣٥ .

(٢٠٩) المصدر السابق ص٥٦٤ ـ ٥٦٥ ح٣٦ .

(٢١٠) المصدر السابق ص٥٦٠ ح١٥ .

(٢١١) مستدرك وسائل الشيعة باب ٨ من أبواب الحدود والتعزيرات ص١٧٨ ح٢٠ .

(٢١٢) المصدر السابق ص١٧٧ ح١٦ .

(٢١٣) المصدر السابق ص١٧٧ ح١٧ .

(٢١٤) بحار الأنوار ج٢٥ ص١١٠ ـ ١١٥ .

(٢١٥) مكيال المكارم ج٢ ص١٩٨ .

(٢١٦) المصدر السابق ج٢ ص١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢١٧) الغيبة للنعماني ص١٤٢ ط بيروت .

(٢١٨) تقريب المعارف ص٢١٥ ط جامعة المدرسين بقم .

(٢١٩) إلزام الناصب ج١ ص٤٣١ .

(٢٢٠) تلخيص الشافي ج٤ ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ ط النجف .

(٢٢١) فهو شك في التشخيص والتطبيق، لا في أصل الإعتقاد بالإمامة إجمالاً .

(٢٢٢) وتكليف ما لا يطاق ممنوع شرعاً بالأدلة الأربعة وقبحه من الإرتكازات العقلية الأولية .

(٢٢٣) تلخيص الشافي ج١ ص٨٤ ـ ٩٢ .

(٢٢٤) كمال الدين وتمام النعمة ج٢ ص٥١٦ ، إعلام الورى بإعلام الهدى ص٤٤٥ .

(٢٢٥) أي ذكر الصدوق أو غيره من الرواة أو علماء الرجال أحداً من الرواة معقباً بقوله رحمه الله أو رضي الله عنه من امارات الصحة والوثاقة، قال المولى عناية الله (ره) بعد قوله يروي عنه الصدوق مكرراً مترضياً فيدل على الوثاقة .

(٢٢٦) ص٢٤٢ .

(٢٢٧) ج٢ ص٥١٦ باب ٤٥ ذيل حديث ٤٤ .

(٢٢٨) ص١٨ الفائدة الأولى .

(٢٢٩) ج٢ ص٢٩٧ .

(٢٣٠) آل عمران: ٨٤ .

(٢٣١) ص٨١ باب في مدح زمان الغيبة .

(٢٣٢) سند الحديث هكذا في غيبة الشيخ النعماني حدثنا محمد بن همام قال حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري عن محمد بن عيسى والحسن بن ظريف جميعاً عن حماد بن عيسى عن عبدالله بن سنان أقول هؤلاء الرواة كلهم أجلاء ثقات فارجع الى كتب الرجال ليتضح لك حقيقة الحال .

(٢٣٣) قوله (عليه السلام): الامن بدعاء الغريق، أقول: قد روى الصدوق[الإكمال ص٣٥١] في حديث آخر عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام ) ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى ولا ينجوا منها إلا من دعا دعاء الغريق، قلت كيف دعاء الغريق؟ قال يقول: ياالله يارحمن يارحيم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: ياالله يارحمن يارحيم يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، قال: ان الله عزوجل مقلب القلوب والابصار ولكن قل كما أقول لك يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك انتهى .

(٢٣٤) ج٢ ص٢٤٨ باب ٣٣ ذيل حديث ٤٠ .

(٢٣٥) ج٢ ص٣٥٠ باب ٣٣ ح٤٤ .

(٢٣٦) روى الصدوق عن أبيه قال حدثنا

عبدالله بن جعفر الحميري عن أيوب بن نوح عن محمد بن أبي عمير عن جميل بن دراج عن زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام وهؤلاء الرواة كلهم أجلاء ثقات.

(٢٣٧) الإكمال ج٢ ص٣٤٩ باب ٣٣ ذيل ٤١.

(٢٣٨) ص٨٢ باب في مدح حال الغيبة.

(٢٣٩) الكافي ج١ ص٣٣٨ باب في الغيبة ح ٨.

(٢٤٠) الغيبة ص٧٩.

(٢٤١) ص٧٩ في مدح حال الغيبة.

(٢٤٢) الكافي ج١ ص٣٤٠ باب في الغيبة ح٢٧.

(٢٤٤) ج١ ص٣٤٢ باب الغيبة ح٢٨.

(٢٤٥) ص٨١ باب في مدح حال الغيبة.

(٢٤٦) ص ٨٩ باب للقائم عليه السلام غيبتان.

(٢٤٧) غيبة الطوسي ص٢٤٢.

(٢٤٨) المصدر السابق.

(٢٤٩) الإكمال ص ٤٨٤.

(٢٥٠) مكيال المكارم ج٢ ص ٣٥٨ ط قم.

(٢٥١) الغيبة ص١١٥ ــ ١١٦ ط بيروت الأعلمي.

(٢٥٢) الإرشاد ص ٣٤٦.

(٢٥٣) الغيبة ص٢١٤ ــ ٢٤٣.

(٢٥٤) الإحتجاج ج٢ ص٢٩٧.

(٢٥٥) الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

(٢٥٦) الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام).

(٢٥٧) أي من قبل الإمام المهدي عليه السلام.

(٢٥٨) ط ايران دار الكتب الإسلامية ص٤٤٤.

(٢٥٩) علم اليقين ج٢ ص٧٧٢.

(٢٦٠) نفس المصدر السابق ص٨١٢.

(٢٦١) وسائل الشيعة باب ١٠ من أبواب حد المرتد من كتاب الحدود ج١٨ ص٥٦٨ ح٥٠.

(٢٦٢) مستدرك الوسائل باب ٨ من أبواب الحدود والتعزيرات ج١٨ ص١٧٦ ح١٠.

(٢٦٣) المصدر السابق ص١٨٦ ح٤٥.

(٢٦٤) المصد السابق ص١٨٠ ح٢٤.

(٢٦٥) بحار الأنوار ج٥٢ ص١٥١.

(٢٦٦) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة ص٣٥ ــ ٣٦ ط بيروت مؤسسة الوفاء.

(٢٦٧) مكيال المكارم ج٢ ص٣٥٧.

(٢٦٨) تاريخ الغيبة الصغرى ص٦٤٥.

(٢٦٩) جمل العلم والعمل ص٤٤.

(٢٧٠) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٣٢٠.

(٢٧١) فإن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة ــ كما ورد عن المعصومين عليهم السلام بمضامين متشابهة ــ.

(٢٧٢) تلخيص الشافي ج٤ ص٢١٥ ــ ٢٢٠ ط النجف.

(٢٧٣) تقريب المعارف ص٢٠٣ ــ ٢٠٤.

(٢٧٤) كنز الفوائد ج٢ ص٢١٩ ط بيروت دار الأضواء.

(٢٧٥) الإشارات والتنبيهات ج٣ ص٤١٧.

(٢٧٦) رسائل ابن سينا ج١ ص٢٢٢ ط قم مكتبة بيدار.
(٢٧٧) كشف الظنون ج١ ص٢٩١ .
(٢٧٨) هي حالة الخوف والإرتباك والهلع.
(٢٧٩) كنز الفوائد للكراجكي ج٢ ص٦٠ـ٦١
(٢٨٠) الدلائل والمسائل ج٢ ط بغداد سنة ١٩٢٨م.
(٢٨١) كنز الفوائد للكرجكي ج٢ ص٦٠ ط بيروت دار الأضواء.
(٢٨٢) جنة المأوى ص٣١٠ ط الأولى تبريز.
(٢٨٣) بحار الأنوار ج٥٨ ص٢٣٤ .
(٢٨٤) قرب الإسناد ص٢٠٣ .
(٢٨٥) الكافي ج٥ ص٢٣ .
(٢٨٦) الكافي الفروع ج٣ ص٤٨٢ باب النوادر ح١ .
(٢٨٧) دعائم الإسلام ج١ ص١٤٢ ط مصر دار المعارف.
(٢٨٨) علل الشرائع ص٣١٢ ط النجف.
(٢٨٩) مرآة العقول ج١٥ ص٤٦٨ ــ ٤٦٩ ط طهران.
(٢٩٠) بحار الأنوار ج٥٨ ص٢٣٧ ــ ٢٣٨ .
(٢٩١) أراد به الحشيش الذي يسمونه بالتتن.
(٢٩٢) أي القائلين بالتحريم.
(٢٩٣) أجوبة مسائل السيد حسين الفردوسي ص١٢ـ١٣ «نسخة خطية».
(٢٩٤) جنة المأوى ص٣٠٩ ط الأولى تبريز.
(٢٩٥) كنز الفوائد للكراجكي ج٢ ص٦٢ .
(٢٩٦) رجال الكشي ص٢٥٤ ط النجف.
(٢٩٧) روضة المتقين ج٩ ص٣٢٩ .
(٢٩٨) كشف المحجة لثمرة المهجة ص١٥٣ .
(٢٩٩) التبيان ج٦ ص١٦٧ .
(٣٠٠) بحار الأنوار ج٦٠ ص٧ـ ٨ .
(٣٠١) كشف الظنون ج٢ ص١٧٨ .
(٣٠٢) مجمع البحرين تنظيم محمود عادل ج١ ص٣٨٢ .
(٣٠٣) كشف الظنون ج٢ ص٣٤٧ .
(٣٠٤) مجمع البحرين ج٢ ص٥٦٠ .
(٣٠٥) الحدائق الناظرة ج١٨ ص١٦٩ .
(٣٠٦) الخصال ج١ ص١٣ .
(٣٠٧) الجعفريات ص١٨٠ .
(٣٠٨) كشف الظنون ج٢ ص٣ـ ٤ .
(٣٠٩) كشف الظنون ج١ ص٩٣ ط الأولى تركيا.
(٣١٠) الأحتجاج ج٢ ص٨١ .
(٣١١) كشف الظنون ج٢ ص٣٣٩ .
(٣١٢) دعائم الإسلام ج٢ ص١٤٢ .
(٣١٣) كتاب درست بن أبي منصور ص١٦٧ .
(٣١٤) كتاب جعفر بن محمد الحضرمي ص٧٠٦ .
( ٣١٥) : كتاب المانعات ص٢ .
(٣١٦) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤١٥ ــ ٤١٦ .
(٣١٧) كشف الظنون ج٢ ص١١٠ .
(٣١٨) أحسن الحديث ص١١٦ ط البحرين مكتبة الماحوزي.
(٣١٩) الفقيه ج٢ ص١٩٥ .
(٣٢٠) دعائم الإسلام ج٢ ص٤٨٣ .

(٣٢١) نهج البلاغة ج٣ ص١٧٣ .

(٣٢٢) رجال الكشي ج٢ ص٤٥٩ ج٨ ٣٥٨ .

(٣٢٣) كشف الظنون ج١ ص٦٥ .

(٣٢٤) مستدرك الرسائل ج١٢ ص١٠٥ .

(٣٢٥) كشف الظنون ج٢ ص٢٢٠ .

(٣٢٦) المصدر السابق ج١ ص٥٧٦ .

(٣٢٧) كشف الظنون ج٢ ص١٦٣ .

(٣٢٨) ربيع الأبرار ج٣ ص٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(٣٢٩) كشف الظنون ج١ ص٢٨٨ .

(٣٣٠) المصدر السابق ج١ ص٢٩٥ .

(٣٣١) المصدر السابق ج١ ص٣٩٥ .

(٣٣٢) المصدر السابق ج١ ص٤٣١ .

(٣٣٣) المصدر السابق ج١ ص٤٧٥ ـ ٤٧٦ .

(٣٣٤) المصدر السابق ج٢ ص١٠١ .

(٣٣٥) المصدر السابق ج٢ ص٣٠٩ .

(٣٣٦) المصدر السابق ج١ ص٤٧٠ .

(٣٣٧) المصدر السابق ج١ ص٤٥٥ .

(٣٣٨) المصدر السابق ج٢ ص٤٣ .

(٣٣٩) المصدر السابق ج٢ ص٢١ .

(٣٤٠) المصباح ص٢٢٨ .

(٣٤١) مجمع البيان ج١ ص١٧ .

(٣٤٢) التبيان ج١ ص٣٧٤ .

(٣٤٣) الإحتجاج ج١ ص١٨٥ .

(٣٤٤) تفسير العياشي ج١ ص٥٢ .

(٣٤٥) الكشكول ج٢ ص٣٢٨ .

(٣٤٦) مجمع البيان ج٤ ص٤٦١ .

(٣٤٧) الحدائق الناظرة ج١٨ ص١٧٣ .

(٣٤٨) بحار الأنوار ج١٨ ص٤١٤ .

(٣٤٩) مفتاح الفلاح ص١٢٠ ط بيروت دار الأضواء.

(٣٥٠) الحدائق الناظرة ج١٨ ص١٧٩ ـ ١٨٢ .

(٣٥١) تمهيد الأصول في علم الكلام ص٢٤٦ ط جامعة طهران.

(٣٥٢) المنقذ من الضلال ص٤١٦ ط قم جامعة المدرسين.

(٣٥٣) بحار الأنوار ج٦٠ ص٣٩ .

(٣٥٤) مجموعة رسائل الفيلسوف الملا هادي السبزواري ص٢٠٩ ـ ٢١٢ .

(٣٥٥) المصدر السابق ص١٠٣ .

(٣٥٦) معالم الفلسفة الإسلامية ص٢٤٩ ـ ٢٥٥ .

(٣٥٧) الارهاصي هو الإيذان والإعداد فالمعجزات التي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وآله قبل بعثته كانت اعداداً لعقول الناس لقبول الدعوة النبوية الشريفة بعد ذلك.

(٣٥٨) تقريب المعارف ص١٢٢

(٣٥٩) المصدر السابق ص٢١٤

(٣٦٠) اللوامع الإلهية ص٢١٣

(٣٦١) دعائم الإسلام ج٢ ص١٤٢ .

(٣٦٢) طب الأئمة ص١١٤ .

(٣٦٣) الكلم الطيب ص٨٣ .

(٣٦٤) المصباح ص٢٢٨ .

(٣٦٥) الأمان في أخطار الأسفار والأزمان ص١٣٠ ط قم

(٣٦٦) المجتبى من الدعاء المجتنى ص١١ .

(٣٦٧) المصباح ص١٥٩ ـ ١٦١

(٣٦٨) التحفة الرضوية ص٧٤

# فهرس الكتاب

للمؤلف

ترقبوا صدور الكتاب الأول من

(الموسوعة الشرعية في أحكام الأحوال الشخصية)

# النشوز والشقاق بين الزوجين

دراسة فقهية أخلاقية اجتماعية مقارنة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

# ملحق

## عن الطائفة البصريّة الضالة

اسم المؤسس : عبد الوهاب حسن أحمد البصري.

الجنسية : بحريني.

السوابق : حفلت حياة هذا المتهتك المستهتر الضال بتاريخ متناقض مضطرب مليء بالشكوك والشبهات والغموض فقد رحل طبقاً لمخططاته التي كان يبيّتها في أول عهده الى مدينة قم لتعلم العلوم الدينية بقي فيها عدة أشهر ثم رحل منها الى موسكو لتعلم الزندقة والإلحاد ومزاولة الآثام والمعاصي ثم توجه الى الهند لتعلم السحر وفنون الشعوذة وبعدها الى أحد الدول الأوربية لتعلم اللغة الإنجليزية وتوج مراحله تلك في البحرين بعنوان مناضل تارة وأخرى سفير للإمام المهدي (عج) وهي آخر مراحله التي كرس جهوده من أول عهده للوصول اليها ومن خلال تحصيل تلك المقدمات التي جمعها من أقطار شتى لتأسيس شخصيته الموهومة المكنوبة التي بلغ الجد به الى ادعائها واعلانها.

### رؤوس أنصاره واتباعه ومواليه:

نذكر جملة ما وصلنا من أسمائهم ليكون الناس منهم على حذر ويقظة تامّين وهم:

١ ـ ابراهيم الجفيري ٢ ـ أحمد العريبي ٣ ـ سيد عبدالله المحرقي ٤ ـ سعيد حبيب ٥ ـ فاضل الصيرفي ٦ ـ أحمد عباس ٧ ـ عباس ملا علي ٨ ـ محمد الشارقي ٩ ـ عيسى الشارقي ١٠ ـ عبدالأمير مبارك ١١ ـ حميد مسعود ١٢ ـ شوقي غريب ١٣ ـ فلاح مرهون ١٤ ـ فخري مرهون ١٥ ـ فيصل مرهون ١٦ ـ سيد علي الستراوي ١٧ ـ عبدالرسول رجب ١٨ ـ عبدالحسين الزاير ١٩ ـ عباس النجار ٢٠ ـ طاهر المحل ٢١ ـ عبدالله عبدالحسين ٢٢ ـ عباس الدرازي ٢٣ ـ علي كرم ٢٤ ـ سيد نعمة الهاشمي ٢٥ ـ جلال القصاب ٢٦ ـ سلمان عبدالعزيز ٢٧ ـ علي كاظم ٢٨ ـ تقي الماحوزي ٢٩ ـ أحمد عباس ٣٠ ـ فاضل الصيرفي.

### نشاطات المؤسس الفعلية داخل البحرين وخارجها :

لايبعد أن تكون هذه الحركة المشبوهة الهدامة الضالة قد ارتمت في أحضان الصهيونية

العالمية التي تتعاهد دائماً مثل تلك الحركات وتغذيتها بكل ما تحتاج اليه من دعم مالي واعلامي وتغطية أمنية ورعاية أبوية ولعل أكبر شاهد على ذلك الأموال الطائلة التي تصب في جيوب رؤوس أنصاره دائماً علاوة على المرتبات الشهرية الكبيرة التي يتقاضاها كل واحد من أذنابه.

ولم يكتف هذا المجرم بالعبث بعقائد الناس في داخل البحرين بل أخذ يرسل شياطينه الى المناطق المجاورة ومكة المكرمة لجمع الأعوان واستمالة القلوب والضحك على البسطاء والسذج.

## مجابهة علماء البحرين العملية الأولى لتلك الحركة:

وقد نهض فضلاء البحرين ضد هذه الحركة المشؤومة وتصدوا لها بعنف وقوة وهذا ما يتضح لك جلياً من استدعائهم المؤسس لها في محضر جمع غفير منهم وتحدوه، وناقشوه حتى أظهر العجز والتسليم والإذعان ببطلان ما زعمه وروّج له ولما طلب منه الإقرار على ما آل اليه أمره قام بإنشاء اعتراف هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا صاحب قضية الإدعاء بالإتصال بالحجة عليه السلام أقر بأني ادعيت هذه الرؤى التي فيها الإمام (عج) ونوابه الأربعة (ع) وخاصة سفيره الثالث الحسين بن روح رضوان الله عليه وذلك الذي أشار عليّ الإمام (ع) من خلال الرؤيا بالإلتقاء به عبر المنام عن طريق (احداث الرؤيا في المنام) المعروف في كتب الأدعية ولم أكن حينهاأعلم بأن الرؤى والإحلام لا يترتب عليها الأثر الشرعي ولكن بعد لقائي بالعلماء الأعلام واقتناعي بأن الرؤى والأحلام لايترتب عليها الأثر الشرعي، ولايجوز التعويل عليها في دين الله سبحانه وتعالى وبعد أن ثبت لي أيضاً بأن السفارة عن الإمام (عج) في زمن الغيبة الكبرى وقبل خروج السفياني والصيحة لايمكن أن تقبل عليه (عج) أو عن نوابه الأربعة رضوان الله عليهم لكونهم ليسوا في هذه الحياة [ولذا فإني] أعلن بأني قد نفيت عن نفسي كل ذلك في محضر حضرة العلماء الأعلام الأفاضل وأنا بريءٌ من كل من يحاول أن يعمل بمقتضى هذه الرؤى ولست مسؤولاً عمن خالفني في هذا بل يقع وزره على عاتقه وهو يتحمل المسؤولية الكاملة بنفسه لأني أجد نفسي متفقاً مع رأي العلماء الأفاضل فعلى هذا فإني سأضع نفسي في تصرف علماء الملة الشريفة اذا ماجدّ أمر ينبيء عن ضلوعي في هذه القضية وأمثالها ليروا بعدها رأيهم ويحكموا حكمهم وأني لم أكن مكرهاً على هذا الإقرار وانما هو لاقتناعي به ومساهمة مني لما هو عليّ من واجب شرعي واعلن أيضاً براءتي من كل التهم والاشاعات الباطلة التي

نسبت لي ظلماً وبهتاناً والله خير شاهد على ماأقول والحمد لله الذي أبصرنا ديننا ووقانا الشقاق والخلاف وسوء الفتن والمحن والسلام.

١٠ / شعبان / ١٤٠٩ هـ

١٨ / ٢ / ١٩٨٦ م

المقر عبدالوهاب حسن البصري

وقد ذيله الحضور بما صورته:

أن العلماء يعتقدون كذب مثل هذه الدعاوي ويحذرون المسلمين قاطبة من الإنخداع بها والإستجابة اليها وأنها من أكثر البدع إضراراً بالدين وزعزعة لقيمه الرفيعة في النفوس وإن مذهب الإمامية ليبرأ من هذه البدع وإن المصر عليها مبدع ضال مضل، على المؤمنين أن يجتنبوه ويحذّر بعضهم بعضاً منه.

وإن عبدالوهاب حسن البصري الذي سبق منه الإدعاء بالنيابة عن الإمام القائم (عج) وعن نوابه الأربعة، وخاصة الحسين بن روح (رض) قد وقع بمحضرنا على اعترافه المكتوب بقلمه والمعاين له في هذه الورقة أعلاه.

١ ـ السيد علوي السيد أحمد الغريفي ٢ ـ السيد هاشم السيد علي الطويل ٣ ـ الشيخ عباس أحمد الريس ٤ ـ الشيخ سليمان المدني ٥ ـ الشيخ عيسى القاسم ٦ ـ الشيخ جعفر الحاج حسن الخال الدرازي ٧ ـ الشيخ عبدالأمير منصور الجمري ٨ ـ الشيخ علي محمد محسن العصفور ٩ ـ الشيخ محمد محسن محمد العصفور ١٠ ـ الشيخ علي عبد النبي المخلوق ١١ ـ الشيخ عبدالحسين علي الستري ١٢ ـ الشيخ عبدعلي حمزه الحواج ١٣ ـ الشيخ محمد علي مهدي زين الدين ١٤ ـ الشيخ منصور علي حماده ١٥ ـ الشيخ مجيد الحداد.

## ملاحظة :

كنت أحبذ أن تنشر هذه النصوص وكذا ما سنذكره عما قريب بصورتها الأصلية الا أنه بسبب ارسالها عن طريق الفاكس وضعف التصوير لجأت الى ذكرها بالنحو الذي تراه .

## استعادة الظاهرة لأنفاسها من جديد:

وعلى الرغم من بلوغ القضية الى الحد الذي ذكرناه لك عاود عبدالوهاب البصري ممارسة أدواره السابقة ولكن في هذه المرة بتحفّظ شديد وسريّة تامة وأساليب ماكرة أكثر خبثاً وحيلة وعلى الرغم من ذلك فقد تسربت الأخبار بشأن ذلك ولما بلغني الأمر سارعت باصدار البيان التالي ، وكان أول بيان يندد ويشجب تلك الحركة الضالة وقد كتبته بتاريخ

١ / ٢ / ١٤١١ هـ وقمت بتوزيعه على الطلاب البحرانيين في مدينة قم وأرسلت منه نسخاً الى البحرين اليك نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عز من قائل (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أويأتيهم العذاب من حيث لايشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين).

نداء الى كافة الأحرار، الى الثابتين على صراط الحق ونهج الصدق من أبناء شعب البحرين المسلم الأبي، الى الذين آمنوا بالله حق الإيمان، فأتقوا الله حق تقاته، وساروا على طريق مرضاته، يستحثهم عزم صؤول، وهمة لايعتريها الفتور والخمول.

نداء الى أبناء التضحية والفداء، أبناء الأصالة والنقاء، أبناء الأمجاد العريقة، والحضارات التليدة.

عليكم بمجابهة الدعوة الهدامة التي لهج بها المجرم الجسور المرتد عن حريم الإسلام، والمفارقه والملحد فيه والمدعي ما كفر معه بالخالق جل وعلا وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً واثماً عظيماً.

ذلك الشخص الذي وسم نفسه بالنيابة عن الإمام المهدي أرواحنا له الفداء ثم ادعى أخيراً المهدوية والزعامة الروحية العامة وقد تابعه عليها جمع من الحثالى وثلة من الأوغاد من وعاظ الشياطين وأصحاب النفوس المريضة.

وعليكم بالحيلولة دون انطلائها على أبسط أبناء وطنكم العريق العظيم، وليكن الجميع على علم تام بأن هذه الدعوة هي دعوة هدامة ومؤامرة مستبطنة وتنفيس لأحقاد عدو أثيم ومتآمر ظالم غشوم ومحاولة جريئة لإبتزاز قيم الشريعة السامية وتشويه لمعالمها الحقة ووسيلة لإثارة الشكوك حول قداستها واشاعة روح المهانة بأهداف شخصيّة المصلح الأكبر الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

كما نهيب بالغيارى من أبناء الشعب البحراني المسلم الغيور وأهل الحميّة والإباء منهم الى التصدي لخيوط تلك المؤامرة المفضوحة وبذل الجهود الحثيثة لإجتثاث جذورها من الأساس واقتلاع أساس غيها وبغيها واخماد أوارها وإطفاء نائرها.

«وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين»

والخطوة العملية التي طرحت نفسها على مخيلة فضلاء البحرين عندها هو ارسال استفتاء لمراجع الشيعة في العتبات المقدسة في العراق وايران يلفت أنظارهم الى الموضوع

ويحاول أن يحصل منهم على تصريحات تندد بتلك الحركة الضالة على وجه الخصوص وتحذر المؤمنين من الإنسياق وراءها وقد كان لها الأثر على المستوى العام واليك نص الاستفتاء المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد وجد في وقتنا هذا من يطلق على نفسه ويطلق عليه أتباعه عنوان «نائب باب المولى» مدعياً النيابة عن «الحسين بن روح» رضوان الله عليه السفير الثالث في زمن الغيبة الصغرى الواقع بينه وبين الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف حاضراً وهو يدعي رؤية الإمام القائم عليه السلام في المنام، وأنه قطع بأنه هو، وقد أرسله الى الشيعة يأمرهم وينهاهم في المسائل الخاصة والعامة، ويأخذ منهم الخمس، وقوله وأمره ونهيه كل ذلك مقدم عند أتباعه على ما يأتي من الفقهاء مع التعارض، وطريقه في هذه التبليغات والأوامر والنواهي رؤيته المنامية للإمام القائم ـ عجل الله فرجه ـ نفسه أو الحسين بن روح كما قد تُدْعَى له الملاقاة لهما في عالم اليقظة.

وقد حدث أن أعلن هو نفسه اشتباهه وتخليه عن دعواه أمام جمع من العلماء وكتب تقريراً موقعاً بذلك ومذيلاً بتعليق من العلماء الذين حضروا مجلس الإعتراف والتخلي الا أن دعوته لازالت قائمة وتجمع الأتباع، وأن من تابعه من العلماء من وكلائه لازال يؤمن بصدق دعوته وحقانيتها، وان ادعي توقف الدعوة اليها، الأمر الذي يشهد الواقع بخلافه.

ويقوم بتسليم هؤلاء ومن قاربهم بهذه الدعوى على ما ينقلونه عنه من اخبارات بأمور خفية وما جاء على يده مما ينسبه للإمام القائم (عج) من نصوص بلفظها يرون أنها فوق مستوى الناقل، وأنه يمتنع عليه أن يأتي بها من نفسه في ظروف لايحتملون معه انه يستمدها من غيره من دون الإمام (عج) مما جعلهم ـ كما يقولون ـ يقطعون بصحة دعواه والصبغة السائدة في هذه النصوص استعمالها لغريب اللغة الشاذة جداً.

أولاً : ما هو الرأي المذهبي في امكان هذه الدعوى؟

ثانياً : ماهو توجيهكم حفظكم الله لهؤلاء الوكلاء والأتباع ومنهم من كان معروفاً بالوثاقة والحرص على الدين؟

ثالثاً : من يصر من هؤلاء على دعواه بعد الجهد من العلماء معه في بيان بطلان الدعوى هل يجوز الإقتداء بصلاته وحضور محاضراته وجلساته وتدريسه، أو يمتنع عن ذلك ولو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وايقاف سريان البدعة؟

ملاحظتان :

١ ـ تحت يد الرجل منجد لغوي والنصوص تحمل العيب المذكور من ناحية الفصاحة وانها لاميزة بلاغية لها، والبيان الأول منها ـ وهو خطاب للشيعة بالاستجابة للدعوى ـ وهو منسوب الى الإمام (عج) لا يخلو من أخطاء نحوية.

٢ ـ المبتدع في الدين مع انتفاء الشبهة هل يبقى عادلاً أم لا؟

أفتونا مأجورين.

علماء البحرين

## (الخطوة الثانية)

وقد حصلت هناك اجابات من جملة من الأعلام من أمثال:

١ ـ الشيخ محمد أمين زين الدين.

٢ ـ السيد عبد الأعلى السبزواري.

٣ ـ الشيخ الميرزا علي الغروي.

٤ ـ السيد أبو القاسم الخوئي.

٥ ـ الشيخ محمد علي الأراكي.

٦ ـ السيد محمد رضا الكلپايكاني.

٧ ـ السيد علي السيستاني.

وآخرون ولكن لعدم العثور عليها جميعاً اذكر لك ما وصلني: منها

## (النصّ الأول)

بسم الله وله الحمد والمجد

دين الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام على الخصوص أعظم شأناً وأكبر خطراً وأقوى حجّة من أن يعتمد في دعوته على مثل هذه الأساليب الملتوية أو يلجأ إلى حجج غير منطقيّة أو غير شرعيّة أو على وجوه متناقضة أو غير صحيحة أو على أطياف وما يشبه ذلك ممّا ذكرتموه في السؤال والإمام الحيّ عليه وعلى آبائه الطاهرين أفضل الصلاة والسلام

أسطع نوراً وأجل مقاماً وأجلى حجّة من أن يفعل مثل ذلك أو يوقع شيعته في مثل هذه الأخطاء والأخطار في مثل هذه الظروف ولذلك فيجب الإبتعاد جهد المستطاع عن هؤلاء ومقاطعتهم وعدم الحضور في مجالسهم وعدم الإستماع إلى دعوتهم فضلاً عن الصلاة معهم ولا ريب في انتفاء العدالة ممّن يرتكب ذلك مع انتفاء الشبهة ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

حرره الفقير إليه تعالى

محمّد أمين زين الدين

## (النصّ الثاني)

وهو عبارة عن عدة تعليقات على المتن السابق

للسيّد عبد الأعلى السبزواري

بسمه تعالى

١ ـ من اعتقد بهذه الدعوى يكون فاسقاً.

٢ ـ بسمه تعالى ظهر الجواب من جواب السؤال السابق وعلى المؤمنين أيّدهم الله تعالى أن يتجنّبوا عن هذه المخاطر التي توجه نحو الشقاق والإختلاف في الدين والإنحراف عن الصراط المستقيم وفقّهم الله تعالى لما فيه الخير والصلاح.

## (النصّ الثالث)

بسم الله الرحمن الرحيم:

(١) لا امكان لهذه الدعوى شرعاً بعد انقطاع السفارة عن الناحية المقدّسة برحلة رابع السفراء العظام إلى دار البقاء و [لا ريب في] تكذيب مدّعي الرؤية في عصر الغيبة [لما روى] في كتابي الغيبة وإكمال الدين، والطيف لا يترتّب عليه أي أثر ولا تثبت به أيّة دعوى في الشريعة المقدّسة فضلاً عن السفارة والبابوية والقطع بأمثال ذلك ممّا لا اعتبار به لأنّه من الجهل المركّب الذي يعاقب فيه المكلّف بالتقصير في المقدّمات والله العالم.

(٢) يجب على من ينتمي إلى الأئمّة المعصومين ـ عليهم السلام ـ اليقظة والحراسة على ودايعهم ـ عليهم السلام ـ وهي الأحكام النبويّة والشريعة المحمّدية الغرّاء والمحافظة عليها بالتجنّب عندعوى كلّ مبدع مضلّ وعدم الإصغاء إلى أباطيلهم كما يجب الإبتعاد عن مجالستهم وحضور محافلهم، بل تجب مقاطعتهم وتشهيرهم بالضلالة والإنحراف لئلا يغتر الشبان والبسطاء بأساليبهم وخدعهم فضلاً عن الصلاة خلفهم فإنّ هذا وأمثاله ترويج لأباطيلهم وبالأخصّ مع تخلّي المدعي عن مدّعاه وإبطاله دعواه بنفسه والله العالم.

(٣) لا تصحّ الصلاة خلفه كما لا يجوز الحضور في انديتهم ومحاضرتهم ونحوها لأن ذلك كلّه ترويج عمليّ للباطل وهو محّرم يوجب الفسق واستحقاق العقوبة عليه كما لا يجوز اعطاء الحقوق الشرعيّة لهم لا تكليفاً ولا وضعاً والله العالم.

الملاحظتان:

(١) لا يجوز اسناد الغلط إلى الإمام عليه السلام لعلوّ مقامه عن الغلط والإشتباه فهذا بنفسه ينادي ببطلان ما يدعيه.

(٢) العدالة لا تبقى مع البدعة والضلالة والله سبحانه العالم بأحكامه وهو الموفّق للصواب.

الفقير إلى الله الغني

علي الغروي

## (بيان علماء البحرين الثاني)

وعلى أثر تلك الإستفتاءات فقد عقدت ندوة علميّة في مسجد مؤمن في وسط العاصمة انتهت بقراءة وتوزيع صور تلك التصريحات التي تضمنتها مجموعة الإستفتاءات مرفقة بهذا البيان.

بسمه تعالى

يهمّ العلماء في هذا البلد الكريم أن يوضحوا للمؤمنين والمؤمنات أن ماحصل من دعوى النيابة عن حسين بن روح النائب الثالث من نوّاب الغيبة الصغرى وبالتالي عن الإمام القائم الحجّة «عج» وبتنصيب من الإمام نفسه أرواحنا فداه وذلك ممّن أطلق على نفسه وأطلق عليه اتباعه عنوان: «نائب باب المولى» إنّما هو أمر باطل وأنّ الدعوى المذكورة بدعة صريحة منافية للمذهب الجعفري ومقرراته الثابتة بالنصّ وإجماع الطائفة كملاً منافاة واضحة فاضحة لا يفرق في كون هذه الدعوى بدعة صريحة أن سميت سفارة أو نيابة أو وكالة أو أيّ اسم آخر.

وعلى المؤمنين أن يتوقّوا من الوقوع في حبائل هذه البدعة الضالّة المهلكة وأن يتجنّبوا صاحبها وأتباعه أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وقطعاً لدابر الإفتراء على دين الله ومذهب أهل العصمة.

ومن هذا الباب لا يُحضَر لهؤلاء درس ولا مجلس خطابة ولا محاضرة ولا يُؤتّم بهم في صلاة ولا يُؤخذ منهم رأي بل يقاطعون في هذا كلّه وأمثاله حتى يتوب تائبهم ويثبت منهم

ذلك واضحاً كما لا يسلّم لأيّ منهم أيّ حقّ شرعي، فإنّ ذلك لا يسقط الحقّ عن المكلّف ويزيد على ذلك أن فاعله آثم، على أن صرف الحق لابدّ فيه من مراجعة فتوى المقلَّد وإن فتاوى الفقهاء العظام لتتكفل ببيان كلّ الأمور السابقة.

والدعوى الضالّة المذكورة إمّا أن تدخل في مسائل العقيدة، والعقيدة محسومة مذهبياً لا تقبل أي زيادة أو نقصان فمن زاد أو أنقص من المقررات العقيديّة للمذهب فقد أبدع وخالف.

وإمّا أن تدخل في المسائل الفرعيّة التي يرجع البت فيها إلى الفقهاء وليس لأيّ متقوّل أن يُحَكِّمَ فيها هواه.

وإننا لندعوا مخلصين كلّ من انتمى إلى هذه البدعة أن يرجع إلى رشده ويؤوب إلى الحقّ مجنباً نفسه سخط الله ومغبة يوم الحساب يوم يقوم الناس لربّ العالمين وإن التوبة من البدعة تعني مع الندم الصادق والأسف العميق وأن ينقلب صاحبها ومتبعها من الدعوة إليها إلي الدعوة ضدّها والتشهير بها وفضح سواءتها وكشف عوراتها ليكون ذلك شاهد صدق عند الله والمؤمنين...

وننبّه إخواننا المؤمنين والمؤمنات إلى ضرورة الإحتراس الشديد من مثل هذه الدعوى وتنبيه بعضهم البعض على خطورتها على الإسلام العظيم ورسالة سيّد المرسلين صلّى الله عليه وآله.

التوقيعات:

الشيخ أحمد آل عصفور ـ الشيخ منصور الستري ـ الشيخ عبد الأمير الجمري ـ الشيخ عيسى أحمد قاسم ـ الشيخ عبد الحسين علي التستري ـ الشيخ عبد علي حمزة الحواج ـ الشيخ سليمان المدني ـ السيّد جواد الوداعي ـ السيّد علوي السيّد أحمد الغريفي ـ الشيخ محمّد محسن محمّد العصفور ـ السيّد هاشم السيّد علي الطويل الغريفي ـ الشيخ عبد الحسن الجد حفصي ـ الشيخ علي عبد النبي مخلوق ـ الشيخ جعفر الحاج حسن الخال الدرازي ـ الشيخ عبّاس الريس ـ الشيخ منصور حمادة ـ الشيخ مجيد الحداد.

## (المحاولة الأولى للردّ على تلك الدعوى)

وبناءاً على طلب توجّه به العم سماحة الشيخ أحمد العصفور منّي للردّ على تلك الدعوى وبشكل مختصر يتناسب مع المستوى العام لشبيبتنا فقد كتبت بشكل سريع ومستعجل كُتَيِّب أسميته (ريب المنون لمفترى البدع والزندقة والمجون) إليك نصّه بعد حذف بعض

الزوائد ذكرناها مفصّلة في كتابنا (ظاهرة الغيبة) الماثل بين يديك:

## فاتحة فيها إعصار

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال عزّ من قائل: «أفأمِنَ الذين مكروا السّيئاتِ أن يَخسفَ اللّه بهم الأرضَ أو يأتيْهم العذابُ من حيثُ لا يشعرونَ أو يأخذُهم في تقلّبِهم فماهم بمعجزين» (النحل ـ ٤٥).

«والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور» (فاطر ـ ١٠).

«أفأمنوا مكر اللّه فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون» (الأعراف ـ ٩٩).

«إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم» (النور ـ ١٩).

«وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون» (الأعراف ـ ١٦٥).

«أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنّم وبئس المهاد» (الرعد ـ ١٨).

## صاعقة حارقة

نداء إلى كافّة الأحرار، الى الثابتين على صراط الحقّ ونهج الصدق من ابناء شعب البحرين المسلم الأبيّ إلى الذين آمنوا باللّه عزوجل حقّ الإيمان فاتقوه حقّ تقاته وساروا على طريق مرضاته يستحثهم عزم صؤول وهمة لا يعتريها الفتور والخمول.

نداء إلى أبناء التضحية والفداء، أبناء الإصالة والنقاء، أبناء الأمجاد العريقة والحضارات التليدة.

عليكم بمجابهة الدعوة الهدّامة التي لهج بها المجرم الجسور المرتد عن حريم الإسلام والمفارقة والملحد فيه والمدعي ما كفر معه بالخالق جل وعلا وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً.

ذلك المدعوّ بعبد الوهّاب البصري الذي وسم نفسه بالنيابة الخاصّة عن الإمام المهديّ أرواحنا له الفداء وقد تابعه على ذلك جمع من الحثالى وثلّة من الأوغاد من وعّاظ الشياطين وأصحاب النفوس الموبوءة المريضة.

وعليكم بالحيلولة دون انطلائها على أبسط ابناء وطنكم العريق العظيم وليكن الجميع على علم تامّ بأنّ هذه الدعوة هي دعوة هدّامة ومؤامرة مستنبطة وتنفيس لأحقاد عدو أثيم ومتآمر ظالم غشوم ومحاولة جريئة لابتزاز قيم الشريعة السامية وتشويه لمعالمها الحقة ووسيلة لإثارة

الشكوك حول قداستها واشاعة روح المهانة بأهداف شخصيّة المصلح الأكبر الذي سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

كما نهيب بالغيارى من أبناء الشعب البحراني المسلم الغيور وأهل الحميّة والإباء منهم إلى التصدّي لخيوط تلك المؤامرة المفضوحة وبذل الجهود الحثيثة لاجتثاث جذورها من الأساس واقتلاع اساس غيها وبغيها واخماد اوارها وإطفاء نائرتها.

## تمهيد فيه توطيد

إعلم انّ أصول مذهب الشيعة قد ثبت النصّ عليها بكافّة طرق التعهّد والصيانة والحفظ وصنّفت في توضيحها والتأكيد على نصوصها الثابتة العشرات بل المئات من الكتب والمصنّفات إلى درجة يمكننا القطع بأنّ كلّ معالمها واطرها وحدودها ورسومها معلومة الحال لكلّ باحث ومسفرة جلية كالشمس في واضحة النهار لكلّ ذي عينين.

فلا يحقّ حينئذ لعبد الوهّاب الضالّ المضلّ ولمن حذا حذوه من المتآمرين أن يأتوا ويدعوا شيئاً في أصول الشّريعة من تلقاء أنفسهم بل يجب محاكمتهم على ضوء ما ثبتت ضرورته ووقع الإتّفاق عليه.

فعندها يعد كلّ خرق أو خدشة لأصول المذهب خروجاً عنه وارتداداً عن الإنضواء تحت لوائه وذلك لأنّ كلّ ما ثبتت ضرورته في أصوله وأحكامه الفرعيّة وتمّ التسالم والإتّفاق عليها بينهم يعد انكاره انكاراً لضروري من ضروريّات المذهب وانكار الضروري في حدّ الكفر ويضاف اليه الحكم بنجاسته للنصّ على ذلك في باب النجاسات من كتب الفقه.

### (١)

انّ ما يتعلّق بشؤون سيرة الأئمّة عليهم السلام وحوارييهم قد ثبت النصّ عليها باللفظ المتواتر الموجب للعلم والقطع في بطون مصادر دونت لهذا الغرض على يد ثقات علماء المذهب وكذا كلّ ما يتعلّق بالراوين عنهم عليهم السلام ولذلك صنفت كتب الرجال بين المتقدمين على يد أمثال النجاشي والكشي وشيخ الطائفة الطوسي وابن عقدة والبرقي من أجل أجلاّء الطائفة بجميع مقاييس الدقّة العلميّة لسد الباب أمام كلّ عابث ومتهتّك ومتآمر من ادعاء روايات لا توجد في أصولهم الروائيّة وعن رواة لم يثبت ارتباطهم بأحد من الأئمّة عليهم السلام لا من قريب ولا من بعيد.

إذا كان هذا هو حال رجال الصدر الأوّل وشأنهم وديدنهم فكيف بعبد الوهّاب البصري

ويعد قرابة الأربعة عشر قرناً فهل يمكن تصور تَصَدُّرِهِ للإخبار عنهم عليهم السلام ومن دون واسطة ويمثل هذا المستوى المنحطّ من الفكر المستهجن والمستوى المفرغ من كلّ مبدأ علمي ونصيب خلقي وسلوك متزن.

(٢)

إنّ دعواه النيابة الخاصّة عن الإمام المهدي أرواحنا لتراب مقدمه الفداء مع غضّ النظر عن بطلانها يرد عليها أمور:

(الأوّل) إنّ النيابة الخاصّة أخصّ من النيابة العامّة التي ثبت النصّ عليها للفقهاء في زمن الغيبة الكبرى كما سيأتي الإشارة اليها عمّا قريب.

فهي أجل شأناً وأعلى رتبةً وأخطر مهاماً ولازم ذلك المنصب وفي مثل هذه الأعصار أن يكون النائب الخاصّ هو أعلم فقهاء العصر وأكثرهم تبحّراً وإحاطة بالأحكام وأسرار الشريعة لأنّه يتصل مباشرة بمعدن العلم والحكمة وامام المذهب المتصف بالعصمة ليس ذلك فحسب بل يُلجأ إليه في كلّ معضلة علميّة ومشكلة قانونيّة في كافة مرافق الحياة وعلى أعلى المستويات فهل يمكن لعبد الوهّاب البصري أن يقف للمناظرة مع علماء الذرة والإلكترونيّات والإقتصاد والفلسفة والسياسة والكيمياء والرياضيّات ونحوهم ويجيب عن كلّ معضلة تحول دون تقدمهم مضافاً لمسائل علوم الشريعة ومقدّماتها وأصولها وفروعها كافة.

ولربّ متسائل يقول: ما دخل هذه الأمور في النيابة الخاصّة؟

الجواب: إنّ منصب الإمامة والنيابة عنها في مذهب الإماميّة تقتضي القول بذلك في مثل القرن العشرين وكان هذا شأنها في زمن حضور الأئمّة عليهم السلام وزمن الغيبة الصغرى بحسب مقتضيات الزمن وظروفه الخاصّة وميادينه الفكريّة والثقافيّة والعلميّة المعاشة داخل إطاره ولو لا خوف التطويل لاستعرضنا لك الشواهد الجمة على ذلك.

فمن أفظع العجائب أن يورط شخص مثل عبد الوهّاب نفسه بمثل ذلك وفي عصر التقدّم والإزدهار الحضاري يا للسخريّة التي تضحك حتّى الثكلى.

(٣)

إنّ السفراء الأربعة قد ثبت النصّ عليهم وقد تلقّى ذلك الصدر الأوّل واعتقدوه حتّى بلغ حدّ الضرورة في المذهب فمن انكر ذلك أو شيئاً يخل بأصل ذلك فقد انكر ضرورياً من ضرورات المذهب وحكمه ما تقدّم ذكره آنفاً.

ولا تقبل توبته ولا متسع للتهاون معه كما سيأتي ذكره فيمن ادّعى ذلك في زمنهم عليهم السلام، وفي طلب التوبة من أمثال هؤلاء وتتويبهم لسانياً فتح لباب العبث في الدين والمذهب على مصراعيه حيث يدعي هؤلاء اعلان التوبة متى ضاقت عليهم السبل بينما يعملون في الخفاء وفي استئصالهم سدّ لباب تلك الفتن وفي قتلهم درس وعظة وعبرة لكلّ من تُسَوّل له نفسه السير على خطاهم وانتحال مناهجهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أبى الله تعالى لصاحب البدعة بالتوبة قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: إنّه قد أشرب قلبه حبها. (عقاب الأعمال/ ص ٣٠٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام (عقاب الأعمال/ ص ٣٠٧).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث له:

كان رجل في الزمن الأوّل وطلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها فطلبها من حرام فلم يقدر عليها فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنّك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها، وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلّك على شيء يكثر به مالك ودنياك ويكثر به تبعك؟ قال: بلى، قال: تبتدع ديناً وتدعو الناس إليه ففعل فاستجاب له الناس وأطاعوه وأصاب من الدنيا ثم أنّه فكر فقال: بئس ما صنعت، ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلاّ أن آتي من دعوته إليه فأرده عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إنّ الذي دعوتكم إليه باطل وإنّما ابتدعته فجعلوا يقولون كذبت هو الحق ولكنّك شككت في دينك فرجعت عنه فلمّا رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثمّ جعلها في عنقه وقال لا أحلها حتّى يتوب الله عزوجلّ عليّ فأوحى الله إلي نبي من الأنبياء قل لفلان وعزّتي لو دعوتني حتّى ينقطع أوصالك ما استجبت لك حتّى ترد من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه. (عقاب الأعمال/ ص ٣٠٧).

## (٤)

إنّ ادعاء عبد الوهّاب البصري الإتصال بالإمام المنتظر عليه السلام عن طريق المنام ومشاهدته في عالم الأحلام وتلقّي الأحكام منه عبر ذلك يؤخذ عليه أمور بغضّ النظر عن بطلان تلك الدعوى وسخافتها:

(الأوّل) إن كان الإمام عليه السلام حيّاً يرزق موجوداً بيننا بلحمه وعظمه وبدنه الطبيعي فما المانع الذي يحول دون الإلتقاء به في عالم اليقظة وما المحذور منه ألم يكن يفعل ذلك في

زمن الغيبة الصغرى مع سفرائه على الرغم من كثافة الجهاز الإرهابي العبّاسي انذاك.

(الثاني) ما هي المميّزات التي اجتمعت في عبد الوهّاب البصري وامتاز بها على غيره وأهلته لمثل تلك المهمّة ولم تتوفّر في غيره.

(الثالث) إنّ رؤية الإمام المعصوم في المنام لها شروط قد ذكرناها في كتابنا بلغه الشيعة الكرام في تعبير رؤيا المنام وقد اشبعنا الكلام عنه هناك بما لا مزيد عليه وخلاصة المذكور هناك على فرض صدق الرؤيا أن لا يكون المأمور به في المنام يكاذب ما ثبت النصّ عليه من قبل نفس المعصوم واستقرّ العمل عليه قروناً متطاولة بحدّ الضرورة في المذهب كادعاء السفارة الخاصّة ونفي سفارة السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمّد السمري كما يزعم عبد الوهّاب البصري وأنّه السفير الرابع أو نائب السفير الثالث وإنّ الأمر قد صدر بتنصيبه بتوقيع خاصّ زوراً وبهتاناً واحتيالاً.

بل الذي ينبغي تلقيه عن المعصوم في عالم الرؤيا وبه يعرف صدق الرؤيا للمعصوم في المنام أن يكون فاعلاً لطاعة أو آمراً بها أو ناهياً عن معصية أو مبيناً لقبحها وقائلاً بالحقّ أو داعياً إليه وزاجراً عن باطل أو ذاماً لمن هو عليه.

وهو أمر لا يتنافى مع شيء من شؤون المذهب وأصوله وفروعه كما لا يخفى.

## (٥)

هناك عوامل فاعلة لإثارة البدع والزندقة في أي محيط ويمكن حصرها بالنقاط التالية:

١ ـ شيوع الجهل والأميّة وخلوّ المجتمع من المربين والمفكّرين والمثقفين.

٢ ـ انتشار ظاهرة الفقر والحرمان ومعايشة المجتمع العواقب الوخيمة الناجمة عنه.

٣ ـ الإنحراف الفكري باعتناق مباديء اجنبيّة هدّامة إلحادية.

٤ ـ تفشي الرذيلة وحالة التسيب الخلقي والإنضباط السلوكي.

٥ ـ استحكام الشبهات في أذهان الطليعة البارزة في المجتمع لفقدهم الطرق الصحيحة للإستدلال وخطأهم في تحصيل مناهج التفكير السليم وتخليطهم في المقدّمات العلميّة.

٦ ـ استحكام جذور الإستكبار والمعصية والخبث في النفس واستحواذ الظلمة على القلب والمكابرة عن معرفة الحقّ والوصول إليه.

٧ ـ اتساع الفجوة بين علماء الإسلام ورجال الفضيلة وبين طبقات فئات الشعب واعتزال الشباب عن الإلتفاف حولهم والإتّصال بهم.

ومن الطبيعي لأيّ مجتمع يتّصف بأي واحد من هذه العوامل أو أكثر أن نجد فيه حالة

الإنحراف وانتشار المذاهب الفاسدة والآراء الكاسدة ومن أجل استئصال امثال تلك الخطوط الفكريّة المنحرفة يجب القضاء أولاً على تلك العوامل وازاحتها عن ساحة المجتمع هذا إذا أردنا القضاء عليها بلا رجعة.

## (٦)

نجد في أغلب الدعوات الدينيّة الهدامة شيوع مظاهر خاصّة تعبر عن سمات نهجها الفكري وتعكس طبيعة انحرافها عن نهج الحقّ وتتبلور في النقاط التالية:

### ١ ـ انتهاك قدسيّة المشرع الأوّل

بعدم استشعار رقابة فوقهم فهم يعيشون في الأرض فساداً ويطغون طغياناً لا يأبهون

خلاله بأيّ قيمة لربّ العالمين ولا لشرعه ورسالاته وانبيائه واوصيائه وقد صرّح القرآن بهذا الصدد بقوله:

«ألم يعلموا أنّ من يحادد اللّه ورسوله فإن له نار جهنّم خالداً فيها» (التوبة/ ٦٣).

«إنّ الذين يحادون اللّه ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم» (المجادلة/ ٥).

«إنّ الذين يحادون اللّه ورسوله اولئك من الأذلين» (المجادلة/ ٢٠).

### ٢ ـ الإبتداع في الدين

وهو عبارة عن ادخال في الدين ما لم يكن فيه من تكاليف ولم يرد عليها من ناحيته فيها نصّ وقد حارب القرآن هذه الظاهرة حرباً ضروس كما صرّحت به آيات كثيرة منها قوله عزوجل:

«ومن الناس من يجادل في اللّه بغير علم ويتبع كلّ شيطان مريد» (الحج/ ٣).

«ومن يتبع خطوات الشيطان فإنّه يأمر بالفحشاء والمنكر» (النور/ ٢١).

«قل من حرّم زينة اللّه التي اخرج لعباده والطيّبات من الرزق» (الأعراف/ ٣٢).

«قل أرأيتم ما أنزل اللّه لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءاللّه أذن لكم» (يونس/ ٥٩).

## ٣ ـ نسخ أحكام الشريعة السمحاء

بابطالها والغائها وإزالتها من عالم التكليف كتحليل المعازف والقيان وآلات القمار والميتة وشرب الخمر والعبث بسائر أحكام الشرع الحنيف وهو بطبيعته يعدّ خرقاً سافراً لحدود الشريعة المحمديّة الخاتمة وحرباً شعواء ضدّ شرع الواحد الديان وقد تمّ الإلفات لهذه الظاهرة في عدد جم من الآيات نقتصر لك منها على ثلاثة وهو قوله عزوجل:

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون» (المائدة/ ٤٧).

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون» (المائدة/ ٤٥).

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (المائدة/ ٤٤).

## ٤ ـ نقض الحقوق والكرامات وحرمة الأنفس

وهو عبارة عن نتيجة حتميّة تفرضها حالة الإنحراف عن الصراط الحق لسائر المذاهب المنحرفة ونهاية مؤلمة وخاتمة رهيبة تتيه من خلالها تلك الجماعات المنحرفة وتتخبط حتّي يؤول أمرها إلى الفناء والفند والزوال وقد نبّه القرآن على أحقيته بالإتباع والعمل والإقتداء بشريعته الحقة في مواضع منها قوله عزوجل:

«وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم» (النحل/ ٧٦).

«أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدي إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون» (يونس/ ٣٥).

«قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (الزمر/ ٩).

«لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» (الحديد/ ٢٥).

## ٥ ـ تسخير الحقوق الشرعيّة وتوجيهها لهدم الإسلام

وذلك بصرفها لتقوية شوكة الدعوة الجديدة وتغطية نفقات الإعلام المزيف ووسائل التبليغ

المضللة واجهزة ورجالات وكوادر العمل المبرمج ومن أجل استقطاب قلوب الضعفاء والمحاويج لبناء خلايا حزبية تنضوي تحت لواء هذه الدعوة.

## نفحة عبير الإمامة عند الشيعة

الإمامة عند الشيعة مبدأ مقدّس يرتكز على أصله مفهوم الحياة المقدسة التي تحمل بين جنبيها كل معنى للسمو والمثالية الواقعية والحياة الحرة الكريمة والأهداف المتعالية السمحة.

وهذا بإيجاز هو المفهوم المتميّز للإمامة عند الشيعة الإمامية دون سواهم وهو الباعث المهم الذي دعاهم للعزوف عن كل فرد آخر سواهم وحفّز في ذاتهم وكيانهم روح الإستبسال في سبيل نيل تلك الغاية المنشودة في ظل مدنيّة فاضلة تتجسّد فيها الأهداف المتعالية للحياة السامية.

## أمل وطيد

## فكرة المصلح الأكبر وأثرها في الحياة

وتنطلق هذه الفكرة عن ذلك المبدأ الأصولي الإرتكازي الهام المتقدم ذكره حيث افتقار لبشرية إلى الموجه والمرشد والمنظّر لحياتها الخاصة والعامة.

فالقائد والزعيم بالنحو الذي ألمعنا وأشرنا إليه هو أشبه شيء بطبيب مهمته معالجة أمراض الإنسانية الفكرية والعقائدية والنفسية والأخلاقية والسلوكية والروحية.

وكلها مسائل ذات دقة علمية خاصة فلو لم يكن على قدر من الإحاطة بها تمام الإحاطة المسددة بالمدد الغيبي فكيف يتصور ويترقب منه أن يؤدي دوره الموكل إليه ورسالته الملقاة لى كاهله بالنحو المطلوب.

وإذا كان المصاب بمرض مزمن يسعى جاهداً للطبابة عند الطبيب الحاذق المتمرس في لك الداء العضال ليرفع علته ويطمئن إلى ما يسديه إليه من نصح وعلاج وتناول دواء لأنه مظنة للعلاج بنسبة أكثر ممن هو دونه من سوقة الأطباء فكيف بك بأمراض عصب الحياة الدنيوية حيث التشتت والتيه والضياع.

فكيف لا يجدر بالإنسان وهو في خضم معترك صراع مرير أن يلجأ إلى التمسك

والتشبث بمن تطمئن وتسكن نفسه إليه ويجد عنده ضالّته المنشودة التي تكفل له الحياة الهنيئة الرغيدة.

ويدعم الإلفات إلى ما تقدم التصريح به جملة من الروايات منها ما رواه الثقة الصفار في البصائر بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: سألت أبا جعفر (الباقر) عليه السلام عن قول اللّه عزّوجلّ: «ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هُدى من اللّه» قال: عنى اللّه بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدى.

وما رواه فيه أيضاً بسنده عن جابر عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: من دان اللّه بغير سماع عن صادق ألزمه اللّه التيه إلى يوم القيامة.

وفي كتاب زيد الزراد عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ان لنا أوعية نملأوها علماً وحكماً، وليست لها بأهل فما نملؤها إلا لتنقل إلى شيعتنا فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها، ثم صفوها من الكدورة تأخذونها بيضاء نقية صافية وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكبوها.

وروى المحدث البرقي في المحاسن بسنده عنه عليه السلام أيضاً انه قال:

اما انه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل وصواب إلا مفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسببه علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا اشتبهت عليهم الأُمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا، والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام.

وما روي في كتاب جعفر بن محمد بن شريح بسنده عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال:

ان رجلاً دخل على أبي عليه السلام فقال: انكم أهل بيت رحمة اختصكم اللّه بذلك قال: نحن كذلك والحمد للّه، لم ندخل أحداً في ضلالة، ولم نخرج أحداً من باب هدى نعوذ باللّه أن نضلّ أحداً.

فأين عبد الوهّاب البصري وأذنابه من تلك الأهداف السامية التي لا تدركها عقولهم ولا تعي بقدر قُلامة منها قلوبهم ولا تخطر على بالهم أدنى مراتبها.

وذلك لأنهم ليسوا سوى اجلاف خاوية وعقول بالية وأذهان جوفاء وقلوب صمّاء قد استحوذ عليها الشيطان فأخذ يسلك بها طرق الغواية وسبل الضلال والتضليل ويأخذ بأيديها إلى ما فيه الدمار والشنار.

# إطلالة خاطفة على (الغيبة الصغرى)

بدأت الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام من حين وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٦٠هـ. ق وانتهت بوفاة السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السمري في النصف من شهر شعبان سنة ٣٢٩هـ. ق كما نص عليه شيخ الطائفة الطوسي في كتاب الغيبة.

وبهذا الصدد يحدثنا الثقة الطبرسي في كتاب الإحتجاج بقوله:

أما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون في زمن الغيبة فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو (عثمان بن سعيد العمري) نصبه أوّلاً أبو الحسن علي بن حمد العسكري ثم ابنه أبو محمد الحسن بن علي عليهم السلام فتولّى القيام بأمورهما حال حياتهما ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان عليه السلام وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه.

فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر (محمد بن عثمان) مقامه وناب منابه في جميع ذلك فلما مضى قام بذلك أبو القاسم (الحسين بن روح) من بني نوبخت فلما مضى قام مقامه أبو الحسن (علي بن محمد السمري).

ولم يقم أحد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الزمان عليه السلام ونصب صاحبه الذي تقدم عليه فلم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم.

فلما حان رحيل أبي الحسن السمري عن الدنيا وقرب أجله قيل له:

إلى من توصي؟ أخرج توقيعاً إليهم نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري إسمع، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامّة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم. (كتاب الإحتجاج ج٢ ص ١٩٣).

وزاد شيخ الطائفة في ذيل الخبر ما لفظه:

قال: (أي أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب الراوي لهذا الحديث) فنسخنا هذا التوقيع فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له من وصيّك بعدك؟ فقال لله أمر

هو بالغه وقضى فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه.

فأين مزاعم عبد الوهاب البصري من تلك الحقيقة الناصعة وأين موضع (باب المولى) الذي أطلقه على نفسه؟

## رؤيته عليه السلام في الغيبة الكبرى

من المتسالم عليه بل المشهور بين قاطبة الشيعة الإمامية إمكان رؤية صاحب الزمان عليه أفضل التحيّة والصلاة والسلام في عصر الغيبة الكبرى، وقد وردت أعمال وأوراد وأذكار خاصة ثبت النص عليها لمن أراد رؤيته والتشرف بمعاينة طلعته البهيّة وقد شهد بصحة هذه الدعوى شواهد معجزة وكرامات باهرة خرجت عنه عليه السلام في ذلك سجلها التاريخ واحتفظ بها على انها ظاهرة ملموسة وقضية معاشه متسالم عليها إلا انه ربما يشكل على ذلك ما ورد في التوقيع المتقدم عند قوله عليه السلام:

وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر.

وقد أجاب العلاّمة المجلسي عن ذلك بما لفظه: لعلّه محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة على مثال السفراء لئلا ينافي الأخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه عليه السلام، الله يعلم (بحار الأنوار ج٥٢ ص ١٥١).

## أصل أصيل

## النيابة عن المعصوم وشرائطها

وردت نصوص متظافرة في تحديد الخطوط العامة تلقى بالضوء على الملامح التفصيلية لشخصية النائب عنهم عليه السلام وما ينبغي أن يتصف به من الشرائط والمواصفات الخاصة التي تؤهله لتحمل أعباء تلك الوظيفة الحيوية الهامة في تحديد مسار حركة الأمّة وتشخيص مصيرها فمن تلك الروايات على سبيل المثال ما يلي:

(الأولى) ما رواه الصدوق في كتاب إكمال الدين والشيخ في الغيبة والطبرسي في الإحتجاج من التوقيع الصادر عنه: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا

فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم».

(الثانية) رواية أبي خديجة قال: قال لي أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: أُنظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإني قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه.

(الثالثة) روايته الأُخرى عنه عليه السلام قال: اجعلوا بينكم رجلاً ممّن قد عرف حلالنا وحرامنا فإني قد جعلته قاضياً.

(الرابعة) مقبول عمرو بن حنظلة عنه أيضاً عليه السلام وقد جاء فيها: ينظران من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ والرادّ علينا الرادّ على الله وهو على حد الشرك بالله، الحديث.

وقد وردت روايات آخر تحدد أبعاد شخصية النائب عنهم عليهم السلام من إشتراط الذكورة والتكليف وطهارة المولد والعقل والحريّة والفقاهة والعدالة والصدق والورع.

كل ذلك في النائب عنهم بالنيابة العامة فكيف بك بالنيابة الخاصة فمن باب الأولى أن يضاف إلى جملة تلك الشروط جملة أُخرى تتناسب مع ذلك القرب على نحو ما تقدم الإشارة إليه.

ولنأخذ على سبيل المثال أحد تلك الشروط وهو شرط اتصافه بالصدق مع غض النظر عن كافة الشروط وعدم اتصاف عبد الوهاب البصري بشيء منها يعتد به.

ومعناه ان النائب عنهم عليهم السلام ينبغي أن يكون ثقة مأمون النقل صادق الحديث فيما يخبر عنه بأن لا ينكشف حال الأخبار أو في زمان الإستقبال مخالفة ما أخبر به للواقع ولما كان في النفس الأمري.

ومتى عرف بذلك صدق عليه عنوان الثقة ومتى انخرم ذلك الشرط فإنه يرتفع ذلك العنوان آناً فورياً.

وكيف كان فلو كان عبد الوهاب البصري عابد زمانه وثقة دهره وأوانه وأتى بهذه الفرية فإنه يكون من فوره أكذب من في الأرض وأحقهم باللعن والويل والثبور.

## حركة تجديد العهد بالأصالة المذهبيّة

وهي ظاهرة أُخرى من الظواهر التي امتاز بها مذهب الشيعة على من سواهم من أجل الحفاظ على المذهب الحق وخفارته وحراسته والإبقاء على ديمومية لواء التوحيد بصورته

الأصيلة ونهج الشرع القويم والصراط المستقيم.

وقد اعترف بها حتى المناوئين ، فقد حكى الشيخ البهائي في مقدّمته في كتابه الموسوم بدراية الحديث وغيره في غيرها عن ابن الأثير في جامع الأصول أنّه قال:

إنّ من خواص الشيعة أنّ لهم على رأس كلّ مائة سنة من يجدد مذهبهم وكان مجدده على رأس المائتين علي بن موسى الرضا عليه السلام وعلى رأس المائة الثالثة محمّد بن يعقوب وعلى رأس المائة الرابعة علي بن الحسين المرتضى (لؤلؤة البحرين / ص ٣٩٢).

واخرج ابن حجر في صواعقه قال: قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين إلاّ وأن ائمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون.

وروى المحدّث الصفّار في بصائر الدرجات بسنده عن أبي البختري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

إنّ العلماء ورثة الأنبياء وذلك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وإنّما روثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ شيئاً منها فقد أخذ حظاً وافراً فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كلّ خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وروى الكشي في رجاله بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف الغالين وانتجال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد.

## التاريخ يعيد نفسه

ليست قضية عبد الوهّاب البصري قضية فريدة في بابها وحدث لم يسبق في نوعه فقد كان ديدن ثله من أوغاد الصدر الأوّل ومهنة حظيت برواج في فترات مبعثرة على امتداد التاريخ الإسلامي بما فيه عصر حضور الأئمّة عليهم السلام وكان الباعث لأولئك على ذلك أمور متعدّدة بعضها معروف لكلّ من سبر تاريخ التآمر الأموي والعباسي على الإسلام وبعضها الآخر ينبع من اغراض شخصيّة دنيئة وتهافت رهيب على حطام الدنيا وزينتها.

وقد عقد العلامة المجلسي (قده) في كتاب البحار الباب السابع عشر من أبواب المجلّد الثالث عشر المعقود لتاريخ الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر صلوات الله وسلامه عليه

خصيصاً لإستعراض جملة من تلك النماذج القذرة وسرد مجمل لنوعيّة المجابهة التي سلكها أئمّة أهل البيت عليهم السلام ضدّهم راجع كلامه الذي عنونه بـ (باب ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية والسفارة كذباً وافتراءاً لعنهم اللّه تعالى) «الطبعة البيروتيّة من ج ٥١ من ص ٣٦٧ إلى ص ٣٨١).

# خاتمة المطاف

إعلم إنّ الحديث عمّا نحن فيه ذو شجون وشجون والاسهاب بذكره والاطناب بحصره يخرج بنا عن الغرض من وضع هذا الكراس ولذا فاننا ننهي حديثنا بذكر نبذ موجزة ممّا ينبغي اتخاذه تجاه تلك الأحابيل والمؤامرات المستمرّة لتلك القوى العدائيّة البغيضة:

١ ـ الإئتلاف والإلتحام بين فئات الشعب والوقوف كالجسد الواحد لإحباط كلّ مؤامرة تهدف إلى ضعضعة كيانه والنفوذ إلى أركانه وبنيانه وإثارة القلاقل الأمنيّة والإضطرابات الداخليّة ليعم الأمن والأمان وتستتب صور الحياة الفارهة الرغيدة.

٢ ـ فضح خيوط كلّ تآمر بغيظ ينشأ في وهلته الأولى.

٣ ـ زياده الإلتحام بالعلماء العاملين والفضلاء المخلصين للإستنارة بمشكاة هديهم والإستضاءة بنور ارشاداتهم والإرتشاف من نمير علومهم والإستفاضة من ثقافتهم وخطاهم لسدّ الذرائع امام نفوذ كلّ متهتّك وعابث ومتجاسر على انتهاك حريم الشريعة المقدّسة.

٤ ـ العمل على ترسيخ جذور التعاليم الإسلاميّة الأصيلة في النفوس وتقوية روح الإلتزام بآدابها ورسومها وسننها الظاهريّة في جميع الحالات والمناسبات.

٥ ـ تعهد أداء الفرائض والشعائر الدينيّة والمناسبات المذهبيّة الهامّة والمحافظة على أصالتها ورونقها وابعادها الحيّة المتوخاة من وراء الإمتثال لحدودها ورسومها في حكمة الشريعة المقدسة .

٦ ـ تأصيل مباديء الأخلاق السامية الرفيعة وبلورة السلوك من خلالها وتحكيم كافّة صور وانماط المعايشة الإجتماعيّة على ضوئها.

وختاماً أحمد اللّه عزوجل على ما وفّق وأنعم وأستغفره من مضلات الفتن واستعيذه من مُدْلهمّات المحن والاحن وأسأله أن يأخذ بأيد أبناء الأمّة الإسلاميّة جمعاء إلى ما فيه خيرها ورخاؤها وأمنها وسعادتها واستقراها وصلّى اللّه على سيّدنا وشفيعنا وملاذنا نبيّه المصطفى وآله المنتجبين خيرة الورى وسلّم تسليماً كثيراً.

# (المحاولة الأخيرة)

وبما أنّ المسألة كانت تفتقر للحسم العلمي وبشكل مدعم بالأدلّة والمصادر فقد اضطررت للقيام بمحاولة سريعة ومكثّفة لإعداد كتاب يتضمّن ذلك فكان بحمد الله وتوفيقه ومنّه عليّ أن خرج كتاب (ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة) الماثل بين يديك على أمل أن نوفّق في القريب العاجل إن شاء الله تعالى لإلحاقه بدراسة موسّعة حول البدعة والمبتدعين عند الشيعة الإماميّة يكون كالصلة والذيل والتكملة لمباحث هذا الكتاب ونسأله عزوجل أن يتقبّل منّا هذا العمل والحمد لله أوّلاً وآخراً وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.